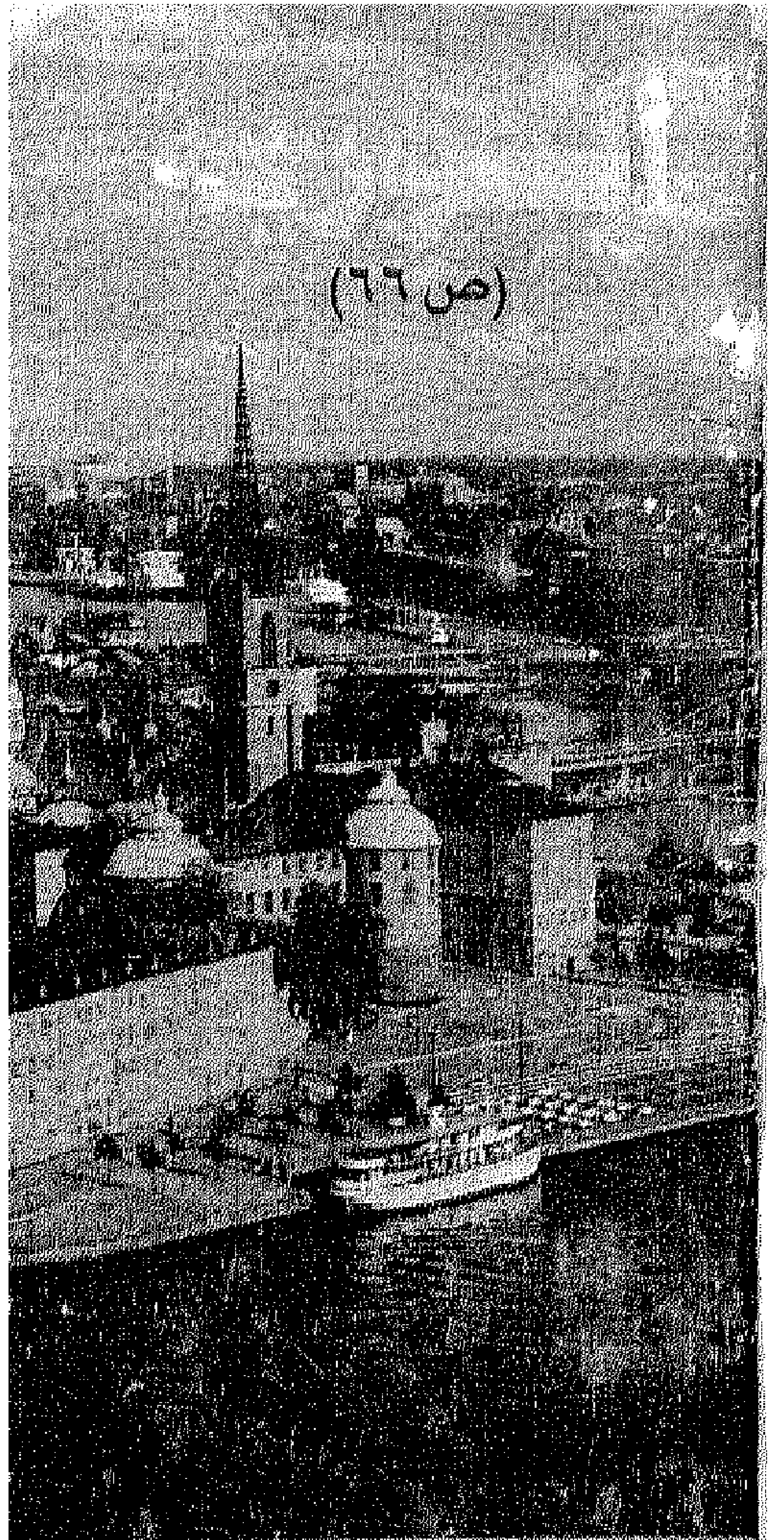
يوليو (تموز) ١٩٩٠ - الحجة ١٤١٠

Reader's Digest

المختار

AL MUKHTAR min Reader's Digest July '90 N° 140



ماذا يريد المراهقون؟

(ص ١٩)

(ص ١٠١)

أوسع المجلات انتشارًا في العالم
٣٨ طبعة، ١٥ لغة، ٢٨ مليون نسخة شهريًا



المختار

من ريدرز دايجست

مجـــلة شهـريّـة

رئيس التحرير - المدير المسؤول: ادمون صعب.

مديرة التحرير: راغدة حداد. أمينة التحرير: نهلا رزق. محررة مساعدة: لورا نفاع. الاشتراكات: فريال علاف

مدير القسم الفني: جورج غالي. الخطوط: عبد القادر اسماعيل.

الامتياز: شركة النهار للمنشورات الدولية - باريس. الناشر: شركة "ابيراك" للمنشورات الدولية - بيروت.

رئيس مجلس الادارة - المدير العام: الدكتور لوسيان دحداح.

المدير العام المعاون: داني دحداح - باز.

التحرير والادارة: بيروت، شارع المقدسي، بناية الشرتوني، ص.ب ٨٧٠٧ بيروت - لبنان.

التلكس (الموقت): ANAHAR 22322 LE

COLIDI 21058 LE

التنضيد والتنفيذ: المطابع التعاونية الصحفية، شارع مصرف لبنان، بيروت.

الطباعة: المطبعة العربية، المدينة الصناعية - البوشرية، المتن الشمالي - لبنان.

التوزيع: الشركة اللبنانية لتوزيع الصحف والمطبوعات، بيروت.

AL MUKHTAR min Reader's Digest

Editor-in-Chief: Edmond Saab.

Managing Director: Dany Dahdah-Baz.

Beirut, Makdesi St., Shartouni Bldg., P.O.Box 8707, Beirut, Lebanon.

Telex ANAHAR 22322 LE / COLIDI 21058 LE



Circulation Audited by G. Bargout C.P.A.

July '90 N° 140 (New Series) Vol. 12

ريـــدرز دايجســـت

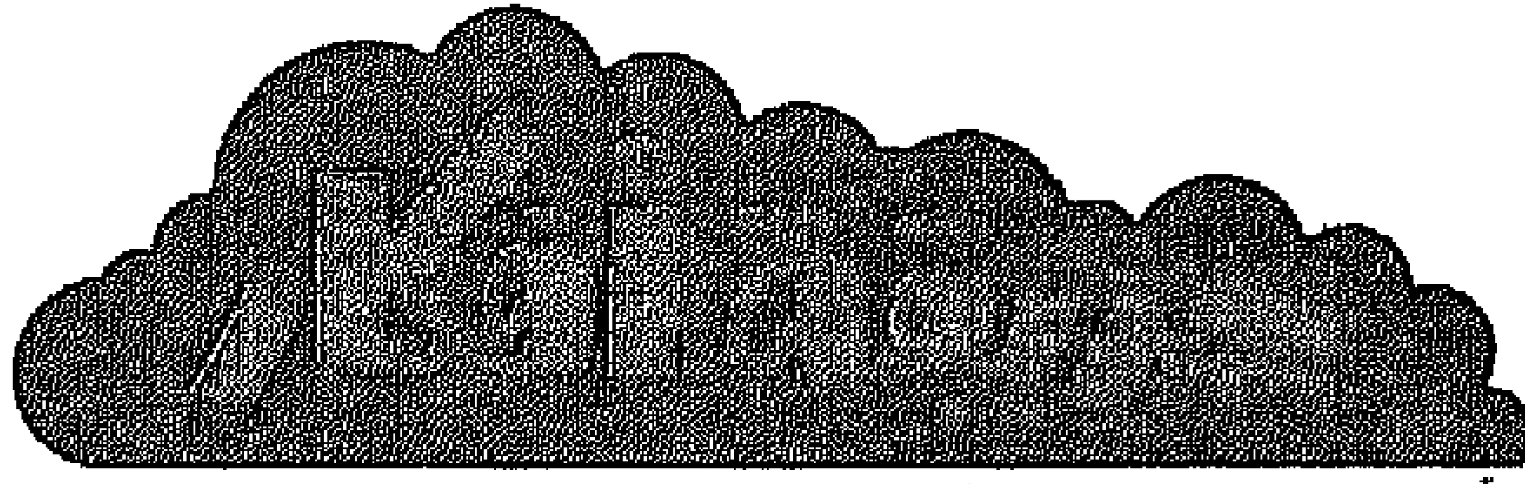
المؤسسان: دي ويت والاس وليلى اتشيسون والاس.

الطبعاتُ الدوليّة

رئيس التحرير: كنيث غيلمور. مدير التحرير: فرنسيس ج. شيل. المدير العام: جورج ف. غرون.

تنشر «ريدرز دايجست» في اللغة الانكليزية (الطبعات الاميركية، الكندية، البريطانية، الاوسترالية، النيوزيلندية، الافريقية الجنوبية، الهندية والآسيوية) وفي الفرنسية (الطبعات الفرنسية، الكندية، البلجيكية والسويسرية) وفي الاسبانية (الطبعات الاميركية اللاتينية والاسبانية) وفي البرتغالية والاسوجية والنروجية والدانمركية والفنلندية والالمانية (الطبعتين الالمانية والسويسرية) وفي الايطالية والهولندية (الطبعتين الهولندية والبلجيكية) والصينية والكورية والهندية، الى العربية.

٥٠٠ل - سورية ٢٠ل - الاردن ٧٠٠ف - الكويت ٧٠٠ف - الامارات العربية المتحدة ٩د - قطر ٨ر - البحرين ٨٠٠ف -
ودية ١٠ر - مصر ١،٥ج - السودان ١ج - ليبيا ٥٠٠د - اليمن ٨ر - عدن ١٥د - مسقط ٨٠٠ب - العراق ٨٠٠ف - قبرص ٧٥ب
نس ٧٠٠م - المغرب ٧د - الجزائر ٧د - فرنسا ١٠ف - انكلترا ١ج - اليونان ١٣٠د - كندا واميركا الشمالية ٢،٥د



- ثق بحدسك، فهو يرتكز عادة على حقائق محفوظة مباشرة تحت مستوى الفكر الواعي.

جويس براذرز، كاتبة وعالمة نفسانية

- الطريقة الوحيدة للحفاظ على صحتك هي أن تأكل ما لا تريده وتشرب ما لا تحبه وتفعل ما لا تود أن تفعله.

مارك توين

- نادرون هم الاشخاص الذين يزنون أخطاء الآخرين من دون ضغط ابهامهم على الميزان.

بايرون لانغنفيلد

- كن دائم الفضول، فالمعرفة لن تكتسبك، بل عليك أنت أن تكتسبها.

س.ب.

- افضّل الفشل في ما يمتعني على النجاح في ما أكره.

جورج برنز، كوميدي امريكي

- الحصول على كل ما نبتغيه لا يعني بالضرورة أن نحصل عليه دفعة واحدة.

س.ل.

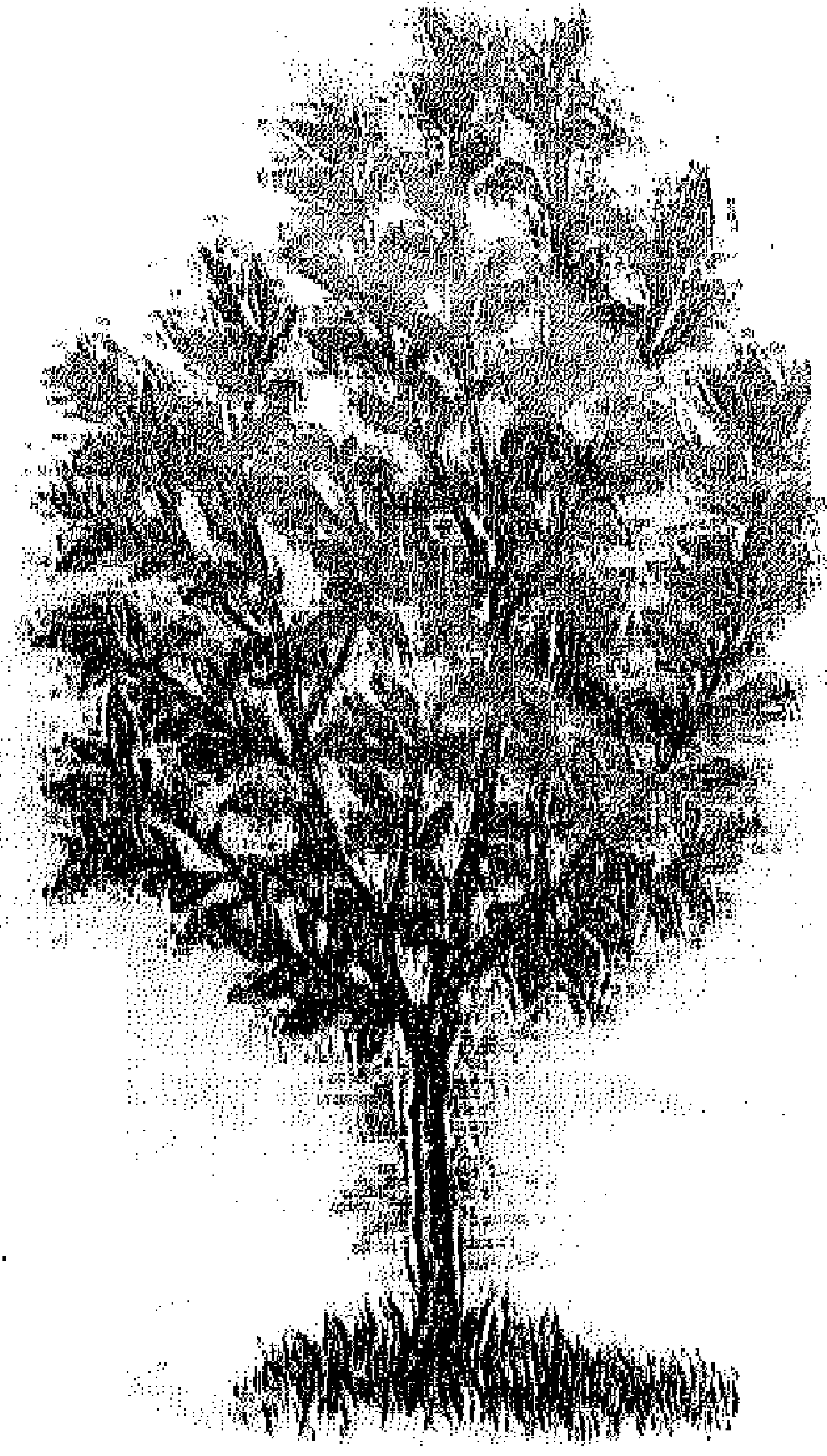
- اذا عرفت أنك ستلتيفت لاحقاً الى أمر مضى وتضحك منه، فحري بك أن تضحك منه الآن.

ماري اوزمند، مغنية شعبية

- الأحداث الكبيرة معلّقة على فرص صغيرة.

ديموستينس، سياسي وخطيب اغريقي.

شجرة الحياة



مضت ثلاث سنوات مذ غادرت وزوجتي فيكي المستشفى حاملين بعض الصور وسوار الاسم الذي كان ملفوفا حول رسغ قدم ولدنا وكتيّبين عن قهر الاحزان. وعادت حياتنا الى نمطها الطبيعي لولا بعض التغيّرات غير المرتقبة، ومنها شعوري بالارتباك لدى سؤالي كم من الأولاد لديّ. وأنا أعرف أن الجواب الصحيح واقعياً هو ولد واحد، لكن القلب البشري يتخطى محدوديات الواقع.

فأجيب: "ولدان!" وأرجو أن ينتهي الأمر عند هذا الحدّ. ولكن إذا استمرّ الحديث في الموضوع وطرح عليّ مزيد من الأسئلة، فاني أقول إن أحد الولدين قد مات، وهي لحظة يغلب عليّ الارتباك اذ تخلّف فيَّ شعوراً بأنني أستجدي العطف والشفقة. لكن تجنب ذكر ولدي كما لو أنه لم يعش مطلقاً يتخطّى قدراتي.

ان الفرح بالمولود الجديد هو الامل الواعد بحياة مديدة تمرّ بمراحل النمو والتغير وتتخلّلها آلام الأذنين وهدايا الاعياد والقراءة بصوت مرتفع. قبل فاجعتنا كنت أعتقد أن مستقبل الولد ينتهي بموته. لكن هذا غير صحيح. فطيف ابننا لا يزال يملأ المكان، ونحن نشعر بوجوده مثلما يشعر من بترت ساقه بأنها ما زالت في مكانها.

وقد تعقبت في ذهني الفترة الزمنية التي انقضت منذ ولادة ابننا، ورسمت له صورة ذهنية لما كان سيبدو في مراحل نموّه.

دفنّا رفاته في طرف الحديقة، وزرعنا فوقه شجرة تفاح نعتني بها بحرارة وحب، فننظفها من المن الذي يغزو الاشجار الصغيرة، ونسقيها في فترات الجفاف، ونقتلع الاعشاب البرية حول جذعها. وفي نهاية الشتاء نقلّم أغصانها بحنان كأنها أظفار مولود جديد.

ولا بد لهذا العطف من أن يثمر في النهاية. وستثمر شجرة ابننا قريباً ويكتمل ريعانها في أوائل سني المراهقة. وربما عاشت مئة عام.

جون فارا ■

Reader's Digest
المختار
يوليو (تموز) ١٩٩٠
ذو الحجّة ١٤١٠
السنة الثانية عشرة
سلسلة جديدة
مجلة بحجم كتاب ومقال لكل يوم بأسلوب ممتع

أضواء جديدة على الكولسترول

هل بالغ الباحثون في ابراز أخطار هذه المادة التي تسبب انسداد الشرايين؟

هل تعرف مستوى الكولسترول في دمك؟ هل أبدلت نظام حميتك لكي تخفض هذه المادة التي تسبب انسداد الشرايين؟ ضمن حملة ضخمة ضد الكولسترول هي من أعظم الحملات الصحية في التاريخ، نُصح الذين يشكون من ارتفاع في ضغط الدم باتباع نظام حمية صارم خاضع لاشراف طبي. فاذا لم تُجدِ هذه الطريقة، اعتمدت الأدوية لخفض الكولسترول كخيار بديل. وحتى الآن لا تزال الاكتشافات والتوصيات السابقة بشأن الكولسترول تواجه حملات مشككة.

في واجهة هذا التحدي كتابان رائدان هما "قصور القلب" للصحافي توماس ج. مور و"التغذية المتوازنة: أبعد من ذعر الكولسترول" الذي اشترك في وضعه الدكتور فريدريك ستار أحد مؤسسي دائرة التغذية في كلية هارفرد للصحة العامة، والدكتور روبرت أولسون أستاذ الطب في جامعة ولاية نيويورك في ستوني بروك، واليزابيث ويلان رئيسة "المجلس الامريكي للعلوم والصحة." وقد لقي كثير من آرائهم التأييد في مقالة للدكتور ألان س. بريت من كلية الطب في جامعة هارفرد، نشرت في ٧ سبتمبر (أيلول)

١٩٨٩ في "نيو انغلاند جورنال أوف ميدسين." وقد شملت تأكيداتهم النقاط الأساسية الآتية:

□ ان أخطار الكولسترول مبالغ فيها. ففي غياب التدخين وارتفاع ضغط الدم، يبدو أن ارتفاع معدل الكولسترول لا يشكل وحده عامل خطورة أساسياً في امراض القلب كما حُملنا على الاعتقاد.

□ قد تنتج من انخفاض معدل الكولسترول عواقب عكسية غير مرتقبة، تشمل ازدياد الاصابة بالسكتة الدماغية (الفالج) والسرطان. هذا ما أظهرته أبحاث أوردها مور في كتابه.

□ ان خفض معدّل الكولسترول من طريق الحمية، استناداً الى مور، قد يكون صعباً ومحدود النتائج في بعض الاحيان.

□ إن فوائد أدوية خفض الكولسترول مبالغ فيها. وهناك تقليل من خطورة أعراضها الجانبية أو تجاهل لها.

لكي نفهم هذا المنحى الجديد في التفكير، لا بد لنا من معرفة كيف أصبح الكولسترول مرادفاً لمرض القلب في عقول العامة.

طوال عقود ازدادت الخشية من أن استهلاك كميات كبيرة من الاطعمة الدهنية أو الغنية بالكولسترول قد يزيد حمولة الكولسترول في الدم مما يؤدي الى تراكمات داخل أحد الشرايين.

ان شريان القلب التاجي معرض خصوصاً للإنسداد، وهكذا هي حال الشرايين السباتية التي تغذي الدماغ بالدم. فعندما تزيد التراكمات وتضيّق أحد الشرايين الى حد خطير، تؤدي جلطة دموية تسدّ الشريان كلياً الى حدوث نوبة قلبية أو سكتة دماغية.

برزت في الستينات دلائل مقنعة تربط بين الكولسترول ومرض القلب من خلال "دراسة فرامنغهام للقلب" وهي مشروع تدعمه الحكومة الامريكية بدأ في العام ١٩٤٨. وتراقب الدراسة حالياً ألوف البالغين في فرامنغهام بولاية مساشوستس لكشف أنماط أمراض القلب.

وبازدياد الدلائل على الدور الذي يؤديه الكولسترول في الاصابة بمرض القلب، ازدادت مخاوف أوساط الصحة العامة. وشرع الاطباء يحذّرون المرضى، فيما نقلت وسائل الاعلام الى الجمهور سيلا متواصلا من التقارير الجديدة. وفي أواسط الثمانينات غدا الكولسترول على السنة الجميع في الولايات المتحدة. واعتبر ملايين الامريكيين مستويات الكولسترول التي تربو على ٢٤٠ مليغراماً في كل دسيليتر (عُشر الليتر) من الدم عامل خطورة قد يسبب مرضا في القلب. ولكن بمرور الوقت، باتت الاكتشافات السابقة موضع نقاش نجمت عنه تحقيقات اضافية وتساؤلات جديدة.

؟ ما هو دور الكولسترول في مرض القلب

هذا هو السؤال الجوهري الذي يدور حوله معظم الجدل. وكما يذكر مور، فان معلومات فرامنغهام تبين أن في أوساط الشباب والكهول ترابطا لا يرقى اليه

الشك بين ارتفاع كولسترول الدم ومرض القلب. فلو أن دراسة فرامنغهام انحصرت في هذه المجموعة لاظهرت أن أولئك الذين يشكون من ارتفاع مستوى الكولسترول معرضون للاصابة بنوبة قلبية أو آلام في الصدر أكثر بثلاث مرات أو أربع من ذوي المستوى المنخفض من الكولسترول. بيد أن عدداً كبيراً من الاصابات بمرض القلب ظهر بين الرجال ذوي المستويات المتوسطة التي تراوح بين ٢٠٠ و٢٣٩. وحتى ذوو المستويات المنخفضة من الكولسترول التي هي دون الـ ٢٠٠، بدت عليهم دلائل مرض القلب. وبالتالي، يؤكد مور أن ارتفاع معدل الكولسترول هو "أبعد من أن يُشكل تفسيراً بسيطاً وشاملاً" لأمراض القلب الناتجة من انسداد الشريان التاجي.

ماذا عن النساء والرجال المسنين

تظهر دراسة فرامنغهام أن خطر الاصابة بأمراض القلب الناتجة من انسداد الشريان التاجي هو أقل كثيراً لدى النساء اللواتي يعانين مستوى مرتفعا من الكولسترول منه لدى الرجال. ويقول مور أن النساء قبل انقطاع الطمث "محصنات عمليا" ضد المرض. وكتب: "بدءاً بالسن الخمسين، تضعف العلاقة بين ارتفاع معدل الكولسترول وتنامي خطر الاصابة بأمراض القلب الناتجة من انسداد الشريان التاجي، لدى النساء والرجال على السواء."

هناك حاجة واضحة الى اجراء مزيد من التحقيقات، وكثير منها يجرى حاليا. وبما أن معظم الدراسات عن الكولسترول تركز على الشباب والمتوسطي العمر من الرجال، فقد بدأ "المعهد الوطني للقلب والرئة والدم" دراسة رئيسية لتجديد أخطار ارتفاع معدل الكولسترول لدى النساء والمسنين.

هل أدى خفض الكولسترول الى نقص في عدد الوفيات الناتجة من النوبات القلبية

هناك لغز آخر يتعلق بحدوث نقص في عدد الوفيات الناتجة من النوبات القلبية في الولايات المتحدة ما بين العام ١٩٦٣ (السنة الذروة) والعام ١٩٨٦. فقد انخفض عدد هذه الوفيات بنسبة ٤٢ في المئة. لكن مستوى الكولسترول لدى الامريكيين نقص ثلاثة في المئة فقط ما بين ١٩٦٠ و١٩٨٠.

لذلك يستنتج مور أن ليس في الامكان اعتبار خفض الكولسترول عاملاً حاسماً أنقذ حياة هذه الألوف من الناس.

الى أي حد يجب أن تهبط مستويات الكولسترول

مع تركيز عامة الناس انتباههم على المستويات المرتفعة من الكولسترول، أُوليت الأخطار الكامنة في المستويات المنخفضة اهتماماً ضئيلاً.

ان أحد الاهتمامات هو العلاقة بين الكولسترول المنخفض وبعض أنواع السكتة الدماغية. فقد نشرت "نيو انغلاند جورنال أوف ميدسين" في ٦

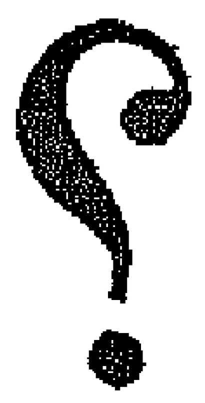
ابريل (نيسان) ١٩٨٩، دراسة شملت اكثر من ٣٥٠ الف رجل أمريكي تراوح اعمارهم بين ٣٥ و٥٧ عاما. فتبين أن امكان اصابة الرجال الذين يقل مستوى الكولسترول لديهم عن ١٦٠، بسكتة نازفة ناتجة من انفجار احد الأوعية الدموية في الدماغ، هو اكثر ثلاث مرات منه لدى الرجال ذوي مستويات الكولسترول الأكثر ارتفاعا.

كتب مور أنه في حين تقلّ اصابة الرجال ذوي الكولسترول المنخفض بأمراض القلب الناتجة من انسداد الشريان التاجي، لم تثبت الدراسات أن الكولسترول المنخفض يطيل العمر. وفي دراسة تحليلية وضعها "المعهد الوطني للسرطان" وجد مور هذا التفسير المحتمل: "إن احتمال اظهار التشخيص اصابة بمرض السرطان بلغ لدى الرجال ذوي مستويات الكولسترول الادنى ضعفي ما هو لدى ذوي المستويات الاعلى."

ولكيّ نفهم ذلك علينا معرفة أن الكولسترول ليس ضاراً في ذاته. فنحو ثلثي محتوى الجسم من الكولسترول يتكوّن داخل الجسم، ومعظمه بواسطة الكبد. والغشاء الخارجي لكل خلية في الجسم مكوّن بمعظمه من مركبات الكولسترول أو الدهون التي تساعد في تنظيم ما يدخل الخلية ويخرج منها.

أما باحث القلب البريطاني مايكل أوليفر من "معهد وين للبحث الأيضي" في لندن فلديه نظرية تقول بأن تجريد الخلايا نسبة كبيرة من الكولسترول يضعف مقاومتها المناعية. لهذا السبب يرجّح البروفسور أوليفر أن يكون الرجال المسنون ذوو المستويات المنخفضة من الكولسترول أكثر عرضة للاصابة بالسرطان.

ويدور معظم الاسئلة والنظريات حاليا حول موضوع الكولسترول المنخفض. ولعل أهمها ما نشرته "نيو انغلاند جورنال أوف ميدسين" في أبريل (نيسان) ١٩٨٩، عن أن الرجال الذين تراوح مستوياتهم بين ١٦٠ و٢٢٠، حصلت بينهم وفيات بفعل مسببات مختلفة، عددها أقل كثيراً من عدد وفيات الرجال ذوي مستويات الكولسترول التي تقع دون هذا او فوق ذاك



هل الحمية التي تهدف الى خفض مستوى الكولسترول ذات فاعلية

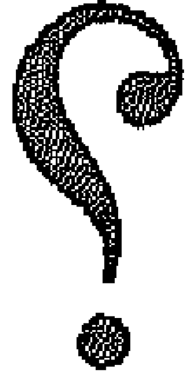
ليس بالضرورة. يشير مور الى أن باحثي فرامنغهام قابلوا بين مستويات الكولسترول لدى ٩١٢ من الرجال والنساء المتوسطي العمر وما يستهلكونه في نظام حميتهم من الكولسترول. ووسط دهشة الباحثين، كتب مور: "لم تظهر هناك أي علاقة." وفيما تحتم تفسير الاختلاف بين الافراد، فقد استنتج الباحثون أن السبب لم يكن الحمية.

وفي الحملة التي شنها مور وستار ونقّاد آخرون للتقليل من أهمية أنظمة الحمية الهادفة الى خفض الكولسترول استعان هؤلاء بدراسة تحليلية عن متوسط العمر المتوقّع نشرت في العام

١٩٨٧ في "أنـالز أوف انتيـرنـال ميدسين." فبحسب تقديرات فريق باحث من جامعة هارفرد، أي شخص يخفض استهلاكه من الكولسترول طوال حياته، – وليس معرضاً لأخطار مرضية أخرى – يزيد متوسط عمره المتوقع بين ثلاثة أيام وثلاثة أشهر فقط.

يستشهد مور في كتابه بدراسة أخرى بعنوان "السيد سليم"[١] وهي مشروع بحث رعاه "المعهد الوطني للقلب والرئة والدم" في الولايات المتحدة. وبموجب هذا المشروع، عمد ٢٢ مركزاً سريرياً الى دراسة نحو ١٣ ألف رجل من المتـوسطي الاعمـار بعـد تقسيمهم مجموعتين متساويتين تقريباً. ولمدة سبع سنـوات (خلال السبعينـات وأوائـل الثمانينات) اعتمدت احدى المجموعتين برنامج حمية صارماً لم تعتمده المجموعة الاخرى. فماذا كانت النتيجة؟ في مجمـوعة الحميـة، انخفض مستوى الكولسترول بنسبة سبعة في المئة فقط، ولم يظهر فارق مهم في معدل الوفيات بين المجموعتين، بل ان عدد الوفيات كان أعلى قليلا بين أفراد مجموعة الحمية.

من البديهي ألا ينصح الخبراء الناس بأكل كل ما تشتهيه نفوسهم من شرائح اللحم المدهن والجيلاتي (أيس كريم). فهناك دليل قاطع على أن الغذاء الغني بالدهن هو غير صحي، واستهلاك الدهن مرتبط بسرطان الثدي والقولون – وهما نوعان قاتلان من السرطان. والاطعمة ذات النسب المرتفعة من الدهن هي أيضا مثقلة بالوحدات الحرارية، مما يرجّح ازدياداً في الوزن يترافق وازدياد الأكل، علماً أن البدانة عامل خطورة أكيد لدى المصابين بالسكري وبارتفاع ضغط الدم.



هل أدوية خفض الكولسترول فاعلة

مثل برامج الحمية التي تهدف الى خفض الكولسترول، هي ليست بالضرورة فاعلة.

يقول الدكتور بريت من جامعة هارفرد ان بعض نتائج تجارب الأدوية لم يبعث على التفاؤل بالمقدار الذي روج له. فعلى سبيل المثال، انخفضت اصابات القلب لدى الرجـال الذين خضعـوا لهذه الاختبارات فيما لم يتدنّ معدل وفياتهم عموماً.

وفي مقالة موسعة للدكتور بريت نشرت في "نيو انغلاند جورنال أوف ميدسين" في سبتمبر (أيلول) ١٩٨٩، استشهد بريت بدراسة هلسنكي للقلب، وهي جهد خمس سنوات جرى فيه تتبع ٤٠٨١ رجلا متوسطي الاعمار في فنلنـدا. ومن المجموعة التي تناول أفرادها العقار "جيمفيبروزيل" المخفّض للكولسترول، أصيب ٢،٧ في المئة بمرض القلب الناتج من انسداد الشريان التاجي. ومن بين أولئك الذين لم يتناولوا الدواء أصيب ٤،١ في المئة فقط بهذا المرض. وفارق ١،٤ في المئة بين المجموعتين له مدلول احصائي مهم، ولكن عوض الافادة عن الفارق الصغير "المطلق" أفيد عن خفض

(١) «Mr. Fit»

"نسبي" كبير في اصابات مرض القلب الناتج من انسداد الشريان التاجي، مقداره ٣٤ في المئة. وكتب بريت انه على رغم صحة النتيجة تقنيا فان مثل هذا الاستنتاج قد يكون مضللا.

يشير بريت أيضا الى بعض النتائج التي أسفرت عنها دراستان عن الادوية المخفضة للكولسترول. فهناك مثلا بعض المرضى الذين عولجوا بالادوية وظهر أنهم تعرضوا لنسبة بالغة من حوادث الوفاة العنيفة والعرضية، وتحديداً حوادث الانتحار والقتل واصطدام السيارات. ومع ذلك فان الباحثين يصرفون النظر لاعتقادهم أنها أحداث عارضة.

ولكن، من ناحية أخرى، فان مؤيدي استخدام أدوية خفض الكولسترول يشيرون الى بعض عوامل النجاح، اذ ان بعض الأدوية تخفض مستويات الكولسترول والنوبات القلبية بنسبة مهمة. وفي دراسة أجرتها احدى جامعات جنوب كاليفورنيا على الرجال الذين أجريت لهم في السابق جراحة "تحويل جانبي" في الشريان التاجي، تبين أن أدوية خفض الكولسترول قد تخفض معدل الصفائح داخل الشرايين وترفع مستوى البروتينين الدهني المرتفع الكثافة[٣] أي الكولسترول "الجيد."

وعلى كل مرشح لتناول دواء مخفض للكولسترول استشارة طبيب يفحصه بدقة أخذاً في الاعتبار عمره ونمط معيشته وتاريخه العائلي والصحي ومستوى الكولسترول لديه.

أثار بريت ومور وستار ومؤلفون غيرهم أسئلة تشكل تحديا بخصوص الكولسترول. وتذكرنا هذه الاسئلة بأن الجسم آلة مركبة معقدة تتمتع بغريزة خارقة لتحدي الاجوبة السهلة. لذلك فان سؤالا أساسياً واحداً يُطرح في النهاية: ماذا نعرف نحن الآن عن الكولسترول؟

هنا خلاصة الابحاث:

١

• **الرجال.** ثمة دليل قاطع على أن الرجال بين الخامسة والعشرين والخامسة والخمسين من العمر معرضون لخطر الاصابة بمرض القلب الناتج من انسداد الشريان التاجي اذا كان مستوى الكولسترول لديهم ٢٤٠ أو أكثر. أما احتمال الاصابة بهذا المرض فيزداد لدى ذوي الكولسترول المنخفض اذا اقترن بعامل خطورة كالتدخين أو ارتفاع ضغط الدم. واذا كان هناك عاملا خطورة اضافيان، ازداد كثيراً امكان الاصابة بمرض القلب الناتج من انسداد الشريان التاجي.

ينحصر البحث في الرجال البالغين الستين من العمر وما فوق. ومعروف أن مستويات الكولسترول ترتفع كلما شاخ الجسم، ولكن هناك أدلة متناقضة حول ما اذا كانت مستويات الكولسترول المرتفعة تزيد خطر تعرض المسنين لمرض القلب الناتج من انسداد الشريان التاجي.

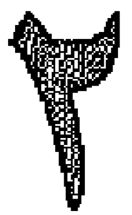
على رغم ان الاخطار الناجمة عن المستويات المنخفضة من الكولسترول

---

(٢) Coronary-bypass surgery

(٣) High density lipoprotein

ليست مؤكدة وثائقيا مثل أخطار المستويات المرتفعة، فان الادلة تشير الى أن الشبان والرجال المتوسطي العمر الذين لديهم مستويات من الكولسترول تقلّ عن ١٦٠ يتضاءل خطر اصابتهم بمرض القلب الناتج من الانسداد التاجي، لكنهم قد يتعرضون لازدياد حدوث السكتات الدماغية والسرطان. ويشير بعض الادلة الى أن مستويات الكولسترول ما بين ١٦٠ و٢٠٠ هي، في غياب عوامل خطورة أخرى، أكثر ملاءمة صحيا. لكن هذا ليس في أي حال دليلا حاسماً.



• **النساء**. يركّز معظم دراسات الكولسترول على الشبان والرجال المتوسطي العمر. ولكن أجري عدد كاف من الابحاث التي تظهر أن النساء نادراً ما يعانين أمراض القلب قبل انقطاع الطمث، حتى اللواتي تتجاوز مستويات الكولسترول لديهن الـ٢٤٠ – ما لم تكن لديهن عوامل خطورة أخرى.

أما بعد انقطاع الطمث فان نسبة النساء ذوات المستويات المرتفعة من الكولسترول اللواتي يصبن بمرض القلب الناتج من الانسداد التاجي تكاد تساوي نسبة الذين يصابون بهذا المرض من الرجال المتوسطي العمر ذوي المستويات المرتفعة من الكولسترول.

ولكن يبدو أن تفاوت خطر الاصابة بمرض القلب بين النساء والرجال المتساوين في العمر، يقلّ بعد انقطاع الطمث لدى النساء ومع تقدمهن في العمر.



• **حمية الكولسترول المنخفض**. ان الصلة بين مستويات الكولسترول في الدم واستهلاك أغذية دهنية غنية بالكولسترول (كاللحم المدهن وصفار البيض والزبدة) تبدو أقل وضوحا ودقة مما اعتُقد سابقاً. ولكن لا تزال هناك أدلّة قوية تثبت أن الغذاء المثقل بالدهن والغني بالكولسترول ليس صحيا.



• **أدوية خفض الكولسترول**. ان تأثير معظم الادوية التي تخفض الكولسترول في المدى البعيد لم يحدد بعد. وفيما ينجح كثير من هذه الأدوية في خفض الكولسترول بنسبة مهمة في بعض الحالات، فليس هناك دليل جازم على أن هذه الادوية تطيل العمر.

ونظراً الى الاعراض الجانبية الممكنة، ينبغي الاحتراس في تعاطي هذه الادوية، وذلك بعد اخفاق جميع الوسائل الأخرى. وأي قرار بتناولها يجب أن يقترن باستشارة طبيب وبدراسة دقيقة للفوائد والاخطار التي قد تنجم عنها.

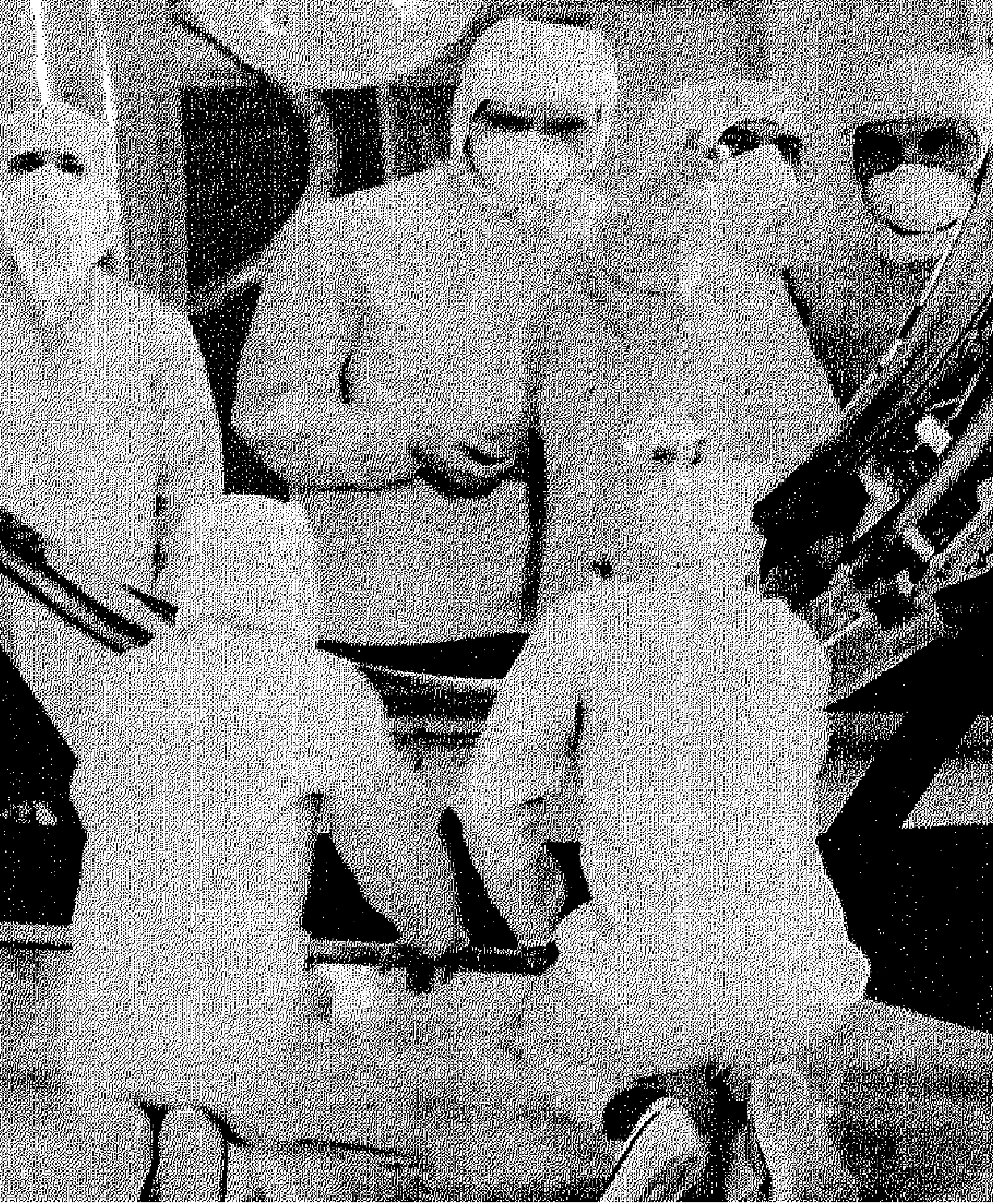
جون بيكانن ■

من غرائب البورصة أن كلما اشترى أحدهم أسهماً يكون آخر قد باع هذه الأسهم، ويتباهى الاثنان بدهائهما.

و.ف.

اكب فريق من المهندسين
على ابتكار أول مرآة كاملة لكشف أسرار الكون

المرآة الفضائية



عصر يوم خريفي وقف أربعة وعشرون رجلا في مصنع بولاية كونيتيكت الأمريكية ببذلات العمل الفضفاضة الزرقاء والكمامات الجراحية تعلو وجوههم، يراقبون باهتمام عملية تفريغ الهواء من صندوق فولاذي لا يصدأ يبلغ ارتفاعه ستة أمتار، لجعله مماثلا للفضاء الخارجي. وبدا في الداخل قرص زجاجي قطره متران ونصف متر وقيمته ١٥ مليون دولار، كان جاك كردوك وفريقه على وشك طلائه بالالومنيوم.

هذا القرص الزجاجي هو من أكمل ما صنعه الانسان. انه المرآة الأساسية لـ"تلسكوب هابل الفضائي"[١] الذي اطلقه في ربيع هذه السنة "المكوك الفضائي."

وقد أمضى رونالد رغبي خمس سنوات يعمل بجهد مضنٍ على شحذ المرآة الضخمة وصقلها. واليوم يضع كردوك اللمسات الأخيرة. وهو لم يشعر في حياته بمثل هذا التوتر العصبي. ذلك بان اخفاقه سيرتب على شركته ملايين الدولارات ثمنا لأعمال الترميم. أما النجاح فسيتيح لعلماء الفلك استطلاع أرجاء الكون وماضيه.

وتزعم احدى النظريات أن الكون تفجّر وجوداً قبل ما يزيد على ١٠ مليارات سنة، وهو ما زال في حال من التمدد. فإن رأينا تفاصيل هذا الانفجار الهائل – يقول علماء الفلك – فلسوف نتمكن من تصور مساره.

وفي وسع أي كان رؤية بعض المسار القديم للكون بالعين المجردة. ففي الليالي تتراءى في السماء مجرة "المرآة المتسلسلة" (أندروميدا). انها دوامة غائمة من مليارات النجوم هي أبعد ما تراه عين بشرية. ولأن ضوءها استغرق مليوني سنة لبلوغ كوكبنا، فإننا نشاهد هذه المجرة كما كانت قبل مليوني سنة.

وليست مليونا سنة ضوئية بمسافة بعيدة، إذ تمكنت التلسكوبات الكبيرة من تصوير مجرات على أبعاد تفوق ذلك ألوف المرات. لكن "الانفجار الهائل" وقع على مسافة أبعد كثيراً، مما يحول دون رؤيته بأي من التلسكوبات الارضية. والسبب أن الاضطرابات الجوية تُظهر النجوم متراقصة ومنتفخة كقطع نقد معدنية في قاع بركة. أما النجوم الباهتة فتكاد لا ترى.

وفي العام ١٩٦٢ بدأ ليمان سلتزر من جامعة برنستون يحضّ وكالة الفضاء الأمريكية (ناسا) على وضع تلسكوب كبير في مدار في الفضاء. ومن شأن هذا التلسكوب الذي أُطلق عليه اسم الفلكي الرائد إدوين هابل، أن يقرِّب الرؤية من "الانفجار الهائل" مع إظهار تفاصيل أدق بعشر مرات. وقد يميط اللثام عن أسرار الكوازار، وهي أجرام سماوية غامضة تُطلق في الثانية الواحدة طاقة تعادل ما تطلقه شمسنا خلال عشرة آلاف سنة. يقول سلتزر: "تلك هي الأشياء التي نعرف أننا نراها. لكن ما لا نتصور وجوده اليوم قد يكون أكثر إثارة." ويضيف أن هذه الاكتشافات قد تعادل أهمية ما اكتشفه غاليليو.

(١) التلسكوب هو المقراب.

وافقت "ناسا" على المشروع، لكنها حجّمته قبل إبرام العقود في العام ١٩٧٦. وكان مخطط الوكالة يقضي بجعل المرآة في شكل كعكة دائرية مجوّفة في الوسط، بقطر يبلغ ٣٠٥ سنتيمترات، بحيث يقع الضوء على سطحها المقعّر الصقيل و"يقفز" الى مرآة أمامية أصغر، ليرتدّ من خلال الثقب المركزي الى آلات تصوير تلفزيونية.

لكن ضغط الموازنة وكثرة القيود التقنية قلّصت قطر المرآة الأساسية الى ٢٣٩ سنتيمتراً، مما خفض طاقتها بنسبة ٣٦ في المئة.

يمكن، نظريا، تعويض جزء من هذه الخسارة باعتماد مرآة أنعم. لكن المخططات حددت التفاوت السطحي[٢] المسموح به بـ١٢،٥ نانومترا.[٣] ويعني ذلك أن المرآة لو نُفخت ليعادل قطرها قطر خليج المكسيك، لما ارتفعت تموجاتها الا بمعدل ستة مليمترات. وبالمقارنة، يبلغ ارتفاع التموجات على سطح عدسة نظارة ١٥ متراً في حال مماثلة. ان أحداً لم ينجح الى الآن في صنع زجاجة كهذه.

وكان عقد بناء التلسكوب من نصيب شركة "بركن – ألمر" في نوروولك بولاية كونيتيكت، باعتبارها شركة متخصصة بالآلات العلمية وقد تقدمت بالعرض الأدنى: ٧٠ مليون دولار.

زوبعة في فنجان. اختارت "بركن – ألمر" رونالد رغبي لقيادة فريقها المتخصص بالبصريات. وكانت له خبرة ٢٥ سنة في هذا الحقل. وهو رجل متورد الوجه أبيض الشعر أشتهر في الشركة بقميصه ذي الجيبين المنتفختين بأقلام الرصاص والمساطر والأقراص المضادة للحموضة، فضلا عن علبة نظارتيه وحاسبة الكترونية. وزاده شهرة اندفاعه المجنون، وقد وصفه أحد رؤسائه: "إنه غير انطوائي كبعض العاملين بالبصريات الذين لو كلفتهم القيام بمثل هذا العمل لانهاروا عقلا وجسداً."

وقال أحد زملائه: "انه مجنون أصلا، لذا لم تؤثر فيه المهمة."

في المرحلة الأولى، فيما الفريق يشحذ الزجاج الى التقعُّر المحدد، اكتشف أمراً خطيراً إذ وجد تحت سطح الزجاج، قريبا من الطرف، شقاً يتشعَّب عروقا بالغة الصغر في شكل فنجان شاي يرتفع ستة مليمترات.

ساد الرعب الفريق، ذلك بان شقاً أو ثلما في زجاج بمثل هذا الحجم (نحو طن) يعني كارثة، لأن الضغوط داخل الزجاج تتركز دائما في الطرف الأكثر حدّة. وقد تحطمت مرايا أصغر حجماً من جراء صوت مرتفع أو لمسة اصبع. لذا من الضروري إزالة الشكل الفنجاني وتسوية الجرح، وإلا اتسع نطاقه.

فكر رغبي في اختراق "خاصرة" المرآة بواسطة مثقاب أسنان، وتفريغ الشكل الفنجاني من تحت. ونصح محلل إجهاد بنزعه من فوق بواسطة آلة تجويف. وارتأى آخر أن التشعب محكم السداد ولا حاجة الى معالجته.

---

(٢) Surface tolerance

(٣) النانومتر جزء من مليار من المتر.

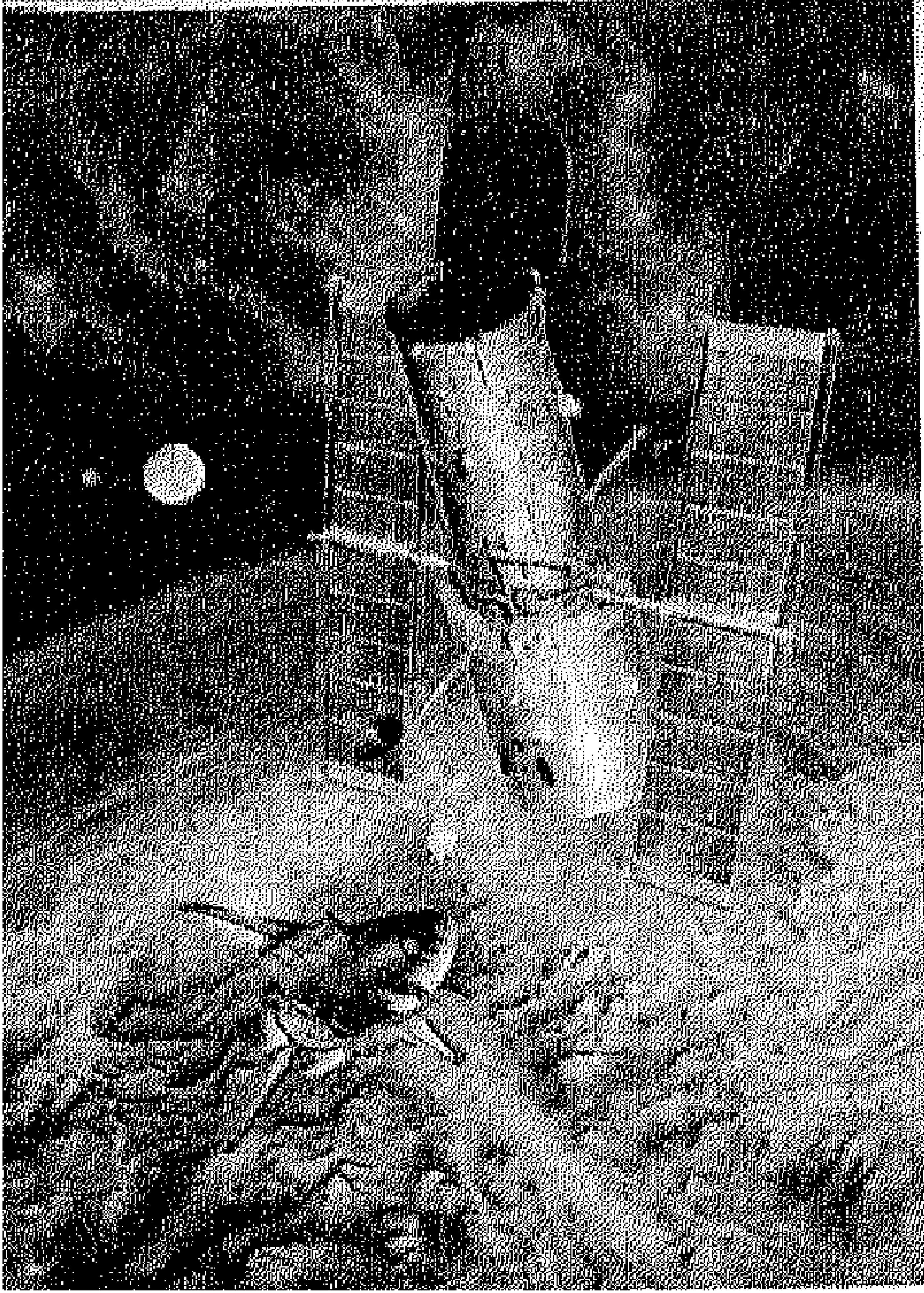
فردّ رغبي سائلا: "كيف لك أو لي أن نتأكد من ذلك؟" فمعلوم أن التشعب لا يصبح محكم السداد الا في حال تكونه قبل تبريد الزجاج إثر صبه.

بدا رغبي مالكاً زمام الأمور، حتى تنبَّه أحدهم الى أن استعمال المثقاب سيلوِّث داخل المرآة الأجوف بغبار الزجاج. وفي الفضاء قد يسبح الغبار في الفراغ ويعوق الرؤية. لذا، بعد أسابيع من التردد، وجد رغبي نفسه يقوم بالعمل الأوحد الذي يعرف أنه قد يتسبب في حدوث الكارثة. فحبس أنفاسه فيما راحت آلة التجويف تقضم الزجاج. إلا أن الانفجار الصامّ للآذان لم يحدث.

نُقل الشكل الفنجاني "المصبَّر" داخل قرص في حجم سدادة قارورة، الى مقر "ناسا" لإجراء التحاليل. فجاءت النتيجة بعد أشهر أن الشقّ محكم السداد، وأن استبقاءه لن يشكل خطراً على الأرجح.

تضايق البعض من الندبة الظاهرة في المرآة، الا أن رغبي قال: "انسوا الفنجان. فحين نستكمل الصقل ستظهر الندبة كشامة حسن على كتف امرأة جميلة."

سباق مع الوقت. قبل الشروع في عملية الصقل احتاج رغبي الى معدات لقياس استواء السطح. فابتكر المهندس لو مونتانينو آلة بلغت كلفتها خمسة ملايين دولار تطلق اشعاعات ليزر ترتدّ عن الزجاج فترسم خريطة تظهر "تلالا" و"أودية" على سطح المرآة لا يتعدى



رسم لـ"تلسكوب هابل الفضائي."

عمقها أو ارتفاعها ربع نانومتر. وكانت هذه الآلة من الدقة بحيث أن "اهتزاز" المبنى من جراء حركة المرور على بعد ١٥٠٠ متر كان يحول دون إجراء القياسات إلا في ساعات الصباح الباكرة.

إذذاك صار لزاما على رغبي أن يبتكر وسيلة صقل جديدة. وكانت الوسيلة المتبعة مذ بنى اسحق نيوتن أول تلسكوب عاكس عام ١٦٦٨، تقضي باستعمال قرص في حجم المرآة مطلي بأحْمَر الصقل الذي يستعمله الصاغة. ويحك هذا القرص جيئة وذهوبا صاقلا المرآة بسرعة أكبر في بعض أنحائها تبعا لحركة دفعه. لذلك كان على التقني الكفي أن يعدل حركته لنزع الزجاج من الأماكن المرتفعة خصوصاً. ومع ذلك فلا مفر من ترك بعض النتوءات والتجاويف، وإن أدار القرص عبقري مثل رغبي. ولاستدراك هذا الخلل لجأ فريق رغبي الى آلة يديرها

كومبيوتر تستطيع توجيه قرص بحجم قطعة نقد كبيرة عبر الزجاج، بحيث يعالج النتوءات حصراً.

بوشرت عملية الصقل في أغسطس (آب) ١٩٨٠. وجاءت النتائج رائعة أول الأمر. وأشار التخطيط الى اقتراب سطح المرآة من الكمال المطلوب بعد كل جولة صقل تدوم أسبوعا. لكن هذه الجولات بدأت تطول مع اقتراب المرآة من الرقة المحددة. فقال رغبي: "علينا الآن العمل بقول النجار: قِسْ مرتين وقُصّ مرة."

ومع اطلالة نوفمبر (تشرين الثاني) بدأت شركة "بركن - ألمر" تتعرض لضغوط من "ناسا" بسبب الاسراف في الانفاق على التلسكوب، اذ زيدت تكاليفه نحو ٦٠ مليون دولار قبل انجاز أي من أجزائه الرئيسية.

لكن تعجيل اختصاصي بالبصريات أمر غير ممكن. فهو يحتاج الى وقت لشحذ حدسه وحسه الباطني، كما هي حال رغبي. ومع تقدم فصل الشتاء غدا تقدم رغبي بطيئا الى حد مؤلم، اذ كان أحيانا يمضي أسبوعاً في إزالة نتوء بارتفاع ٢٥ نانومتراً.

وفي فبراير (شباط) ١٩٨١ بدت المرآة كاملة. لكن عيوباً صغيرة تخللتها، وأراد رغبي تسويتها بآلة كبيرة.

وهو يذكر باستياء: "مضينا في عملية التنعيم، فماذا كانت النتيجة؟ شوَّهنا المرآة بدل تسويتها؟" وكان تصحيح العيوب يتطلب عدة أسابيع ويكلف نحو مليون دولار إضافية.

فكَّر رؤساؤه في أخذ المرآة منه. فلربما قبلت "ناسا" بدقة أقل من المطلوب. لكن رغبي اعترض: "لن أقبل بمخالفة العقد!" فالعقد الذي وقعته "بركن - ألمر" مع "ناسا" يقضي بتحقيق دقة معيَّنة. كما نص على منح "بركن - ألمر" مكافأة تشجيعية قيِّمة اذا أدى التلسكوب عمله على النحو المنشود.

احتفظ رغبي بالمرآة حتى ١٤ أبريل (نيسان) معتمداً الخداع والتسويف. وهذا ما لا يفعله عامل بصريات "عاقل." وهو يقول في ذلك: "عندما ينتهي العمل نكون أغضبنا الجميع فلا يعود أحد يقبل بالتحدث الينا. لكننا نكون صنعنا مرآة في منتهى الكمال."

والواقع أن نعومة الزجاج فاقت المطلوب بنسبة ٢٠ في المئة. لكنه لم يصبح مرآة بعد. وما تبقى من المهمة يقع على عاتق رجل من نوع آخر هو جاك كردوك.

لمعان فريد. لم يولِ كردوك المرآة اهتماماً جدياً بمقدار ما فعل رغبي، وقال في سبتمبر (أيلول) ١٩٨١: "لي اهتمامات أخرى."

جلس كردوك (٣٦ عاما) ذو الوجه العريض على صندوق المرآة المقفل حيث كُتب: "معدّات ثقيلة خطرة." انه رئيس دائرة الطلاء في شركة "بركن - ألمر"، وقد أمضى كثيراً من وقته في انجاز مرايا من قياس ٥٠ سنتيمتراً لطابعات "ميكرالين" الالكترونية. وكان اهتمامه بتلسكوب "هابل" ينحصر في مبلغ المليون ونصف المليون دولار المخصصة

لبناء أكبر حجرة طلاء في العالم. قال وهو يدق الصندوق بأنامله: "حالما أنهي هذه المهمة سأملأ هذا الصندوق بثماني طابعات "ميكرالين."

كانت المواصفات المحددة لطلاء تلسكوب "هابل" أصعب ما واجهه كردوك، إذ تقضي بأن تكون سماكة الطلاء ١٠٠ نانومتر حتى اذا قشرت ونثرت في الهواء طارت معلّقة مثل دخان. ويجب أن يكون لمعانها فريداً، خصوصاً تحت الاشعة فوق البنفسجية. يقول كردوك: "يجب أن تعكس ٧٠ في المئة في هذه الأشعة، الأمر الذي لم يحققه أحد بمرآة في هذا الحجم."

بعد عزل المرآة في حجرة الطلاء تبدأ المضخات تفريغ الهواء. ثم تطلق أربع قاذفات سيلا من الالكترونات على كتل من الألومنيوم موضوعة في بواتق[٤] موزعة على مسافات متساوية حول الحجرة. اذذاك يتبخر المعدن ليطلي الزجاج بقشرة لمّاعة. وأخيراً تتولى أربع قاذفات أخرى إطلاق طبقة من فلوريد المغنيسيوم لعزل الطلاء.

ولكن حتى أفراغ الفراغات يتضمن ملايين المليارات من ذرات الأوكسيجين، لذا يبدأ الالومنيوم التآكل إن لم يُعزل بسرعة، وتظهر المرآة سوداء كالقار تحت الأشعة فوق البنفسجية.

النقطة الصفر. بزغ النهار المقرر لعملية الطلاء بارداً عاصفاً. وألفى كردوك مكتبه مكتظاً بالزائرين، إذ أرسلت "ناسا" ستة خبراء كما وفد ستة مسؤولين من شركة "بركن – ألمر" ومعهم رغبي.

في الساعة المحددة للطلاء أخذ الفنيون مواقعهم، فيما اقترب الحضور ضاغطين على طاولة الكومبيوتر حيث يجلس التقني كارل جورج.

فصاح كردوك: "جميعكم الى الوراء! خلف الطاولة!"

شغّل الفريق أربع مضخات لسحب معظم الهواء. وجلس كردوك شاحباً يحملق في لوحة التحكّم.

وأخيراً حان وقت الطلاء.

هدرت أربع قاذفات الكترونية في الحجرة، فيما قفزت مؤشرات الفلطية الكهربائية الى الرقم ٩٠٠٠ واستقرت. فلاحت أمارات الارتياح على وجه كردوك الذي أمر الفريق: "افتحوا المصاريع!"

عَمُق الهدير، وتحرك خط على شاشة الكومبيوتر محدداً ببطء السماكة المطلوبة. غمر الغرفة ضوء ذهبي، وتوهج الألومنيوم باللون الأحمر الوردي حيث مزقته الالكترونات. وبدأت المرآة تتحول رمادية كأنها تُرشّ بالدهان من بعد. ثم راحت تتوهج تدريجاً بلمعان رائع.

فجأة تغيرت طبقة الهدير اذ انغلقت المصاريع.

وأمر كردوك مصفقاً بيديه: "حسناً، لنبدأ عملية العزل."

تسارعت أنامل جورج فوق لوحة مفاتيح الكومبيوتر، وراح كردوك يراقب مقياس الفلطية.

فجأة ارتسم الرعب على وجه كردوك

(٤) البوتقة وعاء يذيب فيه الصائغ المعدن.

اذ رأى مؤشر قاذفة الفلوريد الرقم واحد متوقفاً عند النقطة الصفر. وكانت الساعة تتك: ٢٠ ثانية، ٢٥ ثانية. دقيقتان وينتهي الوقت المحدد لعملية العزل بقاذفات الفلوريد الأربع، قبل أن يبدأ التأكسد.

نظر جورج الى كردوك وعيناه تتوسلان كي يفتح المصاريع. كان التقيد بالمواصفات ممكناً باستعمال ثلاث قاذفات، لكن ذلك غير متيسر خلال الفترة المحددة بدقيقتين.

أمر كردوك الفريق وهو يحملق في مقياس الفلطية: "هيا، شغلوا القاذفة الأولى."

لكن المؤشر لم يتحرك.

فقال جورج: "اعملوا من دونه!"

فرفع كردوك يده ليسكته، ودقت الساعة مشيرة الى انقضاء ٨٠ ثانية. كان الجميع يحدقون الى كردوك.

"هيا!" صاح كردوك من غير تفكير مكشراً من الألم والاشمئزاز.

فجأة حدثت أعجوبة، إذ لحظة أُقفلت المصاريع أفاقت القاذفة الرقم واحد، وتحرك مؤشرها الى ٩٠٠٠ فولط وبدأ يتذبذب بانسجام تام مع المؤشرات الأخرى.

أطلق كردوك زفرة ارتياح أضحكت الحضور.

في الساعة ١،٥٣ بعد الظهر اكتمل قلب تلسكوب "هابل." وحين سمع رغبي انغلاق المصاريع رفع يده بعلامة النصر، ثم تقدم الى كردوك وصافحه بحرارة قائلا: "كان ذلك عرضاً ممتازاً!"

ولدى اختبار درجة الانعكاس في اليوم التالي، سجلت المرآة نسبة بلغت ٧٨ في المئة تحت الأشعة فوق البنفسجية. وهذه النسبة تفوق ما حددته المواصفات بثماني نقاط، الأمر الذي أبهج وكالة "ناسا" وانتزع لشركة "بركن — ألمر" تصفيق الحضور وقوفاً في العرض الفصلي لنشاطات الوكالة ذلك الاسبوع.

وصف الخبير في وكالة "ناسا" وليم فاستي المرآة بأنها "أروع ما صُنع." وكانت صقيلة وناعمة الى حد أن "تموجاتها" قياساً الى خليج المكسيك بقيت دون خمسة مليمترات، وأن لمعان طلائها بلغ درجة من الكمال تفصلها أربع نقاط فقط عن الكمال المطلق. وهذا ما دفع فاستي الى الاستنتاج: "سوف نرى أجراماً تبعد مئات ملايين السنين الضوئية."

وبعد استكمال العمل في المرآة العملاقة، رقي كردوك إلى منصب "مدير عمليات البصريات"، كما رقي رغبي الى منصب "مستشار أعلى للبصريات الكبيرة." لكن رغبي تقاعد باكراً إثر بيع حصته في "شركة هيو للطائرات." وكلما فكر في العمل الذي أنجزه في المرآة العملاقة، هز رأسه متحسراً وقال: "لن أرى في حياتي مثل هذه المرآة."

أما كردوك فيضحك ويقول: "آمل ألا أرى مثلها أبداً."

تيري دنكل ■

إن للذين حولنا الحق في أن يروا البسمة على أفواهنا. ج.ل.م.

عقاب المحبّين

ستة أمور يتحرق المراهقون الى البوح بها لوالديهم

أنا ضابط محقق في الشرطة. وقد تسنى لي خلال سنوات خدمتي أن أتحدث الى مئات الآباء والامهات الذين يشعرون بالأسى لأن أبناءهم وقعوا في مشاكل مع القانون، وهم يتساءلون: "أين أخطأنا؟"

مرات كثيرة يأتي الجواب من الاولاد انفسهم: "أبي وأمي لم يصغيا إلي."

وأشاهد هؤلاء الاولاد في الطريق الى اصلاحيات الاحداث. وبعد أن أصغي اليهم أطرح عليهم هذا السؤال: "لو كان والداك جالسين معنا الآن، فماذا كان بودّك أن تقول لهما؟"

والتطابق مثير بين اجاباتهم وتلك التي أدلى بها الاحداث الجانحون في مركز "غلف" الاصلاحي في أونتاريو في كندا رداً على أسئلة تشارلز غاليا الذي اعتمدتُ كتابه "دستور للأهل" في كتابة هذه المقالة.

اليكم ما يود اولادكم ان يبوحوا به اليكم:

"حافظوا على برودة أعصابكم." القاعدة الأولى هي أن تتجنبوا الغضب والانفعال في المواقف الحرجة. فالطمأنينة التي توحيها ردود الفعل

PHOTO: © BILL BINZEN / THE STOCK MARKET

المنضبطة هي ما يحتاج اليه الاولاد.

أذكر فتى أدمنت أمه الكحول. وكانت ردود فعلها لأعماله غاضبة وعنيفة. وعندما التقيته للمرة الاولى كان محتجزاً لارتكابه أعمال تخريب في الممتلكات. وبعد سنتين قتل جاراً.

لو تميزت ردود فعل والدي الفتى بالمحبة والتفهم بدل الغضب والعنف، لسلك الفتى طريقاً أخرى.

إذا ضبطتم أولادكم يكذبون أو يغشون أو يسرقون أو يشتمون أو يدخنون، أدبوهم وعاقبوهم، ولكن دعوهم يشعرون بمحبتكم لهم حتى عندما يخذلونكم.

"لنرَ من هو صاحب القرار." يفضل معظم الاحداث أهلاً صارمين. انهم لا يحبون القسوة، لكنهم يحتاجون الى أهل يبدون ثباتاً في فرض العقاب كي يدركوا هم عواقب أعمالهم التي يتخطون فيها الحدود.

معظم جرائم الاحداث التي حققت فيها تنطوي على نوع من تخطي الحدود. والمشهد عموماً هو كالآتي:

يُضبط سامي وهو يسرق لوح شوكولاتة. وبدل أن يعلم صاحب المحل الشرطة، يتصل بأهل الفتى الذين ينزلون به عقابهم الخاص: "لا تلفاز لمدة أسبوع." وفي اليوم الخامس يتسلل سامي الى غرفة الجلوس ويشاهد التلفاز لمدة ساعتين. يراه أبواه ويغضان النظر. هكذا تنهار الحدود الاولى.

ثم يرسم الوالدان حدوداً ثانية: لا مكالمات هاتفية مع أصحابه. لكن سامي "يلتفّ" على هذا الحكم أيضاً. وهكذا ينشأ لديه اعتقاد أن في امكانه أن يفعل ما يشاء بما أن والديه لم يفرضا قراراتهما.

وتغص السجون بأمثال سامي الذين تخطوا الحدود المرسومة. انني أسمعهم يصرخون: "كان بودّي أن يريني والداي من هو فعلاً صاحب القرار النافذ."

"تذكروا من أنتم." إن كنتم في السن الاربعين فلا تتصرفوا كأنكم في السادسة عشرة. فأولادكم يحتاجون الى شخص بالغ يحترمونه ويتمثلون به.

أذكر زوجين بذلا جهداً كبيراً للظهور والتصرف على نمط ابنهما البالغ السادسة عشرة من عمره، فيقلدانه بالكلام والملبس. وفي إحدى زياراتي للعائلة نظر الي الاب وأشار بيده الى ابنه وقال بلهجة متصابية: "هاي، يا رجل، افعل شيئاً لابني. أتعرف ما أعني؟"

نظرت الى الاب وقلت في نفسي: نعم أعرف، وأحد الاسباب منظرك السخيف هذا.

وهذا ما يخجل أولادكم من مصارحتكم به. لكن الرسالة واضحة: "كونوا لابنائكم آباء وأمهات، لا انداداً."

"أذكروا الله." يفتقر كثير من الاولاد الجانحين الى بُعد روحاني حقيقي في حياتهم. يقولون: "اننا نحتاج الى الايمان بما هو أكبر منا وأقوى."

تذكروا أن هؤلاء ليسوا ملائكة صغاراً، بل فتيان متحجرون قساة

يتحدّون المجتمع ولا يحترمونه. ومع ذلك يريدون أن يعرفوا عن الله. أخبروهم دائماً أن عين الله لا تنام.

"تحدّوا تهديداتنا." هل تعلمون أن الاولاد لا يعنون كل ما يتفوهون به؟ إنهم يحتاجون الى أهل لا ترعبهم تهديداتهم. أعرف والدين رضخا لكل طلبات ابنهما حين هددهما بترك المدرسة ثم بترك البيت.

أتصدقون أنه مستعد فعلا للتخلي عن فراش دافىء وثلاجة ملأى بالطعام وبيت يمنحه الأمان؟ لا تتراجعوا أمام تهديدات أولادكم.

"كونوا صادقين معنا." يحتاج الاولاد الى من يقول لهم الحقيقة. انهم يعرفونكم أفضل مما تعرفون أنفسكم. وهم يتقبلون النقد أكثر إذا صدر عن والد صادق ومستقيم.

لا يتعيَّن على جميع الوالدين تحمّل أولاد منحرفين. لكن معظمهم يواجه في فترة ما مراهقين متمردين.

تذكروا أن الاحداث لا يريدون رفيقاً أو شخصاً يسهل قياده أو خداعه. انهم يريدون أباً وأماً، لا بل يحتاجون الى أب وأم. والطريقة الفضلى للتعامل وأولادكم هي أن توازنوا بين الحب والتأديب.

ميرل كارنر ■



أستاذ ديموقراطي

كنا أنهينا جزءاً كبيراً من مقرر مادة البيولوجيا الاحصائية عندما أعلن الاستاذ المحاضر بنوع من التلذذ السادي عن قرب موعد الامتحان. وأضاف: "لكي أظهر لكم مدى ديموقراطيتي، سوف أخيّركم بين امتحان لمدة ثلاث ساعات وامتحانين يدوم كل منهما ساعة ونصف ساعة ويفصل بينهما أسبوع. فماذا تختارون؟"

فنظرنا اليه بوجوه متجهمة غير قادرين على تحديد أهون الشرّين، الى أن حسم أحدنا الامر قائلا: "أرجوك يا أستاذ، أنا افضل أن أرسب في امتحان واحد لا في امتحانين!"

ج.ا.

خيال طفل

عندما كان أبناؤنا الثلاثة صغاراً واجه أحدهم صعوبة في العد. وحاولت مساعدته، فوزعت عليهم قصاصات ورق قائلة: "احسبوا انها أكواز أيس كريم." ثم جمعت الاوراق منهم وأنا أعدّ: "واحد... اثنان... أين كوزك يا سمير؟" فأجاب: "لقد أكلته."

ف.ب.

نختار أصدقاءنا بالغريزة، لكننا نبقيهم بالعقل والقرار.

ا.ك.



صرخة في الليل اندفع غريب لإنقاذ عائلة من حريق مروّع

عاد جاي سابيرس من عمله في المصفاة بعيد منتصف ليل ١٩ نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٨٨، وألقى نظرة على زوجته توني وابنتيهما الصغيرتين الغارقات في نوم عميق. والتفت الى كلبه هاسيا: "هلمّ الى النوم".

واذ خطا خارجا نحو وجار الكلب، اخترقت صرخة رعب تقشعر لها الابدان مزقت سكون الليل الجليدي في بلدة سانت ماريز الريفية بولاية ايداهو. ظن جاي لوهلة ان الصرخة زئير أسد يجوس جبال كليرووتر النائية كطيف في الافق. ثم رأى ألسنة نار تغشى البناء على بعد نحو سبعمئة متر فأدخل كلبه الى وجاره وركض لايقاظ زوجته قائلا "اتصلي بسرية الاطفاء! ارسليهم الى طريق ميل تاون".

وبعد ثوان انطلق جاي في سيارته

ILLUSTRATION: DAVID BECK


مأساة واقعية
"النجدة!
عائلتي تحترق!"


(من اليمين) ليونارد وريان ثوت وجاي ساينز وانجيلا وسندي ثوت.

مسرعاً في الدرب الترابي المؤدي الى الطريق الرئيسية. وكانت النار تستعر فوق تلة صغيرة تربض عليها مجموعة من المنازل النقالة. أوقف جاي سيارته وعدا بأقصى سرعته مرتقياً ممراً شديد الانحدار نحو النار المتقدة.

وحين بلغ أعلى التلة رأى عربة مقطورة تلتهمها النار وتلفها ألسنة من لهب تتطاول مفرقعة تسعة أمتار في الهواء. وكانت امرأة شابة في ثياب النوم تركض جيئة وذهوباً باهتياج وتقفز محاولة كسر النوافذ المرتفعة نحو مترين بيديها العاريتين، وتصرخ: "يا إلهي! عائلتي تحترق!"

شعر جاي بالذعر للحظة. وبدا أنه لم يكن في المكان أحد سواه للمساعدة. لم يرَ في حياته مثل هذا الحريق! كانت ألسنة اللهب تخرج من النوافذ المحطمة في مؤخر المقطورة وتلتف حول السطح. وعنفت الأصوات الهادرة المطقطقة. فأمسك جاي المرأة من كتفيها وصرخ: "أين هم؟"

رددت سندي ثوت كلمات لاهثة غير مفهومة وقد تلبد شعرها الاشقر الاجعد بالعرق والتوى وجهها الذي خططته الدموع بفعل الألم المبرح. قالت انها تريد أن تموت مع أفراد عائلتها إن لم يُنقذوا. لكن جاي هزها بعنف لأن اللحظات الحاسمة كانت تمر سريعة، وأمرها: "تحدثي إليّ!"

فقالت له جاهدة أنها خرجت عبر احدى نوافذ غرفة النوم الرئيسية، فيما اندفع زوجها لانقاذ طفليهما، وكان مفترضاً أن يناولها اياهما من غرفة النوم. ولكن بعد ثوان هبت النار من نوافذ المطبخ وغرفة النوم. وهنا عادت سندي الى البكاء الهستيري.

"أين هم؟" صاح جاي. فأشارت سندي الى الطرف الملتهب من المقطورة، حيث خرج دخان كثيف أسود من النوافذ.

"**أنقذ الطفلين!**" تعلّم جاي مذ بدأ يمارس الرياضة صغيراً أن يصارع الشدائد. وذات مرة في مباراة مدرسية

PHOTO: © AL VOGEL

لكرة القدم، أصيبت ركبته إصابة جسيمة فمنعه الأطباء من اللعب ذاك العام.

وبعد جراحة رئيسية طُعِّمت خلالها العضلات بانسجة حية، خضع جاي للمعالجة الفيزيائية بجد وتصميم منقطعي النظير. وبعد أشهر، خلال مباراة حاسمة في كرة السلة، نزل الى الملعب وركض فيه وساقه ملفوفة برباط. وحين رآه النظارة نهضوا وحيوه هاتفين والدموع تترقرق في مآقي كثيرين منهم. وكان أن انتصر فريق مدرسته بفعل تلك البادرة التي رفعت معنوياته.

وكان جاي يتذكر على الدوام كلمات والده مورل، وهو خشاب جبلي ومدرِّب بايسبول متطوع، قال: "لم تنفع عبارة "لا أستطيع" أحداً يوماً. أنت من يستطيع. لا تتوقف عن المحاولة يا بني!"

بدت كلمات والد جاي محفورة في ذهنه عندما انطلق كالسهم نحو نافذة غرفة النوم، ووثب الى أرض الغرفة مقوساً جسمه عبر قطع الزجاج المكسورة. وكان جاي طويل القامة (١٨٣ سنتيمترا) ناحلا قوي العضلات.

أحس حريقاً في عينيه وسط السواد المدلهم، وشعر لدى تنفسه بانحباس الهواء في حنجرته وكأن مجرى تنفسه قد سُدَّ. ثم عاد يتنفس بجهد محدثاً صوتاً كالصفير. وتعثر برجل طويل القامة ضخم البنية ملقى في وسط الغرفة وهو يئن قائلا: "الطفلان! يا إلهي! أنقذ الطفلين!"

بدا صراخ الطفلين، وإن مكتوما، كأنه على بعد سنتيمترات قليلة. فناداهما جاي: "أين أنتما؟" ثم شعر بحركة في الظلام، فانحنى وأحس بيدي طفل تعانقانه.

احتضن جاي الصغير وسلمه الى أمه التي قالت باكية إنه رايان (٢٢ شهراً)، وأضافت أن طفلتها أنجيلا (٦ أسابيع) وزوجها ليونارد ما زالا في الداخل.

بدأ كل شهيق يسبب لجاي تشنجات خانقة. فخلع قميصه ولفه حول وجهه، وراح يتحسس أرض الغرفة لانعدام الرؤية، حتى لمس كتفي الرجل الغائب عن الوعي. حاول رفعه، لكن ثقل الجسد المتلاشي حال دون ذلك. حاول مرة تلو أخرى حتى سقط القميص عن وجهه وعاد يتنفس الدخان السام الذي حزّ في رئتيه، وكاد يعجز عن التنفس.

مشاهد من الجحيم. سار جاي مترنحاً نحو النافذة المحطمة وقفز منها مدركا أن بقاءه ثانية واحدة في الداخل كفيل بافقاده الوعي.

في تلك الاثناء، وصل مغيثون آخرون. ودخل أحد الجيران المقطورة العابقة بالدخان ليخرج بعد ثوان وهو يتنفس بصعوبة. وكان الطرف الاخير من المقطورة يستعر كداخونة مصنع عملاقة تنفث دخانا كثيفا وسط اللهب. انه كمشهد من الجحيم.

فجأة ساد الجمع شعور عجيب بالهدوء وسط قرقعة النار الهادرة، اذ توقفت الطفلة عن البكاء. أصغى جاي عله يسمع البكاء الخافت مجدداً، فلم يتبادر الى سمعه سوى توسلات الأم المعذبة. فأخذ نفسا عميقاً.

دبَّ على يديه وركبتيه متحسساً الأسرَّة والثياب والفرش وجسم والد الطفلة الغائب عن الوعي. وغدا كل جهد يسبب له آلاماً مبرحة، وأحس أن رئتيه على وشك الانفجار. فانكفأ مترنحاً نحو النافذة وتمطّى محاولاً أخذ قسط من الهواء النقي.

حزمة متمعِّجة. حبس جاي أنفاسه وعاد يبحث في الغرفة دابا على يديه وركبتيه وهو يتساءل: أين أنتِ يا أنجيلا، أين أنت؟ واذ باتت الحرارة داخل المقطورة غير محتملة، تحقق جاي أن الوقت المتبقي غدا قصيراً جداً.

ركز اهتمامه على الأب المغمى عليه. ووجد أن رجلي ليونارد عالقتان في كرسي. فراح يهز الكرسي غاضباً لتحريره. فجأة وجد نفسه يسقط. وبعد لحظة بات ممدداً على الارض ذاهلا. لقد أفلتت قطعة من الكرسي أصابت رأسه.

مرَّت الثواني الحاسمة، وبانزياح الكرسي صار بمقدور جاي أن يجر ليونارد نحو النافذة. وتذكر كلام والده: "لا تتوقف عن المحاولة أبداً. أبداً!"

واذ توقف جاي عند النافذة ناولته سندي مشعلا كهربائيا. اخترق شعاع الضوء الدخان الكثيف، وفجأة تسارعت نبضات قلب جاي اذ لمح حزمة صغيرة ملقاة قرب المكان الذي سقط فيه ليونارد. ألقى جاي نظرة أقرب فرأى أنجيلا مدثرة بملاءة كثيفة وهي تتلوى. فصاح: "إنها حية!"

التقطها بسرعة وناولها الى شرطي وصل قبل لحظات. ثم أخذ نفساً عميقا واقترب من الاب مفكراً: يجب انقاذه الآن وإلا فات الأوان.

عناق أم. قبض جاي على كتفي ليونارد. وبفعل هيجانه رفع أعلى الجسم الى طاولة تحت عتبة النافذة. ثم أمسك بالرجلين معاً وراح يدفع الضحية خارجا بكل ما أوتي من قوة.

صاح الشرطي: "لقد أمسكناه!" وراح يسحب جسم ليونارد يساعده متطوعون، ثم تلقفوه بأذرعهم وحملوه بصعوبة نحو الأمان.

تسلق جاي النافذة وقفز الى الأرض مبللا بالعرق وهو يتقيأ. وكان صفير غريب يخرج من رئتيه العابقتين بالدخان. وبعد لحظة زحف مبتعداً ومحاولا التركيز بعينيه المتورمتين المحمرَّتين.

ثم وقف مترنحاً ومشى بغير ثبات صوب النار، حيث مضى يدفع ثلاث سيارات ملأى بالوقود بعيداً عن نطاق الحريق.

وضع ليونارد في سيارة شرطة لنقله الى المستشفى. وتقدمت سندي من جاي، وكان وجهه ينزف وإحدى عينيه مغمضة. حاول أن يبتسم وهي تعانقه والدموع تنهمر على وجنتيها. قالت له باكية: "ليباركك الله. ليباركك الله!"

مشى جاي نحو سيارته خدِراً من الارهاق، وكانت الساعة ١٢،٥٥ بعد منتصف الليل. فوجد الأضواء الأمامية غير مطفأة والبطارية فارغة. أدار السيارة دفعاً وانطلق نحو المستشفى ليعالَج من

استنشـاق الـدخـان ومن الجـروح والرضوض. وعاد الى منزله في الثالثة صباحاً.

وكانت سندي وطفلاها نقلوا الى مستشفى بنوا من أجل علاجات مماثلة، فيما نُقل ليونارد وهو فاقد الوعي في طوافة الى مستشفى سايكرد هارت في سبوكن التي تبعد مسافة ١٠٠ كيلومتر.

ذاع خبر العمل البطولي الذي قام به جـاي، ووصفته الصحيفـة المحليـة بـ"البطل المطلق." وفي المنشرة حيث يعمل استقبله زملاؤه بترحيب الحار، فيما بثت محطة تلفزيونية الخبر: "مأساة أكيدة انتهت نهاية سعيدة بفضل بسالة جاي ونكرانه للذات." لكن جاي الخجل من الدعاية قال: "حسبي أنني كنت هناك."

وهبّ سكان البلدة لمساعدة عائلة ثوت، فقدموا اليها الطعام والألبسة وفتحوا لها بيتاً من دون ايجار. وتبرع زملاء ليونارد بمبلغ ٢٢٠٠ دولار كانوا جمعوه للاحتفال بعيد الميلاد.

وبعد أسبوعين عاد ليونارد الى منزله وهو شبه عاجز عن الكلام والرؤية، فضلا عن تضرر رئتيه على نحو خطير. والآن وقد جاء دوره لمقارعة الشدائد، كتب الى سندي على قصاصة ورق: "سأشفى لأصافح جاي."

ويوم ١٤ سبتمبر (أيلول) ١٩٨٩ استقبل جاي عائلة ثوت في باحة منزله المشمسة. وكان أذيع أنه سينال في شهر ديسمبر (كانون الأول) وساماً رفيعاً للبطولة، وقد جاء ليونارد وسندي لتهنئته.

لقد استعاد ليونارد صوته ونظره، وبقي عليه أن يتعوَّد العيش برئتين تقلصت سعتهما. شكر لجاي انقاذه حياة عائلته. فرد جاي بعد لحظة صمت: "أود أن يفعل شخص ما الشيء نفسه لعائلتي اذا وقع لها مثل هذا الحادث."

وحين انصرف ليونارد لم يتمالك جاي عن التفكير في أن الشكر حق أيضاً لرجل آخر: أبيه الذي علَّمه ألا يتوقف عن المحاولة. أبداً!

شلدون كيلي ■



الصداقة والانانية

لا يحق للمرء أن يتوقع صداقة من أصدقائه اذا لم يكن لهم يوماً صديقاً مخلصاً. يتذمر كثيرون من تخلي أصدقائهم عنهم، لكنهم لا يتوقفون ليفكروا في ما اذا كانوا هم البادئين بالتصرف الأناني. الصداقة فعل متبادل، والاناني ينتهي به الأمر محاطاً بالانانيين، تماما مثلما يحاط الكريم بالكرماء في نهاية المطاف. فالانسان يحصد ما يزرع.

ج.ل.د.

يستطيع معظم الناس النجاح في أعمال صغيرة لولا قلقهم على الطموحات الكبيرة.

هـ.و.ل

كلنا رسامون!

تؤكد معلمة رسم أن المهارة يمكن تعلمها كركوب الدراجة أو لعب كرة المضرب

لم يكن تعلّم الرسم هدفي وأنا أبحث عن بيتي ادواردز في كمبردج بولاية مساشوستس في يونيو (حزيران) ١٩٨٩. انما كنت مكبأ على البحث في كتاب عن قوى العقل الكامنة، وكانت ادواردز كتبت مطولا عن تقنيّات طورتها في سبيل مساعدة الناس - حتى ذوي المواهب الفنية المتواضعة - على تحسين مهاراتهم الى حد بعيد.

قالت: "اسمع، يسرني أن أكلمك، لكني سأكون منهمكة في اعطاء مقرر تعليمي للرسم مدته خمسة أيام بدءاً من نهار غد. فلماذا لا تلتحق به؟"

قلت لها: "لا قدرة لي على الرسم اطلاقا."

فقالت ضاحكة: "هذا تماما هو المطلوب. فانت التلميذ الذي أسر بتعليمه. سوف تفاجأ بالتحسن الذي ستحرزه. أتمنى لك النجاح."

بيتي ادواردز أستاذة فنون في جامعة ولاية كاليفورنيا في لونغ بيتش، ومؤلفة أحد أكثر الكتب رواجاً عن الرسم. ومنذ نشر كتابها "الرسم في الجانب الأيمن من الدماغ"* قبل احدى عشرة سنة، بيع منه مليون ونصف مليون نسخة وترجم الى ١٣ لغة. أما المقرر التعليمي الذي تدرسه لغير المتخصصين بالفن، فهو على الأرجح أكثر المقررات التعليمية رواجاً لدى طلّاب جامعة ولاية كاليفورنيا.

وليس مستغربا أن يثير نجاح ادواردز الغيرة والانتقاد. فأطباء الأمراض العصبية يجادلون في أن تفسيرها لانطباق ابحاث الدماغ على الرسم غير موثوق به علمياً، فيما يدّعي بعض معلمي الفنون أن تقنياتها التعليمية هي تركيبية وتخطيطية الى حد تختنق معه قدرة التعبير والابداع. وفي المقابل، يعتقد المعجبون بها أن الاعتراض على عملها قد يكون سببه اعتقاد ان ما هو غير

(*) Drawing on the Right Side of the Brain

مخصص للفنانين ويصلح لعامة الناس لا يمكن أن يكون فناً عميقاً.

أما أنا، فكلّ ما كنت أعرفه هو أن ادواردز وعدت بأن تعلمني الرسم، وان ليس لدي ما أخسره.

الوعي والذاكرة. صباح اليوم التالي وجدت نفسي جالساً في قاعة محاضرات مع أربعين طالباً، كثيرون منهم في الستينات، وطالبة واحدة في سن المراهقة، والباقون من أعمار مختلفة. وكان بينهم شاعر وطبيب ومدير شركة تأمين وصاحب مطعم. وتجلى للحال دفء أخلاق ادواردز، اذ بدت شابة على رغم سنيها الثلاث والستين، رشيقة القوام تعلو وجهها ابتسامة عابثة، ونهجها في المحاضرة تحادثيّ يدعو الى الاسترخاء.

قالت إن المفهوم العام للمهارات الفنية أنها سحرية أو هبة من الله هو اعتقاد خرافي. وهذا النوع من التفكير نشأ لان قلّة من الناس تعرف كيف ترسم واقعياً. وحتى أولئك الذين يعرفون، نادراً ما يمكنهم شرح الطريقة التي يتبعونها في الرسم. والى ذلك فان كثيرين من الرسامين والمعلمين يحرصون على سرية هذا الفن، مما يؤدي الى تجنب من يجهل الرسم دخول صفوف تعليم الرسم. وتشبّه ادواردز ذلك بامتناع من يجهل الفرنسية عن تعلّمها.

قالت لنا ادواردز ان الرسم واقعياً هو مهارة "عالمية" تشبه ركوب الدراجات أو لعب كرة المضرب..وهي تعتقد أن كل من يستطيع توقيع اسمه يمكن تعليمه فن الرسم. فالتحدي ليس في المهارة ولا في التنسيق بين اليد والعين، بل في تعلّم رؤية الشيء على حقيقته.

معظمنا لا يرسم ما يراه أمامه، بل ما يعرفه من قبل. فنحن نختزن في ذاكرتنا منذ الطفولة مئات من الرموز هي تمثيل بدائي للأشياء من فم وأنف وشجرة وهرة وكرسي. وحين يطلب منا أن نرسم، نستخرج من ذاكرتنا تلقائياً نسخاً مبسّطة عن رموز طفولتنا.

بتحرير أنفسنا مما "نعرفه" بوعينا، ننطلق لكي ننظر الى العالم نظرة أكثر دقة وكمالاً، ثم ننقل ما رأيناه. بتعبير آخر، نحن نمتلك المهارات الضرورية للرسم، لكن سرّ النجاح يكمن في نبذ "المعرفة" التي تقف عائقاً في طريقنا.

طلبت منا ادواردز أن نرسم ثلاث صور: الاولى لشخص جالس في الغرفة، والثانية لشخص نستحضر صورته من الذاكرة، والثالثة لاحدى يدينا.

وتقول ان السبب الذي من أجله تطلب هذه الرسوم هو أن معظم الطلاب، بعد انجاز المقرر التعليمي، يكادون لا يصدقون انهم كانوا في وقت مضى غير ملمين بالرسم.

حين رأت ادواردز رسومي تبسمت وقالت: "حسناً يا طوني، يبدو أنك توقفت عن الرسم في السادسة من عمرك. لا شك في أننا سنستمتع بتعليمك.

قالت لنا ادواردز ان معظم الراشدين لا يحاولون تَحْسين مهاراتهم في الرسم لبلوغ مستوى أفضل من الذين بلغوه في السن التاسعة أو العاشرة. ولا يعتبر

الرسم مهارة ينبغي تعلّمها، في حين أن التعليم في معظمه شفهي وخطّي وعددي، ويكافأ التلاميذ الاكثر نجاحا على تنميتهم تلك المهارات. أما المهارات الفنية المرئية والابداعية فغالباً ما يكون الاهتمام بها هامشياً أو يتم تجاهلها كلياً. وليست هناك مقررات تعليمية مكرّسة لمهارات الادراك الحسي والابتكار والابداع أو مخصصة لشرح الطريقة التي تتم بها عملية التعلّم. لذلك تعتقد ادواردز أن ناحية رئيسية من طاقة الدماغ لا تستخدم الا جزئيا.

بحثت ادواردز عن تفسيرات علمية لاعتقادها هذا في أبحاث "الدماغ المنشطر" التي أجراها في الستينات عالم البيولوجيا النفسية روجر سبيري في معهد كاليفورنيا للتكنولوجيا. وقد نال سبيري جائزة نوبل لاثباته أن للدماغ طريقتين منفصلتين في معالجة المعلومات وادراك الحقيقة، احداهما لفظية تحليلية والاخرى بصرية تعتمد الادراك الحسّي. وتنبثق اللغة لدى معظم الناس من الجانب الأيسر للدماغ، الذي يعالج المعلومات بطريقة منطقية ومنظّمة وواعية للوقت، وهي الطريقة الفضلى في ضبط دفتر شيكات، مثلا، أو تخطيط برنامج. وفي المقابل، فان الجانب الأيمن من الدماغ هو اوسع رؤية، وحيّزاً وخيالا.

وتعتقد ادواردز أن الجانب الايمن من الدماغ هو اكثر ملاءمة للرسم من الجانب الايسر. لكن الجانب الايسر يتحكّم بمهمات ذهنية كثيرة، كالتسمية والتصنيف والايجاز والتبسيط، أي انه يعيق رؤية واقع الأشياء بكل تعقيداتها.

الفراغ السلبي. أتيحت لنا فرصة اختبار تقنيات ادواردز عندما سلمتنا نسخا عن لوحة "ايغور سترافنسكي" لبيكاسو وطلبت منا نسخها مقلوبة. ونصحتنا بأن نتجاهل كل ما نستطيع تمييزه، كالفم والأنف والزر والرجل، ونرسم فقط الخطوط والاشكال.

ان قلب الصورة يلغي الرموز المألوفة ويجبرك على معالجة ما تراه أمامك من تعقيدات. وما لبثتُ أن رأيتني منغمساً في العمل. وحين قلبتُ مجموعة الخطوط التي رسمتها، دهشت لما بين الصورة التي انجزتها والصورة الأصلية من شبه.

ثم أدخلَتْ ادواردز استخدام "الفراغ السلبي،" وهي تعني بذلك الفراغات بين الخطوط والأشكال. تخيّل الثقب في كعكة مستديرة محلاة فتفهم جوهر الفراغ السلبي.

كان التحدي الذي واجهنا هو استخدام الفراغ السلبي في رسم كرسي. والمشكلة في رسم الكراسي أننا نعرف الكثير عن شكلها الحقيقي، بما في ذلك الزاوية القائمة عند ملتقى المقعد والظهر، وتساوي قوائمها طولا.

ليس في الامكان رسم صورة شبيهة بالكرسي الا برسم أشكال لا تمت اليها بشبه. فالإلمام بالشكل الحقيقي للكرسي يسد عليك طريق تصويرها على الورق.

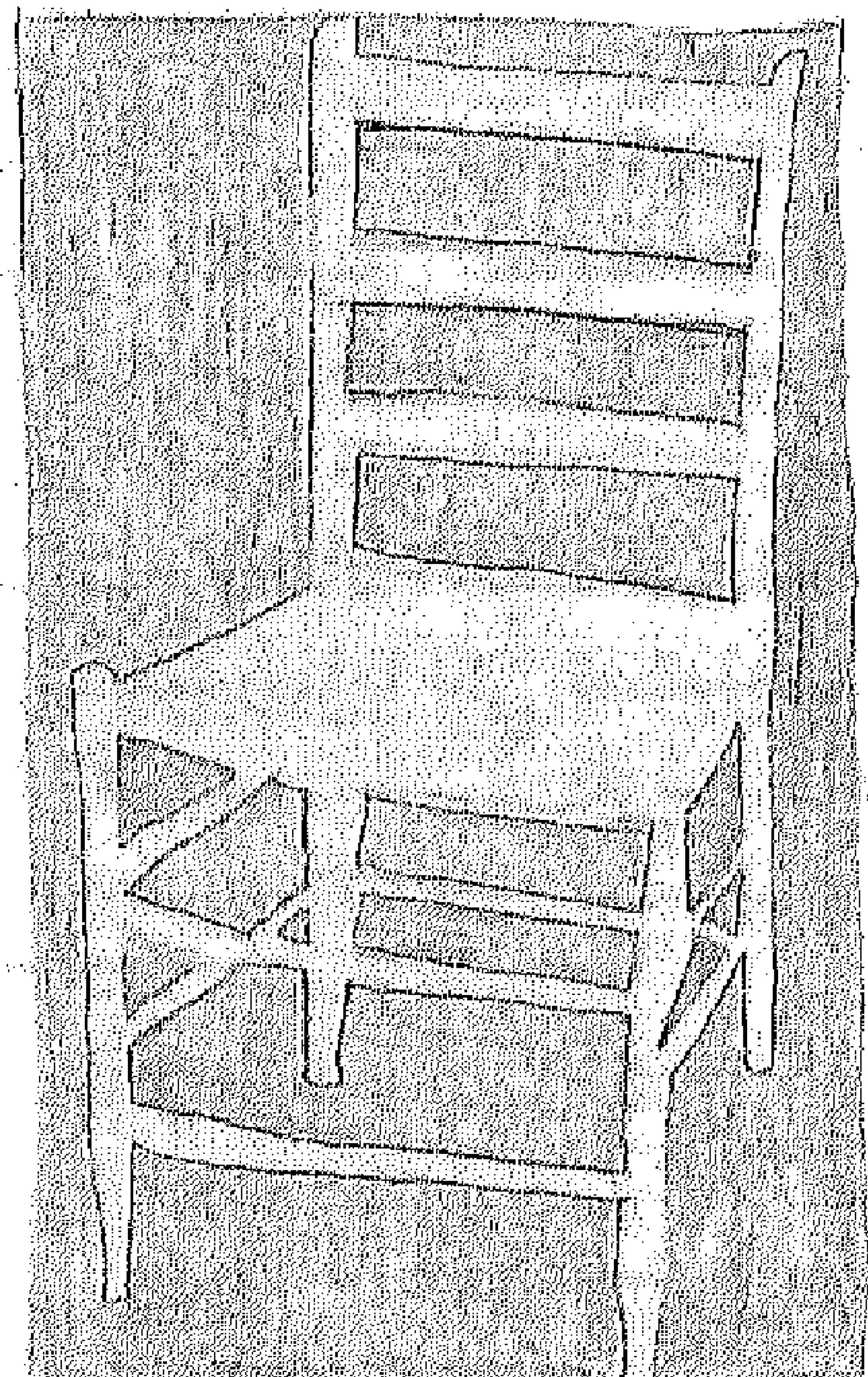
إن رسم الفراغ السلبي — الثقب في الكعكة المحلاة — يوفر لنا طريقة لتجاوز تصوراتنا السابقة. وينحصر خيارنا البديل في رسم تلك الفراغات كما نراها. وتقول ادواردز ان اتباع هذا الاسلوب

بدقة يمكننا من رؤية "الصورة الموجبة" للكرسي التي تبرز بما يشبه السحر من بين الفراغات السلبية المحيطة بها.

في البداية، واجهت صعوبة في رؤية الفراغات السلبية. ولكن بعد انعام النظر فيها برزت الفراغات بوضوح وأصبح رسمها سهلا جداً.

فاق التقدم الذي أحرزته في الايام الثلاثة الاولى توقعاتي. وبعد التعرف الى مفهومَيْ الاطراف (الخطوط) والفراغات السلبية، انتقلنا الى مفهوم الابعاد الذي تعتبره ادواردز أصعب المهارات على الاطلاق. واتقان هذه المهارة يعني السيطرة على الفراغ، أي القدرة على رسم أشياء ثلاثية الابعاد بتناسب صحيح، على قطعة من الورق ثنائية الأبعاد.

اعتمدتُ هنا فكرة الفراغ السلبي



وفي سياق تلقيننا تقنية الابعاد، علمتنا ادواردز كيف نقيس الأحجام والزوايا بنسبة بعضها الى بعض. والى ذلك أعطتنا لوحا من الكرتون في وسطه شق مربع لاستخدامه "منظارا" يوفر إطاراً ويتيح رؤية العلاقات بسهولة أكبر. ولدى استخدامه دهشتُ حين اكتشفت أن في إمكاني رسم زوايا غرفة بالبعد والتناسب الصحيحين.

وفي اليوم الرابع طلب منا رسم صورة جانبية لأحد زملائنا الطلاب. فانتقيت معلمة فنون شابة جذابة. وجاءت الصورة التي رسمتها مثقلة بالتفاصيل، يعوزها التناسب ولا تشبه المعلمة الا قليلا. فأدركت أنني لم أحقق التقدم المنشود.

رغبة دفينة. في اليوم الاخير أطلعتنا ادواردز على مفهوم الضوء والظل أو "التظليل". وقالت لنا ان التحدي يكمن في ادراك تفاوت درجات الضوء على أحد الاشياء. وكما أن معظم الناس لا يرى الفراغ السلبي أول الامر فهو كذلك لا يلاحظ "القيم" الدقيقة للضوء والظل. فالحل يكون في انعام النظر الى أن يبرز بوضوح ظل أو رقعة من الضوء في شكل معيّن، فتبادر الى رسم ذلك الشكل من دون محاولة تسميته.

باستخدام تقنية التظليل، يجعل المرء الأشياء تبدو ثلاثية الأبعاد. أما بالنسبة الى الوجوه، فتشرح ادواردز أن الخطوط لا تستخدم في الحقيقة لرسم الملامح الفردية المميزة، بل ان الملامح تبرز من طريق الرسم الدقيق للضوء والظل.

وكان التمرين الأخير أن يرسم كل واحد منا صورة ثلاثية الجوانب لوجهه وهو ينظر في مرآة. ولكي تساعدنا ادواردز فيّ دمج الضوء والظل طلبت منا رسم اطار ثم تظليل داخله كلياً بقلم رصاص. وبهذا حصلنا على "الدرجة الوسطى" للظل. فكان علينا رسم درجات الظل الاكثر سواداً، في حين عمدنا الى محو أجزاء من الظل الأساسي لاظهار الظلال الأخف سواداً.

وكالمعتاد، فاتني تصور الطريقة التي سيتم بها هذا العمل. ومع ذلك ركزت جهدي على رؤية أشكال الظلال، معيناً احجام الزوايا وناظراً الى الفراغات السلبية. ومرّت ساعتان قبل ان أتطلع الى الصورة ككل. ويا لدهشتي! فقد كنت أتطلع الى وجهي. لا شك في ذلك. حتى انني تبينت المزاج الذي عبرت عنه الصورة.

ثم ما لبث الابتهاج أن حلّ مكان الدهشة، وأدركت للمرة الاولى كم كانت رغبتي شديدة دائماً في تعلم فن الرسم. وعندما رأت ادواردز الرسم بدت مسرورة مثلي بانجازي.

خلال الأشهر العشرة بعد دروس بيتي ادواردز، كنت أرسم باستمرار. وها ان ولديَّ الصغيرين، وعمرهما أربعة أعوام وثمانية، قد اصيبا بحمّى الرسم.

بدأتُ بخلفية رمادية، ورسمت الظلال القاتمة، ومحوتُ بقعاً لإحداث الظلال الفاتحة



وكبراهما، ترسم كراسي مستخدمة الفراغ السلبي، وغرفاً بالبعد المنظوري الدقيق.

أما ادواردز، فتعد لاصدار كتابين جديدين، واحد عن اللون وآخر عن طريقة النظر الى الرسوم. وهي تقول: "أعتقد أن الناس يستجيبون لطبيعة رسالتي غير الموجهة الى النخبة. فكلنا يعرف أن لا حاجة بالمرء الى أن يكون روائياً لكي يستمتع بالكلمات. كذلك، لا حاجة بك الى أن تصبح رساماً لكي تستمتع بالرسم."

طوني شفارتز ■

التزم احد العمال ورشة بناء. وهو قال معلّقاً: "اعجبني ان اكون رئيس نفسي، ولكن لم يعجبني ان أكون موظفاً عندي."

"وول ستريت جورنال"



جدة خلف المقود

■ أوصلت أحفادي مرة في سيارتي الى المدرسة. وكانت الطريق ضيقة كثيرة المنعطفات. وبعد اجتيازي نصف المسافة أبديت ملاحظة عن خلوّ الطريق من السيارات. فأتاني رد من المقعد الخلفي: "انها كلها خلفك يا جدتي."

ر.ش.

ابن ساعته

■ طلب شاب وظيفة في احدى الشركات. فنبهه رئيس قسم التوظيف: "نحن هنا نعمل ثماني ساعات كاملة."
فقال الشاب: "عظيم، في كم يوماً؟"

ب.ش.

واجبات الضيافة

■ أمضيت بضعة أيام في ضيافة صديقة لي. فلمحت على منضدتها مرة لائحة بخط يدها تذكرها بأعمال عليها انجازها.
وجاء في اللائحة:
- تلميع الأثاث.
- تنظيف الحمامات.
- تبديل شراشف السرير في غرفة الضيوف.
- شراء قالب حلوى يشبه الحلوى المصنوعة في المنزل.
- تعليق الساعة التي أهدتنا اياها فريال.
- اتلاف هذه اللائحة قبل وصول فريال.

ف.ر.

كسالى مجتهدون

■ أعلن الرقيب بصوت عال لعشرين مجنَّداً اصطفّوا أمامه: "لدي مهمة سهلة لأكسل رجل بينكم. هل لأكسلكم أن يرفع يده؟" فارتفعت أيدي تسعة عشر شاباً. فسأل الرقيب المجنَّد الباقي: "لماذا لم ترفع يدك؟"
فأجابه: "لا جلَدَ لي على ذلك."

ا.ك.

لا تقلقي يا أمي

■ قبل مغادرتي البيت للتسوق نبهت ابني الى ضرورة اقفال الباب اذا هو انصرف أيضاً. فطمأنني قائلاً: "لا تقلقي يا أمي."
وذهبت مرتاحة البال. وعندما عدت وجدت ورقة على الباب، فيها: "ماما، المفتاح تحت ممسحة الأرجل."

س.ب.

الاستاذ والضرائب

■ كنا نتناقش في موضوع الضرائب ضمن درس المحاسبة في الجامعة. وسألنا الاستاذ عن الفرق بين تفادي الضرائب والتهرّب منها. وبعدما أعطى بعض الطلاب أجوبة خاطئة، بادرنا الاستاذ بالجواب الصحيح فقال: "الفرق هو خمس سنوات في السجن."

ك.ر.ب.

فوترو حكم الكرويين

أفضل حَكَم لكرة القدم في العالم يتصدى لأصعب مهمة واجهها في حياته

يوم الاربعاء ١١ أكتوبر (تشرين الأول) ١٩٨٩ وصل ميشال فوترو جواً الى بوغوتا عاصمة كولومبيا ليكون حكماً في ما سماه الاتحاد الدولي لكرة القدم "مباراة خطرة جداً." وكان منتخب كولومبيا سيخوض على أرضه مباراة تأهيل لكأس العالم ١٩٩٠. ولأن مصالح كثيرة كانت على المحك، فالاحتمال كبير أن تشوب المباراة اضطرابات في الملعب ومنصات الجمهور.

ويسيطر "كارتل ميديين للمخدرات" في كولومبيا على المراهنات غير المشروعة في كرة القدم. والضغط على الحكّام أمر عادي جداً. فقبل أسابيع قليلة قتل أربعة مسلحين في ميديين حكماً كولومبياً شاباً يدعى ألفارو أورتيغا.

وأعلن أسياد المخدرات مسؤوليتهم عن الحادث متهمين أورتيغا بالتسبب في خسارة فريق ميديين.

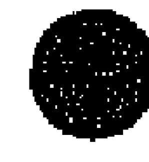
غير أن هذا الحادث لم يثن من عزيمة فوترو الذي صرح للصحافيين فور وصوله: "أعلم أن حرب مخدرات تدور في هذا البلد. وأعلم كذلك أن أسياد المخدرات يحاولون السيطرة على لعبة كرة القدم. لكني لست خائفاً."

على مدى ٩٠ دقيقة يوم الأحد التالي راقب فوترو اللعب عن كثب وهو يجري في محاذاة اللاعبين الاثنين والعشرين متنبها الى المخالفات من غير أن تفوته شاردة ولا واردة. وإزاء الاعتراضات المتوقعة كان يبرر قراراته للفريقين بما لا يترك مجالا للشك. وجاءت النتيجة

(٠ – ١) لمصلحة منتخب كولومبيا، ولم يحدث شغب في ملعب بارانكيلا.

كان قرار الاتحاد الدولي لكرة القدم ارسال فوترو (٤٤ عاماً) متعمداً. إذ ان هذا الرياضي، البالغ طوله ١٨٦ سنتيمتراً ووزنه ٨٧ كيلوغراماً، هو صاحب لقب "أفضل حكم في العالم" للعامين ١٩٨٨ و١٩٨٩. وهو صاحب شخصية قوية جداً، وذو استقامة وشجاعة ذائعتي الصيت، وأحكامه لا تشوبها شائبة. ونتيجة ذلك اختير حكماً في مباريات كأس العالم في إيطاليا.

وفوترو الذي يعتاش من عمله كمنسق لبرامج التدريب المهني في مدارس بزانسون، يقدم خدماته التحكيمية مجاناً. وعليه أن يؤدي عمله في الملعب باحتراف متشدد، إذ فضلاً عن ضرورة تأكده من حسن سير المباراة، عليه، بمعونة حكمين مساعدين، أن يأخذ قرارات فورية من غير أن يرفع نظره عن الكرة واللاعبين في أرجاء الملعب الفسيح. وهو، كجميع الرياضيين، يتبع برنامجاً قاسياً للياقة البدنية. لكن المباراة تتركه منهكاً كاللاعبين الذين يحكم بينهم.



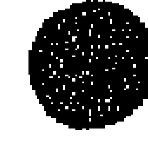
لا يخاف. تجبه الحكم مشكلات لا يمكن التكهن بها. وإن شتت فكره أو تردد تحولت المباراة شجاراً وعراكاً. وهو لا يمتلك ازاء المعارضة العنيفة سلاحاً سوى صفارة يوقف بها المباراة، وبطاقة صفراء تُطلق إنذاراً رسمياً الى لاعب مخالف، وبطاقة حمراء يلّوح بها طارداً من أساء التصرف خارج الملعب. ولما كان انتصار فريق أو خسارته يعنيان ربح ملايين الدولارات أو خسارتها، فلا يسع الحكم ارتكاب أي خطأ. يقول فوترو: "عندما يعجز لاعب عن التقاط كرة سهلة يقال عنه انه أخرق. أما حين يرتكب الحكم خطأ فيفسر ذلك على أنه ضرب من سوء الامانة."

في سبتمبر (أيلول) ١٩٨٩ حكم فوترو في باريس لفريق باريس – سان جرمان بضربة جزاء في مباراته ضد فريق بوردو (تؤدي ضربة الجزاء غالباً الى تسجيل هدف). وعلى الفور أحاط به حارس مرمى بوردو وفريقه. وراحوا يكيلون له السباب محاولين إجباره على التراجع عن قرار اعتبر معظم الناس، بمن فيهم أنصار الفريق، أنه غير عادل. لكن فوترو أبى أن يتراجع وأصر على قراره، وانتظر بصبر هدوء عاصفة الاحتجاج. وفي اليوم التالي أثبت عرض المباراة على التلفاز أن الحكم كان على حق.

يقول فوترو: "يتعرض الحكم للتهويل في الملعب وخارجه، اذ يتحلق اللاعبون حوله كعصابة ويوجهون اليه الاهانات، والتهديدات أحياناً."

بعدما خسر المنتخب اليوناني مباراة لكأس أوروبا جرت في أثينا، شن مموّل الفريق، وهو من أقطاب الشحن البحري، هجوماً عاصفاً على غرفة فوترو وفي حزامه مسدس، وراح يصرخ مهدداً أنه لن يساعد الحكم في التملص من أنصار الفريق الهائجين في الخارج. لكن فوترو نجح في الوصول الى فندقه حيث أمضى

ليلة متوترة يحرسه جنود تمركزوا خارج بابه. يقول: "لم يخامرني مرة شعور بالخوف، ربما باستثناء ذلك اليوم في مارسيليا حين أزّت كرة رصاص أطلقت من مقلاع وأخطأت وجهي بمليمترات."



الرياضة ممنوعة! يدين فوترو بكثير من مهارته في السيطرة على المواقف الصعبة لطفولته الشاقة. فهو ولد في بلدة أنفير في جبال جورا. وفي الثانية من عمره انفصل والداه. وبعد خمس سنوات اكتشف الاطباء خريرا في قلبه تفاقم مع اصابته بحمى الروماتزم مما أقعده أشهراً. يقول: "كانت أدنى عدوى تسبب لي مشاكل كبيرة. وقد تمددت على فراش في منزل جدي مدة ستة أشهر تلتها فترة أخرى من ثمانية أشهر."

وفيما كان فوترو طريح الفراش دأب على قراءة الصحف والمجلات والكتب. وهام إعجابا بأبطال الرياضة. ولمّا قوي على الذهاب للعيش مع والدته في بزانسون، راح يحضر مباريات فريق البلدة في كرة القدم.

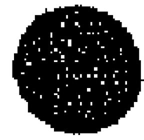
وعندما بلغ الثالثة عشرة طُلب منه أن يكتب مقالا عن تاريخ نادي "روبيه – توركوان" الآتي للعب في بزانسون. يقول: "كنت طبعاً أحتفظ بجميع الملفات في البيت." وفي السن الخامسة عشرة تولى تحرير مجلة "ألّيه بزانسون"* المختصة بكرة القدم.

كان لا يزال ممنوعا من ممارسة الرياضة العنيفة، وعليه متابعة العلاج حتى بلوغه الخامسة والعشرين. لكنه إلتحق بنادي "فران كونتوا" لكرة القدم وعُيِّن وهو في السادسة عشرة من عمره مندوبا في مجلس إدارته.

أتاحت له اجتماعات النادي مخالطة اللاعبين المحترفين من أبناء المنطقة. واكتشف أنهم غالبا ما يلقون اللائمة على الحكام، عن غير وجه حق، للخسائر التي تمنى بها فرقهم. وذات يوم غالب حياءه ودافع عن أحد الحكام. فقاطعه عضو قديم في النادي قائلا: "إخرس يا فتى. أنت لا تدرك ما تقول."

وجاء رد ميشال حاسما اذ قال: "ماذا تعني؟ إني الآن في مرحلة الاستعداد لامتحان التحكيم!"

والواقع أن ميشال لم يفكر من قبل في أن يصبح حكما لضعف صحته. لكنه، إثباتا لقوله، جلس الى الامتحان، فجاء تقديره عاليا الى حد أن أوكتافو دافان رئيس نادي "فران – كونتوا" عقد العزم على صنع حَكَم عظيم من فوترو الشاب، وأقنع والدة ميشال باستشارة طبيب العائلة. وإذ كانت معرفة الطبيب بلعبة كرة القدم هزيلة، ظن أن مهمة الحكم هي الوقوف بهدوء وسط الملعب ومراقبة اللاعبين وهم يجرون حوله. فما كان منه إلا أن وافق قائلا: "لمَ لا؟ فذلك سيتيح له الخروج الى الهواء الطلق."



"مهنتي حياتي." هكذا بدأت سيرة الرجل الذي أصبح أفضل حكم لرياضة

(*) Allez Besançon

كرة القدم في العالم. وهو تسلق سلم النجاح بسرعة مذهلة، مرتقياً ست درجات في ست سنوات، مما أتاح له البروز حكماً لمباريات فريق الدرجة الاولى في بلاده عام ١٩٧٢ وهو في السابعة والعشرين من عمره. وبعد ثلاث سنوات حكم أول مباراة دولية له وهو في الثلاثين من عمره، وهذه سابقة في حرفته.

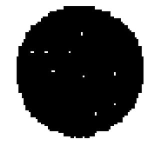
يقول فوترو: "مهنتي هي حياتي، لأني اكتشفت الحياة من خلال لعبة كرة القدم."

ولأجل وقف حياته لمهنته بقي ميشال أعزب. والى ذلك هو عضو في "لجنة برانسون لمكافحة التدخين"، ولا يقرب الكحول ولا القهوة. وفيما يذهب الحكام الآخرون في عطلة من أعمالهم المأجورة، يمضي فوترو أوقات فراغه في مراجعة سجلاته وتنظيم ملفاته والاجابة عن رسائل كثيرة يتلقاها. كما يجوب أنحاء فرنسا ملقياً محاضرات في فن التحكيم. يقول لمعجبيه الشباب: "غالبا ما أفكر في أولئك الرجال الذين يحكمون مباريات ثانوية من دون عون مساعدين أو حماية شرطة أو سياج يفصلهم عن الجمهور. إنهم حقا لشجعان."

يتسم فوترو في ملعب كرة القدم بشخصية آمرة من نوع فريد. فبنيته المهيبة وخطواته الواسعة وإيماءاته المتعالية ونفخ صفارته الذائع الصيت باعتباره "الأقوى" في البلاد، صفات تجتمع لتجعل سحره فاعلا ومستحقا الاحترام. وعندما تنتهي مباراة ما، نادراً ما ينتقده اللاعبون الذين نالوا عقوبة أو يتذمرون من أنه كان غير عادل.

مثال على ذلك مباراة "كأس أوروبا" بين فريق "ريال مدريد" وفريق "انتر ميلان" في مدريد باسبانيا في أول نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٨٩. في هذه المباراة حصل احتجاج على كل قرار أخذه فوترو. ورفض اللاعبون الاسبان قبول واقع أنهم على وشك خسارة كأس أوروبا، وهدر مئة ألف اسباني في المنصات معربين عن استنكارهم.

ولكن بعد نهاية المباراة تحدث لاعبو "ريال مدريد" الاكثر تعرضا للجزاء معربين عن تقديرهم لمهارة الحكم. قال أميليو بوتراغوينو: "ميشال فوترو حكم خبير يمسك بزمام الأمور حتى في أحرج المواقف." وأضاف هدّاف "ريال مدريد" المكسيكي هوغو سانشيز: "ما نحبه في فوترو هو أنه يتحدث إلينا اكثر كثيرا من زملائه الألمان والبريطانيين والاسوجيين. وفي كل مرة توجهت إليه معترضا، كان يشرح لي بصبر أسباب قراره."



الافضل في العالم. يعتبر فوترو أن على الحكم أن يكون صديق اللاعب لا عدوه. يقول: "إن المعاقبة اعتباطا لأمر في غاية السخف. يمكنك أن تتجادل مع صديق وتختلف معه، لكنه حين يغرق تفعل المستحيل لانقاذه." وهذا على الأرجح ما يرضي اللاعبين عندما يسمعون أن ميشال فوترو سيقود

المباراة. يقول الفرنسي باتريك باتيستون: "إنه لا يحدج اللاعبين بازدراء، بل ينظر إليهم باحترام."

ولأنه يحظى بهذا الاعجاب، دُعي الى التحكيم في مباريات حول العالم. لكن قمة افتخاره هي المباريات النهائية الخمس لكأس فرنسا في الاعوام ١٩٧٩ و١٩٨٢ و١٩٨٣ و١٩٨٤ و١٩٨٧ والتي يدعوها "أيام المجد الخمسة." ويُعتبر نهائي كأس فرنسا الذي يجري عادة في شهر يونيو (حزيران) في ملعب "بارك دي برانس" في باريس، قمة أحداث الموسم. اذ يحضره رئيس جمهورية فرنسا ووزراؤها وجميع محرري الرياضة وخمسون ألف متفرج، فضلاً عن الملايين من مشاهدي التلفاز. وفي العام ١٩٧٩، عندما تقدم رئيس جمهورية فرنسا آنذاك فاليري جيسكار ديستان ليصافح فوترو قبل بدء المباراة قال له ميشال: "ان العناء الذي أتجشمه في إدارة ٢٢ رجلا يقودني الى التصور كم هي صعبة قيادة ٥٠ مليون مواطن."

في العام ١٩٨٨ اختير فوترو "أفضل حكم في العالم" بتصويت هيئة تحكيمية من ٩١ محرراً رياضياً من ٩١ بلداً. إلا أن هذا الشرف الكبير لم يغيِّر من تواضعه. قال: "كنت الأفضل عام ١٩٨٨ هذا حسن، لكني الآن أبدأ من جديد."

ومنحته الهيئة هذا الشرف مجدداً في العام ١٩٨٩. وكان لهذا التقدير وقع عظيم في نفسه لا يعادله سوى وقع الاطراء الذي يخصّه به اللاعبون. غير أن فوترو يعلم أن الجمهور متقلب. اذ بعد تحكيمه في نهائي بطولة أوروبا للعام ١٩٨٨، حكم في مباراة فريقين من الدرجة الثانية في بلدة مونسو – لي – مين. يقول: "استقبلوني بحفاوة، وأثنى الجميع على حسن أدائي في النهائي. ثم حدث أن خسر الفريق المحلي المباراة، فأنحوا عليّ باللائمة. وبعد انتهاء المباراة أشاحوا بوجههم عني، ولما بلغت موقف السيارات وجدت سيارتي مقشورة."

أحزن هذا الحادث فوترو لكنه لم يغير موقفه من عمله. يقول: "إني هنا لحماية اللعبة واللاعبين. أحلم أحياناً بأني قائد فرقة موسيقية. ففي حضور قائد جيد يبذل العازفون أفضل ما لديهم. وهذا بالتحديد واقع الحال في لعبة كرة القدم."

جيرار اينس ■



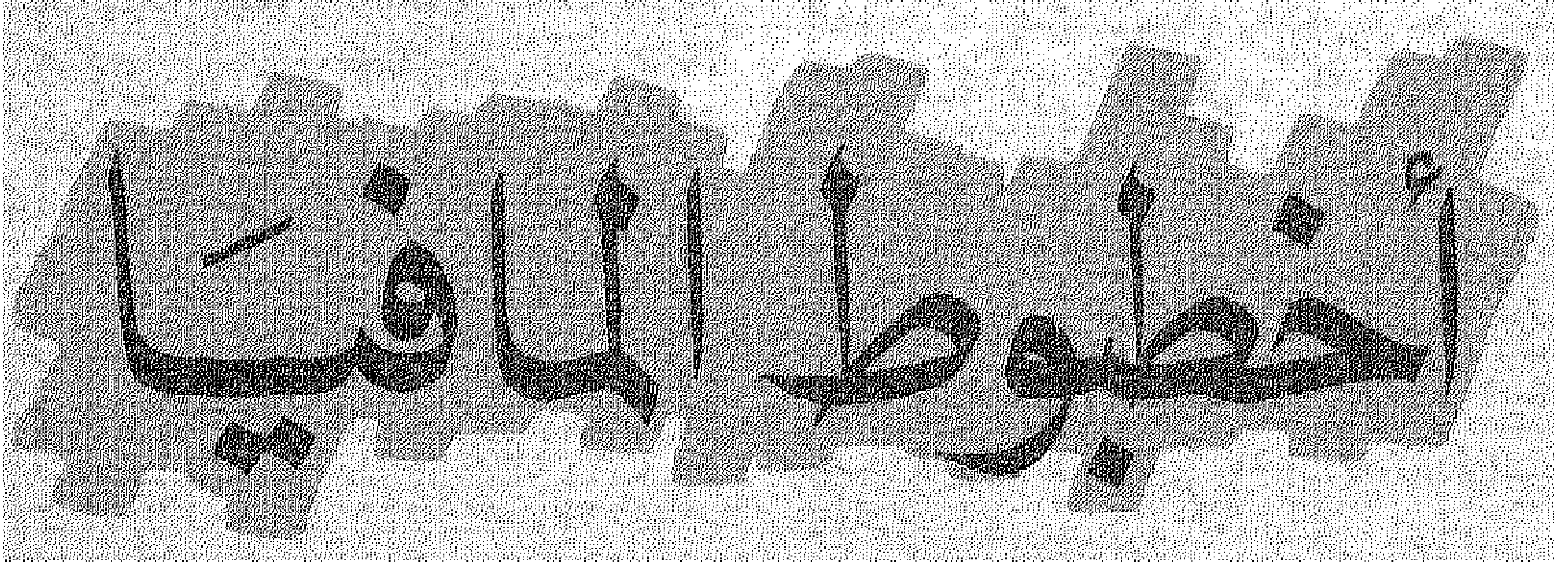
الواجب ثقيل

التلميذ الذي يعمل باندفاع داخلي يغدو مبدعاً ومتحمساً. والمحترف الذي يعمل من أعماقه قد يدفع بدل أن يُدفع له للقيام بما ينير حياته.

إن العمل بدافع الواجب يشبه جرّ قيود وسلاسل حديد مهما يكن حجم الجهد المبذول. فلنحبّ ما نعمله عندما لا نتمكن من عمل ما نحبه.

ج.ل.د.

كتاب جديد مثير يرفع النقاب عن أشنع التكتلات الاجرامية في التاريخ



أعملَ دوغلاس لوفيان ذهنه لفك لغز المكالمة المسجلة بين عضوي العصابة. وإذ تطرقا الى محاولة الاستيلاء على احد النوادي قال أحدهما متذمراً: "يرتاده عدد كبير من الصقليين." فأقره الآخر على كلامه: "خذ الامر جدياً، قد يقطعونك إرباً."

عجب لوفيان. ترى ما الذي يخيف رجال المافيا الامريكية في الصقليين؟ ولمعرفة الجواب انتحل هذا الشرطي السري في نيويورك صفة رجل أعمال محتال من أصحاب الملايين وسعى الى التقرب من فنشنسو نابولي صاحب النادي. وما لبث أن اجتمع الاثنان على العشاء في أفخم مطاعم مانهاتن بنيويورك للتباحث في شؤون الاعمال.

ومع كر الاشهر وصف نابولي لصاحبه منظمة اجرامية تحار فيها العقول. باعه بنادق وعرض عليه استخدام قتلة مأجورين ورجال متخصصين بحرق المباني. كما قدم اليه عروضا لشراء الماس ولوحات مسروقة نفيسة. ومبتغاه من ذلك كله أن يثبت إنه ليس ثرثاراً مهذاراً.

ولكن عندما عرض نابولي على لوفيان أن يبيعه هيروييناً، استدعى هذا سرية مكافحة المخدرات. وقبض على نابولي فور تسلمه كيلوغراماً من الهيروويين من أحد سعاته في بانكوك. واقتيد الى السجن لينفذ حكماً بالحبس مدة ١٣ عاماً.

أثناء قيام لوفيان بتحرياته عام ١٩٧٨ لم يدر في خلد أحد أن الشرطة أمسكت بأحد أذرع المؤامرة الاجرامية الهائلة، الدولية في شمولها، التي تغلغلت بصمت في غرب الكرة الأرضية وكان نشاطها الأساسي تهريب الهيروويين والكوكايين وترويجهما.

واليوم تسلط كلير ستيرلنغ الضوء على هذه القضية في كتابها "الاخطبوط: اليد الطولى للمافيا الصقلية الدولية." وستيرلنغ مراسلة صحافية أمريكية استقر بها المقام

في روما منذ العام ١٩٥٢. وأمضت أربع سنوات في مقابلة رجال الامن في ايطاليا وأمريكا، شمالها وجنوبها، مكبة على قراءة ألوف الصفحات من نسخ وثائق المحاكمات والاستجوابات وتقارير أجهزة استخبارات الشرطة. وهي أماطت اللثام عن أول اتحاد فعلي للمجرمين في نطاق يتعدى القوميات، وكشفت طريقة وصول هذه المنظمة السرية الى السلطة، والدور الحاسم للتقصيات والتحقيقات المكثفة التي أجرتها الشرطة الدولية عبر السنين.

غارة ساحقة. بدأت أفظع قصص الجرائم في القرن العشرين عام ١٩٥٧ إبان تعرض المافيا الامريكية للمصاعب. اذ سنت الحكومة الامريكية قانونا يتيح إصدار حكم بسجن المتاجرين بالمخدرات مدة أقصاها ٤٠ عاما، كما أبعد بعض زعماء العصابات الكبار خارج البلاد. فلجأ المافيوزي[1] الامريكيون الى ايطاليا طلبا للعون.

وقدّر هؤلاء أن ليست لدى الشرطة الامريكية سجلات للصقليين الذين يسعهم ان يتسللوا ويعملوا خفية في الولايات المتحدة. وطبقا لما جاء في رواية ستيرلنغ: "دعتهم المافيا الامريكية لتدرأ عن ذاتها مخاطر الاتجار بالهروويين وتكتفي بجني نسبة من الأرباح."

في أكتوبر (تشرين الاول) ١٩٥٧ التأم في فندق "قصر الصنوبر" الانيق في باليرمو أكثر من ثلاثين رجلا من زعماء المافيا الامريكية والصقلية، وكلهم تجار مخدرات، في "مؤتمر قمة" دام أربعة أيام. هنا منحت المافيا الامريكية نظيرتها الصقلية امتياز المتاجرة بالهروويين في نطاقها الذي شمل ٩٥ في المئة من سوق المخدرات في الولايات المتحدة آنذاك. وبعد شهر واحد تنادى نحو مئة من الاشقياء الامريكيين في آبالاشين بولاية نيويورك لاقرار الاتفاق. وفيما هم مجتمعون أغارت الشرطة على المكان. وهي حصلت هنا للمرة الاولى على أدلة دامغة على وجود "نقابة" للمجرمين تعمل على نطاق البلاد واسمها "لا كوسا نوسترا."[2] ولكن لم يدر أي دخيل ما الذي حدث في ذَينك الاجتماعين. وبقي السر مكتوماً قرابة ٣٠ سنة.

في الستينات انتشر ألوف المافيوزي المنتمين الى نحو ١٥٠ عصابة في جميع الأصقاع – مونتريال وكراكاس وسان باولو ومكسيكو ونيويورك وشيكاغو – وكلهم بامرة عصبة تدعى "كوبولا" مؤلفة من زعماء المافيا الكبار ومقرها باليرمو عاصمة صقلية.

ساوم الصقليون أفراد العصابات الاتراك عام ١٩٧٥ لتزويدهم المادة الأساس للمورفين من جنوب غرب آسيا. وسرعان ما غزت معامل التكرير ايطاليا بأسرها. وأنشىء معملا تكرير في باليرمو ينتج كل منهما ٥٠ كيلوغراما من الهيروويين أسبوعيا وخمسة أطنان في السنة. وسرعان ما شرع نحو اثني عشر

(١) Mafiosi اي رجال المافيا، وواحدهم مافيوزو (Mafioso).

(٢) La Cosa Nostra .

معملا في التكرير. وكان معمل واحدٍ في سان ريمو قرب الحدود الفرنسية يسلِّم ما يربو على ١١٠ ملايين حقنة سنويا الى زبائن منتشرين في ايطاليا وفرنسا وسويسرا وهولندا والمانيا الغربية.

وثمة ٢٥ الف شاحنة مدموغة بختم سلطات الجمارك طبقا لاتفاقات دولية، كانت تعبر الحدود البلغارية – التركية سنويا من دون أي عائق. وعمد رجال العصابات الأتراك والطليان، بالتنسيق مع موظفي الحكومة البلغارية، الى تزوير المستندات وتهريب الأسلحة من اوروبا الغربية شرقا الى بقاع في تركيا والشرق الأوسط في مقابل المادة الأساس للمورفين المطلوبة لمعامل التكرير السرية في أوروبا الغربية وشبكات التوزيع المنتشرة في أرجاء أوروبا وأمريكا.

في السبعينات غدت هولندا البوابة الأوروبية الرقم اثنين لعبور الهيرويين، والضحية الرقم واحد. وارتفعت أعداد الوفيات بفعل تناول الجرعات الزائدة في المانيا الغربية من ١٩٥ عام ١٩٧٤ الى ٦٢٣ عام ١٩٧٩. كما أبلغت بريطانيا عن ارتفاع مفاجىء في تعاطي الهيرويين في الفترة عينها. وازداد عدد الوفيات في برلين الغربية من جراء الجرعات الزائدة من ٦ الى ٨٤ في خمس سنوات، وحلّق العدد في فرنسا من الصفر تقريبا الى معدلات وبائية.

قلما خلص بلد لم تعمل فيه المافيا الصقلية أو تعث فيه إفسادا. وكانت لها في سويسرا والمانيا الغربية وإسبانيا واليونان وبريطانيا وكندا محطات ومراكز مصرفية. وكانت فرنسا مركزا لانتاج الهيرويين وكينيا ملقى لافراد العصابات.

وأدركت أوروبا الغربية الولايات المتحدة في نسبة مدمني المخدرات في الثمانينات. فبلغ عددهم في ايطاليا ٣٠٠ الف عام ١٩٨٨، الى ٨٠٩ وفيات من جراء تناول جرعات زائدة. وفي المانيا الغربية ٨٠ الف متعاط صنفوا رسميا مدمنين، في مقابل ٥٨٠٠ قبل خمسة عشر عاما. أما العدد في كل من فرنسا وبريطانيا فقارب ١٠٠ ألف، وكان المدمنون البريطانيون يزدادون بنسبة ٢٥ في المئة سنويا. وبلغ صافي الكميات المصادرة من الهيرويين في أوروبا الغربية ٢،٩ طن عام ١٩٨٧، أي اكثر من سبعة أمثال الكمية التي عثر عليها في الولايات المتحدة. وفي تقدير موظفي مكافحة المخدرات أنه تم تهريب أكثر من عشرة أمثال هذا العدد، أي نحو ١،٣ مليار حقنة في ذلك العام.

وها هي أوروبا، وفي طليعتها الدانمرك وهولندا واسبانيا، تقفو إثر أمريكا في سوق الكوكايين ايضا، فيما شبكات المافيا الصقلية تتوسط لتسهيل عبور إمدادات الكولومبيين من هذه المادة.

ودرج المافيوزي الصقليون مدة عقدين على الانسلال، من دون رقابة الى الولايات المتحدة، عبر الغابات ومجاري المياه على الحدود الكندية. وحصل عدد منهم على بطاقات عضوية في النقابات، وعلى وظائف من خلال "النقابة الدولية للعمال" التي تهيمن عليها المافيا. وعمدوا من فورهم الى ترويج الهيرويين

في مراكز العمل. ثم شرع زعماء "لا كوسا نوسترا" في إنشاء شبكة من محلات بيع البيتزا في أرجاء البلاد، غالبية العاملين فيها من الصقليين الذين دخلوا البلاد بطريقة غير مشروعة، وذلك لنقل المخدرات والتعمية على مصدر الأرباح.

امبراطورية المليارات. استمرت الشبكة في عملها سنوات من دون افتضاح أمرها. لكن حدثاً في أكتوبر (تشرين الاول) ١٩٨٠ قلب الوضع. ففي ذلك الشهر سيق مهاجر صقلي مغمور اسمه سالفاتوري كاتالانو من مخبزه في منطقة كوينز بنيويورك الى مطعم أنيق حيث التقى "بول الكبير" كاستيلانو، زعيم كبرى عصابات المافيا في أمريكا. وكان كاستيلانو خاضعا لمراقبة السلطات الاتحادية. فما الذي دفع "بول الكبير" الى قضاء أكثر من ساعة مع كاتالانو؟ قر رأي المسؤولين في "مكتب التحقيقات الاتحادي" (FBI) على التحري.

في هذه الاثناء بدأت ادارة مكافحة المخدرات مراقبة مئات المكالمات الهاتفية الغامضة التي يجريها فنشنسو نابولي من السجن الاتحادي في دانبري بولاية كونيتيكت. كان شقيق نابولي في كراكاس (فنزويلا) يتصل بشقيقه الآخر في بروكلين بنيويورك، فيعمد هذا بدوره الى الاتصال فوراً بفنشنسو في دانبري. ثم يجري السجين عدة مكالمات. وأحد الذين كان يتصل بهم دوريا رجل يملك سلسلة من ٢٦ محلا لبيع البيتزا في فيلادلفيا بولاية بنسلفانيا. (في ما بعد، اشترى عميل سري تابع لادارة مكافحة المخدرات ستة كيلوغرامات من الهيروين من معاوني ذاك الرجل.)

وبلغ اهتمام ادارة المكافحة بالأمر أنها بعثت موظفا مختصا الى فنزويلا فكشف النقاب عن امبراطورية للمافيا تقدر بمليارات الدولارات ولا تطاولها يد العدالة. ولم تكن ايطاليا والولايات المتحدة أبرمتا معاهدة خاصة مع فنزويلا لتسليم المطلوبين الفارين، ولم تبد الحكومة الفنزويلية رغبة في التعاون في هذا الشأن. ولذا استطلت ذراع الاخطبوط تلك الحماية في فنزويلا وشكلت تحالفا مهنيا مع تجار الكوكايين الكولومبيين.

و"شبكة كراكاس"، كما وصفتها ستيرلنغ، هي من بنات أفكار ثلاثة اخوة هم باسكال وباولو وغاسباري كنتريرا الذين هاجروا من صقلية عام ١٩٦٣ الى البرازيل ثم الى مونتريال وانتهى بهم المطاف في كراكاس. وهم وزعوا أبناءهم وأبناء أعمامهم وأخوالهم وأقرباء آخرين وفق خطة محددة في لندن وجنيف ومالطا ومونتريال وميامي. وفي مستهل الثمانينات كانت شعبة فنزويلا تتقاضى عمولة عن أربعة أخماس كمية الكوكايين التي تدخل الولايات المتحدة وأوروبا. ويقدر أنهم اليوم يموّهون مصادر نحو ثلثي أموال الكوكايين في فنزويلا.

حرب شعواء. كان اكتشاف امبراطورية كراكاس حدثا فاصلا، لكن

السلطات لم تمسك بعد بخيوط المؤامرة كلها. فهي لم تكن تعرف أن رأس الاخطبوط في صقلية. وفي مارس (آذار) ١٩٨١ اندلعت "الحرب الكبرى" فجأة بين المافيات.

أدى دفق ثروات الهيروييين والكوكايين على باليرمو طوال عقود الى فوران المافيوزي جشعاً وتحرقاً الى السلطة. وكان لوتشيانو ليجيو، الزعيم الأكثر مخافة في تاريخ المافيا، هو مخطط الحرب ومديرها.

وفي غضون شهرين اغتيل عضوان في عصابة كوبولا هما خصمان لليجيو. لكن المذابح امتدت الى الولايات المتحدة وأمريكا الجنوبية. وقضى ألف شخص في صقلية وحدها. وكانت الشرطة الايطالية "تقع على جثة كل يوم، وفي بعض الأيام على أربع أو خمس."

ونعم ليجيو بالنصر لدى مقتل جميع أعدائه.

لكن الاشقياء اذ يتوقفون عن قتل بعضهم بعضاً يتحولون الى قتل رجال الشرطة والمدعين العامين والقضاة. وقد عيّنت الحكومة الايطالية "بطلا وطنيا" هو الجنرال كارلو آلبرتو دالاتشييسا لاعادة النظام وسيادة القانون. لكن دالاتشييسا اكتشف موظفين حكوميين رفيعي المستوى يعملون مخبرين لمصلحة المافيا. وقد قُتل وزوجته على أيدي ثمانية رجال أطلقوا عليهما النار فيما هما عائدان من المكتب الى البيت في ٣ سبتمبر (أيلول) ١٩٨٢، وهو اليوم الذي التمس فيه، بواسطة القنصلية الامريكية في باليرمو، التدخل الديبلوماسي للولايات المتحدة لأنه وحده يحمل الحكومة الايطالية على أخذ إجراءات رادعة.

صدم الشعب الايطالي لمقتل الجنرال. وبعد ثمانية أيام أقر البرلمان الايطالي قانوناً مناهضاً للابتزاز ظل حبيس الادراج عدة سنين وهو الاقسى من نوعه في العالم. وفي أكتوبر (تشرين الاول) ١٩٨٤ اجتمع المدعي العام الامريكي ومدير مكتب التحقيقات الاتحادي (FBI) ورئيس الادارة الامريكية لمكافحة المخدرات مع وزير الداخلية الايطالي وكبار ضباط الامن الايطاليين. وعلى الاثر بدأ تعاون جاد بين سلطات البلدين. وبات المسؤولون الامريكيون يتباحثون يومياً مع المسؤولين الايطاليين، وطار ضباط ايطاليون الى نيويورك لترجمة مكالمات باللهجة الصقلية مسجلة على أجهزة التنصت.

وجاء أحد الاستقصاءات بالجواب الشافي للغز قديم. ففي ١٩٨٥ كشف التحري لوفيان الغطاء عن تابع مغمور في المافيا اسمه لويجي رونسيفال كان يمضي عقوبة في إصلاحية لقتله أحد الطهاة. وكان رونسيفال يعمل لحساب فنشنسو نابولي، وفي سنة واحدة سلم بمفرده نصف طن من الهيروييين، ليس الى نابولي فحسب بل الى سالفاتوري كاتالانو ايضاً، وهو الرجل الذي رآه عميل الـ«FBI» يتناول الغداء مع "بول الكبير" كاستيلانو.

لقد انحل لغز ذلك الغداء القديم،



فكاتالانو هو أحد زعماء المافيا الكبار، واجتماعه مع كاستيلانو هو في حقيقته جلسة للمبعوث الصقلي مع زعيم المافيا في أمريكا لتحديد شروط جديدة للدفع ثمناً للامتياز الامريكي للهيروويين.

نصر ومأساة. أخيراً، بعد أكثر من مليون ساعة عملاً في الرصد والتنصت والرقابة السرية، تجمعت لدى المدعين العامين في الولايات المتحدة وايطاليا أسماء ومعلومات تتيح لهم توجيه اتهامات الى مشبوهين. وتزامنت جلسات المحاكمة في مانهاتن وباليرمو.

وقد أحالت وزارة العدل الامريكية ٣٨ متهماً على المحاكمة. وأركن بعض هؤلاء الى الفرار فيما اغتيل آخرون قبل المحاكمة او أثناءها. واستغرقت الجلسات ١٧ شهراً، وهي أطول محاكمة اتحادية أمام هيئة محلفين. وفي دعوى الحكومة أنَ المتهمين استوردوا خلال خمس سنوات ما قيمته ١،٦ مليار دولار من الهيروويين وهرَّبوا مداخيلها ومداخيل الكوكايين الى ايطاليا وأمريكا الجنوبية والشرق الاوسط وتركيا. ودانت هيئة المحلفين ١٨ متهماً من أصل ١٩ بقوا قيد الحياة. وساعدت شهادة رونسيفال في زج كاتالانو في السجن مدة ٤٥ عاماً.

لكن السلطات قطعت بذلك ذراعاً واحدة للاخطبوط، كما أوردت ستيرلنغ، لأنها "لم تعرف من كان ينقل الهيروويين الى البلاد، ولا أسلوبه في ذلك، ولا من نقل الهيروويين والكوكايين من ساحل الاطلسي الى ساحل الهادىء."

وشهدت باليرمو أضخم محاكمة انعقدت في أي مكان من العالم. وافتتحت الجلسات في فبراير (شباط) ١٩٨٦ بمثول ٤٧٤ متهماً، بينهم أكثر من مئة مطلوب. وكانت قاعة المحكمة غرفة

PHOTO: © FABIO PONZIO / TIME MAGAZINE



كبرى المحاكمات في التاريخ: شملت محاكمة المافيا في باليرمو عام ١٩٨٦، ٤٧٤ متهما، واقتضت تدابير امنية محكمة.

محصنة تحوطها قوات مسلحة. وقد أدلى أكثر من ١٣٠٠ شخص بشهاداتهم.

ودانت هيئة المحلفين الصقليين ٣٤٢ متهماً بمن فيهم جميع أفراد عصابة كوبولا. وخيِّل الى العالم أن المافيا الصقلية انكسرت شوكتها. لكن العالم كان على خطأ.

توقفت حوادث الاغتيال خلال انعقاد المحاكمة طوال ٢٢ شهراً. ولكن بعد انقضاء ساعتين على إصدار الحكم عادت أعمال القتل. وفي صقلية وحدها سقط اكثر من ٢٠٠ ضحية خلال الأشهر الثمانية التالية لانتهاء جلسات المحاكمة، وبين هؤلاء رجال شرطة وقضاة ونسوة وأطفال. وأعلن أحد قضاة باليرمو يائساً: "لم يتبدل أي شيء."

وفعلا، قزّمت محكمة الاستئناف العليا في ايطاليا الجهود البطولية التي بذلت وحوَّلتها أضحوكة. ففي العام ١٩٨٨ استخفَّت بالبينات الدامغة اذ نقضت استنتاج المحكمة البدائية أن للمافيا "تركيبا وحدويا وعموديا،" وقضت بأن المافيا مؤلفة من أسر تعمل فرادى من دون أي رابط هرمي مع عصابة كوبولا.

وأجاز البرلمان الايطالي قانوناً يمنح المساجين ذوي السلوك الحسن "مأذونية" ٣٠ يوما كل سنة. وفي بداية ١٩٨٩ لم يبقَ الا ٦٠ متهما قيد الاحتجاز من أصل ٣٤٢ شخصاً، إذ توارى كثيرون أثناء مأذونيتهم أو اطلاقهم للعمل، ومن بينهم مافيوزي ذوو مكانة مرموقة في المافيا، وأحدهم عضو في عصابة كوبولا.

ها قد عاد الاخطبوط حراً طليقا.

اليوم تعرف سلطات الأمن في العالم غريمها. تقول ستيرلنغ منذرة ومحذرة: "تلك المنظمة لا يمكن ان يكافحها بلد بمفرده." فالوجه الاخطر في أخطبوط المافيا هو ثروتها الضخمة التي تتيح لها أن تسيطر على أسواق البورصة وتتملك شركات مشروعة وتشتري ساسة في أنحاء العالم. ويحمل المستقبل تحدياً كبيراً متى أزالت ١٢ دولة في المجموعة الأوروبية الحدود الداخلية بينها سنة ١٩٩٢، بما فيها الحواجز الجمركية وضابطات جوازات السفر.

ان الحاجة ماسة الى امتشاق سلاحين دوليين لمكافحة الجريمة المنظمة:

أولا، بنك معلومات يتعقب الصفقات

المالية الكبيرة. في العام ١٩٨٨ ضبطت السلطات الأمريكية شبكة للتعمية عن مصادر الاموال تدفع لمموِّني المافيا التركية بالمادة الاساس لصنع المورفين، ولموظفي الحكومة البلغارية المتورطين في تهريب المخدرات. ومرد ذلك الاكتشاف الى تعرُّف أحد بنوك المعلومات في مصلحة الجمارك الأمريكية الى نمط انسياب الأموال. لكن أيا من الدول الاوروبية لم توافق على اقتراح أمريكي بانشاء بنك دولي للمعلومات.

ثانيا، قوات صدم شرطية اقليمية. ان تجار المخدرات متورطون في عمليات تزوير واحتيال على نطاق دولي، ويتعاطون تجارة السلاح والسندات المالية المسروقة والذهب والحجار الكريمة. وعلى الدول أن تشكل قوات شرطة دولية ضاربة لتحري هذه الجماعات ومهاجمتها.

يقول روبرت بلاكلي الخبير البارز في شؤون الجريمة المنظمة: "قوانيننا ومحاكمنا وقاعات محاكمنا وأجهزة فرض القانون، كلها ليست مهيأة لمواكبة ذلك اللفيف الجديد من منظمات الاجرام الذي يتخطى القوميات والبلدان على النحو الموصوف في كتاب "الاخطبوط" لكلير ستيرلنغ. على حكوماتنا وهيئات محلِّفينا وسلطات أمننا أن تتحلى بالكفاية التنظيمية، أو تخسر الحرب. فالمجرمون يتمتعون بتلك الكفاية من دون ريب."

يوجين هـ. متفين ■



خياطة الرجال

قرر أبي تعلم الخياطة بعد تقاعده. ولكونه الرجل الوحيد في مدرسة الخياطة الليلية، واجهته بعض اللحظات المربكة في البداية. ولعل اغرب خبراته على الاطلاق كانت تعبئة ابرة آلة الخياطة. فقد راقبته النساء مشدوهات وهو يرفع الآلة بيسراه نحو المصباح الكهربائي، ممسكاً الخيط في اليد اليمنى، ومحدقاً بعينين نصف مغمضتين لكي يبصر خرم الابرة.

م.غ.

خير الكلام

ذات صباح اضطرت صديقتي الى مغادرة منزلها بعجلة، فتركت الاسرّة غير مرتبة والاطباق في المجلى والبيت في حال فوضى. ولدى عودتها وجدت رسالة قصيرة من أمها التي أعطتها مفتاحاً للمنزل، وفيها:

"أتيت. رأيت. غادرت."

ك.ت.

قد يكون الوقت شافياً عظيماً، لكنه بالتأكيد لن يعطِّل عمل جراحي التجميل.

ا.ك.

نصائح خبيرة إلى ربات البيوت

هل تمقتين أعمال المنزل؟ استنجدي اذاً بهذه الصديقة

التقيت أيلواز للمرة الاولى على باب منزلها في سان أنطونيو بولاية تكساس. كانت تنتعل حذاء أصفر مفتوحاً، وقد زيّنت كلا من اصبعي قدميها الكبيرتين بزهرة قرنفل من ورق أبيض لماع. وكانت ترتدي سروال جينز وقميصا من القطن الابيض عقدته حول خصرها بدلال. كانت في السابعة والثلاثين، تعلو جبينها خصلة شعر بيضاء جميلة شدّتها الى الوراء فأبرزت وجها مستطيلا وعينين بنيتين مرحتين. أما التأثير الباهر لقرطيها الالماسيين وسوارها المصوغ بالالماس والصفير، فلقد أفسده قليلا منظر يديها المرشوشتين بزيت نباتي.

قالت لي وهي تهزّ يديها بنشاط وحيوية: "المعذرة، لقد رششت يدي بزيت بام النباتي. يمكنك شراء زيت خاص يجعل الاظافير المبللة تجفّ بسرعة. لكنني دائما أرش الزيت النباتي. إنه أرخص."

اسمها الكامل بونسي كيا مارشيل ايلواز كروز إيفانز. الجميع ينادونها "ايلواز"، باستثناء زوجها وبعض الاصدقاء الذين ينادونها بونسي. وهي اضافت اسم ايلواز في مطلع شبابها عندما ورثت زاوية "إلماعات من ايلواز"* عن أمها التي بدأت تحريرها في الخمسينات في صحيفة "أدفرتايزر" الصادرة في هونولولو.

ولا بد أن يشعر قرّاء ايلواز بانفراج إن هم علموا أن ايلواز تمقت شغل المنزل. وهي تقول: "بعض الناس يحبون شغل

(*) Hints from Heloise



المنزل حقاً. وهؤلاء هم مرضى العقول."

امبراطوريتها بيتها المؤلف من أربع غرف نوم وسبعة حمامات. في هذا البيت تختبر ايلواز الالماعات التي تنشر في أكثر من ٥٠٠ صحيفة تصدر في ٢٠ بلداً. ويسكن معها زوجها السمكري المتعهد ديفيد ايفانز وابنه راسل وهو في الخامسة عشرة من عمره، وثلاثة طيور وثلاثة كلاب.

أفكار "رائعة." الأرض في بيت ايلواز مكسوّة بالسجاد ما عدا مساحة صغيرة تحت الميزان. وهي تقول: "الميازين الموضوعة فوق سجاد ليست دقيقة." وسجادة المطبخ ذات لون بني ترابي "كي لا تظهر عليها البقع." ولديها موقدان، وثلاجتها مثال في الفاعلية. تقول ايلواز: "اني أضع فضلات الطعام في الرف السفلي فأعرف أين أجدها." وهناك، خلف فضلات الطعام، اكتشفت أن وضع طلاء الاظافر في الثلاجة يحفظه من التكثف. والى جانب زجاجة طلاء الاظافير كيس بلاستيك فيه ثياب رطبة جاهزة للكي. وتقول ايلواز ضاحكة: "إذا كان الكيس هناك في الخلف، عرف ديفيد وراسل أنه ممنوع عليهما أكل ما في داخله."

وتشير ايلواز بذراعها بحركة دائرية الى قاعة كبيرة جلست فيها اربع سكرتيرات انهمكن في فرز البريد. وتقول: "إنها غرفة المكتب." ويرد على المكتب ما بين ألفين وثلاثة آلاف رسالة أسبوعياً، تتولى السكرتيرات الرد على بعضها برسائل تمهيدية تعيد ايلواز صوغها لتجعلها أكثر هذراً. وهي غالباً ما تهنىء القارئات على أفكارهن "الرائعة" لجعل الصلصة أقل تكتلا أو لإصلاح حاشية الثوب بسرعة. وإذا اشتكت قارئة من أن إحدى الالماعات لا تنجح، تتصل بها ايلواز هاتفيا مستفسرة.

إنها تعي نزعتها الهاجسية المفرطة لأنها تلاحظها في قارئاتها. وتهمل بعض الالماعات للحال لافتقارها الى شمولية التطبيق، وهي ما تسعى اليه ايلواز. وذات مرة كتبت أم لخمسة أولاد أنها، توفيراً للوقت، تكتب الرسائل وهي جالسة في المرحاض. فعلّقت ايلواز قائلة: "كل ما فكرت فيه هو أن اولادها سيكبرون معتقدين أن أمهم طبيعية."

تعلّمت ايلواز أن تعطي إرشادات واضحة. وهي كتبت مرة في زاويتها أن طريقة جيدة لتنظيف اقفاص العصافير من قشر البذور هي كنسها بمكنسة كهربائية. وما لبثت أن تلقّت رسالة من قارئة تعبّر عن حزنها: "عزيزتي ايلواز، لقد عملت بنصيحتك، لكنك لم تذكري أن علي أن أخرج العصفور من القفص، فشرقته المكنسة."

وكان لأمها أيضا نصيب من المآسي المنزلية. فقبل سنوات كثيرة كتبت ايلواز الأم في زاويتها، لمناسبة عيد الشكر، عن طريقة تحضير الديك الرومي مع مرق التوابل. وأشارت الى وضع كوب من السائل في جوف الطائر كي يبقى طرّياً. وما لبثت أن تلقت رسالة من قارئة غاضبة: "عزيزتي ايلواز، الطائر كان

جيداً، لكن الكوب ذاب داخله." ومنذ ذلك الحين حرصت في كل وصفاتها الطهوية على ابدال كلمة "ضعي" بكلمة "اسكبي."

بنت أمها. قبل مولد بونسي يوم ١٥ أبريل (نيسان) ١٩٥١ في واكو بولاية تكساس، أسقطت والدتها خمس مرات. وحين ولدت بونسي كانت تعاني حولاً شديداً في عينيها اقتضى تصحيحه اخضاعها لست جراحات. وفي غمرة العمليات نذرت أمها أن تتبرع بعشر دخلها السنوي للمكفوفين اذا شفيت ابنتها. والى اليوم يصرف ١٥ في المئة من دخل الصناديق التي أنشأتها ايلواز لشراء آلات "بريل" كاتبة للتلاميذ المكفوفين.

في العام ١٩٦٩ دخلت بونسي جامعة تكساس الحكومية في سان ماركوس لتدرس الرياضيات. وكانت، في ايام العطل، تعمل مع والدتها في المكتب. وتميزت علاقتهما بالمنافسة المعهودة التي تنشأ عادة بين الوالد الذي أسس العمل والولد الذي يقترح أساليب لتحسين العمل. ورأت بونسي أن تنحني أمام الاتجاهات العصرية وتضمّن كتاباتها الماعات تساعد النساء على إصلاح اعطال السيارات والآباء على العناية بالاطفال.

بعد تخرّج بونسي في الجامعة قر رأيها على تدريس الرياضيات للصفوف الثانوية. لكنها عدلت في اللحظة الاخيرة وقررت أن تعمل مع والدتها. وفي العام ١٩٧٥ اتفقت الام والابنة على أن تحرر بونسي بعض الالماعات وتوقعها باسم "ايلواز الثانية."

وفي ٢٨ ديسمبر (كانون الاول) ١٩٧٧ توفيت ايلواز الام عن ٥٨ عاماً بسبب مرض في القلب. وفي تلك الليلة أخذت بونسي قرارها النهائي: أن تحمل اسم والدتها وتكمل رسالتها.

وديفيد، السمكري الخارق، هو الزوج المثالي لمحررة الزاوية، فهو يساعدها على إخضاع الالماعات للاختبار، وخصوصا تلك المتعلقة بالمطبخ أو بالحمام. وفي المنزل الذي صمماه، لكل منهما حمامه المستقل ومغسلته المستقلة في المطبخ. وتقول ايلواز: "إذا كانت لديكم مغسلة واحدة، فإن زوجك يزعجك لا محالة بوقوفه دوماً قرب مرفقك بحجة انه يريد شيئاً من الخزانة تحت المغسلة."

مناظرة ورق الحمّام. وقفتُ وايلواز في صالة عرض كبرى في سان لويس يحوطنا ٣٠٠ كشك فيها مغاسل ومصابيح مثبتة وجميع أدوات التنظيف التي يتصورها عقل، للاستعانة بها في الشرح. إنه معرض السمكرة، الحدث الكفيل باجتذاب أكثر من ٥٠ ألف شخص في عطلة نهاية الأسبوع.

لم يسع ايلواز أن تتحرك من دون أن يوقفها معجبون ويطلبوا توقيعها. وغالباً ما كتبت لهم: "قبلات وضمّات من ايلواز." وحمل معظم لقاءاتها غفراناً لنساء يشعرن بالذنب. اعترفت إحداهن:

إلى الأمهات المشغولات

١. ما لم تكوني من اللواتي يخربن الفراش كل ليلة، فيمكنك مثلي أن ترتبي سريرك قبل أن تنهضي منه. إجلسي وسط السرير وشدّي الشراشف والبطانيات والغطاء حولك، ثم سوّي الطيات. انزلقي عن أحد جانبي السرير ثم أكملي الترتيب بالطريقة التي تعجبك.

٢. حين تلمين الاشياء من غرفة تعمّها الفوضى، إحملي كيس نفايات أو سلة مهملات لجمع الاغراض التي تودين التخلص منها. أما الاشياء التي تنتمي الى غرفة أخرى فضعيها كلها قرب الباب ثم انقليها جميعها مرّة واحدة.

٣. لنفض الغبار، استعملي طريقة مزدوجة. بلّلي جوربين قديمين أو قفازين من القطن بسائل التنظيف وأدخلي يديك فيهما وانزعي الغبار بيديك الاثنتين.

٤. لتنظيف بلاط جدران الحمّام بسرعة، احملي كدسة من مناشف الورق وزجاجة رشاشة من سائل تنظيف زجاج النوافذ. اعملي من أعلى الى أسفل. بدّلي المناشف واحتفظي بالمبلل منها لتنظيف الأرض.

٥. طريقة سريعة لإزالة البقع من المرحاض هي أن تلقي فيه بضعة أقراص من دواء تنظيف الاسنان الاصطناعية. دعي الاقراص ترغي وتبقبق، ثم نظفي المرحاض بالفرشاة وشدّي "السيفون".

٦. لتنظيف مصارف الماء من الشعر والشحم اللذين يسدانها، اسكبي فيها كوبا من صودا الخبْز (بيكربونات الصودا) وأتبعيه بكوب من الخل. وفيما الصودا والخل يرغيان، ادفقي فوقهما ماء ساخناً جداً.

٧. لتسهيل التنظيف بعد خَبْز المعكرونة بالجبنة أو البطاطا بالصلصة أو فطائر اللحم، غطي صينية الخَبْز بورق الالومنيوم (ان كنت تستخدمين فرنا عاديا وليس فرن الموجة الصغرى "ميكروويف". بعد العشاء انزعي ورق الالومنيوم ولن تجدي بين يديك وعاء يتطلب فركا لنزع الطعام الملتصق.

٨. وفري وقتا ومالا بتخطيط وجبات الطعام للاسبوع كله قبل التحوج. التحوج لاسبوع كامل يغنيك عن المشاوير الصغيرة الى الدكان التي تستهلك الوقت. كما أن الوجبات المخططة تثنيك عن شراء حاجات غالية بدافع نزوة طارئة، وتريحك من هم القرار اليومي في شأن العشاء.

٩. لتجنب الوقوف في طوابير طويلة، تحوّجي في الصباح الباكر من يوم سبت (أو خميس اذا كانت عطلة الاسبوع يوم جمعة) أو في أي وقت آخر تلاحظين أن المتجر غير مكتظ مثل مواعيد البرامج التلفزيونية الرائجة أو المناسبات الرياضية.

"انني أنهار أمام شغل المنزل." فعلقت ايلوان: "كلنا يحتاج الى عطلة. وحسن أن تنسي شغل المنزل أحياناً وتهتمي بنفسك."

كلمتها أمام جمهور من ٤٠٠ شخص مزيج من الالماعات والنوادر المضحكة. قالت كمن يأتمن الآخر على سر عظيم: "تلقيت رسالة من قارئة تتضمن طرقاً لتنظيف زجاجات إرضاع الاطفال. كتبت: عزيزتي ايلوان، عندما أغلي حلماتي..." وهنا اختفى صوتها وسط ضحكات الحضور. ثم تابعت: "في رسالة أخرى

كتبت قارئة: عزيزتي ايلوان، قبل ايام، كنت في المطبخ أرش كبدي بالطحين..." وعندما نصحت بوضع النفايات المبللة في حجرة التجليد في الثلاجة داخل أكياس نايلون مقفلة لئلا تنتشر رائحتها في انحاء البيت، دوّن بعض الحاضرين ملاحظات. وهي أضافت اليها محذّرة: "اكتبوا على الاكياس كلمة "نفايات" لئلا تخطئوا وتستخدموها لتحضير الحساء."

في منتصف كلمتها توقفت قليلا لتسأل الجمهور: "من منكم يعلّق محارم الحمّام حول البكرة لجهة الخلف، ومن منكم يعلّقها الى الامام؟" نصف من في القاعة ضج صارخا: "الى الخلف!" فيما ضج النصف الآخر: "الى الامام!" وكل فريق يحاول أن يبز الآخر صراخا.

وسألت ايلواز كيف تعلق هي محارم الحمام، فأجابتني: "بالطريقتين." وأضافت ببرودة كفيلة بضمان استمرار ايلواز كما هي لأربعين أو خمسين سنة أخرى: أحاول ألا أنهمّ لهذه الامور."

يان ياربو ■



وداوني بالتي...

كنت أنتظر في الصف في مكتب الضمان الاجتماعي عندما دخل عجوز وتقدم مبسرعا الى المنضدة وقال للموظف: "لدي شهادة تخولني الا انتظر في الصف، و...".

فقاطعه الموظف قائلا: "حسنا، اذهب وقف مع الآخرين هناك."

فاحتج العجوز: "لكنني قلت لك..."

فالح الموظف: "ذلك هو طابور الاشخاص الذين لا يتوجب عليهم الوقوف في الصف."

من في المنزل؟

قصد زوجي بيت احد زبائنه لكي يقبض أجرة الشهر عن تسليم الحليب. وقرع الجرس، فأتاه الرد: "دقيقة من فضلك." ولكن لم يأت أحد الى الباب. فقرع الجرس ثانية وصاح هذه المرّة: "بائع الحليب!" وسمع مجدداً: "دقيقة من فضلك."

ولم يدرك زوجي الا بعد محاولته الثالثة انه كان يكلم الببغاء!

الأنيس هو من يصغي مبتسماً الى أمر يعرفه يخبره إياه امرؤ لا يعرفه.

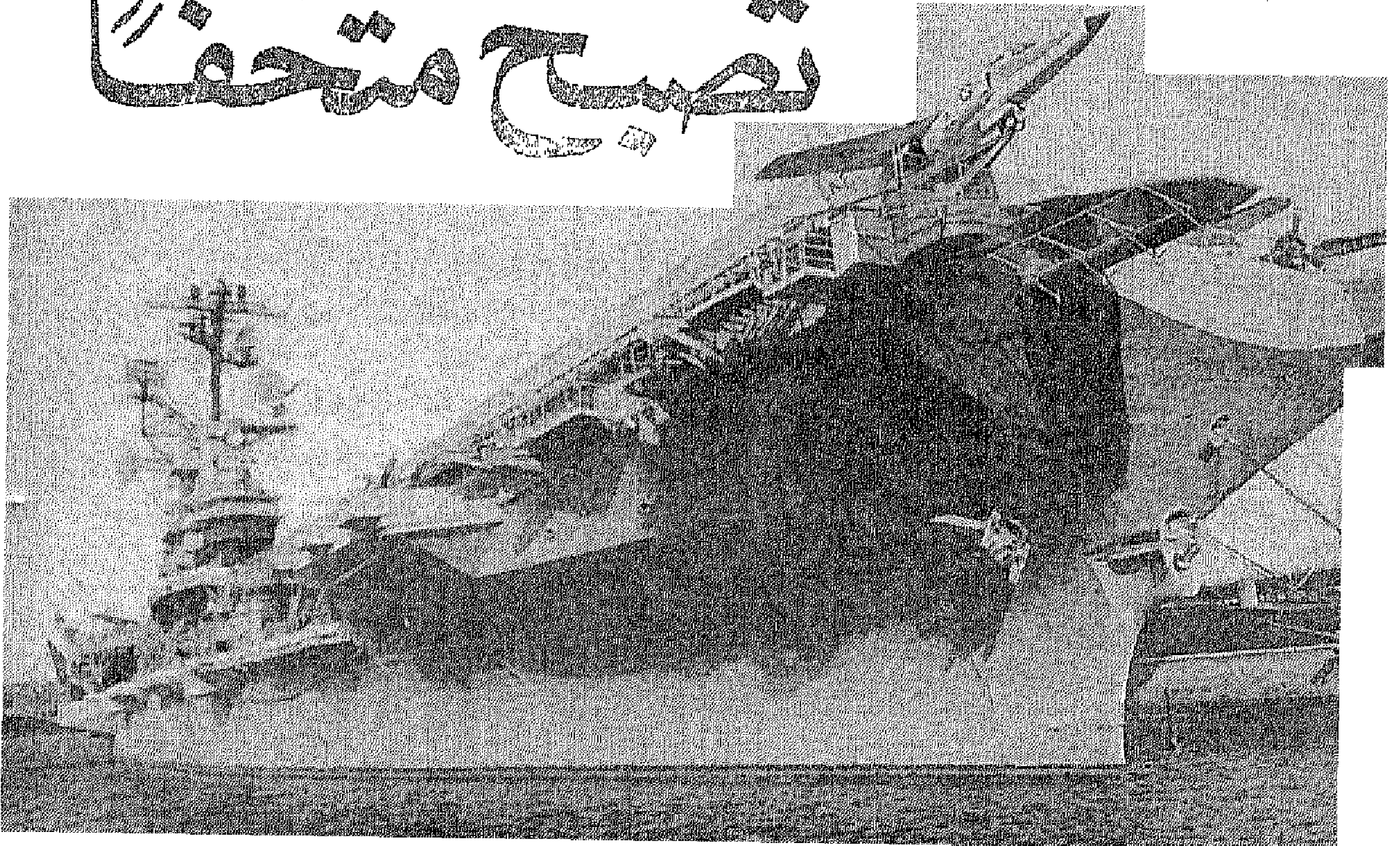
ا.ك.

خَدمَتْ طوال ٣٠ عاماً ببسالة وامتياز، وحاربت في معركة خليج ليت التي تُعتبر واحدة من أهم المعارك البحرية، وساعدت، هي وطياراتها، في إغراق الـ"موساشي" وهي واحدة من اكبر بارجتين حربيتين يابانيتين. كما أغرقت أو عطلت ٢٨٩ سفينة عدوة أخرى، ودمرت أكثر من ٦٠٠ طائرة حربية. ويُعتقد أنها كانت هدفاً لهجوم الكاميكاز (الطيارين اليابانيين الانتحاريين) اكثر من أي حاملة طائرات أمريكية أخرى، كما فقدت أكثر من ٣٠٠ شاب في المعارك. وخدمت لاحقاً في فيتنام، واستردت كبسولتي الفضاء "اورورا ٧" و"جيميني ٣."

على رغم ماضيها المجيد حُكم على "أنتربيد" بتحويلها مكب نفايات في العام ١٩٧٦ باعتبارها حاملة طائرات قديمة العهد في سلاح بحري عصري متطور. وهنا تقدّم مواطن هادىء يدعى زكاري فيشر لانقاذها من مصيرها المحتوم. لقد امتلأت نفس هذا البنّاء النيويوركي بالنقمة إذ سأل نفسه: كيف تكون لمثل هذه السفينة العظيمة نهاية كئيبة كهذه؟

يحب زكاري فيشر أن يردد أنه وُلد مع بداية الطيران البحري عام ١٩١٠ عندما أقلعت أول طائرة من الحاملة الامريكية "برمنغهام." وعندما بلغ السادسة عشرة

حاملة طائرات تصبح متحفاً




زكاري فيشر

من عمره قطع دراسته الثانوية ليساعد والده وأشقاءه في حقل البناء. بدأ عمله في رصف القرميد، ونال بطاقة عضوية نقابية. وعندما بلغ التاسعة عشرة رقي الى مراقبة العمال.

لكن ركبة فيشر أصيبت بأذى جسيم من جراء حادث، لذلك حين هاجمت اليابان مرفأ برل هاربر في ٧ ديسمبر (كانون الاول) ١٩٤١، لم يقبله الجيش الأمريكي في عداده، مما قضى نهائياً على أمله أن يخدم بلاده في الحرب. وفي سعيه الى الخدمة في مجالات أخرى، ساعد سلاح الهندسة الحربية في بناء التحصينات الشاطئية.

مضت أعمال العائلة في ازدهار بعد الحرب. وانخرط فيشر وزوجته اليزابث في إغاثة جرحى الحرب، وساهما في تمويل "شبكة أسرَّة المحاربين القدامى"، التي أتاحت لجرحى الحرب في المستشفيات فرصة كتابة البرامج واخراجها وتمثيلها وبثها من موقع الى آخر.

اشتهر فيشر بأنه رجل يتذكر حين ينسى الآخرون، وكان هذا سبب دعوته الى فطور حضره عشرون من رجال الأعمال البارزين صباح ٣٠ نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٧٨. في هذا الاجتماع تحدث لاري سوفنسكي، وهو مؤلف ومؤرخ بحري، عن المصير الذي يتهدد "انتربيد." وأعرب عن اعتقاده بامكان تحويل السفينة متحفاً فضائياً وبحرياً لمدينة نيويورك يضم معروضات تاريخية وتقنية. وفيما كان فيشر يشاهد شريطاً بالأبيض والأسود عن أفعال "إنتربيد"، تذكر الشبان الذين قضوا في لهب النار والدخان وما عنته شجاعتهم لمواطنيهم. فتساءل: هل يسعني تنفيذ مثل هذا المشروع الضخم؟ وهل أستطيع، وأنا في الثامنة والستين من عمري، أن أراه يبصر النور؟ الله العليم. اني أود ذلك.

"متحف انتربيد." مضى فيشر يرافقه سوفنسكي الى فيلادلفيا حيث كانت "إنتربيد" تتأكل منذ الاحتفال المئوي الثاني بالاستقلال عام ١٩٧٦. وكان السبيل الوحيد لبلوغ متنها عبر سلم ضيق شديدة الانحدار. ولما عجز فيشر عن تسلق السلم بسبب ركبته المصابة، حمله سوفنسكي القوي على ظهره وصعد به.

غاص قلب فيشر في صدره عندما بلغ متن السفينة، إذ لم ير حوله سوى طلاء متقشر وأضرار بفعل عوامل الطبيعة والاهمال.

حدَّث نفسه: إني بنَّاء. ثم شد كتفيه الى الوراء وراح يستعيد ذكريات

"انتربيد" ويسرِّح خياله في طبقاتها السبع الزاخرة بالتاريخ الحيّ قبالة أفق مانهاتن الساحر. ووعد نفسه: سأنقذ "انتربيد" ولن يثنيني شيء عن عزمي.

تمثلت المعضلة الأولى في شطب "انتربيد" من سجلات سلاح البحرية، إذ لم يسبق أن نُقلت ملكية حاملة طائرات الى مؤسسة خاصة. والى ذلك كان على فيشر أن يثبت قدرته المالية. واجتازت ثروته الخاصة الامتحان، وقد صنفتها مجلة "فوربس" بين الثروات الأربعمئة الكبرى في البلاد. لكن نقل الملكية كان يستوجب موافقة الكونغرس الامريكي.

وفي ٢٧ فبراير (شباط) ١٩٧٩ ولدت "مؤسسة متحف انتربيد" كشركة لا تتوخى الربح. وبعد ٢٦ شهراً وافق الكونغرس على نقل ملكية "انتربيد" الى المؤسسة.

الرحلة الأخيرة. ما إن انجزت المعاملات حتى واجه المشروع تحدياً آخر في ما خص قوانين الأبنية في مدينة نيويورك. يقول فيشر متبسماً: "لقد اعتبرت الانظمة إنتربيد مبنى ممدداً على جنبه في الماء. وهو أمر غير عملي." فالمدينة لم تلحظ في قوانينها أي تصنيف لجدار فولاذي يحمل مدافع.

وإضافة الى ما قدمه فيشر وآخرون من تبرعات خاصة، اقتضى تمويل المشروع بيع سندات والحصول على قرض من المدينة. لكن الاكتتاب لن يبدأ قبل "إرضاء" قوانين الأبنية في نيويورك.

ولحسن الحظ رأى رئيس بلدية نيويورك ادوارد كوش في "إنتربيد" حجر الزاوية لمخطط تطوير غرب المدينة. فأمر بترميم الرصيف ٨٦ الممتد في نهر هدسون كمرسى جديد للسفينة.

وأخيراً وافقت مدينة نيويورك على تعديلات في قوانين السلامة تنطبق على جميع السفن المستعملة كأبنية عائمة.

وفي يناير (كانون الثاني) ١٩٨٢ باعت المؤسسة سندات بلغت قيمتها ١٤،٢ مليون دولار معفاة من الضرائب. وحصلت على قرض حكومي بواسطة سلطات مدينة نيويورك بقيمة ٤،٥ ملايين دولار.

وفي شهر فبراير (شباط) قُطرت "انتربيد" من فيلادلفيا الى مَسْفن "هوبوكن" في نيوجرزي لترميمها.

لكن التعديلات المطلوبة كانت جسيمة وحالت دون إتمامها في موعد الافتتاح المقرر في أوائل الصيف، كما فوّتت الحشود المحتفلة بعيد الاستقلال يوم ٤ يوليو (تموز) والتي عوَّل عليها فيشر والمؤسسة. وأسوأ من ذلك أن التكاليف تراكمت على نحو هائل.

وفي يونيو (حزيران) صعد زكاري فيشر واليزابث فيشر ولاري سوفنسكي الى متن حاملة الطائرات "إنتربيد" لتنطلق في رحلتها الأخيرة.

استغرق قطع مسافة ١١ كيلومترا ست ساعات ونصف ساعة وسط أمطار غزيرة عبر الخليج الاعلى (أپر باي) دخولا في مصب نهر هدسون وصولا الى الرصيف وسط مانهاتن. لقد أراد ركابها الثلاثة أن

يكونوا جزءاً من تلك الرحلة الأخيرة. يقول فيشر: "أصبحت إنتربيد حياتي."

مَعْلم تاريخي. تقرر افتتاح "متحف إنتربيد البحري والفضائي" يوم ٤ أغسطس (آب) ١٩٨٢، وقُدِّر رواده للسنة الأولى بمليون زائر حضر منهم ٧٨٠ ألفاً فقط. وانتهت السنة المالية الاولى بعجز بلغ ٣،٥ ملايين دولار. لكن فيشر مضى يسدد الفواتير غير مبال، وقال لمندوب صحيفة "نيويورك تايمز": "لن يُقفل هذا المتحف أبداً."

جدَّد فيشر قرض مدينة نيويورك ونال مساعدات من رجال الأعمال المحليين وتابع مد المشروع بأمواله الخاصة. وبمساعدته غدت أموال المتحف كافية لتغطية مصاريف العمل. لكن المتحف واجه أوقاتاً صعبة حين بلغت خسارته في السنة المالية المنتهية في أبريل (نيسان) ١٩٨٥ مليون دولار إضافة الى ٢،٧ مليون دولار فوائد مصرفية.

ولكن حين ارتفع عدد الرواد عام ١٩٨٥ اعتلى فيشر منصة الطيران وأعلن ثقته بقدرة المتحف على الاستمرار. وهو بنى آماله على صيف ١٩٨٦ اذ كان منتظراً أن تستقطب احتفالات إعادة تكريس تمثال الحرية في نيويورك ملايين الزوار.

وتبسم الحظ مبكراً عندما أُعلنت "إنتربيد" من المعالم الوطنية التاريخية. كما أنها شاركت في احتفالات الذكرى المئوية الأولى لتمثال الحرية.

شعر فيشر بسعادة لا توصف وهو يرى عدد زوار المتحف من الاطفال يزداد باطراد. فراح يراقبهم في قاعة رواد الفضاء وهم يصغون الى معلومات عن إقلاع أول طائرة من منصة حاملة الطائرات الامريكية "برمنغهام." وتبعهم الى قاعة التكنولوجيا حيث توالوا على لمس كبسولة فضائية.

وفي قاعة البحرية راقب فتى وفتاة وهما يشاهدان شريطاً على شاشة عريضة كان هو ساعد في انتاجه، حول العمليات الجوية على متن حاملة الطائرات النووية الامريكية "نيميتز."

وتوهج وجها المراهقين حماسة لدى مشاهدتهما التزاوج الرائع بين التكنولوجيا والتفاني البشري. ثم عادت إليهما الرصانة وهما يجوبان قاعة الشرف المخصصة لحملة "أوسمة الشرف"، أولئك الرجال الذين عُرفوا ببسالة تتجاوز حدود الواجب.

قصص بطولة. يزور المتحف على الدوام رجال حاربوا على متن "انتربيد"، أمثال ألونزو سوان (٦٤ عاما)، يفدون ليروا مشاهد من المعارك التي حصلت يوم ٢٩ أكتوبر (تشرين الأول) ١٩٤٤.

ويروي العرض قصة هجوم الكاميكاز حين كان سوان و٢١ من رفقائه يشغّلون المدافع المضادة للطائرات مركزين على أجنحة الطائرات الانتحارية وأذيالها.

رمى الطيار قنبلته في البحر قبل الأوان، لكن الطائرة مضت مندفعة نحو منصة الطيران، وأصاب جناحها المتبقي مربض المدفعية العاشر راشاً البحارة

بالوقود الذي تحول في لمحة خاطفة لهباً حارقاً تسبب في مقتل عشرة منهم. وأصيب سوان بحروق خطرة وجروح شظايا، لكنه عاش ليواجه هجومات أخرى عامي ١٩٤٤ و١٩٤٥. وبعد استسلام اليابان عادت "إنتربيد" ببحارتها وبأسرى حرب شاكرين.

وجال سوان في السفينة مع ابنه وحفيده، وأراهما لوحة تذكارية تشهد على بطولة طاقم مربض المدفعية العاشر، وأشار برفق الى اسمه وأسماء رفقائه الذين سقطوا في ذلك اليوم.

أصبحت "إنتربيد" في أمان وتحقق حلم فيشر. وهو وقف يراقب العَلَم يعلو فوق سارية السفينة، وناطحة السحاب "أمباير ستايت" تتلألأ قبالته. وجالت في ذهنه أفكار. قال في نفسه: "على مدى السنوات الآتية، وبعد سنين وسنين من رحيلي عن هذه الدنيا، ستبقى هذه السيدة المقاتلة صامدة لتخبر أحفادنا قصصاً عن الواجب والشرف والايمان، عن الأمل والشجاعة والفخر، عن الحنان والتضحية والثبات."

جون كالهين ■



أمير الاحلام

أخبرتُ زملائي في العمل بعزمي على زيارة "عالم ديزني" خلال عطلتي السنوية. فأعربت احدى الزميلات عن رغبتها في العيش هناك: "تصوروا كم هو جميل أن أعيش في أرض الخيال وان توقظني في الصباح قبلة امير وسيم."

فقلت متباهياً: "هذا ما يحدث لزوجتي كل صباح."

فسألت زميلتي مازحة: "حقا؟ وكيف تسمح انت بذلك؟"

ج.م.

عصفور ودودة

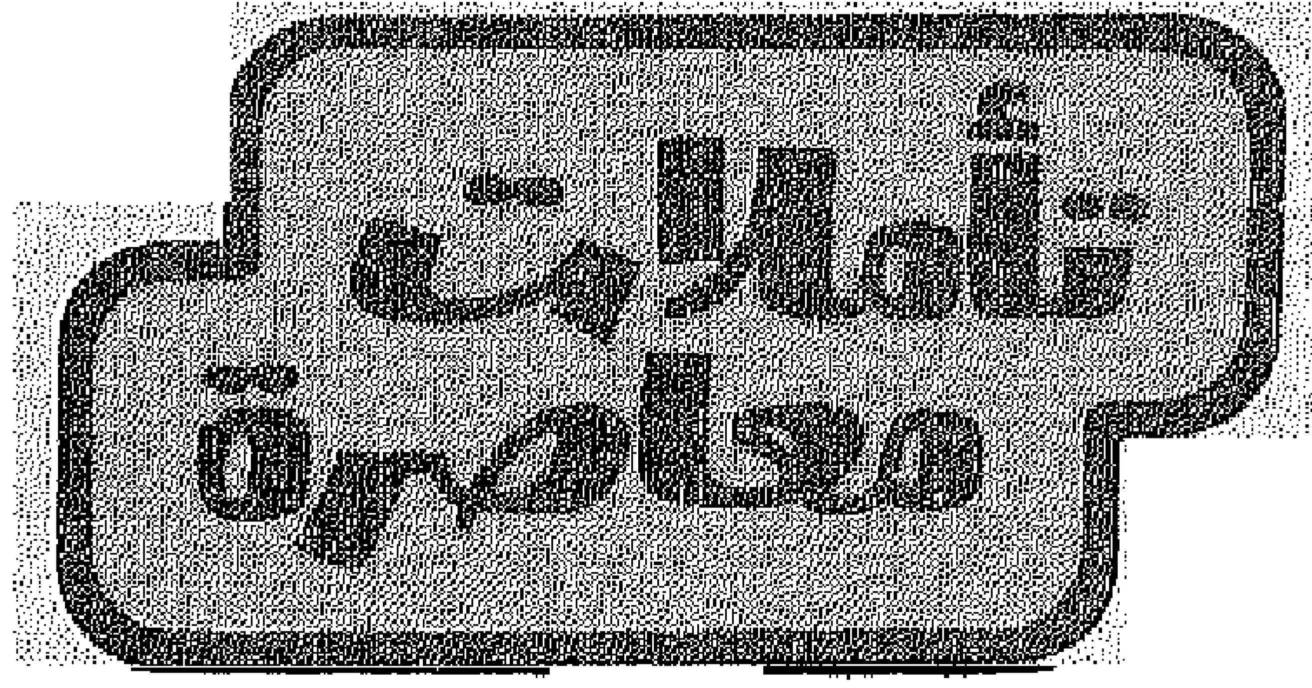
لأختي ولدان، صبي في التاسعة وبنت في السابعة. وقد حاولت يوماً ايقاظ حب الطبيعة فيهما، فأخبرتهما انها رات ذلك الصباح عصفوراً يسحب دودة بمنقاره من الارض، تماماً كما في الرسوم المتحركة. وسألتهما: "اليس ذلك رائعاً؟"

فردت ابنتها: "رائع؟ أخي يفعل ذلك دائماً."

ج.ل.م.

لا حدود لما يستطيع مدير انجازه إن هو أقنع الآخرين بالعمل.

ك.ك.



الشهرة والعظمة

■ لا تخلطوا بين الشهرة والعظمة. فكثيرون من حاملي الألقاب في عالم اليوم اكتسبوا الشهرة والثروة عن غير استحقاق.
ما أكثر العظماء المغمورين الذين التقيتهم في حياتي. فالعظمة، في اعتقادي، مقياس لنفسية الشخص لا نتيجة لمرتبته في الحياة. ولا أحد يستطيع منح العظمة، فهي انجاز وليست ثمناً. وقد تتوج العظمة رأس بوّاب مثلما تتوج رأس صاحب منصب مرموق.

شرمان فاينسلفر، قاض امريكي

موت مؤلف

■ أفضل نعي هو نعي مؤلف الاغاني. فعندما يموت أحد المؤلفين وتقرأ في الصحيفة لائحة الأغاني التي ألّفها، تشعر على الفور بارتباط عاطفي معه. وتنفذ العناوين الى أعماقك فتتجاوب معها متذكراً المرة الاولى حين سمعت هذه الاغنية أو تلك. ربما كان ذلك خلال لقائك الأول مع الحبيب، أو في حفلة تخرجك في المدرسة الثانوية، فتسترجع ذكرياتك مع الأغاني كمن يقرأ فصول سيرته الذاتية.

ا.غ.

أوهام السعادة

■ الممتلكات التي يسعى الناس الى الحصول عليها قد تفسد العيش وترهق الكاهل. فالمنزل الضخم مثلا، وهو من علامات النجاح، لا يجلب السعادة. فكلما كبر حجمه ازدادت الانابيب التي قد تنفجر والجدران التي قد تتشقق وورق الجدران الذي قد ينزعه الاولاد.
امام منزلي مرجة خضراء فسيحة. ويقول اصدقائي إنني محظوظ لأن هناك مكاناً للاولاد يلعبون فيه. لكنني لست أكيداً من ذلك. فقد انفقت خمسين دولاراً ثمن أسمدة اذ لم تعجبني خضرة العشب، فاضحى لدي الآن موسم فائض من الاعشاب الضارة، وبات علي شراء مبيد لها. وعندما تذوي سوف اقلب التربة وأسوّيها وانظفها من النبات القديم ثم انثر فيها بذور العشب وأغطيها بالقش. بعد ذلك يبدأ الريّ. وخلال هذه العملية الطويلة لن أسمح للاولاد باللعب في المرجة.

صامويل بيكرنغ

نهر في المدينة

■ أمر رائع أن يمر نهر في مدينة. فأي جسم مائي يشبه تنهيدة ارتياح في الحوار المديني الذي لا ينقطع. وكل ما يحول نور الشمس نجوماً مائية يمنّ براحة وشفاء على العيون المتعبة من رؤية الأرصفة والازدحام.
حتى من بعد؛ يضفي النهر سلامه. ومنظر المياه في الصباح ينسي المدينيين أنفسهم فينشطون بعد انقباض. لعلّه يذكرهم بنظرتهم الاخيرة الى البحر.
المدينة رائعة، لكن النهر يضفي على الأشياء أبعاداً أجمل.

ا.د.

سيرة جرّاح ترعرع في الشارع

تحوّلت السكين بين أنامله الرشيقة من أداة للقتل الى مبضع ينقذ الحياة

نظر بن كارسون الى خريجي العام ١٩٨٨ في مدرسة جنوب غرب ديترويت الثانوية بولاية ميشيغن في حفلة التخرج يوم ٩ يونيو (حزيران). وكان كارسون في السادسة والثلاثين من العمر وقد بات جراح أعصاب بارزاً يُجري جراحات دقيقة منقذة. وهو تخرج قبل ١٩ سنة في المدرسة إياها التي تقبع في ناحية مهملة من وسط المدينة تقطنها أقليات فقيرة. وتذكّر الظروف القاسية في حي هو من الأعنف والأفقر في ديترويت. وخالجه إحساس العارف باليأس والقنوط اللذين يغمران نفوس هؤلاء الخريجين المئتين والستين في تطلعهم الى المستقبل.


PHOTO ... MICHAEL MALLY / MEDICHROME

لقد أمضى كارسون الأسابيع الاخيرة حائراً في طريقة لاقناع الخريجين بقدرتهم على 'النجاح، هم أيضا، في مقارعة أضداد تبدو مستحيلة. وأخيراً اعتلى الطبيب منصة الخطابة بقامته المديدة وبنيته الناحلة ملوحا بيديه وأصابعه الطويلة الدكناء الناعمة، وسأل الطلاب: "أترون أصابعي هذه؟" ثم تابع: "أنا لم أستعمل هذه الاصابع دوماً في الجراحة. فحين كنت أصغر منكم سناً، حملت سكيناً هددت بها الناس. ومرة حاولت قتل أحد الأشخاص."

فشهق الطلاب غير مصدقين.

ترعرع بن واخوه الاكبر كورتيس في مسكن أرضي ضيق متداع على مقربة من المدرسة. وكانت أمهما صونيا التي تزوجت وهي في الثالثة عشرة من عمرها وطلّقت حين بلغ بن الثامنة من عمره، تتنقل بين عملين وأحيانا ثلاثة أعمال بأجور زهيدة. وكانت تحلم بحياة أفضل لولديها وتُلقي على أسماعهما كثيراً من الأشعار والحكم الملهمة. إلا أن ابنيها لم يحققا نجاحاً في الدراسة بادىء الأمر، خصوصاً بن الذي كانت علاماته متدنية جداً حتى انه حين حصل مرة على علامة دون المعدل قليلا في الحساب لمع بصيص أمل في عيني معلمته وقالت له مشجعة: "إنه لتقدم ملموس يا بن!"

عرفت صونيا كارسون أن ابنها بن كان ذكيا ولكن يعوزه الحافز على النجاح، فأعلنت ذات يوم: "منذ الآن، لن أسمح لكما الا بمشاهدة برنامجين تلفزيونيين في الأسبوع. وعليكما أيضا مطالعة كتابين أسبوعيا على الاقل وتلخيصهما لأتحقق من قراءتكما اياهما."

كره بن المطالعة أول الأمر، ثم اكتشف تدريجا عالما جديداً من الامكانات. ولم يمض وقت طويل حتى بدأ يقرأ بشراهة كتباً زادت على العدد الذي حددته أمه، وصار لا يقوى على الانتظار لاشراكها في متعتهما.

دأبت الأم على مراجعة ملخصات الكتب باهتمام بالغ. وكان بن يبتسم برضا وأمه تقول له: "إنه لعمل جيد يا بني." ولكن ما لم تقله الأم لولديها هو أنها لا تحسن القراءة لتركها الدراسة وهي في السنة الابتدائية الثالثة.

نقطة تحول. ذات يوم أعلن بن: "أماه، حين أكبر أريد أن أصبح طبيبا في بعثة إغاثة دولية كي أزور بلداناً بعيدة وأشفي الناس."

ابتسمت صونيا عالمة أن بن لا بد قرأ كتاباً عن أعمال الإغاثة، وقالت: "في قدرتك أن تكون ما تريد. أطلب العون من الله عز وجل، فان ساعدت نفسك ساعدك."

ومع ارتسام الهدف، حلّق بن من الحضيض الى قمة صفه، مما أذهل أساتذته. وبقي أمر واحد لم يستطع التغلب عليه، ألا وهو طبعه النزق الحاد. فلقد كان يغلي غضبا لغياب والده وللمشقات التي تواجه والدته وللحياة التى لا أمل فيها في محيطه.

وفيما كان ذات يوم عائداً الى منزله، تشاجر مع رفيق له وهاجمه طعناً بسكين

ضرب نصلها حزام الفتى المعدني فهرب مرتعباً.

وقف بن مصعوقاً، وخاطب نفسه: "كدت أقتل إنساناً!" وعاد الى منزله بخطى متعثرة وقد تملكه دوار، وصعد السلم، ثم حبس نفسه في غرفة الحمام حيث جلس ساعات الى حافة حوض الاستحمام مأخوذاً بما فعل. وبعد تفكير عميق قرر أنه اذا أراد تحقيق حلمه في أن يصبح طبيبا يشفي الناس، فعليه شفاء نفسه اولا. فركع مصلياً: "يا رب، أزل من نفسي الغضب."

أخبر أمه لاحقاً بحادث الهجوم بالسكين وبالتماسه العون من الله، فاحتضنته قائلة: "كل ما عليك فعله هو التماس العون من الله." وللمرة الأولى في حياته شعر بن بسلام يغمره.

لا شيء يخسره. تخرَّج بن عام ١٩٦٩ ثالثا في صفه، ونال منحة دراسية مكنته من الالتحاق بجامعة ييل في نيوهافن بولاية كونيتيكت. وهناك التقى كاندي روستن التي تزوجها بعد ثلاث سنوات. وبعد ييل حصل على منحة لدراسة الطب في جامعة ميشيغن في آن آربر. وبعد فترة قضاها جراحاً عاماً متمرناً، التحق بمستشفى جونز هوبكنز حيث مكث خمس سنوات كجراح أعصاب مقيم.

وفي العام ١٩٨٣ انتقل وزوجته كاندي الى غرب أوستراليا حيث أصبح كبير جراحي الأعصاب المقيمين في "مركز كوين اليزابث الطبي"، وهو من أكبر مراكز جراحة الدماغ في أوستراليا.

وبفعل ضغط العمل الشديد اكتسب كارسون خلال ١٢ شهراً خبرة كانت أقتضته سنوات في أمريكا. وفي العام ١٩٨٤ عاد الى مستشفى جونز هوبكنز حيث عُيِّن مديراً لقسم جراحة أعصاب الأطفال وهو في الثالثة والثلاثين من عمره.

وبعد أشهر، في يناير (كانون الثاني) ١٩٨٥، واجه كارسون واحدة من أولى الحالات التي بدت مستعصية، اذ أدخل الى المستشفى طفل في الرابعة من عمره يشكو من ورم سرطانيّ في عنق الدماغ. وكان الأطباء اعتبروا أن إجراء جراحة لاستئصال الورم أمر غير ذي نفع. أما والد الطفل فقال لكارسون: "نحن على ثقة بأنك تستطيع إنقاذه."

وعندما أجرى كارسون الجراحة في اليوم التالي، تأكدت أسوأ مخاوفه بأن الورم السرطانيّ انتشر الى درجة حالت دون رؤية عنق الدماغ. فاستأصل الورم ما أمكنه ذلك، ثم أخبر والدي الطفل النبأ المؤسف قائلا بلطف: "أخشى أن هذا هو كل ما يسعني فعله."

وبعد أيام فوجيء الجميع بتحسن حال كريستوفر. فأمر كارسون باجراء تخطيط للدماغ ليفاجأ برؤية عنق الدماغ بادياً كطيف.

بعد ثلاثة أسابيع أجرى كارسون للطفل جراحة ثانية، واستطاع هذه المرة أن يستأصل الورم الخبيث طبقة طبقة حتى بان عنق الدماغ سليماً معافى.

وشفي كريستوفر تماما، مما دفع كارسون الى الاستنتاج الآتي: إذا كانت

الجراحة لا تترك المريض في حال أسوأ مما لو تُرك المرض يستشري من دون كبح جماحه، فليس هناك ما نخسره من اجراء الجراحة، إذ من الممكن انقاذ المريض في هذه الحال.

وفي ٨ أغسطس (آب) ١٩٨٥ أجرى كارسون جراحة جريئة ومثيرة للجدل على مارندا فرنسيسكو (٤ سنوات) التي كانت تعاني نوبات عصبية بلغت ١٢٠ نوبة في اليوم بحيث لا يفصل بين الواحدة والأخرى ثلاث دقائق أو أربع. وكان جانبها الأيمن مشلولا لاصابتها بالتهاب دماغي مزمن نادر[١] اذا ترك على مداه تسبب في تلف دماغي خطير.

وخلال جراحة استغرقت عشر ساعات، استأصل كارسون النصف الأيسر المصاب من دماغ مارندا. وبعد ستة أشهر استعادت الطفلة اللعوب، الصعبة المراس، قدرتها شبه الكاملة على استعمال ذراعها وساقها اليمنيين، كما تعافت تماما من النوبات. ويبدو أن الجانب الأيمن من دماغها تولى وظائف الجانب الأيسر، مما أتاح لها أن تتابع تحقيق حلمها في أن تصبح باليرينا (راقصة باليه).

الامتحان الأخير. سرعان ما امتلأت جدران عيادة كارسون بصور الأطفال الذين أنقذ حياتهم. وهو استحق كذلك ثناء الآباء والامهات الذين كالوا له المديح والتقدير لعطفه واهتمامه. وغدا، وهو في الخامسة والثلاثين من عمره، أحد صانعي عجائب الطب الحديث، ومرجعاً يقصده الجراحون من أصقاع الأرض طلباً للنصح والمشورة.

وفي أبريل (نيسان) ١٩٨٧ وصل الى مستشفى جونز هوبكنز طبيب من ألمانيا الغربية ومعه سجلات توأمين سياميين[٢] حديثي الولادة اسمهما باتريك وبنيامين بيندر. كان للوليدين دماغان منفصلان، ولكن عند مؤخر رأسيهما حيث اتصلا، كانت شرايينهما مشتركة. وقد رفضت الأم التضحية بأي منهما لانقاذ الآخر، فيما لم يتوصل الأطباء الى وسيلة أخرى لانقاذ الموقف. ففي حالات كثيرة تمّ فيها فصل توأمين متصلين عند مؤخر الرأس، كان أحدهما يعيش ويموت الآخر أو يبقى حيا يعاني تلفا خطيراً في الدماغ مرده، جزئيا، الى النزف الحاد.

استنبط كارسون خطة يمنح فيها التوأمين أفضل فرصة للنجاة. وقضت الخطة بايقاف قلبيهما وافراغ الاوعية الدموية من الدم وعدم معاودة تنشيط الدورة الدموية إلا بعد فصل التوأمين. قال كارسون بعد مداولات طويلة مع الدكتور دونلن لونغ رئيس دائرة جراحة الأعصاب: "في وسعي القيام بذلك."

استغرقت الجراحة ٢٢ ساعة وتطلبت فريقا من ٧٠ شخصا. وبعد أيقاف قلبي التوأمين وافراغ أوعيتهما من الدم، لم يبق أمام كارسون سوى ساعة واحدة لفصل الشرايين المتضررة والمتشابكة. عمل بسرعة وكفاية حتى واجهته معضلة مستعصية: الاوعية التي تنقل الدم من

(١) Chronic encephalitis, Rasmussen's type
(٢) التوأمان السياميان يولدان ملتصقين خلقة.

دماغ كل من الطفلين الى قلبه كانت متشابكة الى حد لم يتوقعه.

بدأت الشكوك تراود كارسون في قدرته على انقاذ الطفلين. ثم سمع صدى يتردد في رأسه: "الله قادر على إنقاذك دوما من كل موقف صعب يضعك فيه."

فتحركت أنامل الجراح رشيقة تسبر دماغي الطفلين. وبعد عشرين دقيقة من إيقاف الدورة الدموية، أكمل كارسون مرحلة التقطيع، وانتقل وفريقه الى العمل في الدقائق الاربعين المتبقية على وصل الأوردة واقفال رأس باتريك. وقام الدكتور لونغ وفريقه بعمل مماثل على بنيامين. ولم تمض الساعة المحددة إلا وقد انفصل التوأمان كليا، وجُرَّت طاولتا العمليات منفردتين.

خرج الدكتور كارسون الى غرفة الانتظار والبهجة تفيض من محياه على رغم الارهاق، وسأل الأم: "أياً منهما تودين مشاهدته أولا؟"

كلمة مؤثرة. جلس طلاب مدرسة جنوب غرب ديترويت الثانوية بصمت يصغون الى بن كارسون وهو يسرد رحلته من ابن شارع أرعن الى جراح أعصاب طبقت شهرته الآفاق. قال: "اعلموا أن هناك طرقا عدة تسلكونها. وما بلوغ مرتبة جراح أعصاب بأمر يصعب تحقيقه. فكل ما تحتاجون اليه هو التصميم والانضباط الذاتي. لكنكم لستم مضطرين الى أن تصبحوا جراحي أعصاب. فهناك فرص كثيرة تنتظركم في كل مكان. عليكم فقط أن تكونوا على استعداد للافادة منها. فكروا في عظائم الأمور، وتطلعوا الى العلاء، لأن أحداً لم يولد ليكون فاشلا. فإن خامرتكم رغبة في النجاح وعملتم بكدٍ وجهد وعناء، فالنجاح حليفكم."

وصمت لحظة ملتفتا الى حيث كانت أمه جالسة في المقاعد الأمامية. لقد كانت دوما ملهمته. وهي تعلمت القراءة بتشجيع منه، واستحقت في النهاية الشهادة الثانوية.

قال كارسون مختتما كلمته: "أود رفع الشكر إلى الله، وإلى أمي، للنجاح الذي حققته."

وهنا وقف الخريجون يصفقون بحماسة على مدى خمس دقائق.

بعد الاحتفال احتضنت صونيا كارسون ابنها بقوة، وقالت له: "لقد صحّ القول يا بني ونلت مبتغاك. حقاً تستطيع أن تكون ما تريد!"

كريستوفر فيليبس ■

رفيقان

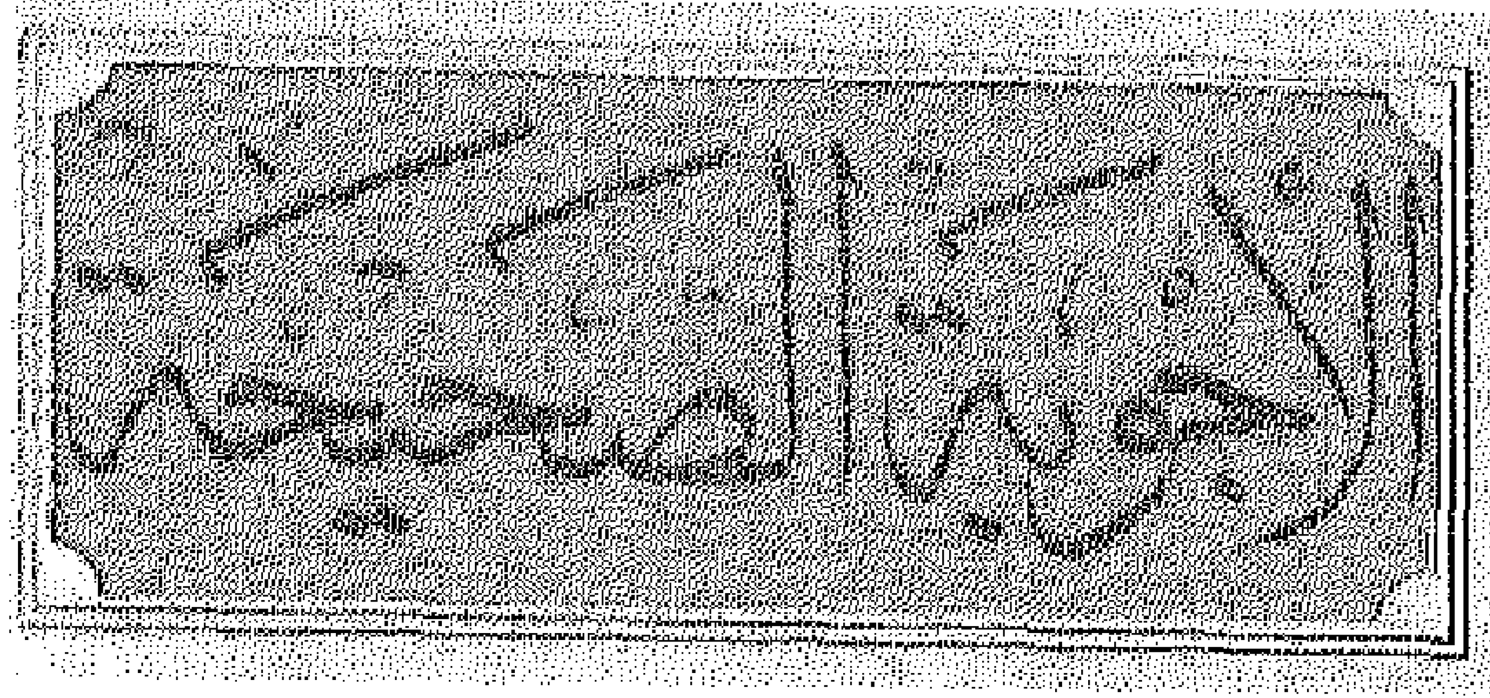
كنت أتأمل السلع المعروضة في متجر للاواني الخزفية، عندما تقدمت موظفة من عجوز واقف بالقرب مني وسألته: "هل ساعدك أحد يا سيدي؟" فنظر الرجل بحنان الى زوجته الواقفة في ناحية أخرى من المتجر وأجاب: "طوال ثلاثين عاماً!"

ج.ن.



تتضمن أسماء العرب معاني الحسن والقوة والصفات الحميدة. وكثير منها، على جماله، لم يعد مألوفاً. هنا أسماء عربية قديمة. وقد وضع أمام كل اسم أربعة معان، واحد منها صحيح. والمطلوب من القارىء أن يختار المعنى الذي يعتبره مناسباً، ثم يقلب الصفحة ليحصل على الأجوبة ويقيس مستواه.

١. **ربيعة**: ريح ربيعية – روضة – قبيلة – ابنة أربعة أعوام.
٢. **زُهْرة**: حُسن ورونق – شباب – وردة – حَوَر العينين.
٣. **سنان**: رأس – أعوام – أسنان – نصل الرمح.
٤. **أُنَس**: أعزب – من تأنس به – انسان – حديث النهار.
٥. **خديجة**: وليدة قبل تمام الأيام – جريحة – مَصُون – قنوعة.
٦. **رَيْث**: لوم – مطر خفيف – إبطاء – فهد.
٧. **صَفْوان**: مخلص – شارد الفكر – مرتاح – صاف.
٨. **هالة**: خاصرة – شعر الرأس – حسناء – دارة القمر.
٩. **مَليكة**: حبيبة – مملوكة – صاحبة مُلك – طفلة.
١٠. **بشير**: قريب – مبلِّغ البشرى – مسرور – حظ حسن.
١١. **عَلاء**: رفعة وشرف – جبل – نفاد صبر – عرش.
١٢. **خَنساء**: شقراء – طويلة القامة – جارية – بقرة وحشية.
١٣. **صقر**: سيِّد – قائد – من الجوارح – طائر خرافي.
١٤. **عُرْوة**: ثوب – ما يوثَق به – صلة – عرين الاسد.
١٥. **زَيْد**: عطاء – زيادة – كرم الاصل – طعام السفر.
١٦. **سُكَيْنة**: أتان – سكون الليل – خنجر – دار صغيرة.
١٧. **مُصْعَب**: عنيد – طريق وعرة – صدر – فحل.
١٨. **سامة**: حمامة – خيزرانة – قامة – علامة في الوجه.
١٩. **سموأل**: حصن – بيت كريم – ظل – ولد الثعلب.
٢٠. **عَوْف**: أسد – اعتداد بالنفس – سماح – جوع شديد.
٢١. **نفيسة**: من يُرغب ويُتنافس فيها – درّة – ابنة – حياة.
٢٢. **وَرْقاء**: غابة – دنيا – صبية ناحلة – ذئبة.
٢٣. **مَعْن**: ينبوع – طويل – ثاقب النظر – أصيل.
٢٤. **ناجية**: مغنية – نائحة – ناقة سريعة – كلمة عتاب.
٢٥. **غَيْداق**: كريم – وسيم – بليغ – مختال.



١. **ربيعة**. روضة. والربيعة ايضاً حجر تُمتحن بإشالته القوى، وبيضة الحديد يلبسها الفارس في الحرب.
٢. **زُهْرة**: حسن ورونق وبياض جميل. الزُّهَرة: كوكب سيّار شديد اللمعان يكون طوراً "نجمة الصبح" وطوراً "نجمة المساء" وقد سمّاه العرب "العُزّى."
٣. **سنان**: نصل الرمح. والسنان أيضا المِسَنّ.
٤. **أنَس**: مَنْ تأنس به. والأنَس أيضا الجماعة الكثيرة.
٥. **خديجة**: وليدة قبل تمام الايام.
٦. **رَيْث**: إبطاء. والريث أيضاً مقدار المهلة من الزمن، يقال "وقف ريثما صلّينا" أي مقدار ما صلينا.
٧. **صَفْوان**: صافٍ. والصفوان أيضاً الصخر الأملس.
٨. **هالة**: دارة القمر، وأصل الكلمة يوناني. الطُفاوة: دارة الشمس.
٩. **مَليكة**: صاحبة مُلك. المَلَكوت: العز والسلطان والمُلك العظيم.
١٠. **بشير**: مبلِّغ البشرى وهي الخبر المفرح. تباشير الصبح: أوائله.
١١. **عَلاء**: رفعة وشرف. العَلْياء: كل مكان مشرف، ورأس الجبل، والسماء، وخلاف السفلى.
١٢. **خنساء**: بقرة وحشية. والخنساء أيضا التي تأخر أنفها عن وجهها مع ارتفاع في الارنبة. والرَّجُل أخنس.
١٣. **صقر**: طائر من الجوارح. والصقر أيضاً عسل الرُّطَب والزبيب، واللبن الحامض جداً، والماء الآسن، والضرب بالعصا، واشتداد الحر.
١٤. **عُرْوة**: ما يوثق به. والعروة أيضا ما يعوَّل عليه، والشجر الملتف، والنفيس من المال، وما يدخل فيه الزر. جمعها عُرى.
١٥. **زَيْد وزِيْد**: زيادة.
١٦. **سُكَيْنة**. اتان، وهي أنثى الحمار. السُكَيْن: الحمار الخفيف السريع.
١٧. **مَصْعَب**: فحل. والمصعب أيضا الفرس لم يُركب فصار صعباً.
١٨. **سامَة**: خيزرانة. والسامة أيضا الموتة، والسبيكة من الذهب أو الفضة. جمعها سام.
١٩. **سَمَوْأل**: ظِلّ. والسموأل فارس وشاعر جاهلي يضرب به المثل في الوفاء، فيقال "أوفى من السموأل."
٢٠. **عَوْف**: أسد، لأنه يتعوَّف في الليل أي يتلمس الفريسة. والعوف أيضاً الذئب، والديك، والحظ، والضيف. أبو عوف: ذكر الجراد. أم عوف: أنثاه.
٢١. **نفيسة**: التي يُرغب ويُتنافَس فيها. يقال "مال نفيس." وضد النفيس الخسيس.
٢٢. **وَرْقاء**: ذئبة. والورقاء أيضا الحمامة، وشجرة لها ورق ناعم مدور واسع وهي غبراء الساق، ومؤنث الاورق. والاورق هو الرمادي اللون. يقال "عام أورق" أي لا مطر فيه، و"زمان أورق" أي جَدْب.
٢٣. **مَعْن**: طويل، قصير، وهي من الاضداد. مَعَن بالحق مَعْناً: جحده، أقرّ به، وهي أيضاً من الاضداد. والمعن أيضا كل من انتفعت به، والذل، والكثير والقليل (ضد)، والهين اليسير، والكثير المال والقليل المال (ضد)، والماء الظاهر المنكشف.
٢٤. **ناجية**: ناقة سريعة تنجو بمن ركبها. والناجية أيضا الخالصة.
٢٥. **غَيْداق**: كريم جواد. والغيداق أيضا المُخصِب. غَيْدَقَ المطرُ: كثر.

المستوى

٢١ - ٢٥ : ممتاز
١٤ - ٢٠ : جيد جدا
٩ - ١٣ : مقبول

دعي طفلك ينمو مع سيريلاك



سيريلاك

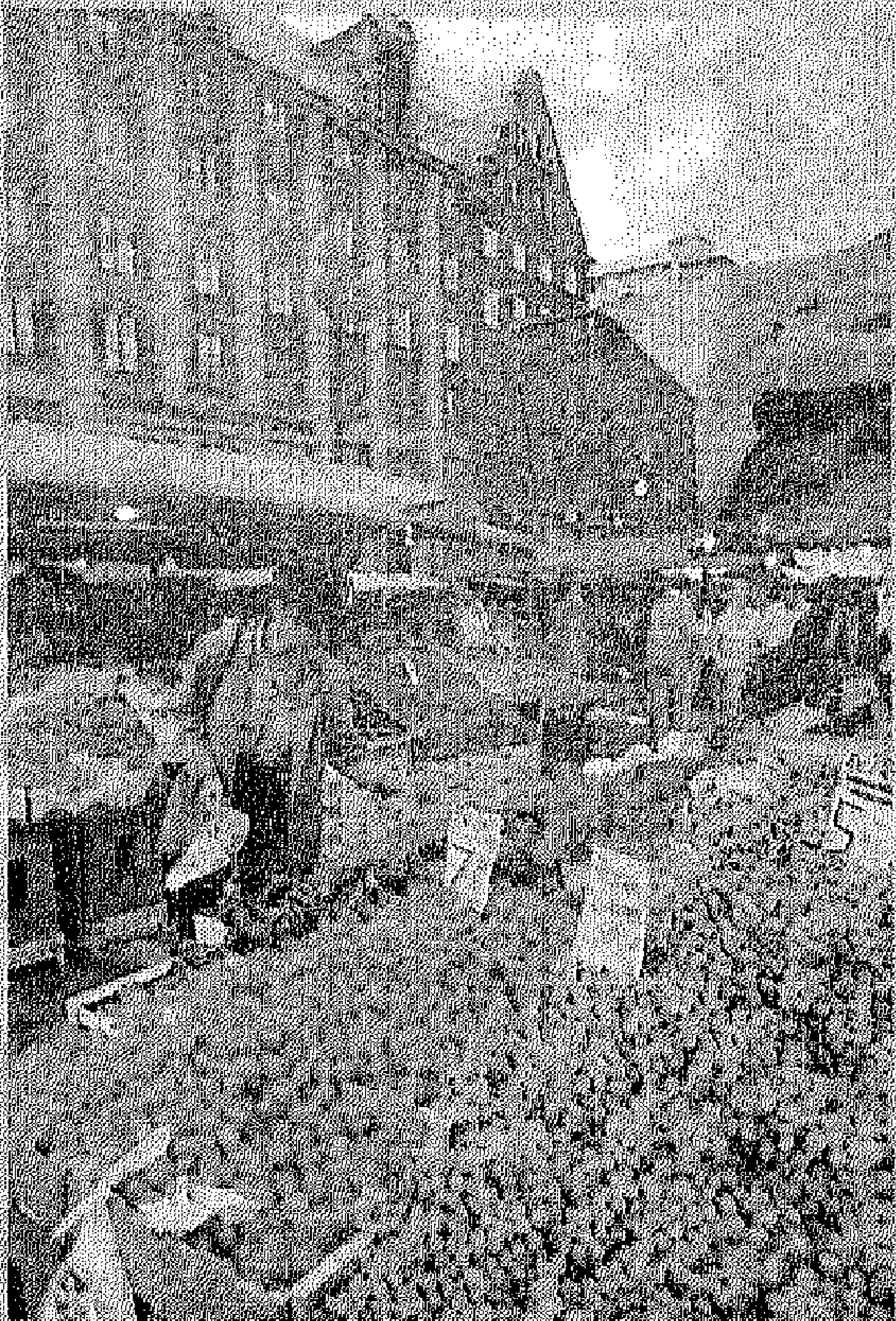
الطعام الأول لطفلك بالملعقة

عندما يبلغ طفلك شهره الرابع ،
لا يعود الحليب وحده يكفيه .
عليك بوجبة من سيريلاك .
سيريلاك متوفر بعدة أنواع تلائم مذاق
طفلك . سيريلاك يحتوي على العناصر
الغذائية الأساسية التي تؤمن
لطفلك نموا متناسقا
وسليما .

Nestlé

تضمنه
نستله

استوكهولم



NIK WHEELER

جزائر منتثرة
في مياه البلطيق تشكل أجمل المدائن
في أوروبا الشمالية

يأتي الربيع الى استوكهولم عجلاً؟ فتطول الأيام سراعاً وتنعم المدينة بالدفء والنور. وترف الاشجار المصطنعة على الشوارع بالخضرة، وتنبثق الاعشاب والزهور من الارض الصقعة في المتنزهات. وتدوّم أطواف الجليد تحت الجسور منفية إلى بحر البلطيق السريع التدفئة.

وينشط سكان المدينة بعد خدر طويل فتسترخي الوجوه التي ظلت أشهراً تواجه المطر والثلج والبرودة القارسة، وتشخص الى فوق حيث الشمس. فتغمض العيون وقد استطارها الفرح. أما الاصوات التي كانت تشي بتحيات مقتضبة فغدت الآن مشحونة بأشواق الاتصال بالغير. وتعود الضحكات الى المقاهي والمطاعم. فأجمل مدن أوروبا الشمالية تنهض من سباتها الشتوي.

وللربيع تأثيره العاطفي في الروائي والفنان ستيغ كلايسون الذي صوّر مسقط رأسه بحب في كتبه ولوحاته على امتداد ٤٠ عاماً. ومن كلماته: "انه حدث رائع

ROBERT EVERTS TSW



١. محطة للسكك الحديد
٢. مكتب البريد المركزي
٣. مبنى البرلمان القديم
٤. مركز السياحة
٥. المحطة المركزية
٦. المسرح الملكي
٧. متحف بلاد الشمال
٩. المتحف البحري والمتحف التقني وبرج كاكناس
١٠. متحف فازا
١١. متحف الفن الحديث
١٢. سالتسيوبانار
١٣. المكتبة الملكية
١٤. دار الموسيقى
١٥. دار الاوبرا الملكية
١٦. المتحف الوطني
١٧. القصر الملكي
١٨. الكاتدرائية
١٩. ريدارهولم
٢٠. المبنى البلدي
٢١. سكانسن

للأسوجي، اذ تسرع ظلمة الشتاء الرهيبة في الرحيل، وكأن خرقة قديمة ترفع عن ناظريك. فيبدو كل شيء جديداً."

ويا له من مشهد!

استوكهولم نسيج جامح من ١٤ جزيرة مأهولة وأراض برية مثلمة ونحو اثنتي عشرة جُزَيِّرة صخرية يربطها نحو خمسين جسراً. وأراضيها التي تشبه أحجية صور مقطعة تخرقها المياه في كل مكان، وتتخللها متنزهات وغابات تتيح للطبيعة النفاذ الى صميم المدينة.

وأسوج، أو السويد، هي في اللغة الاسوجية "سفيريج"، والكلمة مشتقة من "سفي ريك"* أي مملكة شعب السفي الذي عاش على الشطآن الحرجية المفروشة بالجلاميد على ضفاف بحيرة مالارن قرب الموقع الذي تقوم عليه استوكهولم اليوم. وقد حملت قسوة المناخ وجدب التربة شعب السفي وسواه

(*) Sverige مشتقة من Svea rike.

من الاقوام الاسكندينافيين على التحول إلى حياة الفايكنغ الذين أبحروا في مراكبهم الطويلة قبل ألف سنة ونيف في رحلات ملحمية بهدف السلب والنهب. ثم ولّى عصر الفايكنغ فتحول أبناء السفن تجاراً مسالمين وأرسوا قواعد استوكهولم نحو العام ١٢٥٠.

ويروى أن التجار الاثرياء، عقب استباحة القراصنة احدى المستوطنات القصية على شواطىء بحيرة مالارن، أخفوا كنزاً في جذع شجرة أطلقوه على الماء ينساق على غير هدى. ولدى رسوه في احدى الجزر، أنشأوا استوكهولم ("ستوك" تعني جذع شجرة و"هولم" جزيرة صغيرة) بقصد حماية مداخل مالارن والمستوطنات التجارية في البر. ويعد المؤسس الفعلي للمدينة رجل اسمه بيرغر يارل، وهو سياسي ومحارب من القرن الثالث عشر، اقيم له نصب مشرف من مبنى البلدية.

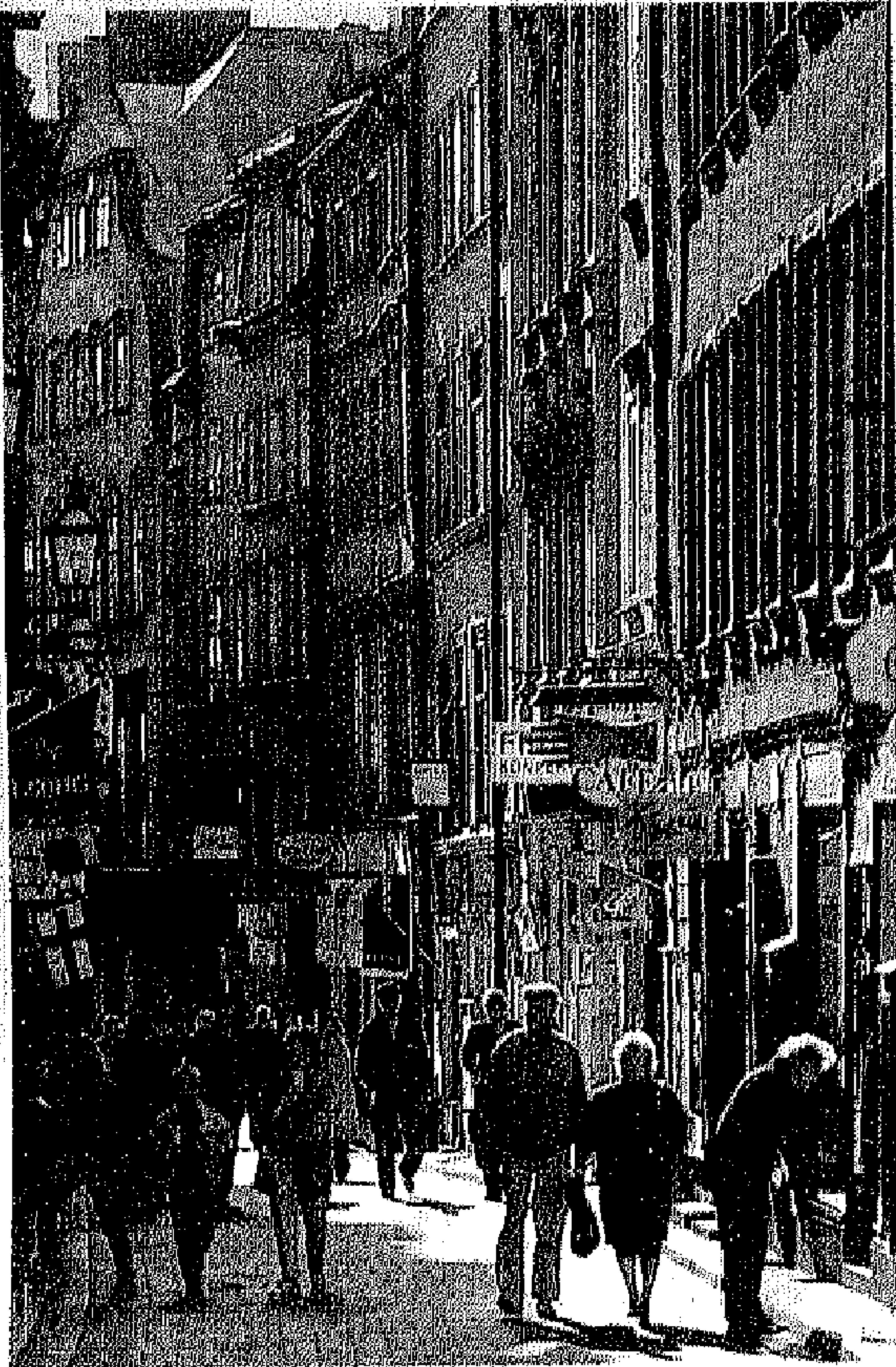
البطلة العجوز. يقطن في استوكهولم ٦٧٠ ألف نسمة، تربطهم بسكان ضواحيها المليون شبكة من الطرق الواسعة والسكك الحديد والقطارات الجوفية (مترو). والعاصمة الاسوجية خلو من الاحياء الفقيرة. ويقول رئيس بلديتها ماتس هولت: "سحر استوكهولم مستمد من أنها مجتمع صغير مغلق نسبياً."

غير أن استوكهولم كبيرة الى حد كاف يؤهلها لتكون مركزاً دولياً. ففيها دار للاوبرا و٢٥ مسرحاً و٦٠ داراً للسينما و٦٤ متحفاً و٨٥ مكتبة عمومية وأربع صحف يومية. وتكثر فيها أسباب الراحة والمتعة ويسودها الامن. وفي المتنزهات العامة تترك الامهات أطفالهن مع الخدم ويذهبن للتسوق.

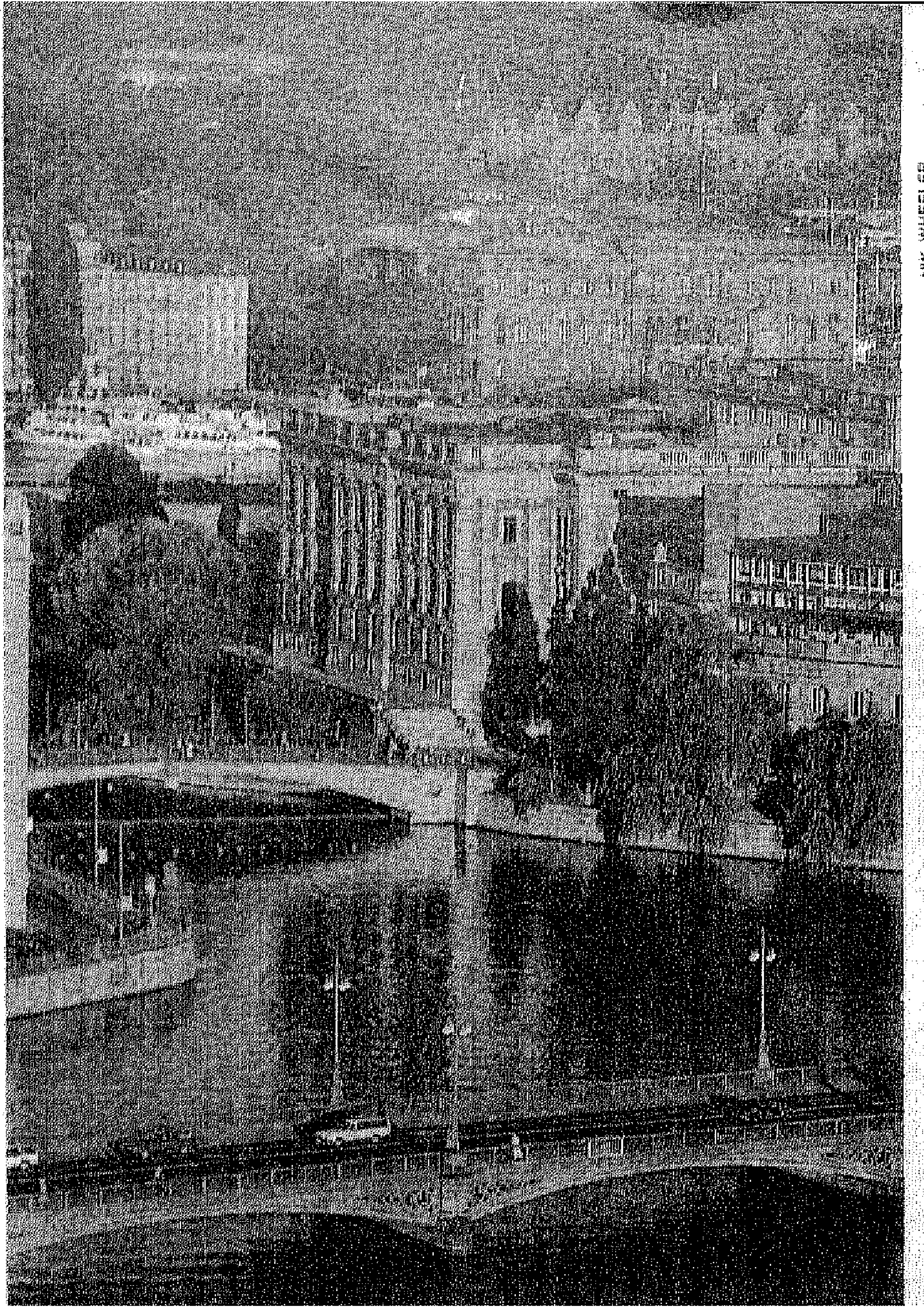
ومحطات المترو، باستثناء قديمها، مجهزة لعبور كراسي المقعدين وادخالها المصاعد والممرات المتحركة. ولاضفاء البهجة على تلك المحطات تزدان جُدُر الصوان والسقوف بقرميد مزخرف ومنحوتات زاهية.

وان رغبت في المشي، فلك أن تنطلق من المركز التجاري إلى معظم الاماكن التي تهمك في ساعة أو نحوها. وستلاحظ على طول الدرب أن شوارع المدينة تنظف يومياً. ويفخر رئيس البلدية هولت

NIK WHEELER



مشاة في احد شوارع غاملا ستان



جسور تربط اجزاء
العاصمة المانية

ببيئة مدينته: "لقد بلغ من تنظيفنا مياهنا أنك تستطيع السباحة والصيد فيها." وثمة مسابح شعبية ضمن المدينة. ومن الجسور المشرفة على سترومن يشاهد الصيادون يسحبون أسماك السلمون بالصنانير. ويقول الصياد اليوغوسلافي ميرساد بيكوفيك وهو مهاجر الى البلاد على غرار عُشر سكان استوكهولم: "لا يحدث هذا الا في عواصم معدودة."

القلب التاريخي للمدينة هو غاملا ستان (المدينة القديمة) التي بنيت حيث لفظ البحر جذع الشجرة الاسطوري على شط جزيرة صغيرة وسط سترومن (التيار) حيث تتدفق مياه بحيرة مالارن العذبة الى بحر البلطيق الخالي من المد والجزر.

في هذه المحلّة المرصوفة بالحصى، ذات الأزقة الضيقة، رمم كثير من المباني الحجرية التي ترقى إلى ما بين ٢٠٠ و٤٠٠ سنة خلت، وبعضها مائل قليلا. وقد رممت بنفقة كبيرة، مما جعلها أحد الاحياء الراقية في استوكهولم اليوم. وتتباهى المنطقة بمطاعمها "القبويّة" الذائعة الصيت وهي متاهات من الحجرات المقنطرة تحت الشارع تقدم فيها أطعمة فاخرة في جو حميم هادىء.

"عميدة" غاملا ستان عجوز مرحة في السادسة والسبعين اسمها فيرا سيوكرونا، قادت في باكورة الاربعينات من هذا القرن "المقاومة" المحلية ضد هدم أربعة مجمعات من مباني القرون الوسطى بهدف اقامة مكاتب حكومية. وقد ساعد الاحتجاج الشعبي على تأسيس "جمعية المحافظة على مساكن غاملا ستان" وهي منظمة تعارض مشاريع التطوير.

جميع مباني غاملا ستان اليوم في حمى قوانين صارمة. وتشرف سيوكرونا، التي لا تزال عضواً بارزاً في الجمعية، على جولات سياحية في المنطقة. وقد تقطع شرحها للسياح بتحية ترسلها عبر البوق الى صديقة قديمة تطل من شباك في احدى الطبقات العلوية. ثم تعود الى مستمعيها قائلة: "غاملا ستان في استوكهولم لا تزال مكانا نحيا فيه ونحب ونموت."

متع للنظر. تقع غاملا ستان في ظل القصر الملكي، وهو بناء ضخم من الصوان والقرميد استغرق انجازه الفترة الواقعة بين العامين ١٦٩٧ و١٧٥٤. وقد تعرض قصر سابق لحريق أتى عليه، وهو أحد الحرائق التي كانت تجتاح المدينة في فترات زمنية شبه منتظمة. ويعتمد القصر اليوم للاحتفالات والمناسبات الرسمية. وتقيم عائلة الملك كارل السادس عشر غوستاف في ما كان المقام الرسمي الصيفي، أي قلعة دروتننغهولم التي تقع على ضفة بحيرة مالارن وتبعد عن المدينة نحو نصف ساعة بالقارب.

وفي القصر ٦٠٨ حجرات على نمط الروكوكو المزخرف، تحوي مجموعة لا تثمن من اللوحات والنسائج المطرزة البديعة. وعدد كبير منها مفتوح للجمهور. وفي قبو تحت القصر تُعرض المجوهرات الملكية وهي مجموعة تبهر الانفاس من التيجان الملبسة بالدرر والصوالج وأدوات أخرى تستعمل في الاحتفالات. ويؤوي قبو آخر الاسلحة الملكية، حيث تصفّ السيوف والدروع ورايات الحرب. والى جانبها جواد مطهّم ومحنّط تماماً هو الجواد الذي امتطاه الملك غوستافوس الثاني أدولفوس يوم وفاته في ساحة الوغى عام ١٦٣٢. وعلى مقربة منه خمس عربات خيل ملكية تواكبها تسجيلات لوقع حوافر جياد.

ويتردد صدى خبب الجياد في سمعك اذ تعبر الجسور مشياً إلى كبرى الجزائر في أرخبيل العاصمة واسمها سودرمالم والى جزيرتين صغيرتين هما ريدارهولمن (جزيرة الفرسان) وهيلغندشولمن (جزيرة الروح). وصرح القرميد في جزيرة

ريدارهولم يعود الى القرن الثالث عشر وهو المثوى الاخير للسلالة الملكية في أسوج عبر القرون. وفي هيلغندشولمن ينتصب مبنى البرلمان.

وعبر سترومن من هيلغندشولمن يقع وسط المدينة التجاري. وقبالة رصيف الميناء تلوح دار الاوبرا الملكية الانيقة، حيث يتوق شباب اليوم الى الاقتداء بنجوم أسوجيين أمثال يني ليند ويوسي بيورلنغ وبيرجيت نلسون. وفي مبنى الاوبرا ناد ومطعم يدعى "مقهى الاوبرا"، وتحت سقفه البديع الذي تزينه رسوم جصية قد يلتقي الرواد لاعبي كرة المضرب الشهيرين بيورن بورغ وماتس فيلاندر. وفي رونق الـ"أوبرا كالارن" يتلذذ المرء بالرفاه والهدوء في مطعم راق. وحين يخيم الظلام تضاء مصابيح الغاز الخافتة على امتداد واجهة مبنى الاوبرا، فينبسط أمام ناظريك مشهد بديع للقصر ومبنى البرلمان.

يتقوس رصيف الميناء مكتنفاً المتحف الوطني، موئل مجموعات أسوج من الفنون والتصاميم الرائعة، بما فيها أعمال الايطالي فيرونيز والفلمنكي روبنز والهولندي رامبرانت وغيرهم من كبار الفنانين الهولنديين والفرنسيين. ثم يمضي الرصيف في محاذاة ستراندفاغن وهي طريق عامة مزدحمة ترسو قبالتها السفن الشراعية. ومع أن هذه المنطقة لا تزال قلب العاصمة، فان صيحات النوارس وقعقعة حبال الصواري على الرصيف في عشايا الصيف هي مفارقة طريفة مع ضوضاء السير.

اغراء البحر. استوكهولم في الصيف مدينة للحياة الخارجية حقاً. فما يزيد على ربع مساحتها البرية محجوز للمتنزهات والبقاع الخضر. وذلك أجلى ما يكون في جزيرة ديورغاردن التي تفصلها المياه عن ستراندفاغن. ومدينة الملاهي فيها تجعلها من المواقع المقصودة بغزارة. لكن ما يجذب الجموع حقاً هو سكانسن التي تضم حديقة حيوانات وأول متحف في الهواء الطلق في العالم. وقد أسس المدينة عام ١٨٩١ العالم بفقه اللغة وبالأجناس البشرية ارتور هازليوس لحماية الفن المعماري والحرف التي سادت في أسوج في الفترة السابقة للعصر الصناعي. وقد أنقذ هازليوس مباني في أرجاء البلاد من الهدم وأعاد تجميعها ذخيرة للاجيال المقبلة في واحة خضراء مرتفعة تطل على استوكهولم.

تنتشر سكانسن اليوم على مساحة ٣٠ هكتاراً وتحوي ١٥٠ مبنى، منها قصر اقطاعي من القرن الثامن عشر ومكتب خشبي للبريد يرجع الى قرن مضى. وثمة مزرعتان كاملتان، يرجع تاريخهما الى القرنين السادس عشر والسابع عشر، وصيدلية من القرن الثامن عشر، ومدبغة للجلود شيدت عام ١٨٠٤.

وفي مصنع قديم للزجاج، يسخن غوران هامار خليطاً من الرمل والصودا والطبشور والبوطاس حتى يبلغ درجة لزوجة الشراب المركّز. وفيما النظارة يراقبون، يعمد ومساعدَيْه الى ازالة الكتل المصهورة بأنابيب حديد جوفاء، وينفخونها فتصبح زهريات. وفي أعلى

الطريق المرصوفة بالحصى ما زال هانز هيلمر (٧٧ عاما) يعتمر قلنسوة مخملية كالتي يلبسها معلّمو حفر الفولاذ، ويواصل الحرفة التي تلقاها عن أبيه وسيورثها بدوره إلى ابنه البكر.

يؤم سكانسن نحو مليوني شخص سنويا من أنحاء العالم. وقد غدت مثالا تحتذيه متاحف التراث الشعبي في العالم. ولها دلالة خاصة لدى أهالي استوكهولم، اذ يقصدها كثيرون منهم بغية العودة الى أصولهم الريفية. وفي "عشيـة منتصف الصيف" تحيـن المناسبة التي يحتفى بها في البلاد في أواخر شهر يونيو (حزيران) حين تكاد الشمس لا تأفل أبداً. فيرقص الأهالي حول ساريات مزينة بالأزاهير على أنغام الكمان والاكورديون.

وتمتلك ديورغاردن تذكاراً ودليلا على أن القوة البحرية لأسوج لم تنته بأفول عصر الفايكنغ. فعلى شط البحر، داخل متحف جديد خاص، تُعرض الـ"فازا" السفينة الحربية السليمة الوحيدة في العالم التي تعود الى القرن السابع عشر. وقد أمر الملك غوستافوس الثاني أدولفوس ببنائها إبان تأهبه لزج أسوج في حرب السنوات الثلاثين، لكن الرحلة اليتيمة للسفينة في ١٠ أغسطس (آب) ١٦٢٨ لم تدم سوى دقائق. فأمام عيون الحشود الهاتفة على رصيف الميناء، عصفت الريح بأشرعة السفينة فانقلبت وغرقت حاملة الى القاع ٥٠ ملاّحا و٦٤ مدفعاً. وقد ظلت ممددة في قاع المرفأ ثلاثة قرون. ثم اكتشفها الخبير في تاريخ البحرية أندرز فرانزن عام ١٩٥٦، وانتشلت عام ١٩٦١. وبدأت المهمة الجليلة لترميمها. واستكمل العمل في المتحف القابع على الواجهة المطلة على الماء.

البحر في استوكهولم يومىء مغرياً. وأفضل الاوقات مساء صيف تركب فيه واحدة من عشرات المعدّيات الصغيرة البيضاء الراسية امام القصر الملكي. فتنساق بك على نحو حالم مبتعدة عن أبراج غاملا ستان وسقوف بيوتها الى مئات الجزر في الأرخبيل الاسوجي. في ليلة كهذه يبحر القبطان سفانت غيغن الذي يشي كل ما فيه بأنه بحار: لحيته السوداء وعيناه الداكنتان المتأهبتان وزيـه الرسمي الانيق. انـه قبطان "بليدوسوند" أروع المعديات التي تنقل أهل المرح في رحلات المتعة.

في رحلة الاياب يستريح المهندس مارتن نوربي من حرارة غرفة المحرك فيما تلوح تخوم غاملا ستان مجدداً في الأفق، والسماء خلف القصر الملكي الضخم تخططها غمامة حمراء. يقول المهندس: "المدن الاخرى تلفّك وتخنقك، أما استوكهولم فتفتح أمامك آفاقا رحبة."

هذه الآفاق إما تفضي بك إلى المؤثرات الحضارية لبلدان جنوب أوروبا واما تشدك تلبية لنداءات جامحة لمحيط الشمال وغاباته. واستوكهولم قابعة باتزان بين الوجهتين، حورية شمالية صافية العينين. انها المدينة الطافية على الأمواه.

كريستوفر موسي ■

بورتيناري



صور العائلة زوجة الفنان المخلصة ماريا
وابنه الوحيد جواو كانديدو

JOÃO CANDIDO PORTINARI COLLECTION

PORTINARI PROJECT

عملاق الفنّ البرازيلي

تجسد لوحاته حياة الاغنياء والفقراء وتبرز الاصالة البرازيلية

دعي لقصر قامته "عملاق الرسم البرازيلي الصغير." والآن بعد انقضاء ربع قرن على وفاته لم يعد هذا الاسم منطبقاً على كانديدو بورتيناري، لقد تعاظم الرجل فأصبح عملاقاً عالمياً في حقل الفن. يقول أنطونيو كالادو كاتب سيرة بورتيناري: "كان ظاهرة بشرية، متفانيا، مندفعا، ضحى لفنه بكل شيء حتى بحياته."


BELAS ARTES NATIONAL MUSEUM COLLECTION

ان ضخامة الارث الفني الذي تركه بورتيناري تضعه في مصاف الرسامين الاكثر انفعالا وعاطفة. فهو رسم أكثر من ٥٠٠٠ لوحة خلال حياته المهنية التي امتدت ٤٠ عاما. واتساع نطاق أساليبه ومواضيعه مدعاة الى العجب، اذ يجوز تصنيفه كلاسيكيا مثل رمبرانت وتعبيريا مثل بيكاسو. وهو رسم وجوها وملاحم تاريخية ومشاهد من الحياة الريفية البرازيلية المعاصرة ومناجم ومدن أكواخ ومنمنمات ولوحات جدارية كبيرة.

ولد كانديدو في ٣٠ ديسمبر (كانون الاول) ١٩٠٣ في مزرعة للبن قرب قرية برودوسكي في ولاية سان باولو، وكان ثاني ١٢ ولداً لباتيستا بورتيناري ودومنغا توركواتو. وقد هاجر الوالدان من ايطاليا في أوائل هذا القرن. ومع أنهما تركا الزراعة في العام ١٩٠٦ لكي يعملا في التجارة الا أنهما ظلا يعيشان حياة ريفية شاقة.

اقتصرت دراسة كانديدو على ثلاث سنوات. لكن رغبته في الرسم وموهبته برزتا في وقت مبكر. ففي سنه العاشرة

رسم لوحة للموسيقي البرازيلي كارلوس غوميز أنبأت بمستقبل باهر. ولدى بلوغه الخامسة عشرة غادر الى ريو دي جانيرو. ومرّت سنة التحق بعدها بـ"المدرسة الوطنية للفنون الجميلة" في الريو. وفي العام ١٩٢٨ حصل على منحة دراسية جوالة في أوروبا.

خلال سنتين امضى بورتيناري معظم وقته متنقلا بين صالات العرض الفنية والمتاحف في لندن وايطاليا واسبانيا. وفي باريس كان يغشى المقاهي للاجتماع بفنانين اخرين ومحادثتهم محاولا اكتشاف ذاته. وهو كتب الى احد زملائه في المدرسة: "من هنا تتسنى لي رؤية أفضل لبلادي، ورؤية برودوسكي كما هي في الواقع."

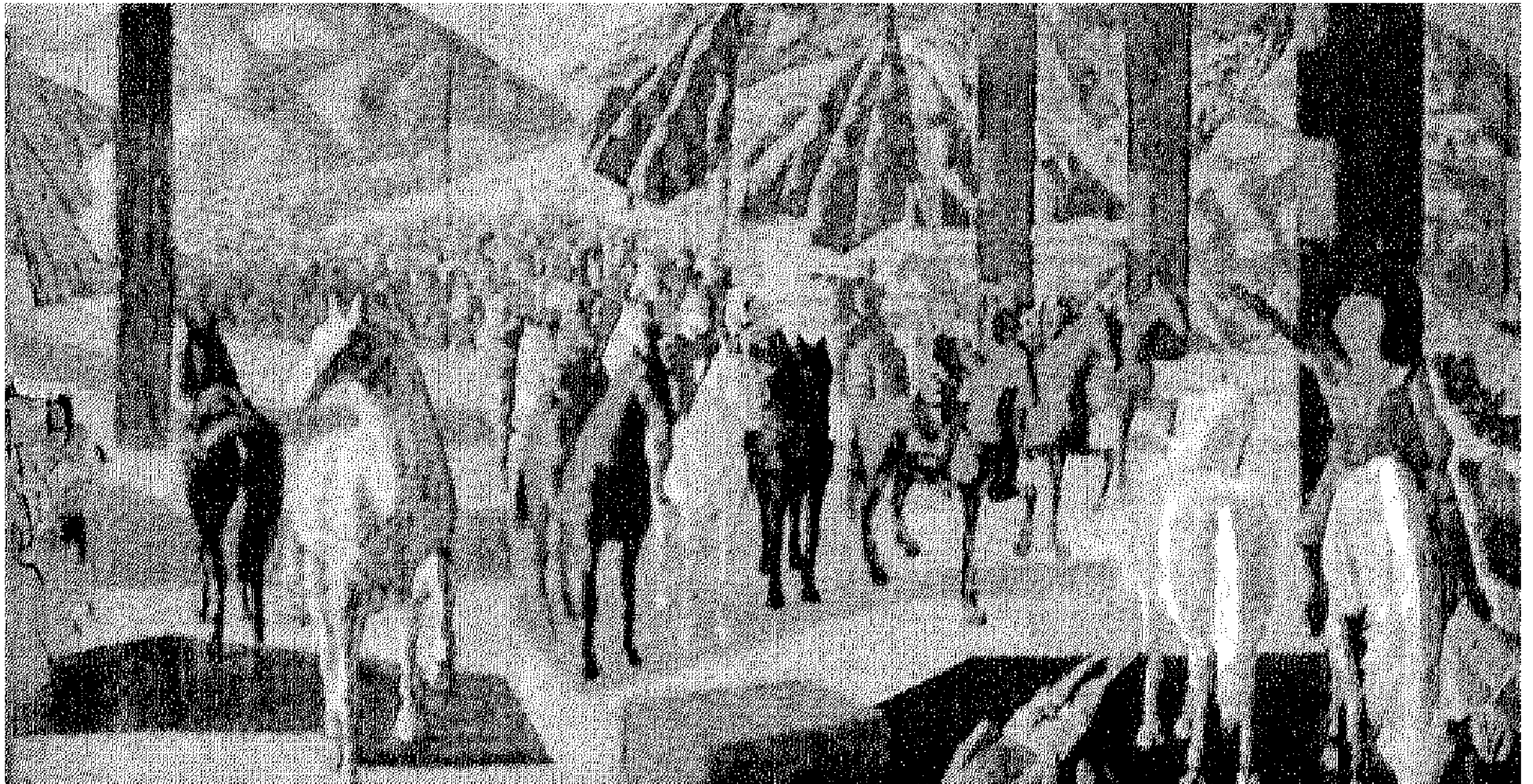
والتقى بورتيناري ايضا فتاة في التاسعة عشرة من الأوروغواي تدعى ماريا فكتوريا مارتينيلي، وتزوجها.

ولدى رجوعهما الى البرازيل كانا معدمين. لكن بورتيناري لم يكن قادرا على التفكير الا في الرسم. وكان يكسب بعض المال برسم اصدقاء وشعراء وفنانين. ونال جوائز خلال معارض فنية زادته شهرة فبات بين زبائنه اناس اثرياء.

في العام ١٩٣٤ اقام بورتيناري معرضا ضمّ اكثر من ٣٠ لوحة تصور احياء الريو الفقيرة ومناظر برودوسكي الطبيعية الموحشة وعامة الناس في جميع حالاتهم. وفي العام ١٩٣٥ حظي باهتمام دولي حين نالت لوحته الضخمة "البنّ" تنويه شرف في معرض كارنيغي الدولي المرموق في بيتسبرغ بولاية بنسلفانيا الامريكية. وتمثل اللوحة مشهدا لعمال مزارع البن.

صدمت لوحاته، خصوصا تلك التي تمثل حياة السود البرازيليين، حساسيات هواة الفن في كل مكان ومن التشويهات

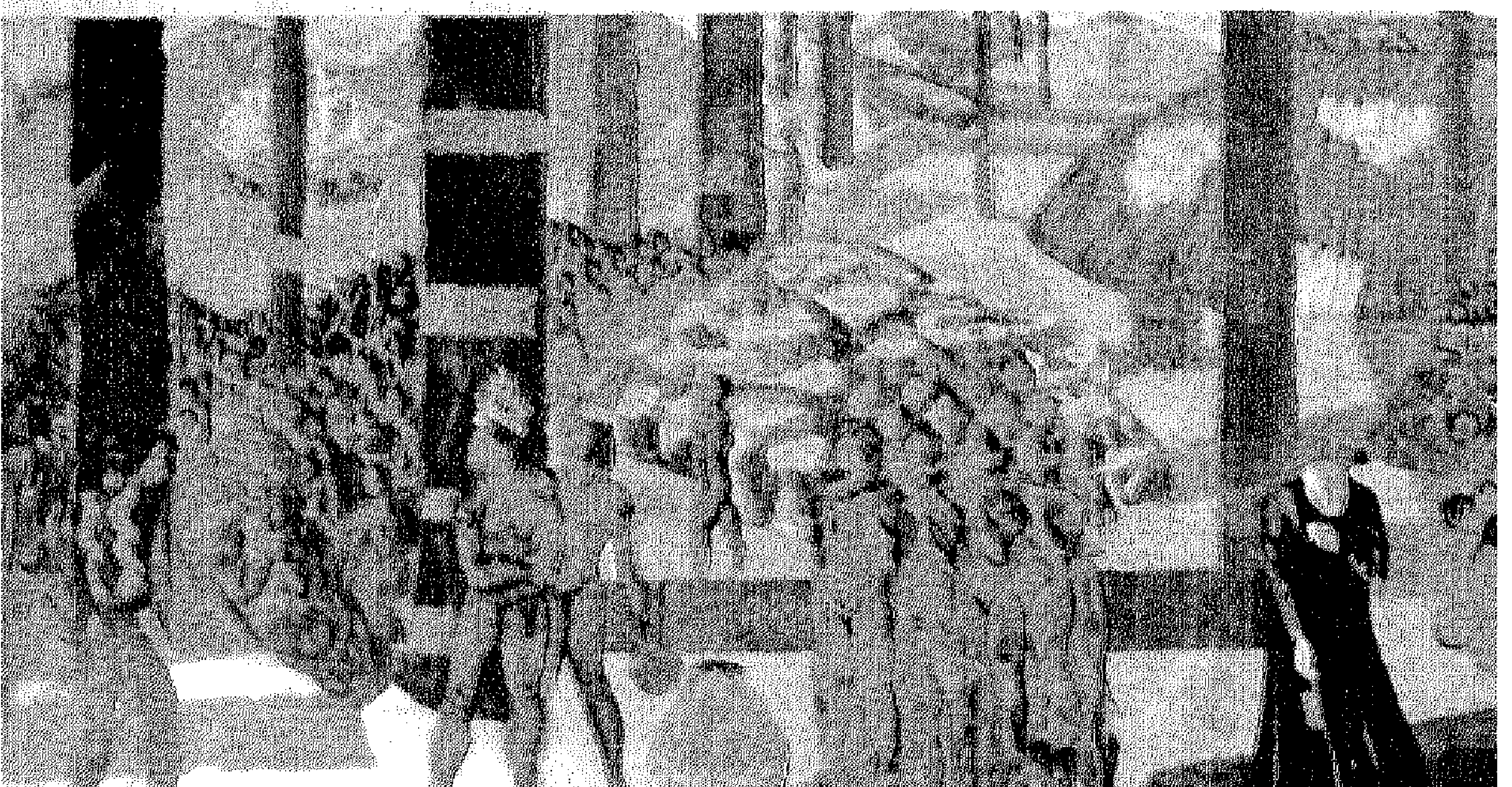
(تحت) "الاب انشيتا" لوحة تاريخية تكريما لمعلّم الهنود الذي مثل دورا مهما في تاريخ البرازيل في القرن الاول من الاستعمار البرتغالي

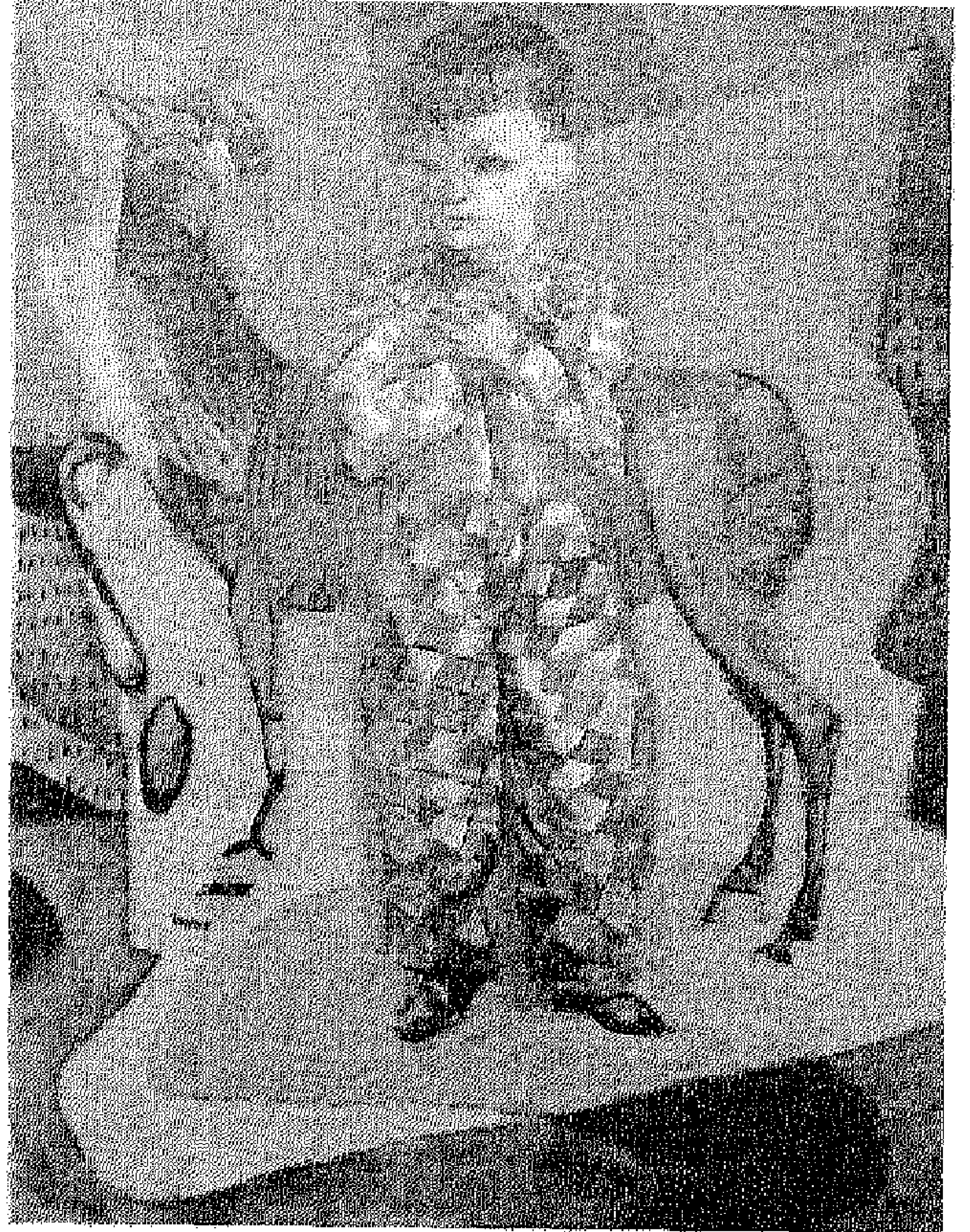



FERNANDO CAIUBY ARIANI COLLECTION


PRIVATE COLLECTION

(فوق) "مهاجرون." المبالغة في الاحجام تبرز ماساة المهاجرين من شمال شرق البلاد بفعل القحط. (الى اليسار) "خارج على القانون." اثارت أعمال العصابات الريفية في شمال شرق البلاد اهتمام الفنان. ان اقدام هذا الريفي الخشنة القوية هي علامة مميزة لفن بورتيناري.





"خواو كانديدو والحصان." كان ابن الفنان في الثانية من عمره حين رسم ابوه هذه اللوحة.

التي بالغ في اظهارها أحجام أقدام العمال. وفي "نبذات من طفولتي" كتب بورتيناري: "لقد تأثرت بمنظر أقدام الفلاحين الذين يعملون في مزارع البن. انها أقدام مشوَّهة تبعث على الشفقة والاحترام."

كُلف بورتيناري انجاز مشاريع فنية مهمة، منها جداريات مبنى وزارة التربية عام ١٩٣٧ ولوحات للجناح البرازيلي في معرض نيويورك الدولي عام ١٩٣٩ وجداريات للمؤسسة الهسبانية في مكتبة الكونغرس في واشنطن عام ١٩٤١.

لتصوير تاريخ الاقتصاد البرازيلي في الجداريات انتقى بورتيناري فن الرسم الجصّي القديم للمرة الاولى في تاريخ البرازيل المعاصر. وكان يحتاج الى مساعدة في هذا المشروع، فاستعان بالرسام أنريكو بيانكو (١٨ عاماً) وبعدد من الفنانين الشباب بينهم روبرتو بورلي ماركس الذي اشتهر عالمياً في ما بعد كرسام للمناظر الطبيعية. يقول ماركس: "في بعض الأحيان كان بورتيناري يبدو كطفل طاهر وفي أحيان أخرى كشيطان. وهو قال: لكي تصبح فنانا جيداً عليك أن تحارب الجميع. وكانت رؤية محاربته شائقة، انها حروب رسام يحاول اكتشاف طريقه. كان بورتيناري يحاول دائماً تجربة أشياء جديدة يُنتقد عليها."

استمرت حروبه بقية حياته. يقول بيانكو: "حدث مرة أن أعاد رسم العينين في احدى اللوحات عشر مرات ساعياً الى قناعة فنية كاملة. كان يحاول التوفيق بين رؤيته الداخلية – أي فكرته ونظرته الى الموضوع – والعمل الذي بين يديه. وكان يقول لي: اذا لم تصلح أخطاءك فذلك ينمّ عن قلة اهتمام، فتكون في هذه الناحية غير مخلص لفنك."

لم يحب بورتيناري الضوء الاصطناعي، لذا كان يعمل من مطلع الفجر حتى هبوط الظلام. وباستثناء اللوحات الشخصية فانه نادراً ما استخدم "موديلات" يجلسن أمامه. وكان يفضل العمل في أماكن مغلقة خشية التصاق الغبار على اللوحات. كان يرسم مبدعا مواضيعه من ذاكرته وتصوره اللذين كان يجدد تغذيتهما خلال زيارات لبرودوسكي،

نقل بورتيناري في جميع لوحاته أفكاراً واعية ومشاعر، مفضلا اياها على الأشكال والالوان التجريدية. كان رساماً يحمل رسالة اجتماعية. ويقول ابنه خواو كانديدو: "ان اهتمامه بالبشرية وعطفه على الفقراء الذين كتبت لهم الاعمال الشاقة والذين نشأ هو بينهم، يتجليان في كل مليمتر من رسومه."

في العامين ١٩٥٥ و١٩٥٦ رسم بورتيناري جداريتي "الحرب" و"السلم" لمنظمة الامم المتحدة، وشحنهما من البرازيل الى نيويورك. لكنه كان آنذاك في طور الاحتضار. فمنذ العام ١٩٣٢ عانى اختلالا مزمناً في المعدة. وفي العام ١٩٥٤ أظهر أعراض نزف داخلي شُخِّصت بما يدعى "مغص الرسام" وهو تسمم بطيء في الدم سببه امتصاص الجلد الرصاص المحتوى في الاصباغ وتنشقه في أماكن مغلقة. وقد وصفه صديقه الكاتب خوسيه كاردوزو بيريس في مرحلة الاوجاع تلك: "كأنه جثة صغيرة تجرّها نظرة ملحّة."

خلال رحلة الى باريس عام ١٩٤٩ التقى بورتيناري الصناعي الايطالي يوجينيو لوراغي وهو ذواقة فني، وأصبحا صديقين. وهيأ له لوراغي عام ١٩٦٢ اقامة معرض في ميلانو. كان ذلك أول عرض كبير للفنان في بلاد أجداده.

أكب بورتيناري على خمس لوحات جديدة للمعرض. وكان لا يزال منهمكاً في الخامسة حين بدأت معدته تنزف. كان ذلك في ٤ فبراير (شباط) ١٩٦٢ وهو في الثامنة والخمسين. وتوفي بعد يومين. وقد أخذت زوجته ماريا اللوحات الاربع وبقية أشغاله المخصصة للمعرض الى ميلانو في الموعد المحدد. وما زالت اللوحة غير المنجزة معلقة في منزل ابنها. وهي تشير الى شريطها الاحمر وتقول: "لقد رسمت بالدم."

ان البعد الحقيقي لارث بورتيناري بدأ يُعرف الآن على حقيقته. والفضل في ذلك لجهود استمرت ١١ عاما في ما سمي "مشـروع بورتينـاري." وقد نجـح المشروع، الذي يرئسه ابن الرسام، في تقفي أعماله الكاملة وتصويرها واعداد ملفات عنها. يقول خواو كانديدو: "للمرة الاولى يمكن القاء نظرة شاملة على انتاجه."

ويحفز "مشروع بورتيناري" جهوداً عالمية للمشاركة في رؤيا الفنان من خلال المعارض، التي تقررت اقامة أحدها في أكتوبر (تشرين الاول) ١٩٩٠ في موسكو وآخر عام ١٩٩١ في لشبونة (البرتغال). يقوله أنطونيو كالادو: "لا مجال لانكار مقام بورتيناري كرسام البرازيل الاول على الاطلاق. فهو الذي يبرز الروح البرازيلية الأصيلة بأجلى مظاهرها."

دوري وصامويل شرايتر الابن ■

ليس هناك ما يوهن العزيمة مثل سيارة تدور صباح كل يوم عمل ويتعطل محرّكها يوم العطلة.

د.ل.

ثعلب الماء مهرّج محترف



لطيف ولعوب وجميل
وكل من يراه يحبه

إن يكن ثمة حيوان لا يحتاج ابدا الى وكيل للعلاقات العامة، فذلك هو ثعلب الماء (القُضاعة). أَرني رجلا أو امرأة أو طفلا يحدج ثعلب الماء بعين غير مبالية، فأريك بخيلا قاسي القلب لا يذوب رقة أمام سحر أي كائن حي، كبيراً كان أم صغيراً. وإني لم ألقَ في حياتي مثل هذا الانسان.

لربما كان مرد ذلك إلى قسمات ثعلب الماء التي توحي بعض شبه بالانسان: الوجه المدوّر والعينان الفضوليتان والنظرة المتوسلة والشفة العليا الهلباء بالشارب الأنيق. ولربما عاد السبب الى السلوك المحبب لهذا الحيوان اللبون الذي يسير محدودباً كلعبة مكسوة بالفراء تتواثب وتتقلّب إن وضعتها أرضاً، فيما

يتحول في الماء رياضي جمباز أملس.

ولا يفوق مظهر ثعلب الماء جاذبية سوى دعابته التهريجية وولعه باللعب. ويدَّعي إد بارك مؤلف كتاب "عالم ثعلب الماء" أن هذا الحيوان "لا يقوم بعمل ما إنْ لم يجد فيه متعة."

والواقع أن نزوع ثعلب الماء الى اللعب يتحدى اصرار علماء السلوك الحيواني على أن الحيوان لا ينزع الى اللعب الا اذا كان للعب فائدة في صراع البقاء. ويزعم الصفائيون أن صغار الحيوانات تطفر وتمرح لصقل ردود فعلها وتتصارع لشحذ مهارات الصيد لديها.

"ولكن كيف تفسر انزلاق ثعالب الماء اليافعة الى المياه وعودتها الى الشاطىء وانزلاقها مجدداً كفاية في ذاتها؟" هكذا تتساءل بات فوستر ترلي الاختصاصية بسلوك ثعالب الماء ومديرة دائرة الحماية في "مؤسسة عالم البحار" في فالييو بولاية كاليفورنيا. تقفز الثعالب الى الماء على بطونها ورأسها في المقدم. وكعالمة، تتردد فوستر ترلي عادة في استعمال كلمة "مرح"، لكنها تقترب من مدلول هذه الكلمة في ما خص ثعالب الماء. وتقول: "عندما أشاهد أحدها يوازن كرز صنوبر على أنفه ثم يسحبه إلى عمق الماء ويتركه ليطفو، ثم يشق العباب قافزاً فوقه، لا أجد كلمة أخرى تصف هذا الفعل."

وحين تسنح الفرصة، تحوِّل ثعالب الماء تنقلها البري المضني مناسبة يسودها المرح. أما على الثلج أو الجليد، فتتحرك بين الخطو وثباً والانزلاق على بطونها على نحو يحملها مسافة تراوح بين ثلاثة أمتار وستة وبسرعة تبلغ ٢٥ كيلومتراً في الساعة.

حكم بالهلاك. إن ثعالب الماء من فصيلة "موستيليدا" هي قريبة الصلة بابن عرس والمنك (الفيزون) والغرير والظربان والدلَق والشره، وكلها حيوانات لا تتصف بالظرف وحب الدعابة. لكن ثعالب الماء، كغيرها من أعضاء فصيلة "موستيليدا"، هي من أقوى الحيوانات اللبونة قاطبة، قياساً الى حجمها. إذ عُرف عنها أنها تستطيع تحريك صخور زنتها ٣٠ كيلوغراماً. وقد جاء في مقالة كتبها مانلي هاردي في مجلة "فورسْت آند ستريم": "شاهدت ثعلب ماء يقطع سلسلة معدنية بدت قوية بحيث يربط بها حصان."

في كل قارة نوع على الأقل من أنواع ثعالب الماء الثلاثة عشر المتباينة، ما عدا أوستراليا وقارة القطب الجنوبي (أنتارتيكا). وجميعها يتصف بسلوك "ثعلبمائي"، لكن هناك تنوعات كثيرة في الحجم تراوح بين ثعلب الماء الآسيوي الصغير المخالب، وثعلب ألاسكا البحري الذي يصل وزنه الى ٣٨ كيلوغراماً، وثعلب البرازيل العملاق الذي يبلغ طوله مترين ونصف متر.

يُعرف ثعلب أمريكا الشمالية بثعلب النهر، وهذه تسمية خاطئة لأنه يعيش في جوار المستنقعات والبحيرات الصغيرة والشواطىء البحرية. وهو يقسم وقته بين الماء والبر حيث يركن الى أوكار تحت الأشجار الساقطة أو صخور الشطآن.

وعلى رغم تنعمه اليوم بإعجاب الناس، فإن ثعلب الماء لم يكن دائما في وضع يحسد عليه. فلكونه لص أسماك حاذقا، اكتسب سمعة تماثل سمعة الحشرات المؤذية. وتظهر المحفوظات البريطانية حملات لصيده تعود الى القرن الثالث عشر. وقد وضعت جوائز لمن يقضي عليه.

وفي أمريكا الشمالية وقع ثعلب الماء فريسة لحافز الربح في الأسواق التي عرفت قيمة فروه الكثيف المترف. وكان يقطن، قبل وصول ناصبي الاشراك، في معظم مجاري الأنهار والبحيرات والمستنقعات ما بين المحيط الأطلسي والمحيط الهادىء. ولكن في العام ١٩٣٧ استنتج عالما أحياء برية كانا يستكشفان ولاية ميسوري أن "ثعالب الماء انقرضت تماما." فالافراط في نصب الاشراك، وتدهور حال الأراضي المروية من جراء التلوث ومشاريع الاسكان، حكما على هذا الكائن بالهلاك.

إلا أن ثعالب الماء حافظت على أعدادها الكثيفة في مكان واحد فقط هو منطقة البايو في جنوب ولاية لويزيانا الامريكية، حيث تنتشر الأدغال الواسعة الكثيفة المرويّة. ويعود الفضل في ذلك، جزئيا، الى عائلة واحدة من الكاجون، وهم سكان لويزيانا المتحدرون من مستوطنين فرنسيين أكاديّين.

المحبة المنقذة. في رواق محجوب من مبنى مؤلف من ثلاث طبقات تدعوه العائلة "مركز عمليات ثعالب الماء"، يعكف توم سيفن (٣٥ عاما) وهو رجل ملتح قوي البنية، على خلط وجبة خاصة بثعالب الماء في مفرمة لحم ضخمة. وكان قبل ذلك أرسى قاربه على ضفة "بايو دو لارج" وأفرغ حمولة من المواد الطازجة. و"دو لارج" واحد من خمسة روافد تنتشر في منطقة الكاجون عبر "أصبع قدم" لويزيانا. وتعج مياهه الراكدة بخليط كثيف من الأحياء النباتية وغيرها من المغذيات يقيت ثعالب الماء المتكاثرة التي تدعم بدورها تجارة عائلة توم سيفن

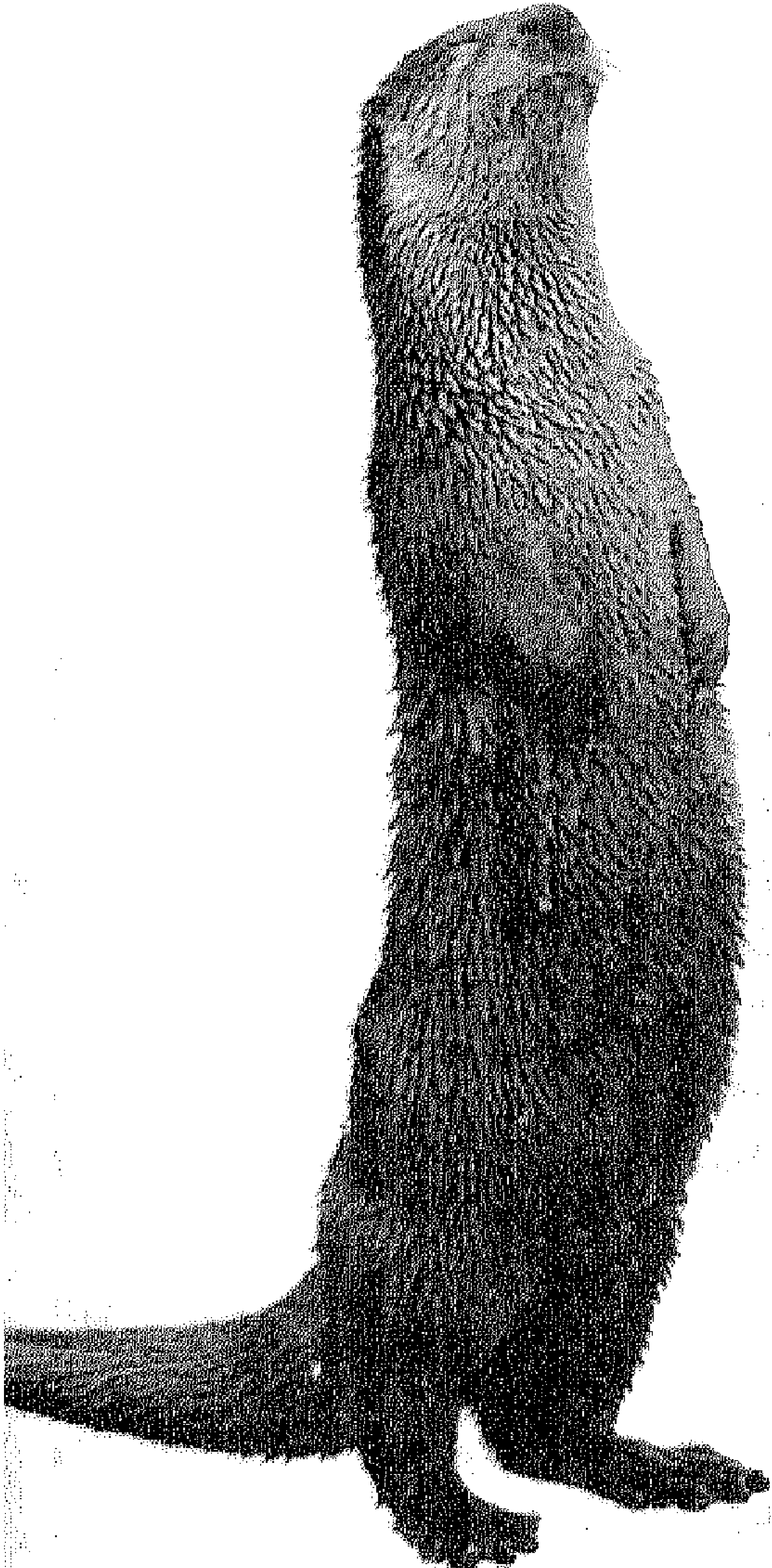


PHOTO: © ZIG LESZCZYNSKI / ANIMALS ANIMALS

في "مزرعة بايو لثعالب الماء" في تيريو.

وثمة ٢٠٠ ثعلب ماء وُضعت إفرادياً داخل أقفاص في مبنى خاص ويقول توم مشيراً الى غرفة تُرضع فيها أمه ديانا بالزجاجة اثنين من صغار ثعالب الماء: "نعمل هنا على الدوام، والأمر يستحق العناء لأني أحب هؤلاء الصغار."

وكانت ديانا وزوجها ليروي سيفن ابتكرا تجارة ثعالب الماء عام ١٩٥٧ بعدما اكتشفا أن في وسعهما شراء ثعالب الماء الحية من ناصبي الاشراك بمبلغ يفوق ما يجنيه هؤلاء من ثمن فروها، وبيعها من ثم بربح لابأس فيه.

لكن الأمر الذي بقي على عائلة سيفن حله كان طريقة إبقاء ثعالب الماء بصحة جيدة وهي في الأسر. وقد فاجأ العائلة أن الطعام المكوّن كلياً من اللحوم أو الأسماك ليس حلاً، اذ كانت ثعالب الماء تمرض متى خلا طعامها من الألياف والفيتامينات. كما اكتشفت العائلة مادة متوافرة لا تقل أهمية، وإن تكن غير ملموسة، هي: المحبة.

يقول ليروي: "إن أردتها أن تأكل فعليك أن تكلمها." ثم يشير الى جرو تحتضنه ديانا، قائلاً: "عليك أن تردد: تعال يا صغيري، لنأكل الآن أيها الصغير المدلل." وكان صوته يعلو وينخفض برنة موسيقية. وكانت ديانا تضغط زجاجة الارضاع لتفرغ آخر قطرة من السائل الخاص في فم الصغير الذي في عهدتها، وقد ذبلت عيناه واسترخى جسده متهدهداً. ثم قالت: "زجاجة واحدة ويغرق في النوم."

وباعتبارهم خبراء بارزين في العناية بثعالب الماء، يتلقى آل سيفن مكالمات هاتفية طارئة من حدائق الحيوان ومزارع الدواجن وسواها طلباً للنصح. ودوائر الحماية في الولايات هي من زبائن العائلة. فولاية ميسوري، مثلاً، تطلب سنوياً ١٨٠ ثعلب ماء لاطلاقها في المياه التي غابت عنها منذ عشرات السنين.

دليل نقاوة. في التاسعة والربع من صباح صافٍ من أبريل (نيسان) استدارت شاحنة تابعة لدائرة الحماية في ميسوري متجهة في طريق ضيقة تنتهي في "هوفمان فورد"، وهو حَيْد حصوي داخل في نهر بوربوز. ووقف حشد من خمسين شخصاً يترقبون إطلاق عشرين ثعلباً نهريّاً في موطنها الجديد.

وفيما كان عالِم الأحياء ديفيد هاملتون، التابع للدائرة، يرجع الشاحنة نحو النهر، تحرك الحشد لتفحص "البضاعة" المكونة من ستة أقفاص ضمنها عشر إناث وعشرة ذكور من ثعالب الماء المتلوية الزاعقة. وكان الغيظ الشديد تمكن من الحيوانات بعدما قضت أياماً عدة في سفر متواصل، كما أخضعت في اليوم السابق لوصولها للتخدير والدمغ والوزن.

وقد تم، منذ العام ١٩٨٢، إطلاق أكثر من ٦٥٠ حيواناً، وهناك تدابير لاطلاق ٣٠٠ آخرى بحلول السنة ١٩٩٣.

وهناك سبب وجيه للاحتفاء. ذلك بأن ثعالب الماء، كالنسور الصلعاء والصقور الجوّالة التي تقف هي أيضاً في المرتبة



حفيدة ليروي سيفن
ترضع جرو ثعلب ماء.

العليا من السلسلة الغذائية، تعاني هبوطاً في معدلات التناسل حين تتراكم المواد الملوَّنة في أنسجتها. وقد أفادني هاملتون أن "المواد الكيميائية السامة والمعادن الثقيلة ومبيدات الحشرات تنتهي جميعها في ثعالب الماء. لذلك، إن نجحنا في زيادة أعداد الثعالب النهرية، فإننا نوفر بيئة صالحة لجميع الكائنات الأخرى في نظام الطبيعة." والواقع أن وجود ثعالب الأنهر في مجمّع مائي ما هو من الادلة المثلى على نوعية هذه المياه.

لا مدرسة اليوم. بدت الحماسة جلية على الحشد المتجمهر في هوفمان فورد. وأخبرتني امرأة: "لقد انتقلنا من سانت لويس في ولاية ميسوري الى هنا، سعياً الى المياه النظيفة والحياة البرية." وأضافت مشيرة الى جمهرة من الأولاد وهم يحومون حول شاحنة هاملتون: "لم يسعنا أن نفوِّت هذا الحدث. ولم يطاوعني قلبي على إرسال أولادي الى المدرسة اليوم، سأقول انهم مرضوا."

بعد وضع الأقفاص على ضفة النهر،

PHOTO: © DENVER BRYAN

عمد هاملتون وعامل آخر من دائرة الحماية الى فتحها ليخرج منها عشرون من أبرع ممثلي الطبيعة تبالغ في الأداء لكسب اهتمام النظارة. وما هي إلا لحظات حتى غادر معظمها "المسرح"، لكن ستة منها بقيت تحت الأضواء. وراحت ثلاثة تتطارد فوق بقعة رملية تحت الرفّ الصخري، فيما انصرف آخر الى دحرجة جذع شجرة مغمور في الماء، فيغوص تارة ويطفو أخرى، وفي كل مرة يصفع الماء مصدراً دوياً: "بلوب!" أيعقل أنه يتعمد العرض؟ وراح آخر يخطر على ضفة النهر متباهياً بجميع الحركات والأوضاع الخاصة بثعالب الماء والتي ورد ذكرها في "دليل والت ديزني" المتضمن قصصاً عن الحياة البرية.

وفيما كان الهوس بثعالب الماء يزداد في ميسوري، عاشت ١٤ ولاية أمريكية أخرى نوبات حماسة مماثلة. وتفاخر ولاية أيوا برقم قياسي بلغ ٢٢٠٠ متفرج في مناسبة واحدة، في أحد مواقع اطلاق ثعالب الماء على مقربة من مدينة تريبولي.

في هذه الاثناء، تعمل بات فوستر ترلي التي ترئس فريق حماية دولياً من الاختصاصيين بشؤون ثعالب الماء، على شن حملة دعائية لإظهار ثعلب الماء كرمز للأراضي المروية. وهو رمز لا يمكن تخيل أفضل منه. تقول فوستر ترلي: "الناس يحبون ثعالب الماء، ويعتقدون أنها خلو من الهموم."

ديفيد شفارتز ■



بابا لا يبكي

اخذت صغيري في نزهة. واذ هممت بالخروج من السيارة بعد عودتنا ارتطم رأسي بحافة الباب. وحاولت ان أستغل الحادث تربوياً فقلت لولدي: "أرأيت يا رامي؟ عندما يضرب بابا رأسه بالسيارة، لا يبكي."

فاجابني: "ولكن عندما يخرج رامي من السيارة فانه لا يضرب رأسه.".

ل.ج.

أهون الشرين

سافرت مطربة أعرفها الى أوروبا بموجب عقد فني. وكان على زوجها وأولادها تدبير امورهم بانفسهم طوال عام كامل.

وفكّرت ملياً في أمر هذه المطربة وتساءلت كيف ستتمكن عائلتها من تدبير شؤونها.

واخيراً سألت زوجي: "ماذا تقول اذا ذهبت للغناء في أوروبا لمدة سنة؟"

واتى جوابه هادئاً وواضحاً: "هذا أفضل من أن تبقي وتغني في البيت."

ب.س.

ضابط شجاع جسّد عظمة القائد وملكة الممثل وبراعة المجرم

مشى الضابط هاينريش هورنتز واسع الخطو غضبان حتى بلغ صف المساجين الجوعى في معسكر نيوبريم في المانيا. ثم توقف أمام الرائد باتريك أوليري من البحرية الملكية وصاح فيه: "أنت ضابط انكليزي. أنت، أيها الوحش الانكليزي، قصفت هامبورغ الليلة الماضية فقتلت النساء والاطفال. ماذا تسمي فعلتك هذه؟"

أجاب أوليري ساخطا: "أدعوها عملية كوفنتري" (نسبة الى المدينة البريطانية التي دمرها طيران هتلر قبل سنتين ونصف سنة).

ران سكون صاعق. ثم جذب هورنتز الرائد أوليري من صف الجند وركله وضربه حتى صار كتلة نازفة، ورماه آخر الأمر في كوخ ينام المساجين داخله على ألواح خشب ويلتحف كل ثلاثة منهم ملاءة قذرة. يقول إيان هوبر أحد عناصر المقاومة البريطانية الذي قاسم أوليري النوم على اللوح الخشب: "كان بات أوليري أشجع من عرفت من الرجال."

بقي أوليري قيد الحياة بعد الضرب الذي تعرض له في نيوبريم وبعد سنتين أخريين في ماوتاوسن وناتزفيلر وداشاو. وفي رأي بريان ستونهاوس وهو عميل سري بريطاني وأحد رفاق اوليري في السجن، أن "هدف هذه المعسكرات كان حطّنا الى درك الحيوان، ينهش بعضنا بعضاً كقطيع من الكلاب تتعارك للفوز



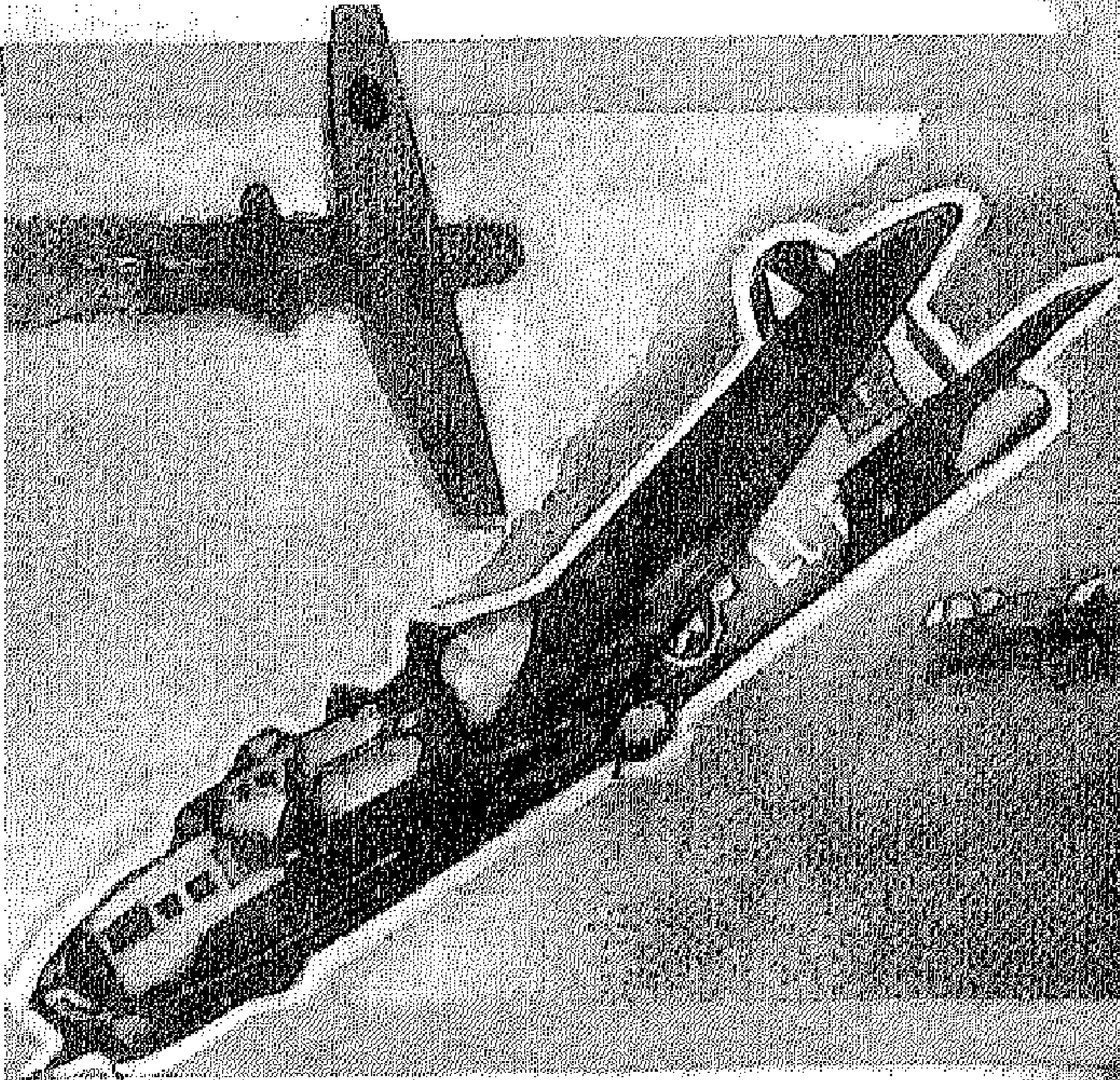
مآثر بَطَل

بكسرة خبز. ولكن على رغم الشقاء والاذلال ظلّ بات أوليري رجلا شهماً."

وقد لزمه، بعض الحظ، الى قوته وبسالته، كي يبقى حياً. ولو أن الألمان اكتشفوا هويته الحقيقية لما بقي وأسرته أحياء. ذلك بان بات لم يكن ضابطاً بريطانياً كما بينت أوراقه الثبوتية، بل طبيب بلجيكي اسمه ألبير – ماري غيريس كان له دور مهم في أحد الانتصارات الكبرى للحلفاء ابان الحرب العالمية الثانية.

بين ١٩٣٩ و١٩٤٥ وقعت حروب جوية لا سابق لها، أسقطت خلالها ألوف الطائرات الحربية خلف خطوط العدو على جانبي الجبهة. وتمكن ألوف الطيارين من الهبوط بالمظلة أو الفرار مبتعدين عن طائراتهم المهشمة. ولم يفلح في العودة





الى ألمانيا سوى طيار واحد من بين جميع الطيارين الذين أسقطت طائراتهم فوق الجزر البريطانيـة. لكن ألوف المدنيين القابعين تحت الاحتلال النازي جازفوا بحياتهم اذ أطعموا طياري الحلفاء وآووهم وأرشدوهم الى معابر للتسلل واجتناب نقاط التفتيش عبر القارة الاوروبية. وهم أعادوا ألوف الجنود المهرة الى الجبهات ليعاودوا الطيران والقتال. وكان ألبير غيريس في طليعة المفيدين من مشاعر التفاني والاخلاص تلك للعمل على انقاذ الطيارين.

مواهب متنوعة. لم تتضمن سيرة غيريس ما يؤهله لهذا الدور الخارق. إذ كان في العام ١٩٤٠ طبيباً ضابطاً في التاسعة والعشـرين، ملتحقاً بفـوج الرمّاحين في منتجع "سبا" البلجيكي الهادىء. ودأب على زيادة دخله بعيادة مرضى في الارياف. وكان رجلا نشطاً حسن المظهر، مولعاً باللهو والمغامرة، يكره الوحشية الهوجاء التي رآها متعاظمة في ألمانيا النازية. وقد أعلن مرة: "لا ينبغي أن يخضع أي انسان للإكراه." وكان عازماً بقوة على الكفاح في سبيل مبادئه.

ولدى استسلام الجيش البلجيكي في مايو (أيار) ١٩٤٠ انخرط غيريس في صفوف القوات الفرنسية والبريطانية والبلجيكية حول دنكرك. وبعد استسلام القوات الفرنسية التحق بملاحي سفينة تجارية فرنسية اسمها "ران" صمم قبطانها على متابعة القتال.

في نهاية المطاف انضمت "ران" الى البحرية الملكية البريطانية، وغير اسمها ليصبح "فيدليتي" (اخلاص) ووجّهت للعمل في مياه العدو. وانضم غيريس بدوره الى البحرية الملكية، منتحلا كنية صديق قديم له في الجامعة الكندية هو أوليري، ومتخذاً باتريك اسماً أول. وأبحر مع "فيدليتي" في مهمتها الاولى لانزال عملاء سريين على سـاحل فـرنسا الجنوبي. لكن الأمور لم تجر على ما يرام، وفيما بات ينزلُ الى الشاطىء في زورق تجذيف قبضت عليه دورية من الشرطة الفرنسية التابعة لحكومة فيشي المتعاونة مع الألمان. وحاول الفرار، لكنه اعتقل وزج في السجن. ثم دبّر طريقة للهرب. وفي يونيو (حزيران) ١٩٤١ وصل الى مرسيليا حيث التقى القبطان إيان غارو الآتي من أنجاد اسكوتلندا. وكان هذا أنشأ منظمة لتمرير جنود الحلفاء عبر جبال البيرينيه. وكان غارو رمزاً بطولياً، لكنه غير ملائم للعمل السري، اذ كان يجوب شوارع مرسيليا بخطى واسعة، فارع القوام منتصباً، يفضي كل ما فيه بانه ضابط بريطاني.

أما بات فلم يكن لافتاً للنظر بين حشود الناس. وكان ناحلا الى حد ما، عادي القسمات. ولكن، كما يذكر روبرت شيبارد، "في السر، اذ يحين أوان الحديث أو الفعل، يتنبه الجميع الى شخصية بات غير العادية." وشيبارد هذا مدرب على أعمال التخريب، أنزل بالمظلة على أراضي فرنسا وجمعته صداقة حميمة بأوليري في أحد معسكرات

الاعتقال. ويضيف شيبارد: "كان بات صلبا على الدوام، ذا إحساس، دقيقاً ومخلصاً لا يتزعزع في الشدائد."

وتوسّم غارو في بات أوليري الرجل ذا الذهن والشخصية اللذين يديران بكفاية عمليات الفرار. واثر اعتقال شرطة فيشي غارو في أكتوبر (تشرين الاول) ١٩٤١ تولى عنه أوليري زمام القيادة.

ولابقاء طياري الحلفاء محجوبين ومتنكرين ودائبي الحركة، كان على بات أن يجمع في شخصه مواهب جنرال عظيم وممثل كبير ومجرم خطير، وأن يمسك بزمام السيطرة على مئات العملاء الذين عرفوا من بعد باسم "قوات بات." كما تعين عليه أن يتثبت أن الطيارين الفارين هم حقاً في أمان في "البيوت الآمنة" التي يختبئون فيها اياما واسابيع، وأن يجنِّد المرشدين الذين يتولون تمرير العناصر متخطين جنود العدو وجواسيسه والعملاء المزدوجين.

كيف يتسنى له مثلا أن يمرِّر طاقم طائرة مقاتلة مؤلفاً من رجال تكساسيين عمالقة حمر الشعور لا يجيدون كلمة فرنسية واحدة، عبر محطة فرنسية للسكك الحديد؟ أحد السبل اختيار فتيات جذابات ذوات جرأة يغازلن رجال الشرطة وحرس الحدود فيصرف هؤلاء انتباههم عن طرح الاسئلة المحرجة.

واحتاج أوليري إلى مجموعة متنوعة من ألبسة التنكر، فوقع على بول أولمان وهو خياط في تولوز يمكنه أن يخيط بذلة دركي فرنسي في يومين. وكان عليه أن يعثر على مزورين بارعين لاصدار هويات وجوازات سفر، وكان أبرعهم في ذلك كاهن في آبيفيل اسمه بيار كاربنتييه، وقد جاء من وشى به الى رجال الغستابو* فقتلوه.

وعثر أوليري على مساعدين جديرين بالثقة في جميع صفوف المهن. في صفوف رجال الشرطة والمهربين والأشراف والعصابات وعمال السكك الحديد وربات البيوت. وكانوا على شاكلة فرنسواز ديسار، المرأة التي كانت تعيش وحيدة مع قطتها قرب مركز قيادة الغستابو في تولوز ولم يرتَبْ رجال الغستابو بأمرها قط، مع أنها كانت تستقبل في منزلها سيلا لا ينقطع من الطيارين البريطانيين والامريكيين.

انقاذ صديق. أشرف أوليري على فرار أكثر من ٤٠٠ طيار من قوات الحلفاء، وعدد من الوطنيين البلجيك والفرنسيين التواقين للذهاب الى لندن للمشاركة في المعارك. وهو نفذ عملياته على رغم المشقات، ولطالما أعوزه المال والمدد. ولم يكن لديه في بواكير نشاطه من يشغل جهازاً لاسلكيا، واضطر الى حشر رسائله في أنابيب معجون الاسنان وتهريبها خارج فرنسا عبر اسبانيا، لتصل إلى محطة استخبارات بريطانية في جبل طارق. وعلى رغم هذه المصاعب بلغ من كفاية "قوات بات" أنها أعادت طياراً أسقطت طائرته في فرنسا الى سربه في بريطانيا في غضون أسبوعين.

إلا أن أروع عمليات بات خطته المتقنة

(*) الشرطة السرية النازية.

لانقاذ غارو الذي سجن في معسكر موزاك. وقبيل الموعد المضروب لترحيل غارو الى ألمانيا رشا بات حارساً ليهرِّب بذلة أحد الحراس الى داخل الثكنة. وعند الفجر اجتاز غارو البوابة الرئيسية مشياً فيما فريق المناوبة الليلية يغادر الثكنة. وفي الخارج كان بات وعميلين متلطِّين في الظلال ينتظرون مع مسدساتهم لاطلاق النار وإسكات مدفعين رشاشين عند المدخل، اذا اقتضت الحاجة الى ذلك.

كانت البوابة مُنارة بضوء باهر، وبدا غارو ضابطاً بريطانياً صرفاً وهو يوسع الخطو متيبساً في مشيته ويؤدي تحية ذكية. حدجه أحد الحراس الفرنسيين بنظرة فاحصة، ثم اضطر الى التوقف اذ توانى الرجلان اللذان يتقدمانه لدردشة وجيزة. وأخيراً وصل غارو إلى سيارة تنتظره، لكن محركها لم يدر. قد يدوي جهاز الانذار في أي لحظة، وفرقعة مشغل المحرك تصمّ الآذان. أخيراً أدار السائق المحرك بذراع التدوير، وانطلق الجميع في السيارة المقرقعة الى مزرعة صديق تبعد ٣٠ كيلومتراً.

على رغم أشهر الحبس التي أوهنت غارو تمكن من الوصول إلى البيرينيه خلال ثلاثة أسابيع من المراوغة والاختباء، وعبر بيت فرنسواز ديسار في تولوز. ورآه بات في ذرى جبال البيرينيه سالماً. وهو سأله يومذاك: "أيمكن أن يطول بنا الأمر أكثر؟"

كان بات مدركاً صعوبة استمرار ذلك النشاط. فالالمان على وشك اقتحام شبكة التهريب. وذات يوم من مارس (آذار) ١٩٤٣ قصد أوليري وأولمان مقهى في تولوز للقاء روجيه، وهو عميل في شمال فرنسا ألمح إلى معرفته شيئاً عن اعتقال أحد الملازمين الكبار العاملين مع بات. سأله بات: "أتعرف من وشى بنا في باريس؟" وما هي غير لحظة حتى شعر بات بلمسة باردة كالفولاذ على عنقه. لقد قبضوا عليه!

في الاسر. عذب رجال الغستابو أوليري أياماً. ضربوه وحطموا عظامه وأوصدوا الباب عليه في غرفة مبردة ساعات طويلة، فكان يرى العرق متجمداً على جسده العاري. كانوا يكرهونه على الكلام، فلم يصرح الا بمعلومات خاطئة أو مضللة. ودأبوا على سؤاله: "أين فرنسواز؟" فأصر على الجواب: "لا أعرف امرأة اسمها فرنسواز." ولم يداخلهم شك قط في أن فرنسواز ديسار التي تسكن في مكان غير بعيد، قد جمعت شتات "قوات بات" وأرسلت نحو ٣٠٠ فارّ إلى حيث الحرية، وثابرت على عملها هذا حتى تاريخ مغادرة الألمان تولوز.

وفي معسكرات الاعتقال لم يذعن أوليري أبداً. وعندما اقتربت القوات الامريكية من معسكر داشو تملك الذعر الحراس. وعقد اجتماع سري ضم مساجين من ١٦ جنسية مختلفة شكلوا لجنة عالمية رأسها بات. ورسمت اللجنة خططاً لتفادي حدوث مجزرة يذبح فيها ٣٥ ألف سجين على أيدي الحرس الألمان قبل وصول الامريكيين. فأرسل بات صديقه الوسيم طوم غروم ليغازل فتاة

تعمل مع جنود المعسكر ويقنعها بأن تسرق مسدساً. ويوم اقتحام القوات الامريكية بوابة المعسكر كان بات أوليري وأفراد اللجنة ممسكين بزمام الأمور، يجمعون المساجين لاستقبال الحرية.

ولى الكابوس، فعاد أوليري إلى هويته، الدكتور ألبير غيريس. وتزوج فتاة بريطانية حسناء اسمها سيلفيا كوبر سميث، كانت سكرتيرة لعميله في لندن وكثيراً ما طبعت رسائله السرية. وعاد غيريس الى فوج الرمّاحين والى جولات عيادة المرضى في بلدة سبا. في هذه الاثناء أمطر غيريس بالأوسمة: "وسام جورج" و"وسام جوقة الشرف" من فرنسا و"وسام ليوبولد العسكري" من بلجيكا و"وسام الحرية" من الولايات المتحدة و"الوسام العسكري" من بولونيا. وكانت الأوسمة كلها تغطي صدره إذ يتقلدها في مناسبات نادرة.

وحقَّ للدكتور غيريس اكثر من أي رجل آخر أن يركن الى حياة وادعة مع زوجته وطفله. ولكن حين غزا جند كوريا الشمالية أراضي كوريا الجنوبية عام ١٩٥٠ صدَّهم جيش من قوات متعددة الجنسية. وكانت كتيبة المتطوعين البلجيكيين المشاركة في القتال في حاجة الى طبيب ضابط، فتقدم غيريس. وخدم بامتياز في الخطوط الامامية مدة ١٥ شهراً، ثم آب إلى بلجيكا وفي حوزته بضعة أوسمة أخرى. وهو لم يبال بتلك الاوسمة، ولا بلقب "كونت" الذي أسبغه عليه الملك عام ١٩٨٦. وقد قال في ما بعد: "لقد تأخر هذا الحدث على سيلفيا التي كانت ستسعد حقاً بلقب كونتيسة." (وكانت زوجته توفيت قبل سنة ونصف سنة.)

أمضى غيريس السنوات الخمس والعشرين الاخيرة من حياته جاداً في منصبه رئيساً للجنة داشاو الدولية. ووظّف كل نفوذه لحمل الحكومة البافارية على بناء نصب تذكاري دائم في داشاو، آملا بذلك ألا تنسى الاجيال الطالعة ما حدث في ذلك المكان.

وكانت وصيته الاخيرة قبل وفاته في ٢٦ مارس (آذار) ١٩٨٩ ألا يشاع الخبر قبل مواراته في الثرى. فهو لم يرغب في احتفاء خاص برجل "لم يقم إلا بواجبه."

روبرت فرنيك ■

عصفور عصري

كنت مع زوجي في رحلة بالسيارة. فلاحظنا ان بعض أعشاش العصافير التي رأيناها قبل سنة ما زالت في الاشجار المصطفة على جانبي الطريق. ثم لفت انتباهنا عش يلمع متالقاً في نور الشمس. فاوقفنا السيارة لنتحقق من الأمر. وكم ضحكنا حين وجدنا ان عصفوراً عصرياً مبدعاً بنى عشه بأشرطة تسجيل مرمية.

م.د.ر.

كانت ذكية وطبيعية وخفيفة الدم
فباتت أحب النساء الحمقاوات

غريسي عاشت للحب

مثلت وإياها أدوارا هزلية لا تحصى. وكانت لي نعم الشريك والصديق والزوجة والام لولدينا. كنت وغريسي الن فريقا رائعا على المسرح وخارجه.

عندما التقيتها عام ١٩٢٢ كانت شابة تقطن في مدينة نيويورك. عاطلة عن العمل بعدما تخلت عن دورها في مسرحية هزلية. ولما تناهى اليها أني أبحث عن شريكة جاءت الى المسرح لمشاهدة ادائي.

وبعد انتهاء العرض جاءت بها صديقتها خلف الستار لملاقاتي. كانت غريسي فتاة صغيرة القد لا يزيد طولها على متر ونصف متر ولا يتجاوز وزنها ٤٥ كيلوغراما. وكان شعرها الطويل متموجا على كتفيها، وبشرتها ايرلندية الازهرار



مع لمسة طفيفة من مستحضرات التجميل.

قالت لي صديقتها: "ناتي، أعرّفك الى غريس ألن." وكنت أنادى "نات" أو "ناتي" خارج المسرح لأن اسمي الحقيقي هو ناتان برنبوم.

أذكر أني نظرت اليها مفكراً: كم هي جميلة هذه الفتاة! آمل أن توافق على العمل معي.

وفي اليوم التالي أخبرتني صديقتها أنها وافقت.

اخترنا لعرضنا عنوان "برنز وألن." فأنا بطل المسرحية الهزلية. وتعاقدنا مع مسرح في مدينة نيوارك بولاية نيوجرزي.

بلغ الحضور نحو ١٥ شخصاً حين اعتلينا خشبة المسرح. كنت متوتر الاعصاب، وكانت هي خفيفة الدم. ولكن من يعرف كيف ستؤدي دورها؟

إلا أن المسرحية لم تسِر على النحو المرسوم لها. خاطبتني غريسي بمقطع استجاب له الحضور بضحكة خافتة. فأجبتها بكل ما لدي من مقدرة على التهريج، فلم يستجب أحد. ثم أدّت غريسي مقطعاً آخر، فضحك الحضور حقاً هذه المرة. فأجبتها، ومرة أخرى لم يبدِ الحضور اهتماما. ومع اقتراب نهاية العرض الأول كان الحضور يضجون ضاحكين لعبارات تصدر عن غريسي، مثل: "حقاً، كم هو بخيل أبوها؟"

لم أكن أحتاج الى عبقرية كي أفهم أن ثمة خطأ ما في الملهاة، فالحوار الجانبي كان يُضحك الجمهور أكثر من مغزى الطرفة. لذلك قررت أن أدع غريسي تؤدي بعض مقاطع المغزى، فجاءت النتيجة ضحكا هادراً.

وبعد أيام ثلاثة كانت غريسي تؤدي ثلاثة أرباع المقاطع الرئيسية. ومع نهاية الشهر أصبحت هي كل العرض. واقتصر دوري على السير معها على خشبة المسرح، وسؤالها مثلا: "آه، كيف حال أخيك؟"

قبلة حقيقية. صنع الجمهور شخصية غريسي الهزلية، ذلك لأني كنت أصغي الى النكات التي تُضحك الجمهور وأزيدها. وتمثلت هذه الشخصية في امرأة خفيفة العقل، لكن ما جعلها مختلفة هو أن غريسي مثلت دورها وكأن لكلامها معنى حقيقياً. وقد دعونا هذا الأسلوب "اللامنطق المنطقي." كانت تسألني مثلا: "أين تودع أموالك؟"

فأجيب: "المصرف."

– ما الفائدة التي تجنيها؟

"أربعة في المئة."

– ها! إني أحصل على ثمانية.

"تحصلين على ثمانية؟"

– نعم، لأني أودعها مصرفين.

كانت صوت غريسي الشبيه بزقزقة العصافير لا ينتسى. وكانت تؤدي أدوارها على نحو طبيعي لم أر له مثيلا. لم تحاول أبداً أن تتعمد التمثيل، وهذا ما جعل الجمهور يصدق أن في وسعها حقا الاقتصاد في الطاقة بتقصير سلك المكنسة الكهربائية.

والى نجاحنا معا حدث أمر آخر هو أني كنت هائماً بها.

انقضت سنة قبل أن أعلمها بأحاسيسي. عرفتُ أنها تعتزم الزواج بمؤلف مسرحيات هزلية اسمه بني رايان. وكنت أخشى إن أخبرتها بحبي أن تستاء وتستعفي من دورها. لذا فضلت الصمت.

كنت دائماً أقبّل غريسي كجزء من العرض المسرحي. ولا أذكر متى قبلتها جدياً للمرة الاولى، إذ حدث ذلك تدريجاً. وأخيراً غدت القبلة حقيقية. ولم تبتعد عني سوى مرة واحدة حين قالت: "نات، هذا لا يجوز. هل نسيت بني؟"

فأجبتها: "سأقبله لاحقاً."

وأخيراً تزوجنا. وبعد سنوات تذكرنا يوم زواجنا في اعادة لعرض بثته محطة اذاعية. ففي نهاية العرض قالت غريسي: "أود أن يعرف الجميع أني امرأة محظوظة جداً، اذ غازلني رجل هو الاكثر شبابا ووسامة وجاذبية ونجاحاً في حقل الفن المسرحي..."

قلت: "شكراً جزيلا."

فأكملَت: "... لكني تزوجت جورج لأني أحببته."

كنت أدعوها "غوغي." وقد بدأ ذلك ليلة أيقظتني طالبة مني إضحاكها. فنظرتُ إليها وقلت بلهجة الأطفال: "غوغي، غوغي، غــوغي." فضحكت غريسي ومذذاك صرت أدعوها "غوغي."

ركلة فأولاد. وُلدت غريسي في سان فرنسيسكو عام ١٩٠٦ وترعرعت في عائلة إيرلندية سعيدة مع أخ وثلاث أخوات. وظهرت على المسرح للمرة الاولى وهي في الثالثة من عمرها حين أدت "رقصة إيرلندية معبرة" في مناسبة احتفالية. ولربما كانت تلك المرة الأولى تسمع ضحك الجمهور، فأحبت ذلك.

كانت غريسي تعلم علم اليقين أنها ستحترف الفن. فهي دأبت يومياً، بعد الانصراف من المدرسة، على التجوال بين مسارح المدينة لتتفرج على الصور في القاعات وتحلم بيوم تعلَّق صورتها هناك.

كانت غريسي مثالية في تهذيبها وتتمتع بظرف ومرح طبيعيين. لكنها كانت أيضا إيرلندية قادرة على التصرف بقساوة. وكانت دائماً تطلب مني أن أعاملها معاملة السيدة التي تستحق. مثلاً، فيما كنا ذات يوم ندخل مطعماً، ركلتني بأقصى قوتها، وقالت: "تذكَّر في المرة المقبلة أن تفتح لي الباب." وسارت أمامي.

سألتها مرة في أحد عروضنا: "هل رمتك الخادمة على رأسك يوماً وأنت طفلة؟"

فأجابت ملوحة بقفازها: "لا تكن سخيفاً يا جورج. لم يكن في مقدورنا توظيف خادمة. أمي هي التي رمتني."

قليل من الناس عرف أن غريسي تعرضت لحادث خطر في طفولتها حين احترقت يدها وكتفها اليسريين بالشاي المغلي. وقد نتج من ذلك تشوه رهيب في ذراعها وباتت عاجزة عن مدها. وكانت تخجل بندوبها فترتدي دوماً ثيابا طويلة الاكمام أو قفازات. وهي عانت طوال حياتها من يدها تلك.

وذات أمسية كنا نراجع النصوص وقد

مضى على زواجنا نحو ٢٥ سنة. فأحاطتني غريسي بذراعيها وقالت: "أتعلم يا ناتي؟ إن ألطف ما فعلته معي هو أنك لم تلحظ أبداً ذراعي المتشوهة."

قلت: "حقا؟ أي ذراع هي؟"

أحبت غريسي الأطفال وأحبوها. لكن الله لم يمنّ علينا بمثلهم، فقررنا التبني. وكانت طفلتنا الأولى في أسبوعها الخامس ذات عينين زرقاوين كبيرتين سميناها ساندرا جين برنز.

أدخلت ساندي البهجة الى قلوبنا. فقررنا أن يكون لها أخ. وكان رونالد جون برنز طفلا مريضاً جداً في شهره الثاني عندما رأته غريسي في الميتم. وكان الأطفال الآخرون أصحاء معافين. لكن غريسي اختارت رونالد لأنه الأكثر حاجة إليها. وقد أخبرتها ممرضة أنه ولد قبل أوانه وشكك الأطباء في نجاته. قالت لي غريسي حين أحضرَته الى المنزل: "لاحقني بعينيه، فما كان مني إلا أن اخترته. أعلم أنه مريض جداً، لكننا نستطيع شفاءه."

مرت السنة الأولى وروني في حال صعبة. وبقي وقتاً طويلا من غير أن يزيد وزنه. لكنه كان صبياً ذكياً، إذ اكتشف ذات مرة كيف ينمو، ولم يتوقف عن ذلك حتى بلغ طوله ١٨٣ سنتيمتراً.

اذاعة وتلفزة. حينما كدنا نبلغ مرتبة النجوم، كانت المسرحيات الهزلية تموت. ولحسن الحظ كان عملنا المسرحي صالحاً للإذاعات، إذ لقي لامنطق غريسي المنطقي وقعا حسناً، ففهمتها النساء، وأعجب بها الرجال وكأنها زوجة كل منهم، وساد الجميع انطباع بأنها تشبه أمرأة التقوها في مكان ما.

وحين تحولنا الى العمل التلفزيوني تابعت غريسي تمثيل الشخصية ذاتها: غريسي الظريفة المرتبكة التي تدّعي أن شجرة الغريبفروت (الليمون الهندي) التي زرعتها حملت ثماراً كبيرة الى حد أن كل ثمان منها تساوي دزينة. غريسي التي اعترفت بأنها نجحت في امتحان السوق، لأنها نقلت عن السيارة التي أمامها. غريسي التي قالت أن عمها ألن أفرغ بركة السباحة قبل الغوص لأنه يعرف كيف يغوص لكنه لا يعرف كيف يسبح.

العرض الأخير. عندما أفكر في غريسي أتذكر تلك الصغيرة الممتلئة حيوية أكثر من كل من حولها، والمرأة القوية المتألقة والقاسية أحيانا. وعندما أفكر في مرضى القلب، لا أخال مرضهم يصيب غريسي.

لكنها أصيبت بأول نوبة قلبية في أوائل الستينات، وتعرضت على مر السنوات التالية لنوبات طفيفة أخرى. اليوم يدعون علتها "ذبحة صدرية." وكنت كلما أصيبت بنوبة أحتضنها وأكلمها حتى يخمد الألم.

تابعت غريسي العمل، لكن فكرة التقاعد بدأت تراودها. فلم أولِ ذلك الأمر اهتماماً.

ولكن خلال موسمنا المسرحي الأخير لاحظتُ أنها تعاني صعوبة في الالقاء،

وتستغرق وقتاً أطول في الراحة بين تصوير المشاهد.

وفي أمسية يوم أحد سألتها ونحن في منزلنا نشاهد التلفاز: "أحقا تريدين التوقف؟"

فأجابت: "أريد ذلك حقاً."

حدث ذلك بمنتهى البساطة واليسر.

صورنا آخر عرض لنا يوم ٤ يونيو (حزيران) ١٩٥٨. وتلك كانت المرة الأخيرة نعمل معاً.

خلال السنوات الأولى من تقاعدها كانت غريسي في منتهى السعادة وحالها تسمح بالتسوّق وزيارة الأصدقاء ولعب الورق (الكوتشينة) والمطالعة وتزيين المنزل. ولكن بعد اصابتها بنوبة قلبية قوية عام ١٩٦١ باتت تقلل من الخروج ليلا لانحطاط طاقتها.

وفي أوائل ١٩٤٦ ساءت حالها. وابتعت لها ذات يوم معطف فراء غاليا. وحين وصلتُ الى البيت قلت لها: "أنظري ما اشتريت لك يا غوغي." فراحت تبكي بمرارة. سألتها: "لمَ تبكين؟ لقد دفعت ثمنه ولم أسرقه." لكني لم أتمالك نفسي ورحت أبكي معها. وأخيراً نهضت من الفراش ولبست المعطف، فبدت رائعة.

ومرت الأيام القليلة التالية ولا حديث لها سوى المعطف، واتصلت بصديقة قالت لها: "لا يمكن أن اكون على شفير الموت. فأنت تعرفين نات. لو كنت على وشك الموت لما اشترى لي هذا المعطف الثمين."

وذات أمسية قضيناها وحدنا أمام شاشة التلفاز، نزلتُ الى الطبقة السفلى لأعمل على أحد النصوص. وبعد برهة سمعت غريسي تناديني. فصعدت على الفور لأجدها تتنفس بصعوبة. اتصلت بالطبيب، وحين جاء فحص قلبها ثم استدار نحوي قائلا: "أعتقد يا جورج أن من الأفضل استدعاء سيارة اسعاف."

وفور وصولنا الى المستشفى نقلت بسرعة الى الطبقة العليا. ولم يمض وقت طويل حتى جاء الطبيب وقال لي: "آسف يا جورج. ليرحمها الله."

ثم سألني إن كنت أريد مشاهدتها. طبعا أريد مشاهدتها ومحادثتها لبضع دقائق أخرى، والوقوف الى جانبها على خشبة المسرح لأسمع جلجلة ضحكات الجمهور. أريدها أن تنظر إليّ بعينيها الواثقتين، وأريد أن أسألها مرة أخرى: "غريسي، كيف حال أخيك ؟"

دخلت غرفتها حيث كانت مسجّاة وأمارات السلام على محياها. لم أدر ما أفعل. لذا فعلت الشيء الوحيد الممكن. انحنيت وقبّلتها هامسا: "أحبك يا غوغي."

للمرة الأولى في ٤٠ سنة أغدو وحيداً. أنا لا أعرف أزواجا كثيرين قضوا هذا الوقت معا. كنا دائماً معاً، ننهض من النوم معا، ونذهب الى المسرح معا، ونعود الى البيت ليلا معاً.

يسألني الناس أحيانا: كيف ينجح الزواج. إني أعرف حق المعرفة أهمية الاحترام والثقة والاخلاص والكرم. ولكن، بالنسبة الي، ينحصر الجواب في نصيحة واحدة: "تزوج غريسي."

جورج برنز ■

الكوكايين:

مستشفى المجانين يرحّب بالمدمنين

ليس هوس الكوكايين اليوم بأمر جديد، إذ سبق للغربيين أن أجازوا هذا المخدر البالغ الاغراء!

كتب سيغموند فرويد عندما كان شاباً في العام ١٨٨٤ أنه درس تأثير الكوكايين على نفسه "بضع عشرة مرة." وجاء في مقالته الشهيرة "عن الكوكا"[١] أن الكوكايين "يردّ غائلة الجوع والنعاس والتعب ويشحذ النشاط الفكري."

كما وصف بإعجاب ظاهر التجربة الفذة التي مرّ بها روبرت كريستيسون (٧٨ عاماً) الاختصاصي بعلم السموم في جامعة ادنبره: "كان يمضغ درهمين من ورق الكوكا ويسير مسافة ٢٥ كيلومتراً من غير أن يشعر بالتعب الذي كان يعانيه في مرات سابقة. وحين يصل الى المنزل بعد تسع ساعات لم يذق خلالهما طعاماً ولا شراباً، كان لا يشعر بالجوع ولا بالعطش. وكان يبدأ صباحه التالي من غير تعب."

إشادة فرويد بهذه "المادة السحرية" كما وصف الكوكايين، واحدة من إشادات كثيرة أعربت عنها المراجع الطبية قبل انصرام القرن الماضي. والواقع أن الأطباء الامريكيين، وهم أول المتحمسين لهذا المخدر، ادّعوا أنه يخفف التوق الشديد الى الافيون أو الكحول لدى المدمنين.

وفي أمريكا، حيث وصل الهوس

(١) الكوكا هي النبتة التي يستخرج منها الكوكايين.

بالكوكايين درجة تجاوزت الحال في أوروبا، اعتُبرت مقدرة الكوكايين على شفاء الادمان واحدة من منافعه الفذة. وبدا هذا المخدر قادراً على زيادة التيقظ والفاعلية، وهما صفتان تحظيان بتقدير كبير في البلدان الصناعية.

وفي غياب القوانين التي تحظر بيع الكوكايين واستهلاكه وترويجه، صوّره تجار المخدرات على أنه "إكسير" في متناول الناس. والواقع أنه حين نَشر فرويد أول ثناء له على هذا الإكسير، كانت المستخرجات الكحولية من ورقة الكوكا متوافرة للامريكيين في محلات السمانة والحانات وبواسطة طلبات بريدية. وفي العام ١٨٨٥ كانت شركة "بارك ديفيس" في ديترويت ونيويورك تبيع الكوكايين الصافي والكوكا في ١٥ مستحضراً، بينها سجائر من لفائف ورقة الكوكا ومستنشقات الكوكايين وشراب الكوكا وبلّورات الكوكايين ومحلول الكوكايين الذي يحقن تحت الجلد. وزادت شركة "بارك ديفيس" وغيرها من المصنّعين الانتاج عام ١٨٨٥ لاشباع النهم المتزايد.

وإذ لم تُشبع السوق المحلية نهم الامريكيين للكوكايين، وردت من باريس ابتكارات رائجة من صنع "أنجلو مارياني" بينها "فان مارياني" وهو مزيج من عصارة العنب والكوكا. وقد وصل هذا المزيج الى أمريكا يسبقه ثناء عدد من المشاهير بينهم المخترع توماس اديسون والممثلة ساره برنار والكاتبان إميل زولا وهنريش إبسن وأمير ويلز. وقال الروائي جول فرن: "بما أن زجاجة واحدة من فان ماریاني تضمن الحياة لمئة عام، فلسوف أكون مجبراً أن أحيا الى السنة ٢٧٠٠."

أما ذوو الدخل المحدود فلقد توافر لهم المخدر العجائبي في أشكال أقل رفعة مثل "كوكا كولا" التي كانت تتضمن آنذاك كمية طفيفة من الكوكاكيين. وقد جرى تسويقها على أنها "منشط للدماغ" يعالج الصداع و"جميع الأمراض العصبية." ومع نجاح الـ"كوكا كولا" وما يماثلها من منعشات، بات في مقدور المواطن التعب أن يختار بين عشرات المنتجات: "كولا كوك" و"روكولا" و"كوكا نولا" و"نيرف أولا" و"وايز أولا" وصنف ذي اسم بسيط وصريح هو "دوپ" أي "مخدر."

وعُرض الكوكاكيين أيضاً كعلاج لداء الربو وآلام الأسنان. وقد تضمن "عقار الدكتور تكر للربو" الرائج كمسحوق أو سعوط لمعالجة النزلة[٢] نحو نصف غرام من الكوكايين الصافي في الأونصة (٢٨ غراماً). ولفاعليته الكبرى في تقليص الاغشية الانفية وتجفيف الجيوب، اعتُبر الكوكايين في الثمانينات من القرن الماضي علاجاً رسمياً لدى "جمعية حمّى القش."

لم يُبلَّغ بادىء الأمر الا عن حوادث قليلة عن إدمان الكوكايين. وعندما ووجه الدكتور وليم هاموند، المدير العام للصحة في الجيش الامريكي وأحد غلاة المتحمسين للكوكايين، بحالة تشير الى الإدمان، صرف النظر عنها باعتبارها

(٢) التهاب القناة التنفسية المصحوب بافرازات مفرطة.

"مسألة خيار لا إدمان." ولكن في العام ١٨٩٠ بلغ عدد حالات الادمان التي نشرتها المجلات الطبية أربعمئة على الاقل، ولاسيما بين المرضى الخاضعين للعلاج من ادمان المورفين وغيره من مشتقات الأفيون.

ومع نهاية القرن تعرض الكوكايين لمزيد من الشكوك. واستنتجت "جمعية كونيتيكت الطبية" في العام ١٨٩٦ أن اعتماد الكوكايين في علاج حمّى القش كان سبباً رئيسياً في الأدمان. واقترحت قصر استعماله على الاطباء كمخدر موضعي. وأوردت الصحف والكتب وأحاديث الناس والمقالات المنشورة في المجلات الرائجة مزيداً من الأخبار المقلقة. وفي العام ١٩٠٣، بعد ازدياد الشكوك في سلامة الكوكايين، عمدت شركة "كوكا كولا" الى تطوير أسلوب جديد لاستخلاص نكهة أوراق الكوكا من دون ادخال المخدر في صناعاتها.

وجاء في تقرير لصحيفة "نيويورك تايمز" حول "الخطر المتعاظم لادمان الكوكايين" أن الطبقات الفقيرة تتعاطى المخدر في "حفلات شم" تؤدي الى تدمير "ضحاياه بسرعة أكبر مما يفعل الأفيون." وأطلق تشارلز تاونز المعروف بثورته المناهضة للمخدرات، تحذيراً خطيراً في مجلة "سنشوري ماغازين" جاء فيه: "إن الكوكايين هو الاكثر إيذاء بين المخدرات المسببة للادمان، ولا طريق أسرع منه الى مستشفى المجانين."

وفي العام ١٩٠٧ أقرت ولاية نيويورك قانوناً يحظر استعمال الكوكاكيين إلا بموجب وصفة طبية. ومع بدء الحرب العالمية الأولى أقرت ٤٦ ولاية قوانين مناهضة للكوكايين تفاوتت موجباتها وعقوباتها.

أما الحكومة الامريكية الاتحادية فأدت دوراً صغيراً أول الأمر. فبموجب الدستور الساري آنذاك، لم تكن لواشنطن سلطات تخولها التدخل في التجارة المحلية للمخدرات. كما لم يوجب "القانون الاتحادي للاطعمة والعقاقير النقية" الذي أقر عام ١٩٠٦ سوى إلصاق رقعة تحدد محتوى الكوكايين في الادوية المبيعة من دون وصفة طبيب عبر الولايات. لكن "وباء" الكوكايين المستشري في واشنطن ذاتها أربك المسؤولين بمقدار ما أرعبتهم جرائم القتل المنسوبة الى الادمان الشديد للكوكايين.

ودأب رئيس شرطة مقاطعة كولومبيا الرائد سيلفستر، على تحذير الكونغرس من مفاعيل الكوكايين الرهيبة. قال: "إن عادة تعاطي الكوكايين هي الخطر الأبرز الذي يتهدد مجتمعنا، لأن الضحايا هم عادة أشرار وفاسدون أخلاقياً. والمخدر ينزع بالناس الى ارتكاب الجرائم." وقد حدا هذا الخوف الكونغرس على اصدار قانون في العام ١٩٠٦ يقيِّد البيع المشروع للمخدر في العاصمة.

في تلك الاثناء أعرب إليهو روت، وزير الخارجية الامريكي في عهد الرئيس السابق ثيودور روزفلت، عن أمله - كما يفعل بعض مسؤولي واشنطن اليوم - أن يتمكن من معالجة معضلة المخدرات في

الولايات المتحدة باتلاف محاصيل الخشخاش وحقول الكوكا في الخارج. لكن روت أيقن أن الشعب الذي يقود مثل هذه الحملة الأخلاقية العالمية يجب أن تكون له قوانينه المثالية لمكافحة المخدرات.

وفي العام ١٩١٠ قدم الرئيس الأمريكي وليم هاورد تافت الى الكونغرس تقريراً عن المخدرات أعدته وزارة الخارجية. وغدا الكوكايين، رسمياً، عدو الشعب الرقم واحد. وجاء في التقرير: "إن إدمان الكوكايين يزيد أنياً من قوة المجرم، بحيث لا يتردد في القتل مقاوماً القبض عليه. وللكوكايين مفاعيل أكثر ترويعاً من المخدرات الأخرى المسببة للادمان الشائعة في الولايات المتحدة."

وعندما أقر الكونغرس في ديسمبر (كانون الاول) ١٩١٤ "قانون هاريسون" الذي أحكم ضبط توزيع المخدرات وبيعها، اعتبر تعاطي الكوكايين أمراً محظوراً.

وخلافاً لقانون حظر صناعة المشروبات الكحولية وبيعها[٣] الذي لم يحظ باجماع واسع، قوبل حظر الكوكاكيين بدعم حماسي من معظم الأمريكيين الذين آمنوا بأن تعاطيه يشكل خطراً مهما بلغت الكمية المستهلكة. وما لبث الضغط المتواصل والخوف من العقوبة أن نجحا في دفع الكوكايين الى عالم الاجرام المستتر. وفي العام ١٩٥٠ بات الكوكايين يُعرَّف الى طلاب الطب على أنه مخدر كان يشكل خطراً في الولايات المتحدة.

أما الناس الذين عايشوا مرحلة وباء الكوكايين الاولى في الولايات المتحدة وعرفوا أن فورة المخدر وهم وضلال، فلقد كبروا وماتوا وولت معهم سمعة الكوكايين الرديئة. وباتت أمريكا في الستينات على أهبة مجدداً للانغماس في عالم هذا المخدر البالغ الاغراء والخطورة.

ديفيد ف. مستو ■

الكاتب طبيب واستاذ للطب النفساني وتاريخ الطب في جامعة ييل، وهو مؤلف "المرض الامريكي" عن تاريخ المخدرات في الولايات المتحدة.

(٣) هو تعديل دستوري اقر عام ١٩٢٠ وابطل عام ١٩٣٣.



الطاعة العاقلة

علّم أولادك أن يسألوا لماذا يفعلون هذا العمل أو ذاك. فبذلك يعتادون اطاعة العقل، لا السلطة كما يفعل المحدودون، ولا العرف كما يفعل الحمقى.

س.ر.

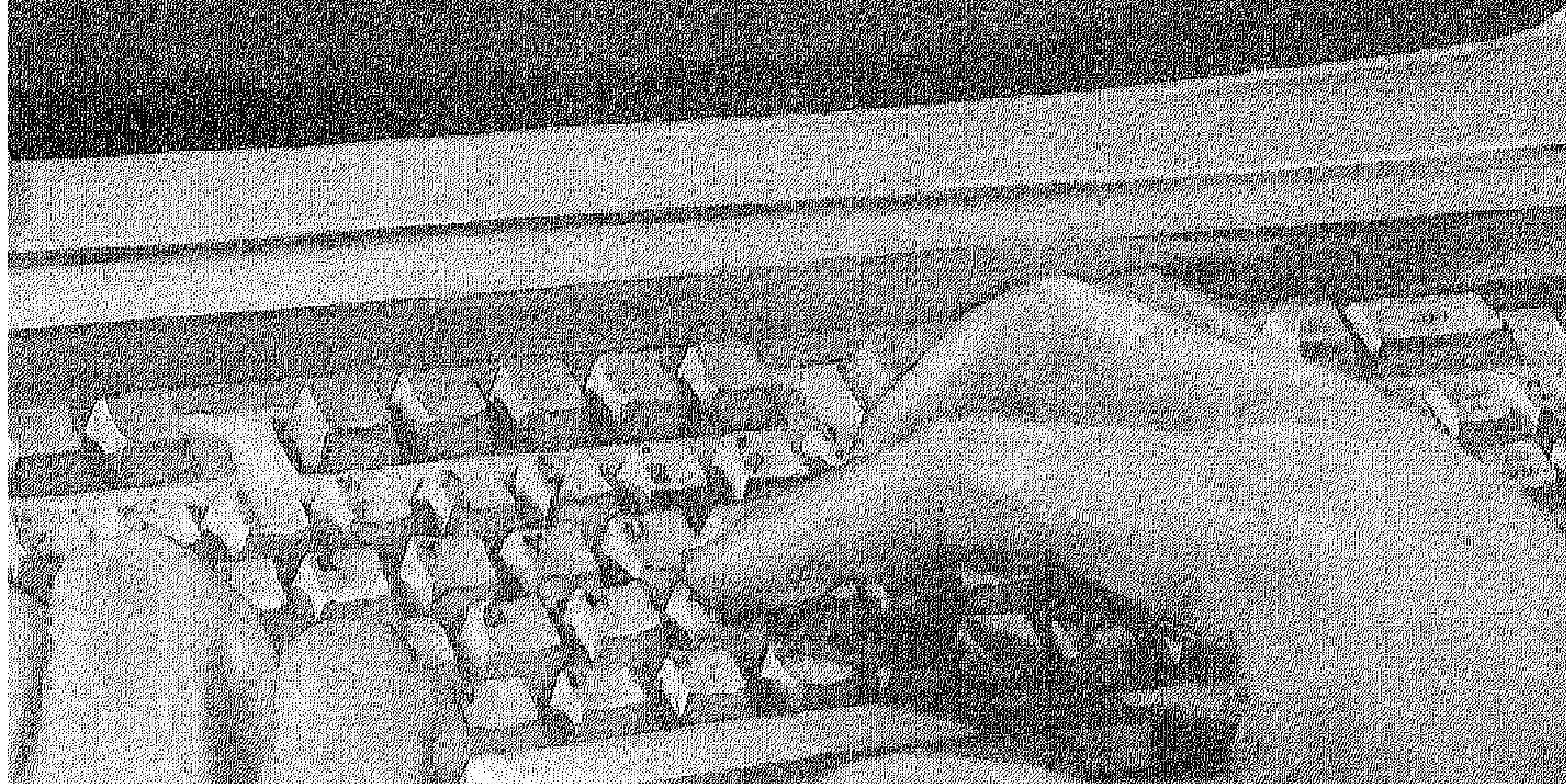
يعني الاصغاء بالنسبة الى بعض الناس الانتظار بفارغ صبر الى أن تحين فرصة لاقحام عبارة: "هذا يذكرني بـ..."

ا.ب.

كتاب الشهر

جواسيس ... الكمبيوتر

بقلم لورنس اليوت



جواسيس الكمبيوتر..

تشكّل اللغز باكتشاف مدير أنظمة الدماغ الالكتروني في مختبر لورنس بيركلي رسماً غير معلل بقيمة ٧٥ سنتاً مسجلا كأجر لاستخدام الدماغ الالكتروني.



يبدو أن أحدهم يدبر شراً ما ولكن من يكون هذا المتطفل؟ وما قصده؟ وما لبثت قائمة اكتشافات ستول أن ضمت بعض المفاجآت. فمكتب التحقيقات الاتحادي (FBI) لم يبد اهتماماً، ووكالة الاستخبارات المركزية (CIA) توقعت أن يخوض ستول الحرب بمفرده، وهو بلغ منه الغضب مبلغاً جعله مستعداً لذلك

ذات يوم خميس من شهر أغسطس (آب) ١٩٨٦ بدأ كليفورد ستول عمله كمدير أنظمة في الدماغ الالكتروني (الكمبيوتر) في مختبر لورنس بيركلي على الخليج قبالة مدينة سان فرنسيسكو في كاليفورنيا. ويوم الجمعة وضع زميله ديف كليفلاند على طاولته مسألة مستعصية هي فرق في الحسابات مقداره ٧٥ سنتاً. ومن علياء أقدميته في العمل خاطبه قائلا: "حلّها أيها العبقري، وأدهش الجميع."

ILLUSTRATIONS: JEAN RESTIVO PHOTOS: QUICK MAGAZINE

لم يكن ستول، العالم الفلكي الحائز شهادة دكتوراه في علم الكواكب، ليشعر بأي عبقرية في ذلك الوقت. فليس من عادة العباقرة أن يدّعوا المنح المقدمة اليهم تنفد من دون اتخاذ تدابير احتياطية تضمن لهم مورد رزق مستمراً. وهو كان أمضى سنتين منهمكاً في تصميم عدسات مقرابية (تلسكوبية). وقبل أسبوع واحد نفد آخر دولار من منحته ووجد نفسه فجأة من دون عمل. ولكن لحسن الطالع عرض عليه مديرو المختبر وظيفة مدير أنظمة ضناً بمهارته في الدماغ الالكتروني وحرصاً منهم على ألا يخسروا باحثاً موهوباً. صحيح أن العمل لم يكن في مجال علم الفلك، لكنه يقيه الوقوف في طوابير العاطلين عن العمل منتظراً دوره لتلقي رغيفه اليومي. وها هو الآن في مكتب في الطبقة السفلى في مركز للدماغ الالكتروني يبحث عن إبرة قيمتها ٧٥ سنتاً في كومة قش.

كان في مختبر بيركلي اثنا عشر دماغاً الكترونياً رئيسياً يشرف عليها ستول مع مديرَيْن سواه، وهي في تصرف أكثر من ألف عامل وباحث. وتعمل تلك الادمغة ليل نهار لحل مسائل في الفيزياء ولتبادل المعلومات. ولكل شخص حساب خاص، وتتولى الادمغة ذاتها تسجيل الوقت وتحسبه حتى أجزاء من الثانية، ثم ترسل الفواتير الى الدوائر المعنية. اذاً لا مجال لاي خطأ. لكن السجلات تظهر فرقاً في الحساب مقداره ٧٥ سنتاً.

"وماذا يهمّ في ذلك؟" هذا ما كان ليقوله أي موظف عادي، ثم ينتقل الى مسألة حقيقية. لكن كليف ستول، الشاب الناحل القوي البنية ابن السادسة والثلاثين، ذا الرأس العبقري الرياضي الذي يغطيه شعر كثيف كالأسلاك، لم يكن مجرّد مشغِّل للادمغة الالكترونية ممن تلتقيهم كل يوم، بل كان عالماً وكان عنيداً. وبعدما تفحص النظام مدّة كافية ليفهم الطريقة التي تتم بها عملية الحساب، تمكن من اقتفاء الـ٧٥ سنتاً المفقودة كأنها مذنّب محيِّر في الفضاء.

ومع حلول المساء انتهى ستول من تدوين برامج اختبار للتحقق من عدم وجود أخطاء في سجلات المختبر المحفوظة في الدماغ الالكتروني. وبعد ذلك أخذ يقارن الفواتير بقائمة الاشخاص المرخَّص لهم استخدام الآلات، وما لبث أن عثر على ضالته إذ وجد حساباً فُتح حديثاً لشخص اسمه هنتر. ولم يكن الحساب يحمل عنواناً لتلقي الفواتير وتحصيلها. وكان هنتر هذا استخدم الدماغ الالكتروني وقتاً قيمته ٧٥ سنتاً. صحيح أنه مبلغ لا يستأهل التدوين، لكن الحساب لم يسدَّد.

ثم برزت مشكلة غير متوقعة. فعندما قدّم ستول تقريره في الصباح التالي مسجلاً نصره الصغير، أفاده مديرا الانظمة الآخران ان لا حساب لأي شخص اسمه هنتر.

وحمل يوم الاثنين لغزاً آخر، إذ أرسل الدماغ الالكتروني "دوكماستر" في ولاية ميريلاند شكوى مفادها أن شخصاً من مختبر لورنس بيركلي حاول في نهاية الاسبوع

أن يغزو مخزن المعلومات في "دوكماستر." وخلفت الشكوى عيوناً ازدادت اتساعاً عندما تبين أن "دوكماستر" هو ملك "مركز الكمبيوتر للامن الوطني" التابع لحكومة الولايات المتحدة والواقع خارج مدينة بالتيمور.

رجع ستول الى الملفات التي أظهرت أن شخصاً واحداً فقط من الذين يستخدمون الدماغ الالكتروني، وحسابه باسم "سفنتك"، قد سُجِّل في الساعة ٨،٣٠ من صباح يوم السبت، وهو التوقيت نفسه الذي سجِّل فيه "دوكماستر" محاولة الاقتحام. لكن جو سفنتك، الذي يذكره الجميع مبرمجاً ماهراً، غادر البلاد الى بريطانيا قبل زمن طويل، وحسابه في سبات منذ سنة.

اقترح ستول تفسيراً: "لعله وصل الى هنا من طريق شبكة أخرى ثم اتصل بدوكماستر من هنا."

هزّ ديف كليفلاند رأسه وقال: "جو سفنتك لا يقتحم أدمغة سواه. ولكن إن هو نوى ذلك فلن يسع أحداً أن يقتفي أثرَه."

من اذاً؟ ولماذا؟ سؤالان مقلقان حملهما ستول الى البيت وعرضهما على مارثا ماثيوز وهي طالبة حقوق في جامعة كاليفورنيا في بيركلي. وهي اضافت اليهما سؤالين آخرين: هل يحاول أحدهم التسلل الى الادمغة تهرباً من الدفع؟ أو لعله طالب مغرور في جامعة كاليفورنيا يلهو بالادمغة؟

ثم سألته: "لماذا لا تشطب اسمي هنتر وسفنتك من قائمة أسماء الاشخاص المرخّص لهم استخدام الادمغة الالكترونية؟ وإذا جاءا يشتكيان فيمكنك عندئذ أن تطرح عليهما بضعة أسئلة."

فرد كليف: "سأفعل ذلك." لكنه علم في تلك اللحظة أن الامر لن يكون بتلك السهولة.

■ مسألة ثقة ■

كان كليفورد ستول شاباً وجودياً متمرداً، لا يزال متمسكاً ببزة بيركلي المميزة من سروال الجينز والحذاء القماشي الخفيف والقميص القطني. وفي ما عدا براعته الفائقة بالادمغة الالكترونية، لم يكن في حياته شيء يؤهله للمحنة التي كانت في انتظاره أو يفسِّر تلك الشراسة التي أبداها في الاندفاع لمطاردة ذلك الدخيل المتطفّل المجهول عبر جميع الشبكات الالكترونية المتقاطعة في العالم.

نشأ كليف في بافالو بولاية نيويورك. وكان في الثانية عشرة من عمره عندما وضع أول برنامج صممه للدماغ الالكتروني، الحقل الذي ظلّ مفتوناً به، وإن أصبح علم الفلك في ما بعد غرامه الابدي مشاطرةً مع مارثا ماثيوز التي هام بها منذ التقيا حين كان يحضّر لنيل درجة الدكتوراه في جامعة أريزونا. وهما أمضيا معاً اوقاتاً ممتعة

يستكشفان الكهوف ويتسلقان الجبال. وعندما توجهت مارثا شرقاً لمتابعة دراستها الجامعية، قبل كليف منصب عالم زائر في مرصد "الجبل البنفسجي" في نانجينغ بالصين. وظل هناك نحو سنة وعمل على إتقان اللغة الصينية. في وقت لاحق انتقل الاثنان الى بيركلي حيث شرعت مارثا في التدرب على الايكيدو، أحد الفنون القتالية اليابانية، وكانت في الوقت ذاته تحضّر لنيل درجة في الحقوق ودكتوراه في فلسفة القانون.

عاش الاثنان حياة هادئة يزرعان شتول الفراولة (الفريز) في حديقة منزل صغير في أوكلاند ويركبان الدراجة الهوائية الى العمل والى الجامعة (لم يقتنِ كليف سيارة في حياته) ويتسليان أحياناً بجمع قطع قماش صغيرة لصنع لحاف أو فراش، وبتلوين زجاج النوافذ.

ثم جاء المتطفّل رامياً ظلّه فوق ذلك النمط المشمس من الحياة.

شعر ستول بقلق إزاء ما هو حاصل داخل الدماغ الالكتروني. لماذا هو قلق؟ انه لا يعتبر نفسه بطلاً في نصرة القانون والنظام. وفي أي حال، لماذا يُعتبر العبث بمخازن المعلومات أمراً مستنكراً الى ذلك الحد؟ الا يعقل أن يعبث هو نفسه بالمعلومات في زمن آخر؟ هل الامر أخطر من مجرّد مزحة؟ أوَليس محتملاً أن أحد مهووسي الدماغ الالكتروني يمدّ لسانه ازدراء وسخرية؟

إلا ان ستول كان في قرارته يعرف الجواب. فاقتحام دماغ الكتروني يخص الآخرين خطأ غير مقبول.

حسناً، لماذا إذاً لا يجبه الشخص المعني مباشرة، فيوجه الى ذلك "الشبح" رسالة على الشاشة تطالعه ما أن يتسلل الى الجهاز في المرة المقبلة، من نوع: "هاي، أنت! أخرج من جهازي والا استدعيت الشرطة!" تلك هي الطريقة الوحيدة للاتصال به. لكن في وسعه أن يختفي قبل أن يتسنى لمهدّده رفع سماعة الهاتف، ليعود من جهة مختلفة ويظهر متنكراً بزي آخر وفي أي وقت يشاء.

يجنح الناس الى الاعتقاد أن الادمغة الالكترونية آلات معزولة تعمل وحدها. والحقيقة أن بعضها فعلاً كذلك، مثل أجهزة الكمبيوتر الشخصي التي لا صلة لها بالخارج وهي مثل كوخ في الغابة يختبىء فيه صاحبه متى شاء. ولكن، مثلما هي معظم المنازل في مجتمع ما متصلة بعضها بالبعض الآخر بواسطة شوارع وسكك حديد وأسلاك هاتف وكهرباء، كذلك هي الادمغة الالكترونية التي تتبادل المعلومات، إذ انها هي أيضاً جزء من مجتمع، فهي شبكة محلية أو وطنية أو عالمية، متصل بعضها بالبعض الآخر بوصلات هاتفية.

وهذه الادمغة شبيهة بشبكة طرق عامة إلكترونية تحمل ملايين الرسائل الى أنحاء العالم، فتصل أسواقاً دولية بالباحثين عن المعلومات وبالمساهمين في أقطار العالم من

علماء وباحثين وكتّاب ورجال أعمال وبحّاثة وحكوميين وصناعيين وعسكريين. وفي وسع هؤلاء، في سوق المعرفة هذه، أن يعرضوا ما يبغون وأن يحتفظوا بما يحتاجون اليه وأن يأخذوا ما هو متوافر ومتاح، ومن ثم يعودون الى أجهزتهم ليختزنوا فيها – بما يعتقدونه سرّية تامة – كل تفاصيل خططهم ومشاريعهم ومسار أعمالهم.

ان شبكات الادمغة الالكترونية ابداع أفرزه العصر الالكتروني. لكنها ترتكز على الثقة العتيقة التي يستحيل العمل من دونها. ووغد فالت في هذه الادمغة هو أسوأ من لصّ ينهب أدراجك، إذ ان في وسعه، ليس فقط أن يسرق أسرارك وينقل افكارك، بل أن يتسلل اليك بصمت ليدمر – أو يبدل – المعلومات التي ربما أمضيت سنوات في جمعها. كما يمكنه أن يختفي من دون أن يترك أي أثر خارجي يشهد على الأذى الذي ألحقه.

ذلك ما عذّب كليف ستول اكثر من سواه. ففي هذه المرحلة لم يكن يعرف شيئاً عن خصمه، لا مَنْ يكون ولا أين هو ولا ماذا يدبر. لكن ستول شعر تجاهه بالاحتقار قبل أن يراه لاعتدائه على الثقة المتبادلة الذي ترتكز عليها شبكات الادمغة الالكترونية. وعندما أعلَم كليف السلطات قيل له أن يحرم ذلك المتطفل التسلّل ثانية، وهذا يمكن تحقيقه باجراء تغييرات تتناول الاسماء وكلمات السر. لكن كليف لم يعتبر ذلك التدبير حلاً.

قال: "لقد اعتبروا أن الأمر لا يتعدى سرقة ٧٥ سنتاً، فيما أنا اعتبرته ارهاباً الكترونياً. نعم، يمكننا أن نحرم ذلك الشخص متابعة التسلل، ولكن لن يسعنا عندئذ أن نعرف من هو، وسوف يظل حراً طليقاً قادراً على اقتحام أي دماغ آخر يجهل أصحابه كيف يمنعونه من الدخول." وشبّه ستول هذا الاسلوب بموقف المواطن الذي يدير ظهره لعملية سطو زاعماً أن الأمر لا يعنيه.

لكن كليف ستول قرّر أن الأمر يعنيه. وطلب من رؤسائه في العمل فرصة لضبط الوغد متلبساً بالجرم، والتشهير به. وهم منحوه ثلاثة أسابيع.

■ "هات الدليل" ■

"التسلل" هو التعبير المعتمد في عصرنا الالكتروني للاشارة الى عمليات اقتحام الادمغة الالكترونية. ويحتل التسلل حيّزاً متنامياً من أخبار الصحف. فمن تخريب متعمّد لسجلات الجامعات بفعل فتيان أذكياء وأشقياء، الى مزحات تطاول أنظمة يُفترض أنها محروسة جيداً. هذه أمور لا تثير ضحك الذين يدركون الى أي مدى أصبح الدماغ الالكتروني يدير حياة البشر في نهاية القرن العشرين، بل يدركون أيضاً أن كارثة تنتظر على الابواب:

موظف سابق في شركة للتأمين، وقد ساءه تسريحه، يقدم على محو معلومات في ملفات جداول الأجور.

تلميذ يرسل "فيروساً"، أي أمراً سرياً هدّاماً، عبر شبكة ذات نطاق وطني. ويتناسخ "الفيروس" بسرعة معطّلا الشبكة برمّتها، بما فيها ألوف الاجهزة العائدة الى مصالح جامعية وتجارية وحكومية.

مثل هذه الحوادث حصلت فعلا. ويلوح الآن في الافق احتمال استخدام الارهاب بواسطة الدماغ الالكتروني. وما العبث بنظام ضبط الملاحة الجوية في مطار كثيف الحركة، أو قطع الخطوط الهاتفية في مدينة كبرى، سوى طريقتين سهلتين نسبياً لاشاعة الهلع بين الناس. ومع ذلك لم يتخذ أي من الحكومات أو المصالح التجارية تدابير كافية للتحصن ضد مثل تلك الهجمات. ومن أسباب ذلك أن خطط الدفاع باهظة الثمن. وهي الى ذلك تعيق الاتصال، والاتصال هو السبب الرئيسي لاستخدام الادمغة الالكترونية.

أما كلمات السر فيسهل اكتشافها، إذ "يحزرها" المتسللون أو يتبادلونها علناً عبر الشاشات الالكترونية، أو ينسخونها عن ملفات الاجهزة المختَرَقة، أو يسرقونها من مركز العمل حيث تعلّق غالباً على الجدار بالقرب من الجهاز. والى ذلك، فان كل كلمة سرّ جديدة تَعِدُ المتسلل بتوسيع متناوَله، اذ ان أعداداً كبيرة من الادمغة الالكترونية متصلة بشبكات مبرمجة على نحو يجعل كل جهاز يثق بالآخر. فالشخص الذي هو موضع ثقة احد الادمغة، هو تلقائياً موضع ثقة أدمغة أخرى.

ولم يكن موضوع الامن يحظى باهتمام كبير في مختبر بيركلي. فإلى كون المختبر لا يختزن معلومات سرية، فإنه لمن دواعي سرور العلماء – كما يقول ستول – أن يطلع الناس على نتائج أبحاثهم ويقرأوها. فما الضير إذاً إن اخترق أحدهم الاجهزة؟ وهذا من دون شك، أمر متيسر، إذ كان العلماء الزائرون يُعطون حسابات خاصة بالضيوف وكلمات سر مثل "لورنس" أو "بيركلي" أو اسم الشخص نفسه. وبديهي أن ذلك لن يرهب حتى فتى في الثانية عشرة من عمره يتمتع بومضة من خيال.

ولكن ماذا لو رغب أحد الدخلاء في أكثر من مجرد فرصة لقراءة الملفات العامة؟ ماذا لو كان يسعى الى أفضليات وامتيازات استثنائية مثل تلك المعطاة لمدير الانظمة مثلا؟

يمكن تشبيه مدير أنظمة الدماغ الالكتروني بقيِّم على بناء سكني، حيث الشقق مفصولة الواحدة عن الأخرى بجدران، وثمة أقفال في الابواب تؤمن السرِّية. ولكن إذا تسرّبت المياه من قساطل إحدى الشقق في غياب صاحبها، ففي وسع الناظر إصلاح العطل لان في حوزته مفتاحاً خاصاً يؤمن له دخول الشقة عند الاقتضاء. وبالمبدأ عينه، فإن اشتراك ألف شخص في شبكة واحدة يحد من حرية العمل بكلمة السر الافرادية، إذ ينبغي أن يكون بين المشتركين شخص يمكنه تخطي تدابير الحماية المفروضة ودخول الشبكة عند الضرورة، فيبدّل قرصاً ما أو يجد ملفاً ضائعاً في

الفراغ الالكتروني. ذلك الشخص هو مدير الانظمة. ومثل ناظر البناية ينبغي أن يكون موضع ثقة.

ماذا لو أن متسللا راح يفلّي النظام على نحو مشبوه بحثا عن الطريقة التي تمنحه مثل تلك الامتيازات. وإن هو اكتشفها، أصبح بمقدوره أن يطلع على "البريد" الالكتروني لأي مشترك وأن يضيف اليه أو يعدل فيه أو يشوهه أو يحذف منه ما حلا له، وبين يديه نحو ٩٠٠ ألف صفحة من المعلومات المختزنة في ذاكرة الدماغ الالكتروني. وسيتاح له أيضاً أن يتحكم بالنظام كله عبر تلقيم البرامج تعليماته الخاصة، كذلك أن يعطل الدماغ الالكتروني متى شاء من غير أن يستطيع أحد أن يوقفه عند حده. وبعد كل ذلك، يمكنه أن يبرمج الدماغ على نحو يمحو أي دليل أو بيّنة على أنه "مر من هنا."

هل هذا ما يحدث الآن في الدماغ الالكتروني الذي يديره ستول؟ لم يكن الرجل يملك الجواب عن هذا السؤال.

يوم الاربعاء قصد ستول رئيس القسم ليروي كيرث. فهزأ به هذا وقال: "إنك لست متأكداً من أن غريباً تسلل الى هنا فعلا. تابع بحثك وعد الي بدليل."

يوم الخميس دخل سفنتك الخط مرة أخرى، وما لبث أن اختفى بعد دقيقة واحدة، لكنه خلف آثاراً. فالطرف الذي اتصل منه أثبت أنه يستخدم "مودم" وهي آلة ترسل بيانات الدماغ الالكتروني عبر خط هاتفي بتحويل الموجات الالكترونية أصواتاً. ربما لم



يكن ذلك الشخص جو سفنتك ذاته، لكن أحدهم في الخارج يستخدم حسابه مدخلا الى المختبر ليقيم نقطة انطلاق مشروعة يتوغل منها في الشبكات.

يوم الجمعة توقف ستول عن التظاهر بالعمل في وظيفته الحقيقية وسلّط كل انتباهه على الدخيل. وهو صرف النهار كلّه يجهّز سلسلة من ٥٠ مرقاباً وآلة طابعة جمع معظمها من المكاتب التي تفرغ عندما يُخلي المختبر، وتبرع ببعضها موظفون أذهلهم عمله. ووزع ستول الآلات والمراقيب، واحدة على كل خط من خطوط الاستقبال الهاتفية.

وهو قال: "سيكون الثمن باهظاً يوم الاثنين، لكن الاعتذار أسهل من الحصول على إذن. ولدي عطلة نهاية الاسبوع بكاملها."

هكذا أصبح الوضع مقلوبا، وبات كليف قادراً على تتبّع جميع تحركات المتسلل متى عاد، ومن دون أن يراه هذا أو يشعر به. وفي الحادية عشرة مساء ودّع مارثا وامتطى دراجته صعوداً الى المختبر.

في المختبر، تكوَّر ستول على الأرض وسط الضجيج والازيز وحاول أن يغفو. وانحشرت قدماه في غابة من الشاشات والآلات الطابعة التي دبَّت الحياة في اثنتين منها فراحتا تومضان وتقرقعان كلما أدار أحدهم قرصاً بغية دخول النظام. وكان الورق ينفد من كل واحدة بدورها في فترات متقاربة على نحو مغيظ، فتروح تزعق معلنة النبأ الخطير، فيضطر كليف الى النهوض والسير متعثراً بين الاسلاك المتشابكة كي يلقم الآلة ويسكتها.

وفي الصباح التالي تبيّن أن إحدى الالتين سحبت حوالى ٢٥ متراً من الورق وطبعت عليه، بأمانة وإخلاص، جميع الاوامر الصادرة عن لوحة المفاتيح الرئيسية التي يستخدمها المتسلل، كذلك الاستجابات الصادرة عن الدماغ الالكتروني الذي يشرف عليه ستول. واتضح أن أحدهم استغل وجود هنة صغيرة في البرنامج وتمكن من سرقة امتيازات استثنائية، وأمضى ثلاث ساعات يجوس في نظام مختبر لورنس بيركلي.

أورمل وهاغبارد

اسمه الحقيقي ماركوس هيس، و"أورمل" اسمه المستعار عندما يقتحم الشبكة. بلغ الرابعة والعشرين من عمره في ذاك الصيف (١٩٨٦) وقطع دراسته الجامعية ليعمل مبرمجاً للدماغ الالكتروني في مدينة هانوفر شمال المانيا.

عمله، مثل دراسته من قبل، لا يثير اهتمامه. إنه يعيش لليالي التسلل. يجلس في الوهج المتألق المنبعث من المرقاب أمامه ويروح يضرب على الآلة رموز دخول غير مرخّص لها وأخرى ملفقة تتيح له حرية التجول في أنحاء العالم من خلال اختراق

الادمغة الالكترونية في ألمانيا الغربية وفرنسا والولايات المتحدة واليابان وبلدان أخرى.

في ليلة مثل تلك يكون هيس في شقة مستأجرة في غلوكسيستراس مؤلفة من غرفتين فُرشتا كيفما اتفق باستثناء دماغ الكتروني هو قطعة الأثاث الوحيدة القيِّمة. وحول الجهاز أوراق دونت عليها لوائح بكلمات سر وأسماء أصحاب حسابات. وحوله أيضاً كتيِّبات تقنية وغلافات سكاكر وأكواب متسخة ومنفضة ضاقت بأعقاب السجائر المسحوقة من ماركة "بنسن اند هدجز." ولا يضيء المكان سوى طيف نور منبعث من شاشة الدماغ الالكتروني، تتراقص فيه سحب دخان السجائر ناشرة في الجو رائحة كريهة.

أقام هيس صداقة مع مهووس آخر بالادمغة الالكترونية عمره ٢١ عاماً واسمه كارل كوك لكنه يفضل أن يُدعى هاغبارد. ويتناوب الصديقان الجلوس أمام لوحة المفاتيح يعملان فيها نقراً وضرباً ويعرضان على المرقاب مواكب الحروف والارقام. وهما لا ينفكان يتنقلان بين الشبكات لاختراق "بنوك" أخرى للمعلومات والتسلل اليها. تمرّ الساعات مسرعة فلا يشعران بها. وها قد انتصف الليل وهما أمام الجهاز منذ العصر، يخالان الساعات دقائق. عالمهما الحقيقي الآن هو عالم الضوء والظلال ذاك وارض المعركة تلك، حيث جاءا ليبزّا أصحاب السطوة والسلطان دهاء وحيلة.

وفي ما خلا ادمانهما لليالي التسلل، لا تجمع الصديقين صفة مشتركة أخرى. بل انهما شديدا الاختلاف. ولقد درج هيس منذ أكثر من سنة على التنقل بين دوائر المتسللين، كما انه يحضر أحيانا اجتماعات "نادي فوضى الكمبيوتر"[١] ومركزه مدينة هامبورغ. وهذا النادي ملتقى للمتسللين الذين يشتركون في أنهم جميعهم من أصحاب البراعة التقنية الفائقة ومن المؤمنين بأن لأي انسان الحق في أن يغزو مراكز المعلومات التي تخص أي جهة. وفي عالم المتسللين هذا اكتسب هيس نجومية خاصة بفضل مثابرته. وهو اشتهر بولعه باختراق الادمغة الالكترونية العائدة الى القوات العسكرية.

وعلى نقيض هيس، لم يكن كوك ماهراً في البرمجة. لكن موهبته الطبيعية في استخراج كلمة السر الصحيحة من اللاشيء تتيح له اختراق خطوط الدفاع المعتمدة.

وكان هيس ممتلىء الجسم محباً للابهة وابن عائلة ألمانية ميسورة. أما كوك فكان عاطلا عن العمل وغارقاً في الديون. وكان فوضوياً ثائراً وكتلة من الاعصاب. توفيت والدته وهو في العاشرة من عمره وتبعها والده بعد ثمانية أعوام. وكان والده صحافياً معروفاً، وتكفيراً عن اهماله اياه طوال سنوات نموّه، ترك له مبلغ ٥٠ ألف دولار. لكن المبلغ نفد قبل زمن بعيد. وهو أنفقه على شراء معدات الكترونية وعلى فواتير

(١) Chaos Computer Club

الاتصالات الهاتفية التي بلغت أحياناً الف دولار في الشهر (وهذا ما يكلّفه التسلل الجديّ) وعلى المخدرات. وهو حاليا مدمن كوكايين وقد تدرّج اليه عبر الماريوانا والـ«LSD» .

يفضّل كوك دائماً اسم هاغبارد. ويجنح به الخيال تحت وطأة الكوكايين الذي يتعاطاه، فيتقمص شخصية هاغبارد فعلاً. وهاغبارد هذا هو بطل سلسلة كتب "إلوميناتي" ذات المحتوى الخيالي – العلمي الذي يدور غالباً حول الخير والشر. والسلسلة مفعمة بالرموز والتلميحات الغامضة والارقام السحرية. وهاجس كوك هو الرقم ٢٣ الذي تعبّر عنه شارة النصر المرسومة برفع السبابة والاصبع الوسطى فيما الاصابع الثلاث الباقية مطوية. وهو يرمز في نظره الى ثنائية الخير والشر.

وهاغبارد الذي لا يهاب شيئاً يشنّ حرباً على جماعة "إلوميناتي" ذوي القلوب السوداء المتورطين في مؤامرات دولية هدفها استعباد الروح البشرية. وكوك، مثله، مجنّد في حرب يشنها على أسياد الادمغة الالكترونية، أولئك الذين يخنقون تدفّق المعلومات بإيصاد أبواب مخازنها بواسطة كلمات سرية ورموز تحظر الولوج. وهكذا يخفون الحقيقة عن الناس.

البحث عن شيء ضخم

في نهاية العام ١٩٨٦ تعرف كوك الى مهووس آخر بالادمغة الالكترونية اسمه هانس هوبنر وعمره ١٧ سنة. وكان هذا معروفاً في أوساط "نادي فوضى الكمبيوتر" كمبرمج باهر. وكان كوك في ذلك الوقت منهمكاً في نشاطات "المركز ٥١١" في النادي. والرقم ٥١١ هو في الوقت ذاته الرمز الهاتفي لمنطقة هانوفر في شمال ألمانيا الغربية. لكن مهمة كوك في المركز لم تكن تتطلب منه أكثر من بضعة اجتماعات في مقهى محلي، وبعض ليالي التسلل الطويلة في شقق مختلفة.

وما لبث المتسللان أن تعرفا الى ألمانيين يكبرانهما سناً هما ديرك برزنسكي وبيتر كارل.

كان برزنسكي آنذاك في السادسة والعشرين من عمره وصاحب طبع شرير. وعرف عنه انه في سورة غضبه يكسر أي زجاج تقع عليه يداه. لكنه كان مبرمجا مبدعا يجني أكثر من ١٠٠ دولار في الساعة من عمله خبيراً في تحديد مواطن الخلل في الاجهزة في عدد من الشركات، بينها شركة "سيمنز" الكهربائية العملاقة. وكان المال يختفي حال وروده، ينفقه برزنسكي على سيارات السباق وعلى مجموعة واسعة من المخدرات. وهو سُمع يقول بقناعة انه لا يخشى أن يصبح مدمناً، لانه يتعاطى أصنافاً عدة من المخدرات. أما بيتر كارل فكان في السابعة والثلاثين وقد عمل مديراً في ناد ليلي في هامبورغ. ومنذ خسر برزنسكي اجازة السَوْق على اثر مطاردة الشرطة اياه لسرعته

الفائقة، تولى كارل القيادة. وهو لم يكن يعرف شيئاً عن الادمغة الالكترونية. وكان يحمل مسدساً.

في أوائل العام ١٩٨٦، بعد تبدد المال الذي ورثه كوك وإدمانه الكوكايين الذي كان يكلّفه ٣٠٠ دولار في الاسبوع، بدأ يسأل علناً كيف يمكنه أن يسخر موهبته في التسلل لكسب المال.

وذات يوم من شهر سبتمبر (أيلول) إتصل كارل بوفد تجاري سوفييتي في برلين الشرقية. وهناك التقى رجلا أنيق الملبس لم يعرف عنه سوى أن اسمه سيرج وانه مع الـ«KGB» (وكالة الاستخبارات السوفييتية). حمل اليه كارل في اجتماعهما الثاني حقيبة مليئة ببيانات مسروقة من قواعد عسكرية غربية ومراكز أبحاث وصناعة. وهو أراد بذلك أن يريه عينة مما يمكن تحقيقه من طريق الخبرات التقنية. ذلك ما أرادت جماعة هانوفر أن تبيعه، وذلك ما عرضته: قائمة بأدمغة الكترونية يفترض أنها مصونة من الاختراق وموزعة في مجالات حساسة جداً. انها نوع من "افتح يا سمسم" تستجيب له مراكز المعلومات في الغرب. وهم طلبوا في مقابل ذلك كله مبلغ ٥٠٠ ألف دولار.

هز سيرج رأسه نفياً. فرؤساؤه يفضلون أن تستمر الجماعة في تدبُّر المعلومات وتسليمه اياها. وقال وهو ينقر على الحقيبة ان رؤساءه سوف يقوِّمون ما في داخلها وانهم يهتمون كثيراً بالمعلومات المجموعة من بنوك المعلومات العائدة الى السلطات والاجهزة العسكرية في الولايات المتحدة، وخصوصاً تلك المتعلقة بالبرامج الغربية لإنتاج "المنسِّقة المصغَّرة"[٢]، تلك الرقاقة الالكترونية الموجودة فى قلب كل دماغ الكتروني.

وفي اللقاء الثالث اجتمع كارل بسيرج في مكاتب شركة "ماتا نوفيس" التجارية حيث سلمه هذا ظرفاً يحتوي على ١٠ آلاف دولار "دفعة أولى" على حدّ تعبيره.

وهو أضاف: "أتحفونا بشيء كبير."

هكذا بدأت "عملية المسوّي"[٣] الاسم الذي أطلقه المتسللون على عمليتهم مع سيرج. ومنذ ذلك الحين بات كارل يعبر بانتظام حاجز فريدركستراس بين برلين الغربية وبرلين الشرقية من دون أن يرتاب في أمره حراس الحدود في برلين الشرقية. وهو كان يسلّم أقراص المعلومات[٤] ويعود حاملا ماركات ألمانية. صحيح أن ما قبضه المتسللون لم يكن ليكفي تسديد فواتير الاتصالات الهاتفية، إلا أنهم كانوا كل مرة يوعدون بمبالغ أكبر كثيراً، وهذا ما حملهم على مواصلة البحث.

---

(٢) Microprocessor

(٣) Operation Equalizer

(٤) Data disks

وهكذا، في احدى ليالي سبتمبر (أيلول)، يجلس أورمل وهاغبارد في شقة هيس ويجوبان القارات أملا بالعثور على شيء ما يجعل وكالة الاستخبارات السوفييتية تفتح كيس النقود. يبدأان باجراء اتصال محلي بجامعة برمن، ومنها يتصلان بمؤسسة "داتكس ب" الشبكة الدولية للادمغة الالكترونية في ألمانيا الغربية. ومن ثم يتصلان بشبكة "تيمنت" التي تضم أدمغة الكترونية موزعة في أقطار العالم. والحقيقة أن في قدرة اي كان أن يفعل ذلك، لأن أرقام الاتصال بالشبكتين مدرجة في الدليل العام. ولمَ لا؟ فتسهيل تبادل المعلومات هو سبب وجود "تيمنت." أما الخطوة التالية ففائقة السهولة. انهما يستخدمان حساب سفنتك القديم الذي استوليا عليه مستغلين بعض العيوب في نظام الحماية. ويتمكنان في النهاية من التسلل الى مختبر لورنس بيركلي.

■ تعقُّب الدخيل ■

زيارة المتسللين هذه خاطفة. فهما حصلا في "زيارة" سابقة على أفضليات استثنائية. فمختبر لورنس بيركلي ليس هدفاً سهلا فحسب، بل هو أيضاً مدخل مثالي متصل بعشرات الشبكات. والشبكة التي يستكشفانها هذه الليلة هي شبكة "ميلنت" التي تملكها وزارة الدفاع الامريكية. انهما يقفزان من قواعد الجيش الى القوات الجوية الى مراسي السفن الى متعهدي الدفاع الى مواقع الصواريخ. إنهما كمن يختبر مقابض الابواب في شارع مظلم. الابواب موصدة ولا ينجح أي منهما في اكتشاف كلمة السر. وفي محاولات عدة يصدّهما النظام. لكنهما لا ييأسان، فأمامهما أهداف مختلفة وفي حوزتهما كلمات سر كثيرة.

ينقضي الليل. يغفوان قليلا ثم يعاودان العمل. ينقران، يتلمسان، يديران "مقابض الابواب"، ويتصلان بـ"ميلنت." يطلب المرقاب كلمة السر. يحاول هيس أن يتذكر الكلمة التي استخدمها في المرة الاولى عندما استولى على الصلاحيات الاستثنائية. يحدّق الى علبة السجائر ثم يطبع كلمة "بنسن."

وتنبئه الشاشة: "ليست هذه كلمة السر. حاول ثانية."

يطبع كلمة "هدجز."

ثمة توقف بسيط، فالدماغ البعيد يفتش في ذاكرته. انهما منحنيان أمام الجهاز وعيونهما مسمّرة على الشاشة. يختفي العرض الأول وتحلّ عبارة "أهلا بكم في مستودع أنيستون للجيش في مدينة أنيستون بولاية ألاباما."

•

غداة اقتحامْ مركز المعلومات في مختبر لورنس بيركلي، فتح ستول سنجلا يدوّن فيه اقتحامات المتسلل واستجابات المختبر لها.

أظهر السجل الثغرة التي استغلها المتسلل في المجال المحظور المخصص لمدير الانظمة، حيث تنص التعليمات صراحة: "امنح هذا الشخص امتيازات استثنائية فائقة." ولم يكن الجهاز الا ليذعن لها، هي الصادرة عن "الرئيس الكبير." ولم يكن الرئيس الفعلي في الساعات الثلاث التي تلت سوى المتسلل.

كان المتسلل ينظر خلفه باستمرار ليتأكد من أنه غير مراقب. وهو بدأ عمله بكتابة برنامج يتيح له قراءة كل البريد الوارد. وضمّن البرنامج تعليمات تقضي بالتحقق من كلمتي "حماية" و"متسلل" اللتين قد تعلمانه باكتشاف أمره. وكان بين الحين والآخر يطبع كلمة "من؟" فيجيبه الدماغ الالكتروني بقوائم تحمل أسماء جميع الداخلين على الخط في ذلك الوقت. وعندما عجز عن فهم اختبار علمي ينطوي على جمع معلومات وتسجيلها بانتظام، لم يتورع عن محوه متلفاً ثمرة أشهر من الجهد المضني.

وفيما البرنامج يعمل راح هو يطلب الملفات يميناً ويساراً كمن يدخل خلسة مكتباً خالياً ثم يروح يفتح خزائن الملفات الواحدة بعد الأخرى. وأظهر نمط تفتيشه أن جميع الكلمات الرئيسية التي استخدمها تتعلق بمواضيع عسكرية. فهو استخدم عبارات مثل "حق الدفاع الاستراتيجي" المعروف في وسائل الاعلام بـ"حرب النجوم" و«KH11» وهو قمر تجسس اصطناعي و«NORAD» وهو اسم "القيادة العامة للدفاع الفضائي – الجوي في أمريكا الشمالية" و"ريدستون" وهو صاروخ أرض – أرض.

ترى لماذا يبحث عن هذه الامور في مختبر لورنس بيركلي؟ أويكون الامر اختلط عليه فأخطأ بين مختبر بيركلي ومختبر ليفرمور الوطني الذي يبعد ٦٥ كيلومتراً ويتعاطى مشاريع سرية وذات توجه دفاعي وتتناول شؤون الليزر والذرة؟

ترى ماذا يبغي؟ وما الذي فعله ولم يكتشفه ستول بعد؟ أظهرت النشرة المطبوعة التي لفظها الدماغ الالكتروني المواد التي قرأها المتسلل وأخذ نسخاً عنها. وبينها قائمة بكلمات السر. ان في وسعه، وقد أصبح يملك أفضليات استثنائية، أن يفسد أي ملف في النظام المتبع في مختبر لورنس بيركلي، ويختفي من دون أن يخلف أي أثر يدل عليه. وفي وسعه أيضاً أن يزرع في النظام "فيروساً" يظل هامداً مدة أسبوع أو شهر أو سنة، قبل أن يتفجر ويلوّث المختبر كله، وبعد ذلك ينتقل الى الشبكات الأخرى فيتلفها.

قال ستول: "لم نعد نعرف هل نثق ببرنامجنا بعد الآن." والحقيقة أن الثقة كانت مستحيلة قبل معرفة ماذا فعل المتسلل. وهذا يقتضي معرفة ماذا يبغي ومن هو.

رجع ستول الى رئيسه ليروي كيرث طالباً أن يمنحه الضوء الاخضر. فقال له هذا: "أمسك به! ولا يهمني إن اقتضى ذلك ثلاثة أسابيع."

عمد ستول من فوره الى إقامة حراسة الكترونية. لن يحتاج هذه المرة الى ٥٠ مرقاباً وآلة طابعة. فدخول المتسلل مختبر لورنس بيركلي في المرات السابقة كان عبر

"تيمنت" المتصلة به عبر أربعة منافذ فقط. ولم ينقض النهار إلا وقد جمع ستول الاجهزة اللازمة بالاستعارة والتوسل.

يقتضي للامساك بالمتسلل تعقبه الى لوحة المفاتيح التي يستخدمها. فلا يكفي أن يُعرف أنه كان هناك، أو أن يُعلم النبأ السيىء بالقراءة عنه بعد وقوع الضرر. وبات كليف يحمل جهاز تنبيه لاسلكياً لا يفارقه حتى حين ينام. وكان يكلفه ٢٠ دولاراً في الشهر رسم ايجار يدفعه من جيبه الخاص. وبرمج الدماغ الالكتروني بحيث يتصل بالمنبه حالماً يدخل المتسلل الشبكة، فيسرع ستول الى المختبر في اللحظة التالية.

قال ستول: "لطالما قيل لي ان ذلك سيحصل ذات يوم. وها قد حصل. لقد أصبحت أنا امتداداً لدماغي الالكتروني."

"عسكر وحرامية"

بعد ظهر اليوم التالي انطلق من جهاز الاستقبال صوت حاد: لقد عاد سفنتك. وفيما الدخيل يتحقق من بقاء الثغرة التي جعلته مشتركاً استثنائياً، كان ستول المهتاج يتصل هاتفيا بجماعة "تيمنت" لكي يقتفوا الاتصال الصادر عن أحد المنافذ التي تربط شبكتهم بمختبر لورنس بيركلي.

لم يحملهم البحث بعيداً، إذ قادهم الى مكتب لهم في أوكلاند يبعد خمسة كيلومترات. ترى لماذا دخل المتسلل عبر شبكة وطنية ذات مراكز اتصال توسُّطية، في حين أن في أمكانه الاتصال بمختبر لورنس بيركلي مباشرة؟ انه، على حد تعبير ستول، "كمن يأخذ الطريق العامة التي تصل بين الولايات ليقود سيارته بضعة أمتار." وأضاف: "هذا الشخص خبير ويعرف كيف يختبىء. فاتصاله عبر تيمنت يضيف طبقة يتعيّن على متعقبه أن ينزعها."

اقتضت الخطوة التالية أمراً من المحكمة يجيز اقتفاء المكالمة الى الهاتف الذي أجريت منه، وذلك يقتضي مذكرة من أجهزة الشرطة، وفكر ستول في أن القضية تدخل ضمن صلاحيات "مكتب التحقيقات الاتحادي" (FBI) فاتصل بالمكتب. لكن المتكلم أجابه بصوت ينم عن شك كبير: "دعني استوعب الامر جيداً. إنك تتكلم عن ٧٥ سنتاً مفقودة، وتريد أن يجري الـFBI تحقيقاً؟" وأفهمه مكتب النيابة العامة في أوكلاند – وإن بدا أكثر تعاوناً – أن الأمر يستغرق وقتاً طويلاً.

يوم الاربعاء الواقع فيه ١٠ سبتمبر (أيلول) ١٩٨٦، اتصل المتسلل مستخدماً اسم "هنتر." إلا أنه غادر بسرعة قبل أن يصل ستول الى المختبر الذي انطلق اليه على دراجته. لكن الآلة الطابعة اقتفت الاتصال مسجلة أن المتسلل اتصل بـ"ميلنت" وهي شبكة صناعات عسكرية ودفاعية، ومنها اتصل بمستودع أنيستون التابع للجيش. وهو استخدم كلمة السر "هدجز" مرة أخرى.



(من اليمين) بيتر كارل وماركوس هيس وديرك برزنسكي

اتصل ستول للحال بمستودع أنيستون ونبه مركز الدماغ الالكتروني فيه الى أن دخيلا اقتحم نظامه.

وأصبح ذلك الاجراء في ما بعد السياسة المتبعة في مختبر لورنس بيركلي. وقال كيرث لستول: "كلما غُزي أحد المراكز، أعلم أصحابه للحال."

في الاسابيع التالية عمد مديرو الانظمة الذين تمّ تحذيرهم الى تجريد المتسلل من قدراته باتخاذ اجراءات تحرمه دخول شبكاتهم. فخيّل اليه، بلا شك، أن جميع الشبكات باستثناء شبكة مختبر لورنس بيركلي قد كشفت أمره. والحقيقة أن العكس هو الصحيح، إذ لم يتنبه اليه أحد سوى هذه. وكان كليف ستول يصدّ المتسلل بنفسه لدى اختراقه أنظمة تجهل أساليب حماية الذات. فكان يخشخش مفاتيحه قرب الاسلاك فتحدث ضجيجا يعيق الاتصال، خصوصاً إذا حاول المتسلل قراءة وثائق حساسة فيظن أن الامر لا يعدو تشويشاً في الشبكة. ولم يكن ستول يتردد في قطع الاتصال تماماً إذا شرع المتسلل في محو أحد الملفات. لكنه لم يكن قادراً على تسجيل أي اختراق ما لم يمس المتسلل نظامه هو. وكان عليه أن ينطلق من فرضية أن مختبر لورنس بيركلي ليس نقطة الانطلاق الوحيدة للمتسلل.

بدأت النشرات الالكترونية المطبوعة في مختبر بيركلي ترسم صورة للطريدة. وبدا واضحاً أن المتسلل لم يكن يلهو ولم يكن مهتماً بألعاب الكمبيوتر. بل انحصر اهتمامه في أمور عسكرية وفي أوجه استخدام العلوم والصناعة لاغراض عسكرية. فالكلمات الرئيسية التي ترددت في برنامجه واستأثرت بأبحاثه تمحورت حول مواضيع مثل اطلاق مكوك فضائي، وانطلاق قوات جوية، والحروب الكيميائية والبيولوجية، وقواعد الجيوش، والتجسس، ووكالة الاستخبارات المركزية (CIA)، والاقمار الاصطناعية. وهو راح يبحث عن بيانات ومعلومات من ذلك النوع بتصميم منقطع النظير.

هل هو جاسوس يا ترى؟ هكذا تساءل كليف من دون أن يطلع أحداً على ما ساوره سوى مارثا.

الا أن ستول بدأ يشعر بأنه بات يعرف خصمه الخفي. فمهارته في الادمغة الالكترونية أوحت أنه في العشرينات من عمره. ولاحظ كليف أن أكثر الاسماء وكلمات السر ترددا لديه هي "هدجز" و"بنسن" و"هنتر" و"ياغر." وقد اكتشف ستول أن "ياغر" بالالمانية تعني "هنتر" بالانكليزية اي الصياد. اويكون المتسلل يدرس اللغة الالمانية؟ أو لعله الماني الاصل؟ و"بنسن اند هدجز" ماركة سجائر، فهل هو من مدخنيها؟ إلا ان السؤال الجوهري ظل من دون جواب. ولم تفض هذه التساؤلات الى معرفة هوية المتسلل.

والواقع أنه مع دنو نهاية شهر سبتمبر (أيلول) وانقضاء مهلة الاسابيع الثلاثة لكشف القناع عن وجه المتسلل، اعترى ستول شعور بالاحباط. فأمر المحكمة الذي يجيز تعقب المكالمات والذي أصدر بعد انتظار طويل لم يفد أبداً. وهو لم يكن نافذاً إلا ضمن ولاية كاليفورنيا التي بدا أن المتسلل لا يستخدم شبكاتها إلا كمحطة في تحركاته عبر الولايات، متخطياً أحياناً الحدود الدولية.

وتشابهت استجابات الـ«FBI» والجيش لتوسلات ستول. فهما أفاداه أنهما لا يتعاطيان مثل تلك القضايا. وبدا له أن أحداً سواه لا يتعقب المتسلل. ولم تعجبه فكرة القيام بدور الشرطي، كما أنه كان يجهل كيف يمسك بالمتهم. وظل يقلّب في فكره تألّب الاحداث الغريبة التي جعلته – وهو زهرة أينعت في الستينات – يتورط مع الـ«FBI» ومع الـ«CIA» .

والى المائدة في مطعم مختبر لورنس بيركلي قال له لويس ألفاريز متعاطفاً، وهو كان حاز في العام ١٩٦٨ جائزة نوبل في الفيزياء: "عندما تجري أبحاثاً جدية، لا يمكنك أن تعرف مسبقاً كم ستبلغ كلفة البحث وكم سيستغرق من وقت وماذا سيكشف من نتائج."

فرد ستول: "لكن هذا ليس بحثاً، انه عملية عسكر وحرامية."

فقال ألفاريز بحدّة: "لا تدعه يكون هكذا! لا تحاول القيام بدور الشرطي! كن عالماً."

لم يقتنع ستول بهذا الكلام. ولكن اذ لم تكن امامه سبل واعدة أخرى عمل بالنصيحة. وضع رسماً بيانياً بتوقيتات عمليات الغزو. واستخلص أن معظمها تم قرابة الظهر بحسب توقيت الولايات الغربية، أي في الثالثة بعد الظهر بحسب توقيت الولايات الشرقية. وهو وجد ذلك منافياً للمنطق وسخيفاً، مما عمق كآبته. فتلك أوقات لا يعمل فيها المتسللون المعروفون بأنهم كائنات ليلية.

خطرت له فكرة أخرى. سوف يقيس الوقت الذي يفصل بين ارسال مختبر لورنس

بيركلي المعلومات ورجع الصدى، أي الفأفأة البسيطة التي يحدثها جهاز المتسلل إشعاراً بأنه تلقى المعلومات. وبالرجوع الى قواعد الفيزياء الاساسية - أي ضرب المدة التي يستغرقها رجع الصدى بنصف سرعة الصوت، مع أخذ مدة التأخر ضمن الشبكة في الحساب - لا بد وأن تتضح المسافة الفاصلة بين موقع المتسلل ومختبر لورنس بيركلي.

جهّز كليف مرسمة للذبذبات°. ولكي يتحقق من صحة نظريته طلب من أصدقاء له موزعين في أنحاء البلاد أن يجعلوا أدمغتهم الالكترونية تتصل بدماغه. فتبين له ان رجع الصدى من الاتصالات الواردة من مدينة لوس انجلس في ولاية كاليفورنيا التي لا تبعد عن المختبر سوى بضع مئات من الكيلومترات، لا يستغرق سوى عُشر ثانية، أما الاتصالات الواردة من نيويورك فاستغرق رجع صداها نحو ثانية كاملة. بعد ذلك سجل ستول الوقت الذي ورد فيه اتصال المتسلل، فتبين من المدة التي استغرقها رجع الصدى أن المتسلل يبعد أكثر من ١١ ألف كيلومتر.

طأطأ كليف ستول رأسه مكتئباً. فالاختبار نجح، لكن النتيجة جاءت في منتهى الغرابة، فهي أظهرت أن المتسلل لم يكن حتى في الولايات المتحدة. قد يكون في أي بقعة على وجه الارض، من أمريكا الجنوبية الى أوروبا الغربية.

■ تحت الضغط ■

انه وقت عصيب بالنسبة الى متسللي هانوفر. فلقد أصدرت إلمانيا الغربية في أول أغسطس (آب) ١٩٨٦ قانونا اعتبرت بموجبه التسلل في بعض الظروف جريمة يعاقب عليها بالسجن مدة قد تصل إلى ثلاث سنوات. وهم "طردوا" من مستودع الجيش في أنيستون وبدأوا يواجهون صعوبة كبرى في اختراق قواعد عسكرية ومراكز أبحاث أمريكية. ولئن لم يكن لديهم أي دليل حسي فانهم يشعرون بأنهم ملاحقون. ولجأ كوك الى استخدام آلة "مودم" ودماغ الكتروني يحمل باليد، واجراء اتصالاته من كشك عمومي للهاتف، حرصا منه على ألا يتعقبه أحد الى شقته.

بدأ السوفييت يضغطون من أجل الحصول علي معطيات محدّدة. فهم تارة يطلبون رموزاً عسكرية تؤمن دخول الشبكات، وطوراً يريدون برامج كمبيوتر معدّة لعمليات التصميم والانتاج (CAD/CAM) ولتكنولوجيا الليزر. أما الطلب الدائم والملحّ فكان للرقائق الالكترونية. وكان كارل، الذي تولى دور الوسيط، يعود الى الجماعة بمبالغ ضئيلة - ٢٥٠٠ أو ٥٠٠٠ دولار - يتوزعها الخمسة. أما سيرج، منسّق العملية، فما انفك يطمئنهم الي أن لديه أضعاف تلك المبالغ مئة مرة ولكن في مقابل "شيء كبير".

بلغ عدد اللقاءات في برلين الشرقية ٢٥. والخمسة الذين قصدوا السوفييت علّهم

(٥) Oscilloscope

يبيعونهم بعض المواد باتوا يحملون قائمة طويلة من الطلبات السوفييتية.

إنهم يبذلون قصارى جهدهم. وهم انتهكوا أدمغة الكترونية في فورت ستيورت بولاية جورجيا تابعة لقوة "الانتشار السريع" في الجيش الامريكي، واخترقوا قاعدة جوية في رامشتاين بألمانيا الغربية ومركزاً بحرياً أمريكياً نائياً في المحيط الهادىء ومعسكر بوكنر في جزيرة أوكيناوا شمال شرق تايوان. وتوصلوا أيضاً الى اختراق "أوبتيموس" وهو دماغ الكتروني في مبنى وزارة الدفاع الامريكية (البنتاغون) يستخدم مخزناً للوثائق العسكرية.

يبدي برزنسكي تحت الضغط جرأة وشجاعة. وكان لا يزال يجني مالا وفيراً من عمله خبيراً في تحديد مواطن الخلل في الادمغة الالكترونية. أما لقاءاته فكان يعقدها في المقاهي العامة، ويحرص على دفع حساب كل المجتمعين. لكن طبعه الشكس لم يفارقه، وما زالت كلمة واحدة غير مناسبة تمحو الابتسامة السهلة عن وجهه بلمح البصر ليحل مكانها تجهُّم عنيف. وهو تشاجر غير مرة مع هوبنر وهدّده بالقتل.

ومن عادته التبجح بأن الشرطة لن تنال منه أبداً. وإن هي هاجمته فسوف يقاوم ويقتل ثلاثة من عناصرها قبل أن تتمكن منه. والواقع أنه عندما قبض عليه فعلا في يونيو (حزيران) ١٩٨٧ بتهمة التهرب من الخدمة العسكرية، لم يبد أي مقاومة. وسار بهدوء مع رجال الشرطة. وحُكم عليه بعد ذلك بوضعه تحت المراقبة ثمانية أشهر.

ظلّ على هيس أن يحاول اشباع نهم السوفييت الذين توالت طلباتهم. وهو دأب على السهر ليالي متتالية في شبه ظلام، يجوب القارات ويعبر المحيطات علّه يجد منفذاً. أما هوبنر فجبن أمام الضغط المتعاظم، فيما غرق كوك في دوامة لوّنها الكوكايين فتحوّلت ساحة وغى يقود فيها جيوشه — هو هاغبارد — للانقضاض على الالوميناتي الذين ظهروا على هيئة رأسماليين بدينين ومديري أنظمة كمبيوتر يعملون لديهم.

■ متسلل مراوغ ■

في نهاية سبتمبر (أيلول) انعش ليروي كيرث آمال ستول بتمديد مهلة الاسابيع الثلاثة. بعد ذلك تسارعت الاحداث. ففي نوفمبر (تشرين الثاني) تمكن ستول من اقتفاء المتسلل الى حلقة اتصال في مؤسسة "ميتر" في ماكلين بولاية فيرجينيا، وهي شركة تعهدات دفاعية ذات نظام أمني فائق الصرامة. ومع أن المؤسسة تحظر دخول الزوار ما لم يعرَّف بهم ويرافقهم أحد المسؤولين، فان أي شخص يقتني دماغا الكترونياً للاستعمال الشخصي وآلة "مودم"، يمكنه أن يقيم اتصالا مع "تيمنت" ومنها يتصل بـ"ميتر" من دون سؤال أو جواب.

لم يطل الوقت قبل أن يتخذ المتسلل من "ميتر" منفذاً آخر ومكاناً يختبىء فيه. حتى انها كانت تدفع رسوم اتصالاته من دون أن تدري.

وللحال بدأ ستول يعمل مع "ميتر" لتعقب المتسلل. وبعد بضعة ايام اتصل به عميل لمكتب التحقيقات الاتحادي في ألكسندريا بولاية فيرجينيا اسمه مايك غيبونز. ولم يكن ذلك العميل لترهبه الادمغة الالكترونية ومراكز المعلومات. وهو الى ذلك أدرك أن المسألة ليست قضية ٧٥ سنتاً مفقودة وأن ما يظهر منها ما هو إلا رأس جبل جليدي مغمور. وبعدما استمع بانتباه الى ستول الذي وضعه في جو احداث الاشهر الثلاثة الماضية، طلب منه نسخة عن السجل الذي دوَّنه ويضمّ ٥٠ صفحة، ثم قال: "انها جريمة، جريمة خطيرة. الشخص الذي نحن في إثره يواجه حكماً بالسجن خمس سنوات وبغرامة مقدارها ٥٠ ألف دولار. انني معكم في هذه القضية."

وافق مدير الانظمة في مؤسسة "ميتر" على تزويد ستول قائمة بجميع مكالمات الدماغ الالكتروني التي سُجلت على حساب الشركة. لكنه سأله: "لماذا تريدها؟"

فرد ستول: "دعنا نعرف في أي مكان آخر تصرّف صاحبنا كأنه صاحب البيت."

وما لبث أن جاءه الجواب في ظرف منتفخ بفواتير التحصيل المرسلة من شركة الهاتف خلال الاشهر الستة الاخيرة. وكان على ستول، لكي يستخلص الجواب، أن يغوص في قوائم المكالمات الخارجية المسجّلة مع تواريخها وتوقيتاتها والارقام التي جرى الاتصال بها والمدن التي هي فيها. وبدأ ستول تبويب ما لديه. ووضع برنامجاً للدماغ الالكتروني على أساس الاهداف المعروفة التي اتصل بها المتسلل، أي "تيمنت" ومختبر لورنس بيركلي ومستودع الجيش في أنيستون. وعندما انتهى من ذلك ثبت له أن المتطفل الغامض اقتحم ما لا يقل عن ستة ادمغة الكترونية، وأنه أجرى من "ميتر" وحدها أكثر من ١٥٠ اتصالا بقواعد عسكرية وأحواض سفن وشبكات عسكرية موزّعة في أنحاء الولايات المتحدة.

أدخل كليف في سجله سؤالين: "ماذا اكتشف المتسلل؟" و"ماذا يفعل بالمعلومات التي حصل عليها؟"

وبعيد الثانية عشرة ظهر يوم السبت الواقع فيه ٦ ديسمبر (كانون الاول) إطلق جهاز الاستقبال المنبه الذي يعلقه ستول في حزامه ثلاث صفرات – نقاطاً ثلاثاً، أي رمز الحرف «S» في نظام "مورس." لقد عاد سفنتك إذاً. وعندما تبين أن الاتصال الذي تلقاه المختبر صادر عن "ميتر" التي وصل اليها المتسلل عبر "تيمنت"، رفع ستول سماعة الهاتف وطلب تعقباً داخل الشبكة. لم يستغرق ذلك طويلا، وأسفر عن أول دليل ملموس على ذلك الشبح الذي جرى وراءه طويلا.

سأله عامل الهاتف في "تيمنت": "هل أنت متأكد من أنه الشخص ذاته الذي تتعقبه؟"

وقبل أن يجيبه ستول راقب جَرْد المتسلل لقائمة الكلمات الرئيسية، وجميعها متعلق بأمور عسكرية. ثم قال: "نعم، اني متأكد."

فشرح له العامل سبب استغرابه: "انه يجري اتصاله من خارج نظام تيمنت، من خط دولي للهاتف والتلغراف، ربما كان مركزاً أرضياً يصل قمراً اصطناعياً بمحطة أرضية."

سأله كليف: "أتعني أن هذا الشخص ليس في أوروبا؟"

فأجابه: "قطعاً، هو ليس في أوروبا."

وعلى الأثر اتصل ستول بستيف وايت في شبكة "تيمنت"، الخبير في فك العقد المستعصية في المخابرات الدولية. وتمكن هذا من إقتفاء الاتصال الى أبعد من القمر الاصطناعي، الى النقطة الاولى التي أجرى منها المتسلل اتصاله بالخط الدولي.

سأله ستول: "والنتيجة؟"

فاجاب: "ان الرجل الذي تبحث عنه موجود في ألمانيا الغربية. وهو يتصل بنا من شبكة ألمانية اسمها "داتكس ب." ثم أضاف انه، يوم الاثنين، سيعطي العنوان الذي يجري منه المتسلل اتصالاته الى مصلحة البريد الالمانية الغربية لتحديد النقطة التي اتصل منها في شبكة "داتكس ب."

"أمسك به!"

ألمانيا الغربية إذاً! في وقت لاحق قال ستول: "لم أدر ماذا أفعل، أأضحك أم أبكي."

لقد ذرع الولايات المتحدة طولا وعرضاً بحثا عن شخص افترض أنه أمريكي. ولو وثق بحساباته لكان اختبار الصدى الذي أجراه وضعه في الطريق الصحيح. وكان الاختبار أفاد أن المتسلل يبعد مسافة ١١ ألف كيلومتر. لكنه لم يصغ. ولم توقظه من سباته كلمتا "ياغر" و"هنتر" اللتان تحملان دلالة واضحة. ولم يهزه الجدول البياني المتقن الذي رسمه للاوقات التي تمت فيها الاتصالات. وهو كان خلص الى أن الظهر ليس وقتاً ملائماً للتسلل، ولكن فاته أنه عندما يكون الوقت ظهراً في بيركلي تكون الساعة التاسعة مساء في ألمانيا الغربية، وهذا وقت ممتاز للتسلل.

اتصل به ستيف وايت ناقلا اليه تقرير مصلحة البريد الالمانية الغربية الذي أفاد أن المتسلل اجرى اتصاله من جامعة برمن في شمال ألمانيا الغربية.

غاص قلب ستول في صدره. أيعقل أنه طلب مساعدة وكالة الاستخبارات المركزية (CIA) ومكتب التحقيقات الاتحادي (FBI) لتجنب كارثة جاسوسية، ليتبين أن العدو ليس سوى فتي في الجامعة ذي حس دعابة ملتو؟ لكن لا. فشباب الجامعات لا يتميزون بفترات تيقّظ تمتد خمسة أشهر، ولا يعانون تعلقا مرضيّاً بالخطط والمنشآت العسكرية.

مرّت أيام. واتصل "مركز الكمبيوتر للأمن الوطني" يسأل ستول كيف يمكنه أن يتأكد من أنه لا يلاحق دماغا الكترونيا مبرمجا على نحو شيطاني بحيث يتنقل بين

أدمغة الكترونية أخرى محاولا تعليقها. قلّب ستول السؤال في رأسه ثم أجاب: "أنا أكيد من أنه ليس دماغاً الكترونياً، لأن هذا المتسلل يرتكب أخطاء طباعية. وبرامج الكمبيوتر لا تخطىء هكذا."

توالت الاسابيع. وذات يوم أمال كيرث رأسه وقال ان رؤساءه يحشرونه. فتعقب المتسلل لا يدرّ ربحاً على خزائن مختبر لورنس بيركلي، وستول يهمل عمله، لذلك عليه أن يتخلى عن القضية. وفي اتصال اجراه العميل مايك غيبونز بعد الظهر أخبره ستول باكتئاب أنه لن يكون بعد الحين واجهة لمكتب التحقيقات الاتحادي في حرب الادمغة الالكترونية. فطلب منه غيبونز رقم هاتف رئيسه في العمل. وكان شعور كليف الدائم أن غيبونز الى جانبه. ولم يخذله حدسه، إذ جاءه كيرث ولما يمضِ على مكالمته مع غيبونز سوى ٣٠ دقيقة، وقال له: "حسناً يا كليف. انني أمهلك أسبوعين آخرين. ولكن، اللعنة يا كليف، أمسك به!"

واتصل أحد مديري شبكة "داتكس ب" في ألمانيا الغربية. وكان هو نفسه الذي تعقّب المتسلل الى جامعة برمن، وتقفّى اثره بعد بضعة أيام الى هاتف ما في مدينة هانوفر التي تبعد ٣٠ كيلومتراً. لكن التقنيين كانوا في حاجة الى مزيد من الوقت ليتمكنوا من تحديد رقم الهاتف.

أخيراً طلعت مارثا بفكرة "الفخ"، وهي خاطبت كليف قائلة: "اسمع، عليك أن تعطي ذلك الشخص سبباً يدفعه الى اطالة مكالمته مدة تمكنك من اقتفائه."

فسألها: "وأي سبب؟"

فأجابته: "السبب ذاته الذي من أجله اقتحم الشبكات. أعطه أسراراً. عن حرب النجوم مثلاً. شيئاً يتحرَّق لمعرفته. شيئاً يستغرق نسخه في دماغه الالكتروني ساعتين."

رأى كليف للحال الامكانات المتاحة، وهتف لمارثا: "أيها العقل المدبِّر!" وأكبَّ الاثنان على العمل. وهكذا ولدت "شبكة المبادرات الدفاعية الاستراتيجية" (سدينت) التي ضمّت سلسلة ملفات تحوي نصوصاً مزعومة لمشروع جديد لمختبر لورنس بيركلي هو عقد مع الحكومة الامريكية لاجراء دراسة حول دور الادمغة الالكترونية في "حرب النجوم." وهما جاءا بالمعلومات من وثائق حكومية أجريا عليها تعديلات بسيطة أضفت عليها طابعاً من السرّية، ومن معاهدات مطوَّلة من اختراعهما.

وهما ضمّنا الملفات قائمة بريدية نقلاها مباشرة من سجل بريد المختبر مبدلين عبارات مثل "السيد فلان" أو "الدكتور فلان" بعبارات مثل "العقيد فلان" أو "العميد فلان." كذلك ضمَّناها طلباً لموازنة مقدارها ٥٠ مليون دولار، وتلميحات مثيرة عن "معلومات إضافية" ترسل بالبريد. ولم يغفلا عنوان المشروع، فجعلاه صندوق البريد ٣٥١/٥٠. وبلغ مجموع الكلمات في ملفات المشروع ١٥٠ ألفاً، تلزم المتسلل

ساعتين على الأقل للتدقيق فيها وتقرير ما يريد أن ينسخه منها. وهما ألقماها الدماغ الالكتروني تحت حساب منفرد لا يحمل كلمة سره سوى ستول، أو دخيل ينتحل صفة مدير الانظمة.

مرت ايام عصيبة كان المتسلل أثناءها يدخل الشبكة بقصد الانطلاق منها الى سواها فقط. ثم، في يوم الجمعة ١٦ يناير (كانون الثاني) ١٩٨٧، التقط الطعم. وعندما ظهر في الشبكة الساعة ٥،١٤ بعد الظهر، طلب للحال قائمة المشتركين الذين كانوا يستخدمون الشبكة في ذلك الوقت. وسرعان ما استرعاه ملف "سدينت" فتحوّل خلال دقائق مدير أنظمة وراح يعرض الملفات الواحد تلو الآخر ويقرأها بنهم أنساه أن يتحقق من أن أحداً لا يراقبه.

اتصل كليف بستيف وايت قائلا: "أطلب ألمانيا، انه هنا، وسوف يمكث بعض الوقت."

ظل المتسلل على الخط ٤٥ دقيقة أتاحت لعميل "داتكس ب" ولفنيي مصلحة البريد الالمانية ان يتعقبوا المكالمة ويحصروها في واحد من ٥٠ خطاً. وقال وايت لستول لاحقاً: "كان الشباب في غاية الحماسة هنا وظنوا أنه وقع في أيديهم."

فرد ستول مطمئناً: "لا تقلق، سوف يعود." وهو علم أن المتسلل لم يطلع على جميع ملفات "سدينت."

انتهت اللعبة

مرة أخرى أمضى ستول الليل مفترشاً الارض في مكتبه. وعندما صفر جهاز الاستقبال المنبه الذي يحمله في الساعة ٨،٠٨ صباحاً كان هو مستيقظاً. اتصل بوايت، إلا أن المتسلل قطع الاتصال بعد نصف ساعة فقط. وعاوده في الساعة ١٠،١٧ صباحاً، وكانت مارثا وافت ستول الى المكتب. وعندما رن جرس الهاتف عرف الاثنان أن ستيف وايت على الخط.

صرخ وايت في أذن كليف: "لقد اقتفوا أثره واكتشفوا الرقم!"

سأله كليف: "من هو؟"

فأجابه وايت: "إنهم لا يصرِّحون. ولقد أحالوا القضية على الشرطة."

هذه الليلة سيكون المتسلل خلف القضبان. هذا ما بدا لهما آنذاك. لكن الواقع تعدى جميع تصورات ستول وسواه تلك الليلة من شهر يناير (كانون الثاني) ١٩٨٧. ولقد تبين في ما بعد أن على الشرطة الاتحادية في ألمانيا الغربية أن تعمل أكثر من سنتين لاستكمال الدعوى قبل أن تقوم بأي تحرّك.

مع حلول ربيع ١٩٨٧ شعر المتسللون بأن الشرطة تضيِّق عليهم الخناق. وكان هانس هوبنر ضبط وفي حوزته اوراق ثبوتية مسروقة من احدى الشبكات تخوّل حاملها

انتحال شخصية مشترك ذي امتيازات. وكان كوك وهيس شريكيه في هذه العملية. ولما لم يلحق هوبنر أي أذى شك الاثنان في أنه ربما أخبر الشرطة أكثر مما ينبغي أن يخبرها.

آخر اتصال أجراه ماركوس هيس بمختبر لورنس بيركلي كان في الحادي والعشرين من شهر يونيو (حزيران). وبعد يومين دهم فريقان من المحققين مكتبه وشقته وصادرا منهما الدماغ الالكتروني وكدسة من النشرات المطبوعة ومئة قرص (ديسك) ووثائق تصف "ميلنت."

لقد انتهت "حرب النجوم" بالنسبة الى هوبنر وهيس. وحده كوك، الذي كان يتجنب شقته ويجري اتصالاته من أكشاك عمومية للهاتف، واصل أعمال التسلل. لكنه مطارد من شياطين من نسج خياله. وفي بيان رسمي كتبه في وقت لاحق وطلب من "نادي فوضى الكمبيوتر" نشره، شبّه نفسه بهاغبارد "العبقري الذي خلص البشرية من حرب عالمية ثالثة." وتابع وقد جرفه جنون العظمة: "لقد بثّ شهيراً الى حدّ يردع أي محاولة لإلغائي بعنف... ان الفيروس الذي اكتشفناه يضمن لنا القوة لاطلاق الفوضى... فتتداعى الادمغة الالكترونية في الصناعات وينقطع التيار الكهربائي وتنهار شبكات النقل والاتصال... ويتعطل كل شيء... ولا يبقى شيء على حاله."

وفي ذلك الربيع كان صحافيان اسمهما اكسل ليرش وبيرند شونمان على علم بتورط كوك في العملية. فتعقباه الى حانة "تاباك" التي كان يتردد اليها. وجلس الجميع يحتسون الشراب. وحرص الصحافيان على اسماع كوك ما يشبع غروره. فراح يسرد عليهما بعض فصوله التسللية المدهشة، كاختراقه مختبراً للفيزياء النووية حين راح يحرّك مواد انشطارية "لمجرّد ان اختبر قدرتي على ذلك."

افتتن الصحافيان بما سمعاه، وعرضا على كوك مبلغاً من المال في مقابل تزويدهما مادة تصلح لكتابة مقال مثير. ولاشتداد حاجته الى المال وافق للحال. فأخذاه الى شقة شونمان في هامبورغ حيث انضمّ اليهم هوبنر. ثم راح المتسللان، مستخدمين أجهزة كوك، يطوفان بنوك المعلومات في ألمانيا الغربية وايطاليا والولايات المتحدة، وتحت الحاح الصحافيين، أخبرهما المتسللان بعلاقتهما بالاستخبارات السوفييتية، وسمحا لهما بتصويرهما في شريط تلفزيوني وهما يتظاهران بالتسلل.

عجز كوك عن طرد المخاوف التي ساورته والضغوط الخفية التي لاحقته. فما كان منه الا أن التقى مندوباً لوكالة أمن هامبورغ يوم ٥ يوليو (تموز) واعترف له: "انني أنتمي الى مجموعة متسللين تزود وكالة الاستخبارات السوفييتية معلومات مسروقة."

وبعد أسبوعين، اثر تلقي هوبنر عرضاً أعجبه للمساهمة في انشاء شركة مشروعة لبرامج الادمغة الالكترونية، قرر الانسحاب من العملية، فأطلع سلطات ألمانيا الغربية على كل شيء.

ولكن لم يكن السجن من نصيبه، ولا من نصيب كوك الذي أُخضع لاستجواب دقيق. وأطلق الاثنان في وقت لاحق. وكانت الشرطة في صدد استكمال الملف الذي فُتح قبل ١٨ شهراً حين وصل تحذير كليف ستول من الولايات المتحدة بأن متسللين من ألمانيا الغربية يقتحمون أنظمة ادمغة الكترونية لمؤسسات عسكرية وعلمية موزعة في أنحاء العالم. وكانت سلطات ألمانيا الغربية بدأت تحقيقاً مكثّفاً وراحت تراقب المتسللين من بعيد وتسجل عبورهم المتكرر الى ألمانيا الشرقية.

كانت رحلة بيتر كارل الاخيرة الى برلين الشرقية في شهر ديسمبر (كانون الاول) ١٩٨٨. فاللعبة انتهت، وقد بدأت وكالة الاستخبارات السوفييتية تتنصّل من العملية التي شارفت الإفلاس. ولم يتعد مجموع ما حصل عليه المتسللون من السوفييت ٥٠ ألف دولار، وهذا نزر يسير مما كانوا ليجنونه لو أنهم، خلال السنتين الماضيتين، استثمروا اوقاتهم في أعمال مشروعة.

في الأول من شهر مارس (آذار) تحرّكت الشرطة الاتحادية في ألمانيا الغربية للاطباق على متسللي هانوفر. وكان القانون الخاص بالتسلل أصبح نافذاً منذ أكثر من سنتين ونصف سنة. قُبض على بيتر كارل أمام شقته، وكان في الطريق الى اسبانيا. وفي اليوم التالي اقتيد هيس وبرزنسكي للاستجواب. وقد أطلق هيس في انتظار المحاكمة، فيما أوقف رفيقاه الباقيان في سجن كارلسروه ريثما يوجه اليهما الاتهام الرسمي. وكان كوك في تلك الاثناء يتلقى علاجاً لازالة اثر المخدرات من جسمه ولإعادة تأهيله، في مصحّ للامراض العصبية في ضاحية شمال هانوفر كان دخله قبل شهرين بكامل ارادته وفي ذروة اهتياجه. ولم توجه اليه ولا الى هوبنر اي تهمة، ولم يُقبض على أي منهما. والظاهر أن استسلامهما للشرطة وتعاونهما معها أثمرا.

وفي ٢٥ يوليو (تموز) أصدرت مذكرات اتهام بحق كل من هيس وبرزنسكي وكارل. وفيها أنهم تصرفوا كعملاء لدى وكالة الاستخبارات السوفييتية وعرّضوا أمن جمهورية ألمانيا الاتحادية وسلامتها للخطر. والمدهش أن الشريط التلفزيوني الذي يظهر فيه كوك وهوبنر وهما يشرحان امكان اختراق أدمغة الكترونية ذات حماية "مضمونة" لم يعرض على شاشات التلفزيون في المانيا الغربية. وساعدت الشرطة كوك في العثور على وظيفة، ويبدو أنه يتجاوب والعلاج ضد ادمان المخدرات.

في أواسط شهر مايو (ايار) ١٩٨٩ أخضع كوك لاستجواب دقيق ثان من الشرطة الاتحادية. وصباح الثلثاء التالي، وكان يوماً ربيعياً دافئاً، انطلق في مهمة عادية. وبدل أن يتوجه الى مكتب السجلات العامة حيث كان يعمل، قاد السيارة الى حرج يبعد حوالى ٨٠ كيلومتراً الى الشرق من هانوفر. وهناك سكب على نفسه صفيحة وقود وأشعل عود ثقاب.

وقد أنحى "نادي فوضى الكمبيوتر" باللائمة على وسائل الاعلام لانها دفعت كوك

الى "حالة من اليأس." وراجت أقاويل مفادها أن وكالة الاستخبارات السوفييتية قتلته تحذيراً لأمثاله من مغبة العمل مع الشرطة.

وعلى رغم أنه لم يُعثر على بقاياه المتفحمة الا بعد أسبوع من وفاته، فقد لاحظ معارفه أن اليوم الذي قضى فيه كارل كوك حمل الرقم ٢٣ "السحري"، فهو كان الثالث والعشرين من مايو (أيار).

■ شهر الورد ■

في الولايات المتحدة، كما في ألمانيا الغربية، انتهت القصة على نحو غير متوقع. فيوم الاثنين ٢٧ أبريل (نيسان) ١٩٨٧ وصلت الى صندوق البريد ٣٥١/٥٠ في بيركلي رسالة موجهة الى شبكة "سدينت." وكان المرسل لازلو ج. بالوغ يطلب ثماني من الوثائق المعروضة في ملف "سدينت" الذي لا وجود له الا في الخيال، كما يطلب آخر النشرات عن المشروع. بدا الامر محيراً جداً. لكن صدمة ستول أتت من عنوان المرسل: لم يكن العنوان في هانوفر بألمانيا الغربية، بل في مدينة بتسبرغ بولاية بنسلفانيا الامريكية.

وفهم مايك غيبونز أيضاً المعنى الضمني لما حصل. فعندما اتصل ستول بالمركز الميداني التابع لمكتب التحقيقات الاتحادي في الكسندريا بولاية فيرجينيا، قال له غيبونز: "ألمس هذه الرسالة أقل ما أمكن، وضَعْها داخل ظرف سميك وأرسلها الي في البريد السريع."

كيف يمكن أي انسان في بتسبرغ أن يعرف شيئاً عن "سدينت" التي لا وجود لها إلا في مخيلة كليف ستول وفي حساب دماغ الكتروني لا يصل اليه سوى ستول ومتسلل في ألمانيا الغربية؟

في الاسابيع التي تلت علم ستول من الصحافة في ألمانيا الغربية ان المتسلل الذي يجد في إثره هو واحد من مجموعة، لكن ماركوس هيس هو خصمه الرئيسي. ولم يدهش كليف أن المقصود شخص وحيد، فهو لاحظ أن أسلوب هيس في مقاربة الدماغ الالكتروني يتميز بنمط فريد كان يتعرَّف اليه كلما رآه وكأنه توقيع مميز.

مع انتهاء القضية تعرّض ستول لوابل عذل وتأنيب من بعض الزملاء والاصدقاء في بيركلي لتعامله مع وكالة الاستخبارات المركزية ومكتب التحقيقات الاتحادي. لكنه واجههم بحدّة مماثلة. صحيح أن عملاء مكتب التحقيقات لا يتحركون بسهولة، ولكن هل تبرع أحد سواهم بالسهر على المصلحة الوطنية؟

يقول كليف: "هناك أوقات يتعين عليك أن تقف وتُعدّ. أنا لست أمريكياً فقط، بل انني فرد في مجتمع دولي، مجتمع متصل الاجزاء بواسطة شبكات وأدمغة الكترونية. وعندما يتعرض بلدك أو مجتمعك لهجوم، فأنت لست مجرد يساري أو متمرد طويل

الشعر، بل انك مواطن وعليك مسؤولية تجاه أبناء بلدك وتجاه جيرانك الالكترونيين."

لقد تغيّرت حياة ستول. وهو يعد الآن مرجعاً في حماية الادمغة الالكترونية ويتلقى دعوات لالقاء محاضرات في واشنطن وللتشاور. لقد أبدى في ذلك الشتاء الكئيب بين العامين ١٩٨٦ و١٩٨٧ بصيرة وبعد نظر. وذات يوم سأل مارثا: "متى نتزوج؟"

أجابته: "في مايو (أيار) شهر الورد."

في صيف ١٩٨٨ انتقل الزوجان الى مدينة بوسطن في ولاية مساتشوستس حيث عاد كليف عالماً فلكياً في مركز هارفارد – سميثسونيان ووجدت مارثا وظيفة وقد أصبحت تحمل شهادة الحقوق. ثم اختيرت من بين مئات المتقدمين لوظيفة في إحدى المحاكم العليا، وهذا يعني أن الزوجين سيقيمان على الساحل الشرقي للولايات المتحدة فترة من الزمن يعودان بعدها الى بيتهما في أوكلاند والى شتول الفراولة التي غرساها.

في ١٥ فبراير (شباط) بعد محاكمة طويلة، دين المتهمون الذين ثبتت عليهم جميع التهم الموجهة اليهم. وصدرت الاحكام على النحو الآتي: سجن بيتر كارل سنتين، سجن ديرك برزنسكي سنة وشهرين، سجن ماركوس هيس سنة وثمانية أشهر. إلا أن الثلاثة عُلِّقت عقوبتهم وأطلقوا على أن يبقوا تحت المراقبة مدة ثلاث سنوات يُعادون خلالها الى السجن إذا ارتكبوا أي عمل جرمي.

أما الكتاب الذي نشره كليف ستول بعنوان "بيضة الوقواق" وتناول فيه دوره في العملية، فكان من الكتب الأكثر رواجاً في الولايات المتحدة هذه السنة.

لورنس إليوت ■

ترجمة د. باسمة سكرية عيد



بلسم الكلمة

ركبت الحافلة في صباح غائم عاصف. وكعادتي كل يوم، بادرت الركاب قائلة: "صباح الخير." فرد أحدهم ساخطاً: وأي خير في هذا الصباح؟"

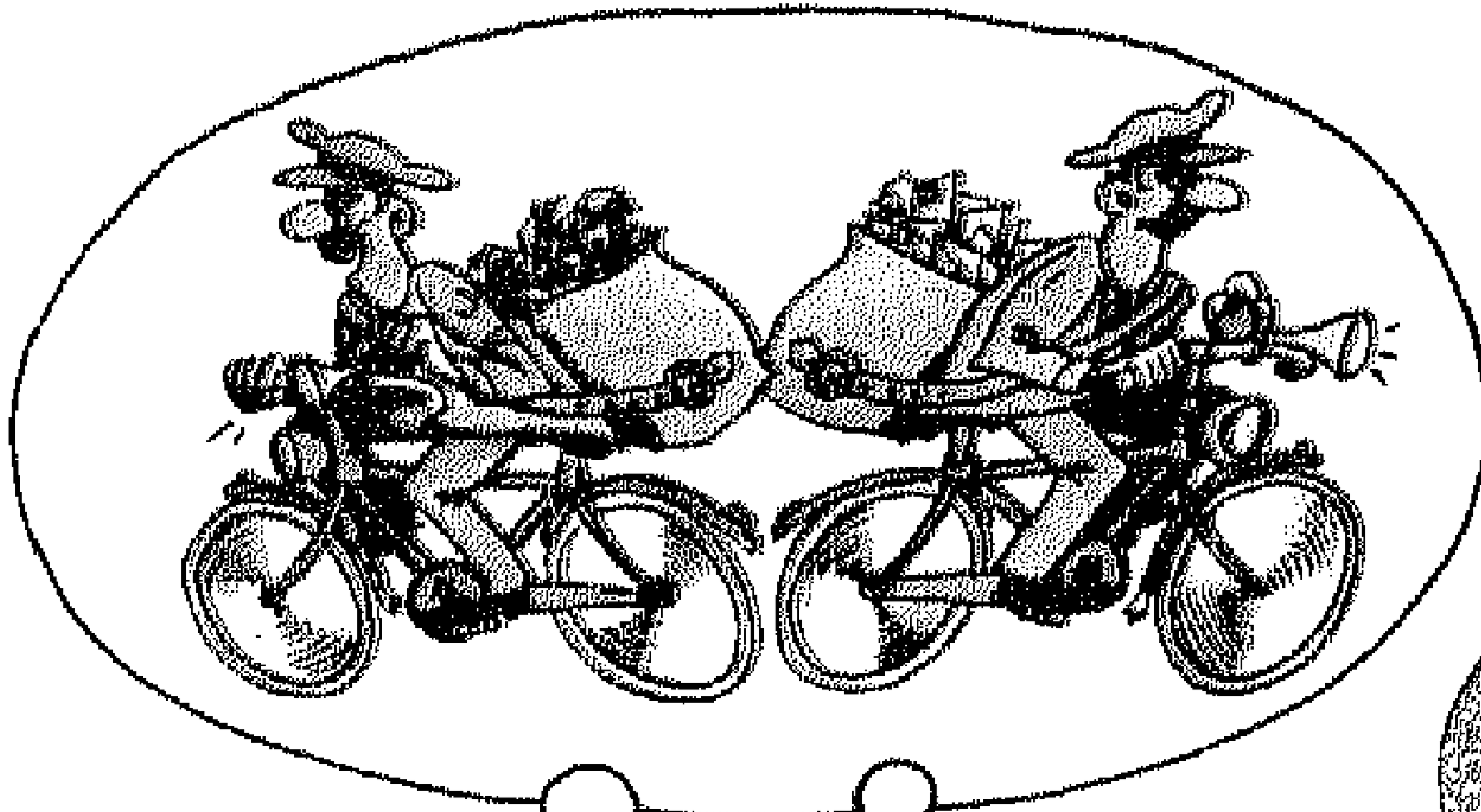
وكاد هذا التهجم يعكر مزاجي الجيد لولا تدخل راكب آخر نزل كلامه على قلبي مثلما يخترق نور الشمس الغيوم الملبّدة، اذ قال: "الخير في هذا الصباح أنها ركبت هذه الحافلة."

أ.ك.ب.

من السهل المحافظة على الوفق بين الاولاد في المنزل، فهذا لا يتطلب سوى صبر وتفهم وجهازي تلفزيون على الأقل.

ك.أ.

اكتب واربح





هل لديك نكتة؟ هل صادفت في حياتك العائلية أو المهنية حادثاً طريفاً؟ هل سمعت حكاية ذات مغزى وترغب في أن تشرك الآخرين في متعتها؟ خذ قلماً وورقة واكتب ما لديك وأرسله الى "المختار" فتدفع لك المجلة في المقابل، بعد النشر، حسب المعدلات الآتية:

صور من الحياة: القصة يجب أن تكون حقيقية تتحدث عن تجربة شخصية ناجحة ذات متعة خاصة. تدفع عن القصة الواحدة ٢٥ دولاراً.

تأملات معاصرة: مقاطع أصلية أو من كتب ومقالات منشورة تنطوي على مغاز حكمية. يدفع دولار عن كل سطرين.

حديقة أفكار: أقوال مأثورة للأعلام العرب. تدفع ٥ دولارات عن كل سطرين، على ألا يتجاوز القول المأثور السطرين.

الضحك خير دواء: تفضل النكتة الاصلية، أما اذا كانت منشورة فيجب أن تختار من المطبوعات المحلية ذات الانتشار المحدود. تدفع ٢٥ دولاراً عن الاصلية و١٠ عن المنشورة.

السدات: هناك نكات ونوادر قصيرة من مصادر مطبوعة مثل الكتب والمجلات ذات الانتشار المحدود. وهذه كذلك يرحب بها "المختار" ويدفع دولارين عن السطر ذي العمودين.

شروط جديدة

★ كتابة الرسائل بخط واضح، والا طبعها على الآلة الكاتبة.
★ كتابة مادة كل باب على ورقة منفردة.
★ ارفاق كل مادة بنسخة مصورة كاملة لصفحة الكتاب أو المجلة أو الجريدة التي تظهر فيها، شرط أساسي لقبول أي مادة، اذ من دونها يتعذر علينا التحقق من صحة المصدر.
★ ذكر المصدر العربي ضروري ونعني بذلك: اسم الكتاب، اسم المؤلف، تاريخ النشر وعنوان الناشر كاملا. (اذا اختيرت المواد من مجلة أو جريدة، فينبغي ارسال عنوان الجريدة أو المجلة كاملًا، خصوصاً اذا كانت المطبوعة محلية محدودة الانتشار).
★ تحاشي المواد المترجمة أو المستقاة من مصادر أجنبية.
★ لا ينظر في الرسائل التي تضم كدسات من المواد، فالمقصود أن يحسن القارىء الاختيار.
★ لا تعاد النصوص الى أصحابها، سواء نشرت أو لم تنشر.

توجه الرسائل الى العنوان الآتي: مجلة "المختار من ريدرز دايجست"، بيروت، شارع المقدسي، بناية الشرتوني، ص.ب ٨٧٠٧ لبنان.



COURTESY MARLBOROUGH GALLERY

أجنحة نورس فوق شراع الليل. للامريكي هوارد كانوفيتز.

اغسطس (آب) ١٩٩٠ - محرّم ١٤١١

Reader's Digest

المختار

AL MUKHTAR min Reader's Digest August '90 N° 141

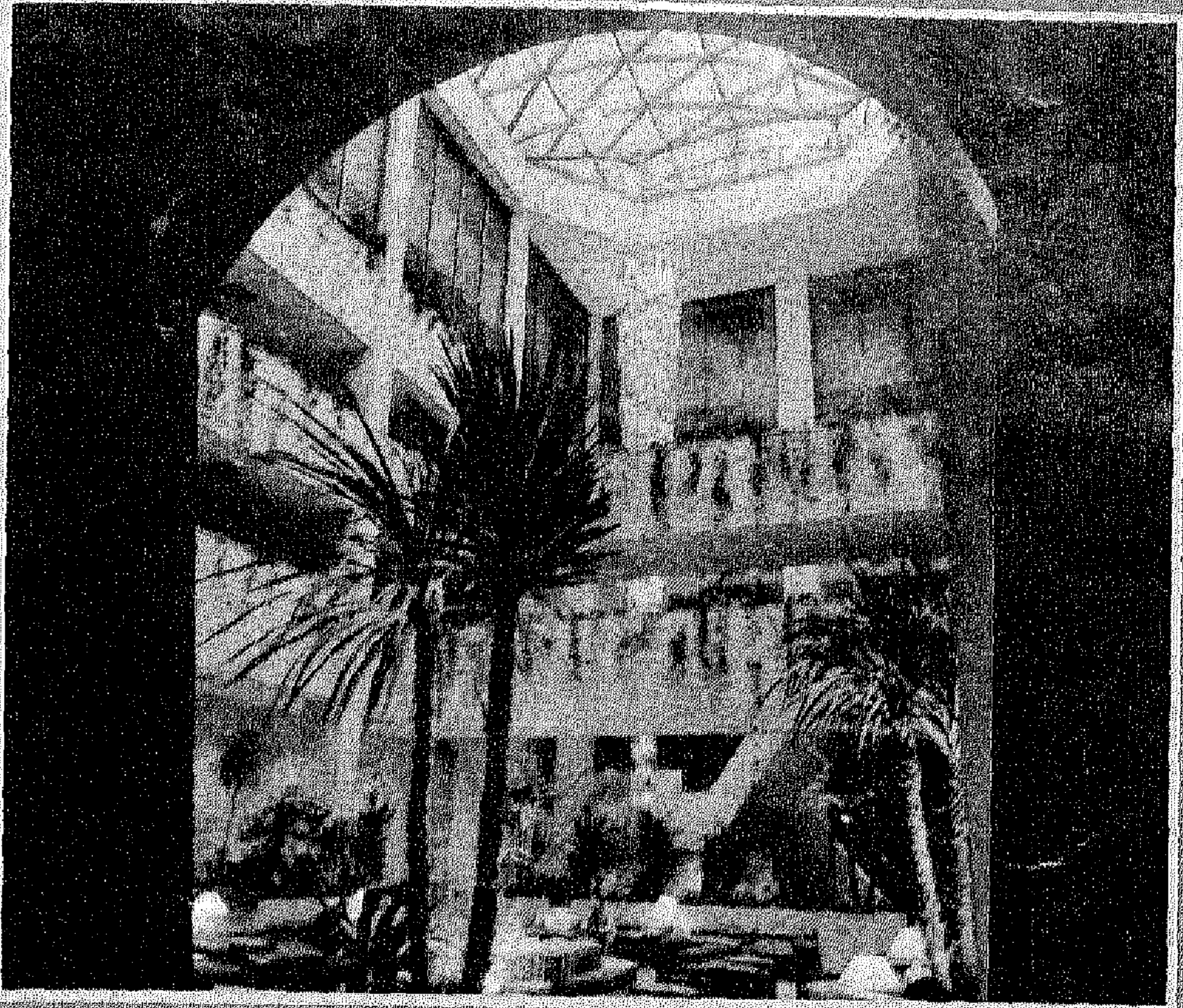
أوسع المجلات انتشارًا في العالم
٣٨ طبعة، ١٥ لغة، ٢٨ مليون نسخة شهريًا

الجاذبية الجنسية
(ص ١٣)

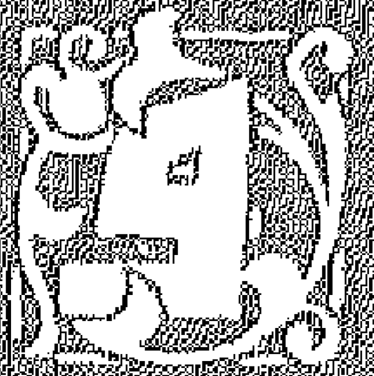
الألوان
(ص ٦٦)



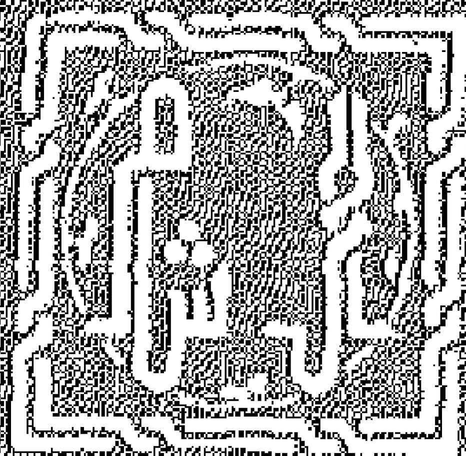
فندق الشام



أحدث مدينة في أقدم عاصمة



فندق الشام ليس فقط أحدث وأكبر الفنادق في المنطقة ، بل إنه مدينة قائمة بذاتها . . صمم على أحدث طراز في ليوفر لك الراحة والمتعة القصوى سواء كنت ترتاح في غرفتك ، أو كنت منهمكاً في عملك . . فندق الشام يوفر لك جميع الاحتياجات مثل المركز الرياضي والصحي وحمام السباحة وعدد من المطاعم الفخمة والمشارب بالاضافة إلى مسرح وصالة سينما وعدد كبير من المحلات التجارية . . ولاننس المطعم الدوار المطل على مدينة دمشق التاريخية بأكملها التي تعتبر أقدم عاصمة في التاريخ وتتميز بآثار قديمة تظهر أهميتها الحضارية وتقاليدها الأصيلة التي لازلنا نفاخر بها ونحافظ عليها



للحجز : فندق الشام - ص . ب ٧٥٧٠
تلكس ٤١١٩٦٤
رقم الهاتف ٢٣٢٣٠٠ (١٠٠ خط)
تلكس الرئاسي ٤١١٨١٠ (٥ خطوط)

فندق الشام
عراقة في التقاليد



المختار

من ريدرز دايجست

مجلة شهرية

رئيس التحرير – المدير المسؤول: ادمون صعب.

مديرة التحرير: راغدة حداد. أمينة التحرير: نهلا رزق. محررة مساعدة: لورا نفاع. الاشتراكات: فريال علاف

مدير القسم الفني: جورج غالي. الخطوط: عبد القادر اسماعيل.

الامتياز: شركة النهار للمنشورات الدولية – باريس. الناشر: شركة "ايبراك" للمنشورات الدولية – بيروت.

رئيس مجلس الادارة – المدير العام: الدكتور لوسيان دحداح.

المدير العام المعاون: داني دحداح – باز.

التحرير والادارة: بيروت، شارع المقدسي، بناية الشرتوني، ص.ب ٨٧٠٧ بيروت – لبنان.

التلكس (الموقت): ANAHAR 22322 LE

COLIDI 21058 LE

التنضيد والتنفيذ: المطابع التعاونية الصحفية: شارع مصرف لبنان. بيروت.

الطباعة: المطبعة العربية، المدينة الصناعية – البوشرية، المتن الشمالي – لبنان.

التوزيع: الشركة اللبنانية لتوزيع الصحف والمطبوعات، بيروت.

AL MUKHTAR min Reader's Digest



Editor-in-Chief: Edmond Saab.

Managing Director: Dany Dahdah-Baz.

Beirut, Makdesi St., Shartouni Bldg., P.O.Box 8707, Beirut, Lebanon.

Telex ANAHAR 22322 LE / COLIDI 21058 LE



Circulation Audited by G. Bargout C.P.A.

August '90 N° 141 (New Series) Vol. 12

ريدرز دايجست

المؤسسان: دي ويت والاس وليلى اتشيسون والاس.

الطبعات الدولية

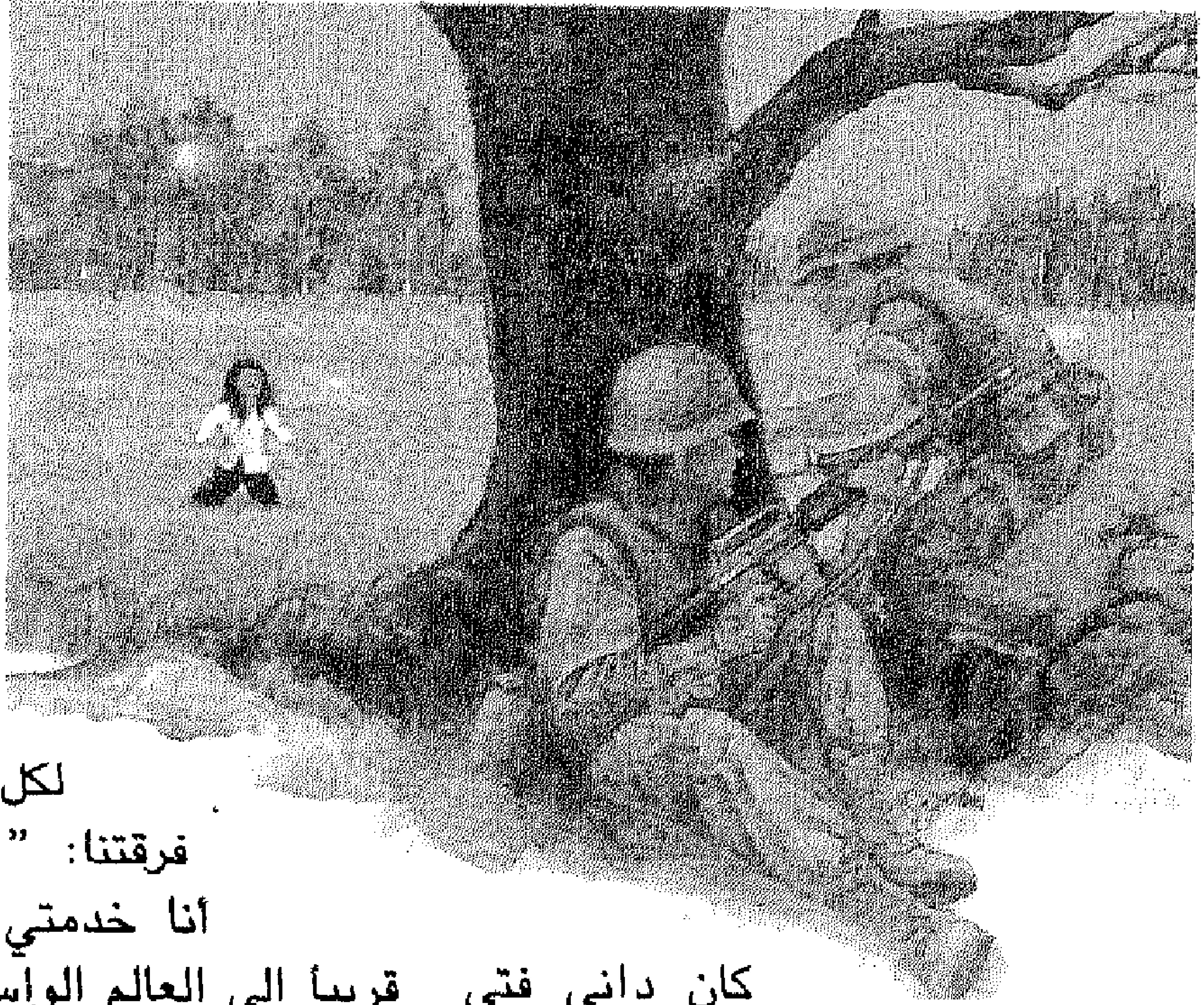
رئيس التحرير: كنيث غيلمور. مدير التحرير: فرنسيس ج. شيل. المدير العام: جورج ف. غرون.

تنشر «ريدرز دايجست» في اللغة الانكليزية (الطبعات الامريكية، الكندية، البريطانية، الاوسترالية، النيوزيلندية، الافريقية الجنوبية، الهندية والاسيوية) وفي الفرنسية (الطبعات الفرنسية، الكندية، البلجيكية والسويسرية) وفي الاسبانية (الطبعات الامريكية اللاتينية والاسبانية) وفي البرتغالية والاسوجية والنروجية والدانمركية والفنلندية والالمانية (الطبعتين الالمانية والسويسرية) وفي الايطالية والهولندية (الطبعتين الهولندية والبلجيكية) والصينية والكورية والهندية، الى العربية.

لبنان ٥٠٠ل – سورية ٢٠ل – الأردن ٧٠٠ف – الكويت ٧٠٠ف – الامارات العربية المتحدة ٩د – قطر ٨ر – البحرين ٨٠٠ف – السعودية ١٠ر – مصر ١،٥ج – السودان ١ج – ليبيا ٥٠٠د – اليمن ٨ر – عدن ١٥د – مسقط ٨٠٠ب – العراق ٨٠٠ف – قبرص ٧٥ب – تونس ٧٠٠م – المغرب ٧د – الجزائر ٧د – فرنسا ١٠ف – انكلترا ١ج – اليونان ١٣٠د – كندا وامريكا الشمالية ٢،٥د

شعاره "أنا أولا"
لكنه جازف بحياته
لانقاذ ابنة العدو

الوسام



كان داني فتى خشناً صلب العود من فتيان الشوارع في نيويورك. وقد عرفته جنديا في فرقة المشاة التي انتمينا اليها. كان داني منغلقا على ذاته، قليل الاصدقاء، يعمل بموجب مبدأين: "أقتلهم قبل أن يقتلوك" و"أنا أولا."

وكان شديد الحرص على البقاء حيا والخروج سالما من الحرب، ويعلن بفخر لكل مجند ينضم الى فرقتنا: "أصغ اليّ يا هذا، أنا خدمتي قصيرة، وسأرجع قريباً الى العالم الواسع، صحيحا سالماً غير مكترث لما يحدث لكم جميعاً. لذا من الأفضل لك ألا تعترض طريقي. أفهمت؟"

لم يدرك المجنّدون الجدد أن "العالم" بالنسبة الى داني كان يعني الوطن، وأن "الخدمة القصيرة" تعني قرب عودته اليه. لكنهم أدركوا أن داني يبلغهم أنه سيان عنده أقتلوا أم ظلوا أحياء ما داموا لا يعترضون طريقه.

في آخر يناير (كانون الثاني) ١٩٦٨ كنا في مهمة خارج دونغ ها فشاهدنا قرية صغيرة الى يميننا على حدود الغابة. وكان مبدأ عملياتنا تفتيش كل قرية تقع في طريقنا. لذا انتظمنا صفاً يفصل بين واحدنا والآخر حوالى خمسة أمتار، واندفعنا نحو القرية كمكنسة خضراء ضخمة. ففرَّت الحيوانات مذعورة من طريقنا، كذلك عمال حقول الرز.

حين وصلنا الى أطراف القرية تغلغلنا بين الاكواخ الخشبية ذات السقوف القش والارضيات الترابية. واحتشد الاولاد في المداخل مختبئين وراء امهاتهم وقد اتسعت عيونهم دهشة. وغاب الرجال ولم نجد سوى أولاد ونساء مرهقات في ثياب رثة.

وحين سمعت طلقات الرصاص خلتها آتية من مكان بعيد لأنها غريبة عن جو الامهات والاولاد. لكن الطلقات كانت حقيقية وقريبة، فارتمينا على الارض ووجدتني أزحف اتقاء للرصاص.

وصلت في زحفي الى شجرة وكان قلبي يطرق بعنف. ولم اكن الوحيد المحتمي هناك، فخلف الجذع الضخم انبطح داني صاحب الشعار "أنا أولا."

رفعت رأسي مستكشفاً، فوجدت القرية قد خلت من الجنود والنساء والاولاد الذين لاذوا بأي ساتر تيسر لهم. وسمعت رجالنا يصيحون منبهين الى وجود قناصة عند طرف الغابة. وسمعت اطلاق نار متبادلا من بنادق رشاشة.

حانت مني التفاتة الى داني، فرأيته يحدق الى شيء على بضعة أمتار من شجرتنا. فتتبعت خط نظره، واذا بي أراها هناك.

كانت على الارض فتاة صغيرة في الخامسة أو السادسة من العمر. رأيتها تصرخ باكية مذعورة. ولمعت بقعة صغيرة حمراء على كم قميصها.

في تلك اللحظة رأيت داني بطرف عيني ينتصب واقفاً نابذاً حماية الشجرة ويركض منحنياً نحو الفتاة الفيتنامية. وما حدث بعد ذلك استغرق لحظة صاعقة. وصل داني الى الفتاة فأمسك بثيابها وراح يسحبها، تارة ركضا وتارة زحفاً، الى حمى الشجرة. وسمعت صياحاً يهيب بداني أن يسرع الى الاحتماء، ثم صوت طلقات العدو.

رأيت فوهة بندقية تومض في الشجر، فأفرغت في اتجاهها ذخيرة بندقيتي. ولكن كان قضي الامر، وأصيب داني وسقط على الارض. وعلى رغم اصابته تمكن من دفع الفتاة الى مسافة قريبة مني، فأمسكت بها وجذبتها الى الامان. وصبَّ جنودنا النار على طرف الغابة، فخفتت طلقات القناصة وهم يهربون واحداً بعد آخر.

أمسكت داني وسحبته الى تحت الشجرة. ووصل المسعف الطبي ونزع صدرته الواقية من الرصاص وراح يحاول تضميد جروحه. اقتربت من الفتاة، وكانت عيناها محمرتين من البكاء وقد خطت الدموع أثلاماً موحلة على خديها. لكنها لم تصرخ عندما تفحصت ذراعها حيث خدشتها احدى الرصاصات، بل ظلت محدّقة الى داني. وكأنها أدركت أن

ليست في جعبتها كلمات يفهمها، فمدّت يدها ولمست يده برفق ثم ركضت الى أحد الاكواخ.

علمت لاحقا أن داني سينجو. وكانت اصابته بالغة أوجبت ارساله الى "العالم." وهكذا تحققت أمنيته. وخطب فينا قائد فرقتنا مطوّلا، مركزا على أن واجب الجندي الحفاظ على حياته أهم أضعافاً من واجب نجدة أي مدني.

وأضاف: "هذه تضحية لا ينال صاحبها وساماً."

وأظنه كان محقاً. لكني أعرف أن ثمة فتى خشناً من فتيان الشوارع في نيويورك أدرك أنه رجل فيه من الشهامة والرجولة أكثر كثيراً مما كان يعتقد. وفي فيتنام فتاة في العشرين لا يغيب عن فكرها أن جندياً أمريكياً خاطر بحياته في سبيل انقاذ حياتها.

تيم واتس ■



كرسي الحياة

يروي لوتشيانو بافاروتي، مغني الاوبرا الايطالي الشهير، قصته مع الغناء: "عندما كنت صغيراً عرّفني أبي الخبّاز الى روائع الغناء وحضّني على تمرين صوتي. فدرست على احد المغنين المحترفين في بلدتي الأم مودينا في ايطاليا ثم التحقت بدار المعلمين. وبعد تخرجي سألت أبي: "هل احترف الغناء أم التعليم؟"

فاجابني: "يا بني، اذا حاولت الجلوس على كرسيين سقطت بينهما. في الحياة، عليك اختيار كرسي واحد."

واخترت كرسياً واحداً. وتطلّب مني ذلك سبع سنوات من الدرس والجهد قبل ظهوري كمحترف للمرة الاولى، وسبع سنوات اخرى قبل وصولي الى أوبرا متروبوليتان. والآن اعتقد أن علينا ان نهب انفسنا الى العمل الذي نختاره من أي نوع كان. الالتزام هو مفتاح النجاح، فاختر كرسياً واحداً."

غ.ب.

قضية نسائية

عقد صفنا المتخرج قبل عشرين سنة لقاء في أحد الفنادق. وفي الليلة ذاتها كان صف متخرج في مدرسة أخرى يعقد لقاءه العاشر في الفندق عينه. وبينما كنت وصديقاتي نتبادل أطراف الحديث في حجرة التواليت، دخلت نسوة لا نعرفهن وأخذن يحدّقن الينا. واذ لم نعد قادرات على تحمل نظراتهن، التفتنا نحوهن بشزر، فقالت لنا احداهن: "لا تؤاخذننا، فنحن نريد فقط أن نرى كيف سنبدو بعد عشر سنين."

س.ا.

Reader's Digest
المختار
اغسطس (آب) ١٩٩٠
محرّم ١٤١١
السنة الثانية عشرة
سلسلة جديدة
مجلة بحجم كتاب ومقال لكل يوم بأسلوب ممتع

التلوّث يتهدّد العَالم

غاز الاوزون يؤذي الانسان ويقضي على النبات!

من المياه والأتربة المشعة حول مصنع للأسلحة النووية في ولاية كولورادو الأمريكية، الى الصحارى التي افتعلها الانسان في آسيا الوسطى السوفييتية، وابل من الأمثلة عما يفعله الجهل والاهمال بكوكبنا الذي يوفر الطعام والكساء لنا جميعاً. وحتى في البلدان التي حباها الله نعمة الثروات الوافرة والمساحات الفسيحة يعاني ملايين البشر مشاكل صحية وقضماً لمداخيلهم. ونشترك جميعاً في دفع الأعباء المترتبة على ارتفاع الأسعار والضرائب ووطأة الإجهاد - ومعدلات الوفيات في أحيان كثيرة.

وسلي ماركس صحافي متخصص بشؤون البيئة يكتب عن التلوث في أربع "بقع ساخنة" رئيسية ويستشهد بأمثلة بارزة عن الشفاء من الكوارث البيئية مبرهناً أن في وسعنا جميعاً المشاركة في وضع الحلول:

الهواء القاتل

تقع مدينة مكسيكو على قاع بحيرة جافة ترتفع ٢٢٢٥ متراً عن سطح البحر. وتسد شوارعها ثلاثة ملايين سيارة تنفث في هوائها الرقيق ضعفي ما تنفثه على مستوى البحر. ولا عجب أن يصفها الرئيس المكسيكي كارلوس ساليناس دي غورتاري بـ"المدينة الأكثر تلوثاً في العالم."

وتحوط مدينة مكسيكو قمم بركانية تحتبس الهواء الفاسد. وفي فصل الشتاء يؤدي الارتكاس الحراري* الى تكوين غطاء محكم بحيث تحتجز الطبقة الهوائية العليا الدافئة الهواء الأبرد الملوث على مستوى الأرض. وتتولى أشعة الشمس "طبخ" الغازات المحتجزة وتحويلها ملوِّثا ثانوياً هو غاز الأوزون الذي يضر بالحياة النباتية وبالرئتين. ويصف الكاتب المكسيكي كارلوس فوانتس الغلاف البني الذي يكفن المدينة بـ"القمامة المحتجزة."

وللهواء الفاسد هذا علاقة مباشرة بتقرح الحناجر ووخز العيون وصعوبات التنفس وغير ذلك من الآفات الصحية التي تصيب السكان ولاسيما الأطفال والشيوخ.

وفي دراسة أُجريت على عينة من الأطفال الحديثي الولادة في المعهد الوطني لعلم الولادة وفي المستشفى العمومي في مدينة مكسيكو، تبين أن دماء ٧٠ في المئة من هؤلاء الأطفال تحوي كميات من الرصاص كافية للتسبب في نمو غير طبيعي.

يقول أمبرتو برافو ألفارس من مركز العلوم الجوية في جامعة المكسيك الوطنية المستقلة في مكسيكو: "لقد بات ارتفاع مستويات الأوزون حدثاً شبه يومي." وفي العام ١٩٨٩ أُقفلت المدارس طوال شهر يناير (كانون الثاني) في محاولة للتقليل من تعرض الأطفال للدخان والضباب الشتوي. ويقدِّر بعض الخبراء أن أي ارتكاس حراري طويل الامد قد يتسبب في اطلاق ضباب دخاني قاتل شبيه بالذي قضى على ٤٠٠٠ ضحية في لندن عام ١٩٥٢.

بحر الأشباح

كانت مدينة مونياك مرفأ مزدهراً ومركزاً لتصنيع الأسماك على شاطىء بحر آرال في آسيا الوسطى السوفييتية. بيد أن هذه المدينة باتت الآن على بعد ٥٠ كيلومتراً من الشاطىء، وصار لزاماً على مصانع التعليب فيها استيراد الأسماك من محيطات بعيدة كالهادىء والأطلسي والمتجمد الشمالي.

انكمش بحر آرال، كبرى بحيرات العالم، بنسبة ٤٠ في المئة، وانخفض مستوى المياه فيه حوالى ١٣ متراً، وتحول بعض قاعه صحراء ملحية مكشوفة تمتد على مساحة ٢٥ الف كيلومتر مربع.

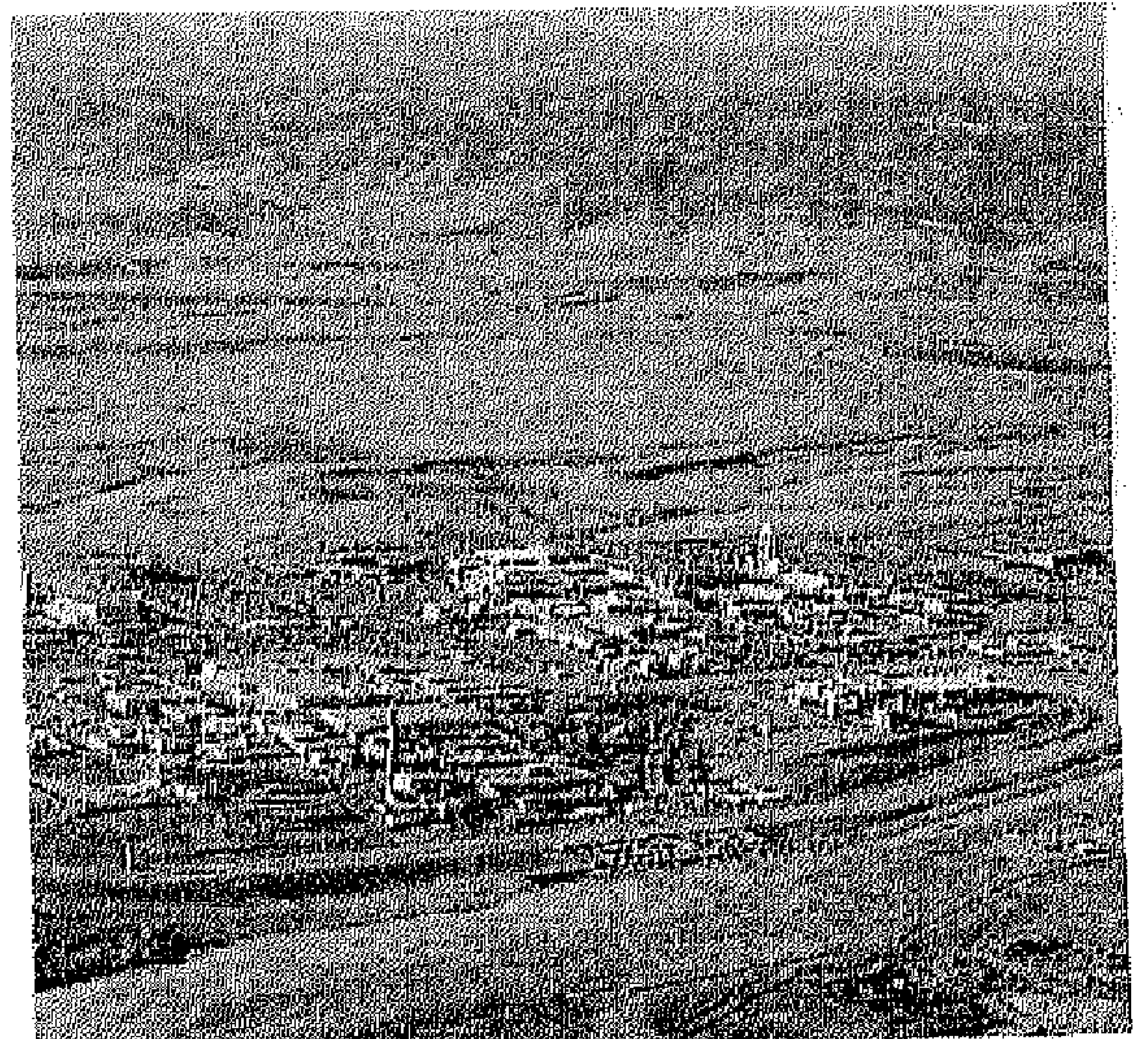
(*) Thermal Inversion

وقد غدا آرال بحراً مائتاً على أثر تحويل رافديه لري حقول القطن. وما الماء القليل الذي ما زال يصب فيه سوى محلول من الأسمدة والمبيدات. إلا أن الناس يضطرون الى شرب هذا الماء واستعماله في تحضير الطعام، اذ لا سبيل الى مياه أخرى بعدما أدى نضوب المياه الجوفية الى جفاف معظم الآبار والينابيع.

وتحمل الرياح الأملاح والأغبرة ٢٥٠٠ كيلومتر من قاع البحر الجاف الى شاطىء المحيط المتجمد الشمالي. وتنثر العواصف العاتية أكثر من نصف طن من الرمال في الهكتار الواحد. وقد أدت الأملاح الكاوية والمواد الكيميائية المحتواة في الرمال الى كارثة صحية، اذ ازدادت وفيات الأطفال واستشرى سرطان الحنجرة والتهاب الكبد واعتلال المعدة.

وكان بحر آرال يعمل كمكيف هواء طبيعي يلطف طقس المنطقة الصحراوي، اما اليوم فلم يعد كذلك. ويزداد الصيف حرارة والشتاء برودة مع انكماشه. كما قصُر موسم نمو النباتات عشرة أيام. ومن المفارقات أن مزارعي القطن الذين حُوِّلت المياه من أجلهم اضطروا الى زراعة الرز الأسرع نمواً.

ويميل بعض المسؤولين السوفييت الى فكرة "انقاذ" آرال بتحويل مياه الانهار السيبيرية الى الجنوب مسافة ٢٥٠٠ كيلومتر. إلا أن ذلك يكلف مليارات الدولارات ويهدد الثروة السمكية والملاحة. يقول عالم الجغرافية في جامعة ميشيغن فيليب ميكلين: "المستقبل لا يبشر بالخير، اذ من الممكن أن يتحول بحر آرال في القرن المقبل مجموعة بحيرات شديدة الملوحة لا حياة فيها تتكدس فيها النفايات." فإن صح ذلك فان حياة ثلاثة ملايين نسمة وأرزاقهم معرضة للخطر.



أرض السموم

شن عملاء مكتب التحقيقات الاتحادي (FBI) عام ١٩٨٩ غارة على مجمع من الأبنية يقع على بعد ٢٦ كيلومتراً الى الجنوب من دنفر بولاية كولورادو. أما الهدف فلم يكن عصابة للمخدرات، بل مصنع الأسلحة النووية في روكي فلاتس.

وكان هذا المصنع التابع لمديرية الطاقة الأمريكية يعمل في تصنيع "صواعق" البلوتونيوم للأسلحة النووية، وتديره شركات خاصة. وقد ووجهت هذه الشركات بتهمة "معالجة النفايات المشعة والخطرة وخزنها ورميها من دون ترخيص، وتصريف الملوثات من دون اذن، وتزوير الشهادات المتعلقة بالموجبات البيئية، وكتم المعلومات عن تلويث البيئة."

وحدد تقرير أعده "مكتب التدقيق" ١٠٨ مواقع للنفايات على أرض المصنع البالغة مساحتها ٢٦٥٠ هكتاراً، وشملت مواقع رميت فيها مواد كيميائية ومشعة طوال أربعة عقود. وقد تسربت مواد تطهير سامة الى المياه الجوفية وتكثفت فيها بمقدار يفوق ١٠٠٠ مرة المقاييس التي حددتها "وكالة حماية البيئة" لمياه الشفة. ومن أجل منع هذه الملوثات من التسرب خارج أرض المصنع وتلويث مياه الشفة، وضع مخطط قد تصل كلفته الى نحو ملياري دولار.

وفي ديسمبر (كانون الاول) ١٩٨٩ لاحظت طائرات المراقبة الليلية التابعة لمكتب التحقيقات الاتحادي نشاطا

PHOTO: © BRUCE MCALLISTER / GAMMA LIAISON

حرارياً في ثلاث مناسبات في مفاعل في روكي فلاتس مقفل لأسباب أمنية. وكشفت تحاليل أجرتها وكالة حماية البيئة على عينات من جدول في موقع المصنع مقادير ضئيلة من المواد الكيميائية المستعملة في معالجة الاشعاع. أما اللافت فهو أن هذا الجدول يصب في خزان لتوزيع المياه.

ولسنوات، رفضت مديرية الطاقة الاذعان للانظمة الاتحادية المتعلقة بأصول التخلص من النفايات. كما عمدت الى تعويض الشركات المتعاقدة ما تدفعه من غرامات وتسويات ومصاريف قانونية لمخالفتها قوانين البيئة.

أمطار تذيب المدن

في مدينة كراكوف البولونية ستة آلاف من المنازل والأديرة التاريخية تعتبر من الروائع الهندسية. إلا أنها اليوم تعاني حال "برص" حادة. فوجوه التماثيل ممحوة، وقطع البناء تتهاوى من الأبراج، والتماثيل تفككت أكواماً من الصخر الأسود. والسبب أن المصانع ومناجم الفحم في سلسيا العليا تنفث مقادير هائلة من الملوثات، وخصوصاً ثاني أوكسيد الكبريت.

والمعروف عن ثاني أوكسيد الكبريت أنه يتفاعل كيميائياً مع الرخام وحجر الجير (الكلس) ما يؤدي الى تصدع الابنية وانحلالها. كما أنه يتوحد مع أوكسيد النيتروجين وبخار الماء مكوناً مطراً حمضياً يعجِّل، مع غيره من المؤثرات، انحلال السكك الحديد. لذلك تعمد قطارات المنطقة الى تخفيف سرعتها الى ٤٠ كيلومتراً في الساعة. وقد أدى هذا المطر الحمضي إلى تلف الغابات في مساحة لا تقل عن ١٨٠ ألف هكتار.

وتسببت المعادن السامة الخارجة من مداخن المصانع المتكدسة في تلويث التربة، حتى أصبحت بساتين الخضر في سلسيا العليا تحتوي على كميات من الكادميوم والزئبق والزنك تفوق مقاييس منظمة الصحة العالمية بنسب تراوح بين ٣٠ و٧٠ في المئة.

ويسبب تلوث الهواء والماء والتراب مشاكل صحية خطرة. فقد ازدادت معدلات الاصابة بالسرطان وأمراض التنفس في سلسيا العليا وباتت تفوق معدلها العام في البلاد بما يراوح بين ٣٠ و٥٠ في المئة. كما تدنت متوسطات العمر المتوقع. وأُعلنت بعض القرى أماكن غير صالحة للعيش البشري ووزع سكانها على مناطق أخرى.

وعلى رغم هشاشة الواقع، فهناك من الأسباب ما يدعو الى الإيمان بأن بقع المشاكل هذه قابلة للمعالجة. ففي أمكنة أخرى من العالم أناس كرسوا أنفسهم لهذا الأمر ونجحوا في جبه التحدي:

كوريا الجنوبية: المال ينمو على الشجر

حتى أوائل السبعينات كان القرويون في هذا البلد الآسيوي يقطعون الأشجار

بسرعة تفوق قدرة الغابات على النمو. وكانوا يعمدون الى حرق الأوراق الساقطة التي تخصب التربة. ومن جراء ذلك تعرَّت المنحدرات وباتت عاجزة عن امتصاص الأمطار الغزيرة، وبالتالي عن حماية أراضي المدن المنخفضة من إنزلاق الوحول واندفاع الفيضانات. وقد حدث بعد احدى العواصف أن فاض نهر الهان مغرقاً ٦٧٢ مواطناً في مدينة سيول وتاركاً ٣٢٦ ألفا من دون مأوى.

هزت هذه الكارثة شعب كوريا الجنوبية، وأدى تحركه الى وضع خطة عشرية طموحة تقضي بإعادة تشجير مليون هكتار من الغابات المتحاتّة.

لكن المهمة كانت مثبطة. فمعظم الغابات أملاك خاصة. والأنظمة العرفية تسمح للقرويين بالتحطيب أينما شاؤوا. وقد أخمدت هذه الأعراف اندفاع أصحاب الأملاك الى إعادة التشجير لأنهم لا يستطيعون ادعاء ملكية الأشجار والافادة من بيع أخشابها.

ومن أجل تنفيذ المشروع طلبت السلطات من السكان تأسيس جمعية في كل قرية، لها رئيس منتخب وتتولى إعادة تشجير الغابات المحيطة بالقرية ورعايتها. وقدمت الجمعية البذور والأسمدة والمساعدات التقنية الى المالكين وضمنت لهم نسبة ١٠ في المئة من المحصول.

وجاء رد الفعل مذهلا، إذ انشئت نحو ٢٠ ألف جمعية خصص أعضاؤها البالغ عددهم مليونين شهراً من كل ربيع للتشجير ووقتاً كافياً لاقتلاع الأعشاب الضارة في الخريف. يقول هانس غريغرسن، وهو أستاذ في علم الجِراحة في جامعة مينيسوتا تابع ما جرى في كوريا الجنوبية: "لقد عمل كبار مسؤولي التحريج جنباً الى جنب مع المراهقين." وكانت النتيجة إعادة تشجير مليون هكتار قبل أربع سنوات من انتهاء الخطة العشرية.

واليوم يحصل القرويون على الحطب بتشذيب اغصان الغابات الجديدة. وقد قفز محصول الكستناء من ١٣٠٠ طن عام ١٩٦٧ الى ٣٣ ألف طن عام ١٩٨٦، فاتحا سوقاً للتصدير يبلغ مردودها السنوي ٥٣ مليون دولار. كما يبلغ مردود فطر الصنوبر الفاخر ٣٠ مليون دولار سنويا.

وبذلك أصبحت المناطق الريفية الخضراء أكثر انتاجا ومكاناً أنعم للعيش. يقول غريغرسن: "باتت المرتفعات المشجرة أقدر على امتصاص مياه الأمطار ومقاومة التآكل وغدت الفيضانات والانزلاقات القاتلة أقل خطراً."

الدانمرك:
لا تلوث، لا مشكلة

ذات يوم من شتاء ١٩٧٢ جنحت شاحنة محملة بالفينول، وهو مركَّب حمضي أكّال، وانقلبت ناشرة حمولتها السامة في جدول مما تسبب في نفوق الأسماك وتلويث مياه قرية مجاورة. وبعد تنظيف الجدول من المادة المندلقة شرَّع المسؤولون أنظمة سلامة جديدة.

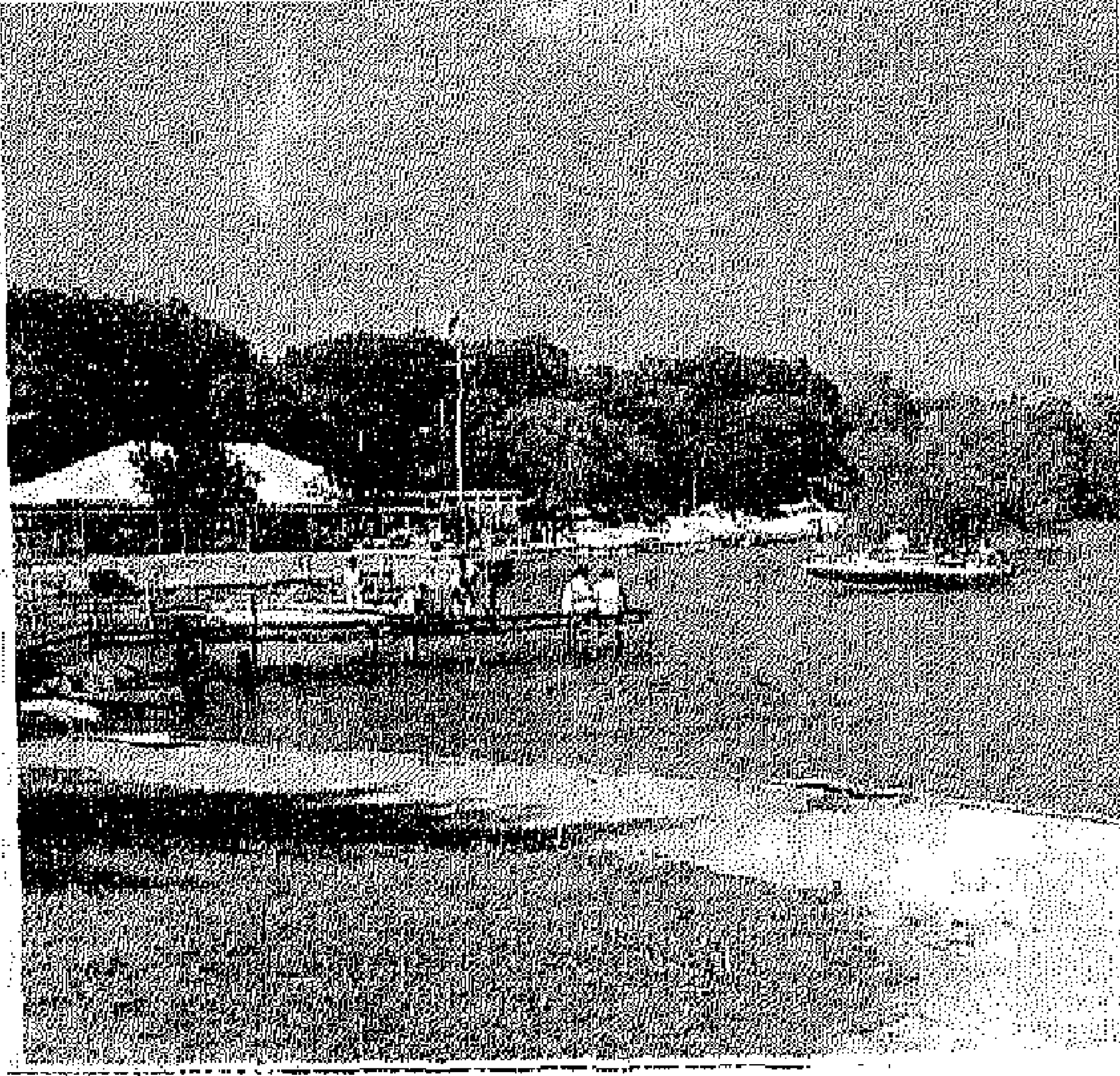
وفي حين اعتمدت دول أخرى مرامي خاصة للنفايات، بادرت الدانمرك، تلك الدولة الصغيرة التي تتكل على المياه الجوفية للشرب، الى أخذ اجراءات لمعالجة المشكلة من جذورها. فعلى الشركات العاملة في هذا البلد الابلاغ عن أنواع النفايات المُنتجة وكمياتها الى السلطات المحلية التي تمنحها اذناً بمعالجة النفايات في مواقعها أو بإعادة تكريرها. وإن لم تفعل، فعليها نقل نفاياتها الخطرة، بعد تسميتها وعزلها بعناية، الى احدى محطات التحويل الاحدى والعشرين التي تتولى بدورها نقل ١٧٨ ألف طن من النفايات سنوياً في قطارات وشاحنات وبواخر الى مصنع مركزي للمعالجة.

وفي كل بلدة دانمركية محطة لجمع النفايات الكيميائية المنزلية يقصدها المواطنون طوعاً. وبفضل هذه المرامي قلّصت الدانمرك نزوع السكان الى تفريغ مواد التنظيف والزيوت المستعملة والمبيدات في أقرب مصرف للمياه.

وهكذا فإن الدانمرك تطبق اليوم واحداً من أكمل أنظمة معالجة النفايات الخطرة. وتعمل بلدان أخرى بهدي البصيرة الدانمركية التي تتوخى الفاعلية والسلامة باقتلاع المشاكل من جذورها.

وسكونسن: عودة الثعلب

مصانع الورق هي ملوِّثات سيئة السمعة. وتقع كبرى مجمعاتها في العالم على ضفاف نهر فوكس (الثعلب) في



وسكونسن، وهو ممر مائي طوله ٦٥ كيلومتراً بين بحيرة ونيباغو وخليج غرين. فقبل زمن ليس ببعيد تسببت إفرازات ٢٠ مصنعاً وست محطات بلدية لمعالجة المياه الآسنة، في القضاء على مجمل الأحياء المائية في النهر، باستثناء طبقات لزجة من الديدان تكيفت والتلوث. وساعدت صور مثيرة لنهر فوكس في تعبئة الرأي العام لمساندة "قانون المياه النظيفة" الذي سن عام ١٩٧٢ ووضع حداً لكميات النفايات المرمية كما حدد مقاييس لنوعية المياه.

لكن القانون الجديد لم يكفِ لانقاذ الجزء الادنى من نهر فوكس. فقد ظل حجم مياه المجاري المعالَجة أعظم من قدرة النهر على امتصاص المحتويات المغذية التي تستنزف الاوكسيجين في الماء. يقول المخطط الاقليمي هارلان كيسو: "في الصيف، حين يهبط مستوى الماء ويخف دفقه، كانت الطحالب القذرة تغلّف النهر."

ومن أجل إعادة الحياة الى النهر

PHOTO: COURTESY EAST CENTRAL WISCONSIN REGIONAL PLANNING COMMISSION

عمدت مديرية الموارد الطبيعية في وسكونسن الى مراقبة المؤشرات الحيوية – من قياس حرارة المياه على مدار الساعة الى قياس مستوى الأوكسيجين في المياه – مما اتاح تقدير حجم استيعاب النهر للملوثات. ثم سمحت لكل مصنع أو معمل لتكرير المياه بجزء معين من هذا الاستيعاب. وتركت للشركات والبلديات حرية اختيار وسائل المعالجة ما دامت افرازاتها ضمن الحدود المرسومة.

وجاءت النتائج مشجعة. ومثال على ذلك شركة "غرين باي للرَزْم" التي اعتمدت إعادة تكرير المياه المستعملة في الصناعة، ونجحت في زيادة انتاجها من الورق المموَّج فيما قلصت نفاياتها المفسدة للأوكسيجين.

وهكذا بات نهر فوكس الذي كان منسياً، قبلة المدققين في نوعية الماء الذين لا يقعدهم عملهم هنا عن التمتع بمياه النهر. وعاد الصيادون الهواة الى صيد أسماك "الجاحظ" الضخمة، وانتشرت وفود المستحمين في مياهه التي عادت اليها نقاوتها.

إن انقاذ هذه المناطق من الكوارث البيئية لأمثولة تبعث على الأمل. فبعقد العزائم وبذل الجهود نستطيع معالجة أسوأ الآفات البيئية التي تلطخ العالم. وبالتبصر الذي ولدته التجارب والمكتسبات العلمية نستطيع الحفاظ على بيئة عالمنا لأجيال تنعم بها على مر العقود الآتية.

وسلي ماركس ■



صديق طبيب

أنا طالب طب، ووالداي طبيبان أيضاً. لذا اعتدت استشارة الناس اياي في المسائل الطبية. وبينما كنت أقرأ الصحيفة ذات يوم سألني أحد أصدقائي: "كيف أعرف ما اذا كنت أفقد ذاكرتي؟" فأجبته من دون أن أرفع نظري عن الصحيفة: "لقد شرحت لك ذلك البارحة."

هـ. ش.

ازدهار يقبض النفس

بعد أيام من مباشرتي العمل في جريدة محلية، عَبَر رجل القسم الذي أعمل فيه وهو يقول: "الأعمال في ازدهار." فتنهدت زميلتي وقالت: "تنقبض نفسي حين أسمع ذلك."
نظرت اليها بعينين مستغربتين، فأضافت: "انه محرر صفحة الوفيات."

م.ب.

قد لا تعادل الرومنسية الطعام والمأوى في سلم أولويات الحاجات البشرية إلا أنها تقاربهما

الجاذبية الجنسية تنعش الحب!



عندما أخبرني الطبيب مغتبطاً، بعد انقضاء ستة أسابيع على ولادة طفلتي الاولى: "في وسعكِ الآن مزاولة الحياة الجنسية كالعادة،" شعرت بالغضب وقلت في نفسي: جنس كالعادة؟ حياة كالعادة؟ لا بد أنه يمزح!

أحب وزوجي ابنتنا كثيراً، لكن قدومها قلب حياتنا إذ بات علينا فجأة تغيير نمط حياتنا وحتى الطريقة التي نتبادل بها المشاعر.

يضفي الأطفال الفرح على الحياة الزوجية ويستحقون رعايتنا. بيد أن هناك

ضرراً فادحاً في تحجيم أنفسنا الى دور "خدم للأطفال لا يمارسون الجنس." إننا نعتقد خاطئين أن الاطفال لا يحسنون الاعتناء بأنفسهم وأن الزواج باق ويتكفل بنفسه. فعندما يغدو قضاء الوقت معاً كزوجين أمراً في أدنى سلم الأولويات، تكون النتيجة إلحاق الأذى بالزواج وبالاطفال أيضاً.

يستطيع الزوجان استعادة الرغبة الجنسية إن توصلا إلى إيجاد توازن بين حاجاتهما وحاجات أطفالهما. عليهما بادىء الأمر التسليم بأنهما حبيبان بمقدار ما هما والدان.

كتبَ المؤلف لورنس شيمس: "قد لا تكون الرومنسية في أهمية الطعام أو المأوى في سلم الحاجات البشرية، لكنها ليست دونهما كثيراً - إنها من الأمور التي نحيا لأجلها."

ولكن من السهل نسيان ذلك. فعندما نصبح والدين يشعر كثيرون منّا فجأة بأن عليهم التحول الى أشخاص جديين بعيدين عن التفاهات. ولكن من منّا لا يرغب في قليل من الأثارة الرومنسية؟ ألا اعلموا أن تلك الرومنسية، تلك الشرارة، هي وليدة عنصر المفاجأة.

غالباً ما يذهب زوجي في رحلات عمل خارج المدينة. ونحن لم نحبّ لحظة الوداع مرة، ويتملكنا الاشتياق دائماً في هذه الغيبات. ومرة غلبني الشوق فرحت أتساءل كيف أصل إليه.

فجأة راودتني فكرة، فاتصلت بمكتب الاستقبال في الفندق حيث كان نازلاً. وعندما عاد زوجي الى غرفته وجد سلة فاكهة ومعها رسالة ضمنتها حبي وشوقي وتمنياتي أن يكون أمضى رحلة مريحة. وكان لذلك أبلغ الأثر فيه، اذ تلقيت في اليوم التالي تذكرة سفر ومعها رسالة يسألني فيها أن أمضي معه عطلة نهاية الاسبوع.

تسارعت نبضات قلبي وأنا أفكر في ما تحمله هذه الرحلة من امكانات. لكن عقلي شدني الى الواقع، فرحت أفكر: هل أستطيع تدبير حاضنة لطفلتي بالسرعة المطلوبة؟ أهكذا ننفق المال عبثاً؟

وأخيراً تركت لقلبي القرار. اتصلتُ بالحاضنة وأنا أحاول إقناع نفسي بأن ما سننفقه من مال هو استثمار مفيد في حياتي الزوجية وحياة عائلتي. فكانت لنا عطلة مفعمة باثارة لم يعادلها إلا شعورنا الغامر يوم وقعنا في الحب للمرة الاولى.

الشجاعة ضرورية. عندما بلغت ابنتنا ميرل الخامسة والثلاثين من عمرها ذهبتْ وزوجها لقضاء ليلتين في سان فرنسيسكو احتفالا بعيد ميلادها. ولدى عودتهما قالت: "لقد أمضينا وقتا ممتعا أردته ألا ينتهي. ولكن، تعلمين، على المرء دفع الثمن في النهاية."

سألتها: "ماذا تقصدين؟"

فأجابت: "إن الاستمتاع بعيداً عن الأطفال يشعرك بالذنب."

يساور ميرل، كغيرها من الامهات، إحساس غير واقعي بالواجب الامومي يسبب الكآبة والانقباض في الأمسيات الواعدة بقضاء وقت ممتع. وبالنسبة الى بعض الأزواج، يحول هذا الاحساس دون

خروجهم معا إلا إلى المآتم أو اجتماعات الأهل بالأساتذة. لذلك فان الحفاظ على الرومنسية يقتضي تخصيص أوقات للاستمتاع من غير إفسادها بشعور بالذنب.

بعد انقضاء شهر العسل وولادة الأطفال يدخل الأزواج نفقا من التوقعات غير المستندة الى واقع، مفترضين أن في وسع الشريك قراءة الأفكار واستكناه الحاجات والرغبات. وإن لم يفعل فانهم يصابون بخيبة ويفترضون أن المتعة زالت من الحياة الزوجية.

ليست الحياة قصة رومنسية خرافية. فالطفل يتقيأ ويبكي كثيراً. وهناك فواتير ندفعها وثياب نغسلها. ولا يسع أحداً أن يكون فاتنا على الدوام. ولكن من المستطاع خلق أجواء تقود الى الرومنسية والى إيقاظ الحبيب في الشريك.

ليس من إنسان منزه عن الخطأ. لذلك كُفّوا عن لوم الشريك وانتقاد ما فيه وما ليس فيه وما يفعله وما لا يفعله. إن الحياة الزوجية والجنسية السعيدة متيسرة، إلا أنها تتطلب مقداراً من الشجاعة، كالاعتراف بالخطأ فور وقوعه وتقويض الجدران الحائلة بينكما وإخبار الشريك بحقيقة رغباتكم وحاجاتكم.

شعرت صديقة لي أن زواجها بدأ يشكو فتوراً. فسألتها: "إن عزمتِ على قضاء أمسيةٍ رومنسية، فماذا تفعلين؟"

قالت: "أرسل الأولاد الى بيت أمي وأستقبل زوجي على الباب كما في الافلام. ثم نجلس قبالة مدفأة ونتناول طعام العشاء. وبعد ذلك نتهادى الى غرفة النوم حيث أدلله ويدللني ونمارس الحب حتى الثمالة."

قلت لها: "يبدو هذا رائعا. هل حددت موعداً لذلك؟"

فأجابت: "أتمزحين؟ إن طلبت موعداً ظن زوجي أنني جننت. لقد مر زمن طويل ونحن ماما وبابا."

مرت أيام قبل أن تجد جويس الشجاعة لاعلام زوجها بنزوتها. ولمّا فعلت فوجئت بمدى استجابته.

إكسير الحب. مع الوقت يساور الأزواج اعتقاد أن زمن "الصيد" ولّى فيتوقفون عن محاولة اضفاء الجاذبية والإثارة على أنفسهم.

المظهر الحسن يجعل الشريكين أقرب عاطفياً وجسدياً واحدهما الى الآخر. بهذه الوسيلة نجحتم في اجتذاب الشريك أول الأمر، ويُستحسن الاستمرار في ذلك لتغذية الاهتمام المتبادل. ولا تقل إيماءات الحب أهمية إذ إنها تضفي شعوراً بالغزل. ولا يهم أن تكون هذه الايماءات جدية أو تافهة أو مثيرة، المهم أن تجعلوا الشريك يشعر بمدى اهتمامكم به. فجميع الأزواج تستهويهم عبارة: "كم أنت رائع!" هناك رجل أعرفه يتصل بزوجته مراراً كل يوم ليعرب لها عن مدى هيامه بها. يقول: "إنها لعادة حسنة تشعرنا بقوة الرابط الذي يجمعنا."

ويسعكم أن تفعلوا مثل صديق لي أب لطفلين. فذات ليلة تسلل خارجا من الباب الخلفي ثم قرع جرس الباب الأمامي.

وعندما فتحت زوجته الباب قدم اليها وردة جميلة وطلب موعداً. قالت لي: "شعرت كأني تلميذة مدرسة."

إلا أن هناك أنواعا من اللقاءات لا تخدم الغاية المبتغاة. فإن قضيتم الامسيات الموعودة تبحثون في شؤون الأولاد وشجون العمل، فاتكم القصد من هذه اللقاءات.

تذكر أم لصبيين صغيرين: "يدور الحديث بيننا على أمور حدثت لنا حين كنا أصغر سناً، وعن المغامرات التي خضناها معاً كركوبنا النهر على طوف وممارسة الحب ونحن في قمة النشوة."

على الزوجين ابتكار أمسيات حميمة مرحة تعيدهما إلى زمن اللقاء الأول لا إلى واقع أن الزوج هو "أبو سامر" والزوجة هي "أم سامر."

يحتاج الآباء والأمهات الى أوقات ممتعة يسودها الضحك والمرح. ان شعور الشريك بأنه مثير حقاً، والعمل على إحداث هنيهات رومنسية، ترياقان رائعان للضجر والقلق. فعندما يعمل الزوجان على توليد حماسة في علاقتهما، يبنيان رابطا قويا حميما ينعش الحب الناضج بإكسير الحب الفتي الرومنسي.

آن ماير ■

خسارة أم ربح؟

غيَّرت عملي، وبتُّ اتقاضى راتباً اقل من ذلك الذي كنت أتقاضاه من عملي السابق. فابدلت سيارتي الفخمة الكبيرة بأخرى صغيرة. وفيما انا اندب خسارتي، حاول صديق لي دائم التفاؤل التخفيف عني، فقال: "لا تنظر اليها على أنها سيارة صغيرة، بل اعتبرها دراجة نارية مزودة مكيف هواء وآلة تسجيل.»

د.هـ

الأفضل!

التحق ابني بفريق كرة القدم في المدرسة. وبعد يومه الاول في التمرين سألته كيف سارت الأمور. فأجابني بابتسامة عريضة: "يقول المدرب انني الافضل بين سوا ثلاثة لاعبين."

و.ب.

أنصار البيئة!

عمّال المطعم في جامعتنا دائمو التذمر من فضلات الطعام التي نتركها في صحوننا. وذات يوم وجدنا لافتة على مدخل المطعم جاء فيها: "خذ ما تشاء، لكن كُل ما تأخذه. فنحن نهدر نفايات كثيرة يمكن أكلها."

د.ك.

مدينة اغريقية - رومانية ترقد تحت قرية تركية

افروديسياس

مدينة الحبّ



عند نجد تذروه الرياح في جنوب غرب تركيا، مدينة متألقة تنهض من التربة التي طمرتها ما يزيد على ألف سنة. اسمها أفروديسياس أي "الحب"، وفي وسطها آثار فينوس، أو عشتروت، رمز الحب والجمال المعروفة باسم "أفروديت" في اليونان.

كانت أفروديسياس ابان عصرها الذهبي، بين العام ١٠٠ قبل الميلاد والعام ٣٠٠ بعد الميلاد، مدينة مستقلة

PHOTOS: KENAN ERIM

مزدهرة ضمن الامبراطورية الرومانية، تسن شرائعها وتسك نقودها الخاصة. وكان مصدر ثرائها غلالها ومرمرها وزوارها. وكانت فيها نخبة من ٢٠ أسرة غيورة على المصلحة العامة تتألف من كبار ملاكي الاراضي، تعهدت مشاريع الأبنية الفخمة ورعت الفنون على مر الاجيال. لكن الزلازل عاثت في المدينة خراباً في القرن الرابع للميلاد. وبحلول العام ٧٠٠ غطت خرائبها أتربة تقاذفتها الرياح.

إن بعثها من سباتها اليوم يعود الى رجل واحد يدعى كنعان اريم، وهو عالم آثار أمريكي تركي المولد أشرف على عمليات الحفر مدة ٢٩ عاماً. وتنتشر المدينة الناهضة على مساحة مئة هكتار، تحوطها أسوار قديمة. وفيها أروقة معمَّدة وستاديوم[1] ومسرح في الهواء الطلق يتسع لثمانية آلاف جالس وأكروبوليس[2] وحمامات وهياكل رومانية وتشكيلة مذهلة من الآثار الفنية الرفيعة المستوى، ما يجعلها أحد أفخم مواقع آثار العصور القديمة. وقد أمها عام ١٩٨٩ ما يربو على ٢٠٠ ألف زائر كحلوا أبصارهم ببهاء مناظرها. تقول ماريا سكوارتشيابينو من جامعة سابينزا في روما، وهي مؤلفة المرجع الأم لمنحوتات أفروديسياس: "قلة من النصب العتيقة في العالم تضاهي نصب أفروديسياس."

واريم، كهل، أعزب، مترع بالنشاط له من العمر واحد وستون عاماً، يشبه المنظر الجانبي لرأسه وجه امبراطور روماني منقوش على ميدالية. إنه منسجم



اريم جالساً على قاعدة تترابيلون.

تماماً مع بيئة العصور القديمة التي ينقبها. وهو سليل علاقات أتراك وموظفين مرموقين في الحكومة التركية. تلقى علومه في سويسرا حيث أُلحق أبوه بعصبة الأمم آنذاك. ولدى انتقال العائلة الى الولايات المتحدة درس علم الآثار في جامعة برنستون، وشرع في تعليم آداب الاغريق والرومان في جامعة نيويورك وما زال.

وفي عطلة أمضاها في تركيا عام ١٩٥٩ زار موقع أفروديسياس الذي

(١) الستاديوم مدرّج اغريقي للالعاب الرياضية.
(٢) الاكروبوليس هو الجزء الاعلى المحصن من مدينة اغريقية.

شغلته دسكرة زراعية اسمها "غير." فأثارت فضوله خرائب قليلة باقية أماطت لثامها استكشافات متقطعة أجريت باكورة القرن العشرين وعام ١٩٣٧. وبعد سنتين حاز من السلطات التركية اذنا بالتنقيب. وأتى ذات يوم من صيف ١٩٦١ ونصب مخيماً في غير وفي حوزته ١٨ ألف دولار هي مساهمات خاصة حصل عليها، يساعده نفر من المتطوعين.

يقول اريم: "رأيت قطعة من منحوتة مرمر بارزة من خندق للري. فأحضر أهالي القرية المجارف ونبشوا رأساً مرمريا بديعا لامرأة تمثل مدينة أفروديسياس. مذذاك التصق مصيري بالمدينة المطمورة. وأصبحت أفروديسياس حياتي."

حُسن تحت التراب. في مستهل السبعينات استملكت الحكومة التركية معظم المنازل في غير، وما لبثت هذه أن هُدّت افساحاً لأعمال الحفر. وشغّل اريم عدداً كبيراً من السكان الذين انتقلوا الى قرية مجاورة.

وكان مع اريم فريق مساعدين من حقول شتى: علماء آثار ومهندسون معماريون وعلماء في آداب الاغريق والرومان ومؤرخو فنون ونحاتون وسواهم من أهل الاختصاص الامريكيين والبريطانيين والنمسويين والفرنسيين وغيرهم. وكان يطعمهم ويسكنهم بيتاً قديماً في القرية ويؤمن وسائط نقلهم.

وتمكن اريم وفريق عمله من حفر ربع مساحة الموقع الى الآن. وهو يأمل حفر المساحة المتبقية وترميم النصب الصالحة وإحالة المكان متنزهاً مليئاً بالآثار. يقول المؤرخ الثقة البريطاني جون جوليوس نورويتش: "اذا تسنى لاريم أن يستمر في عمله لربع القرن الآتي، بالاكباب نفسه، فسيكون عمله من أروع المنجزات الاثرية في عصرنا."

ومع ما أصابه اريم من نجاح فانه ما زال يعمل بطيب خاطر. ويظل تمويل المشروع مسألة ملحة. وهو يؤمن استمرار العمل في أفروديسياس بانفاق الأجر الذي يتقاضاه عن محاضراته، ومن هبات المؤسسات، ومن الاموال التي تجبيها جمعيات "أصدقاء أفروديسياس" في تركيا وفرنسا والولايات المتحدة. وموازنة المشروع للعام ١٩٨٩ لم تتعد ١٠٥ آلاف دولار، وهو مبلغ زهيد. ويفضي اريم بمكنونه في هذا الشأن: "اننا في حاجة الى ضعفي هذا المبلغ. فتعطل قطعة من المعدات يوقعنا في محنة. ونصب عمود واحد ساقط يكلف مالا كثيراً."

لكن نفاذ بصيرة اريم تعوض أحيانا سنة عجفاء. تقول ناتالي دو شيزمارتان وهي فرنسية خبيرة في النحت أمضت عشرة أصياف في افروديسياس: "اريم صياد كنوز. وموهبته في الحدس مروعة. إنه يحزر موقع شيء مطمور، فيستدعي حفارين، فيعثر على التحفة." وقد اكتشف عام ١٩٧٧، على سبيل المثال، منحوتة رائعة الحسن من المرمر الازرق لجواد بالحجم الطبيعي مدفونة تحت بقعة مغطاة بالعليق خارج حمامات هادريان.


راس اوكتافيان، الامبراطور اغسطس لاحقا، في سيباستيون.

نفحة من روما. عندما أراني اريم الحفريات في أكتوبر (تشرين الأول) ١٩٨٩ زودني معلومات عن تاريخ أفروديسياس: "ظلت الحياة في هذا المكان على تقطع مدة ٦٠٠٠ سنة على الأقل. لكن التاريخ المدون وحياة المدينة لم يبدأ الا مع اختراق الرومان هذه المنطقة في القرن الثاني قبل الميلاد. ومنذ العام ١٠٠ قبل الميلاد قطن افروديسياس المزدهرة أناس متعددو المشارب من أعراق آسيوية واغريقية ورومانية. وكانت اليونانية اللغة المشتركة بينهم."

قال لي اريم: "انظر!" وكنا بلغنا مبنى المسرح. الجانب الشمالي من البناء، المعروف باسم "جدار الأرشيف"، يبلغ ارتفاعه خمسة أمتار وعرضه ١٥ متراً، وهو معلّق بلوحات من المرمر عليها كتابة منقوشة. النص اليوناني المنقوش الذي دلني عليه اريم استنساخ لرسالة من العام ٣٩ قبل الميلاد كتبها أوكتافيان الذي أصبح في ما بعد الامبراطور أغسطس. وفي اللوحات ما يأتي: "اخترتُ هذه المدينة من بين مدن آسيا لتكون موطني. أريد أن يكرَّم أهلها كأنهم سكان بلدتي." ولما كانت مقاطعة آسيا الرومانية تشتمل على مدن قديمة شهيرة مثل افسس وبرغاموم (برغاما) وسميرنا (إزمير)، فهذا ثناء ما بعده ثناء.

أخبرني اريم أن أفروديسياس مدت روما بالجند عام ٨٨ قبل الميلاد في حربها مع ميتريدات ملك بنطس، وآزرت أوكتافيان في ما بعد ضد أعدائه. وفي المقابل، أغدقت روما الاعطيات والامتيازات على المدينة. وصدر مرسوم عن المجلس الاشتراعي الاعلى في روما يعفي أفروديسياس من الضرائب ويمنع إسكان أي جندي روماني في بيوت مواطنيها.

أفروديسياس غنية عن البيان. فنقوشها تصور فنون عمال الكتان وتحدد أسعار البضائع وتكرِّم المواطنين الذين يستحقون التشريف.

أطلال مبنى أفروديت تهيمن على المكان، بأعمدته المحزَّزة المرمرية الأربعة عشر المنتصبة في ارتفاع يزيد على تسعة أمتار. أخبرني اريم أن "المبنى شيد في القرن الأول قبل الميلاد، وكُبِّر خلال القرنين التاليين."

انتاب اريم هاجس غريب، فأدخل مسباراً تحت أساس البناء. وما عتم رجاله أن اكتشفوا مزاراً يرقى الى القرن السادس قبل الميلاد، اضافة الى تماثيل

صغيرة من الفخار لأم قاعدة. ولدى وفود الرومان بثقافتهم ومعتقداتهم إلى أفروديسياس، امتزجت صورة الأم بصورة أفروديت معشوقة الحب الروحاني والجسماني. واجتذبت ألوف الزوار من أرجاء الامبراطورية الرومانية. يقول اريم: "عثرنا على تمثال مرمر لافروديت اكبر من الحجم المعتاد، لكن التمثال الاصلي اختفى."

جلال التاريخ. سلكنا الدرب حول المكان فأحسست بنفحة الامبراطورية الرومانية، جليلة بين الخرائب. ولم تلزمنا مخيلة قوية لنستحضر في أذهاننا المباريات الرياضية التي شهدها الستاديوم، وطوله ٢٦٢ متراً، أو لنرى مسرح "الأوديون" الأصغر حيث احتشد الناس لحفلة أو لسماع محاضرة عن فلسفة أفلاطون. ولاحظت رقعا لألعاب الزهر محفورة في المرمر. وأي شيء افصح من حمامين رحبين، تحتهما تجهيزات لتسخين الماء؟ هنا كان أهالي أفروديسياس يتداولون شؤون تجارتهم فيما تدلّك أبدانهم.

لكن ما يميز أفروديسياس عن نظيراتها من المدن القديمة مئات المنحوتات، بعضها نافر وبعضها منفلت من جميع جوانبه. يقول اريم: "هاته التماثيل هي أولادي، أحبها جميعا سواسية. يا للمسرة والحيوية اللتين أضفاهما عليها النحاتون القدامى."

ولكن ما الداعي إلى انبجاس الابداع الفني الخلاق في هذه البقعة النائية من الامبراطورية الرومانية؟ يعتقد معظم المؤرخين المعاصرين أن ملك برغاموم أتالوس الثالث المعروف بحبه للفنون، حين أوصى بمملكته الثرية لروما من بعده عام ١٣٣ قبل الميلاد، اضطر الحجارون والنحاتون العاملون لديه الى البحث عن عمل في مكان آخر. ولعل بعض هؤلاء الفنانين العاطلين عن العمل انجذبوا الى أفروديسياس الواقعة على بعد ٢٣٠ كيلومتراً الى الجنوب الشرقي، لوفرة المرمر الممتاز فيها، وكان يقطع من مقالع في الجبال التي تسوّر المدينة من ثلاثة جوانب. وأسس هؤلاء معهداً للنحت ازدهر فترة تزيد على ٥٠٠ عام. وبلغ من بهاء تماثيل أفروديسياس أنها كانت تطلب من خارج البلاد. وقد عثر على منحوتات موسومة بتواقيع فناني المدينة في اليونان وليبيا، وحتى في ايطاليا، حيث جلبت لتزيين الاروقة المسقوفة.

وتحظر تركيا اليوم تصدير التحف الاثرية. والتماثيل التي عثر عليها اريم وفريقه ملك الدولة التركية، وهي معروضة حاليا في متحف قريب بنته الحكومة. ويأمل اريم أن يتمكن من اعادة بعض هذه المنحوتات الى البقاع التي كان يُقصد وضعها فيها.

جزنا الساحتين المركزيتين، أو ساحتي السوق، اللتين تحف بهما صفوف من الأعمدة العريضة وتصل بينهما أبواب ضخمة. وهما تشكلان ركناً مدينياً يضاهي روما جلالا. تلبثنا قليلا عند تترابيلون، وهي بوابة مزوّقة بستة عشر عموداً، وراقبنا رافعة تنشل جزءاً من

قنطرة مرمرية لتضعها في مكانها. في الموقع اختصاصيان نمسويان يشرفان على عمليات الترميم. وبان السرور على اريم، اذ ان الترميم شارف الانتهاء.

وقفتنا الاخيرة في طريق تصطف فيه أعمدة: انه مدخل سيباستيون، مزار الاباطرة. المزار ذاته امّحى، وما كشفته الحفريات جادة عرضها حوالى ٩٠ متراً، تكتنفها مبان من ثلاث طبقات ذوات أعمدة، وتطل من واجهاتها منحوتات نافرة يصور بعضها أساطير اغريقية: فهذه ليدا على هيئة بجعة متهوِّرة، وهذا ديونيسيوس يخطر في مشيته تتقدمه إحدى النسوة القائمات على خدمته. وثمة صفائح ترمز الى عز السلالة الامبراطورية.

مساء يومي الاخير في المدينة جلت وحدي بعد العشاء والنجوم اللوامع تلقي على المرمريات نوراً يبعث الروع في النفس. أنعمت النظر الى السماء، فألفيت كوكبات "العقرب" و"ذات الكرسي" و"الدب الاكبر." ثم وقع نظري عليها: النجمة الأسطع، فينوس، أفروديت، عشتروت، نجمة الأماسي ترعى المدينة العتيقة.

إرنست هاوسر ■



من المسؤول؟

خلال اجتماع لتقويم نشاط المبيعات في شركتنا وقف المدير يؤنبنا ويلومنا على انخفاض أرقام المبيعات التي حققناها. وقال مستاء: "لقد سئمت خيباتكم وأعذاركم. فاذا كنتم عاجزين عن القيام بهذا العمل كما يجب، فقد نجد بائعين موهوبين يتمنون أن تسنح لهم فرصة بيع منتجاتنا القيمة." ثم وجّه حديثه الى بائع وظِّف حديثاً، وهو لاعب كرة قدم متقاعد، فقال: "اذا خسر فريق كرة قدم باستمرار، يبدل اللاعبون، أليس كذلك؟"

فساد الصمت برهة، الى أن أجابه لاعب الكرة قائلا: "في الحقيقة يا سيدي، عندما كان الفريق كله يعاني مصاعب، كنا نأتي بمدرب جديد."

د.ل.

سيارة الوالد

اشتهر والدي بمبالغته في الاعتناء بسيارته الفخمة، فكان يلمِّعها ويوقفها في المرأب بعد كل استعمال. وقد تحاشت والدتي سوْقها على رغم مهارتها في القيادة.

وذات يوم اتصلت بنا قريبة لنا ودعتنا الى تناول طعام العشاء الى مائدتها. فقالت لها أمي: "كنت أود ذلك من كل قلبي. لكننا في الحقيقة لا نملك سيارة."

فسألتها قريبتنا مستغربة: "بالله عليك، ماذا تقصدين؟"

فأجابتها أمي: "تلك ليست سيارة، بل أثاث للمرأب."

س.س.



البكاء في الاعراس

■ يجدر بالفتيات المقبلات على الزواج أن يأخذن دروساً أولية في السمكرة وهندسة الكهرباء والكيمياء المنزلية، اذ انهن في طريقهن الى أصعب وظيفة في العالم، جاهلات ما سيواجهن من مصاعب. ان التفكير في هذا كله يبكي النساء الاكبر سناً في الأعراس.

أ.ش.م.

"داما" الحياة

■ تعلمنا الداما أموراً كثيرة عن الحياة: اخسر حجراً لكي تربح حجرين، لا تقم بنقلتين دفعة واحدة، تحرّك صعوداً لا نزولاً، وعندما تصل الى القمة يمكنك أن تتحرك كيفما تشاء.

هـ.ر.

الخير والشر

■ اعتقد أن قصة واحدة فقط تخيفنا وتلهمنا وتحيينا في سلسلة متواصلة من التفكير والتساؤل. فالناس، في حياتهم وأفكارهم وشهواتهم وجشعهم وطموحاتهم وقسوتهم ولطفهم وكرمهم، عالقون في شباك الخير والشر. وأظن أن هذه هي القصة الوحيدة التي تتكرر على جميع مستويات المشاعر والذكاء. فالفضيلة والرذيلة أساس وَعْينا الأوّل، وسوف تشكلان بنيته النهائية على رغم كل التغييرات التي قد نضفيها على الحقول والأنهر والجبال والاقتصاد والآداب الاجتماعية. ليست هناك قصة أخرى، فالانسان بعد أن ينفض عن حياته غبارها وتفاهاتها، يبقى لديه سؤالان صريحان لا سبيل الى انكارهما: هل عشت حياة خير أم شر؟ هل أحسنت أم أسأت صنعاً؟

جون ستاينبك، روائي امريكي
حائز جائزتي "بوليتزر" و"نوبل"

تحديات التعبير

■ قليلة هي الأمور التي تجبر العقل على التركيز بفاعلية أكثر من ضرورة التعبير عما نعنيه. فهذه الضرورة تضعنا وجهاً لوجه أمام ما نتكلم عنه وما ننوي اقتراحه فعلاً، وتبعدنا عن استخدام العبارات المبتذلة التي تنوب عن الفكر وتعوقه وتحول دونه.

إدوين نيومان، معلّق اخباري امريكي

الجمال لا يُشرح

■ لا أطيق الأعمال الجمالية التي ينبغي شرحها لكي تفهم. فعندما تتطلّب تحفة ما تفسيراً من غير مبدعها أتساءل عما إذا كانت حقّقت غايتها.

تشارلي شابلن،
ممثل فكاهي بريطاني

أخطار التعرّض

كل صيف يتطلع الناس الى ارتياد الشـواطىء للتمدد والتمتـع بأشعـة الشمس. وهم يسمعون أن التعرض المفرط للشمس قد يؤدي الى الاصابة بسرطان الجلد، لذا تراهم يأخذون قليلا من الاحتياطات، وكثيرون يستخدمون مرهماً حاجبا لأشعة الشمس يؤمن عامل وقاية قد يزيد ١٥ ضعفا على الوقاية الطبيعية. هذا ما عدا في الايام الغائمة. ويعتمر آخرون قبعات يطرحونها جانبا حين يرون أنهم أخذوا قسطا كافياً من الشمس ويلجـأون الى الظل. وفي اعتقادهم ان هذه طريقة آمنة في اكتساب السمرة.

ولكن ثمة مشكلة واحدة هي أن أحدث الأبحاث تشير الى غير ذلك. فمن جراء التعرض للشمس، سيصاب كثيرون هذه السنة بسرطان الجلد، وبعضهم سيلقى حتفه. وسيصـاب آخرون بأذى في عيونهم او جلودهم، وسيلحق ضرر بأجهزة المناعة لدى آخرين فيصيرون اكثر قابلية للاصابة بالعدوى والمرض.

وقد تبين أن التعرض للشمس ينطوي على خطر يفوق تقديرات الخبراء.

يقول الدكتور بيري روبنز رئيس "مؤسسة سرطان الجلد": "يعرف الناس أن التعرض للشمس مضر لهم، لكنهم بدأوا حديثا يدركون مقدار الضرر."

السمرة الخطرة. ازدادت الاصابات بسرطانات الجلد الثلاثة الرئيسية الى حد أذهل الباحثين. والانواع الثلاثة هي: القتامي الخبيث، والغدّي الحرشفي الخلايا، والغدّي القاعدي الخلايا[1]. ويقرّ الخبـراء بأن أشعـة الشمس فوق البنفسجية هي السبب الرئيسي لسرطان

(١) Malignant melanoma, squamous-cell carcinoma and basal-cell carcinoma



للشمس

الاشعة فوق البنفسجية في نور الشمس تتلف خلايا المناعة وتُفسح لضروب متنوعة من سرطانات الجلد

الجلد. وفي العام ١٩٨٩ أطلقت نشرة "الجمعية الطبية الامريكية" الانذار، فنشرت نتائج بحث دراسي دقيق اقتفى حوادث سرطان الجلد لدى أكثر من ٣٠٠ ألف مصاب في غرب الولايات المتحدة. كانت النتائج مدهشة. فخلال ٢٧ سنة ازداد عدد الاصابات بسرطان الجلد الحرشفي الخلايا الأشد خطراً بين سرطانات الجلد العادية، ٢٦٠ في المئة لدى الرجال و٣١٠ في المئة لدى النساء. وعزا الباحثون الطبيون هذه الزيادة المذهلة مباشرة الى "زيادة التعرض الطوعي للشمس."

وكشفت الدراسة أن الاصابات بالسرطان القتامي الخبيث، أفتك أنواع سرطان الجلد، ازدادت بنسبة ٣٥٠ في المئة لدى الرجال و٤٦٠ في المئة لدى النساء خلال المدة ذاتها. والسرطان القتامي الخبيث يقضي على خُمس المصابين به بعد خمس سنوات من تشخيصه.

اما "الرسالة" التي تضمنتها المقالة في النشرة فلم تتوقف عند ذلك بل تعدته الى التحذير من أن "ازدياد اصابات السرطان الغدّي الحرشفي الخلايا هو على الارجح نتيجة تغيرات في نمط الحياة أدت الى ازدياد التعرض للشمس." وأوصى الباحثون الاطباء بالطلب من المرضى "انْ يمتنعوا عن الحمامات الشمسية التي تعتبرها الآن نشاطاً مبطناً بالخطر."

"الاكاديمية الامريكية لعلم الجلد وأمراضه" تقرّ هذه التوصيات. ففي مؤتمرها عام ١٩٨٨ حول "الشيخوخة والتلف بفعل نور الشمس" طُرح السؤال على ١٨ خبيراً طبياً بالامراض الجلدية: "هل هناك طريقة آمنة لاكتساب السمرة؟" فكان جوابهم مباشراً وصريحاً: "كلا."

وهذه هي الحقيقة. فالعلماء العارفون بالجلد البشري يؤكدون أن كل سبل الاسمرار بالشمس خطرة من دون استثناء.

ندوب دائمة. بدأت في الثلاثينات فكرة أن اسمرار الشمس "صحي." واعتقد

PHOTO: © ADAMSMITH PRODUCTIONS / WESTLIGHT

الناس أن الجسم النحاسي اللون هو رمز اللياقة البدنية والنشاط. ولكم كان ذلك بعيداً عن الواقع. ان اسمرار الشمس ليس دليل عافية مطلقاً، بل هو وسيلة دفاع قاسية. انه محاولة جسمك، اليائسة والمخفقة دائماً، لحمايتك من ضرر قد يكون غير قابل للاصلاح. يفرز جسمك غطاء من صبغ يسمّى "ميلانين" (قتامين أو سحامين) يحول دون الحاق الاشعة فوق البنفسجية ضرراً أكبر، ولكن قد يكون فات الاوان، فما ان تظهر سمرة الشمس حتى يكون الضرر وقع فعلا.

تريسي فرنكلين أدركت ذلك بعد تجربة قاسية. فمنذ كانت في الثالثة من عمرها ترود منحدرات التزلج كل شتاء وتغشى الشواطىء المشمسة في كل صيف. وهي شقراء ذات عينين زرقاوين وبشرة رقيقة بيضاء، لذا كانت تُسْفع سريعاً في سعيها المحموم الى اكتساب سمرة ذهبية برونزية. ولكي تبدو في أوج رونقها في حفلة زفافها قبل أربع سنوات، قصدت صالة خاصة لاكتساب السمرة وراحت تأتي ثلاثة أيام في الاسبوع لمدة شهر قبل اليوم الموعود. وأمضت شهر العسل على شواطىء هاواي.

وفي العام الماضي، وكانت بلغت الخامسة والعشرين من عمرها، لاحظت على ظهرها خالا داكناً بحجم ممحاة قلم رصاص، شخّصه طبيبها ورماً سرطانياً قتامياً خبيثاً. وخلّفت الجراحة التي أجريت لها ندباً بطول ثمانية سنتيمترات. ولحسن حظها لم يكن الورم تفشى بعد. لكن عذابها لم ينته، اذ ان الأطباء أزالوا من صدرها وبطنها وظهرها عشرين خالاً مريباً، واضطروا الى اجراء جراحات لثلثها للتأكد من انتزاع كل الانسجة السرطانية المحتملة.

تقول فرنكلين: "لن أتعرض للشمس بعد الآن. تدوم السمرة يومين أو ثلاثة أيام، أما الندوب فتبقى مدى الحياة."

ان احتمال اصابتك بسرطان الجلد يتوقف، من ناحية، على نوعية جلدك. فقد صنف الباحثون الطبيون الناس فئات تراوح بين الفئتين ١ و٢ الأشد خطراً والفئة ٦ الادنى خطراً. أفراد الفئتين ١ و٢ هم عادة ذوو عيون زرق أو خضر أو بنية وشعر أحمر او أشقر ونمش. والفئة ١ لا تنعم بالسمرة مطلقاً، فيما تسمرّ الفئة ٢ الى حد أدنى. ويُصنف ذوو الجلد القاتم والاسود في الفئتين ٥ و٨ وهؤلاء يكتسبون سمرة وافرة نادراً ما تتحول احتراقاً.

عواقب التعرض للشمس. من المؤسف أن الناس، حتى افراد فئة الخطر المتدني، لا يحظون بمناعة ضد سرطان الجلد أو أي تلف آخر تسببه أشعة الشمس. ومن الاخطار المحتملة:

الشيخوخة المبكرة. اعتقد الناس حتى أمد قريب أننا عندما نشيخ يتجعد جلدنا ويترهل حتماً. ونعرف الآن أن معظم الضرر متأتٍ من التعرض سنوات للاشعة فوق البنفسجية التي تتلف الألياف المرنة التي تحفظ الجلد مشدوداً ليناً. وقد اكتشفت ملايين النساء

المتباهيات باكتساب تلك السمرة الذهبية التي توحي شباباً ونضارة، أن حمامات الشمس على مدى سنوات أدت الى اصفرار جلودهن وارتخائها.

أذى العينين. ان تعرض العينين للاشعة فوق البنفسجية على مدى سنوات قد يسمِّر عدسة العين الصافية مثلما تسمرّ ورقة معروضة في واجهة زجاج. وقد ينتهي الأمر الى الاصابة بالسد (إعتام عدسة العين)[٢] أو بعمى جزئي.

ويكمن في صالات الاسمرار الاصطناعي خطر زائد على العينين، حيث تنبعث من المصابيح دفعات كبيرة من الاشعة الخطرة فوق البنفسجية. وبحسب الجمعية الطبية الامريكية فان "مجرد اغماض العينين واستخدام نظارات شمسية عادية ووضع قطن على العينين قد لا تكفي لتلافي الضرر."

ولا يتردد كثير من الخبراء الطبيين في المجاهرة بآرائهم في صالات الاسمرار. يقول الدكتور مايكل فرانزبلو أستاذ علم الجلد وأمراضه في كلية الطب بجامعة كاليفورنيا في سان فرنسيسكو: "لا يجدر بأي شخص في عقله الكامل أن يلج واحدة منها."

تعطُّل جهاز المناعة. إن أخطر ما ينجم عن التعرض للشمس هو التأثير المحتمل في جهاز مناعة الجسم. عرف الاطباء منذ أمد بعيد أن اسمرار الشمس يؤدي الى تفشي قروح الحلاء (العقبولة)[٣] على شفاه الأشخاص القابلين للتأثر. وبما أن فيروس الحلاء كامن دائما في أجسام هؤلاء المرضى، فالعلماء يعتقدون أن الاشعة فوق البنفسجية قد تقضي على أجهزة الدفاع الطبيعية.

في دراسة أجريت في أوستراليا أخضع متطوعون لاثنتي عشرة جلسة دامت كل منها ٣٠ دقيقة، بتسليط أشعة مصابيح شمسية على أجسادهم. ومن ثم جرى فحص خلايا دمهم لتحديد قدرتها على صدّ السرطان القتامي الخبيث. فتبين أن خلاياهم "الطبيعية القاتلة" نقص عددها وفقدت كثيراً من قدرتها على مكافحة المرض، حتى بعد أسبوع من توقف تعريضهم للأشعة فوق البنفسجية.

تدابير بسيطة. لحسن الحظ ثمة خطوات للحماية من أشعة الشمس:

١. **استخدموا مرهماً ذا عامل وقاية عالٍ.** في الأشهر الاثني عشر من السنة ادهنوا بشرتكم المعرضة للشمس بمرهم واق حين تخرجون في نزهة قصيرة أو للعمل طويلا في الحديقة بعد الظهر، وذلك في سبيل الوقاية من أشعة الشمس المحرقة. وتوخيا لوقاية قصوى عاودوا الدهن بعد كل بضع ساعات أو بعد السباحة أو بعد تصبب العرق. (تذكروا أن الشمس، حتى في الايام الغائمة، قد تمطركم ٧٥ في المئة من أشعتها المسببة للسرطان.)

---
(٢) Cataracts
(٣) Herpes

ان أفضل المراهم الواقية هي الواسعة النطاق أي التي توفر وقاية من معظم الاشعاعات فوق البنفسجية في نور الشمس، بما فيها الاشعة "أ" والاشعة "ب."[٤]

في الماضي كانت الاشعة فوق البنفسجية "ب" تعتبر خطرة، ولكن ثمة دليل متنام على أن الاشعة "أ" مضرة أيضا.

٢. استروا عيونكم. لدى خروجكم ضعوا نظارات تصدّ أشعة الشمس فوق البنفسجية أو عدسات طبية مغلّفة تؤمن لكم الوقاية. وتساعد النظارات الشمسية في حماية محيط العينين.

٣. ارتدوا ملابس واقية. ان قمصان القطن الملزوزة الحياكة تحجب معظم الاسعة فوق البنفسجية. وكلما التزّت الحياكة ازدادت الوقاية. تجنبوا ارتداء قمصان النيلون والبوليستر المفرّغة الحياكة لانها تتيح ولوج مقدار كبير من الأشعة الى الجسم.

٤. اعتمروا قبعات. القبعة الرياضية ذات الحافة الامامية قد تحجب نصف الاشعة الخطرة عن العينين. ولكن أفضل منها القبعة ذات الحرف الواسع. وقد اعتاد المواطن في أوستراليا، حيث يزداد سرطان الجلد بمعدلات مخيفة، أن يرتدي قميصا ويضع مرهماً واقياً ويعتمر قبعة قبل خروجه من البيت.

٥. تيقظوا لتغيرات الجلد. اذا لاحظتم أي تغير، راجعوا الطبيب للحال. ولئن يكن سرطان الجلد هو الاكثر شيوعاً بين السرطانات الخبيثة، فانه الاسهل شفاء اذا اكتشف في الوقت الصحيح. وأقل من ٢ في المئة من المصابين بالسرطان الحرشفي او القاعدي الخلايا يموتون من جرائه. ان السرطان القتامي الخبيث هو أشد خطراً. لذلك راقبوا بدقة ظهور أي خال قاتم اللون.

٦. لا تنسوا أولادكم. أمنوا لهم الوقاية باتباع الخطوات الخمس السابقة. فالاولاد يمتصون كمية كبيرة من الأشعة فوق البنفسجيية في حياتهم قبل الثامنة عشرة من عمرهم. والذين يصابون مراراً بحروق شمس شديدة في طفولتهم مرشحون للمعاناة لاحقا من سرطان الجلد القتامي الخبيث.

فالناس الذين يسمرّون الآن يدفعون الثمن لاحقا. وقد يكون الثمن غاليا: سرطان جلدي، جلد شائخ بشع، بصر تالف، جهاز مناعة معطّل.

فمن يرغب في اسمرار ينطوي على هذه الاخطار؟

د. ديفيد روبن ■

(٤) Ultraviolet A (UVA) and ultraviolet B (UVB)

لماذا تتاخر بداية الشيخوخة مع تقدمنا في العمر؟ ك.ل.

خبير يعلّمك كيف تلتقط صوراً نابضة بالحياة

نصائح لهواة التصوير

للصور الفوتوغرافية قوة سحرية تستحضر الماضي.

"فيا لروعة ما تكشفه صورة متواضعة!" كلمات صاغتها الروائية جويس كارول أوتس وقد طالعها سيل من ذكريات الطفولة وهي تنظر الى لقطة أظهرتها طفلة قرب أجمة. "رأت" منزل عائلتها الريفي والاصطبل القديم وبستان التفاح، على رغم أن هذه الأشياء لم تظهر في الصورة!

نادراً ما يُوفق المصور الهاوي في لقطة تتحول أكثر من مجرد صورة، فتكون لكل من يشاهدها "شيئاً يعبر عن شعورنا المشترك" كما ذكرت الكاتبة يودورا ولتي.

فما هو العامل الذي يفرق بين لقطة عادية ولقطة لا تنتسى؟

الجواب: سبع أفكار مفيدة، وتكّة مصراع آلة تصوير.

١ . أطِّر الصورة. ذات نهار صيفي ساطع تمشى معلم المدرسة أرون سيسكند على شاطىء بلدة غلوستر بولاية مساتشوستس. فجأة رأى قفازاً ملقى

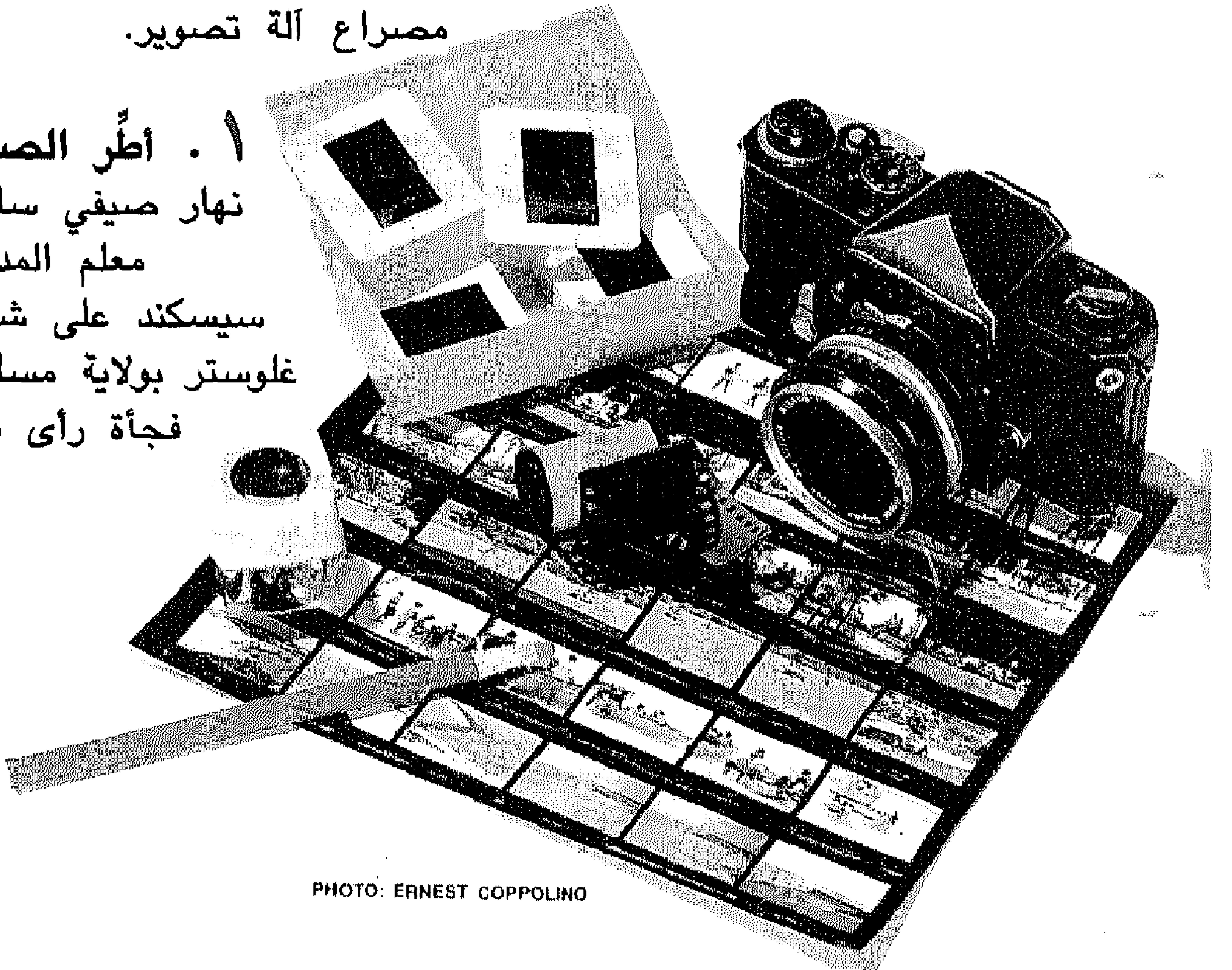


PHOTO: ERNEST COPPOLINO

على الرصيف فاستحوذ على اهتمامه. قال: "أطّرت الصورة بحيث ظهر القفاز عمودياً. وعندما شاهدته عبر آلة التصوير الرخيصة التي كنت أحملها بدا مثيراً للاهتمام أكثر من مجرد شيء مهمل ملقى على الأرض."

ضغط سيسكند زر الكاميرا. وعندما ظُهِّر الفيلم أدرك أنه أبدع صورة جميلة مدهشة. وهذا ما حداه على أن يصبح أحد أبرز مصوري عصرنا. كان يجد الجمال في أمكنة وأشياء تفوت الآخرين رؤياها.

عندما تنظر الى العالم المحيط بك لا تجد حدوداً مرسومة لرؤياك. ولكن عندما تنظر عبر منظار معيِّن الصورة*، كما فعل سيسكند، يصبح هذا المستطيل إطاراً يشحذ حساسيتك.

كنت أعد العدة لتصوير تمثال صغير لميكالانجلو في أحد متاحف فلورنسا. وفيما أنا أؤطر الامكانات عبر معيِّن الصورة لفتت نظري خطوط دقيقة لبصمة أصبع قدَّرتُ أنها للنحات العظيم. وركزت الأضواء الكاشفة على البصمة، فجأة، أطلق المؤرخ الفني فردريك هارت الذي كان الى جانبي، شهقة فرح عندما رأى ما كشفته الأضواء. لم يلاحظ اي من موظفي المتحف هذه البصمة من قبل، وأنا على يقين أني لم أكن لألاحظها كذلك لو لم أؤطر الصورة بالمعيِّن.

٢ . **أصغ ِالى عواطفك**. ركز على ما يثيرك أو يحركك شخصياً. طُلب مني حديثاً أن أصور فتاة صغيرة مع أمها وجدتها وأم جدتها. فحاولت التقاط صورة جامعة، لكن ذلك لم يرقني. وأخيراً قررت أن الصورة الحقيقية – العاطفة الحقيقية – تكمن بين الفتاة الصغيرة وأم جدتها. فصوّرت الاثنتين وحدهما وحصلت على صورة جميلة لطفلة فاتنة وعجوز طيبة وهما تنعمان بالرفقة عبر أربعة أجيال.

٣ . **تذكَّر أن آلة التصوير ترى غير ما تراه العين**. فهي تصور الطاولات والمقاعد المتناثرة مثلما تصور الهدف المقصود. وفي الخارج تصور السيارات المنطلقة بسرعة وأسلاك الهاتف وأغصان الأشجار التي تبدو كأنها ناتئة من رأس صاحب الصورة. لذلك عليك البحث عن زاوية تجنبك مثل هذه الكوارث.

واقترب من الهدف، لأن التقاط الصور من مكان بعيد هو من أسباب فشل المصور الهاوي. فالمحترف يملأ الاطار بالصورة.

وأخيراً، عليك مراعاة الإضاءة. لقد تعلمت هذا الدرس بالطريقة الصعبة، ولا أفشي سراً إن قلت إن المصورين المحترفين يرتكبون أخطاء أيضاً. مثال على ذلك يوم صورت حفلة زفاف ابنتي. كانت واقفة وعريسها تحت شجرة تفاح بري في حديقة منزلنا. ووقفت معهما في الظل مسدداً آلة التصوير الى حيث وقف الحضور في خلفية مضاءة بنور الشمس.

(*) viewfinder وهو الفتحة التي يُنظر عبرها الى المشهد المطلوب.

فكانت النتيجة خيبة كبرى، اذ ظهر وجها العروسين داكنين يصعب تمييزهما. لذا تذكّر: ان معظم آلات التصوير الاوتوماتيكية تتعدل تلقائياً بما يتناسب ومعدل الاضاءة في الصورة بكاملها.

واستعمال الضوء الومضي (الفلاش) قد يضر أكثر مما ينفع، اذ لا سبيل لك كي تعلم كيف تستجيب آلة التصوير ازاء الظلال عندما يلتمع الضوء الومضي. فإن وقفت ضمن مسافة من الهدف تقل عن متر ونصف متر، فقد يؤدي الضوء الومضي الى محو الوجوه أو إحداث ظلال مزعجة وراء الهدف. ولتدارك هذا الخطأ عليك ايقاف الناس بعيداً عن الجدران.

وأهم ما عليك تذكره هو أن الضوء الومضي في آلات التصوير الاوتوماتيكية لا ينفع إن زادت المسافة على أربعة أمتار ونصف متر.

٤. لا تهمَّنَّك حال الطقس كما تهم معظم المصورين. ذهبت وعائلتي في رحلة الى مكان فيه عربات معلّقة (تلفريك) قيل إنها تكشف منظراً رائعاً للوادي. لكن الطقس كان سيئاً جداً فلم نرَ سوى رقع تلال يغطيها الضباب. فسدَّدت الكاميرا يائساً وضغطت الزر.

وعندما ظُهِّر الفيلم دُهشت الكاميرا إذ رأيت ما صنعه لي الحظ من لقطات تبهر الأنفاس، لا لمشاهد الغابة والوادي بل لضباب فضي ظليل يكلل الأشجار.

٥. خذ عدة صور من زوايا مختلفة. لا يمكنك معرفة نتائج أعمالك حتى يُظهَّر الفيلم. لذا كرر المحاولات كي تزداد فرص حصولك على صور رائعة.

كلما صورتُ شخصاً جربت ثلاث زوايا على الأقل: واحدة وهو ينظر مباشرة الى عدسة التصوير، وثانية وهو ينظر يسرة، وثالثة وهو يتجه يمنة. وقد أسأله أن يأخذ أوضاعا مختلفة، كأن يستند الى مرفقه أو يومىء الى صديق أو يقرأ كتاباً.

وحتى عندما تصور مشاهد عليك تكرار المحاولة. لاحظتُ ابنتي ذات يوم تراقب مشهد الغروب الرائع بعدما حصلت على أولى كاميراتها، وكانت في الثانية عشرة من العمر. فسألتها: "لمَ لا تصورين هذا المشهد؟"

فتناولت آلة التصوير وصوَّرت. وبعد دقائق ازدانت الغيوم المتناثرة في الأفق بأوشحة متدرجة الاحمرار. فاقترحت عليها أن تلتقط صورة اخرى.

نظرت اليَّ متعجبة لفكرة تصوير مشهد الغروب مرتين. ولكن ما إن حدقت من النافذة حتى أدركت مدى أختلاف المشهد وراحت تلتقط الصور مسجلة المتغيرات الجمالية لحظة فلحظة.

إن أفضل أسرار المصورين المحترفين هو إكثارهم من الصور. قد يبدو لك ذلك مغالاة، لكن تصوير فيلم كامل بدلا من لقطة واحدة يزيد فرص انتاج صورة لا تنتسى.

٦. دع الناس يسترخون. الصورة الجيدة تلتقط الشخصية في لحظة يكون المرء على سجيته. وعلى المصوِّر أن يبقى متيقظا لملاحظة تعابير الوجه

وايماءاته. وقد وصفت الكاتبة يودورا ولتي ذلك بالآتي: "كل شعور يتلو ايماءة تستبقه."

ويسهل استباق اللحظات حيث يشعر الانسان بالاسترخاء. أحبُّ الصور اليّ واحدة التقطتها للكاتب ايزاك سنغر في غرفة يدعوها "غرفة القمامة" حيث كوم الصحف والمجلات والكتب القديمة تجاور جوائز مؤطرة بينها واحدة تدلت بانحراف هي جائزة "نوبل." كانت الغرفة معبرة عن جانب من شخصية الكاتب الذي كان يشعر فيها بالسعادة والاسترخاء. وهذا بالضبط ما كشفته الصورة.

أما تصوير الأطفال والأولاد فهو الأكثر مدعاة للمرح لأنهم لم يتعلموا بعد أن يعوا ذواتهم. لذلك فإن أي صورة تأخذها لهم وهم يمرحون عابثين بالألعاب أو الأراجيح أو برك السباحة ستظهرهم في أفضل حال من الاسترخاء.

٧. بعد تظهير الفيلم ابحث في الصور عن أجزاء تكبِّرها. بعد رحلة الى مصر اعتبرت شقيقتي صورها مجرد تذكارات. لكني فاجأتها بتشذيب خمس منها بشكل أبرز ميزاتها. وقد سرها ذلك فطلبت صوراً مكبرة تعلقها في منزلها.

لتشذيب الصور، علِّم الجزء المطلوب على الصورة بقلم ملوَّن ثم أرسلها مع الصور السلبية الى مظهر الأفلام لتكبيرها.

ذات مرة درَّس المصور رالف ستينر مقرراً تعليميا بعنوان "كيف تنظر الى العالم." كان الهدف من التصوير بالنسبة اليه إحراز مفهوم جديد للحياة. وهو قال للمصوِّرين الطموحين: "احتفوا بالأشياء العادية الرائعة التي ترونها حولكم." وأضاف أنه يشعر بأن في ملاءات الأسرّة البسيطة المعلقة على حبل غسيل يكمن سحر الستائر في المنحوتات الأغريقية الرائعة. وفي مكتبي واحدة من روائع ستينر تمثل ظل شجرة يقع برفق على مرجة مكسوة بالثلج. إنها تذكرني بأن رؤية العالم بعين آلة تصوير يجعل فرح اللحظة العابرة أبديا.

ديفيد فين ■

نُشر للكاتب ٤٠ مجلداً مصوراً. وقد عرضت اعماله في متاحف وصالات عرض كبرى في الولايات المتحدة واوروبا.

مصائب قوم...

بينما كنت اتسوق في احد المراكز التجارية رايت سيارتين تصطدمان في موقف السيارات. وإذ خرج السائقان من سيارتيهما ليعاينا الاضرار، رايت سيدة تخرج مسرعة من المركز التجاري وتتجه نحو سيارتها المتوقفة قرب مكان الحادث. فتوقعتُ انها ستنقلها من مكانها لكي لا تعيق سبيل سيارات الشرطة وشاحنتي القطر. لكنها فتحت باب السيارة ونزعت لافتة عن الزجاج الخلفي كتب عليها "برسم البيع"، ونقلتها الى الزجاج الامامي المواجه لمكان الحادث.

ا.و.

جهل أبنائنا اليوم مخيف
والمرعب أكثر جهلهم أنهم جاهلون

حلم مراهق خامل

ذات يوم في الخريف الماضي نفدت ملفات الاوراق لدي، فقصدت متجراً لشراء مزيد منها. وحملت كدسة وضعتها على الطاولة أمام أمين الصندوق، وكان شابا في الثامنة عشرة أو التاسعة عشرة من عمره. وسألته عن ثمنها، فأجابني مقطبا جبينه: "لا أدري، ربما دولار للملّف الواحد." فقلت متعجبا: "دولار للملف الواحد؟ هذا غير معقول."

فهزّ الموظف كتفيه غير مبالٍ، لكن موظفة آسيوية أكبر سنا قالت إنّ ثمن الملف الواحد ١٢ سنتا*. فعدت الى الصندوق، لكن الشاب كان اختفى وجلست مكانه فتاة. فعددت الملفات ثم قلت: "ثلاثة وعشرون، سعر الواحد منها ١٢ سنتاً، أي دولاران و٧٦ سنتاً."

فسألتني الفتاة مذهولة: "هل حسبتها في ذهنك؟ كيف يمكنك أن تفعل ذلك؟"

فقلت لها: "انه سحر."

فسألتني: "أحقا؟"

ليس من راشد متواضع الثقافة إلا وتقلقه تجربة من هذا النوع. قد يكون أبناؤنا أفضل طباعاً من أي وقت مضى، إلا أن جهلهم مخيف، وما يرعبني أكثر هو جهلهم أنهم جاهلون. فمن بين ٦٠ طالباً وطالبة في السنتين النهائيتين في الجامعة حيث درّست، لم أجد واحداً قادراً على كتابة موضوع خالٍ من أخطاء اللغة والاملاء.

وما ذلك الاّ نزر من المشكلة. فالمقدرة على حلّ أبسط المسائل الحسابية شفويا هي، بالنسبة الى كثيرين من الطلاب الذين أدرّسهم، ذكرى من الماضي. كما أن معرفتهم بتاريخ العالم وجغرافيته شبه معدومة.

والى ذلك، فالشعور بالرضى الذاتي الذي يغلّف ذلك الجهل يبعث في البدن قشعريرة. ولقد اختصر ابن أحد أصدقائي هذا الموقف، وهو فتى في السادسة عشرة من عمره ذكي لكنه كسول، حين فضّل عدم الانتساب الى جامعة كاليفورنيا في لوس انجلس، ذات المستوى الأكاديمي العالي مبرّرا ذلك

(*) الدولار يساوي ١٠٠ سنت.

بالقول: "لا أحب أن أكون في وضع تنافسي مع طـلّاب آسيويين. إنهم مجتهدون ويعرفون كل شيء."

في الواقع، سوف يضطر هذا الشاب الى منافسة الآسيويين، شاء ذلك أم أبى، ولن يستطيع العيش الى الأبد معتمداً على رأس المال المادي والانساني الذي جمعه أجداده، ولا بدّ لخموله الذهني من أن يترك آثاره السلبية في نمط حياته هو وفي أمن الجميع وسلامتهم ورفاهيتهم. ان دولة صناعية حديثة لا يمكن أن تقوم على عمال كسالى وجهلة، وإلا تحطّمت الطائرات على ظهور الحاملات وتعطلت أجهزة الكمبيوتر وتوقفت السيارات.

ولكي يستوعب الشباب هذه الرسالة، لديّ اقتراح متواضع: تصوير فيلم سينمائي أو مسلسل تلفزيوني يظهر ما عاناه بلدهم من مشقّات لكي يصل الى ما هو عليه من تقدم، وكم من السهل أن يخسر كل ما بناه. وهنا قصّة خرافية قد تصلح مادة لاقتراحي:

تبدأ القصة في العام ١٩٩٠. كيفن هانلي فتى أمريكي في السابعة عشرة من عمره قابع في غرفته مقطّب الجبين. فهو يريد أن يذهب الى السوق لشراء "سماعة رأس لآلة تسجيل يملكها، ويصرّ والداه على بقائه في البيت لكي يحضّر لامتحان في مادة تاريخ أوروبا. انه يقرأ مجبراً كتاب "ثروة الامم" لآدم سميث، فيدب فيه النعاس ويغفو.

ويحلم كيفن بأنه جدّ جدّ جدّ أبيه في العام ١٨٣٥، فلاح في السابعة عشرة من عمره يعيش في مقاطعة كيري بايرلندا ويسكن في كوخ من اللبن ويرقد الى جانبه خروف. انه دائم الجوع ويشقى لكي يجد ما يسدّ به رمقه. وأمنيته الغالية هي تعلُّم القراءة والكتابة لكي يحظى بوظيفة كاتب في محل تجاري تؤمن له أجراً منتظماً يعيل به نفسه وعائلته. لكن فقره المدقع يحرمه ترف الذهاب الى المدرسة. ومن دون علم ومال لا حول له ولا طول. ويعلّق أمله الوحيد على أولاده، فإن هم تعلموا، نعموا بحياة أفضل.

تتسارع أحداث القصة. وإذا كيفن هانلي ١٩٩٠ وقد أصبح جد أبيه، أي كيفن هانلي ١٩٢٨، وهو فتى في السابعة عشرة من عمره يعمل في معمل للفولاذ في مدينة بتسبرغ بولاية بنسلفانيا، بعدما هاجر والده من ايرلندا وساعد في بناء نفق القطار الكهربائي (المترو) في مدينة نيويورك. حال كيفن هانلي ١٩٢٨ المادية أفضل كثيراً من حال أبيه وجدّه من قبله. انه يقرأ ويكتب، وهذا يعني أن في وسعه اتباع التعليمات المدونة لتشغيل مصهر الفولاذ. انه يتقاضى أجراً أعلى كثيراً من الاجور التي تقاضاها أسلافه في ايرلندا. ومع ذلك فإن كيفن هانلي ١٩٢٨ يؤمن بأن الامل الحقيقي هو في الاجيال القادمة ويعرف أن العلم هو مفتاح النجاح. وإن تكن الظروف أجبرته على العمل قبل أن يتخرّج في المدرسة الثانوية، فابنه سيكمل دراسته لكي لا يضطر الى العمل في مصنع.

يستمر الحلم. كيفن هانلي ١٩٩٠ هو الآن كيفن هانلي الجدّ في العام ١٩٤٥. انه في ايوجيما يحارب عدواً عنيداً هو

الجيش الياباني. وشعوره بالقيظ والجوع والخوف لا ينقطع. وبينما كان يحتمي في خندق ذات ليلة، أخبر أحد رفقائه عن سبب وجوده هناك: "أنا هنا الآن لكي يعيش ابني، وابنه من بعده، في سلام وأمان. وسوف أعمل جاهداً عندما أعود لكي يذهب ولدي الى الجامعة، فيمكنه بعدئذ أن يعيش من جهد عقله لا ساعديه."

ينتقل حلم كيفن هانلي ١٩٩٠ الى العام ١٩٦٦. وها هو الآن كيفن هانلي الأب الذي يدرس مجتهداً لكي يتسنى له دخول كلية الحقوق في الجامعة. وهو يعيش في بيت عصري ضمن مجمّع سكني حديث. لم يعرف في حياته سوى السلام والبحبوحة، ويقول لصديقته إنه عندما يرزق أولاداً لن يجبرهم على الدرس طوال الوقت كما يفعل به ابوه.

وهنا يستيقظ كيفن هانلي ١٩٩٠ من نومه وقد أقضّ الحلم مضجعه. ويغمره شعور بالارتياح لانه بعيد عن ايرلندا وايوجيما ومصنع الفولاذ، فيغفو مجدداً.

ويعاوده الحلم. فيرى نفسه كيفن هانلي الابن في العام ٢٠٢٠. انه يعيش في معتقل فعليّ وسط ضجيج الطلقات النارية ليل نهار. لقد نسي أبناء جيله جميعهم الهدف من القانون حتى لم يبق له وجود. ولا يعير الناس السياسة اهتماما، ولا تقدّم الدولة خدمات الى الطبقة العاملة.

ويعمل كيفن هانلي ١٩٩٠، والد كيفن هانلي ٢٠٢٠، بواباً في مصنع يملكه يابانيون، فيما يعمل كيفن هانلي ٢٠٢٠ حمالا في فندق نزلاؤه من الأوروبيين والآسيويين الاثرياء. ويتوقف التعليم الرسمي في الصف الابتدائي السادس، فالضرائب غير متوافرة لانشاء مدارس جيدة، كما أن الشعب الامريكي، توقف منذ أمد بعيد عن المطالبة بتعليم جيّد لأبنائه.

وتحتل نخبة من الأمريكيين الذين تعلموا على حسابهم الخاص وظائف برواتب مرتفعة لدى الأوروبيين والآسيويين الذين باتوا يسيطرون على الحياة في أمريكا. أما الباقون فإما متبطّلون يؤدون أعمالا بسيطة لمستثمرين أجانب يعتبرون أن الكسل والغباوة متأصلان في الشعب الأمريكي الذي لا يصلح إلا للأعمال اليدوية، وإما مجرمون يزودون العمّال الفاقدي الحس أنواع المخدرات.

الشخص الأخير الذي يراه كيفن ١٩٩٠ في منامه هو حفيده سنة ٢٠٥٠. انه يعيش في حيّ قذر فقير مكتظّ بالسكان شبيه ببعض احياء ريو دي جانيرو عام ١٩٩٠. لا تدفئة ولا امدادات صحية ولا مجال للسكن المنفرد.

لا يملك كيفن ٢٠٥٠ مهارات مفيدة، فالآلات المصنوعة في اليابان وتايوان تقوم بجميع الاعمال المعقّدة، والحاجة الى الاعمال اليدوية الوضيعة قليلة. ومن دون علم وتدريب لا يستطيع كيفن أن يؤمن لنفسه أجراً أدنى يسد به رمقه. وهو يعيش من التنقيب في أكوام النفايات.

باختصار، تشبه حياته الى حد بعيد الحياة التي عاشها كيفن هانلي ١٨٣٥ في ايرلندا.

لكن الحظ يبتسم لكيفن هانلي ٢٠٥٠، فيصادق عالم آثار يابانيا يزور امريكا لدراسة أسباب انهيارها. ويشرح له العالم أنه عندما يفتقر الانسان الى المال يزوّده العلم رأس مال إنسانيا ضروريا لبدء تحصيل رأس مال مادي. فبالعمل الدؤوب والعلم والادخار والانضباط يمكن تحقيق أي شيء. ويضيف الياباني: "هكذا نهضنا نحن من الحضيض بعد انهزامنا أمامكم في الحرب قبل مئة سنة."

ويسأله كيفن ٢٠٥٠ باندهال: "أمريكا هزمت اليابان في الحرب؟"

ويقطع كيفن ٢٠٥٠ على نفسه عهداً بأنه، اذا رزق أولاداً، فسوف يحرص على تعليمهم وتأديبهم ويتأكد من أنهم يجتهدون في العمل. ويقول: "إنها لمعجزة أن يعيش الانسان من عقله بدل أن يسرق ليعيش."

يستيقظ كيفن هانلي ١٩٩٠ من نومه ليجد كتاب "ثروة الامم" الى جانبه على السرير. فيقلِّب صفحاته ويقرأ فيه: "الانسان الذي لا يحسن استخدام الطاقات الذهنية التي يتميز بها البشر، هو أقلّ جدارة بالاحترام من جبان. ويبدو أن الجزء الأهم من مميزاتِ الطبيعة الانسانية قد شوِّه لديه ومُثِّل به."

ويدخل والد كيفن الغرفة ويقول: "حسناً يا بُني، فلنذهب لشراء تلك السماعة."

فيجيبه كيفن ١٩٩٠: "آسف يا أبي، علي أن أدرس."

بنجامين ستين ■

ذاكرة لا تخون

فتح ابني في عيد مولده الثالث هدية من جدته، واذا هي مسدس ماء. فصاح مبتهجاً وتوجه الى اقرب مغسلة في المنزل لتعبئته. ولم يرقني الأمر، فالتفتُّ الى امي وقلت لها: "يحيرني أمرك. ألا تذكرين كيف كنا نثير جنونك بمسدسات المياه؟"

فتبسمت وأجابت: "أذكر ذلك جيداً."

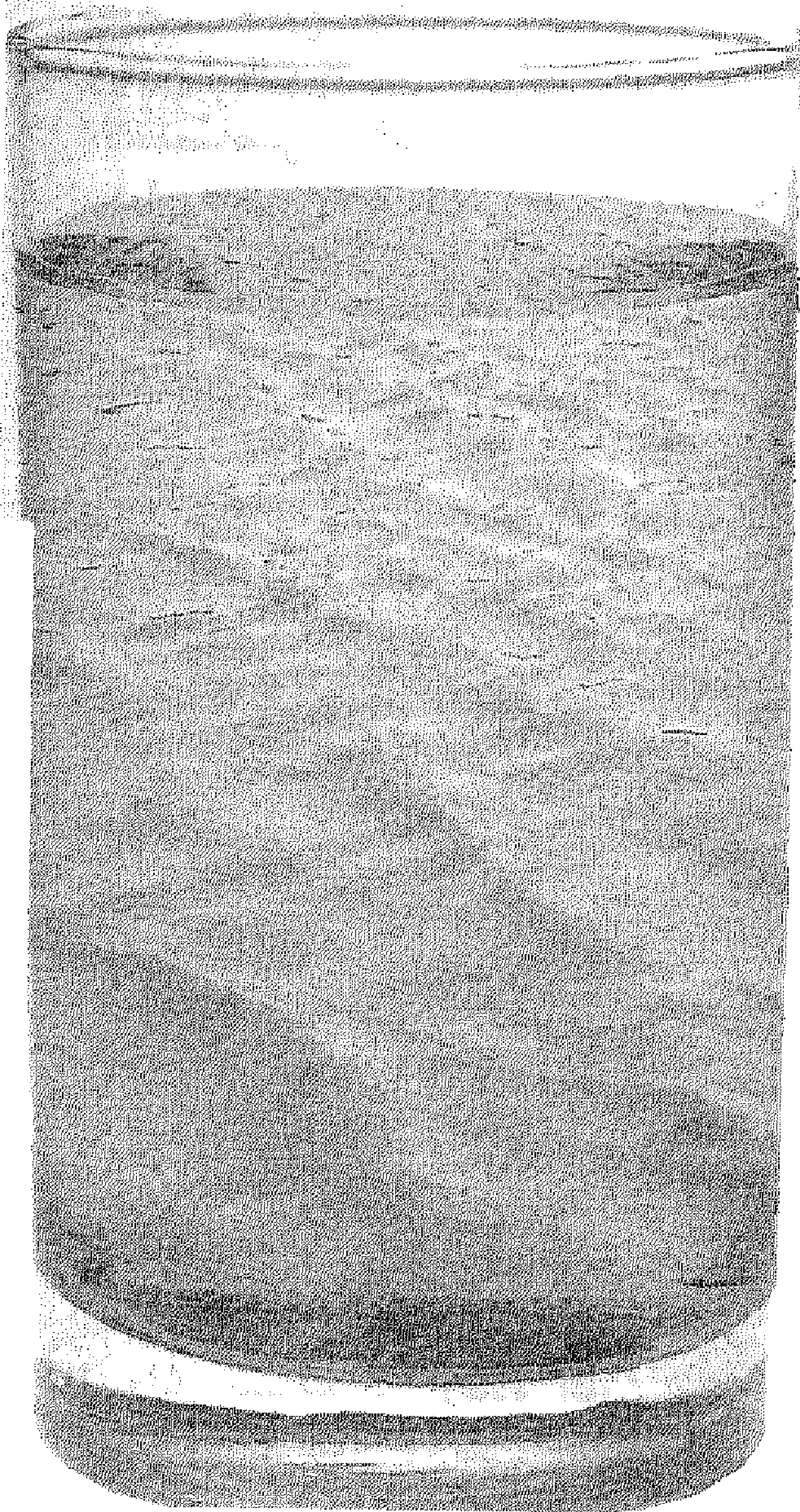
ج.ف.

الحب قبل الخبز

كانت السيدة الواقفة أمامي في طابور طويل لشراء الخبز تقرأ رواية غرامية. وتقدم الطابور ببطء الى أن حان دورها، فتنحت جانباً وقالت لي: "تقدَّم أمامي، فلا يمكنني أن أتوقف الآن وقد حملها داخل قصره!"

ب.ف.

هل تشربون ماءً كافيًا؟



الماء، بعد الهواء، هو أهم العناصر الضرورية للبقاء. ويشكل الماء نسبة تراوح بين ٦٠ و٧٠ في المئة من جسم شخص طبيعي راشد. ويمكننا الاستغناء عن الطعام لمدة شهرين تقريبا، ولكن لا يسعنا الاستغناء عن الماء إلا لبضعة أيام. ومع ذلك يجهل معظم الناس كمية الماء التي ينبغي شربها، ويعيش كثيرون منهم حال اجتفاف.

من دون ماء، قد تقضي علينا فضلات أجسامنا تسمُّما. فعندما تتخلص الكليتان من البولة[١] والحمض البولي، ينبغي أن تذوب هاتان المادتان في الماء. وإن لم يتوافر ماء كاف فلن يتمّ التخلص من الفضلات بالفاعلية ذاتها، وقد تتحوّل حصى في الكلى. والماء ضروري أيضاً للتفاعلات الكيميائية في عمليتي الهضم والأيض[٢]، وهو يحمل الغذاء والأوكسيجين الى الخلايا بواسطة الدم، ويساعد في تبريد الجسم من طريق

(١) البولة (urea) مادة متبلِّرة في البول.
(٢) الايض (metabolism) هو مجموع التغيرات الكيميائية التي تؤمن الطاقة الضرورية للنشاطات الحيوية.

العرق. كما أنه "يزيِّت" المفاصل لتخفيف احتكاكها.

ونحتاج الى الماء أيضا للتنفس، إذ يجب أن تكون الرئتان رطبتين لكي تمتصا الأوكسيجين وتطردا غاز ثاني أوكسيد الكربون. ومن الممكن خسارة نصف ليتر من السوائل يوميا بعملية الزفير فقط.

إذاً، ان عدم شرب ما يكفي من الماء يعرِّض جميع وظائف الجسم للخلل. ويقول الدكتور هوارد فلاكس، الاختصاصي بالسمنة المفرطة في بيفرلي هيلز بولاية كاليفورنيا: "بالامتناع عن شرب الماء الكافي، يعرض كثيرون أجسامهم لزيادة في الشحم، ولوهن في العضلات ونقص في أحجامها، ولكسل في عملية الهضم ووظائف الأعضاء، ولزيادة السموم في الجسم وألم المفاصل والعضلات، ولاحتباس الماء."

احتباس الماء؟ نعم، لانك حين لا تشرب كفاية يحتبس جسمك الماء ليعوِّض النقص. ومن المتناقضات أن الخلاص من احتباس الماء يكون أحيانا بالاكثار من شربه لا بالاقلال منه.

ويرى الدكتور دونالد روبرتسون الاختصاصي بالسمنة المفرطة أن "شرب الماء على الوجه الصحيح هو مفتاح لانقاص الوزن. وما لم يتناول الساعون الى خفض وزنهم مقداراً كافيا من الماء، فلن تستطيع أجسامهم تأييض الشحم على نحو ملائم. كما أن احتباس السوائل يساهم في زيادة الوزن."

ويقول الدكتور فلاكس: "ان الحدّ الادنى من الماء الذي يحتاج اليه شخص سليم الجسم يوميا يراوح بين ثمانية أكواب وعشرة، سعة كل منها ٢٤٠ مليغراما. أما الذين يزاولون الرياضة البدنية أو يقطنون في بلدان حارة فيحتاجون الى كميات كبيرة من الماء. وهذا ينطبق أيضا على ذوي الأوزان فوق المتوسط، فعلى هؤلاء أن يتناولوا كوبا اضافيا من الماء يوميا في مقابل كل ١٠ كيلوغرامات تزيد على الوزن المثالي."

ولدينا في "المعهد الدولي للطب الرياضي" وصفة طبية تحدد كمية الماء المطلوبة يوميا، وهي ١٥ مليغراما من الماء لكل نصف كيلوغرام من الوزن للشخص الذي لا يبذل جهداً جسديا (أي ما يعادل عشرة أكواب سعة الواحد منها ٢٤٠ مليغراما لشخص يزن ٨٠ كيلوغراما) و٢٠ مليغراما لكل نصف كيلوغرام من الوزن للاشخاص الرياضيين (أي ما يعادل ١٣ أو ١٤ كوبا لشخص من الوزن نفسه). وينبغي شرب الكمية المطلوبة موزعة على ساعات النهار والمساء.

وقد تتساءل: ألن تضطرني كثرة الشرب الى دخول الحمام باستمرار؟

بلى، ولكن بعد أسابيع قليلة تتكيف المثانة بحيث تبوِّل مرات أقل ولكن بكميات أكبر.

فتناوَلْ هذه الاكواب الثمانية، أو العشرة، خلال يومك تؤمِّنْ طريقك الى جسم أوفر صحة ولياقة.

ليروي ر. بيري الابن ■

الكاتب رئيس "المعهد الدولي للطب الرياضي" في لوس انجلس بكاليفورنيا.

عرفت تلك السيدة اللاذعة اللسان
كيف تحوّل ضياع لاجىء صغير طموحاً بلا حدود

معلمة رسمت حياتي

نزلتُ من السفينة ذلك اليوم الرمادي من شهر مارس (آذار) ١٩٤٩ على رصيف مرفأ نيويورك، صبياً يونانيا هزيلا في السن التاسعة، ماتت أمه فجاء ليعيش مع أب لا يعرفه. دنوت حذراً من ذلك الغريب البدين الاصلع الذي عانقني وشقيقاتي على الرصيف. وهو بدا، في حذائه الاسود اللماع ومعطفه الرمادي وقبعته العريضة، صورة ناطقة للبحبوحة والوفر والشبع في أمريكا.

اصطحبنا في السيارة الى بيتنا الجديد في ورستر بولاية مساتشوستس. وفي الطريق دلّنا على المدرسة التي سنذهب اليها، فجفّ حلقي، كانت بناء كالحا ضخما من القرميد يحيط به سياج من أسلاك. وكانت أكبر من بيت العمدة في قريتنا والمدرسة والمقهى مجتمعة.

راجعت في ذهني دروس الانكليزية التي تلقيتها على لاجىء آخر رافقني في السفينة. وتلوتها على أبي بفخر واعتزاز: "واحد، اثنان، ثلاثة، أربعة، خمسة، ستة، سبعة، ثمانية، تسعة، عشرة."

"جيد جداً!" قال أبي بالانكليزية أولا ثم باليونانية وتابع: "أسمِعْها لمدير المدرسة، وسوف تترك لديه انطباعاً عظيماً."

غير أن ذلك لم يجدِ، إذ وضعني مدير المدرسة صاحب الملامح الكئيبة، أنا وشقيقتي ابنة الحادية عشرة، في صف للمتخلفين عقلياً. فلم تكن في المدرسة تسهيلات للتلاميذ الذين لا يتكلمون الانكليزية.

ولكن بعد أربع سنوات من ذلك التاريخ التقيت انسانة رسمت مسار حياتي. وكنت أتقنت الانكليزية حتى وقع علي الاختيار للاشتراك في مباراة لغوية.

بعيد انتقالي الى مدرسة تشاندلر المتوسطة، طلب كل منا أن يختار هواية لمتابعتها في "حصّة النوادي" أيام الجمعة. قررت أن أتبع أجمل فتاة في صفي. وقادتني خطاها عبر باب كتب عليه "نادي الصحافة." هناك التقيت مارجوري هيرد مدرسة اللغة الانكليزية، وكانت سيدة لاذعة اللسان ليس لديها للتفاهات متسع.

بدا واضحا أن الآنسة هيرد تضيق ذرعا بالكسالى. وهي خاطبتنا بلهجة أهل بوسطن الباردة: "إننا ننوي إصدار

صحيفة هنا، واذا كان بينكم من يكره العمل فإني انصحه بمغادرة هذه القاعة فوراً والانضمام الى نادي الغناء في القاعة المقابلة. فالعمل هنا مضن وشاق."

سحرتني تلك المدرّسة المخيفة ذات النظرات الفولاذية فرجوت مدير المدرسة ان ينقلني الى صفّ اللغة الانكليزية الذي تدرّسه. وهناك، بأسلوبها الجلف والمرح في آن، علّمتنا قواعد اللغة وأوقعتني في هوى الأدب.

أسرتني طريقة قراءتها للقصة التي كانت تتفتح بين يديها كمروحة متكشفة عن أوجه متنوّعة المعاني والالوان. كنت أظن الروايات مجرّد قصص مغامرات، لكنها أرتني كيف تعبّر عن انواع المشاعر، من الألم والإحباط الى الغضب والضياع.

علمتني أن بلاد اليونان هي مهد الحضارة الغربية ومحكّها. وكانت كلما أتت على ذكر أرسطوطاليس أو افلاطون تغمزني بعينيها وتقول لي: "شرف آخر لبني قومك يا نيك!" فيكبر اعتزازي وأزداد فخراً بأصلي.

وذات يوم طلبت منا أن يكتب كل واحد مقالا مستمداً من تجاربه الشخصية. وحدجتني بنظرة ثاقبة ثم قالت: "أريد منك يا نيك ان تكتب عما حدث لعائلتك في اليونان."

كان ذلك آخر ما وددت خوضه، لذلك أرجأت كتابة الفرض حتى اليوم الأخير. وبعد ظهر نهاية الاسبوع تلك، حملت قلمي واضبارة من الورق الاصفر وجلست في غرفتي. سرّحت ناظري عبر النافذة وصرفتني عن مهمتي جوقة من العصافير المزقزقة وأريج العشب المجزوز حديثاً. أخيراً كتبت، وكانت الجملة الأولى: "الربيع، بالنسبة الى أناس كثيرين، يعني نهاية الشتاء ومجيء طائر الحن وبداية أحلام الحب. أما بالنسبة إلي فانه يحمل معاني مختلفة تماماً. إنه الفصل الذي ودعت فيه أمي الى الأبد."

توالت الكلمات وتدفقت. كتبت كيف احتل الثوار قريتنا واستولوا على بيتنا وعلى طعامنا وكيف خططت أمي ايليني غاتزويانيس لهربنا عندما علمت أن جميع الأولاد سيرسلون الى معسكرات، وكيف تخلّفت هي عن الذهاب معنا لأن الثوار ارسلوها لـ"درس"* الحنطة في قرية نائية.

كتبتُ عن كابوس هربنا في الجبال ليلا ووصولنا الى خطوط الجنود الذين أرسلونا الى معسكر للاجئين حيث علمنا بإعدام أمنا بعد تعذيبها. كتبت أن صرخات شقيقاتي ما زالت ترن في أذني، عندما علمن أن الثوار أطلقوا النار على أمي بعدما اتهموها بالخيانة لأنها هرّبت أولادها.

لم أكتب ما فعلته أمي وما قالته لي ذلك اليوم الأخير، ولا كيف أجلستني على حضنها وأوصتني أن أتحلى بالشجاعة وألا أعود الى اليونان أبداً. لم أكتب كيف نزعت عن عنقها سلسلة وأحاطت بها عنقي، ولا كيف اقتيدت عبر ذلك الوادي

(*) كلمة "درس" تعني هنا فرط سنابل القمح بواسطة النورج.

الشديد الانحدار ثم أصعدت الجبل في الجهة المقابلة. لم أكتب كيف تعلّقت بها عيناي حتى غدت شكلا بنيا صغيراً توقف برهة ثم رفع يداً في وداع أخير وتوارى خلف منعطف في الطريق.

كانت هذه ذكريات أغلى من أن يشاطرني فيها أحد.

لكنني كتبت، بدل كل ذلك، أن مجيء الربيع يذكرني دائماً بذلك اليوم الأخضر الذهبي الذي شاهدت فيه أمي للمرة الاخيرة.

سلّمت الفرض وفي اعتقادي أن الامر انتهى عند ذلك الحد. غير أن الآنسة هيرد نشرته في صحيفة المدرسة. كدت أذوب خجلا، ولم يفارقني ذلك الشعور إلا عندما لمست ردود فعل رفقائي في الصف، وكانت مزيجا من التعاطف واللياقة.

والى ذلك، ومن دون إعلامي، أشركت الآنسة هيرد مقالي في مباراة أدبية ففاز بجائزة. ونشرت الصحيفة المحلية خبر الجائزة كما نشرت المقال.

وللمرة الاولى أدركت فعل الكلمة المكتوبة. ونذرت أن أعود الى اليونان وأستكشف دقائق وفاة أمي وأكتب عن حياتها كي يعرف أحفادها مدى شجاعتها.

وتابعت مسيرتي في درب الادب الذي رسمته لي الآنسة هيرد. وفي المرحلة الثانوية توليت رئاسة تحرير صحيفة المدرسة، كما حصلت على عمل بدوام جزئي في صحيفة "ورستر تلغراف أند غازيت." وفي وقت لاحق تدبرت أمري وتمكنت من دفع رسوم دراستي العالية طوال أربع سنوات في جامعة بوسطن، مستعينا تارة بمنح جامعية وطوراً بايرادي من أعمال متفرقة في حقل الصحافة. وحاز مقال كتبته عن صديق قضى في الفيلبين في مهمة إنسانية، جائزة صحافية تسلمتها من الرئيس جون ف. كينيدي في البيت الابيض. وعندما نشرت صحيفة "ورستر" صورتي واقفا الى جانب الرئيس، قصّها والدي وصفّحها بالبلاستيك واحتفظ بها في جيب سترته حيث عثرت عليها يوم وفاته بعد عشرين سنة.

كانت أمي رشت أحد أقاربها كي يعلّمها القراءة مع أن ذلك مخالف لتقاليد قريتنا اليونانية النائية. وكان حلمها أن يتعلم أولادها. لكنها لم تحضر حفلة تخرجي في جامعة بوسطن. والانسانة التي رافقت أبي الى الحفلة وشاطرتنا فرحتنا كانت مارجوري هيرد. وهي التي رقصت مع أقاربي اليونانيين يوم زفافي وأيام ولادة أطفالي.

مارست مارجوري التعليم طوال ٤١ سنة. وكثيراً ما كان تلاميذها من عائلات تعاني مشاكل شتى. فكانت تقسو وتتنمّر عليهم تارة وتتملقهم وتتودد اليهم طوراً، ولا تكفّ عنهم قبل أن تتحوّل الشرارة الكامنة في كل واحد فيهم ناراً متقدة. وحين تقاعدت عن العمل في العام ١٩٨١ كانت في الثانية والستين من عمرها.

وكانت الانسة هيرد أول من اتصل بي يوم ١٠ ديسمبر (كانون الاول) ١٩٨٧ عندما خاطب الرئيس السابق رونالد ريغن


EDDIE ADAMS · SYGMA

الشعب الامريكي عبر التلفزيون بعد لقاء القمة الذي ضمّه والرئيس السوفييتي غورباتشيوف، وقال ان صرخة أمي المحتضرة "أولادي!" ألهمته أن يسعى الى عقد اتفاق للحدّ من التسلح "من أجل جميع الاطفال في العالم."

ما زالت مارجوري هيرد ضيفاً مؤنساً مكرماً في كل المناسبات التي تحتفل بها عائلتنا. وفي الذكرى الخمسين لمولدي شعرتُ وشقيقاتي بفراغ مؤلم لغياب والدي عن حلبة الرقص حيث اعتاد أن يقود الراقصين في صف أقعواني وعلى رأسه يترجح كوب شراب. لكننا وجدنا عزاء في الآنسة هيرد التي حضرت الاحتفال وجلست تراقب المشهد برضا صامت.

ربما سأنعم بالبحبوحة في كل حال، وإن لم تقُدني خطواتي الى صف الآنسة هيرد. لكنها هي التي حوّلت حزني وتوجعي كتابة، وهي الحافز الذي دفعني الى الصحافة، وهي باب جميع النعم التي توالت عليّ.

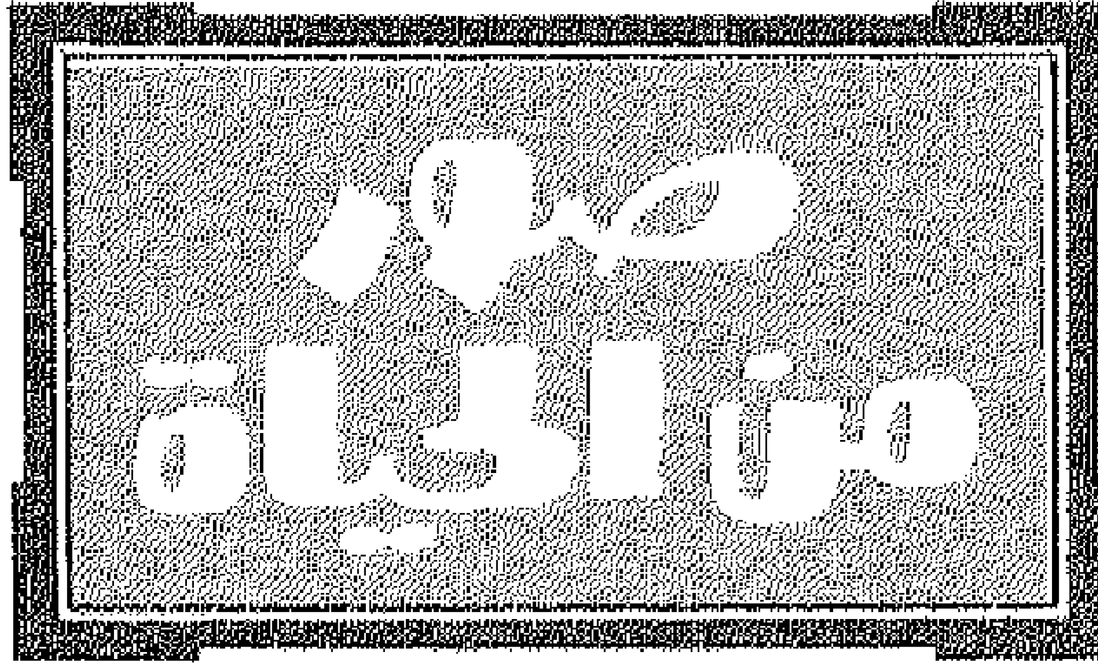
وربما أنكرت الآنسة هيرد هذا كله.

قبل سنوات اتصلت بي هاتفياً، وسألتني، باصرارها المعتاد الذي لا يقبل "لا" جواباً، أن ألقي كلمة التأبين يوم وفاتها. إنه فرض لا أريده. ورجائي، يا هيرد، أن تقبلي بدلا منه هذه التحية.

نيكولاس غايج ■

للكاتب رواية "إيليني"، وهي من الكتب الاكثر مبيعاً في العالم وتروي سيرة حياة امه ومماتها.

الذي يقرأ لا يعيش وحيداً ابداً. هـ.س.



أمثولة العصفورة

■ بعد أيام قليلة من تخرجي في الجامعة كان أبي يشذب الأزهار في الحديقة. فوجد عصفوراً صغيراً تحت شجرة وافترض انه وقع من عشه. فذهب لاحضار سلم كي يعيد الطائر الصغير الى عشه. وعندما عاد وجد عصفوراً صغيراً آخر على الأرض. فجأة سمع سقسقة مرتفعة. وإذ رفع نظره رأى العصفورة الأم تطرد عصفوراً صغيراً ثالثاً من العش.
فدخل أبي المنزل وألقى علي نظرة وانا اشاهد التلفزيون ثم صاح بي: "أخرج وابحث عن عمل!"

م.و.

موظف مطلوب

■ كنت أبحث عن عمل بعد تسريحي من سلاح البحرية. فقرأت اعلاناً في صحيفة عن وظيفة لعامل تشغيل رافعة في مصنع لتعبئة زجاجات المرطبات. وقدّمت طلباً للحصول على الوظيفة. وعندما دعيت الى مقابلة المسؤول، أخذني كبير عمّل المستودع في جولة في المصنع مشدداً على أهمية عدم كسر الزجاجات. فذكرت له كيف أنّ تشغيل الرافعة في سلاح البحرية لم يكن يُسمح لنا فيه بارتكاب أقلّ خطأ.
فسألني: "وما الذي كنتم ترفعونه؟"
فأجبته: "قنابل."
فوظّفت على الفور.

د.ن.

حيله روجه

■ تبرّعت بمساعدة ابنتي في التحضير لمأدبة عشاء. وكانت مهمتي تنحصر في تنظيف البرّاد والثلاجة من أجل تأمين مكان للطعام المحضر للحفلة. فأعدت ترتيب كل المأكولات المجلدة ما عدا طبقاً واحداً عاق عملي. وعندما كشفت غطاءه رأيت فيه ما يشبه النقانق والمعكرونة تغمرهما صلصة بيضاء مجلدة. وكان شكلها يدعو الى التخلّص منها على الفور، فوضعتها جانباً لكي يذوب عنها الثلج. وعندما رأت ابنتي الطبق سألتني عن سبب تركه خارج الثلاجة، فشرحت لها الأمر. فقالت: "بالله عليك يا أمي، لا ترمي هذا الطبق. فكل مرة يعود زوجي الى البيت ويراني أذيبه، يخطر له فجأة أن يدعوني الى تناول العشاء في المطعم."

غ.و

عن ديمومة الحب أعظم الممثلين في عصرنا علمنا درسا

لورنس أوليفييه: الحبّ لا يموت!

(من اليمين) "مرتفعات وذرنغ"، "ريتشارد الثالث"، "ريبيكا"، "الملك لير." (تحت، من اليمين) "العميل السري"، "ريبيكا"، "الفنان"، "هنري الخامس."



عندما مثل لورنس أوليفييه دور المغني والراقص الرث الثياب آرشي رايس في مسرحية "الفنان"[1] التي عرضت في برودواي[2] عام ١٩٥٨، ذهب طلاب صف الفن المسرحي في احدى كليات ايلينوي لمقابلته. وابتهج الطلاب عندما دعاهم أوليفييه الى الدخول وراء "الكواليس." وكانت بينهم طالبة من بغداد اسمها هند رسام تستعد لتمثيل دور أنتيغون ابنة الملك أوديب في مسرحية يحضر لها في الكلية، وهو دور أدته فيفيان ليه في اشراف أوليفييه. وسألته هند ما اذا كانت لديه توجيهات يقدمها اليها، فأجابها أعظم ممثلي القرن العشرين: "أحبي شخصيتك في المسرحية. هذه أفضل نصيحة حصلت عليها."

(١) The Entertainer
(٢) برودواي شارع المسارح في نيويورك.



ومثلت هند دور أنتيغون على نحو رائع، حتى ان مراسلاً صحافيا شابا كتب نقداً يطري أداءها. وأكد إعجابه هذا بالزواج بها. وكنت أنا ذلك الصحافي.

ومرّت ثلاث عشرة سنة قبل أن يتاح لنا، أنا وهند، مشاهدة أوليفييه معاً على خشبة المسرح. ولكن عندما شاهدناه تعلمنا درسا لا ينسى عن ديمومة الحب.

خلال حياة مهنية دامت ستة عقود أدى لورنس أوليفييه عشرات الأدوار لشخصيات متباينة، من أوديب لسوفوكليس الى الملك لير لشكسبير الى جايمس تايرون في مسرحية يوجين أونيل "رحلة اليوم الطويل الى الليل"[٣] وهو جعل الناس في كل مكان يحبّون هذه الشخصيات ويحبونه. وقد طغت على أدواره الرومنطيقية ميزة حزينة تنفذ الى نفوس المشاهدين، ولاسيما النساء، فيتجاوبون وهذه الشخصيات. وفي مسرح الحياة أحب لورنس أوليفييه وتزوج ثلاث مرات. ويبدو أن جذور اضطرابه في الحب متأصلة في خسارة مني بها في صباه.

قال الكاتب والناقد المسرحي الراحل كنيث تينان إن صديقه أوليفييه "أبقى طوال حياته أنبوبا مفتوحا على ألم طفولي." وكان تينان يعتقد أن الأنبوب يؤدي الى بئر من الوحشة الناتجة من موت أم أوليفييه. ولعل تلك الوحشة كانت سبب نجاح الرجل ومصدر عظمته.

وتروي سيبيل أخت لاري (لورنس) الكبرى أن والدتها أغنس كروكندن أوليفييه "كانت ترى دائما الناحية المضحكة للأمور." وأضافت سيبيل بعد مرور سنوات: "كانت أمي متعلقة جداً بلاري اذ كان يضحكها ويسليها دائماً. لقد كان مهرجا حقيقيا، لكن ناحية من شخصيته لم تخل من الكآبة." وتلك الناحية نابعة ربما من محاولته العقيمة ارضاء والده. فعندما ولد لورنس كير أوليفييه في ٢٢ مايو (أيار) ١٩٠٧ كان والده كاهن رعية متواضعة في مقاطعة ساري. وفي سعيه اليائس الى الحصول على استحسان والده كان يقلد الاسلوب الدرامي الذي يعتمده في مواعظه، فيخفض صوته تارة ثم يرفعه متحولا من عاطفي الى كئيب. وقد لاحظت والدته مقدرته على التمثيل فشجعته على سرد الادوار المسرحية التي يؤديها ممثل واحد. وكانت تصحح له أخطاءه وتثني عليه عندما يحسن الالقاء.

"سوف أريهم." من سوء حظ أوليفييه، كفتى بريطاني في تلك الحقبة، أنه كان فاشلا في الرياضة. وكان الفتية الآخرون يسخرون منه فيخرج من الملعب. وحتى في المنزل شعر بالاذلال. وقد أزعجه خصوصا اجباره على الاستحمام بالماء الذي استعمله أبوه وأخوه ديكي قبله، توفيراً للمال. وكما قال أوليفييه بعد مرور سنوات على ذلك: "ان من ينشأ في بيئة فقيرة تتكلّف أناقة العيش، يشعر بدافع الى الصراخ: سوف أريهم. علي أن أريهم."

وبدأ لاري "يريهم" وهو في العاشرة

(٣) Long Day's Journey Into Night

PHOTOS: «REBECCA» AND «HENRY V» CULVER PICTURES; «KING LEAR,» «REBECCA,» «SLEUTH,» «RICHARD III,» «WITHERING HEIGHTS» AND «THE ENTERTAINER» MOVIE STILL ARCHIVES

من عمره عندما مثل دور بروتس في عرض مدرسي لمسرحية "يوليوس قيصر." وكانت بين الحضور ايلين تيري أشهر ممثلات بريطانيا آنذاك. وهي كتبت في دفتر يومياتها: "ان الصبي الصغير الذي أدى دور بروتس هو ممثل عظيم منذ الآن."

عندما بلغ لاري الثانية عشرة عاد من المدرسة الداخلية ذات يوم ليجد أمه مشلولة في السرير. وكانت أغنس أوليفييه تتمتع، مثل ابنها، بالشجاعة وروح الفكاهة. فلم تتذمر، ولم يخبر أحد الفتى أن أمه في خطر. وقبل عودته الى المدرسة قبّلها مودعاً اذ كان لا يزال يجهل أنها مصابة بورم في الدماغ. وبعد أسبوعين توفيت عن ٤٨ عاماً.

عاطفة صادقة. كان ديكي حامي لاري مدة. لكنه أبحر يوما الى الهند ليشغل وظيفة في الدوائر الحكومية البريطانية هناك. وسأل لاري أباه متى يمكنه الالتحاق بأخيه، فأجابه: "لا تكن مغفلا، فأنت ستعلو خشبة المسرح."

في السنين العشر التي تلت أدى أوليفييه ٤٦ دوراً مسرحياً في أنحاء بريطانيا. وفي العام ١٩٢٨ مثل دور ابن اقطاعي يتودد الى ابنة صاحب نزل في مسرحية "عصفور في اليد."[٤] ومثلت جيل إزموند دور ابنة صاحب النزل، وكانت في العشرين من عمرها. وخطبها لاري بعد مرور ثلاثة أسابيع على لقائهما، وتزوجا عام ١٩٣٠.

كان العام ١٩٣٥ نقطة تحول في حياة أوليفييه المهنية. فقد كان جون غيلغود يستعد لاخراج مسرحية روميو وجولييت، ودعا أوليفييه الى مناوبته في تمثيل الدور الرئيسي.

هاجم معظم النقاد أوليفييه في دور روميو، لكن أحدهم لاحظ أن غيلغود يلقي الشعر أفضل، بينما أوليفييه واقع في حب جولييت عشرين مرة أكثر منه. وفعلا، بدأ الجمهور والنقاد يكتشفون أن ما من ممثل يستطيع أن يحب أو يكره من كل قلبه كما يفعل أوليفييه.

وخلال موسم ١٩٣٧ – ١٩٣٨ المسرحي دعا المخرج تايرون غوتري أوليفييه الى ادارة أعمال شركة "أولد فيك" اللندنية. ومثل أوليفييه دور هاملت وستة أدوار شكسبيرية رئيسية أخرى في ثمانية أشهر لا تنسى. ثم أعاد تمثيل دور هاملت في عرض للمسرحية في قلعة كرونبورغ بمدينة إلسينور في الدانمرك. وأدت دور أوفيليا ممثلة بريطانية شابة في الثالثة والعشرين اسمها فيفيان ليه.

في العام ١٩٣٩ كان أوليفييه وليه كلاهما في هوليوود حيث مثل هو دور هيثكليف في فيلم "مرتفعات وذرنغ"[٥] ومثلت هي دور سكارلت أوهارا في فيلم "ذهب مع الريح."[٦] وأصاب الفيلمان نجاحا باهراً في العام ١٩٤٠. وطلّق أوليفييه جيل إزموند، وتركت ليه زوجها، لكي يبدأ "الزوجان أوليفييه" – كما باتا يعرفان – زواجا دام عشرين سنة.

(٤) Bird in Hand
(٥) Wuthering Heights
(٦) Gone with the wind

رجل الاختبار. عاد الزوجان الى بريطانيا للمساهمة في المجهود الحربي. وارتأى المنتج فيليبو ديل جيوديس أن انتاجا سينمائيا لمسرحية شكسبير "هنري الخامس" سيكون ملهماً للقوات الحليفة. وتحمس أوليفييه لدور الملك المحارب الذي انتصر في معركة أجنكورت. لكن أحداً لم يتحمس لاخراج الفيلم، فقرر أوليفييه اخراجه بنفسه.

صورت مشاهد المعركة في مقاطعة ويكلو الايرلندية حيث أجّر المزارعون أوليفييه جيادهم وعملوا معه كممثلين اضافيين في المشاهد الجماعية. وأكّد أوليفييه لهؤلاء الرجال أنه لن يطلب منهم القيام بأي عمل لا يقوم به هو نفسه. فتحدّوه، مستغلين حدّة طبعه، أن يؤدي أمامهم كل حركات المجازفة على صهوة الجواد التي كان يفترض فيهم تأديتها خلال التصوير. ففعل، ولوى كاحله ورضّ ساقيه ونخع ظهره وخلع مرفقيه.

من هذا الفيلم انبثقت صورة يصعب محوها هي صورة أوليفييه في دور هنري الخامس لابساً معطفاً فضفاضاً يحميه من صقيع المساء، حين زار جنده عشية المعركة.

استحوذ هنري الخامس على عاطفة المشاهدين في أنحاء العالم، ومُنح أوليفييه جائزة أوسكار خاصة لانتاجه الفيلم واخراجه والتمثيل فيه. وفاز بأوسكار آخر عن دوره في النسخة السينمائية لمسرحية "هاملت."

وفي انتاج لندني لمسرحية تينيسي وليمس "عربة تدعى الشهوة"[٧] أدار أوليفييه في العام ١٩٤٩ فيفيان ليه في دور بلانش. وكان حرياً بها ألا تؤدي ذلك الدور، فقد أصيبت بداء السل وباتت تعاني اجهاداً فكرياً. لكن أداءها المسرحي الجيد أوصلها الى تمثيل الدور ذاته سينمائيا أمام مارلون براندو فنالت عليه جائزة أوسكار.

ولازمها خوف من الاضطراب العقلي الدائم. وأخضعت في الخمسينات لعلاج بالصدمات الكهربائية للسيطرة على انقباضها وهوسها المرضيَّين، لكن العلاج لم ينفع. وفي العام ١٩٦٠ طلّقت من أوليفييه. وعندما توفيت عام ١٩٦٧ كان أوليفييه في المستشفى مصاباً بذات الرئة، فغادر المستشفى على الفور وذهب الى شقة ليه حيث جلس وحده مع جثمانها.

معلم الماكياج.[٨] بات اسم أوليفييه يتصدر معظم لوائح الممثلين العظام في العالم. وكان يبذل جهداً عظيماً في كل دور يؤديه. وقد أخبرني مايكل كين الذي شاركه في بطولة فيلم "العميل السري"[٩] عام ١٩٧٢، أن أوليفييه تعجب مرة حين رآه يشاهد التلفزيون في حجرة الملابس خلال فترة استراحة من التصوير. وأضاف: "سألني لاري: "ألا تعمل في حجرة الملابس؟" فقلت له: "بلى، ولكن ليس في كل الاوقات." فقال: "أنا أعمل طوال الوقت." وهذا صحيح."

(٧) A Streetcar Named Desire
(٨) الماكياج فن استعمال مستحضرات التجميل.
(٩) Sleuth

إن اهتمام أوليفييه بالتفاصيل واعتماده الماكياج المتقن والتحركات غير العادية والخدع الصوتية يشبهان، بالنسبة الى كثيرين، التخفي وراء سلسلة من الاقنعة. ويبدو أنه اعترف بذلك الى كين عندما قال له: "أنا لست مثلك. فأنت تستطيع التمثيل بمظهرك العادي، أما أنا فأحتاج الى وسادة تحت سترتي أو أنف مزيف أو شنب أو شعر مستعار. فلا يمكنني أن أظهر كما أنا وأكون شخصا آخر."

وتخلى أوليفييه أخيراً عن حذره في مقابلة تلفزيونية اجراها معه ملفن براغ ودامت ساعتين. فقد سأله براغ عن أغنس أوليفييه، وكانت مرّت ٦٣ سنة على وفاتها. فاعترف أوليفييه بأنه ما زال يفتقدها.

وكتب براغ عن زواج أوليفييه الثالث والأخير بالممثلة جون بلورايت: "قال إنها المرأة الوحيدة التي وجد فيها بديلا من أمه." وربّيا معاً ثلاثة أولاد في بيتهما الريفي في ساسكس.

[illegible]. ساءت صحة أوليفييه في ١١ يوليو (تموز) ١٩٨٩، فتوفي وهو نائم. وكانت زوجته وأولاده عند فراشه.

عندما رأيت أوليفييه على شاشة التلفزيون في ما بعد وهو يعترف بأنه ما زال يفتقد أمه، أدركت أنني رأيته مرة من دون قناع. كان ذلك في لندن عام ١٩٧١، وكان يمثل دور جايمس تايرون، الشخصية التي استوحاها أونيل من أبيه الممثل. وكان تايرون يتذكر أمه التي توفيت قبل سنوات كثيرة، وأقسم انني رأيت أوليفييه يمسح دموعاً حقيقية وهو يقول: "كانت امرأة رقيقة، شجاعة، عذبة. لم تعِشْ يوما امرأة أشجع وأرق." وبدا صوته مثل صدى في ذلك الانبوب المفتوح على ألم طفولته، الذي تكلم عنه صديقه تينان. داخل أعظم الممثلين في عصرنا اختبأ طفل مستوحش فقد أمه.

بعد انتهاء المسرحية أردت وزوجتي أن نعبر لأوليفييه عن مدى تأثرنا. وعند مدخل المسرح وقّع أوليفييه كتيِّب برنامج المسرحية الذي حملناه، وألقى علينا ابتسامته الساحرة ومشى نحو سيارته. وتذكرت مشهداً من مسرحية "فيكتوريا ريجينا"[١٠] تكون فيه الملكة متنقلة في عربتها يوم يوبيلها الالماسي[١١] اذ تشعر "بالرضى والامتنان" عندما يصرخ لها أحد رعاياها: "انطلقي أيتها الفتاة الكبيرة. لقد قمت بعمل رائع! لقد قمت بعمل رائع!" وكان أوليفييه سيد مهنته من دون منازع، فصرخت عفوياً حين مشى مبتعداً: "حياة مديدة وسعيدة لك يا سيدي!"

فجمد في مكانه، ثم استدار برشاقة على قدمه اليمنى الى أن واجهنا مجدداً. فلوّح لنا بيده اليمنى بتأنق وقال بصوته المتعالي: "ولكما أيضاً!"

مشهد مسرحي. لا ينسى. لمسة رقيقة في الليل.

■ جون كلهان

---

(١٠) Victoria Regina

(١١) اليوبيل الالماسي هو الذكرى الخامسة والسبعون لمناسبة ما.

انه الطريق الطبيعي
للتعرّف الى المجهول
وهو خير معلم

الفشل طريقة النجاح

ها أنت، عالق في عملك كما في مستنقع، تتساءل لماذا يتراقص النجاح خارج متناولك دائماً. الجواب لدى كبار رجال الأعمال، ولن تصدق ما يقولون: ان النجاح يروغ منك لأنك لم تفشل ما فيه كفاية.

كثيرون من خبراء العمل يشبهون الفشل بزيت الخروع، انه دواء ناجع – ولكن كريه – للنجاح. وليس المقصود أن تندفع نحو كارثة محتومة كي تكافأ لاحقاً بنجاح غامض. الأمر لا يتعدى اعترافاً بسيطاً منك بأن الاشخاص الـذين يخاطرون ويفشلون ويتعلمون من فشلهم هم ذواتهم الذين يصيبون نجاحا أكبر في ما يقدمون عليه.

إن لم يصدمك الفشل بعد، فلأنك ما زلت على الشاطىء لم تركب البحر ولم تغامر فلم تصادف من التحدي سوى القليل. ربما واجهتك بعض انتكاسات صغيرة في المدرسة أو في الحب، لكن فشلك ذاك كان خالياً من المغزى. وفي هذا يقول أميتي اتزيوني أستاذ علم الاقتصاد الاجتماعي في جامعة جورج واشنطن: "لا تخف، كلنا يحظى بفرص للنجاح. لكن أحداً لا يعيش حياة معصومة من الفشل."

من السهل التعرّف الى الفشل. فهو، كما تقول كارول هيات التي شاركت في تأليف كتاب "عندما يفشل الأذكياء"، "يشمل عادة خسائر في المال والمركز وتقدير الذات." وهو يعني، في أقل تقدير، أنك لا تحصل على ما تشتهي.

هذا لا يعني أن على العقلاء طلب المصائب، كما يقول هارولد كوشنر مؤلف كتاب "عندما يتعرّض الناس الطيبون للسوء." الا أن جرعة قوية من النوائب غالبا ما تكون بمثابة درس مؤلم لكنه فاعل. وهي تساعد المرء على اكتشاف نقاط القوة ونقاط الضعف في شخصيته. وهذا في نظر كوشنر "جزء مهم من النضج."

الاشخاص الذين يتعلمون من فشلهم هم "المقاتلون" الذين يطلبهم رجال الاعمال الناجحون. ويرى الصناعي الملياردير روس بيرو أن "النجاح المستمر يؤدي إلى الغطرسة والرضا الذاتي. وأنا أفضل الاشخاص الذين تستهويهم الحرب وهم على استعداد للمغامرة وتقبّل الفشل." وهذا يشمل اقتراف أخطاء "صادقة." ويعتقد بيرو أن الفاشل هو الذي يتجنب المخاطرة بالفطرة، حتى عندما تبدو المراهنة مضمونة النتائج: "الانسان يتعلم من الفشل أكثر كثيراً مما يتعلّم من النجاح." وما الفشل، في النهاية، سوى ثمن الاقدام والمغامرة.

إن كنت ممن تشلّهم فكرة الفشل، فإليك بعض النصائح:

١. كف عن ترداد كلمة "فشل." في كتاب "أهل القمة: أبطال جدد في عالم الاعمال بأمريكا" كتب تشارلز غارفيلد أن الناجحين قلما يستعملون كلمة "فشل" المشحونة بالمعاني والتي توحي طرقا مسدودة، ويفضلون عليها عبارات أخرى.

في منتصف الخمسينات فوّت رجل الاعمال فيكتور كيام (صاحب آلة "رمنغتون" للحلاقة) فرصة الحصول على وكالة لسلعة غير معروفة، بسبب انتقاد بعض زملائه اياها. ولم تكن تلك السلعة سوى "فلكرو."* ويعترف كيام في كتابه "عِش للفوز": "من حقي أن أثور وأغضب لهذه الهفوة، لكنني أنظر الى الأمر كمعلم آخر في الطريق. وفي أي حال، لو لم أعتبر من هذا الخطأ في التقدير، فأدرك أني خنت ثقتي بنفسي، لما اشتريت رمنغتون في ما بعد."

٢. لا تنظر الى الامور من زاوية شخصية. عندما تتعثر الامور، هل تصنّف نفسك تلقائيا في خانة الفاشلين؟ تقول كارول هيات ان "اللغة التي تستخدمها في وصف نفسك قد تتحوّل حقيقة فعلية." وهي تحذر من الوقوع في هذا الخطأ، موضحة أنك اذا وصفت نفسك تكراراً بأنك بائع بلا عمل، مثلا، فذلك يضعك في صف العاطلين عن العمل، وهذه العبارة مرادفة للفشل في مجتمعنا، كما أنه يحدّ من امكاناتك. وتضيف أن "من الأفضل أن تنظر الى نفسك كإنسان امامه خيارات مفتوحة."

(*) Velcro أو "شليك – شلاك" وهي تتألف من قطعتين متلاصقتين تنسلخان عند الحاجة، وتستعمل خصوصا في الثياب والاحذية.

وتشمل الخيارات متابعة دروس خاصة لاكتساب مهارات جديدة، أو التحول بشجاعة الى ميدان عمل آخر.

٣. كن مستعداً. ساهم في وقاية نفسك باعتماد خطة للطوارىء. إسأل نفسك ما هو أسوأ ما يمكن أن تتعرض له. إن تصوُّر المرء أنه خسر عمله أو فقد شريك حياته يجبره على التفكير في خيارات عملية بديلة. هل لديك، مثلاً، شهادة تأمين أو مدخرات تكفيك لاجتياز مرحلة دقيقة في حياتك؟ هل لديك مؤهلات ومواهب تؤمن لك دخلا في حال صرفك من الخدمة؟ إعلم أن كلمة "أزمة" في الصينية مركبة من حروف كلمتي "خطر" و"فرصة."

مهم أيضاً أن توسع شبكتك الداعمة. وفي ذلك تقول هيات: "اعتماد حياة متوازنة، محورها العائلة والاصدقاء والهوايات، هي خير وقاية من الفشل." ولا يجوز أن تتوقف حياة المرء العاطفية على مشروع تجاري وحيد أو وظيفة واحدة.

٤. تعلَّم أن تفشل بذكاء. حضّر جاك ماتسون الأستاذ في جامعة هيوستن بتكساس مقرراً تعليمياً سمّاه تلاميذه "الفشل ١٠١." وقد طلب منهم ماتسون مرة أن يصنعوا نماذج من عيدان الجيلاتي (الآيس – كريم) لمنتجات لا يقبل على شرائها أحد. ويذكر ماتسون أن طلابه "صمموا أحواض استحمام للهمستر (حيوان من القوارض شبيه بالجرذ) وطائرات ورق تطيِّر في الأعاصير."

أفكار سخيفة طبعاً. ولكن ما ان ساوى الطلاب بين الفشل والابتكار، بدل الهزيمة، حتى شعروا بتحرر واستعداد لأن يجربوا أي شيء. وبما أن معظم الطلاب فشلوا خمس مرات على الاقل قبل ان يقعوا على حقل عمل يلائم كفاياتهم، فقد تعلموا ألا يأخذوا الفشل على أنه الكلمة الفصل أو الحكم النهائي.

واكتشف الطلاب أيضاً طريقيْ الفشل. فتجربة الاشياء بالتعاقُب هي ما يسميه ماتسون "فشلا بطيئاً غبياً." وهذه عملية طويلة مضنية تدفع الإنسان الى اليأس والاستسلام. وهناك في المقابل ما يسميه "فشلا ذكياً سريعاً" وهو ينطوي على اطلاق عدة أفكار دفعة واحدة والاستعداد أكثر للطلقة التالية. ويرى ماتسون أن "الفشل هو الطريقة الطبيعية للتعرّف الى المجهول، لذا كثّفوا تجاربكم وانتهوا منها في أقصر وقت ممكن."

٥. لا تستسلم. في العام ١٩٧٥ منيت شركة انشاءات يملكها غلين إرلي بخسارة فادحة. وكان هو في الخامسة والعشرين من عمره، فرهن بيته واستدان مالا رافضاً أن يعلن افلاسه. وظل يعمل في حقل البناء، محاولا في الوقت ذاته اتقان فنون الادارة وتعقيداتها. وفي العام ١٩٨٢ استجمع جسارته واستدان

مجدداً وأعاد بناء شركته الخاصة بعدما كسب ثقة المصارف باستقامته ومعاملاته السليمة.

وسع إرلي أعماله في حقل البناء بحذر، وأخذ دروساً جامعية في ادارة الأعمال. وفي أوائل العام ١٩٨٨ احتلت شركته مكاناً في قائمة مجلة "إنك" للشركات الخمسمئة الخاصة الاسرع نمواً في أمريكا.

وليس إرلي راضياً بعد. وذكريات الايام الصعبة تسكنه على الدوام، وهو يقول: "أنا لا أركن الى الغطرسة والتبجح بل أسعى دائماً الى تحسين أعمالي."

هذا الموقف الذي لوَّنه الفشل ولطفه يرشح إرلي للتربع على قمة النجاح لسنوات طويلة آتية. وفي وسعك أنت أيضاً أن تحذو حذوه.

فيك سوسمن ■



استرخاء متوتر

نجحت أخيراً في اقناع صديقتي سوسن، المنهكة لكثرة أشغالها، بايجاد سبيل للراحة. فدعوتها الى العشاء. وانهمكت في تحضير الطعام بعدما أدرت لها شريط فيديو يعالج مشكلة الاجهاد وطرق الاسترخاء. وبعد ١٥ دقيقة دخلت علي في المطبخ وأعادت الي الشريط قائلة: "انه جيد، لكنني لست في حاجة اليه."

فقلت: "لكن الشريط يستغرق سبعين دقيقة. إنك لم تشاهديه بكامله.

فردت: "بل فعلت. لقد شغَّلت زر التقديم السريع."

ج.ك.

الجانب المشرق

كنا في طريق عودتنا الى المدينة بعد قضاء عطلة نهاية الاسبوع على الشاطىء، وصادفنا صباح غائم كئيب، فقلت لزوجي: "يا لهذا النهار العاطل. لن ننتفع منه في شيء."

فأجابني: "لكنه، على الاقل، يربط الامس بالغد."

أ.ج.

صيغة للنجاح

اعترضتني صعوبات وأنا أعمل على مشروع جديد، فاستشرت مديري. وبعدما تناقشنا في اقتراحاته سألته عن الصيغة التي يتبعها للنجاح، فأجابني مبتسماً: "الذي أعمله أعمله جيداً، وما لا أستطيع عمله جيداً لا أعمله أبداً!"

س.ب.

الرياضة تطيل العمر!

اللياقة البدنية هي أكثر من هوس أو هواية، انها نمط حياة يبطىء – وقد يوقف – تلف الشيخوخة. ويلتمسها ملايين الناس لادراكهم أن مصيرهم الصحي يتوقف عليهم لا على الاطباء.

ما هي اللياقة البدنية، وكيف يتسنى تحقيقها؟

انها، بتعبير بسيط، قدرة جسدك على العمل بأقصى طاقته طوال سني حياتك. فليس من الضروري التمرن لساعات في ناد رياضي أو الهرولة مسافات طويلة أو ركوب دراجة ثابتة لساعات متعاقبة. كل ما في الأمر هو أن تتنفس بعمق بين ٢٠ و٣٠ دقيقة يوميا فيما أنت تحرك اطرافك إيقاعياً في الهواء أو في الماء.

عُرفت فوائد الرياضة منذ قرون. ففي العام ٦٠٠ قبل الميلاد وصف أحد الاطباء الهنود الرياضة لمعالجة داء السكري. وحديثا، نُصح بالرياضة لمعالجة بعض الامراض أو لتفاديها كمرض القلب وارتفاع ضغط الدم والتهاب المفاصل وترقق العظام (نخرها) واضطرابات الدورة الدموية وسرطان الثدي و... البدانة، أكثر المشاكل شيوعاً. وقد كشفت الابحاث الطبية الحديثة كيف تنجم هذه الفوائد الصحية المتعددة عن معالجة فردية في غاية البساطة.

وهنا بعض هذه الاكتشافات:

■ التمرين يجعل القلب مضخة أكثر فاعلية، قادرة على تلبية متطلبات الحركة العنيفة بعدد أقل من النبضات، لانه يقدر على ضخ كمية اكبر من الدم في كل انقباضة.

■ التمرين يخفض مستوى التريغليسريد، وهو نوع من الكولسترول المتدني الكثافة، ويخفض أحيانا مستوى الكولسترول الاجمالي. ولكن أهم من ذلك أنه يحفز زيادة في الكولسترول العالي الكثافة الوقائي الذي يعمل كمنظف شرياني يساعد في ازالة الكولسترول المتلف للشرايين.

■ تشير الدراسات المتواصلة التي يجريها الدكتور رالف بافنبارغر (الابن) على ١٧ ألفا من خريجي جامعة هارفرد في كامبردج بولاية مساتشوستس، الى أن مجرد استهلاك ٢٠٠٠ وحدة حرارية بالمشي والهرولة وطلوع السلالم والتمارين الرياضية القوية، يخفض خطر الإصابة بمرض القلب التاجي بمعدل الثلث ويزيد متوسط العمر المتوقع زيادة ملحوظة.

■ يزيد التمرين حساسية الجسم

الرياضة تخفض الوزن من دون حرمان
انها تمنحنا لياقة بدنية وتزيد الحياة متعة وحبوراً

للانسولين، وهو الهورمون الذي يزيل فائض السكر من الدم. وفي حالات ٧٥ في المئة من البالغين البدينين المصابين بالسكري في مرحلته الاولى، يساعد التمرين على خفض دهن الجسم الذي يعيق عمل الانسولين.

■ التمارين المعاكسة للجاذبية (كالمشي والركض، خلافاً للسباحة) ترفع محتوى الكلسيوم في العظام مما يمنع نخرها والاصابة بكسور موهنة في أواخر العمر. وقد اكتشفت إفريت سميث مديرة مختبر علم الشيخوخة الحيوي في دائرة الطب الوقائي بجامعة وسكونسن، أن النساء بين السن التاسعة والستين والسن الخامسة والتسعين اللواتي مارسن تمارين لمدة ٣٠ دقيقة يومياً، ثلاثة أيام في الاسبوع وعلى مدى ثلاث سنوات، زاد محتوى المعادن في عظم الكعبرة في سواعدهن ٢،٣ في المئة، خلافاً لمجموعة مقابلة من غير المتمرنات اللواتي ظهر لديهن نقص بنسبة ٣،٣ في المئة.

■ أظهرت دراسة متواصلة شملت ما يزيد على خمسة آلاف امرأة كنّ رياضيات في الجامعات، أن معدلات اصابتهن بسرطان الثدي والجهاز التناسلي هي أدنى مما لدى سواهن. وتعتقد مديرتا الدراسة روز فريش عالمة البيولوجيا التناسلية الحياتي وغريس وايشاك عالمة الاحصاءات الحيوية في كلية الصحة العامة بجامعة هارفرد، ان مستوى متدنياً من الاستروجين، كذلك الاستروجين الاقل فاعلية، لدى النساء الرياضيات هما العاملان المسؤولان عن المفعول الوقائي من السرطان في التمارين الرياضية.

■ يبطيء التمرين خسارة العضل الهبر وازدياد الدهن في الجسم ووهن الطاقة على العمل الجسدي، وهذه امور مرتبطة بالتقدم في العمر. والتمرين ينشّط الجهاز العصبي أيضاً. وقد بينت سلسلة دراسات أجريت في جامعة تكساس أن الرجال في الستين، الذين مارسوا الهرولة أو كرة المضرب ٢٠ سنة أو أكثر، يتمتعون بفترات ارتكاس* مساوية لفترات ارتكاس شبان خاملين في العشرينات من عمرهم، إن لم تكن أطول.

ويرى خبراء ضبط الوزن ان التمرين هو العنصر الحيوي الأهم في خفض الوزن والمحافظة على النحافة. انه يرفع سرعة الأيض، أي عدد الوحدات

(*) Reaction time . والارتكاس هو رد الفعل.

الحرارية التي يستهلكها الجسم، خلال التمرين ولساعات بعده. وهو، الى ذلك، يزيد الكتلة البدنية الخالية من الدهن فيما يحرق دهن الجسم وقوداً.

بالتمرين يمكن خفض الوزن من دون تغيير النظام الغذائي.

في جامعة ستانفورد بكاليفورنيا بدأ ٣٢ رجلا من البدناء الذين يصرفون معظم أوقاتهم جلوساً، برنامج ركض لم يشمل اتباع حمية. وبمقدار ما طالت المسافة التي قطعوها زادت كمية استهلاكهم من الطعام، كذلك زاد الوزن الذي فقدوه!

ان انواع التمارين وكمياتها المطلوبة لجني ثمار مماثلة هي في متناول غالبية الناس: المشي السريع، الهرولة، "الركض" وقوفاً، ركوب الدراجة الهوائية، كرة المضرب، القفز على الحبل، الرقص الحيهوائي (آروبيك)، التزلج، تسلق الجبال، كرة القدم، السباحة، صعود السلالم.

يقول الدكتور ستيفن هافاس أستاذ علم الأوبئة والطب الوقائي في كلية الطب بجامعة ماريلاند، أن تقوية القلب والرئتين تقتضي القيام بتمارين سريعة كفاية لرفع معدل نبض القلب والتنفس الى مستوى يحدد وفق العمر. (اعتمد الرقم ٢٢٠ واطرح منه عدد سني عمرك، ثم خذ ٦٠ في المئة من الحاصل كمعدل لنبض القلب الذي يجدر أن تسعى اليه في أثناء التمرين. وكلما تحسنت لياقتك ارفع هذه النسبة تدريجا الى ٧٥ في المئة من المعدل المنشود.)

وتجدر ممارسة التمرين مدة تراوح بين ١٥ و٣٠ دقيقة على الاقل من دون توقف، وتكراره ثلاث مرات او اربع في الاسبوع على الاقل.

وعلى الاشخاص الذين تجاوزوا الخامسة والثلاثين، المصابين بعلة مزمنة أو الذين شهد سجلّهم العائلي اصابات بأمراض القلب، ان يجروا فحصاً جسدياً، وفحصاً للاجهاد اذا أوصي به، قبل الشروع في برنامج تمارين قوية.

والذين يمارسون التمارين اليومية يحصلون على فائدة أكبر اذا ناوبوا بين نوعين أو أكثر من التمارين التي تحرّك مجموعات متباينة من العضلات، كالركض والسباحة وركوب الدراجة وكرة المضرب. ذلك بأن هذا التباين يحول دون اختلال التوازن الوظيفي بين أعضاء الجسم مما يؤدي الى أضرار في الاجزاء المجهدة أو الضعيفة نسبياً.

ويحذر طبيب القلب هنري ماكنتوش من أي "اجهاد قد يسبب ألماً وصعوبة في التنفس وعياء دائماً." وقاعدته الحسية: "يجب أن تشعر، بعد خمس دقائق من انتهاء التمرين، بأنك أفضل مما كنت قبله."

ومن المفارقات أن خسارة لياقتك أسهل من اكتسابها. فقوة الاحتمال يجب أن تبنى تدريجاً على مدى أشهر من خلال نشاط متزايد. ولكن ما ان يمر أسبوع من دون تمرين حتى يهبط التكيف البدني وتتعيَّن اعادة بنائها تدريجاً. ويوضح ماكنتوش أن الفرد الأشد تعرضاً للاصابة بأذى جسدي هو "رياضي عطلة

نهاية الاسبوع" سواء كان يمارس الهرولة أو كرة المضرب أو السباحة أو الغولف أو جز عشب المرجة أمام بيته.

ان الحفاظ على المرونة (أو استعادتها) مفتاح آخر لسلامة التمرين. فالأنسجة المشدودة معرضة كثيراً للتمزق متى أرغمت فجأة على التمدد بقوة. لذا، ابدأ ببضع دقائق من المشي السريع او الهرولة البطيئة في مكانك. وكرّس خمس دقائق على الأقل للتمطي، خصوصاً بعد انتهائك من التمارين، لكي تحتفظ بدرجة مقبولة من الليونة.

وختاما: التمرين مهدىء طبيعي وعامل مضاد للكآبة والانحطاط. وفي مسح أجري عام ١٩٨٥ وشمل ١٠٣٣ رجلا وامرأة، أفاد اولئك الذين يواظبون على التمرين أنهم أكثر ثقة بأنفسهم وأكثر ابداعاً من نظرائهم الكثيري الجلوس، الخاملين.

جين إ. برودي ■



رب نافعة ضارّة

توجهت الى موقف السيارات بعد انتهاء الصفوف. فلمحت زميلة لي في الجامعة واقفة قرب سيارتها تنظر الى رجل يتفحص محركها. ورغبة مني في المساعدة مشيت نحوها وقلت مازحاً: "يبدو أن هذه العجوز تعطلت مجدداً! لا عليك، سوف نتمكن من ادارة محرّكها."

فالتفتت الي زميلتي مذهولة. فحرت في أمري وسألت الرجل هل تمكن من اكتشاف العطل. فقوّم ظهره ببطء وقال: "الحقيقة انني كنت افكر في شرائها!"

د.م.

ابنتي والسمكري

ابنتي موظفة لدى شركة للأعمال السمكرية. مرة احتاجت الى خدمات سمكري، فطلبت أن ترسل الشركة سمكرياً الى منزلها. لكن طلبها لم يعر اهتماماً.

ولدى مغادرتها عملها ذات مساء وقد يئست من الاستجابة لطلبها، تركت لرئيسها الرسالة الموجزة الآتية: "سوف آتي الى العمل صباحاً فور وصول سمكري الى منزلي." وقبل السابعة صباح اليوم التالي كان سمكري يطرق باب منزلها.

ش.م.

"هل قرات ذلك الكتاب عن جنون الارتياب؟"
- لا، لماذا تسألني؟

ا.م.

نداء الواجب

فتى الدراجات

اشترى جوستن ليبو قبل ثلاث سنوات دراجة هوائية قديمة. فأبدل قطعها التالفة وجدد طلاءها فبانت جديدة. رأى جوستن في ذلك تسلية، وكان عمره آنذاك عشرة أعوام. فاشترى دراجات قديمة تالفة أخرى وحوَّلها شبه جديدة.

ثم واجهته مشكلة: ماذا يصنع بكل هذه الدراجات؟

بموافقة والديه، وهب مركز تأهيل مدمني المخدرات والكحول في بلدته باترسون بولاية نيوجرزي دراجتين. وكان في المركز ٢٠ ولداً راوحت أعمارهم بين ثمانية اعوام و١٤ عاماً. وهم فرحوا كثيراً بالدراجتين، حتى ان جوستن قرر أن يهدي دراجة الى كل ولد في عيد الميلاد.

ادخر جوستن مصروف جيبه والنقود التي أُعطيها في عيد مولده. وكان يدور مع والديه يفتش عن دراجات قديمة في محلات الادوات المستعملة. وهم طلبوا من الاصدقاء والجيران الاتصال بهم متى علموا بوجود واحدة. وكلما التقى جوستن أحداً يركب دراجة جديدة سأله: "ماذا فعلت بدراجتك القديمة؟"

وراح يعمل ليلا وفي عطل نهاية الاسبوع لكي يفي بالعهد الذي قطعه على نفسه. ونشر إعلاناً في أحدى الصحف، فكانت الاستجابة حسنة وأرسلت اليه بضع دراجات. وتبرع له رجل من كاليفورنيا بمئة دولار. وأرسل اليه رجل من كونيتيكت ملزمة لشد الدراجات. ومنحه تاجر محلي للقطع حسماً خاصاً.

وحقق جوستن هدفه، وبقيت لديه دراجتان فائضتان.



واصل جوستن مشروعه فوهب مأوى آخر للاولاد وعائلات معوزة أكثر من ٥٠ دراجة (حتى ربيع ١٩٩٠). وهو يعي أهمية حيازة الولد دراجة فيقول: "أنا لا أمشي الى أي مكان." وهو سيستمر في تجديد الدراجات ومنحها "لمجرد رؤية الاولاد سعداء."

كيرستن كونوفر ■

صحيفة "كريستشان ساينس مونيتور"

متقذة في الكوارث

كارولين هبارد جاهزة دائما. فهي تحمل جهاز اتصال لاسلكيا[1] ولديها حقيبة ظهر وكيس معدات للتخييم. وفي لحظة ترتدي بذلتها الفوقية البرتقالية وتلبس كلبها[2] سترة برتقالية وتودع زوجها وأولادها في برناردسفيل بولاية نيوجرزي وتتوجه الى أي مكان في العالم حيث يدعوها الواجب.

في مارس (آذار) ١٩٨٥، في وقت متقدم من الليل وقد هبطت الحرارة الى ١٢ درجة مئوية تحت الصفر، اشتركت هبارد وكلبها في البحث عن سبعة أولاد مفقودين في درب وعرة في جبال الابالاش ببنسلفانيا. شاهدت هبارد آثار أقدام في بقعة موحلة متجمدة. فأرشدت كلبها لكي يشم الأرض مقتفيا الأثر، بدل أن يشم الهواء. وبعد اجتيازه كيلومترات وصل فريق الانقاذ الى تقاطع للدرب مع طريق فقال أحد حراس الغابات: "ما علينا الآن الا أن نعرف ما اذا كانوا اتجهوا شمالا أم جنوبا على الطريق."

"لا هذا ولا ذاك،" قالت هبارد وهي تراقب كلبها، "إنهم أكملوا سيرهم في الدرب." وبعد ثلاثة كيلومترات عُثر على الاولاد متكومين يرتجفون بردا وخوفا.

كارولين هبارد وعشرة أعضاء آخرون في "فريق تلبية نداءات النكبات" في الولايات المتحدة، يستخدمون كلابهم المدربة للعثور على أحياء تحت الانقاض بعد حدوث زلازل. في أرمينيا عام ١٩٨٨ وجد فريق هبارد فتاة في الحادية عشرة من عمرها وقد مضت عليها خمسة أيام مدفونة بين الجثث ومصابة بجروح طفيفة.

والعمل طوعي اجمالا. وكل عضو في الفريق يؤمن عدته الخاصة، بما فيها جهاز لاسلكي وجهاز اتصال وكيس نوم وموقد نقال وجزمة.

فلماذا تعمل هبارد في ميدان البحث والانقاذ؟

تعترف بأنه "عمل يفطر القلب، لكنه حافل بالإثارة والمتعة والانغماس. وتسود أعضاء الفريق روح رفقة سامية."

لهذه الغاية النبيلة تبقى هبارد وكلبها على استعداد دائم، مهما تكن الكارثة.

جو كودير ■

صحيفة "ومنز داي"

ما زال بطلا!

بعدما نال الملاكم شوغر راي سيلز الميدالية الذهبية للوزن الخفيف في الالعاب الاولمبية عام ١٩٧٢، لم يسعده الحظ في شيء، ونُسي مجده.

---

(١) Beeper

(٢) هو من نوع "الراعي الالماني."

وفي العام ١٩٧٧ ربح الملاكم شوغر راي ليونارد ٤٠ الف دولار في مباراته الاولى بعدما أصبح محترفاً. ولم يكن سيلز حصل على مبلغ كهذا في أي من مبارزاته الثمانين خلال ١١ سنة منذ احترافه الملاكمة. وكان ربح ٩٥٠٠ دولار في مبارزته الاخيرة، لكن الشيك الذي قبضه كان من دون رصيد. وكان سيلز أصيب بالعمى.

أجريت لسيلز سبع جراحات ردت اليه بعض بصر عينه اليمنى. لكن العين اليسرى ظلت مطفأة. فبات عاجزاً عن كسب قوته بالملاكمة.

يقول سيلز كأنه لا يزال مندهشاً للفكرة: "لذا حصلت على وظيفة." كان في منتصف الثلاثينات، لا مهارات لديه ولا خبرة في العمل، يعيش في عالم ضبابي شبه أعمى. وذات يوم أخبرته عمته أن ثمة وظيفة في مدرسة لنكولن الثانوية في تاكوما بولاية واشنطن. ولم تكن لديه اي فكرة عن نوع الوظيفة حين جاء في يومه الاول للعمل.

كانت مهمته مساعدة الاولاد المتوحِّدين (الذين يسترسلون في أحلام اليقظة والتخيلات والوهم والهلوسة).

يقول: "ما أعمله فعلا هو تعليمهم الاستقلال." في أربعة أيام من كل أسبوع يراقب الاولاد في مشغلهم حيث يقومون بأعمال يدوية بسيطة مثل تنضيد رؤوس اللعب في صناديق. وفي يوم خامس يأخذهم الى احدى الشقق السكنية حيث يتدربون على فنون تدبير المنزل. فالنجاح في هذه الاعمال يخلِّص المحظوظين من دخول المصحّات.

يمارس سيلز هذا العمل منذ ثلاث سنوات. وراتبه ضئيل نسبياً لرجل حقق شهرة في عالم الملاكمة. وهو على يقين من قدرته على تدبر عمل آخر، لكنه يقول: "لا أريد أن أتخلّى عن الاولاد."

روى لي سيلز قصة دوغ وهو شاب في الثالثة والعشرين: "كان علي أن أراقبه جيداً وأحضّه على العمل. وكنت أمازحه أحيانا وأستفزّه: هيا، هيا، أتريد أن تلاكمني؟ وقد ذهبت مرة لمعاينة إحدى ورش العمل حيث كان دوغ. فوجدته يجمع صناديق الكرتون وحده من دون رقيب. كان يحملها الى موقع التجميع ويرميها هناك ويعود لينقل المزيد. لقد عملت معه مدة سنة، وها هو الآن يعمل من تلقائه."

وتابع سيلز: "قد أكون نافعاً في شيء!"

في تلك اللحظة رفع دوغ رأسه فرأى سيلز وناداه: "هيا، أتريد أن تلاكمني؟"

فدمعت عينا البطل الاولمبي. لقد كان دوغ ينضِّد الصناديق.

ريتشارد هوفر ■

صحيفة "سبورتس إلوستريتد"

المتفائل يعتبر الخطأ مصدراً للابداع. والمتشائم يرى في الخطأ نوعاً من التدمير. ان عالماً في طور النمو يتعلم من اخطائه ويفيد. أما العالم الراكد فكل خطأ فيه مميت.
غ.ب.

المختار

اربحوا ٣٣٪

يسر "المختار" ان تعرض على المشتركين الجدد فيها بين ١٩٨٩/٨/١ و١٩٩٠/٩/٣٠ اربعة اعداد اضافية مجاناً مع كل ١٢ عدداً.
فالمشترك لمدة سنة (١٢ شهراً) يتلقى ١٦ عدداً خلال ١٦ شهراً اي انه يربح ٣٣٪
فكونوا من الرابحين.

اذا اردتم ان تصلكم "المختار" الى عنوانكم،
بادروا الى ملء هذه القسيمة وارسلوها مرفقة بشيك مسحوب على مصرف في نيويورك باسم "المختار من ريدرز دايجست" بقيمة ٢٥ دولاراً امريكياً، وارسلوا القسيمة والشيك بالبريد المضمون (المسجل) الى احد العنوانين المذكورين خلف هذه القسيمة.

الاسم ______________________

____

العنوان ______________________

____

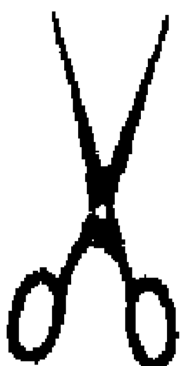
التاريخ ______________________

التوقيع ______________________

الرجاء ارسال القسيمة والشيك بالبريد المسجل (المضمون)
الى احد العنوانين الآتيين:

البنك المتحد للاعمال ش.م.ل.
ص.ب. ٧١٦٥ - ١١٣
بيروت - لبنان
ALLIED BUSINESS BANK S.A.L.
P.O.BOX 113-7165
BEIRUT-LEBANON
(TELEX 43321 ALBANK)

AL MUKHTAR
C/O Mrs. Annick Meadows
P.O.BOX 4271, NICOSIA 163, CYPRUS.



الرجاء وضع العبارة الآتية على غلاف الرسالة: "اشتراك في مجلة المختار".

وَمَضَاتٌ عَبقَرِيَّة

التفكير الخلاق ليس موهبة غامضة لقلة من المتفوقين

هناك الألوف من قِصار القامة الذين لا تطأ أقدامهم الأرض حين يجلسون. وهم يحملون مِسنداً للقدمين في تنقلاتهم، ويجدون في ذلك امراً بالغ الازعاج. لذلك فكر جاكوب رابينو في ابتكار حل لصديق له قصير القامة، وتوصل الى إلصاق لوحي ألومنيوم في كتاب مفرَّغ يتحول حين يُبسط مسنداً للقدمين خفيف الوزن وقابلا للحمل والطيّ.

ذات يوم زارت امرأة من لونغ آيلند مدينة نيويورك لطلب تأشيرة دخول من احدى القنصليات. وضاع نهارها في رحلة طويلة وثلاث ساعات من الانتظار في الرتل داخل القنصلية. وقد وقف أمامها في الرتل رجل يحمل كدسة طلبات ويعمل في "لنداهانو"، وهي شركة توفر الخدمات لمن تقعدهم أعمالهم عن إنجاز مثل هذه المعاملات الشاقة. وهذه الشركة من بنات أفكار اثنين من سكان نيويورك هما أوسكار ألن ودونالد إجينا. وهي تستخدم اليوم ١٥٠ موظفاً يقفون في طوابير الانتظار عارضين خدماتهم في مكاتب السفر والمصارف والمخازن والمتاجر الكبرى وغيرها من الأماكن التي تستنفد الصبر.

لماذا لم تخطر لك أنت أفكار كهذه؟

إن استنباط مثل هذه الأفكار ممكن إن اتَّبعت ما راعاه المخترعون الناجحون ومبتكرو الأفكار الجديدة من مبادىء أساسية تشحذ، إن اجتمعت، الفكر

الخلاق الذي لا يقتصر على قلة من المتفوقين، كما يغلب على الظن. والمدهش أن ملكة الخلق هذه كامنة في ذات كل منا من دون استثناء.

يقول سام غلوكسبرغ الاستاذ في جامعة برنستون: "ان السلوك الابداعيّ متأصل في الطبيعة البشرية. وقد دلت أبحاثنا على أن الانسان قابل للتدريب على زيادة إبداعه."

لننظر، اذاً، الى بعض الادوات التي تبدو اليوم مألوفة بعدما باتت في متناولنا. فكيف يمكنك أنت أن تفكر إبداعيا وتبتكر عجائب صغيرة من صنعك؟

١. سُدَّ حاجة. يتبع الناجحون مبدأ مهما هو: "أعطهم ما ليس عندهم." مثال على ذلك هيمان ليمان من فيلادلفيا بولاية بنسلفانيا، الذي لاحظ ان قِطع المطاط الهندي الصغيرة التي كان الناس يستعملونها في محو الكتابة تضيع على الدوام، فعمد ببساطة الى لصق هذه القطع على أطراف أقلام الرصاص. وها قد أصبحت الفكرة التي التمعت في ذهنه أداة عملية تصحح زلات أقلامنا كل يوم.

ومرة نظر كونراد هيوبرت بإعجاب الى أصيص زهر متوهج بالنور صنعه صديق له معتمداً وضع بطارية وزر كهربائي بحيث يسلط الضوء على الزهر متى أدار مفتاحاً. وقد عمد هيوبرت الى تطوير الأصيص الى أداة أكثر نفعا، إذ وضع بطاريات وزراً كهربائياً في أنبوب مبتكراً أول مشعل كهربائي عرفه العالم.

٢. استغِلَّ إحباطاً. يعاني الانسان في حياته اليومية أموراً كثيرة تزعجه وتثبط عزيمته وتغضبه. كنغ جيليت، مثلا، سئم شحذ موسى الحلاقة، فابتكر الشفرة المأمونة التي تطرح بعد الاستعمال.

وقاسى شستر غرينوود من تعرض أذنيه لقضم الصقيع حيث تتدنى درجة الحرارة تحت الصفر، فملأ كوبين بوبر الفرو ثم وصلهما بشريط وقوَّس البدعة الغريبة حول رأسه، مبتكراً أول واقية لتدفئة الاذنين. وما لبثت الطلبات أن انهالت عليه من كل حدب وصوب.

وكان عمال احدى المطابع يعودون الى منازلهم كل ليلة وهم يعانون آلاما في الظهر والكتفين وتصلباً في العنق. إزاء ذلك عمد زميل لهم هو همفري أوسوليفان الى تخفيف الارهاق عن نفسه بالوقوف على حصير من المطاط. وما لبث أن ثبَّت في كل من كعبي حذائه "وسادة" مطاطية.

واليوم تباع "كعوب أوسوليفان" المطاطية في أنحاء العالم.

٣. أفد من مهارتك. يتوجب على المخترع الناجح الافادة من مهاراته الشخصية.

لاحظت كايدا شاتن في تورونتو (كندا) أن سقوف المصانع والمباني التجارية مغطاة بطبقة من السخام والشحم تكثر فيها الجراثيم ويصعب تنظيفها. وقد لجأت شاتن، وهي كيميائية هاوية، الى

مهارتها الشخصية وابتكرت محلول تنظيف يُطلق مضغوطا على السقوف بشكل رذاذ قوي.

وبهذه العملية تنجرف الأوساخ الى الأرض وتُزال بالمكانس الكهربائية. ومنذ العام ١٩٨٤ وشركتها "سيلنغ دكتر انترناشونال" تبيع حقوقاً تجارية لتوزيع هذه المادة حول العالم.

كذلك أفاد جيرالد كينات من مهارته في تطوير اختراعات ابتكرها آخرون. فعندما تناهت اليه طريقة جديدة لسد الثقوب والشقوق في الزجاج، قرر الافادة من ذلك وأسس عملا خاصاً به بعدما سأل نفسه: الن يسارع أصحاب السيارات الى ترميم زجاج سياراتهم متى عرفوا ان الكلفة تدنت الى النصف؟ وهكذا نجحت الفكرة وباتت شركته "نوفاس إنك" في مينيابوليس (مينيسوتا) تدر أرباحا سنوية تزيد على ٣٥ مليون دولار.

٤ أخيراً، فكر في أمور صغيرة. لا حاجة الى أفكار كبيرة كي تكون خلاقا. فالصحن الطائر "فريزبي" المصنوع من البلاستيك والذي يتقاذفه اللاعبون لم يغيِّر العالم، لكنه أتاح للناس كثيراً من المرح كما حقق أرباحا طائلة. ولم يغير العالم اختراع الضمادات اللاصقة ودبابيس الأمان (الافرنجية) وأكواب الكرتون وعلب المرطبات التي تفتح باليد، وهي أفكار "صغيرة." لكنها تشير الى مدى ما يجترحه الخيال الجامح وحب الاستطلاع والفطرة السليمة والعمل الجاد. وكلها عوامل تآلفت لسد حاجة او حل مشكلة، فجعلت الحياة أيسر عيشاً.

لستر ديفيد ■



الحنين والواقع

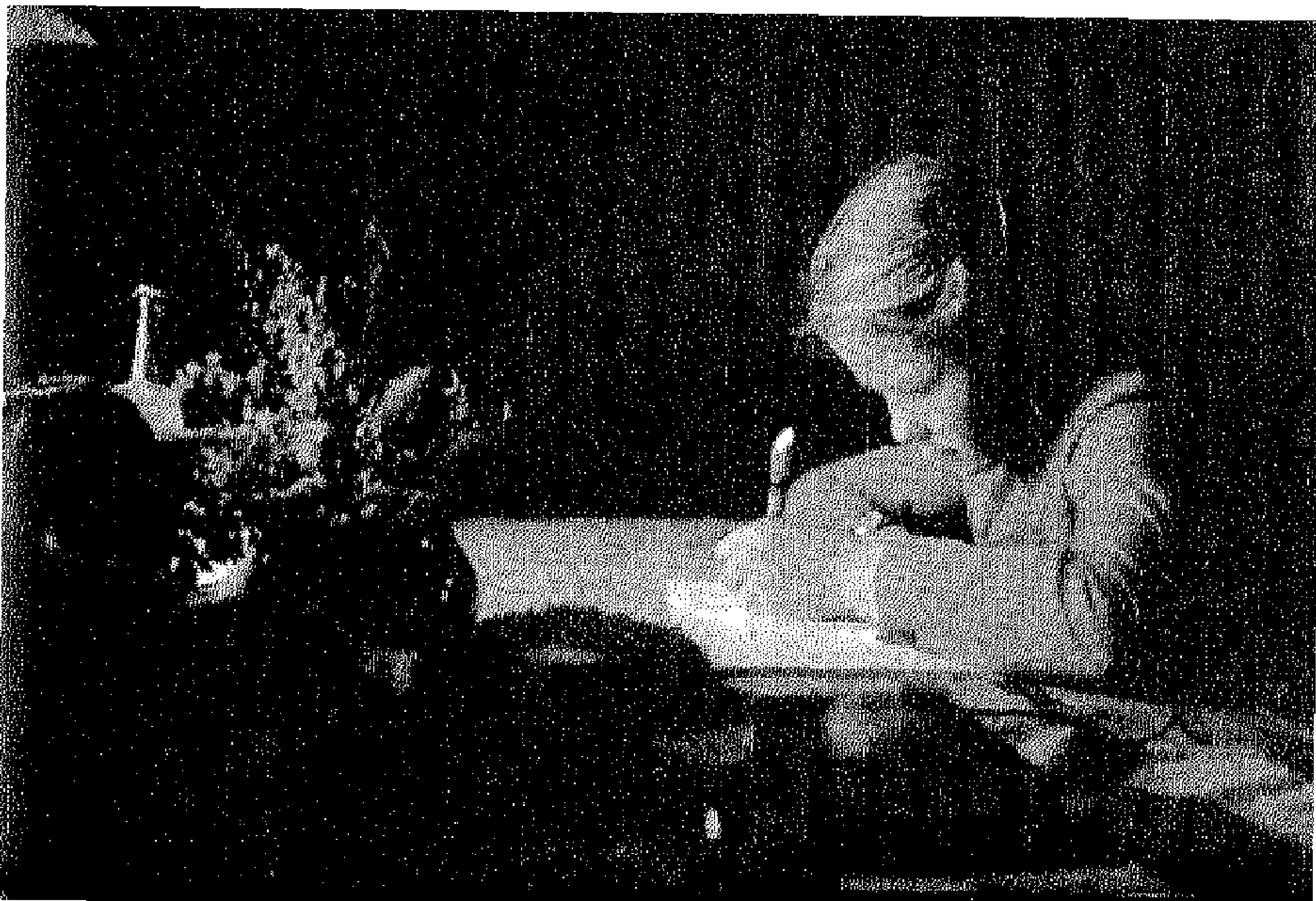
تباكينا على "الجنّات" الضائعة قد ينطلق من حالنا الفكرية اكثر مما ينطلق من واقع المكان الذي نندب زواله. فنحن عندما نتذكر مكانا رايناه ننزع الى رؤياه في وهج الحنين بعدما تكون الذاكرة - خبيرة التجميل في فكرنا - شذبت جوانبه الوعرة وصقلت عيوبه ونقلته برمته الى بعد تجريدي رائع. وتماما كما نتذكر رجلا فاضلا بعد موته على انه بارّ، هكذا نتذكر المكان الجميل بعد هجره وكانه المكان المثالي.

لا شيء يبقى كما كان.

ب.ا.

"**هل قرات ذلك الكتاب عن التواضع؟ أنصحك أن تفعل فانا مؤلِّفه.**"

مواطن مسن في شارع هادىء في فيلياندي. لقد شهد الترجحات الكثيرة العنيفة في تاريخ استونيا الحديث: الاستقلال بين ١٩٢٠ و١٩٣٩، الاحتلال والنفي الجماعي الى سيبيريا في عهد ستالين، واخيرا نسمات الحرّية في يقظة وطنية جديدة.



KALJU SUUR

تلميذة تحضّر فروضها المنزلية في جزيرة كينو الصغيرة (٥٠٠ نسمة) في اقليم بارنو غرب إستونيا. كتاب التاريخ الذي تدرس فيه يختلف عن الكتاب الذي درس فيه والداها.

يوم في أستونيا

نهار ٢٨ سبتمبر (أيلول) ١٩٨٩ انطلق ثمانية واربعون مصورا فوتوغرافيا في رحلة حول إستونيا بغية تسجيل بعض مظاهر الحياة في بلد يعمّه الاضطراب. وهم توافدوا من فرنسا وألمانيا الغربية وأسوج (السويد) والاتحاد السوفييتي وفنلندا. وفي يوم واحد التقطوا ما يزيد على ١٧ ألف صورة وثائقية لواقع تلك الأمة المتغيرة. واختير بعض تلك الصور لمعرض استمر شهراً كاملا في مؤسسة "تيتوس" في هارجوكاتو بالعاصمة الاستونية تالين بين فبراير (شباط) ومارس (آذار). وهنا مختارات من المعرض تمثل استونيا اليوم، ذلك البلد الذي يحمل أهله في قلوبهم أملا بغد افضل.

ريمو مويسا ■

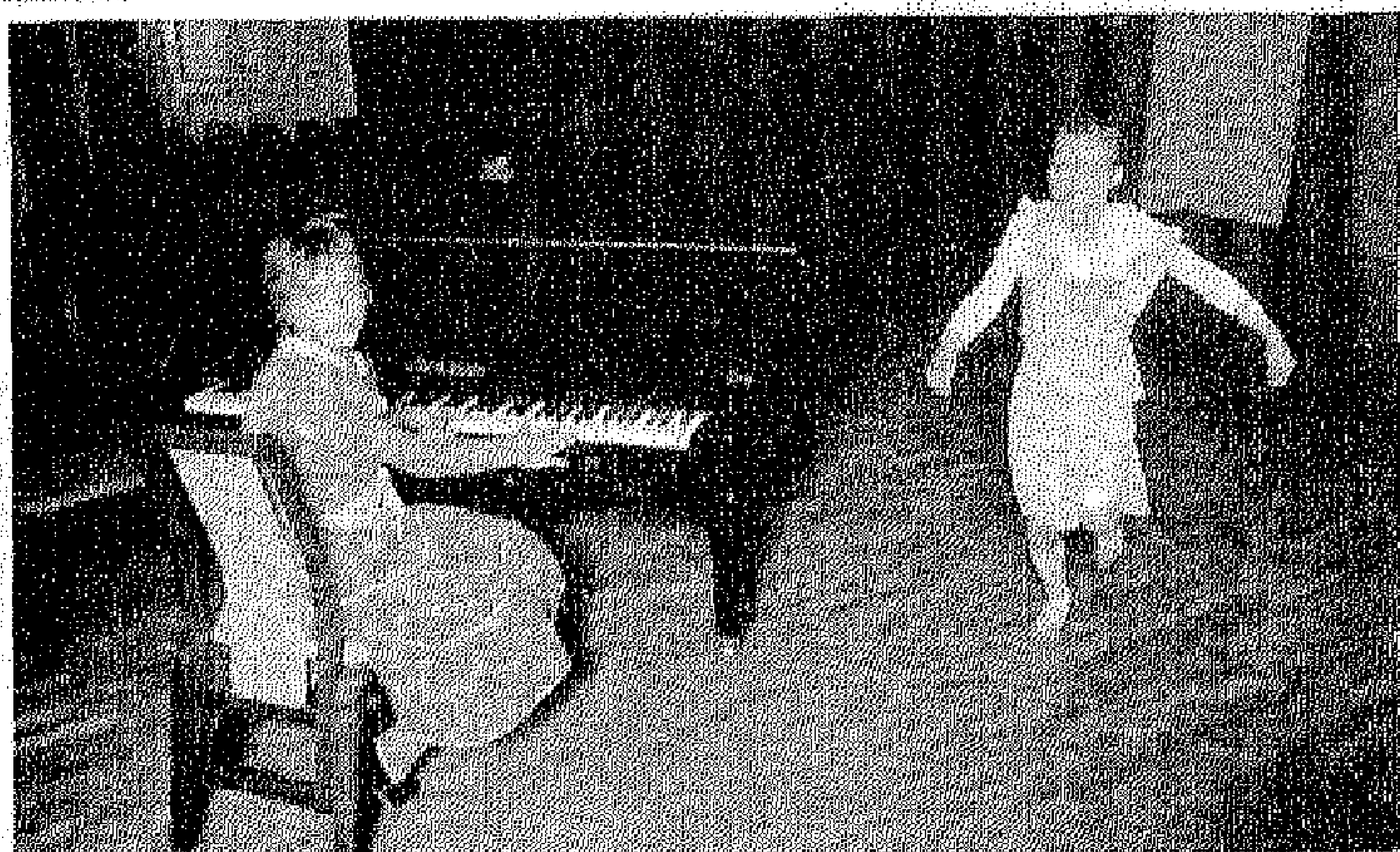
عاملات مرحات في مصنع لعيدان الثقاب في إستونيا أنشىء في اواخر القرن التاسع عشر في ضاحية فيلياندي.





عريف في الشرطة الروسية يتسلق برج "هرمان الطويل" في تالين ليرفع العلم الاستوني الذي حلّ مكان العلم الاحمر في فبراير (شباط) ١٩٨٩.

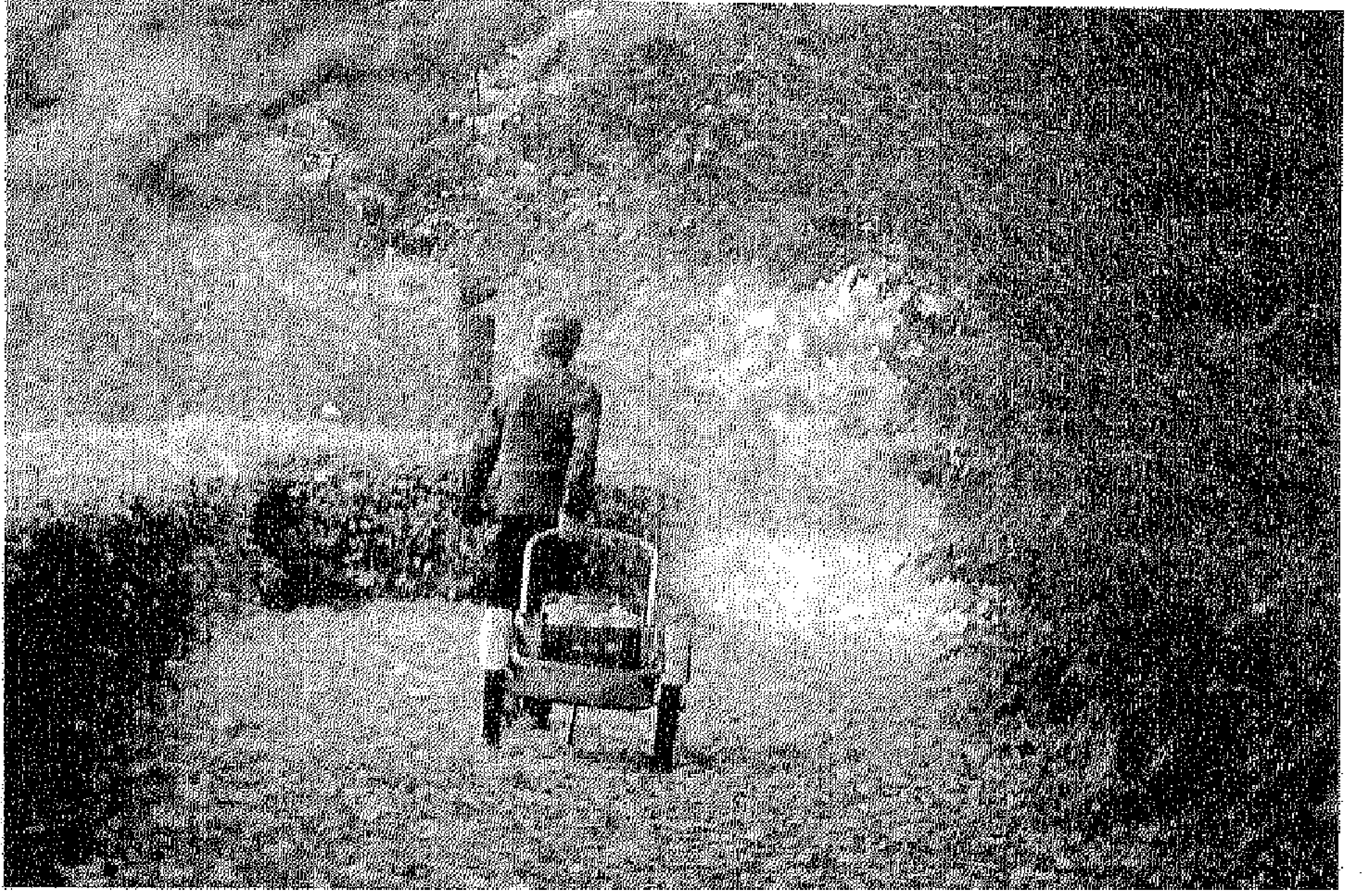
كانما الزمن توقف في بلدة فيلياندي الصغيرة وسط استونيا التي يعود تاريخها الى القرون الوسطى.



صغيرتان اخذتهما الموسيقى في دار للحضانة في موراستي التي تبعد ٢٠ كيلومترا غربا من تالين.

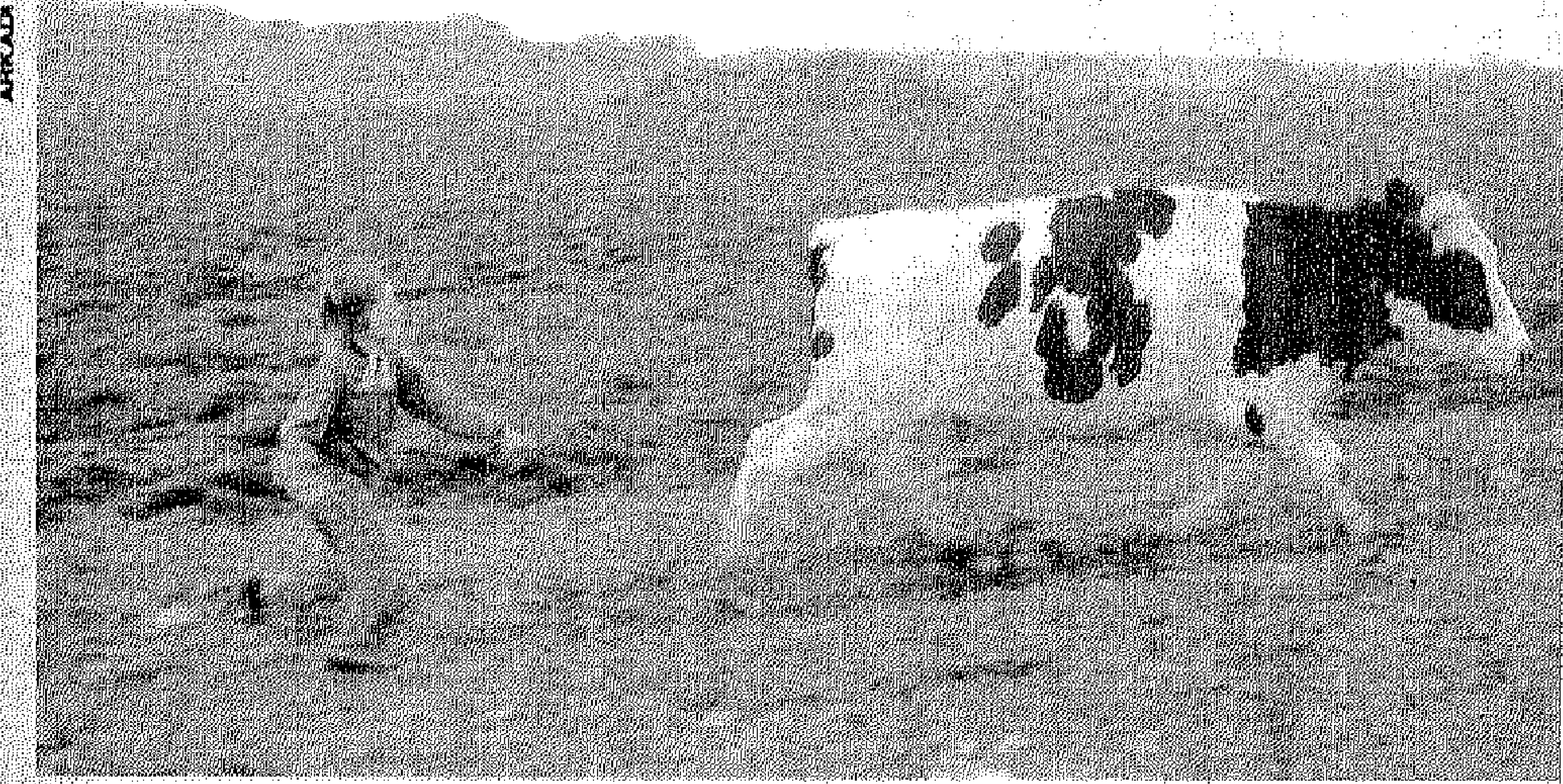


KABIHAN UTARBEKOV



بستان مغمور بالوان الخريف في اقليم هابسالو في غرب إستونيا. الملكية خاصة، ومحصول التفاح ممتاز.

ARKADI BARANOV



ابنة مزارع من اقليم رابلا. الارض ملك الدولة، ولكن قد يتسنى لهذه الفتاة، عندما تكبر، ان ترعى المواشي في ارض تملكها.

أضواء من عالم الطب

علاج للنخاع الشوكي

■ أفاد علماء أن العلاج بالعقاقير - مباشرة بعد الاصابة - يمكن أن يخفف الشلل أو أي عجز آخر لدى الاشخاص الذين منوا باصابات خطيرة في النخاع الشوكي.

ففي اختبار شمل ٤٨٧ مريضاً في عشرة مراكز طبية، وجد الباحثون أن جرعات كبيرة من الهورمـون الستيرويـدي "ميثيلبردنيسولون"* تخفف الشلل الى حد ملحوظ اذا أعطيت خلال الساعات الثماني التي تلي الاصابة.

ويُعتقد أن العقار قادر على الحد من التلف الاضافي الذي يمكن أن يصيب النخاع الشوكي، كما يبدو انه يمنع تلف الخلايا.

ويظهر أن هذا العقار غير مفيد اذا استعمل بعد مرور ثماني ساعات على الاصابة. وقد أتت النتائج ايجابية الى حدّ أن الباحثين أعلنوها، على غير عادة، قبل نشرها في مجلة طبية، لكي يشرع أطباء الطوارىء في استخدام العلاج بأسرع ما يمكن.

ويقول المشرف على الدراسة مايكل ب. براكن من كلية الطب في جامعة ييل إن هذا العلاج ليس شافياً لاصابات النخاع الشوكي، لكنّه يمنح املا بتخفيف آثار الاصابة على المدى الطويل. وقد يعني ذلك، مثلا، أن يتمكن المصاب من المشي بمساعدة سناد داعم أو عكازين بدل أن يمضي حياته في كرسي للمقعدين، أو أن يستعيد بعض وظائف يديه بدل أن يكون مشلولاً كلياً.

"نيويورك تايمز"

(*) Methylprednisolone

المراهقون وأمراض القلب

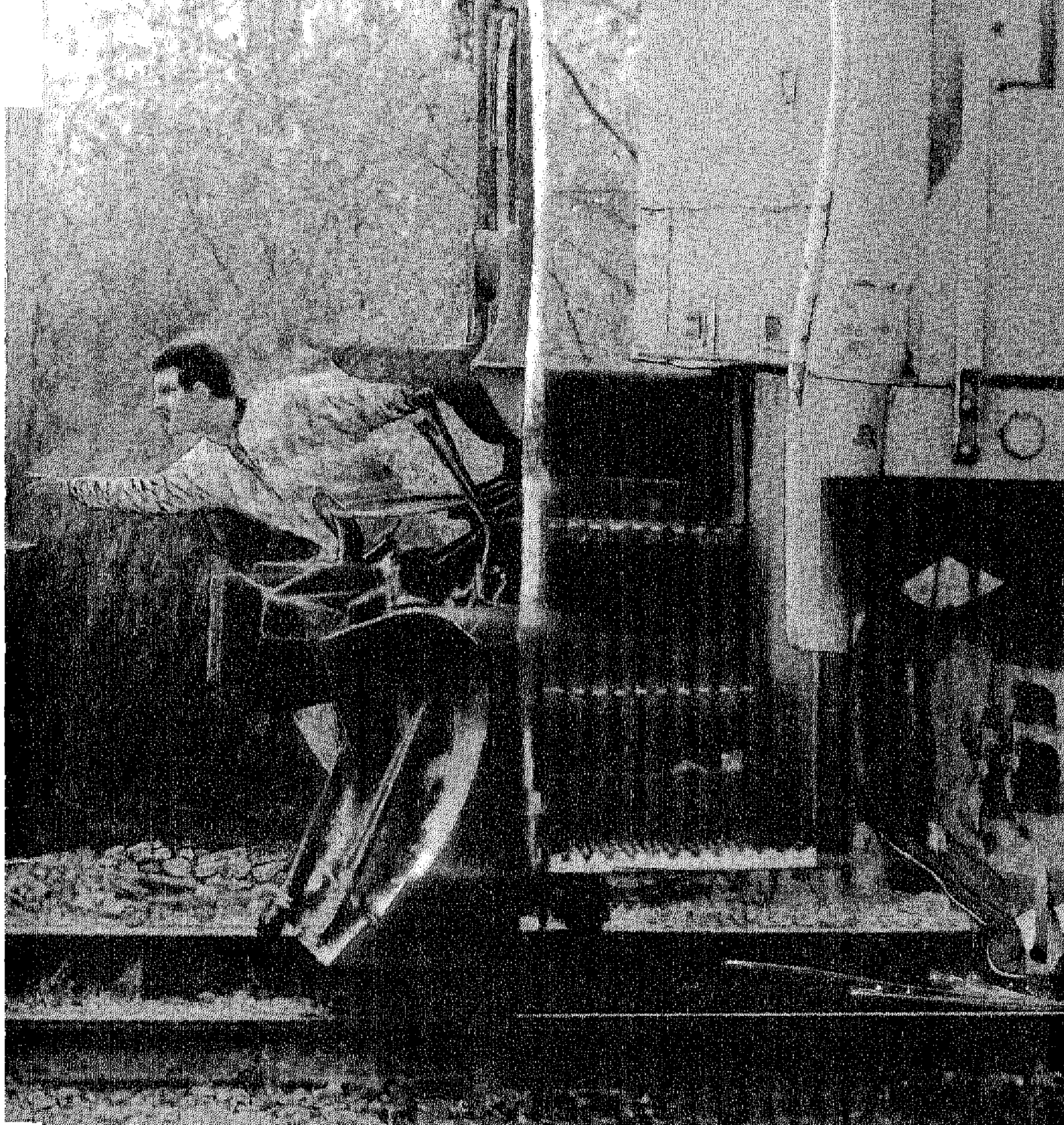
■ يبدو أن المراهقين المدخنين، او الذين ياكلون وجبات غنية بالدهون المشبعة والكولسترول، يواجهون خطر الاصابة بتصلب الشرايين الذي يواجهه البالغون المتصفون بهاتين العادتين.

وتظهر ابحاث جديدة علاقة قوية بين المستويات المرتفعة من الكولسترول في دم المراهقين والمراحل الاولى من تصلب الشـرايين، أي الانسـداد التدريجي للشرايين الذي يشكل السبب الرئيسي للنوبات القلبية والسكتات الدماغية (الفالج).

وتعمل ١٤ مؤسسة في أنحاء الولايات المتحدة على جمع معطيات علمية من تحاليل الدم والشرايين وسوى ذلك من المعلومات، من تشريح جثث نحو ١٨٠٠ شخص تراوح اعمارهم بين ١٥ و٣٤ عاماً توفوا نتيجة حوادث او أسباب عنيفة أخرى. وتشير النتائج الأولية الى انه كلما بكّر الشخص في التوقف عن التدخين والحفاظ على مستوى منخفض من الكولسترول في الدم، كان حظّه افضل في خفض خطر الاصابة بأمراض القلب في مرحلة لاحقة من حياته.

"وول ستريت جورنال"

دهم القطار الطفلين وهما يلعبان على قضبان
السكة الحديد، وتعذر كبحه
قبل وقوع الكارثة



مأساة واقعية

صراخ أطفال تحت قطار مسرع

بزغ صباح الاثنين مشرقاً جميلا في رامسي بولاية نيوجرزي أول مايو (أيار) ١٩٨٩. وانهمكت كايت بريتشارد (٣٠ عاماً) في نقل أكياس البقالة من صندوق السيارة الى داخل البيت. ثم سمعت صفارة قطار مقبل. وتمر القطارات على بعد أقل من مئة متر من فناء منزل آل بريتشارد الذي لا يفصله عن خط السكة سوى أجمة أشجار كثيفة. وكان طفلا كايت، تود وعمره ثلاثة أعوام ونصف عام وسكوت وعمره ١٨ شهراً، يلعبان في الدرب المؤدية الى البيت.

نادتهما: "إبقيا هناك. لا تبرحا مكانكما. سأدخل أكياس البقالة ثم نحضر طعام الغداء."

راقب تود أمه وهي تدخل البيت حاملة أكياساً، فخاطب أخاه الاصغر بلهجة حازمة طالباً منه أن يكون ولداً صالحاً.



ILLUSTRATION: DAVID LOEW

فرد سكوت الذي لم يشأ الخضوع لأمر أخيه، بتصويب سيارة من لعبه الى تود قائلاً: "كن أنت ولداً صالحاً."

أغلقت كايت باب الثلاجة وهرعت الى الخارج فاطمأنت الى أن الولدين يلعبان حيث كانا.

واذ همّت بنقل مزيد من الاكياس سمعت صوت قطار يمر بسرعة خلف ستار الأشجار، وقدرت أنه قطار ركاب سريع. فعادت الى البيت.

ولعلّ صوت القطار لفت انتباه الولدين الى خط السكة، فتغلغلا بين الاشجار وتسلقا حافة ترابية وركعا على الخط وراحا يلعبان.

شيء غريب! في ذلك الحين كان قطار شحن مقبلاً ببطء من الغرب في اتجاه الولدين. وأشار زر كهربائي الى أن قطار الركاب انعطف في سكة أخرى وأن في الامكان معاودة الانطلاق بالسرعة العادية أي ٦٥ كيلومتراً في الساعة. ففتح المهندس ريتش كامبانا صمام المِخنق وأطلق العنان للقطار، ثم التفت الى السائق أنطوني فالزو الجالس الى نافذة المراقبة اليسرى، وسأله: "أنطوني، ماذا ستعمل في عطلة نهاية الاسبوع؟"

كان أنطوني شاباً ربع القامة، قوي البنية، عمل على خط القطارات نحو نصف سنوات عمره الخمس والثلاثين. وهو رافق ريتش في رحلات عدة على خط سوفرن (نيويورك) وباترسن (نيوجرزي). وهو اعتاد رؤية الاولاد في أفنية المنازل يلوحون للقطار، فيرد لهم التحية دائماً.

وكان يعي خطورة مسؤوليته كسائق قطار، فبعدما ادار وجهه لحظة وابتسم لريتش كامبانا عاد ينظر الى الامام، وقال: "أوه، لا شيء يذكر. قد أذهب الى سهرة، ثم أشاهد التلفاز وآوي الى فراشي. فهل من شيء غير ذلك؟

قهقه كامبانا: "أنطوني! لا تجهد نفسك كثيراً!"

وضحكا معاً. كان أنطوني شاباً هادئاً دمثاً، وفي حداثته تملكته رغبة ملحة في العمل على قطر السكك الحديد. وشجعه اصدقاء والده الذين كانوا عمالا على الخطوط. وفي سنوات العشرين شعر بدافع قوي الى مساعدة الآخرين، فعمل ست سنوات شرطياً متطوعاً.

ظل الرجلان يضحكان فيما ازدادت سرعة القطار الى ٣٤ كيلومتراً في الساعة والحافلات التسع عشرة وراءهما تقرقع وتصرّ. ثم لمحا شيئاً على الخط الممتد امامهما. فتساءل ريتش: "ماذا هناك؟"

لم يجب أنطوني، لكنه راح يحدق محاولا تبين ذلك الشيء الغريب الشكل على الخط أمامهما. أهي علبة كرتون أم قطع ثياب بالية؟

فجأة عرف الرجلان ما هو. فلقم ريتش كابح الطوارئ وشد ذراع صفارة الهواء بكل قوته. وصاح أنطوني: "هناك أولاد على الخط!"

وكان أنطوني اختبر عدة حالات طارئة، خصوصاً خلال خدمته في سلك الشرطة. فوثب عبر باب القاطرة الى لوح ضيق على جانب القطار يعلو مترين عن العجلات،

وركض الى مقدم القاطرة المتمايلة، ونزل سلماً فولاذية ووقف على الدرجة الدنيا التي تعلو ٦٠ سنتيمتراً عن الطريق.

رأى الولدين الصغيرين بوضوح. كانا جالسين على جانب خط السكة، فلوح لهما بيديه صائحا باهتياج مسعور: "ابتعدا! ابتعدا!"

حسب في ذهنه سرعة إبطاء القطار، وفكر مذعوراً: لن نستطيع التوقف في الوقت المناسب!

كان تود وسكوت منهمكين في اللعب غافلين عما حولهما، فلم ينتبها للقطار الداهم. والتفت سكوت أخيراً حين أصبح الصوت راعداً، فرفع نظره وجمد رعباً.

أخذ القطار في الابطاء، لكن أنطوني أدرك انه لن يستطيع أن يسبقه ركضاً الى الولدين. فضبط نفسه ريثما يقترب منهما مسافة كافية ليثب ويمسك بهما. وما ان أصبحت شفرة جرّافة الثلج المثبتة في مقدم الحافلة على بعد ثلاثة أمتار من الولدين حتى قفز انطوني عن السلم فسقط على الحصى الى جانب خط السكة، وخطا خطوتين جبارتين أوصلتاه الى الولدين اللذين حدّقا اليه مشدوهين وقد اعترتهما الصدمة. جمع أنطوني قوته متحفزاً وارتمى عليهما.

تحت الشفرة. أيقظ عويل صفارة القطار كايت بريتشارد من غفلتها، فصرخت: "الاولاد!" ثم ركضت الى الخارج فلم تجد طفليها حيث كانا في درب البيت. وتذكرت خط السكة فهرعت اليه.

سقط أنطوني على تود فغطاه بجسمه، ومدّ يده الى سكوت ليسحبه عن الخط لكن القاطرة دهمته. فرأى شفرة جرّافة الثلج تصدم الصبي تحت ذقنه دافعة رأسه الى الوراء، ثم تمر فوق وجهه ملامسة جبينه الذي تفجّر منه الدم.

مرت عجلات القطار فوق سترة أنطوني فمزقتها. لكنه تمكن أخيراً من سحب سكوت الى تحته مع تود حامياً اياهما بجسده.

تبادر الى ذهن أنطوني: إنه ميت. فارتعد دافناً وجهه في الحصى وضاغطا بكل ثقله على الولدين، فيما الحافلات تمر فوقهم على بضعة سنتيمترات.

كان تود أول من شاهدته كايت لدى وصولها الى القطار المتوقف. وكان يتواثب باكياً ولا سبيل الى ضبطه. لكن كايت تبينت أنه غير مصاب بأذى، فضمته اليها وهي تبكي. ثم رأت رجلا هامداً تحت المقطورة الثالثة وجسده يغطي سكوت الذي بان رأسه مغشيا بالدم الاسود المتجمد. ركضت اليهما صائحة: "سكوت!"

تلوّى أنطوني ونظر اليها قائلا بصوت هادىء: "ايتها السيدة، اذهبي فورا الى البيت واطلبي الشرطة وسيارة اسعاف." لكن كايت مدت يدها لسحب طفلها كأنها لم تسمعه. فأعاد عليها أنطوني بصرامة: "أصغي جيداً ايتها السيدة! اذهبي بسرعة الى بيتك واطلبي الشرطة. واطلبي سيارة اسعاف للحضور حالا. اذهبي!"

هرعت كايت الى البيت واتصلت بالشرطة والاسعاف ثم بزوجها غاري.

كان أنطوني ما زال ممسكاً سكوت الصغير لدى وصول سيارة الشرطة. وعرف من بكائه انه ما زال حياً. لكنه ربما أصيب بأضرار داخلية قد يزيدها تحريكه. لذلك أصرّ على رجال الاسعاف ان يفحصوا الصبي بدقة قبل أن يرخي قبضته عنه. ومن العجب أن اصابة سكوت لم تكن خطرة، وخيط جرحه بـ١٣ قطبة.

كانت شفرة جرافة الثلج القاطعة تعلو عن الارض ٣٥ سنتيمتراً فقط. وسأل الصحافيون أنطوني لاحقاً هل تردد قبل المخاطرة بحياته. فأجاب: "كلا. جال في خاطري أن حياة كاملة تنتظر هذين الولدين، وما لم أفعل شيئاً فسيقضى عليهما. لم يكن هناك ما يثنيني عن عزمي."

وزار أنطوني آل بريتشارد. وهو يتذكر كيف طوق تود وسكوت بيديه ورفعهما: "استعدت في ذاكرتي لحظة حميتهما بجسدي تحت القطار. كان ذلك شعوراً غريباً ورائعاً، أن أضمهما ثانية."

منذ تلك الزيارة أصبح أنطوني كأنه أحد أفراد العائلة. وأقيم سياج واقٍ بين الحي السكني وخط السكة الحديد.

جاك مورفي ■



رحلة الى الهند

وصل زميل لي الى مطار دلهي في رحلة عمل الى الهند. فركب سيارة أجرة الى الفندق حيث استقبله مضيف هندي بالترحاب. وطلب سائق السيارة ما يعادل ثمانية دولارات أجرة. وبدا السعر معقولا لزميلي الذي ناول السائق المبلغ. لكن المضيف خطف الأوراق النقدية من يده ونهر السائق ناعتاً اياه بالطفيلي الحقير الذي يجلب العار على بلده بفرض أسعار اضافية على الزائرين. ورمى اليه نصف المبلغ قائلا له انه لا يريد أن يراه ثانية. واذ اقلعت سيارة الأجرة مسرعة أعاد المضيف الاوراق النقدية المتبقية الى زميلي سائلا اياه كيف كانت سفرته. فأجابه: "كانت جيدة... الى أن طردت سائق سيارة الأجرة وحقائبي في صندوقها."

د.ب.

زبون غير مستعجل

كان صالون الحلاقة يغص بالزبائن عندما فتح رجل الباب ومد رأسه سائلا: "كم علي أن انتظر؟" فأجابه الحلاق: "ساعة على الأقل." فدخل الزبون مبتهجا وجلس يقلب صفحات المجلات. وعندما حان دوره اعتذر اليه الحلاق لتأخيره، فرد الزبون بمرح: "لا داعي الى الاعتذار، فانا لست مستعجلا. زوجتي تريدني أن أجز عشب الحديقة اليوم."

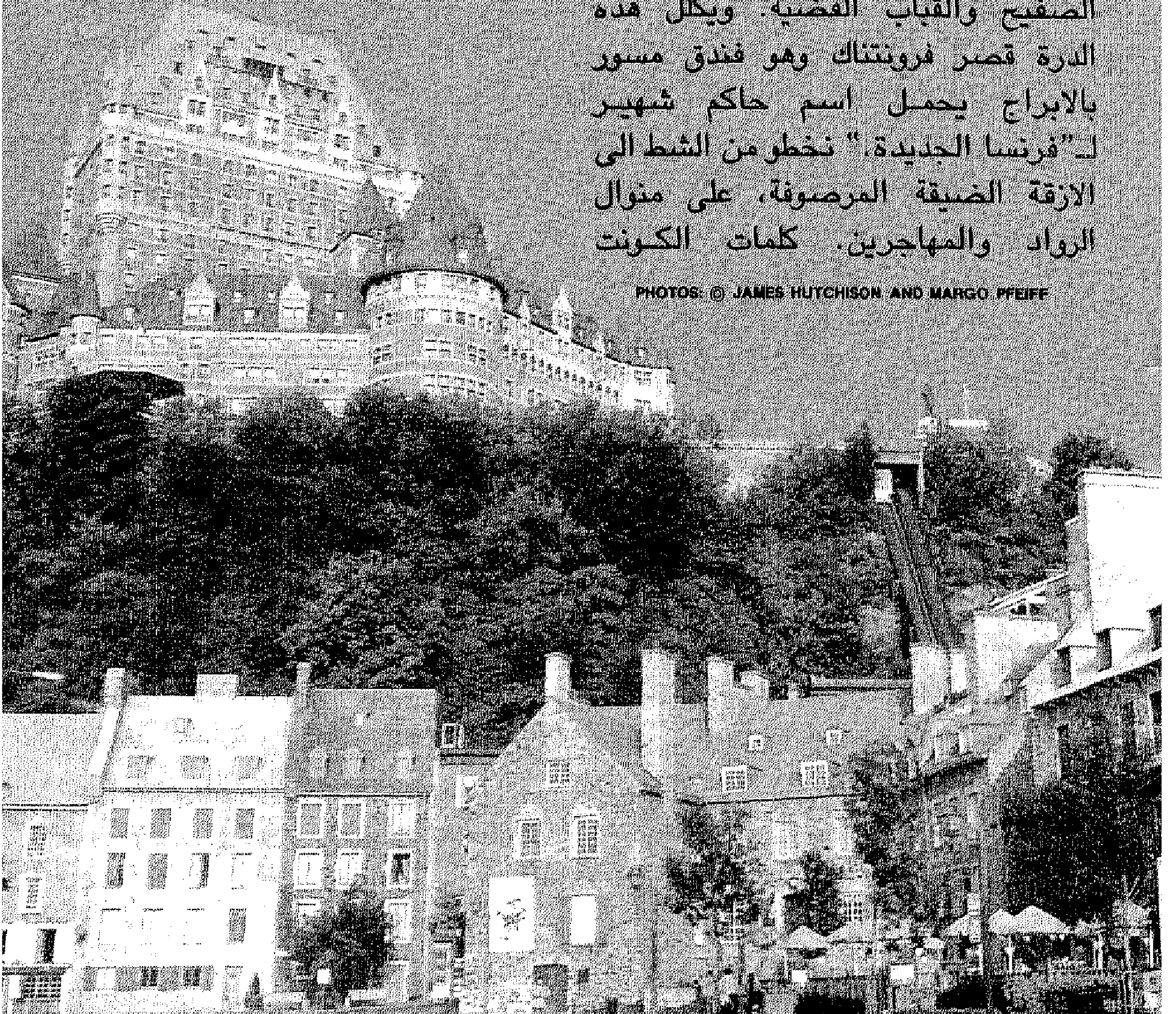
م.ن.

كيبيك الأجمل والأروع

مباهج الحياة في هذه المدينة تأتيك في الحر وفي القر

باخرة شحن تمخر نهر سان لوران عكس التيار، فتبدو المعدّية التي نقلتنا من ليفي قزمة أمام ضخامتها. وتنزاح الباخرة ببطء كاشفة الحجب عن المدينة التاريخية المنحوتة في الصخر. صفوف البيوت الحجرية ذوات السقوف المائلة تتلألأ على واجهة النهر وفي الأعالي، فوق قمة الجبل الداخل في الماء، تومض الاشعاعات الأخيرة للشمس على سقوف الصفيح والقباب الفضية. ويكلل هذه الدرة قصر فرونتناك وهو فندق مسور بالابراج يحمل اسم حاكم شهير لـ"فرنسا الجديدة." نخطو من الشط الى الازقة الضيقة المرصوفة، على منوال الرواد والمهاجرين. كلمات الكونت

PHOTOS: © JAMES HUTCHISON AND MARGO PFEIFF



دو فرونتناك مرنانة تفوح منها الحقيقة كما عندما كتبها عام ١٧٦٢: "في رأيي، ليس من بقعة أجمل ولا أروع من مدينة كيبيك."

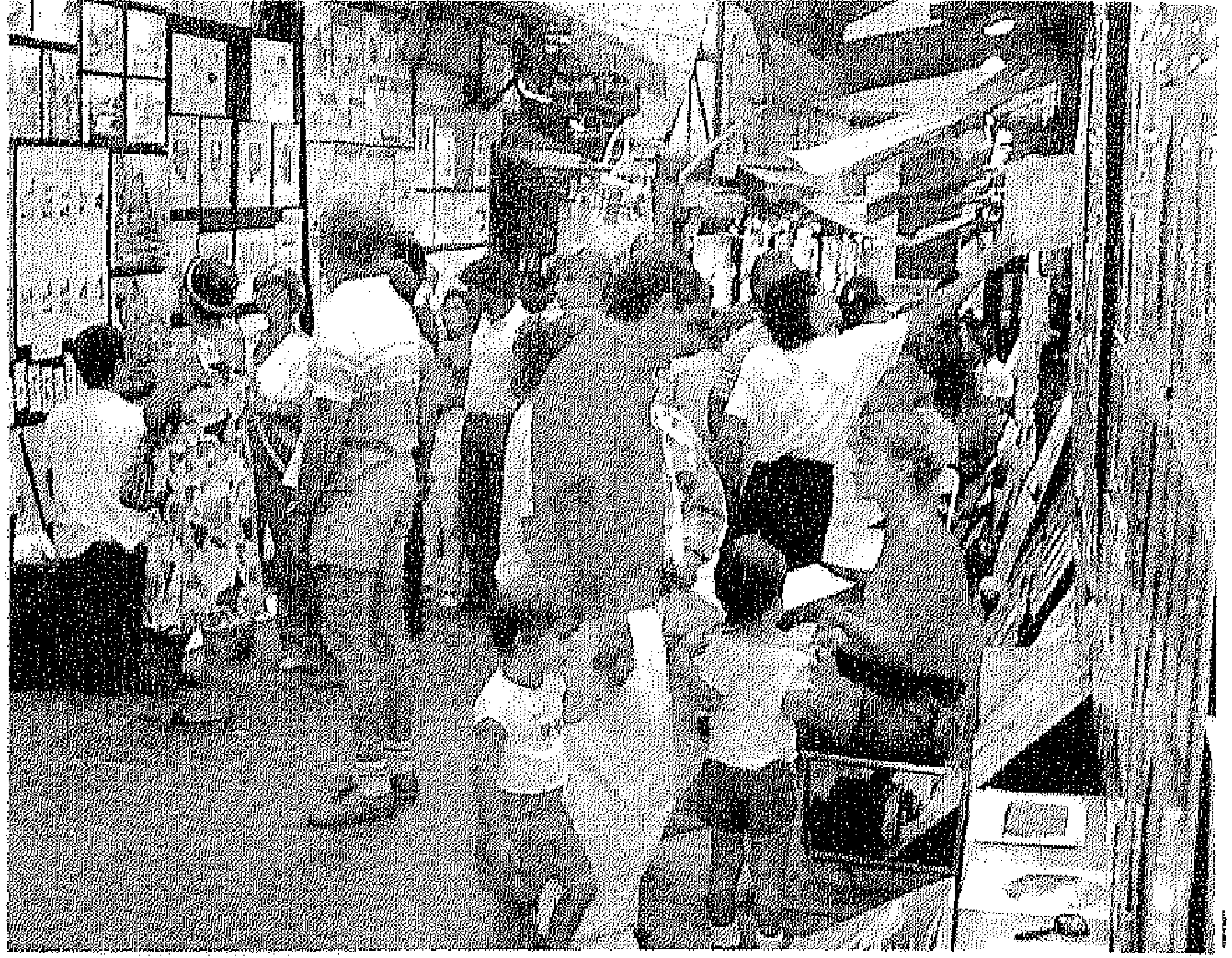
هاهنا أقام المستكشف صموئيل دو شانلان أول مستوطنة ثابتة لفرنسا في أمريكا الشمالية عام ١٦٠٨. لقد رأى في المرتفعات التي تقتحم نهر سان لوران حصنا طبيعيا. وكان الموقع بالغ الأهمية حتى ان المدينة التي بنيت في ما بعد، بل المقاطعة بأسرها، أخذتا اسمهما من كلمة "كيبيك" الألغونكية الهندية التي تعني "الموضع الذي يضيق عنده النهر." وازدهر الموقع فأصبح مركزا لتجارة الفراء وميناء، وتوسّع ليغطي الجرف الصخرية، فقامت المدن "العليا" و"السفلى" التي ظلت على حالها الى اليوم.

مدينة كيبيك وضواحيها موئل ٥٠٠ الف نسمة تعمل غالبيتهم في أبنية سامقة للمكاتب. في هذا المركز المديني يخفق قلبٌ عجوز قوي، كيبيك القديمة[1] أو الحي العتيق، وهي رقعة بمساحة كيلومتر مربع ينتشر فيها العبق الاوروبي المعتق عبر السنين، وتحف بها جدر ضخمة من الحجر الرملي. انها المدينة المسوَّرة الوحيدة شمال المكسيك. القيِّمون على كيبيك القديمة، وهم سكانها وعلماء الآثار ومهندسو العمارة والحرفيون فيها، ربحوا حربهم ضد الاهمال والدمار الذي أتى على الاحياء التاريخية في المدينة. وفي العام ١٩٨٥ أعلنت منظمة اليونسكو كيبيك القديمة موقعا تراثيا عالميا. وهي أول مدينة في أمريكا الشمالية تنال مثل هذا التكريم.

مهرجان الصيف. يقول عالم الآثار جورج ليهي الملقب "سيد الترميم" لما له من أياد في احياء عدد كبير من المباني التاريخية في المدينة التي تبلغ الفا وسبعمئة، "ليس في أي مدينة أخرى في امريكا الشمالية شوارع متغايرة من كل العصور." والفكرة التي يحملها المرء عن المتاحف التقليدية تذوي سريعاً، لدى أول نزهة في أزقة المدينة العليا. طاولات المقاهي وكراسيها مصفوفة على الأرصفة وملأى بالآكلين والشاربين الصابرين على حر الصيف الذي لا يدوم طويلاً. ونصل في الوقت المناسب لحضور "مهرجان كيبيك الصيفي الدولي"، فيتناهى الينا ايقاع الطبالين السنغاليين تردد صداه حيطان البيوت الحجرية وهي في أبهى حللها، تزينها علب الأزاهير والسلال المعلقة. وينبعث عويل أجش من أبواق في شارع سان لوي ينفخ فيها ثلاثة عازفي جاز على الرصيف. ويحرك عزفهم الازواج الراقصين فينسابون على الدروب ويوقفون حركة المرور.

في وقت لاحق على أنوار مصابيح الشوارع من الطراز الفيكتوري نؤدي طقسا خاصا بمدينة كيبيك. فنجول على مهل مكحلين البصر بمعروضات الكعك ولوائح الطعام المعلقة خارج المطاعم، وكلها مما يسيل له اللعاب. وتمر بنا

(١) Vieux Québec



تحف فنية وتذكارات معروضة في شارع تريزور.

عربات تجرها جياد، فيعبق الجو بالرومنطيقية عبقه بشذا الأطايب. بعد العشاء نتزاحم لشق طريقنا الى شارع تريزور الكثير الحركة، وهو زقاق يحاكي "ساحة تيرتر"[2] في باريس حيث يبيع الفنانون لوحاتهم ورسومهم. في عصر آخر كانت "ساحة العسكر"[3] المجاورة ترتج على وقع أقدام الجند، أما الليلة فثمة كوكبة من الفنانين الايمائيين يمثلون مشواراً في السيارة لجمهور من الاطفال الفاغري الاحداق والافواه.

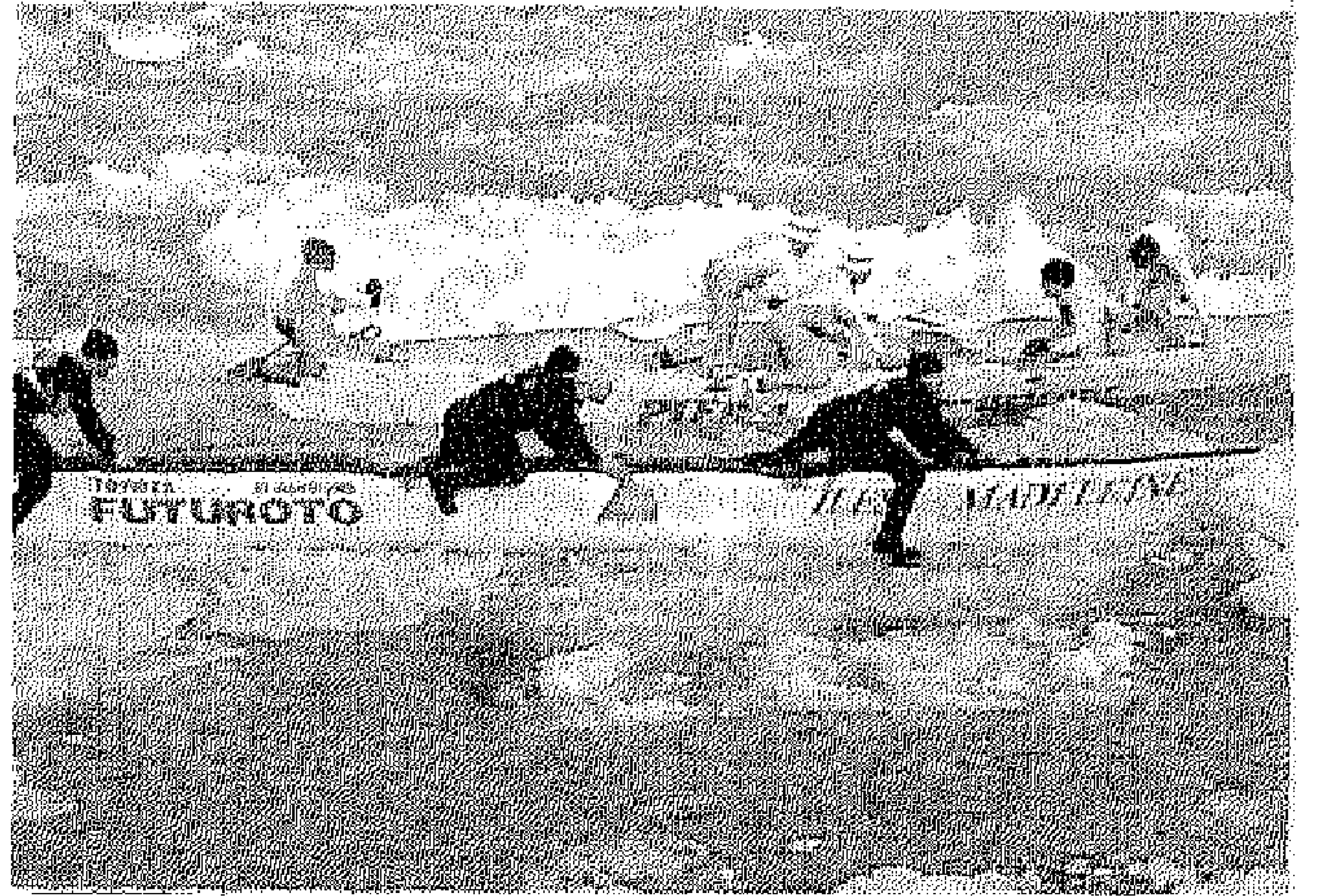
حوانيت التحف القديمة مصطفة على طول شارع سان بول، وعلى زاوية شارع سول – أو – ماتلو يعرض علينا حانوتي لوحة نحاسية منقوشة تمثل الموضع الذي صدّ فيه البريطانيون هجوم قوات الكولونيل بينيدكت آرنولد ليلة رأس السنة عام ١٧٧٥ في عاصفة ثلجية عاتية خلال حرب الاستقلال الامريكية.

وبغية زيادة معلوماتنا عن صراع آخر رسم أحد العهود وختم مصير "فرنسا الجديدة"، نزور صرح "أورسولين." نقرع الباب فتفتح لنا ماري – ايمانويل شابو. وتقودنا على أرض من صخر الاردواز أبلاها وطء أقدام لا تعد ولا تحصى مذ فتحت هذه المدرسة الاولى للفتيات في "فرنسا الجديدة" عام ١٦٤٢. في حجرة مقنطرة السقوف تفتح الأخت مصراعين خشبيين فتكشف مصطلى مسوّداً. وتظهر ست قنابل مدفعية راقدة في سكون. تقول ماري – ايمانويل: "هذه القذائف أمطرت الصرح أثناء الحصار الذي دام ثلاثة أشهر قبل معركة السهول." في صيف ١٧٥٩ قصفت القوات البريطانية كيبيك من ليفي. وتهمس شابو في آذاننا: "هنا دفن المركيز دو مونكالم بعد يوم من نشوب المعركة."

(٢) Place du tertre

(٣) Place d'Armes

هياكل عظمية. نقصد السهول صوب البقعة التي اجتاز فيها الجنرال جايمس ولف و٤٥٠٠ جندي بريطاني الخفراء الفرنسيين بخدعة بارعة في ليلة غير مقمرة من سبتمبر (أيلول) ١٧٥٩، ثم تسلقوا الهضاب. فوجيء مونكالم وجنوده، فهجموا من دون انتظار مدد، فحصدتهم البنادق البريطانية. واذ نظرنا الى الموضع حولنا حيث قضى مونكالم وولف وسقط ١٥٠٠ جندي بين قتيل وجريح في نحو ثلث ساعة، لم نرَ غير أجساد المستحمين بأشعة الشمس في



سباق القوارب وسط كتل الجليد في الكرنفال.

متنزه "ساحات الوغى" على المروج المنحدرة برفق.

نهبط درجات "سلّم دق الاعناق"[٤] وهي واحدة من ٢٨ سلماً تصل أعلى مدينة كيبيك بأسفلها. وأسفل المدينة منطقة مستودعات وبيوت وحوانيت مرممة، وهي تقع خارج الاسوار لكنها جزء من المنطقة التاريخية. وفي شارع "شانلان الصغير"، أحد أقدم الشوارع في أمريكا الشمالية، يدلل التجار على بضائعهم بلافتات خشبية منحوتة خارج دكاكينهم وحاناتهم الصغيرة.

وقرب "شانلان الصغير" ميدان "بلاس رويال" الذي يرقى الى القرن السابع عشر، تحف به بيوت حجرية رمادية. ونصل الى الجزء الواقع تحت "نوتردام دي فيكتوار" محدقين الى أساسات المساكن الاصلية في شانلان، تلك التي رفع عنها التراب. وتنبعث من أرجاء المدينة القديمة طرف من حكايا الايام الخوالي.

في شهر أغسطس (آب) ١٩٨٦ أماطت عالمة الآثار جيزيل بيبدالو اللثام عن ٥٠ هيكلا ممدودة في صفوف ضمن جُدُر المدينة التي تبلغ سماكتها ٢٠ متراً، وبعض أذرع الهياكل ما زالت مشبوكة على صدورها. تقول بيبدالو: "غالب الظن أنها هياكل المستعمرين البريطانيين والامريكيين، الذين أُسروا في أواسط القرن الثامن عشر. وقد قضوا من أمراض فتكت بهم كالاسقربوط (الحَفر) والسل والزحار."

وبدل التسلق الى القسم العلوي من المدينة، نركب عربة معلّقة (تلفريك) تأخذنا من داخل بيت لوي جولييه الذي استكشف نهر المسيسيبي ورسم خريطته عام ١٦٧٣، صعوداً الى "دوفران تيراس"[٥] وهو ممشى خشبي واسع مرزوز الى ذرى الجرف في ظل قصر فرونتناك. خارج أبواب القصر نلتقي الدليل دفيد مندل وننضم الى رهط من

(٤) L'Escalier Casse-Cou
(٥) Dufferin Terrace

التلاميذ في جولة على كيبيك القديمة. انه يوم صيفي منعش تمخر فيه المراكب الشراعية عباب النهر، فيصعب علينا ان نصدق رواية مندل: مرة على الاقل في كل شتاء تندفع معدِّية ليفي وسط الجليد في النهر صوب جزيرة أورليان، وتظل هناك بضع ساعات حتى تأتي كاسحة الجليد لنجدتها. ويثور في أذهاننا سؤال: ما الذي يحدث غير ذلك في هذه المدينة المرحة خلال فصل الشتاء الطويل؟

منحوتات في الجليد. بعد سبعة أشهر، في النقطة عينها، وقفنا نرقب المعدّية تراوغ أطواف الجليد. ونقفز على الارض علّنا ندفأ قليلا. كيبيك تشبه كعكة متلألئة تحف بها كتل جليد. اللافتات التي تحذر من "خطر! جليد!" بدت سخيفة أيام الصيف، لكنها اليوم انذار ذو شأن. ها هم العمال يتسلقون السلالم الزلقة الى السطح حاملين مطارقهم الخشبية لإزاحة كتل الجليد الضخمة.

"كرنفال كيبيك" هو الذي أعادنا في هذا اليوم المشمس من فبراير (شباط). ويدأب السكان مدة عشرة ايام على مراجعة ميازين الحرارة التي لا تتزحزح عن ٢٠ درجة مئوية تحت الصفر. قرب بوابة سان لوي تنصب قلعة وهاجة من الجمد على ارتفاع ٢٥ متراً، بارزة من بين الثلوج. وتنبثق من كتل الجليد أشكال حيتان وتنانين ودببة اذ ينغمس المتسابقون في المباراة الدولية للنحت في الثلج التي تقام سنويا.

ونلمح "رجل الثلج" الضخم رمز الكرنفال وسيد الاحتفال. وشاحه الأحمر وقلنسوته المحبوكة يهديان سلاماً الى رجال الشمال القساة.

في شارع "سانت تيريز" الهادىء ندلف الى قبو ليونيل فوشيه الملقب "تي بير" وهو قزم ظل ٣٤ عاما يقدم شراب "كاريبو" المدفىء.

أيام الكرنفال العشرة حافلة باللهو الشتوي: جياد بحدوات مسننة تعدو عبر نهر متجمد، قافزون فوق البراميل ينتعلون زلاجات، لابسو جزمات الثلج يتسابقون في السهول.

في يومنا الاخير هناك نعانق آلات التصوير الصقعة منتظرين على رصيف الميناء في "باسان لويز" بدء سباق القوارب لمسافة ثلاثة كيلومترات عبر نهر سان لوران المكتظ بالجليد الى ليفي ومنها. تنطلق القوارب وفي كل منها خمسة ملاحين بعد أن تفتح كاسحة الجليد ممراً. بعض القوارب يعلق في التيار السريع المفاجىء فيخرج من السباق. وبعد نصف ساعة يعبر القارب الفائز خط الوصول، وتنتابنا قشعريرة اذ يحتفل الملاحون بالفوز فيثبون الى الماء الجليدي.

أزف موعد الرحيل. المدينة الآن صديقة قديمة تضج بالحيوية، ولسوف نزورها بعد حين. كيبيك الثلجية في الكرنفال، وكيبيك الصيفية اللاهية، مترعة بحب الحياة. انها، كما قال تشارلز ديكنز عام ١٨٤٢، "مكان لا ينسى."

جايمس هاتشيسون
ومارغو بفايف ■

الهر والفأر

أمِل أن أشاركه في الصيد، لكن خيبته فيَّ كانت عظيمة

انسل هري "بس" في محاذاتي متحركاً مثل أسد يتربّص بفريسة، فأيقنت أن الفأر محكوم عليه بالهلاك. ولولا "خربشة" براثنه المسلولة على الأرض المكسوة بالموكيت[1] ونخير الالم الناجم عن التهاب مفاصله، لكان صمته مطبقاً.

وفيما هو يحشر الفأر الصغير في الزاوية، رماني بنظرة خلفية. فالتقت أعيننا وفهمت أمره تمام الفهم. فإذا أردت الحفاظ على أهليتي كحضن صالح للجلوس، فعليّ أن أمده بدعم فوري. لذلك أسرعت الى الخزانة حيث المكنسة والملقط.

إحدى عشرة سنة مرّت وأنا أتلقى الأوامر من هذا الهر. وهو، عندما ظهر للمرة الاولى أمام باب منزلي، لم يكن نموه



ILLUSTRATIONS: CAROLINE HOLMES-SMITH

اكتمل بعد. كان جاثماً على سطح سيارتي يعقد صداقات مع الصبية اللاعبين في ذلك الشارع المشمس بلندن.

كان من النوع المدعو "نادل لندن"[٢]: رداء أسود، صدر ومئزر وقفازان وجوربان كلّها بيضاء، وشاربان أبيضان في وجه حالك السواد. بدا فاتناً الى حدّ أن تعذر على الجميع مقاومة اغرائه، ما عداي. فأنا كنت أمضي معظم النهار خارج البيت وأعيش حياة سرعة لا تسمح لي بسكب الحليب في صحفة هرّ بانتظام.

ولكن عندما يأتي الهرّ المناسب يقف الفئران والناس ازاءه عاجزين. وهذا الهرّ اختارني أنا من بين جميع الناس في هذه الدنيا الواسعة، وكان دهاؤه رهيباً، فقد طردته من البيت ثلاث مرات، وفي كل مرة كان يتدبّر أمره بحيث يجد حلقة من الصبية المهتمين بأمره في انتظاره على الرصيف، فيتلقفونه ويواسونه ويقولون لي بصوت واحد: "إنه جائع." فيهتز ضميري لعيونهم المتسعة الحزينة.

رضخت موقتاً للابتزاز وأدخلته البيت لاقدم اليه صحفة حليب واحدة ريثما يعود الأولاد من مهمتهم الاستكشافية، اذ أرسلتهم للسؤال عما إذا فقد أحد سكان الحي هراً. وبدا الهر معتاداً الحياة الرغيدة السهلة، استنتجت ذلك من الطريقة التي دسّ بها أنفه في باب البراد. لا بد إذاً أن هناك في مكان ما انساناً مفجوعاً مولعاً بالهررة ينتظر عودته.

وسميته "بس" خشية أن تنشأ بيني وبينه - إن أنا اخترت له اسماً حميماً -



علاقة يصعب علي انهاؤها لاحقاً. وبعد مضي أسبوعين رأيت بطاقة معلقة على واجهة دكان موزع الصحف كتب عليها: "مفقود هرّ أسود وأبيض. صاحبه طفل."

ذلك المساء حملت "بس" بين ذراعي وقرعت الجرس. ففتحت الباب فتاة صغيرة تضمّ هراً أسود وأبيض الى صدرها.

قالت لي: "وجدته محبوساً في خزانة التهوئة."

وفي طريق العودة الى البيت استرجعت في ذهني صورة الهرّ الذي حملته الفتاة. بدا هرّاً منزلياً لا يلفت النظر ولا يضاهي هرّي الجميل في شيء.

هرّي؟

أخيراً نطقتها. وفي البيت جلست في كرسي مريح وتبادلنا نظرات فاحصة. وما لبث "بس" أن انقلب على ظهره طاوياً احدى أذنيه وغارزاً رأسه في السجّادة،

(١) الموكيت سجاد لاصق.
(٢) London Waiter

فانشدّت شفته الى أعلى كاشفة عن ناب حاد صغير، وانغلقت احدى عينيه الخضراوين فبدا كأنما على شفتيه ابتسامة ملتوية وفي عينيه غمزة شقية. ورمقني بنظرة هازئة من عينه المفتوحة، فأدركت أنه عفريت رائع متنكر في زي هر. فأسر لبي.

وبعدما حقق الصبية للهرّ مأربه انصرفوا الى ازعاج غيري من سكان الحي. وقد أصبح معظمهم الآن في سنّ الرشد، ولم يعد "بس" يخطر في بالهم.

أما أنا فكرّست له... ١١ سنة، نضربها في ٣٦٥ يوما... نضربها في ثلاث صحائف من الحليب يوميا كحد أدنى.. فيكون الحاصل ١٢٠٤٥ صحفة من الحليب. وذلك من دون حساب السنوات الكبيسة.

رياضي رابح. شاركني "بس" في سكنى ثلاثة منازل، إثنان منها في لندن والثالث في قرية ساحلية. وهو تقبّلها كلها بهدوء ورباطة جأش معتبراً اياها مقاطعات جديدة وهبت اليه. ولأنه هر رياضي، فلقد اخترع ألعاباً تحفظ اللياقة البدنية. إحدى هذه الالعاب سباق الحواجز، حيث الافضلية لي، فلا ينطلق هو في العدو إلا بعد أن أكون انا قطعت نصف المسافة، ثم لا يلبث أن يتجاوزني مسرعا.

ونمارس أيضا لعبة كرة المضرب على السلّم الخلفية. يقف هو على الدرجة العليا ويردّ كرة صغيرة خفيفة أقذفها في اتجاهه. وبعد كل خمس ردّات ناجحة يتوقف عن اللعب ليصقل ذنبه متجاهلا الكرة المقذوفة اليه. ولا بد من أن يشعر المرء بالبلاهة إن هو استمر في قذف الكرة الى الطبقة العليا ثم التسلق لاسترجاعها. لذلك كان "بس" يربح كل الجولات.

أما رياضته المفضلة فهي اليوغا. وفي بعض الاحيان أحاول أن أتذكر تمارين تعلمتها قبل سنوات من برنامج تلفزيوني،



فأرغم نفسي على الانحناء الى الامام من دون ثني الركبتين، لكي أمسك بكاحلي.

ويظهر "بس" فجأة، فيمرر رأسه على كاحلي ثم ينقلب ببطء رأساً على عقب ليستقرّ على ظهره، ويمطّ جسمه وقوائمه فيبدو كأن طوله متر. ولا يفصل بين أنفينا ونحن في ذلك الوضع سوى سنتيمترات، فيحدّق الواحد منا الى الآخر وقد اكتسى وجهانا تعبيراً غامضاً من تعابير اليوغا.

وحين أفرغ حوض الحمام يراقب "بس" المياه الآخذة في الانخفاض. وما ان ينحسر ارتفاعها الى خمسة سنتيمترات حتى يقفز الى الحوض ويحدّق منبهراً الى المصرف المقرقر.

وبعد أن يفرغ الحوض تماماً يجلس فيه وسط بخار الماء المتصاعد ويستحمّ طويلا.

يوصل "بس" أفكاراً عدة بكلمته الوحيدة: "مياو." فأنا أسمع فيها "مرحبا!" اذ يستقبلني لدى عودتي الى المنزل، و"إنتبه، انني هنا!" عندما يعتقد أنني سأدوس ذنبه، و"آخ!" عندما أقف فعلاً على ذيله، و"حذار!" عندما تكون مداعبتي خشنة (ويقولها عادة بصوت أجش وبنبرة حادة)، و"آخر من يصل الى الطبقة العليا مغفّل بطيء الخطى واهن القدمين." وهذه عادة "مياو" حادّة يطلقها بصوت صارخ من فوق كتفه اذ يقترب بخطواته الايقاعية من الدرجة العليا.

لكن اصطياد الفئران مهمة تنفَّذ بصمت وجدية كما في الادغال، وليس فيها مجال للضحك. وهو لا ينتظر مني



تأدية دور سوى الشريك الذي يسدّ على الفريسة باب الهرب في الطرف الآخر. لكن شريك "بس" في الحقيقة رجل غريب الاطوار يعارض إراقة الدم في الرياضة البدنية، ويسعى جاهداً الى التقاط الفأر ثم يطلقه في حقل بعيد.

القط والفأر. ها هو "بس" يطارد الفأر المسكين ليحبسه في الزاوية، وأنا واقف أنتظر وقد تسلّحت بمكنسة وملقط. ولأن ما من شيء سويّ في هذا البيت القديم، فقد تمكن الفأر من الاندساس في فجوة صغيرة بين الجدار وبساط الموكيت.

وببراعة مبتكرة مد "بس" قائمته وغرز مخلبه في زاوية البساط ثم رفعه كاشفاً مثلثاً كبيراً من الأرض. وردّ الفأر بالابتعاد عن الزاوية قطرياً مثل بيدق الفيل في الشطرنج.

هنا هرّ يرفع أمام وجهه مثلثاً من الموكيت بضلعين متساويين، وقمّة المثلث

في مستوى عينيه تماما. وهو يحتاج الى رؤية ما في الجهة المقابلة. ولكي يتسنى له ذلك يتعيّن عليه أن يتقدم خطوة الى الامام. لكنه اذا فعل فسوف يضغط الموكيت بقوائمه فيسقط من مخلبه ويغطي الأرض ثانية. انها حلقة مغلقة فعلاً. فلم يبقَ أمام "بس" سوى حل واحد هو الجلوس والاغتسال وانتظار التطورات. وهكذا، أفلت مثلث الموكيت وجلس مباشرة فوق النقطة التي وصل اليها الفأر. هل ذكرتُ أن الـهر يزن أكثر من ستة كيلوغرامات؟

أنا لست طبيبا، لكن الفأر بدا لي في حال سيئة جداً عندما أمسكته بالملقط. وتحت نظرات "بس" الغاضبة حملته الى أجمة نائية حيث تركته مستلقيا على جنبه يحرّك قوائمه بوهن. وأملت أن يسترد عافيته مع الوقت.

عندما عدت الى البيت رأيت أن لا بد لي من الاعتذار، فقلت: "آسف يا بس..." لكنه رفض الاستماع واجتازني باستعلاء وتكبّر وأطلق "مياو!" لا يمكن أن تحمل سوى معنى واحد هو: "أغرب عن وجهي!" وكان يهز ذنبه بعنف.

لقد عاد الآن. لكنني أدرك أنني فقدت الحظوة لديه. أعرف ذلك من طريقة جلوسه وقد أولاني ظهره رافضاً أن تلتقي عيناي عينيه. وأعرف من خبرتي المرّة أن استعلاءه هذا سيطول - حتى لحظة المصالحة عندما يسمعني افتح باب البراد.

جون أنيس ■



اليوم الطويل

عمل ابني في عطلة فصل الصيف مع شركة حفر وتنقيب. ووافق يومه الأول في العمل الحادي والعشرين من يونيو (حزيران)، أول أيام الصيف. وبعد العمل مدة ١٤ ساعة في الشمس الحارقة عاد الى البيت، وادار جهاز الراديو ليستمع الى الأخبار وهو يتناول طعام العشاء.

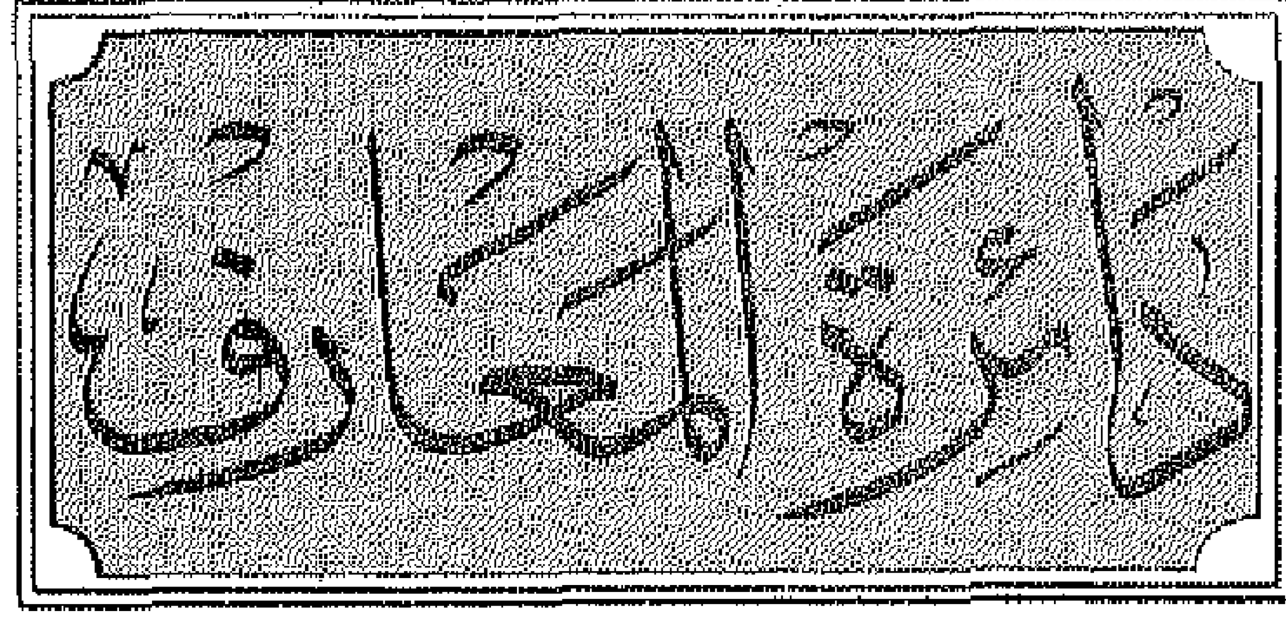
وعندما ذكر المذيع انقلاب الشمس الصيفي، توقف ابني عن الأكل وصاح: "لقد كان حقيقة" اليوم الاطول وأنا كنت أعتقد أنه تراءى لي كذلك!"

ك.و.

اعلان مفتوح

قرأت الاعلان الآتي على مدخل مطعم محلي: "نفتح كل يوم، حتى الأحد ظهراً ومساء... نقفل مساء الأربعاء وطوال يوم الخميس."

م.ل.



الاسم المؤنث علاماته ثلاث: التاء المربوطة نحو "عبلة"، والألف المقصورة نحو "نجوى" والالف الممدودة نحو "نجلاء".

هنا اسماء وصفات مؤنثة لا تنتهي باي من هذه العلامات. وقد وُضع أمام كل منها أربعة معانٍ، واحد منها صحيح. والمطلوب من القارئ أن يختار المعنى الذي يعتبره مناسباً، ثم يقلب الصفحة ليحصل على الاجوبة ويقيس مستواه.

١. **رؤوم**: راعية – عطوف – دائمة الرجاء – ناقمة.
٢. **خَوْد**: سمراء – زوجة – ابنة صغرى – شابة.
٣. **سافِر**: سليطة اللسان – قرعاء – كاشفة عن وجهها – دميمة.
٤. **مِذْكار**: والدة ذُكور – جدة – ثرثارة – قوية الذاكرة.
٥. **هَدِيّ**: غريبة – عروس – هادئة الطباع – ذات صوت جميل.
٦. **حَصان**: متكبرة – رشيقة القوام – عفيفة – سَكوت.
٧. **مُسْقِط**: ضعيفة – فاجرة – مطلّقة – التي تضع ولدها بغير تمام.
٨. **داجِن**: سمينة – أليفة البيوت – سوداء – وحيدة.
٩. **رَشوف**: طيبة الفم – نهمة – ناحلة – جميلة العينين.
١٠. **عَرُوب**: متحببة الى زوجها – لعوب – جذابة – طويلة الشعر.
١١. **عاطِل**: أرملة – كسول – خفيفة العقل – لا تضع حلياً.
١٢. **شَكور**: دامعة – باسمة – كثيرة الشكر – كريمة.
١٣. **بِكْر**: عزيزة – عذراء – مسنّة – طفلة.
١٤. **عانس**: كبيرة غير متزوجة – قاسية – معلمة – عنيدة.
١٥. **نَزُور**: بخيلة – متكتّمة – هزيلة – قليلة الولد.
١٦. **غِرّ**: حسناء – غيور – شابة لم تجرب الامور – مغرورة.
١٧. **عاقر**: مريضة – خرساء – لا تلد – ضامرة البطن.
١٨. **مَحْض**: طرية – فارغة – بيضاء – خالصة.
١٩. **وَقاح**: ذات وقاحة – نقية – خجول – مشرقة الوجه.
٢٠. **مِعْطار**: مؤنسة – كثيرة التعطر – لطيفة – كريهة الرائحة.
٢١. **أيِّم**: يتيمة الأم – وليّة – مرضعة – التي فقدت زوجها.
٢٢. **صَناع**: خادمة – متكلّفة – شبيهة – حاذقة في الصنعة.
٢٣. **مُتئِم**: التي تضع وليدين معا – عاشقة – متشكية – مملة.
٢٤. **مهراق**: مبذرة – باكية – كثيرة الضحك – وارثة.
٢٥. **لِطْلِط**: ثرثارة – عجوز كبيرة – سريعة – قصيرة.

الأجوبة الصحيحة

١. **الرؤوم**: العطوف. وفي المثل "ظئر رؤوم خير من أم سؤوم" أي ان المرضعة الاجنبية التي تعطف على رضيعها خير من الام التي تمل ولدها ولا تعتني به.
٢. **الخَوْد**: المرأة الشابة. جمعها خَوْدات وخُوْد.
٣. **السافر**: التي كشفت عن وجهها. كذلك الحاسر. والواضِع التي وضعت خمارها.
٤. **المِذْكار**: التي عادتها ولادة الذكور. المئناث: التي تلد الاناث.
٥. **الهَدِيّ**: العروس. و"العَرُوس" تقال للمرأة وللرجل، ويقال للمرأة أيضا العروسة دفعا للالتباس.
٦. **الحَصان**: المرأة العفيفة. أيضا: الدُرّة.
٧. **المُسْقِط**: التي تضع ولدها بغير تمام، فهو سِقْط. المِقْلات: التي لا يعيش لها ولد.
٨. **حمامة داجِن**: التي ألفت البيوت واستأنست.
٩. **الرَشُوف**: الطيبة الفم. الأنوف: الطيبة ريح الانف.
١٠. **العَرُوب**: المتحببة الى زوجها. أيضا: الضَحّاكة. وتقال أيضا للعاصية زوجها.
١١. **العاطِل والعُطُل**: المرأة التي لا تضع حليا. العَيْطَل: الطويلة العنق في حسن.
١٢. **الشَكُور**: الكثيرة الشكر.
١٣. **البِكْر**: العذراء. أيضا: أول مولود لأبويه، وهي للذكر والانثى.
١٤. **العانس**: التي كبرت في بيت أهلها ولم تتزوج. والرجل العانس هو الذي أسنّ ولم يتزوج.
١٥. **النَزُور**: القليلة الولد أو القليلة اللبن.
١٦. **الغِرّ**: الشابة التي لم تجرِّب الامور. وتستعمل للذكر ايضا، مثل: عبد قِنّ وأمة قِنّ.
١٧. **العاقر**: المرأة التي لا تلد. رجل عاقر: لا يولَد له ولد.
١٨. **المَحْض**: الخالص الذي لم يخالطه غيره، ويجوز فيه التذكير والتأنيث والتثنية والجمع. فيقال: عربي محض وعربية محض وعربيان محض وعرب محض.
١٩. **الوَقاح**: ذات الوقاحة.
٢٠. **المِعْطار**: الكثيرة التعطُّر. تعطَّرت البنت: أقامت عند أبويها ولم تتزوج.
٢١. **امرأة أيِّم**: فقدت زوجها. رجل أيِّم: فقد امرأته.
٢٢. **الصَناع**: الحاذقة في الصنعة الماهرة في عمل اليدين.
٢٣. **المُتْئِم**: التي تضع ولبدين في بطن واحد. ويقال لها "مِتْآم" اذا كان ذلك من عادتها.
٢٤. **المهراق**: الكثيرة الضحك.
٢٥. **اللِطلِط**: العجوز الكبيرة. والعَيْضَموز والحَيْزَبون كذلك.

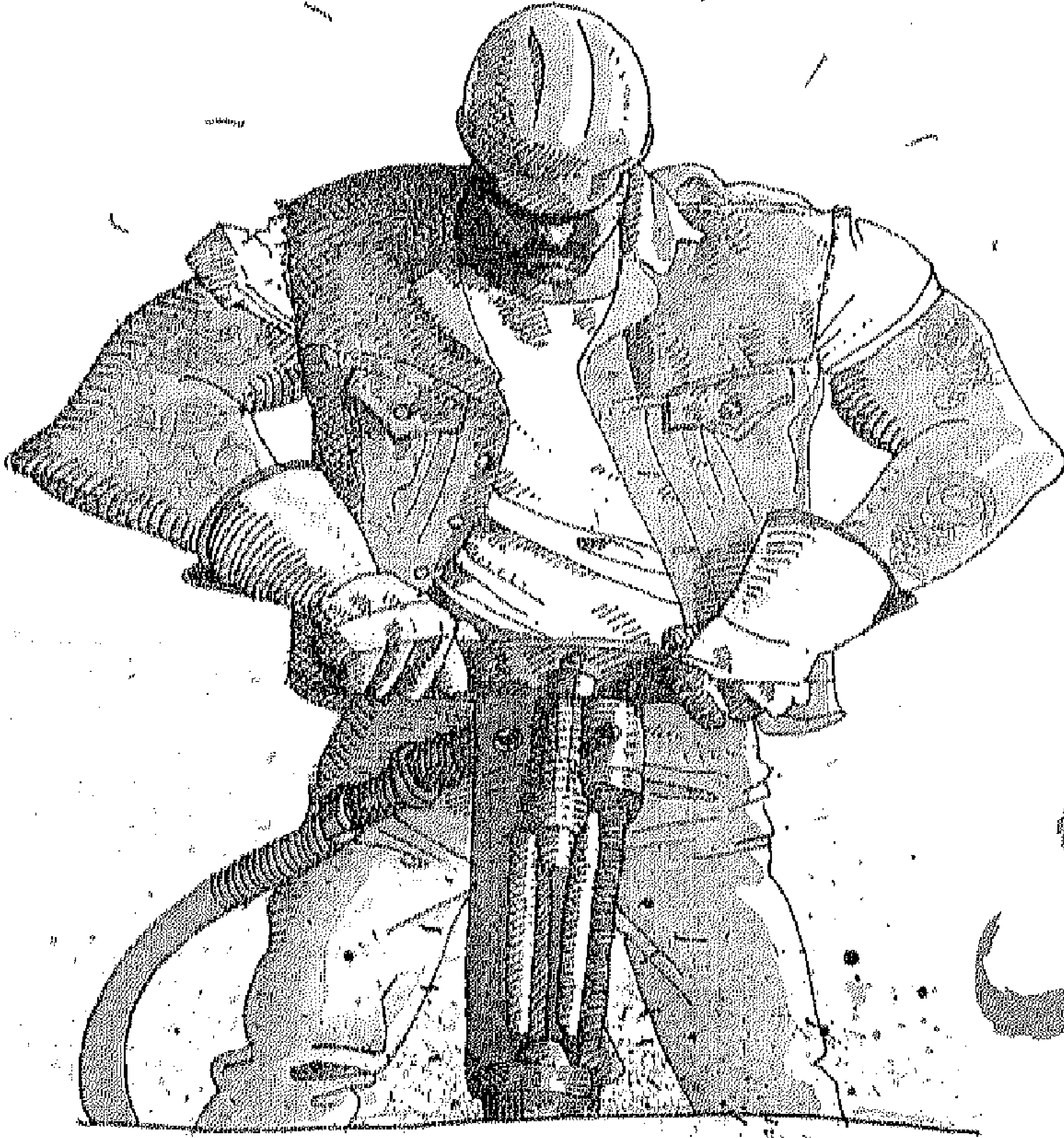
المستوى

٢١ - ٢٥: ممتاز

١٤ - ٢٠: جيد جداً

٩ - ١٣: مقبول

لا تكتمل الرجولة
الا بتفتيت الصخور



فخر الرّجال

صاح بي والدي وسط ضجيج مثاقيب البنائين الذين كانوا يحفرون الشارع أمام منزلنا: "إن تشغيل المثقاب يتطلب رجلا قوياً حقاً." وكان العمال ضخام الاجسام مفتولي العضلات أشداء لوحتهم الشمس، وقد وشموا أجسادهم برسوم مختلفة.

وكنت في العاشرة من عمري طويل القامة نحيف البنية دقيق العنق. وقد وضعت نظارة سميكة جداً بحيث تصلح لعكس أشعة الشمس وإشعال ضمة من أوراق الشجر الجافة.

واستحوذت علي فجأة فكرة أن أصبح رجلا قادراً على تشغيل مثقاب أدق به صدر الأرض وأحطم الصخور. واحتلت هذه الفكرة المرتبة الاولى في سلم أولوياتي الرجولية، ومنها السباحة في النهر عكس التيار، وكسر عظمة بيدي، ووضع قطعة نقد معدنية على خط السكة الحديد، والنوم على ضريح في منتصف الليل، والفوز في عراك، وطبع قبلة على فم فتاة.

مرت الأيام فأديت قسطي للعلى وأتممت كل هذه المتطلبات الاولية لبلوغ الرجولة، إنما على مر السنين لم يغب عن ذاكرتي أني بعيد عن الرجولة الحقة اذ لم يتسنَّ لي مرة تشغيل مثقاب. الى أن كان العام ١٩٨٨ حين بلغت الثانية والاربعين من عمري.

كنا اشترينا منزلا قديما يعود الى خمسين سنة خلت، رأيت فيه ميزات فريدة أقنعتني بأن لا مثيل له في العالم

ILLUSTRATIONS: JOE CIARDIELLO

كله. من هذه الميزات سقف واطىء ودرب خاصة واسعة. انما الميزة المدهشة حقاً فكانت "حزاما" من الاسمنت مطلياً بالأحمر يلتف نصف دائرة أمام المنزل، عرضه متران في بدايته أمام المدخل، ويستدق الى التلاشي على جانب المنزل. وكان الحزام في حاجة الى طلاء جديد.

سألت زوجتي: "لماذا نطلي شيئاً لا فائدة منه؟ انه سيبدو مزوّقاً بعيداً عن الأناقة."

ووافقتني زوجتي: "صحيح، انه سيبدو كقذى في العين."

فسألتها: "ماذا نعمل اذا؟"

ران للحظة سكون تام. توقفت الحشرات عن الازيز والطنين والصرصرة وصمتت الطيور. وخرست أجهزة الراديو والتلفاز والادوات المنزلية والدراجات ومحركات السيارات.

أجابت زوجتي: "تقول بات دويل ان في امكاننا ازالته."

وما ان نطقت بذلك حتى انحسر السكون الشامل وانطلقت الطيور والحشرات والأولاد والأدوات الكهربائية والمحركات في سيمفونية عالية.

قلت: "ان رأيها صائب. بات دويل هي أكثر الناس حكمة في جوارنا."

واقترحت زوجتي: "يمكننا استئجار احدى هذه الآلات التي تدعى مثقاباً، فنوفر المال باقتلاع الحزام بأنفسنا. ثم ان شعورنا بالرضى سيكون أكبر."

تسمّرت عيناي لدى ذكر كلمة "مثقاب" وأيقنت ان اللحظة الحاسمة أتت.

قلت: "ياه! مثقاب! يمكنني انجاز العمل في نهاية الاسبوع، فلدي عطلة ثلاثة أيام."

أخيراً سيتحقق حلمي فأصبح رجلا.

طلع فجر النهار الاول صافياً مشمساً حاراً. فقلت في نفسي: حسناً، أريده حاراً لانني أريد اختبار قوة احتمالي.

تناولت فطوراً شهياً وانتعلت حذاء العمل وسروال جينز تكسوه رقع ولطخات طلاء وقميصاً قطنياً وقبعة رياضية. وقدت شاحنتي الى محل استئجار المعدات حيث انتقيت أكبر المثاقب المتوافرة. وتبرع صاحب المحل بحمله معي الى الشاحنة. فقلت له شاكراً: "لا، لا أريد أن تبتل بالعرق."

كان المثقاب ثقيلا جداً. وتمكنت بعد جهد من رفعه عن الارض وحمله الى الشاحنة وقد التوى جسمي تحت ثقله.

ورحت ألعن نفسي بصمت وأنا أسند المثقاب الى الشاحنة. ثم أنزلت حافة الصندوق الخلفي وزحّفت المثقاب عليها ودفعته الى الصندوق وأقفلت عليه بعنف.

كان العرق ينصبّ مني كماء المطر عندما جلست الى المقود بعد كفاحي المضني. وكنت متيقناً أن الزبائن الآخرين في المحل كانوا يراقبونني ويهزون رؤوسهم رثاء لحالي. ودوّت نبضات قلبي في أذنيّ، وغلب علي شعور محبط بأنني اقترفت خطأ جسيماً بشراء هذه القطعة التي تقارب كلفتها أجرة رحلة سياحية لشخصين الى جزر الكاريبي. والى ذلك كله ساورني شك في قدرتي على تشغيل المثقاب.

سألتني زوجتي مبتهجة لدى وصولي الى البيت: "أهو ثقيل؟"

حملت المثقاب واسندته الى الجدار، وألقيت يدي على ركبتيّ وقد خانتني القوة للوقوف منتصباً.

فسألتها متهكماً بصوت راجف عال: "هل السماء زرقاء؟"

قالت وقد بان القلق على وجهها: "يا الهي! دعني أحضر لك شراباً مرطباً."

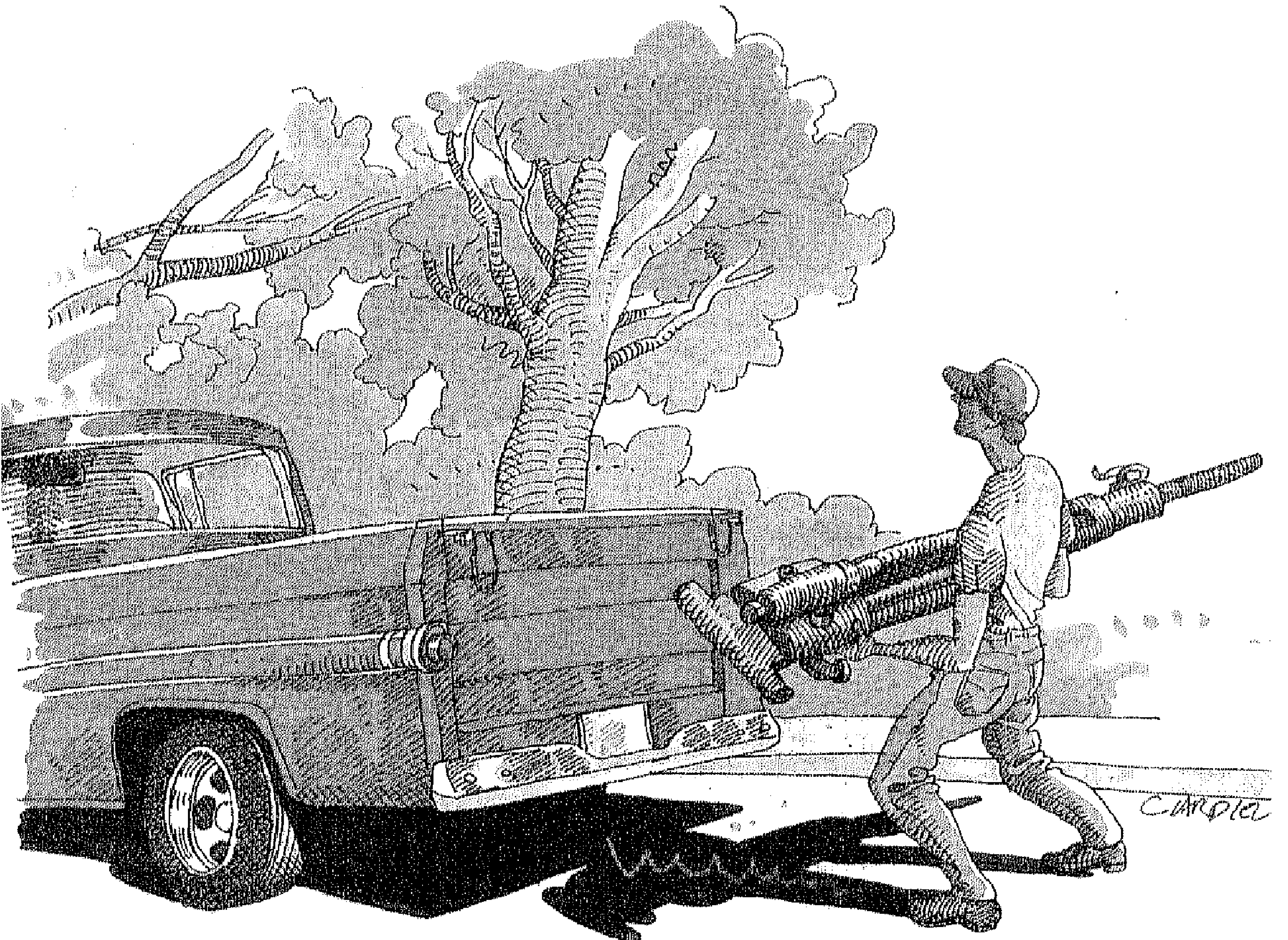
قلت بصوت صافر: "هل لديك قارورة أوكسيجين؟"

وما هي الا بضع لحظات حتى استعدت تنفسي الطبيعي وعادت الي قوتي. فربطت عصابة العرق على جبيني ولبست قفازي واندفعت الى العمل.

واذ راح المثقاب يتواثب ويشق صفحة الاسمنت، تنبعث منه قرقعة تملأ الجو وتصم الآذان، خف ثقله بين يدي وأدركت أني كفي له وأنني قادر على ذلك بالعمل. فيا لفرحتي! وتصورتني نموذجاً لثاقب صخور.

علت وجهي ابتسامة عريضة لثقتي بنفسي. وحفرت بسرعة سلسلة من الثقوب لاضعاف الاسمنت تمهيداً لتفتيته واقتلاع قطعه بمعول. وكان بنّاء صديق أخبرني أن سماكة الاسمنت تبلغ ثمانية سنتيمترات.

لم يكن هذا الخبر صحيحاً، ففي بعض الاماكن بلغت السماكة ٤٥ سنتيمتراً كافية لاستقبال طائرات "جمبو."



واصلت الثقب، وكان العمل بطيئاً مملاً معرقاً. وغطى الغبار حذائي وسروالي الجينز، وسلطت عليّ الشمس أشعتها المحرقة.

قرابة العاشرة صباحا خطر لي أني اذا دفعت المثقاب في خط مستقيم وحُلْت دون تمعجه واهتزازه فقد تزداد سرعته في الحفر. وحدث ذلك فعلا. لكن منعي لُقْمة المثقاب من الاهتزاز أدى الى انغرازها في الاسمنت وامتناعها عن الافلات.

عاهدت نفسي على الاّ أسمح لعينيّ بسكب الدموع. فشرعت في هز المثقاب من جانب الى آخر وركله ودفعه وضربه من دون جدوى. أخيراً عثرت على مطرقة ضخمة رحت أدق بها الاسمنت الى أن تمكنت من تحرير المثقاب.

بانقضاء النهار نجحت في حفر ٤٢١٦ ثقباً بعمق ٤٥ سنتيمتراً. وفي المقابل، نقص وزني أربعة كيلوغرامات وفقدت سمعي وإحساسي بيديّ وقدرتي على رفع أي شيء يزيد على وزن جريدة.

صباح اليوم الثاني ذهبت وزوجتي في نزهة قصيرة بالشاحنة. وكنت قررت ألا أعمل اليوم لأني تلاشيت فعلا. وفي طريق العودة قالت لي زوجتي: "أراك غارقا في التفكير على غير عادتك يا عزيزي."

نظرت اليها.

فتابعت: "لماذا لا ترتاح اليوم؟ فأمامك غداً نهار طويل لاكمال عملك."

قلت: "أرى أن أعمل قليلا اليوم فيكون العمل غداً أكثر متعة. انما أريد منك خدمة صغيرة."

قالت بلهفة: "أطلب يا عزيزي."

قلت: "هلاّ ساعدتني في فك يديّ عن المقود؟"

وعدت الى ثقب الاسمنت الصلب الذي يحتمل سقوط قنبلة ذرية.

ارتفعت الحرارة الى ٣٩ درجة مئوية. وأكملت حفر الثقوب الأساسية ورحت أعالج الفسحات بينها. وبدأ الاسمنت يتكسر، فأدنيت الشاحنة ورحت أرفع الشرائح اليها.

عند غياب الشمس امتلأت الشاحنة بقطع الاسمنت المحطمة. فأقفلت باب الصندوق وجررت نفسي داخل المنزل المكيّف الهواء ونعمت بحمام منعش ثم أويت الى فراشي منهاراً.

في التاسعة صباح اليوم التالي بدا الطقس حاراً. فاستويت في مقعد القيادة وتوجهت بالشاحنة الى مرمى الحجار والاتربة حيث استقبلتني سيدة لطيفة قالت لي عبر مكبر للصوت: "صباح الخير!"

أجبت: "صباح الخير، لدي حمولة أود تفريغها عندكم." قلت ذلك بلهجة مرحة مزهواً برجولتي.

قالت: "عليك أن تدفع رسما يا سيدي." سألت مندهشاً: "كم علي أن أدفع؟"

فردت: "ذلك يتوقف على ثقل الحمولة. أرجع الشاحنة الى الميزان."

بلغ وزن الركام طناً ونصف طن. ولم أتوقع الرسم المرتفع الذي فرض علي دفعه. فقلت لها: "أنا لا أحمل عادة هذا المبلغ الكبير نقداً. فهل أحرر لك شيكاً؟"

أجابت: "بالتأكيد."

ناولتني قلماً. وحررت الشيك بيد مرتجفة بعد ثلاثة أيام من العمل الشاق. فتعرج خطي كأنه تخطيط لقلب مريض. لكن السيدة لم تعترض عليه.

قالت: "شكراً، أتمنى لك نهاراً سعيداً".

فهتفت بحماسة مصطنعة: "أوه، سأعود قريبا."

لقد اكتمل العمل. وستكون له ذكرى أطيب حين تستعيد يداي قوتهما.

وسألتني زوجتي ذات مساء ونحن جالسان في أريكة نستعيد ذكرى مشروعنا الصغير: "كم بلغت كلفة المشروع يا عزيزي؟"

تحاشيت الصراحة فأجبتها: "لن تعرفي ذلك أبداً. لا يجوز ان تعرفي ذلك أبداً."

فأصرَّت: "إنني جادة، هل كلف كثيراً؟"

أجبت: "لنقل إننا وفرنا مالا بالعمل بأنفسنا."

أضافت: "فضلا عن الـ..."

فأكملت: "... الشعور بالرضى."

ساد بيننا صمت لبضع لحظات، ثم انطلقت من فمي كلمات لم أصدق أنني أتفوه بها: "هل تعلمين؟ درب بيتنا واسعة جداً. وأؤكد لك أن في امكاني اقتلاع نصفها في ساعتين."

في تلك اللحظة عرفت أني لم أعد رجلا فحسب، بل أصبحت اخيراً رجل مثقاب.

جون كارنن ■



مرارة الأمانة

غمرني شعور بالارتياح والامتنان عندما ناداني سائق سيارة الأجرة التي كنت غادرتها قائلا لي ان محفظتي ما زالت على المقعد الخلفي. فعرضت عليه مكافأة مالية، لكنه رفضها شاكراً وقال: "هل لي أن أزعجك بطلب واحد؟ أريد أن أعرف كم في محفظتك من مال." وعندما اعلمته بالمبلغ سجله في دفتر ملاحظات وقال: "اني أحفظ سجلا بما تكلفني أمانتي."

ب.ا.

زوج وبيانو

قال رجل للطبيب النفساني: "لا أدري ما أفعل، فزوجتي تظن أنها بيانو."

فرد الطبيب: "اذاً، خذ لها موعداً وأحضرها لكي أعاينها."

فسأله الرجل متعجّباً: "هل فقدت صوابك يا دكتور؟ ألا تعلم كم يكلف نقل بيانو في هذه الأيام؟"

ا.س.

"نَوادي الفتيَان" تفتح أبوَاب لمستقبل

مراكز ثقافية ورياضية تمنح الجانحين والمحرومين فرصاً لحياة أفضل



أقلقت موجة الجرائم المتعاظمة الاهالي في مشروع «بلاكهوك كورتس» السكني في روكفورد بولاية ايلينوي، مما حدا معظم الأمهات على منع أولادهن من اللعب خارجاً بعد حلول الظلام. وتوصل بعضهن الى منع أولادهن من الذهاب الى المدرسة. وحرصت إحداهن، كيم بيلر، على مرافقة ابنها الصغير تشارلز يومياً كي تتأكد من وصوله سالماً الى المدرسة.

في هذه الحال لم يجد الصبية مكاناً يذهبون اليه أو نشاطاً يمارسونه، لأن الأحداث المراهقين استحوذوا على المركز الاجتماعي هناك. إزاء ذلك طلب المستأجرون الغاضبون حلاً سريعاً.

PHOTOS: (TOP) © DICK DIETRICH; (BOTTOM) © MARIO MERCADO

وتساءلت مفوضة الإسكان كلارنس فوت: "لِم لا نطلب من نادي الفتيان[١] تأسيس فرع له داخل المشروع؟"

قبل رئيس "نادي الفتيان" في روكفورد التحدي، فأقفل المركز الاجتماعي لإجراء التعديلات اللازمة. ولمّا فُتح "نادي الفتيان" الجديد تولى موظفون فيه مراقبة موقف السيارات لإبعاد المشاغبين، وسيَّروا دوريات في أرجاء المشروع وظفوا لها متطوعين راشدين، كما زاروا العائلات ليتأكدوا من علمها بالنشاطات المتوافرة التي شملت الرياضة والفنون والحرف اليدوية والرقص.

وجاءت النتائج مثيرة، اذ انكفأ مروجو المخدرات وانخفضت نسبة الجريمة وازداد الحضور في المدرسة، ولم تعد كيم بيلر قلقة على سلامة ابنها. وهي تقول: "نادي الفتيان غيَّر الأمور."

متنفس للطاقات. منذ افتتاح النادي الاول في بلدة هارتفورد (كونيتيكت) عام ١٨٦٠، أدت "ذ

في خدمة الأولاد في كل مكان. ووزير الاسكان والإنماء المديني جاك كمب واحد من نتاج هذه النوادي. كذلك قائد مكافحة المخدرات وليم بنيت وزعيم الاكثرية في مجلس الشيوخ الأمريكي جورج ميتشل، ولاعب كرة القدم أو. ج. سمبسون والمغني جون دنفر والنجم التلفزيوني بيل كوسبي.

ومن المقر العام في مدينة نيويورك تدير "رابطة نوادي الفتيان" نحو ١٢٠٠ فرع تضم ٨٩٢ ألف عضو تراوح أعمارهم بين ستة أعوام و١٩ عاماً (نسبة الفتيات ٢٣ في المئة). ورسم العضوية نحو ستة دولارات سنوياً.

امتداداً من غرينتش (كونيتيكت) الوافرة الغنى الى ايست سانت لويس (ايلينوي) المدقعة الفقر، تؤمِّن نوادي الفتيان والفتيات أمكنة يجد فيها الأولاد متنفساً لطاقاتهم، فيمارسون الألعاب الرياضية ويحضرون فروضهم المدرسية بمساعدة أساتذة ويتعلمون الرسم أو التصوير.



PHOTO: MARIO MERCADO

وفي مدينة تامبا من أعمال فلوريدا قُدِّمت نورما غويرا ابنة أحد العمال المهاجرين الى النادي على أنها "مسببة مشاكل." وهي رفضت الحضور في البداية لظنها أن النادي هو "للاطفال." ثم اكتشفت في نفسها قدرة على مساعدة الأطفال في تحضير فروضهم المدرسية. ومكافأة لها على ما قدمته من مساعدة أمَّن لها النادي منحة للدراسة الجامعية.

ما إن تَدخُل أحد النوادي حتى تسمع صياح الأولاد وهم يتراكضون في ملعب لكرة السلة. ولكن إن تنعم النظر ترَ حقيقة ما يجري:

معالجة جنوح الأحداث ومكافحة الجريمة. كانت العصابات تعيث فساداً في مدينة إل مونتي بكاليفورنيا، فاقترح المدير التنفيذي لنادي الفتيان كلاي هولوبيتر حلا يقضي بتأمين وظائف لفتيان العصابات. فوافقت الشرطة على إجراء التجربة، واستجابت الشركات وساهم هولوبيتر شخصياً في تدبير أعمال لعشرات المراهقين.

وأدى هذا الاجراء الى خفض معدل الجريمة في المدينة بحيث لم تسجل في العام الماضي (١٩٨٩) سوى جريمة واحدة مرتبطة بالعصابات. يقول رودولف دياز رئيس محكمة ريو هوندو: "لا تزال العصابات مهيمنة على البلدات والمدن المجاورة، خلافا للحال في إل مونتي."

تأهيل الأولاد لعالم الأعمال. منذ ١٩٨٥ ساهمت برامج النوادي في حفز المراهقين على تأسيس أعمال ناجحة. ففي بوفور (ساوث كارولينا) يقطف أعضاء النادي ثمار الجوز ويبيعونها. وفي نيوارك (نيوجرزي) يستثمر جاندون سابقون مطعما سموه "جرزي مايك" يقدم شطائر ضخمة أطلقوا عليها أسماء مثل "كورتسي" (كياسة) و"أونستي" (أمانة) و"دليجانس" (اجتهاد)[٢] وهي أسماء تعكس القيم التي يحاول هؤلاء ممارستها.

ومن أجل اثارة اهتمام الاولاد بمهن مستقبلية، تنظم لهم النوادي جولات ميدانية. ففي لانسنغ (ميشيغن) يتحدث أعضاء النادي الى ربابنة الطائرات في المطارات المحلية ويراقبون عمال الميكانيك ومراقبي الحركة الجوية أثناء عملهم. وفي بيلنغز (مونتانا) يتعلمون كيف يصبحون مذيعين مجازين بممارسة العمل كمنظمي أغانٍ ومحررين ومبرمجين في محطة اذاعية محلية. وقد تولى "نادي الفتيان" تغطية الاحتفالات التي جرت في بيلنغز صيف ١٩٨٩ لمناسبة العيد المئوي لولاية مونتانا. وعندما ابدى العضو تود غرين (١٢ عاما) رغبة في مهنة الطب، يسَّر له النادي العمل مع الجراح أتريك لوبز. يقول تود: "بعدما شاهدت عملية جراحية عن كثب عقدت العزم على أن أصبح جرَّاح قلب."

مكافحة المخدرات. ثمة برنامج خاص لارشاد اليافعين الى طرق مقاومة الضغوط التي تنتهي نزوعا الى الفساد

(٢) Courtesy, Honesty, Diligence

وتعاطي المخدرات والكحول، وذلك عملا بالنظرية القائلة إن سلوك الأولاد منحى الانغماس في الملذات وتعريض صحتهم للخطر يقلّ إن هم شعروا بأنهم موضع تقدير واهتمام.

رافق مرشدون من نادي هنتنغتن (وست فرجينيا) ٣٠ مراهقا الى أحد المنتجعات لقضاء عطلة نهاية الأسبوع. وفي الطريق اعترفت احدى الفتيات بأنها كانت تتعاطى المخدرات، لكنها توقفت عنها بفضل ما تعلمته عن أضرارها. ثم تطوعت لمساعدة صديقة تتعاطى المخدرات وحضتها على طلب المساعدة. يقول المدير التنفيذي دالاس تكر: "يتطلب ذلك كثيراً من الشجاعة، وإني لراض تماما عن البرنامج."

تعزيز التحصيل العلمي. عندما "أضرب" الاساتذة عن التعليم عام ١٩٨٩ في مدينة ووترتاون (مساتشوستس) نظم النادي صفوفا دراسية وقدم الى التلاميذ وجبات ساخنة. وعلى أحد جدران نادي "ويلر" في انديانابوليس عُلِّقت لوحة نقش عليها: "لن يجدي أي من أسرار النجاح ما لم تجدّوا انتم." ويقدم النادي الى الاعضاء المستحقين منحاً دراسية تمكنهم من الالتحاق بالجامعات.

وأمّنت نوادي الفتيان والفتيات في مدينة تامبا أجهزة كمبيوتر في أربعة مواقع من المدينة، أُلقمت برامج تساعد في دراسة الرياضيات واللغة. ولا يسمح للأعضاء بالاشتراك في نشاطات النادي الرياضية ما لم يكملوا فروضهم المدرسية ويحضروا حصة الكمبيوتر. يقول مدرب كرة القدم بوبي ويلدن: "كان الأمر اختياريا في السابق، أما الآن فأسمع الاولاد يقولون: "حضرة المدرب، لدي درس كمبيوتر وسأتأخر ١٥ دقيقة."

تعزيز الروابط العائلية. يقول رئيس نادي تامبا غلن برموي: "عندما كنت عضواً في النادي قبل ثلاثين سنة كان معظم الاولاد ينتمون الى عائلات تقليدية من والدين اثنين، يعمل فيها الأب وتبقى الام في المنزل. أما اليوم فيعمل كلا الوالدين، وفي حالات كثيرة يعيش الطفل مع أحد والديه الذي يكون عاملا أو معتاشا من الانعاش الاجتماعي." والى ذلك، يضيف ريك ميلر مدير نوادي فينكس، "كثيرون من الوالدين لا يهتمون على نحو واع ومباشر بحياة أولادهم المدرسية والشخصية. وكل ما يعنيهم هو نموهم الجسدي."

ولكن بفضل إشراك الوالدين في برامج أولادهم، باتت نوادي الفتيان والفتيات باعثا على تقوية الروابط العائلية. ففي المنطقة الجنوبية الوسطى من لوس أنجلس، الموبوءة بالمخدرات والعنف، يتبرع الآباء والأمهات بأربع ساعات من وقتهم شهريا للمساعدة في أعمال نادي "تشالنجر" للفتيان والفتيات. يقول مدير العمليات كارل ريد: "يعيش معظم الأولاد مع أحد الوالدين في المنزل. فماذا يحصل عندما تشارك الأم في نشاطات ابنها أو ابنتها؟ يحصل

تقارب بين الأم وولدها ويتحسن بالتالي وضع البيت.

المساهمة في إحياء المجتمع. عندما تسير في بعض شوارع نيوارك تطالعك أكوام القمامة والجدران المكسوة بالشعارات وواجهات المتاجر المكتظة بالبضائع. في هذه المدينة يعيش ثلث الأهالي في فقر مدقع، ويُولد خُمس الأطفال لأمهات مراهقات وسط استشراء آفتي المخدرات والجريمة. ولكن خلف هذه الاحصاءات المروعة تنشط آمال لافتة.

ذات يوم جلس ١٥ صبياً وفتاة في الثامنة والتاسعة من العمر في احدى غرف الدراسة بنادي "سنترال ورد" يصغون الى شرح معلمتهم إليانور غاتلنغ للقيم والأخلاق: "أنتم جزء من نظام الشرف في المدرسة. فإن ضبتم تسرقون أو تغشون، فماذا يحصل؟"

أجاب الأولاد بصوت واحد: "نُطرد من المدرسة."

— وإن كنتم في امتحان وأراد أحد الاصدقاء الاطلاع على أجوبتكم، فماذا تفعلون؟

"نرفض."

— والآن اتلوا قَسَم التأهب.

فنهض التلاميذ ورددوا معاً: "أقسم أن أبذل قصارى جهدي لأكون الأفضل. وأن أفعل وسعي كي أستحق أن أقول إني متأهب وإني في طريقي الى الفلاح."

الى هؤلاء هناك ٤٠٠ ولد مسجلون في "برنامج التأهب" الذي يؤمن الارشاد المدرسي المكثف للتلاميذ المستحقين ويستهدف تأهيلهم الى المساهمة في إحياء مجتمعاتهم. يقتضي هذا البرنامج تمضية أربع ساعات أسبوعيا في النادي خلال فصول الدراسة (وخمسة نهارات كاملة في الاسبوع في الصيف) لممارسة مفاهيم معينة بينها دروس في الأخلاق والقيم وإدارة الأعمال والسلوك الاجتماعي وقواعد الانكليزية.

فإن نجحوا وأنهوا المرحلة الثانوية تُلحقهم "مؤسسة التأهب" بالجامعات وتقدم اليهم بعد أربع سنوات اسهماً في شركات تملكها.

ويدعم هذه المؤسسة راي تشامبرز وهو رجل أعمال وافر الثراء نشأ في نيوارك وأحب أن يعبر لأهلها عن عرفانه بالجميل. وذات يوم من ١٩٨٥ اتصل بالرئيس التنفيذي لنوادي الفتيان في نيوارك وقال له: "إن تيسر لك مبلغ كبير من المال، فهل تستطيع إرساء قواعد برنامج يرفع من شأن الأولاد ويضعهم في ركب الحياة؟"

تقول باتريشيا بريانت التي انضمت ابنتها لازا (١٠ أعوام) الى البرنامج قبل ثلاث سنوات وأصبحت اليوم من المتفوقين دراسياً: "من الصعب الكف عن الثناء على هذه المؤسسة لما فعلته من أجلنا."

"الفضل لجميلة." طفل يحتاج الى مساعدة، وراشد يكرس وقته لمساعدته على تنمية قدراته الكاملة. هذه علاقة شخصية بالغة الأثر.

في العام ١٩٨٣ كان أنطوني أريلانس (١٠ أعوام) يتعاطى المخدرات. وقبض عليه لتسببه في أضرار بقيمة ٥٠٠٠ دولار خلال زيارته نادي "غابل" للفتيان والفتيات في فينكس حيث أقدم على عمل تخريبي متعمد. وهو قال لاحقا: "ألقيت قنبلة دخانية في المرحاض ثم خربت المكان وهربت."

وواجهته مديرة الفرع جميلة بورصلي، فأنكر أنطوني علاقته بالحادث. لكنها أصرت على اتهامه قائلة: "نحن نعرف تماما أنك الفاعل. ولك أن تختار بين الانضمام الى النادي والحضور إليه يوميا، ودخول السجن."

في اليوم التالي حضر أنطوني الى النادي غير هياب. بيد أن جميلة شعرت بأن في حناياه "صوتا صارخا يطلب المساعدة." فقد توفي والده بعد إصابته بجروح وهو يحاول الهرب من السجن. أما والدته فكانت تعمل ١٤ ساعة في اليوم بحيث لم يتسنَّ لها وقت كاف للعناية بأولادها الثلاثة.

حددت جميلة الشروط، وأولها إلزام أنطوني العمل ساعات تعادل ما ضيَّعه أعضاء النادي من وقت بسبب "مزحته" الثقيلة.

يقول أنطوني: "لم احب النادي أبدا، وكرهت جميلة." ولكن حيَّره أنها لا تبادله الكراهية.

واستقام أنطوني تدريجا، وأبدى رغبة في العمل المسرحي فانضم الى فريق النادي الذي أتاح له التمثيل في عملين. وبعد فترة تلقت جميلة مكالمة من وكيل يطلب فتيانا لاعلان تجاري. فشارك أنطوني في الاعلان وكسب ٣٠٠ دولار.

وأخذ يشارك في نشاطات النادي ممارسا البيسبول (كرة القاعدة) وكرة السلة، الى أن انتخب قائدا للفريقين. ثم انضم الى فريق تنظيم الحفلات الخطابية ودعي الى إلقاء خطبة في الحفلة السنوية لاتحاد كرة القدم في غرين باي. وانتخب رئيسا لـ"نادي القادة" ثم نال منحة دراسية كاملة للالتحاق بكلية بروفي وهي واحدة من أكثر المؤسسات التربوية صرامة في الولاية.

وفي العام ١٩٨٩ منحته نوادي الفتيان والفتيات في فينكس لقب "فتى السنة." وبعد شهر نال اللقب ذاته من الولاية. وفي سبتمبر (ايلول) ١٩٨٩ قابل الرئيس الأمريكي جورج بوش بصفته "رجل السنة" في منطقة الباسيفيك.

وقد عقد أنطوني العزم على الالتحاق بجامعة نوتردام لدراسة المحاماة. فهل الفضل في ذلك كله لجميلة التي سددت خطاه؟ يقول مبتسما: "بالتأكيد. لم أدرك سابقا أني الفتى الذي هو أنا. جميلة أدركت ما لم أدركه، كذلك أعضاء النادي. ولولاهم جميعا لما حققت ما حققته من نجاح."

تريفور أرمبرستر ■

لماذا يعتبر أولادنا نصيحتنا غبيّة الى ان تاتيهم من احد اصدقائهم؟

د.ل.

كتاب الشهر

المهرب الكبير

بقلم
لورنس إليوت

المهرّب الكبير

تميز ستانلي إسر بحضور لافت. فهو طويل القامة، بهيّ الطلعة، أنيق، وأب لولدين، يتكلّم تسع لغات ويقطن في حي راقٍ في بلدة هولندية صغيرة.



لكن إسر عاش خارج حدود القانون، اذ كان أكبر تجار الحشيشة في أوروبا، يدير شبكة من الشركاء والممونين تمتد من أمريكا الجنوبية الى باكستان. وهو نعم بحياة مترفة لعجز الشرطة عن اثبات خرقه القانون، الى أن أتى يوم تعرّف الى عميل سرّي شجاع وعنيد يدعى جاك شورت. وعندما حانت الفرصة المناسبة، نجحت جهود شورت ورفقائه في الايقاع باسر.

الجمعة ٢١ نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٨٦. لقد شارفت المحاكمة نهايتها بعدما دامت يومين، وهو وقت طويل في الاعراف الهولندية. لم تشهد بلدة ألكمار في شمال هولندا عرضا يضاهي تلك المحاكمة، اذ عجت القاعة بالحاضرين وتنوّع الشهود من عملاء في المديرية الامريكية لمكافحة المخدرات الى أفراد كبار وصغار في منظمات الاجرام الدولية. وضجت الشهادات بأسماء مطاعم ذائعة الشهرة ومخبرين سريين وتقارير تنصّت على المكالمات الهاتفية وصفقات مخدرات بملايين الدولارات.

المدعى عليه ستانلي إسر مهرّب حشيشة عاش حياة مترفة معتمداً على دخله من تجارة المخدر. وهو لا ينكر ذلك، اذ قال لي يوماً: "أنا ألبي حاجة ماسة، وسوف يدرك متهميَّ يوماً أن جل ما فعلته هو توفير المتعة للناس."

الجميع يحبّ إسر الذي يدعوه أصدقاؤه كارلوس، فهو حسن الطباع صريح ومعروف في معظم مقاهي أمستردام وحاناتها. ويبدو كأنه بعيد عن متناول العدالة. وحتى الآن، وهو ماثل للمحاكمة لابساً سترته الزرقاء الفاخرة، يعلم الجميع أنه لن يلبث أن يغادر السجن بعد سنة في سيارته المرسيدس الفخمة اذا لم تثبت عليه تهمة غير تجارة الحشيشة. فهكذا هي الحال في هولندا. ويصل مبيع إسر من الحشيشة فقط الى أربعين طناً في السنة، تدر عليه ما بين ٦٠ و٧٠ مليون غيلدر هولندي (بين ٣١ و٣٧ مليون دولار).

لكن التهم الموجهة الى الرجل أخطر من تلك بكثير. وهو محتجز منذ اعتقاله قبل ١١ شهراً، ولم يطلق بكفالة. وأخطر التهم الموجهة اليه محاولة تصدير ١٠٠ كيلوغرام من الهيروين الى الولايات المتحدة، وهي ربما بحجم أكبر كمية من الهيروين صودرت في تلك البلاد. ويدعو النائب العام إسر "مدير شبكة دولية للمخدرات" ويذكّر المحكمة بالارباح الطائلة لتلك التجارة.

النائب العام إدوارد ف. بوينو شاب يضفي عليه الرداء الاسود التقليدي ملامح الجدّ. وتلفتك في صوته نبرة ملحة إذ يسرد استنتاجاته عاكساً ادراكاً مفاجئاً بأن ساعة الحقيقة دقت.

فهذه القضية حدث فاصل. فللايقاع بالمتهم تعاونت السلطات الهولندية في مقاطعة ألكمار مع الامريكيين للمرة الاولى وعلى نطاق واسع. فهل يسمح القضاة بذلك، أم سيعتبرون الاجراءات الامريكية في مكافحة المخدرات - كاعتماد العملاء السريين مثلاً - انتهاكاً للمفاهيم القانونية الهولندية؟ هذا ما سيرضي كثيرين في هولندا يؤكدون أن هناك ما هو أسوأ من الحشيشة ويعتبرون أن اختيار الناس تعاطي ذلك المخدر أمر لا يعني السلطات.

ووقفت محامية الدفاع، وهي شابة هيفاء اسمها أديل فان در بلاس، وقارعت حجة النائب العام منطلقة من أن استخدام عميل أمريكي سرّي للتسلل الى منظمة إسر يتعارض والعرف القانوني الهولندي، وطالبت باسقاط تهمة الاتجار بالهيروين كلياً لأن "السيد جاك شورت احتال على موكلي وجرّه وأوقع به."

نظرتُ عبر القاعة الى جاك شورت، وكان جالساً يتصفح بعض الاوراق. إنه رجل ناحل هادئ في عقده الخامس، شعره بني مائل الى الاحمرار وعيناه زرقاوان. ولا يوحي شكله أنه عميل لمديرية مكافحة المخدرات ولا أنه مروّج مخدّرات خطير كما ادّعى.

وقد قال لي إسر: "لم أفاجأ يوماً كما فوجئت لدى اكتشافي أن جاك شرطي."

وأضاف أنه يتفهم قيام شورت بواجبه ولا يضمر له شراً. لكن شورت يشك في هذا الكلام. فبينما كان يدلي بشهادته في جلسة سابقة لمح رجلاً ضخم الجثة جالساً في

الصف الخلفي. وكلما نظر اليه كان الرجل يجمع قبضته تحت أذنه اليسرى ويمد ابهامه ويمررها على رقبته. وهذه اشارة لا تقتضي تفسيراً.

وسرعان ما أعلن رئيس القضاة أن الحكم سيقرر بروية ثم يعلن بعد أسبوعين. لكنه سأل المدّعى عليه هل يريد أن يقول شيئاً قبل رفع الجلسة.

وقف ستانلي إسر بثقة، وهو طويل القامة قوي البنية ذو لحية قصيرة أنيقة وبشرة سمراء. لم ينكر تهمة تجارة الحشيشة الموجهة اليه، وهو غير آسف فهذه طريقته في العيش. وأضاف: "أنا نادم فقط لأني لم أمضِ في طريقي عندما بدأ جاك شورت الكلام على الكوكايين والهيروويين."

واعتبر إسر المحاكمة عادلة، وأعلن استعداده لقبول قرار المحكمة. لكنه ألمح الى ان النائب العام ربما بالغ في اتهاماته، وأضاف: "حاولت تصدير الحشيشة، وهو الآن يحاول تصديري."

حتى بوينو ابتسم لسماع ذلك.

إسر: "قبل سنوات كانت أمي تجبرني على غسل فمي بماء مالح عندما أكذب. وما زلت أكذب من حين الى آخر. ومن يعلم؟ ربما نجحت هذه الطريقة مع النائب العام. ولو أنّ أمي في قاعة المحكمة اليوم، لنصحته بتجربتها."

وتلفّت إسر حوله مزهواً لكسبه عطف مزيد من الحضور. ثم غادر قاعة المحكمة ملوحاً بيده لاصدقائه وهو يتبع شرطياً الى زنزانته.

مخبر سري

تعيِّن المديرية الامريكية لمكافحة المخدرات عملاء لها في السفارات الامريكية لدى الدول التي تعاني مشاكل تتعلق بالمخدرات وبتصدير هذه المواد الى الولايات المتحدة. ويعمل هؤلاء بالتنسيق مع الدول المضيفة عبر تبادل المعلومات والتعاون بين رجال المباحث متى دعت الحاجة. وقد مضى على وجودهم في هولندا أكثر من عشر سنين. وعندما عُيِّن باتريك مولر هناك في ربيع ١٩٨٤ بات واحداً من أربعة أمريكيين يعملون انطلاقاً من مدينة لاهاي.

مولر: "خلال ستة أشهر من اقامتي هنا سمعت بكل الأسماء ذات العلاقة بتجارة المخدرات. لكن الاسم الذي تردد باستمرار هو ستانلي إسر. وبدا على علاقة بكل المتاجرين بالمخدرات هنا، وليس بتجار الحشيشة فقط. وتكلمت الى الشرطيين المتمرسين بقضايا المخدرات الذين ابدوا ارتيابهم الشديد في تورطه في تجارة الكوكايين والهيروويين. فسألتهم: لماذا لا نلاحق هذا الرجل؟"

لكن مولر لم يلقَ أي تشجيع، بل توالت عليه أخبار المحاولات الفاشلة لسوق إسر الى المحكمة والتي تعود الى عشر سنين. فهو ليس بمحتال عادي، بل تقني ماهر يتكلم

تسع لغات وما يكفي من العربية لمساومة مزوديه اللبنانيين. وفي حين كان المهرّبون الآخرون ما زالوا يعتمدون الوسائل القديمة في التهريب بواسطة المسافرين والتي تنطوي على كثير من المحاذير، كان إسر يملك أسطولا بحرياً وقوافل من الشاحنات تنقل رزم الحشيشة المموَّهة تحت ستار بضائع مشروعة من سجاد وفاكهة مجففة.

ومع أن السلطات كانت على علم بكل هذه التجاوزات فلم يستطع أي عميل سري الاقتراب من إسر، وكأن لدى الرجل حاسّة شم تكشف كل رقابة. وكان يقود سيارته بسرعة فائقة يتعذّر معها ادراكه، كما أنه لم يتفوّه على الهاتف بأي عبارة قد تلصق به تهمة التهريب.

مولر: "تكلمت الى نحو خمسين محققاً حاولوا ضبط إسر في وقت ما. وبدا لي أنه طبع صورة أسطورية في عيونهم هي صورة الرجل الذي يستحيل القبض عليه."

ومولر ابن شرطي. وهو تخصص بتعليم الموسيقى قبل أن يكتشف دعوته الحقيقية. أما اليوم فهو يلقب "شرطي الشرطة" ويرفض فكرة المجرم الذي يتعذر القبض عليه. وأخذ قضية إسر على عاتقه كأنها مهمّة شخصية، وكان دائما يقول للسلطات الهولندية: "هذا الرجل مطلوب في ثلاثة بلدان، وهو مجرم خطير. فكيف السبيل الى الايقاع به؟"

لكن الهولنديين، وقد أخفقت كل محاولاتهم للقبض عليه، لم يتجاوبوا وطرحه. وذات يوم من خريف ١٩٨٤ تلقى مولر معلومات من مخبر سري أمريكي. وكان المخبر تعرّف لتوّه الى تاجر حشيشة يدعى أنطونيوس كونينغز زعم أنه يمثل منظمة عملاقة ترغب في التعامل مع زبائن أمريكيين، وسأله هل يعرف أحداً منهم. فوعده المخبر بأن يستوضح ذلك، وعاد بالأنباء الى مولر سائلا اياه عن الخطوة التالية. فأتاه الرد على الفور: "أخبر كونينغز أن لديك زبائن، وأنهم يريدون الاجتماع برئيسه الأعلى لأنهم يطلبون كميات ضخمة ويودّون التأكد من قدرة جماعته على تنفيذ العملية."

لم يبدُ على مولر أنه تأثر بالنبأ على رغم أهميته. فقد كان أنطونيوس كونينغز أحد مساعدي ستانلي إسر. والمخبر جيري فيرغسون عميل سري تابع لمديرية مكافحة المخدرات. يبدو أن الطريق المسدود الى إسر بات سالكاً.

نبع المال

ولد ستانلي كاريل إسر في ١٥ مارس (آذار) ١٩٤٢ في كوراساو كبرى جزر الأنتيل الهولندية المنتشرة في جنوب البحر الكاريبي. وهو الابن البكر لعائلة مترابطة، وله أربعة أخوة. وقد بنى أبوه الآمال على أولاده الخمسة، أما طموحاته الكبيرة فبناها على ابنه البكر السريع البديهة والمليء بالحيوية والفضول.

إسر: "عندما كنت ولداً أمشي الى جانب أمي كنت أتوقف لدى رؤيتي صحيفة في الشارع و أقرأها. وما زالت هذه العادة ترافقني، فأنا أقرأ كل ما يقع بين يدي، بما في ذلك دليل الهاتف."

عندما بلغ إسر الثانية عشرة هاجر الى هولندا حيث يتمتع مواطنوه بالحقوق الكاملة للمواطن الهولندي. وهناك التحق بمدرسة ولمع كتلميذ خارق الذكاء. لكنه ما لبث أن انقطع عن الدراسة في السن السابعة عشرة. وبعد سنة دخل السجن للمرة الاولى، لا لسرقة ارتكبها مع انه فعل ذلك، بل لرفضه الخدمة العسكرية.

إسر: "يمكنني الادعاء أنها كانت قضية مبدأ وأنني ضد الحرب والجيوش وما الى ذلك. لكن الحقيقة هي أنني لم أنشأ أن يملي علي أحد أوامره."

ومكث في السجن أربعة أشهر ثمَّ خرج الى الدنيا بعينين جديدتين. رأى مالا وفيرأ حوله وهو لا يملك منه شيئاً. وعمل في لاهاي في متجر للخرق البالية. ثم انخرط في عصابة للسرقة سرّها التحاقه بها لأنه جريء ولا يحتاج الى من يلقنه الأمر مرتين. وسرعان ما مشى مختالا وفي جيبه كدسة من الاوراق النقدية وهو لم يتجاوز الثامنة عشرة. وفي السنة ذاتها (١٩٦١) وقع في حب شقراء فاتنة اسمها هيلينا بوت. وهي أنجبت له ابناً وابنة. لكنه لم يلبث أن عاد الى السجن لنهبه مصرفاً. وفي سجن هارلم بدأت "دراسته العليا." فهناك شحذ ذكاؤه الفطري وتعرف الى طرق أصحاب السوابق والمحتالين. وكان السجن بالنسبة اليه فترة فاصلة أراد اجتيازها بأكبر مقدار من المعرفة وبأقل ضرر ممكن. واختارته سلطات السجن نموذجا لما تحاول انجازه خلف القضبان. فتابع مقرراً تعليمياً مهنياً مدة ثلاث سنوات وحصل بموجبه على شهادة في الالكترونيات. وخفض الحكم عليه عشرين شهراً، لحسن سلوكه، وأفرج عنه.

وكان العام ١٩٦٩ نقطة التحول الحقيقية الأخيرة في حياة ستانلي إسر. فهو في فترة ارتباك وضياع. لديه طفلان لا يعرفانه، وهيلينا لا تريد الرجوع الى عيشتهما القديمة وتطلب منه البحث عن عمل ثابت.

إسر: "حاولت البحث عن عمل ثابت. وربما أجريت ٣٥ مقابلة في الأشهر الستة التالية. والاشخاص الذين قابلتهم كانوا دائماً لطفاء، وأنا أكيد من أن بعضهم أراد توظيفي. لكن نهب مصرف ليس جرماً بسيطاً، كما تعلمون. والعروض التي تلقيتها لم تستحق عناء التفكير في قبولها."

وانساق إسر مجدداً الى أصدقائه القدامى وسبلهم المنحرفة. وأعال أسرته بغنائم من جرائم مختلفة، كنهب الشاحنات والتزوير وتهريب السجائر الامريكية. وعلمه الامريكيون الانكليزية. وكان قضى خمسة أشهر في سجن ألماني غربي حيث ألمّ بالألمانية. ثم أمضى سنة في سجن فرنسي فتعلم الفرنسية. وهو قال مبتسماً: "السجن مقرَّر تعليمي مكثّف." وسرعان ما تعلَّم الإيطالية على ذاته.

وحيثما ذهب كان يطرح أسئلة. وقد أحب الناس التحدث اليه فكانوا يخبرونه بكلّ ما يود معرفته. وما ود معرفته في نهاية الأمر كان سبب اهداره الوقت في نهب الشاحنات وتهريب السجائر بينما المصدر الحقيقي للمال هو المخدرات.

مهمة صعبة

صباح الجمعة ٢٦ أكتوبر (تشرين الاول) ١٩٨٤ عقد اجتماع في بناء يقع في الوسط التجاري لبلدة ألكمار حيث مكاتب شرطة المقاطعة. وفي كبرى غرف البناء اجتمع باتريك مولر، ممثلا المديرية الامريكية لمكافحة المخدرات، بعناصر من مكتب التحقيق الجنائي الهولندي وبعدد من ضباط الشرطة في مدينة أمستردام ومقاطعة ألكمار. وكان بين الحاضرين أيضاً النائب العام في المقاطعة إدوارد ف. بوينو.

هذه المرة أخذ حديث مولر منحى مختلفاً. فهناك فرصة سانحة، كما قال، لادخال أحد العملاء السريين الى منظمة إسر بصفة شار يفاوض في شحنة ضخمة من الحشيشة ينوي تهريبها الى الولايات المتحدة. وهذه الخطة، في حال نجاحها، تؤمن كل الأدلة الضرورية لمقاضاة إسر، اضافة الى معلومات قيّمة حول نشاطات عصابات تجارة المخدرات في هولندا.

مولر: "لقد وُفق إسر في تموين السوق الاوروبية بالحشيشة الى حد الاغراق. ولديه الآن، كما نعتقد، نحو ٢٠ طناً من الحشيشة مخبأة في منطقة روتردام. وعلينا نحن أن نكون زبائنه الامريكيين، وإلا بحث عن زبائن حقيقيين."

مرة جديدة عُدِّدت لمولر كل العقبات التي تعرقل التحقيق في أمر إسر. لكنّه حذر المجتمعين من أنهم إن لم يحاولوا فلن يصلوا الى أي نتيجة. وهل من خسارة في المحاولة؟ ذكرهم بمئات ملايين الغيلدرات التي يخسرها الاقتصاد الهولندي سنوياً ثمناً للمخدرات، والتي تتحول أرباحها الى حسابات سرية في المصارف السويسرية.

ثم انتقل النقاش الى تحديد السلطة القضائية التي ستتولى التحقيق. فبموجب القانون الهولندي لا يمكن تسليم إسر الى حكومة أخرى. وهو يحرص منذ مدة على عدم مغادرة البلاد طوعاً. وقد لمَّح مولر الى أنه إن أقدم على ذلك فلن تتردد الولايات المتحدة في السعي الى اعتقاله وتسليمه الى حكومته. أما في الوقت الحاضر، فان المديرية الامريكية لمكافحة المخدرات مستعدة للتعاون مع أي سلطة أمنية هولندية من أجل مقاضاة إسر في هولندا.

ولكن أي السلطات ستتولى المهمة؟

هنا تحولت الأعين نحو قسم التحقيق الجنائي في مقاطعة ألكمار والنائب العام بوينو الذي سيتولى فعلا ادارة هذه المهمة. وبلدة ألكمار الواقعة على بعد ٣٢ كيلومتراً من شمال أمستردام اشتهرت كسوق للأجبان، وهي الآن موضع اهتمام شخصي من

ستانلي إسر، فهو يملك منزلا بقيمة مليون غيلدر (٥٢٠ ألف دولار) في بلدة ليمن المجاورة وتروج اشاعة أنه ينوي شراء مطعم فخم هناك.

كان بوينو على أتم الاستعداد لتولي القضية، لكنه علم أن المهمة غير ممكنة من دون عون الامريكيين، كذلك خشي من أن يؤثر الوجود الامريكي سلباً في نتائج التحقيق. فاستخدام مخبرين وعملاء سريين لممارسة غير مضمونة النتائج قانونيا في هولندا، والقوانين المتعلقة بالإيقاع في الاشراك واضحة وصريحة.

مولر: "أخبرته أننا مستعدون لاتباع الطرق الهولندية، لأن الوسائل الاخرى غير مجدية. فإذا تعذر إرسال إسر الى الولايات المتحدة، توجب علينا أن نجمع الأدلة بالوسائل المقبولة في المحاكم الهولندية وإلا ضاع تعبنا."

تصافح المجتمعون وغادروا المكان وفي وجوههم سيماء من ألزموا أنفسهم مهمة صعبة. وبعد أسبوع تلقى مولر من السلطات الهولندية اذناً بمباشرة مهماته.

أربع عيون فقط!

التقى العميل السري الامريكي جيري فيرغسون إسر في روتردام يوم الجمعة ٢١ ديسمبر (كانون الاول) في مكاتب شركة "آركا بروموشنز" وهي واجهة تجرى خلفها عمليات تمويه الاموال المستخدمة في تجارة المخدرات. وقد أعدَّ أنطونيوس كونينغز لهذا الاجتماع بناء على رغبة فيرغسون.

بعيد الثانية عشرة ظهراً دخل إسر حاملا كيساً بلاستيكياً أخرج منه رزمتين مغلفتين من الحشيشة ووضعهما على إحدى الطاولات وفضّهما. الرزمة الاولى كيلوغرام من الحشيشة الأفغانية (داكنة، باب أول، ثمنها ٣٢٠٠ دولار). والرزمة الثانية كيلوغرام من الحشيشة اللبنانية (سمراء، متوسطة الجودة، ١٤٠٠ دولار). فسأله فيرغسون مذهولا: "ألا تخشى السير في شوارع المدينة وأنت تحمل هذه الكمية من الحشيشة؟"

فأجابه إسر ضاحكا: "في هولندا؟ إذا أوقفني شرطي، يكفي أن أقول له إنها لاستعمالي الشخصي."

ثم انتقلا الى مناقشة الصفقة فأعلن إسر قدرته على تسليم خمسة أطنان شهرياً من أي خليط، موضبة على نحو يمنع الكلاب من اكتشافها. أما الشحنة فتوجه الى شركة أمريكية معروفة، ويتم الدفع نقداً أو بواسطة كتاب اعتماد أو تحويل مصرفي. ويدفع نصف المبلغ عربوناً والنصف الباقي لدى التسليم. ثم سأل فيرغسون عن الكمية التي يطلبها، فأجابه وقد توقع هذا السؤال: "إسمع، لقد أعلمت صديقك أنطونيوس بأن مهمّتي تقتصر على مقابلة المزوِّد وتخمين البضاعة. أما القرارات فيأخذها شريكي جاك في شأن الكمية المطلوبة والسعر المنوي دفعه. وهو مستعد

للقدوم الى هولندا ساعة تشاء للاجتماع بك واتمام الصفقة."

أنعم إسر النظر الى فيرغسون ثمَّ قال إن الاجتماع التالي يعقد "تحت نظر أربع عين فقط" فإما فيرغسون واما شريكه، وليس الاثنان معاً. وأضاف أن استمراره في تجارته هذه المدة الطويلة يعود الى حذره والى "علاقات" بشرطة أمستردام وروتردام. وهو الآن يتكلَّم الى فيرغسون لأن كونينغز ضمنه، ولكن قبل تسليم أي كمية من الحشيشة فسيتحقق من سجلّي فيرغسون وشريكه. واتفقا على الاجتماع في أواسط يناير (كانون الثاني)، ثمَّ ذهب كل منهما في طريقه.

بحلول يناير (كانون الثاني) ١٩٨٥ أصبح النقيب فيبي بورسما مسؤولا عن مقاطعة ألكمار. وبطلب من المحكمة وُصلت أسلاك للتنصت على الهاتف في بيت قديم قبالة مركز قيادة الشرطة. وتناوبت فرق من ثلاثة رجال مراقبة اتصالات إسر الهاتفية في حجرة ضيقة في أعلى السلالم لا تكفي مساحة أرضها لجلوس الثلاثة معاً، ولا علّو سقفها لوقوفهم مستقيمين. وكان على هؤلاء أن يقرّروا غير مرة في اليوم الواحد هل سيصغون الى مكالمات مرموزة حول المخدرات أم الى هيلينا تتكلم مع أختها فعلا عن أزهار التوليب.

كانت تلك أطول عملية تنصت متواصلة على الهاتف أجريت في هولندا. واذ كان إسر يستخدم فتنته وماله للحصول على معلومات، مما أحبط التقصيات السابقة، فإن "فريق ألكمار إ" (مختصر إسر) قطع عهداً بالتزام الصمت التام حول القضية.

في هذه الاثناء كان جاك شورت يدرس ملف إسر في نيوارك بولاية نيوجرزي. وهو كان الرجل الثاني في مديرية مكافحة المخدرات هناك، لكنه اعتبر الأوَّل في قسم العمل السري للمنظمة. وقد طلب منه التطوع لهذه المهمة لسببين، اوّلهما أنه خدم في الخارج من قبل وكان يملك جواز سفر وملفاً كاملا باسم جاك شميت، رجل الأعمال الامريكي الذي يملك مصالح في تكساس ونيوجرزي، والثاني أنه يستطيع أن يطلب من إسر شحن الحشيشة الى مرفأ نيوارك حيث يؤمن له مكتب مكافحة المخدرات الذي ينتمي اليه، الدعم اللازم.

وفي يوم اثنين من شهر ديسمبر (كانون الاول) طار جاك شورت سرّاً الى أمستردام حيث قضى يومين في فندق "غولدن توليب" قرب مطار شيبول لاستشارة بات مولر وأحد أعضاء "الفريق إ" حول القوانين والاعراف الهولندية المتعلقة بالإيقاع في الاشراك.

مولر: "نحن نعلم أن الإيقاع بشخص مشتبه به غير مسموح في الولايات المتحدة. فلا يمكنني أن أقول لأحدهم: "إذا وجدت من يؤمّن لي سيارة مرسيدس حديثة الطراز، فأنا مستعد لأن أدفع له مبلغاً كبيراً." هذا يشبه زراعة البزور. إنه إيقاع في شرك. ولكن إذا كنا نعرف أن أحدهم تاجر مخدرات، فنحن لا نتخطى

القانون إن طلبنا منه شراء كمية منها. أما في هولندا، فإن عملا مماثلا يجعلك "عميلا محرِّضاً" يدفع مواطناً الى ارتكاب ما يجرِّمه. كلنا يعلم أن ستانلي إسر هو أكبر تاجر حشيشة في أوروبا، ولكن إن بدأنا عمليتنا بمبادرته قائلين: "نريد شراء بعض الحشيشة" لأجهضنا هذه العملية قبل بدئها."

وسادت لحظة صمت قال بعدها شورت: "حسناً، إننا على أرض ملعبهم، وعلينا التقيد بأنظمتهم في اللعبة."

مهنة خطرة

ثمة نوعان من العملاء السريين. النوع الأوّل ينزل الى الشارع وينجز صفقة شراء بسيطة ثمَّ يقبض على التاجر، فلا تستغرق مهمته وقتاً طويلا. أما النوع الثاني فيحدّد هدفاً بعيد المنال وتستغرق مهمته أشهراً على أمل كشف حلقة كبرى لتهريب المخدرات أو مصادرة شحنة كبيرة. ويتعرّض النوع الأول للخطر فترة وجيزة يستريح بعدها الى أن تحين المهمة التالية، بينما يواجه النوع الثاني خطراً دائماً كممثل في مسرح الحياة، اذ ان كلمة قالها أو أمراً فعله قبل أسابيع قد يرتدّان عليه ويكشفانه.

نفذ شورت مهمات من النوعين. فعمل متخفياً في الشوارع وأدار عمليات سرية من مكتبه. وقد أسفرت عملية أشرف عليها في نيوجرزي عن القبض على اثنين من أهم رجال المافيا، كما أدّت عملية أخرى له في المكسيك الى مقاضاة تاجر مخدرات مسؤول عن خطف عميلين لمديرية مكافحة المخدرات وقتلهما. وفي سنة واحدة عمل متخفياً في عشرة بلدان أجنبية.

شورت: "لا أحاول الادعاء أنني عضو في عصابة نيويوركية، لأن أحداً لن يصدّق ذلك. بل أتظاهر بأنني رجل أعمال أمريكي مغامر يدير تجارة كوكايين جانبية تدر عليه مالا وفيراً. وهذا الدور يتطلب ثقة كبيرة بالنفس."

إنه في مكتبه منذ السابعة صباحاً ولمّا يتناول فطوره بعد. إنّها العاشرة إلا ربعاً. يسحب شورت من حزامه مسدسا من عيار ٠،٤٥ ويقفل عليه درج مكتبه. وينزل السلالم الى مقهى حيث يأكل قطعة حلوى وقد بدا الهمّ على وجهه النحيل.

جاك ادوارد شورت أمريكي من الجنوب ولد في ٦ أغسطس (آب) ١٩٤٠، متزوج وله ابنة عمرها خمس سنوات. وهو يقول: "أنا مؤمن بأن كلا منا وُجد على هذه الأرض لهدف معين. ليست لدي أجوبة عن كل الأسئلة، لكنني مقتنع بأن نجاحي في وظيفتي نعمة من الله وتحقيق لمشيئته."

تخصص شورت بعلم الفيزياء وحصل على ماجستير في الرياضيات. ولم يكن أكيداً من العمل الذي يودّ امتهانه، فعيِّن في "المكتب الاتحادي للمخدرات" الذي أصبح في ما بعد "مديرية مكافحة المخدرات." حصل ذلك قبل ١٩ عاماً. أما اليوم، فزملاء

دراسته فيزيائيون ودكاترة يعيشون حياة آمنة مطمئنة تحسدهم عليها زوجته. ومع علمه بذلك فهو لا يستطيع أن يتخيّل نفسه يؤدي أي عمل آخر.

في العام ١٩٧٧ أرسل الى زوجته بطاقة بريدية من مكان ما، يقسم لها فيها أن تلك ستكون مهمته السرية الأخيرة. وهو الآن لا يذكر عدد المهمات السرية التي نفذها منذ ذلك الحين. وكان لكل مهمة عذابها، فمرّة رأت زوجته قتيلا ينتشل من قناة خلف منزلهما في فلوريدا، فاعتبرا ذلك بمثابة تحذير. وفي مرة أخرى أقسم تاجر مخدرات كولومبي على قتل عميل في مديرية مكافحة المخدرات لان هذه زجّت ابنه في السجن. وكانت زوجة شورت تعلم أن العميل المعني هو زوجها.

شورت: "عليّ التعامل جدياً مع هذه التهديدات، لأننا نعلم أن هناك اناساً يُقتلون في عالم تجارة المخدرات. قد لا يكون إسر تعاقد مع أحد لقتلي، لكن أحدهم فعل ذلك، وقد أكدت مصادر أخرى هذا الأمر."

يأخذ شورت فنجان قهوة معه الى مكتبه، لكن جرس الهاتف يرن، وتمر ثلاثون دقيقة قبل أن يتذكر قهوته التي بردت.

ممثلون انيقون

التقى شورت إسر للمرة الاولى يوم السبت ١٢ يناير (كانون الثاني) ١٩٨٥ في غرفة جيري فيرغسون في فندق "غولدن توليب." وهو قال في ما بعد: "في الثانية الا ثلثا بعد الظهر عرفني فيرغسون الى "كارلوس" إسر على أنني جاك شميت. وللحال عرض علي كارلوس أن يبيعني ٥٠٠ كيلوغرام من الحشيشة. لم أطلب منه ذلك أبداً، بل هو عرض علي البضاعة بملء إرادته. وفي حال شرائي ٥٠٠ كيلوغرام من الحشيشة اللبنانية بسعر ١٤٠٠ دولار الكيلوغرام الواحد، اشترط إسر دفع ٥٠ في المئة من الثمن مقدّما و٥٠ في المئة لدى التسليم. لكنني رفضت عرضه. وبعد مزيد من المفاوضات عرض أن يسلّمني ٥٠٠ كيلوغرام من الحشيشة في الولايات المتحدة من دون دفع مقدّم، وتابعنا التفاوض الى أن قبل بتسليمي، في الولايات المتحدة، الكمية التي أستطيع بيعها."

أعجب إسر برجل الأعمال التكساسي اللطيف الذي ينتعل حذاء بنيّا ملمّعا ويملك شركة إنشاءات في سان انطونيو ورخصة لتأجير السيارات في كامدن بنيوجرزي. لقد كان بعيداً كل البعد عن تجارة المخدرات، ومع ذلك بدا المامه بها واضحاً.

وأظهر شورت إعجابه بكارلوس إسر، إذ كان هذا شهماً في تصرفه ولطيفاً في حديثه، ويهرّب كمية من الحشيشة الى هولندا تصل الى ٤٠ طناً في السنة. ومضى بعد الظهر وهما مسترسلان في الحديث، يتبادلان "النصائح" المستمدة من خبراتهما السابقة في تجارة المخدرات. ومن ثمّ مرّا بجيري فيرغسون واصطحباه لتناول العشاء.

بعد العشاء اصطحب إسر الأمريكيين لمقابلة غيز فان دام، وهو رجل حاد الطبع بادرهما على الفور قائلا إنه شك في أنهما عميلان سريان. فرد شورت بهدوء أنه اذا كان يعرف أياً من تجار الكوكايين الكبار في الولايات المتحدة، فما عليه سوى سؤالهم عن جاك شميت. ثمّ أضاف أنه مستعد لالغاء الصفقة.

لكنّ إسر لم يتأثر بمخاوف فان دام، بل انه أعار شورت سيارته المرسيدس التي يبلغ ثمنها ٦٠ ألف دولار، ليقودها خلال عطلة نهاية الاسبوع. وعندما التقيا يوم الاثنين عرض عليه أن يبيعه كيلوغرام الحشيشة بـ١٢٠٠ دولار. فوافق شورت على عرضه. لكن إسر ما لبث أن اتصل به بعد بضعة أيام ليقول له إنه، اكراماً له، قرر أن يخفض السعر الى ٩٠٠ دولار الكيلوغرام.

الذراع لاحقا

الحشيشة مادة صمغيّة تستخرج من نبات القنّب ويمكن أن تبلغ قدرتها التخديرية عشرة أضعاف قدرة الماريوانا. تجفّف الحشيشة وتضغط بشكل أرغفة صلبة بسماكة سنتيمتر واحد. وتصل عادة الى شوارع أمستردام ومقاهيها في أكياس سعة الواحد منها خمسة غرامات أو ستة ويباع بـ٢٥ غيلدراً.

وكما في حال السكر، يحدث تدخين الحشيشة هذياناً وتضعف لدى المحشش القوى العقلية وقدرات الحركة الارادية.

ولكن خلافاً للسكران، فإن مدخّن الحشيشة المنتشي قد يبدو في حال طبيعية. ولا يمنعه أحد من قيادة السيارة أو الذهاب الى العمل، مما أدى الى ازدياد حوادث السير والعمل في البلدان التي يسود فيها تدخين الحشيشة. ومع أن هذا المخدر لا يؤدي الى الادمان، وهي الحجة التي يتمسك بها المدافعون عن تدخين الحشيشة، فإنه سرعان ما يفرض ذاته على مدخنه كرغبة نفسية ملحّة، وتغدو الطريق الى الكوكايين والهيرويين معبّدة، باطمئنان مدخّني الحشيشة الى أنهم محصّنون ضد الادمان!

لكن عدد الذين يتعاطون الحشيشة لا يقل. وهذا هو المؤشر الذي انطلق منه إسر في أواسط السبعينات.

وساعدته علاقاته وخبرته التي اكتسبها من تهريب السجائر. ولم يمض وقت طويل حتى ازدهرت تجارته وبات يدخل كميات متنامية من الحشيشة الى هولندا في الشاحنات والبواخر، من باكستان (حيث يدعى مزوده "عبد الولي") وبعلبك في لبنان حيث ازدهرت زراعة القنّب منذ قرون.

في البداية جال في العالم محاولا الاتصال بالتجار والشارين والمستثمرين. وقبض عليه مرة في سورية. ولكن بحلول الثمانينات أصبحت هذه مسائل من الماضي وبات إسر في قمة تجارته.

يستورد إسر ٤٠ ألف كيلوغرام من الحشيشة سنوياً لتوزيعها في أوروبا وكندا والولايات المتحدة، ويبلغ معدّل الكلفة لديه ٦٠٠ دولار، بما فيه كلفة النقل والنفقات العامة، بينما معدّل سعر المبيع هو ١٢٠٠ دولار، مما يؤمّن لإسر دخلا سنويا يبلغ ٢٥ مليون دولار.

والنفقات العامة لدى إسر قليلة. فمع أنه يقف على قمة مثلَّث تجاري فيه من المال ما يعيل ألوف الرجال، فإن إسر لا يدفع أجوراً إلا لحفنة من المساعدين القريبين منه، أمّا الآخرون فيدفع أجورهم بضعة عشر موزعاً رئيسيا قادرون على شراء كميات ضخمة من بضاعته. ويأخذ الهولنديون ربع وارداته، أما البقية فتصدَّر الى الخارج.

وأكبر استثمارات إسر ادخال الحشيشة الى هولندا. فهو يملك ثلاث سفن عابرة للمحيطات وأسطولا من الزوارق السريعة لتفريغ البضائع على شاطىء اسبانيا، حيث تؤمن له ارتباطاته بشرطة الشاطىء تفريغ البضائع بأمان. بعد ذلك تحمَّل الحشيشة في شاحنات ضخمة وتموَّه ببضائع مشروعة وتبدأ رحلتها الى هولندا، حيث تخزن في مستودعات تحت الأرض، أو هكذا يقال، فلا أحد سوى القريبين جداً من إسر رأى هذه المستودعات، فالشارون يتركون شاحناتهم في نقاط التقاء يُتفق عليها، فيقودها رجال إسر الذين يثق بهم الى مستودع ويحمّلونها بالبضائع ثم يعيدونها الى نقطة الالتقاء.

الشرطة لا تستطيع النيل منه. فالتنصت الى هاتفه لا يفيدها بسوى بعض العبارات المرموزة المتعلّقة بالمخدرات أو بتعليمات غير مفهومة للاتصال بهاتف عمومي معيَّن. وفي بعض الأحيان، ترد اشارة الى محطة وقود أو فندق يمكن تحديدهما، ولكن حين تصل الشرطة الى هناك يكون إسر أتى ومضى.

لا أحد يقود سيارة مثله. فلا شيء يردعه، لا شوارع ذات اتجاه واحد ولا ضوء أحمر. وفي الطرق الخالية تقصر سيارات الشرطة عن اللحاق به.

وإن أوقفت شاحناته واكتشفت البضاعة غير المشروعة، فإن السائقين لا يذكرون إسر ولا يفضحون العملية. فكلّهم يدركون أن للوفاء أجراً. فإن هم أدخلوا السجن فلن تعاني عائلاتهم مشاكل مادية. وعندما يخرجون تكون وظائفهم في انتظارهم.

وثمة ارتباط خاص بين إسر ورجل اعمال لبناني يدعى لو شولا*. وهما اشتركا في أربع عمليات، أخفقت ثلاث منها اذ تدخلت الشرطة واشتبكت مع المهربين، فألقيت أطنان من الحشيشة في البحر الابيض المتوسط لتفادي مصادرته، لكن العملية الرابعة درّت عليهما أرباحاً وافرة عوضت جميع الخسائر السابقة. الا أن تجارة المخدرات محفوفة بالمخاطر. وقد خسر شولا شحنتين كبيرتين من الحشيشة في عمليتين نفذهما بمفرده، فغرق في الديون. وعندما عجز عن الدفع لمزوِّديه اللبنانيين، خطفوا والده

(*) بطلب من مديرية مكافحة المخدرات، لو شولا اسم مستعار لحماية المخبر.

وأختهٔ وأخاه، وقطعوا اصبعاً من يد أخيه وأرسلوها اليه في البريد مع رسالة جاء فيها: "ستأتيكم الذراع لاحقاً."

إسر: "أتى شولا لمقابلتي، فرأيت أمامي رجلا يائساً. ولم أفكر في الأمر مرّتين، بل جمعت له مليوناً وثلاثمئة ألف دولار. هكذا تُعامل شخصاً تعرفه. وهو دفع المال لمزوديه فأفرجوا عن عائلته. ثم تصافحنا وذهب لو في سبيله."

في يناير (كانون الثاني) ١٩٨٥، بعد مرور ثلاثة أشهر على بدء استقصاء أمر إسر، اتصل به لو شولا هاتفياً من باريس وأخبره أنه أمضى السنوات القليلة الماضية في الولايات المتحدة وأنه يعمل حالياً مع شريك جديد هو مايك فولز، وعرض عليه التعاون مجدداً. فوافق إسر على الفور إذ كان سعيداً لسماع أخبار صديق قديم، مع أنه لم يسمع باسم فولز من قبل. فلا شكّ في أن شولا يحسن اختيار شركائه. لكن ذلك لم يثنِه عن أخذ احتياطات أولية، فعندما وصل فولز برفقة شولا الى أمستردام بعد أسبوع، كان بانتظارهما في المطار مصور وقف بعيداً وأخذ عدداً من الصور الأمامية والجانبية لوجه فولز مستخدماً عدسة مقرِّبة. وسرعان ما وُزعت نسخ عن الصور على المتعاملين بتجارة المخدرات الذين يستطيعون التعرف الى وجه مخبر سري. وفي اليوم التالي عرض إسر على زائريه عينات من الحشيشة في غرفتهما في الفندق.

وسأله فولز هل يستطيع تأمين ٢٠ طناً. وأخبرني إسر في ما بعد: "بالطبع أستطيع تأمين ٢٠ طناً حتى لو لم أكن أملكها. أسلّمه ما لدي وآتي بالبقية من تجار آخرين. فكلمتي مسموعة في هذا المكان."

كانت بنية مايك فولز شبيهة ببنية لاعب كرة قدم محترف، وشخصيته تتلاءم وبنيته. ورأى إسر أنه يبثّ "ذبذبات" صامتة تشير جميعها الى أنه شرطي. ولكن كيف يرتكب صديقه شولا مثل هذا الخطأ؟

وبعد تمرير الصور وورود التقارير التي تنفي عن فولز تهمة "الشرطي" ارتاح إسر قليلاً وأخبر فولز أنه يستطيع تأمين ٢٠ طناً. وخرجوا جميعاً لتناول العشاء. وهم تكلّموا أولاً عن الحشيشة ثم عن الكوكايين.

قال إسر إن صديقاً له في أمريكا الجنوبية يدير تجارة واسعة للكوكايين ويستطيع مساعدتهم. وأبدى فولز اهتمامه، لكن صفارات الخطر انطلقت مجدداً في دماغ إسر. وعندما خرج فولز ليغسل يديه أمسك شولا من ذراعه وجذبه اليه.

إسر: "قلت له: "إسمع يا لو، علمت انك واجهت مشاكل مع الشرطة. أريد أن أعلم ما اذا كان هذا الرجل شرطياً. فاذا كان كذلك وأنت ترافقه لأن لا خيار لديك، اخبرني الآن وأنا كفيل بمساعدتك كما فعلت من قبل. ولكن أقسم لي بأن هذا الرجل ليس شرطياً." وقد أقسم لي قائلاً: "لا يا كارلوس، انه ليس بشرطي. أقسم لك بأمي."

لكنه كان شرطياً. واسمه الحقيقي مايك بافليك. وقد بات لو شولا مخبراً لديه.

لو شولا ابن عائلة لبنانية موسرة. كان يتلقى العلوم في معهد خاص، ثم هاجر الى كندا حيث فتح مطعماً للوجبات السريعة في مونتريال بأموال حصل عليها من والده. وكان النجاح حليفه. فهو انتسب الى جامعة مونتريال، وتزوج، وحصل على اجازة للمطعم الأول ثمَّ افتتح مطعماً ثانياً. وقبل أن يبلغ الخامسة والعشرين من عمره كان لديه مال كثير في المصرف وبات قريباً من رجال أعمال مهمين. وأتاه أحدهم يوماً يطلب ٥٠ ألف دولار قائلا: "لا تطرح علي أسئلة. فأنا أضمن لك ربحاً أكيداً." فأعطاه شولا المال، وبعد ستة أشهر يسلّمه الرجل مليون دولار. فسأله شولا: "أخبرني شيئاً واحداً. هل هذا المال من المخدرات؟" وأتاه الجواب: "نعم."

انبهر شولا. ومنذ تلك اللحظة أصبحت تجارة المخدرات شاغله الوحيد، وتحولت حياته في اتجاه مختلف كلياً. وكان له في هذه التجارة سعوده ونحوسه، لكن اتجاهه العام استمر في انحدار حتى وصل الى الحضيض بعد وقت قصير من مساعدة إسر له في تخليص أخيه. وذات يوم، بعدما تراكمت عليه تهم تهريب الحشيشة، دخل مكتب مديرية مكافحة المخدرات في قبرص قائلا إن لديه معلومات يودّ البوح بها. وانتهى به الأمر الى التحدث مع مايك بافليك، ثم وصل الى دائرة الهيروييين في مديرية مكافحة المخدرات في واشنطن. وبدأ الرجلان العمل معاً في الولايات المتحدة.

بافليك: "إنه الأفضل. ومع إنه انتهى كمخبر، فهو يستمر في العمل معتمداً على حنكته. في ميامي يعمل على قضيّة، فيأتي بالمعلومات المطلوبة ويقدّم عميلا سرّياً الى جماعة مهربين ثم يختفي قبل أن تكشف هويته ويحترق. ثمَّ يظهر في دالاس وينخرط في مجتمع المخدرات ويعمل لدينا هناك. وأنا أتكلم على قضايا صعبة. لقد اعتقلنا أشخاصاً مهمّين."

خبر مشؤوم

عندما نُقل بافليك الى باريس في العام ١٩٨٤ تبعه شولا الى هناك. لقد تحدثا مراراً عن ستانلي إسر. فاتصل بافليك هاتفياً بيات مولر وسأله هل يهمه الأمر. وأخبر مولر بافليك عن التحقيق الجاري في هولندا، وأعلمه أن الأمر يهمه لكن عليه أولا استشارة بوينو. وحصل على إذن من بوينو ولكن بشرط أن تبقى العمليتان منفصلتين، كضمان في حال اخفاق واحدة منهما.

بعد اتصال مولر أعلم بافليك لو شولا: "حصلنا على الضوء الأخضر بالنسبة الى صديقك إسر."

في ٢٢ فبراير (شباط) ١٩٨٥ رست "سيلاند إندبندنس" في نيوارك آتية من روتردام، وعلى متنها حمولة تضم صندوقاً سجل عليه: "خرق قطن أبيض، باب أول."

وحجز الصندوق لحظة ملامسته الرصيف، وكشف النقاب عن ألف كيلوغرام من الحشيشة مخبأة تحت الخرق. وكانت نوعية الحشيشة رديئة، فاتصل جاك شورت هاتفياً بإسر قائلا له إن الحشيشة جافة جداً وإنه سيواجه صعوبة في بيعها. ولم يجادله إسر، بل خفض السعر الى ٦٠٠ دولار الكيلوغرام.

هذا لم يحلّ مشكلة شورت الاساسية، إذ ان تسليم مبلغ ٦٠٠ الف دولار الى تاجر مخدرات إجراء لا تقبل به مديرية مكافحة المخدرات وإن في سبيل ايقاف التاجر لاحقاً. ولكن اذا تعذر دفع المبلغ لإسر أو ارضاؤه على نحو ما، فمن الأفضل احتجازه ووقف التحقيق عند ذلك الحد. وتحايل شورت لكسب الوقت مستغلا صعوبة تحويل مبلغ كبير من المال. ثم حملت اليه الفَرَج ضربة حظ مذهلة.

كان بافليك أدخل رجلا ثالثاً في المؤامرة على إسر يدعى ريك باريت، وهو عميل سري آخر لمديرية مكافحة المخدرات. وكان باريت الممثل المباشر المزعوم للشاري الامريكي، وقد أرسل للاشراف على شحن أربعة أطنان من الحشيشة من مرفأ روتردام (هولندا) الى فيلادلفيا (ولاية بنسلفانيا الامريكية). أما وظيفته الحقيقية فكانت تغطية شولا بانتحال دور العميل عندما يحين القبض على إسر.

وفي مارس (آذار) سأل إسر بافليك عما اذا كان صديقه باريت يستطيع أن يأتيه من الولايات المتحدة بمبلغ ٦٠٠ ألف دولار يدين له به أحدهم. فأجابه بافليك: "ولم لا؟" متظاهراً بعدم الاكتراث للأمر. وعندما أنبأ مكتب مديرية مكافحة المخدرات في نيوارك، دُبرت خطة لايقاف باريت عند نقطة الجمارك ومصادرة المبلغ منه.

في هذه الاثناء كان إسر أنجز الترتيبات الضرورية للقاء بافليك وشولا مع مصدره في أمريكا الجنوبية للتفاوض حول شحنة من الكوكايين. واسم المصدر جيوفاني كارلو غاندولا ويعمل انطلاقاً من أسونسيون عاصمة باراغواي حيث تحميه السلطات.

بافليك: "كان غاندولا صاحب نفوذ يأتي كبار رجال العصابات في كولومبيا لمقابلته. وكان اثنان منهم هناك عندما حضرنا للاجتماع به. وعلمت أنهما يتحريان عنا، فقد أخذا جوازي سفرنا. لكن كل شيء مضى على ما يرام، وتفاوضنا لشراء مئة كيلوغرام من الكوكاين."

لكنّ الامور لم تكن على ما يرام كلياً. فيبدو أن أحد المساعدين الثاقبي النظر في باراغواي لمح عبارة "موظف سفارة" على تأشيرة الدخول المختومة على جواز سفر "فولز"، أو أن أحد مصادر المعلومات تعرّف الى الصور التي التقطت لـ"فولز" في مطار شيبول بأمستردام، ففضح هويته الحقيقية: موظف في الحكومة الامريكية اسمه مايكل بافليك.

في هذا الوقت من أواخر مارس (آذار) كان بافليك وشولا على متن طائرة متجهة الى باريس، على أن ينتقلا في ابريل (نيسان) الى روتردام تلبية لدعوة وجهها اليهما إسر

لحضور مباراة يشترك فيها الملاكم أليكس بلانشار. فاشتريا بذلتين رسميتين لهذه المناسبة.

وإذ لم يتمكن غاندولا من الاتصال بإسر اتصل هاتفياً بجاك كانافاجيو، وهو عميل المنظمة في سويسرا، وأخبره أن عليه ايصال الخبر الى كارلوس بأي وسيلة. وفي تلك الليلة، ٢٧ مارس (آذار)، تلقت هيلينا بوت اتصالا هاتفياً من كانافاجيو الذي قال لها: "أصغي يا لين، عليك أن تجدي كارلوس فوراً وتخبريه أن صديقه مايك غير صالح."

تلقى إسر الخبر المشؤوم في وقت متقدم من تلك الليلة، لكنّه ادرك تماماً ما ينبغي ان يفعل. فهناك أربعة أطنان من الحشيشة مرسلة الى الصديق المزعوم لبافليك في فيلادلفيا، أي أربعة أطنان من الأدلة لموظفي مكافحة المخدرات في الولايات المتحدة بقيمة ثلاثة ملايين دولار. وهذه الشحنة إما غادرت مرفأ روتردام وإما ستغادره خلال ساعات قليلة... إلّا اذا حالفه الحظ.

اتصل إسر بأنطوني كونينغز في منزله قرب الحدود البلجيكية وطلب منه أن ينطلق الى روتردام بأسرع ما يمكن. فإذا كانت الباخرة لم تبحر بعد، فلينزل البضاعة عن متنها وبعيداً عن الأرصفة "مهما بلغت الكلفة." ثمّ راح يزرع المكان قلقاً لا يدري كيف ينقل الخبر الى صديقه جاك شميت. فإذا كان المدعو "فولز" موظفاً حكومياً، فلا شكّ في أن ريك باريت هو أيضاً كذلك، فهو الذي أكد لشميت أن باريت غير مشكوك في أمره عندما أرسله لقبض الـ ٦٠٠ ألف دولار.

وفي السادسة صباحاً اتصل كونينغز بإسر وأعلمه أن الباخرة لن تبحر قبل العاشرة وأنه "فعل اللازم."

أما بافليك وشولا فأنقذتهما أجهزة التنصت الهولندية التي كانت تسجل كل هذه المكالمات. وكانا ركبا الطائرة الى باريس غير متنبهين الى الخطر المحدق بهما. فاعتُرضا عند نقطة الجمارك وأُطلعا على آخر التطورات. وهكذا لم يلبيا دعوة إسر لحضور مباراة الملاكمة تلك الليلة مع أنه كان ينتظرهما. وهو سُمِع يقول لكانافاجيو بنبرة حاقدة ملؤها الوعيد: "دعهما يأتيان."

مولر: "ثبط هذا همّة الهولنديين. فقال بعضهم: "لا أمل بعد الآن، ومن الأفضل وقف التحقيق عند هذا الحد." فعارضتُهم قائلا: "مهلا، دعونا نفكر في الأمر، فقد نستطيع تحويل هذه النتائج الى مصلحتنا. لقد فضح أمر عميل ومخبر لدينا، وكادا أن يقتلا، لكنهما ما زالا قيد الحياة وفي مأمن من الخطر. ليس علينا أن نعيدهما الى هنا، كما انه لا داعي الى القلق على الـ ٦٠٠ الف دولار." لكنهم لم يقتنعوا بأننا ما زلنا ضمن اللعبة حتى اليوم التالي عندما سمعوا إسر يتكلم الى شورت."

ففي المكالمة الهاتفية التي سجلها شورت، لم يحاول إسر اخفاء تكدره وغضبه على

نفسه عندما أخبر شورت أن صديقه مايك "غير صالح." وكان شورت لا يزال يحاول تحديد مدى الضرر الذي لحق بالتحقيق، فقال لإسر ما كان ليقول له جاك شميت: "كارلوس، هذا الذي أرسله، ما اسمه، ريك؟ انه يعلم كل شيء عني: إسمي، أعمالي، مكتبي. لقد استقبلته في المطار واصطحبته الى مكتبي. إنه يعلم كل شيء. أعني انه يستطيع القضاء علي."

فرد إسر: "لقد اتصلت بك لأنني أشعر بالذنب. لم أرتكب خطأ مماثلا من قبل." ثمّ أكد له إسر أنه لم يخبر مايك وريك عن مصدر الـ ٦٠٠ الف دولار. فأعرب له شورت عن امتنانه، لكنه عاد فأكد له أنه لن يغمض له جفن تلك الليلة.

كان ذلك موسم المشاكل لستانلي إسر. فقد أقام علاقة مع شابة تدعى ماري كوينبرغ، وعلمت الشرطة بالأمر لأنها وصلت أجهزة تنصت الى الهاتف في الشقة حيث كان يزورها. وهكذا عرف المتنصتون أنها حامل وأن هيلينا علمت بالأمر.

الخبز قبل الأخلاق!

استمرت الاتصالات الهاتفية بين إسر وشورت مرة في الاسبوع على الاقل، لكن علاقتهما أخذت منحى دقيقاً. وبات إسر يلتمس رضا شورت معتذراً باستمرار لأنه عرّفه الى موظف لدى الحكومة الامريكية. وعندما دعاه الى حضور مباراة الملاكمة في أمستردام، اعتذر شورت بلطف واضعاً اصبعه على الجرح، ثم قال: "أشعر بأن علينا الا نلتقي قبل أن أتأكد من مدى الضرر الذي لحق بي. لا تسيء فهمي يا كارلوس، فمن الافضل أن نوقف أعمالنا حتى تبرد المسائل." وأعرب إسر عن تفهمه، ثم طرح امكان الالتقاء في كوراساو، فلديه ثلاثة قوارب راسية هناك قد تفيد جاك في تجارة الكوكايين.

وكان هذا العرض مغرياً. فصحيح أن إسر يبقى في مأمن من خطر تسليمه الى السلطات الامريكية وهو على أراضي الانتيل الهولندي، ولكن لنفترض أن صديقه جاك شميت توجه بطائرته الخاصة الى هذه الجزر، وهي في الحقيقة طائرة تابعة لمديرية مكافحة المخدرات، ولنفترض أيضاً أن إسر اقترح أن يركبا طائرة صديقه جاك الى جمهورية الدومينيكان حيث ينشيء شميت مختبراً مزعوماً للكوكايين، عندئذ يمكن اعتقال إسر وتسليمه الى حكومة الولايات المتحدة حيث يواجه عقوبة أقسى كثيراً.

وحُدّد موعد للزيارة في أواخر أغسطس (آب) يسبقها اجتماع في فلوريدا بين شورت ومارتن رويفن محامي إسر، للبحث في امكان استرجاع الـ ٦٠٠ ألف دولار التي يفترض أنها صودرت لدى الجمارك الامريكية، ولدرس امكان انشاء مشروع تجاري لا غبار عليه يكون واجهة لاعمال شورت في هولندا. وكان رويفن خبيراً في نقل الأموال وابتكار الشركات الوهمية التي تموّه أعمال منظّمة إسر، وهو منذ أمد بعيد لا يكتفي بدور المستشار القانوني، بل وقع في شرك التآمر الاجرامي مثل إسر. وكانت مظاهر

الترف تبهر هذا الغندور المتأنّق ذا الجثة الضخمة والأنف الدقيق، فانتشى بمظاهر الابهة التي استقبله بها شورت. فقد دعاه هذا الى تناول العشاء في أحد أفخم مطاعم ميامي، ثم انتقلا في سيارته الـ"مرسيدس ٤٥٠" الى فورت لودردايل حيث نزلا في فندق فخم وذهبا في رحلة بحرية على متن "أحد زوارقي" كما دعا شورت يختاً مصقولا بلغ طوله ٣٣ متراً هو زينة مجموعة اليخوت المصادرة لدى المديرية الامريكية لمكافحة المخدرات. وعندما اتصل رويفن بإسر هاتفياً في ١٦ أغسطس (آب) التقطت أجهزة التنصت الحديث الآتي:

إسر: "هل جاك شميت هذا هو حقاً ما يدّعيه؟"

رويفن: "نعم، وأكثر من ذلك."

بعد أيام من وصول رويفن بدأ شورت يتحدث عن عمليات المخدرات التي يديرها. قال إن لديه خطة لتوزيع الهيروين مباشرة من المنشأ الى الشارع في اشرافه الشخصي. وهو يحتاج لتنفيذ هذه الخطة الى ٣٠ كيلوغراماً من الهيروين في الشهر، لكنه لم يجد بعد مصدراً يعتمد عليه لتأمين هذه الكمية.

وأعرب رويفن عن اعتقاده أن أحد أعضاء المنظمة يستطيع تأمين تلك الكمية. لعله كانافاجيو أو المزوّد الباكستاني عبد الولي. وأضاف: "علينا مناقشة الامر مع كارلوس."

للمرة الاولى يُطرح امكان الصاق تهم خطيرة بإسر وعصابته. ففي الولايات المتحدة يحاكم مذنب كإسر بتهمة العمل الاجرامي المتواصل بصرف النظر عن نوع المخدر المتاجر به، بينما تختلف العقوبة في هولندا باختلاف نوع المخدّر. فقد كانت عقوبة استيراد الحشيشة أو تصديرها أربع سنوات وعقوبة الهيروين ١٢ سنة.

يوم الاربعاء ٢٨ أغسطس (آب) انتقل شورت الى كوراساو على متن طائرة مصادرة لدى المديرية الامريكية لمكافحة المخدرات وبرفقته ثلاثة أعضاء من عصابته المزعومة هم في الحقيقة عملاء لدى المديرية.

وفي محاولة لاعادة الهدوء الى حياته البيتية، اصطحب إسر هيلينا، وتناولا العشاء تلك الليلة مع الامريكيين في فندق "برنسس بيتش" حيث كانوا ينزلون جميعاً. وبعد العشاء أخبر إسر شورت أنه علم من رويفن تفاصيل طلبه للهيروين. فقال شورت: "لا أتوقع منك أن تورط نفسك في هذه القضية. اصرف النظر عن هذا الموضوع."

ولكن بعد يومين عاد إسر الى البحث في الموضوع. ثم في صباح نهار السبت ٣١ أغسطس (آب) طلب من شورت ان يرافقه للركض على الشاطىء. وبينما هما يمشيان عائدين الى الفندق قال إسر إنه أمضى الليل كله يفكر في حديثهما. وأضاف: "أنا متأكد من أن عبد الولي يستطيع تلبية طلبك. وهو خولني الكلام باسمه في هذه المواضيع."

كان الغموض يلف شخص عبد الولي. فالمديرية الامريكية ما زالت الى اليوم غير متأكدة من اسمه الحقيقي، هي التي تحتفظ بملفات مفصّلة عن تجار المخدرات في أنحاء العالم. وكان إسر تعرف الى عبد الولي من طريق أحد معارفه في تجارة السجائر قبل سنوات، وأخبره هذا أن عبد الولي يرئس قبيلة أفغانية يبلغ عديدها ٥٠ ألفا يأتمرون به جميعاً. وقد انشأ في الولايات المتحدة روابط غامضة بمشاريع تجارية متنوعة، وأقام في منزل بلغت قيمته ثلاثة ملايين دولار في احدى ضواحي ماليبو التي تجتذب نجوماً سينمائيين كثيرين. وفي هولندا التي تتساهل حيال تجارة المخدرات وحيث القوانين الصارمة ضد تسليم المتهمين الى حكومات أخرى، اشترى منزلا ووضع مليونا و٥٠٠ ألف دولار في تصرّف إسر لكي يستعملها في ترميم المنزل وتجديده.

ولطالما ردد النائب العام الهولندي إد بوينو أنه في حال طلب إسر شخصيا أن يركب طائرة الامريكيين فلا مانع من ذلك، ولكن إن هم ذهبوا الى حد التلميح الى الفكرة فقدت الدعوى كل مبرر في المحاكم الهولندية. والحقيقة أن إسر لم يطلب السفر في الطائرة، كما التزم الامريكيون الانظمة الهولندية بحذافيرها ولم ينفذوا خطتهم. وبعد مرور وقت قصير على عودة إسر من كوراساو الى هولندا، التقطت أجهزة التنصت هذه المكالمة بينه وبين عبد الولي:

عبد الولي: "هل قابلت الرجل؟"

إسر: "نعم، وأعتقد أنه واسع الثراء."

عبد الولي: "هل أنت واثق به؟"

إسر: "كلا، فأنا أريد أولا أن أرى المال بعيني، وعندئذ فقط آمن جانبه."

مسلسل بوليسي!

قال جاك شورت: "ستكون هذه مهمتي السرية الاخيرة." ثم أضاف: "في الحقيقة، ينبغي أن تكون الأخيرة."

كنا نتحدث في إحدى غرف الفندق. فأفصح شورت عن عواطفه المتجذرة في قضية إسر. فالتهديد بالقتل يرهق فكره، كذلك الواجبات المتأخرة المترتبة عليه تجاه عائلته.

فما رأيكم في هؤلاء الرجال الذين يخاطرون بحياتهم في كل مرة يذهبون الى العمل؟ وعندما يسافرون في مهمات سرية تنتظرهم واجباتهم الادارية على مكاتبهم لكي ينجزوها عندما يعودون، فيضطرون الى العمل ليلا وخلال عطل نهاية الاسبوع كي يتمّوا ما نقص من أعمالهم. وفي مهماتهم السرّية يخوضون معارك ضد رجال يجنون من صفقة واحدة عشرات أضعاف ما يكسبونه هم في سنة. وقد يذهبون الى أفخم المطاعم حيث يصل حساب الشخص الواحد الى ١٠٠ دولار، لكنهم يعلمون جيداً أنهم

يعيشون فصول تمثيلية لن تستمر، وأنهم عندما يعودون الى بلادهم ستكون سندات رهن في انتظارهم.

شورت: "أتمنى لو يصوِّر مسلسل تلفزيوني أو فيلم سينمائي شرطي مكافحة المخدرات على أنه انسان عادي لديه مشاعر ومشاكل كالناس الآخرين، طفل مريض مثلا أو سيارة لا تدور أيام الشتاء. ما نعيشه لا يشبه دائماً المسلسلات البوليسية التلفزيونية."

ويصمت شورت محاولا السيطرة على موجة عارمة من المشاعر العميقة، ثم يتابع:

"المسألة هي أننا نواجه معضلة رهيبة، ولا يريد أحد أن يعترف بأننا في حال حرب مع تجار المخدّرات وأنهم ليسوا في وضع المنهزم. وما نشاهده في وسائل الاعلام هو صورة لخطّنا الدفاعي الأمامي، أي خط شرطي مكافحة المخدرات، وهي ليست أفضل بكثير من صورة المجرم، اذ تظهره وهو يخلع الابواب ويضرب المشتبه بهم ويعاشر نساء كثيرات. صدّقوني، إن هذه الصورة لا تمثلني ولا تمثل أحداً من الذين أعمل معهم."

انفصل إسر عن هيلينا بعيد عودتهما من كوراساو، واتفقا على أن تحصل هيلينا على البيت في ليمن وعشرة آلاف غيلدر في الشهر. ولم يكن المال مشكلة بالنسبة الى إسر، فهو أسكن ماري في شقة رائعة في أمستردام بعدما اشترى المبنى الذي تقع فيه والمبنى المجاور. وفي زيارة شورت التالية لأمستردام قدم اليه إسر سيارته الـ"مرسيدس ٥٠٠" ومنزلا بقيمة مليون دولار ليسكن فيه. ويقول شورت: "لم أحتج الى سوى ثيابي وفرشاة أسناني."

خلال ذلك العام، ١٩٨٥، زار شورت هولندا أربع مرات فتعمقت صداقته مع إسر. ومرة اصطحبه هذا الى شقة ماري ولم يخفِ عنه تشوّقه الى ولادة طفله الجديد. وقال لشورت ضاحكاً: "احذر الهاتف هنا، فقد نبهني أحد معارفي في الشرطة الى أنه ساخن الى حد ينبغي معه أن أرتدي قفازاً لدى استعماله."

وفي الثاني عشر من أكتوبر (تشرين الاول) بينما كان إسر وشورت يتناولان طعام العشاء في فندق "أوكورا" في أمستردام، قال إسر إن لديه زبائن للكوكايين الذي في حوزة شورت. وفي اليوم التالي ذهبا لتناول العشاء في مطعم "غلاسترونوم" الذي اشتراه إسر بمبلغ ٥٠٠ ألف دولار. ورافقتهما ماري ورويفن والكسندر غورلي أحد مساعدي شورت المزعومين، وهو أيضاً يعمل لدى مديرية مكافحة المخدرات. وهناك طلبوا بضع زجاجات من الشراب الذي يتناسب والعشاء الفاخر. وكصاحب للمطعم، كلّفت الزجاجة الواحدة إسر ٣٣٥ دولاراً.

كلما انفرد إسر بشورت كانا يتكلمان على الأعمال. وكان إسر بارعاً في الحساب

الذهني، يجمع كلفة المنشأ وكلفة النقل والخزن والتسليم ويستنتج بسرعة هائلة سعر المبيع. لكنه شعر برهبة اذ لاحظ أن شورت يضاهيه في هذا المضمار وأنه، الى ذلك، يستطيع أن يحوّل السعر سريعاً من الغيلدر للكيلوغرام الواحد الى الدولار للرطل الواحد. وقال له مرة متحسراً: "كان يمكننا ان نجني مليار دولار معاً."

في سبتمبر (أيلول) نقلت شرطة ألكمار مقرها الرئيسي الى بناء أنيق في طرف المدينة، فبات لمراقبي أجهزة التنصت مكان أوسع، لكن مهمتهم الأساسية لم تتغير وهي التدقيق المضني في المكالمات الهاتفية المتواصلة ومعظمها بلا مغزى. وفُصل ثلاثة رجال أوكلت الى كل منهم مهمة تحقيق في موجودات إسر، وهو عمل استمر مضجراً الى أن أدّى التعقب الدقيق للوضع المالي لشركات إسر الوهمية في سويسرا وبناما وهولندا الى كشف شبكة مصالحه الموزعة بين سفن وشاحنات ومطاعم ونوادٍ ليلية.

ولم ينته التحقيق الا وقد استمع عناصر فرق المراقبة الى نحو ٥٠٠ ساعة من الكلام الذي لا علاقة لمعظمه بما أرادوا معرفته. لكن صبرهم العجيب ألقى في النهاية بعض الضوء على ما بدا لغواً تافهاً، وساهم في تعزيز اثباتات الدعوى.

وقد بُهر الهولنديون بالنهج الاحترافي الصرف الذي اعتمده الامريكيون في التحقيق. فقد كان جاك شورت يذهب الى المدينة مع إسر، فيتكلمان لساعات ويتفاوضان في صفقات معقّدة، ثم يعود شورت الى الولايات المتحدة ويكتب تقريراً شاملاً يشرح فيه تفاصيل لقائهما. وغدت هذه التقارير العمود الفقري لشهادته.

مولر: "انها ناحية من عمل التحري لا تخطر في بال أحد ولا تراها في المسلسلات البوليسية. ولكن عندما يحين موعد المحاكمة ويُطلب التحري السري للشهادة، فانه يكون سعيداً بلا شك لأنه صرف وقتاً في كتابة تلك التقارير المفصلة."

وخلال فترات اقامة شورت في أمستردام، كان مولر يحجز غرفة آمنة في طبقة أخرى من الفندق ذاته حيث يتسنى لشورت أن يخلع قناعه ويكون نفسه لفترة وجيزة.

ولكن خارج غرفة مولر في الفندق كان احتمال حصول مشكلة وارداً باستمرار. فقد بدا إسر كأنه يتذكر كل ما ينطق به شورت فلا يدع له مخرجا ان هو ناقض نفسه وإن مرة واحدة. اضافة الى واقع آخر هو أن إسر لم يتسلم بعد دولاراً واحداً من جاك شميت، فكم من الوقت يمكن ان يمر قبل أن يتنبه الى عدم الانسجام الواضح بين تصرفات شورت التي تحددها قوانين المخدرات الأمريكية والهولندية، وأسلوب تاجر مخدرات حقيقي في العمل؟

وتساءل الهولنديون هل حان الوقت لاعتقال إسر. لكن مولر اقترح عليهم الانتظار. فحتى ذلك الوقت لم يتجمّع لديهم سوى بضع مكالمات ليوجهوا اليه تهمة الاتجار

بالمخدرات الخطيرة. وكان لدى شورت احساس بأن إسر في صدد ابرام صفقة. فإذا تمت هذه الصفقة وسُلِّم الهيروويين، كان ضلوع رويفن وعبد الولي شبه مؤكد.

وفي السادس من ديسمبر (كانون الاول) طار شورت وآل غورلي الى أمستردام، ووافاهما إسر الى فندق "ماريوت" حيث كانا ينزلان في الاولى الا ربعاً بعيد الظهر، بعد اجتماعه بعبد الولي في وقت مبكر من ذلك الصباح. واصطحبهما لرؤية طفله المولود حديثاً. لكنهم انشغلوا تلك الليلة وطوال اليوم التالي في التخطيط لصفقة مثلثة الاتجاهات يسلِّم عبد الولي بموجبها ١٠٠ كيلوغرام من الهيروويين الى جاك شورت في مطار ملقة باسبانيا بثلاثة ملايين دولار. وكان على شورت أن يزوِّد إسر مئة كيلوغرام من الكوكايين، يسلم إسر نصفها الى زميله جاك كانافاجيو والنصف الآخر الى شخص لا يعرفه شورت.

وطلب عبدالولي من شورت أن يدفع له مليونا ونصف مليون دولار مقدما، لكن إسر الذي كان على علم بتخوّف شورت الواضح من خسارة أمواله، عرض عليه يخته "باراكودا ٢" ككفالة. وكان هذا اليخت في تصرف شورت منذ أكتوبر (تشرين الاول) ١٩٨٥، اذ ان إسر أرسله اليه لكي يستخدمه في تجارة المخدرات. وقبل شورت بدفع المبلغ مقدماً حالما يأتيه التقرير الكيميائي بصلاح عينة الهيروويين. ووافق إسر على ذلك واتُفِق على أن يتم التسليم في اليوم التالي، أي السبت.

شعر إسر بنشوة عارمة وأكد لشورت ان عملية التسليم في ملقة خالية من أي مجازفة اذ ان المخدرات والاموال ستكون في حماية موظفين رسميين اسبان تربطهم علاقة بطبيب أحد النافذين، وأن سلطات الجمارك لم تفتش طائرة الطبيب يوماً.

في الثانية بعد ظهر السبت جلس بات مولر في ردهة فندق "ماريوت" وراقب رجلا قصيراً أصلع ذا ملامح شرقية يذرع المكان بعصبية ظاهرة. ففكر: "إذاً هذا هو عبد الولي." وفي احدى الطبقات العليا كان آل غورلي ينظر من نافذة الغرفة ١١٤٩ الى متنزه فوندلبارك حيث رأى جاك شورت يقود إسر الى مقعد باد للعيان انتقياه سابقاً. وسلّم إسر شورت رزمة صغيرة ملفوفة بورق ألومنيوم. وتمشيا في الحديقة قرابة ساعة ثم عادا الى الفندق حيث جلسا في المقهى وتكلما لفترة وجيزة. في هذه الاثناء التقطت أجهزة التنصت اتصالا اجراه عبد الولي بمنزل إسر في فترة غيابه. وأخيراً تمكن عبد الولي من مكالمته في المنزل في وقت متقدم بعد ظهر ذلك اليوم.

عبد الولي: "هل أعجبتهم السترة الجلدية؟"

إسر: "لا أعلم بعد ما اذا كانت تناسبهم. لكنني سأعرف ذلك خلال يومين أو ثلاثة."

التقى شورت وإسر مجدداً في فندق "ماريوت" على الفطور صباح الاثنين. واتفقا على أن يسافر رويفن والطبيب الى الولايات المتحدة الاسبوع التالي لتسلم الدفعة

العربونية من ثمن الهيروويين في نيوجرزي، ثم يعود الطبيب الى ملقة على متن طائرة شورت الخاصة لكي يبرهن قدرته على اجتياز الجمارك الاسبانية من دون أن تفتش أمتعته. وبعد القطور أوصل إسر الأمريكيين بسيارته اليه المطار بعدما انطلت عليه الحيلة ولم يبق الا أن يطبق عليه الفخ.

خلف القضبان

في الصباح الباكر من الجمعة ٢٠ ديسمبر (كانون الاول) طوق فريق خاص من الشرطة من ثمانية رجال شقة ستانلي إسر في أمستردام. وتمام السادسة حطّم قائدهم الباب الزجاجي الجرّار لشرفة غرفة نوم إسر وقبض عليه وهو في سريره قبل أن يتسنى له وضع قدميه الحافيتين على أرض الغرفة. ولم يبدِ إسر مقاومة، بل سأل عن الجهة القضائية التي أصدرت أمر القبض عليه. وعندما أعلم بأنها شرطة مقاطعة ألكمار صفر متعجباً وقال: "لم أكن أعلم أن هؤلاء الشباب يتحرون عني." ولا بد أن "الفريق إ" وخصوصا المنسق تونس فان فولبن الذي عمل جاهداً طوال ١٤ شهراً مصر على سرية اسمه، يعتبر اعتراف إسر هذا وسام شرف من الدرجة الاولى.

وفي مكان آخر من أمستردام، بعد ساعة تقريباً، اقتاد فريق آخر من الشرطة عبد الولي من شقته الفخمة، وصودر من الشقة مبلغ ٢٢ ألف دولار امريكي و٢١ ألفا و٥٠٠ غيلدر هولندي.

منتصف الليل، في نيوارك بنيوجرزي، كان مارتن رويفن والطبيب وشميت وبعض "جماعته" في حانة قبالة المبنى البلدي يحتفلون باتمام صفقتهم، بعدما عاين رويفن والطبيب في غرفة بفندق مجاور حقيبة ملأى بأوراق نقدية من فئة ١٠٠ دولار هي عربون المئة كيلوغرام من الهيروويين. وكانت مهمة رويفن ايصال الاموال الى مصرف سويسري. اما الطبيب فأخبر شميت أنه يستطيع تأمين "فرقة ضاربة" من اللبنانيين في حال التعرض للمضاربة. ولم ينتبه أي من الرجلين الى أن حديثهما مع شميت في غرفة الفندق كان يسجل بكاميرا فيديو. وهكذا، عندما دخل رجال مكافحة المخدرات وضباط شرطة نيوارك الحانة وأعلما رويفن والطبيب أنهما موقوفان، ظن رويفن أن الأمر مجرد دعابة سمجة ولم ينقطع عن الضحك حتى أقفل عليه باب الزنزانة.

وعاد إسر الى سجن هارلم في هولندا. انه يوم الثلثاء ٢ ديسمبر (كانون الاول) ١٩٨٦، أي قبل يومين من موعد اعلان الحكم عليه. ونحن جالسان في احدى غرف الزوار الصغيرة قرب صالة الرياضة التي تتردد منها أصداء مباراة في الكرة الطائرة. قال لي إسر ان ليس لديه شيء ضد جاك شورت، "فهو قام بواجبه وقال الحقيقة معظم الوقت." ثم قست نظرته وضاقت عيناه، واضاف: "أما شولا فوضعه مختلف، وسنلتقي يوماً ما لكي أصفّي حسابي معه." وهو أمل أن يحكم عليه بالسجن ثلاث سنوات لأنه

حسب أنهم سيسقطون عنه تهمة الهيروويين. وقد مضت عليه سنة في السجن منذ ايقافه، ولا بد أن يخفف الحكم لاحقاً نظراً الى حسن سلوكه.

واسترسل متذكراً طفولته في جزيرته الأم. لقد أمضى هناك طفولة سعيدة، ولكن عندما يعود اليها الآن يشعر بالقنوط لرؤية الفقر والفرص الضائعة.

إسر: **"الناس لا يريدون أن يعملوا، ويعتقدون أن العمل في خدمة شخص آخر أمر مشين. لماذا هذا الاعتقاد؟ أي امرىء أكثر فخراً من نادل فرنسي؟ كنت أراقب هؤلاء الندل وهم يخدمون على الموائد بعدم اكتراث ظاهر. وهذا ما أسأم حتى الامريكيين وثبط همتهم فسلّموا فندق "هيلتون" الى الحكومة وغادروا نهائياً."**

ولكن ماذا عن المستقبل وما الذي سيعمله بعد خروجه من السجن؟

إسر: **"سوف أعود الى تجارة الحشيشة، فكل ما عداها تافه." (ويجيل نظره في الغرفة باحثاً عن كلمات.) "كانت هيلينا تقول لي إنني أطلب الكثير من كل شيء وتسألني باستمرار: "لماذا لا نعيش حياة طبيعية؟" فهي لم تكن تدرك أن تلك هي حياتي الطبيعية، وهي الحياة الوحيدة التي اود أن أعيشها: السرعة القصوى. هيلينا لم تفهم ذلك أبداً، اتفهمه أنت؟"**

- كلا.

"لا بأس، سوف نبقى أصدقاء."

وقدت سيارتي جنوباً من هارلم، بحر الشتاء الى يميني والارض الساكنة المنبسطة أمامي تمتد الى ما وراء السديم. لقد أدركتُ أن ستانلي إسر هو الثمن الذي فرض على الهولنديين لتسامحهم مع "حضارة" المخدرات التي بلغت في انحلالها حدَّ الانغماس. وقد تضاعف عدد الجرائم خلال السنين العشر الماضية، ويشكل غير الهولنديين نسبة ٢٠ في المئة من نزلاء السجون، وكثير منهم جذبه الى هولندا انخفاض أسعار الهيروويين ووفرة الكوكايين وشرعية تعاطي الحشيشة التي تؤمنها "خدمة منزلية" ليلا ونهاراً.

وهناك ثمن يدفعه ستانلي إسر أيضاً. فتصميمه الرائع على النجاح ومواهبه الفطرية كانت كفيلة بايصاله الى أعلى المراتب في أي مهنة أخرى يختارها. وأخاله مديراً لذلك الفندق التعس في كوراساو، يكرس له نشاطه حاضاً الموظفين على الثقة به وبأنفسهم. لكن هذا ليس سبيل إسر "المهرب الكبير"، فهو يفضل دخول السجن على امتهان أي عمل آخر.

يوم الدهم اشترى بات مولر صندوق شراب وذهب الى ألكمار للاحتفال بالحدث مع إد بوينو و"الفريق إ." وشدّد القبض على إسر عزيمة قوّات الشرطة في أنحاء هولندا، فباشرت ملاحقة غيره من تجار المخدرات وأغلقت المتاجر التي تبيع مستلزمات الكوكايين. ورُفض التماس عبد الولي الحماية الهولندية، فسُلّم الى الحكومة الامريكية.

لكن مفاجأة مدمرة للجهود التي بذلت حصلت نهار ٢٩ مايو (أيار) ١٩٨٦. فقد التمس رويفن عفو المحكمة معترفاً بجزء من التهمة الموجهة اليه وهي التآمر لاستيراد الحشيشة وتوزيعها. فقبلت النيابة العامة التماسه وأسقطت عنه تهمتي الكوكايين والهيروبيين. وعقدت جلسة مغلقة برئاسة رئيس قضاة المقاطعة كلاركسون فيشر وحضور رويفن ومحاميه ومساعدة النيابة العامة كلوديا فلين، فأفرج عنه بعدما حكم عليه بالسجن عشر سنين مع وقف التنفيذ، وأُطلق لمدة سنة واحدة من دون مراقبة. وبعد ٤٨ ساعة من الافراج عنه عاد الى هولندا وصرّح للصحافة بان الامريكيين اضطروا الى الافراج عنه لأن الدعوى كانت ساقطة حكماً.

ولكن في الحقيقة، كما يتبين من سجل المحكمة، خلي رويفن بشرط تعاونه مع السلطات الامريكية والهولندية والكشف بصدق عن كل المعلومات المتعلّقة بمواضيع الاتهام، وهي استيراد الحشيشة والكوكايين والهيروبيين وتوزيعها وحيازتها، وتورّط مارتن رويفن وستانلي إسر والطبيب وعبد الولي وغيرهم في هذه العمليات. ولكن عندما استدعى محامي الدفاع مارتن رويفن للشهادة في نوفمبر (تشرين الثاني) خلال محاكمة إسر في ألكمار، أقسم على أنه وإسر كانا ضحيتي احتيال المديرية الامريكية لمكافحة المخدّرات.

لفّت غمامة يأس السلطتين الامريكية والهولندية اللتين توقعتا اصدار حكم متشدد على رويفن كخطوة أولى في سبيل تغيير سمعة هولندا كملاذ لتجار المخدرات. أما الآن فيكاد يُفقد الامل في أن يحكم على إسر بالسجن مدة طويلة. ونصحت احدى الصحف الامريكيين ألا يتوهموا أن بوينو سيدعو المحكمة الى انزال أقصى العقوبات بإسر، أي السجن عشر سنين وثمانية أشهر، استناداً الى شهادة "الزبون الامريكي الزائف." وحتى المواقف الاعلامية الاكثر اعتدالا عكست استياء من التدخل الامريكي في التحقيق. ولم تأمل المديرية الامريكية لمكافحة المخدرات أن يحكم على إسر بالسجن أكثر من أربع سنوات. ثم أجمع الرأي على أن العقوبة لن تتعدى ثلاث سنوات.

زمن المشاكل

الثانية بعد ظهر الخميس ٤ ديسمبر (كانون الاول) ١٩٨٦. دخل القضاة قاعة المحكمة الملأى بالحضور. وخلال عشر دقائق سيلفظ الحكم وتعلن العقوبة وتفض الجلسة.

سوّى رئيس القضاة ج.أ. يانسن اوب دي هار نظارتيه على وجهه المحبّب المستدير وبدأ القراءة: "لقد وجدت المحكمة ممارسات العميل السرّي الامريكي شورت سليمة تماماً وملتزمة نطاق القانون الهولندي. وتسليم المدعى عليه كمية ستة غرامات ونصف غرام من الهيروبيين كعينة في السابع من ديسمبر (كانون الاول) الماضي، أقنع

المحكمة بما لا يحتمل الشك بأنه حاول بيع الهيروبيين. لذلك حكمت عليه المحكمة بالسجن مدة سبع سنوات وشهر واحد، وبدفع غرامة مقدارها ٨٠٠ ألف غيلدر (٤٢٠ ألف دولار) وبمصادرة أسلحة وذخيرة وثلاثة جوازات سفر بنامية وكمية ضخمة من الحشيشة.

ونظر القاضي من فوق نظارتيه الى إسر وسأله هل فهم العقوبة.

فأجاب إسر أنه فهمها. ثم تداعى في كرسيه الى أن ربت أحدهم كتفه فوقف ومشى الى زنزانته.

وفي نيوارك قرّر عبد الولي في أكتوبر (تشرين الاول) ١٩٨٩ أن يقدم التماس عفو معترفاً بتهمة التآمر لاستيراد الحشيشة. فحكم عليه بالسجن عشر سنين مع وقف التنفيذ، وبغرامة مقدارها ٢٠٠ ألف دولار.

أما إسر فأفرج عنه بكفالة، وتنقلت قضيته من محكمة استئناف الى أخرى في محاولات لتعديل الحكم. ولكن حتى كتابة هذه السطور، وفي انتظار مراجعة الدعوى لدى المحكمة العليا في هولندا، لم ينجح إسر الا بتمديد عقوبته الى عشر سنين.

لورنس اليوت ■

ترجمة نهلا رزق

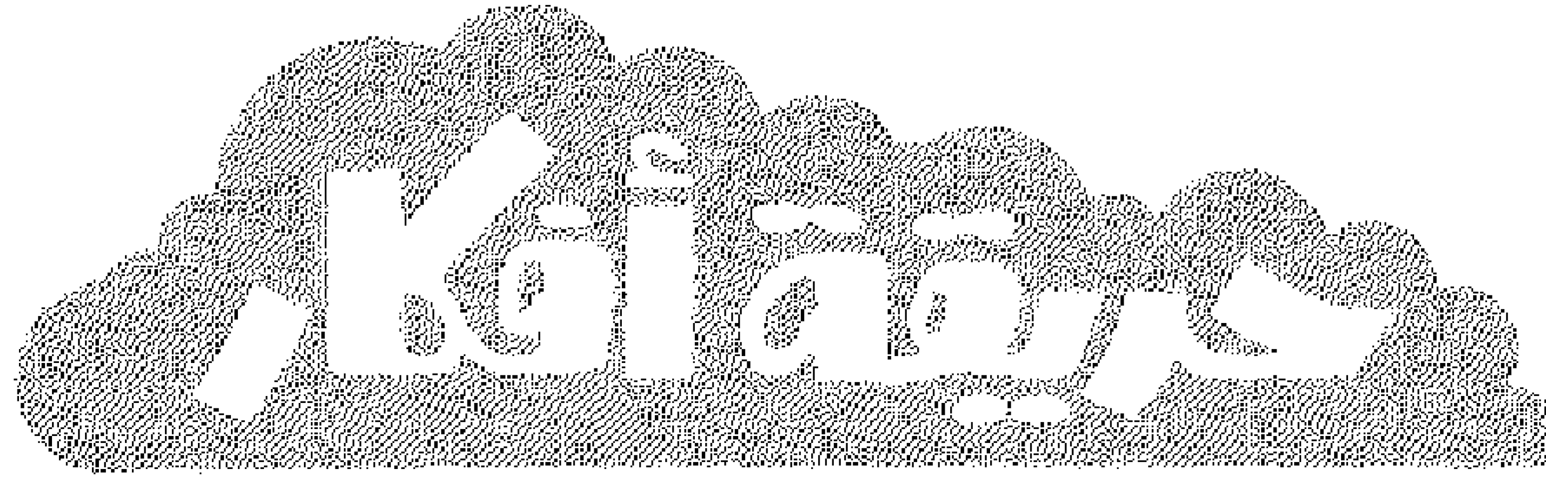


رسالة الكاتب

تمنح "جائزة إرنست همنغواي" سنوياً لأفضل رواية منشورة. وعندما تسلّمت الكاتبة بوبي آن مايسون جائزة همنغواي عن كتابها "شيلو وقصص أخرى"، قالت في كلمتها: "والداي مزارعان لم يحظيا بفرصة الذهاب الى المدرسة. لكنهما فعلا المستحيل لكي تكون لدي كتب وأذهب الى الجامعة، مع جهلهما الى اين يمكن أن يؤدي قليل من العلم. لكنهما كانا يخشيان إن أنا نجحت أن أتغيَّر وأخجل بهما. وهما ليسا من قراء الروايات. وكان علي أن أشرح لهما من هو همنغواي عندما أخبرتهما عن الجائزة. لكنهما مع ذلك قرأا قصصي واهتما لها وتعاطفا معها ووجدا فيها شيئاً من واقع حياتهما. وهذه أكثر الجوائز ارضاء لي، فما حاولت أن أفعله هو اسماع صوت اناس كوالديّ في العالم الذي أتيت منه.

أردت أن اقول هذا لكم، أيها الحاضرون الرفيعو الثقافة أدبياً، لأنكم باختيار روايتي لمنحها هذا الشرف أنما تقولون لي انكم سمعتم صوتهما. وأريدكم أن تعلموا أنهما يسمعانكم أيضاً. أشعر كأنني أنقل رسائل بين عالمين مختلفين، وهذا دور جيد يضطلع به كاتب.

صحيفة "بابلشرز ويكلي"



- هناك ثلاثة أمور مهمة في حياة الانسان. الأول أن يكون لطيفاً. والثاني أن يكون لطيفاً. والثالث أن يكون لطيفاً.

هنري جايمس

- لا تدخل المعرفةُ العقلَ من فمٍ مفتوح.

إ.د.

- ليس الخلود في ما نخلِّفه من أشياء، بل في الأشخاص الذين تترك عليهم حياتنا بصمات.

الجمعية الامريكية للسرطان

- التدريس هو التعلُّم مرتين.

ج.ج

- عندما كنت شاباً أُعجبت بالأذكياء، والآن وقد أصبحت شيخاً أقدِّر اللطفاء.

أ.هـ.

- ليس الفقر سبب الجهل، بل العكس هو الصحيح.

س.ر.

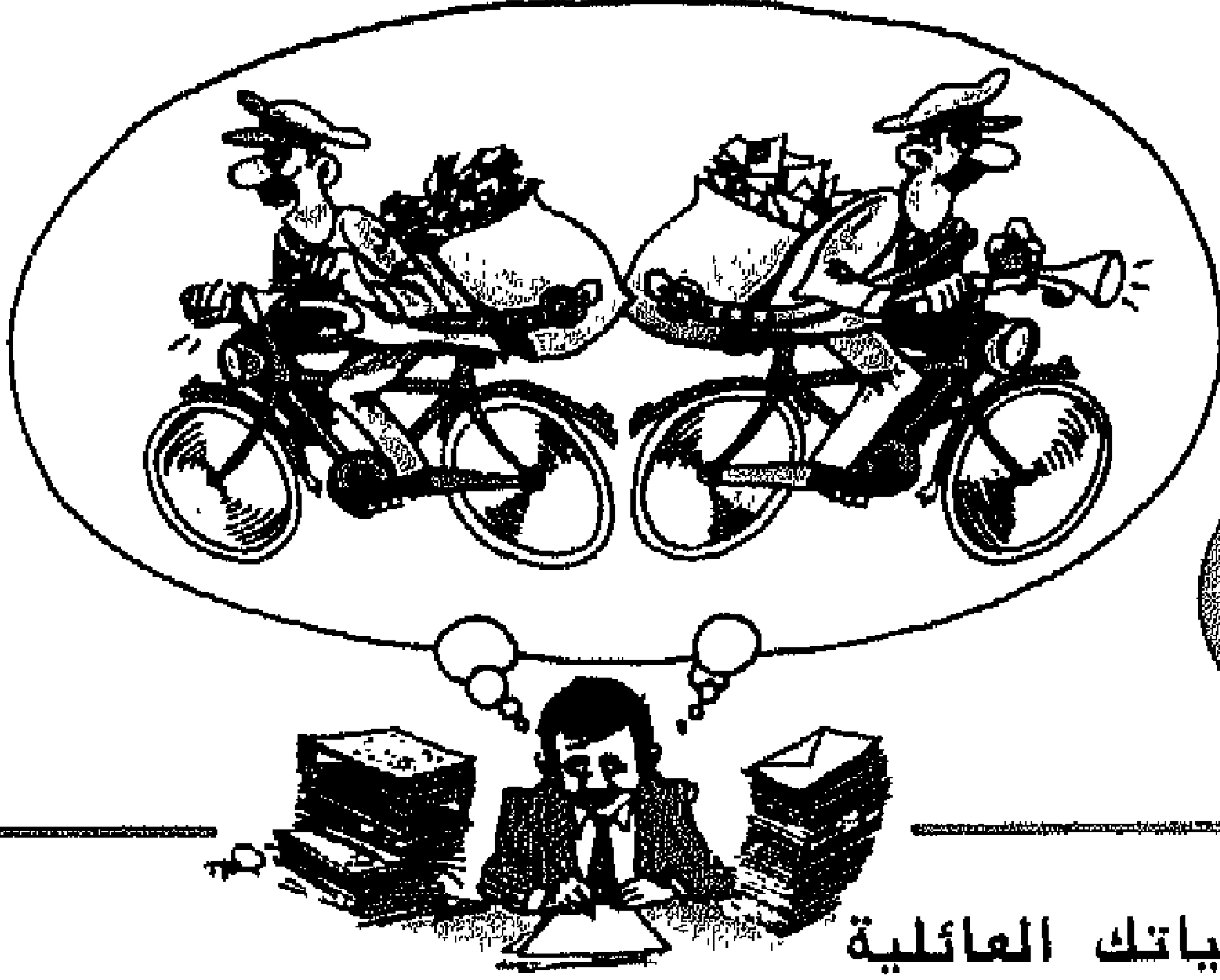
- لولا الصفح لما حظي أحد بحياة اجتماعية.

ا.ك.

- كان سيدنا نوح أول بيروقراطي في التاريخ. فهو احتفظ بنسختين عن كل شيء.

"وول ستريت جورنال"

اكتب واربح



هل لديك نكتة؟ هل صادفت في حياتك العائلية أو المهنية حادثاً طريفاً؟ هل سمعت حكاية ذات مغزى وترغب في أن تشرك الآخرين في متعتها؟ خذ قلماً وورقة واكتب ما لديك وأرسله الى "المختار" فتدفع لك المجلة في المقابل، بعد النشر، حسب المعدلات الآتية:

صور من الحياة: القصة يجب أن تكون حقيقية تتحدث عن تجربة شخصية ناجحة ذات متعة خاصة. تدفع عن القصة الواحدة ٣٥ دولاراً.

تأملات معاصرة: مقاطع أصلية أو من كتب ومقالات منشورة تنطوي على مغاز حكمية. يدفع دولار عن كل سطرين.

حديقة أفكار: أقوال مأثورة للأعلام العرب. تدفع ٥ دولارات عن كل سطرين، على ألا يتجاوز القول المأثور السطرين.

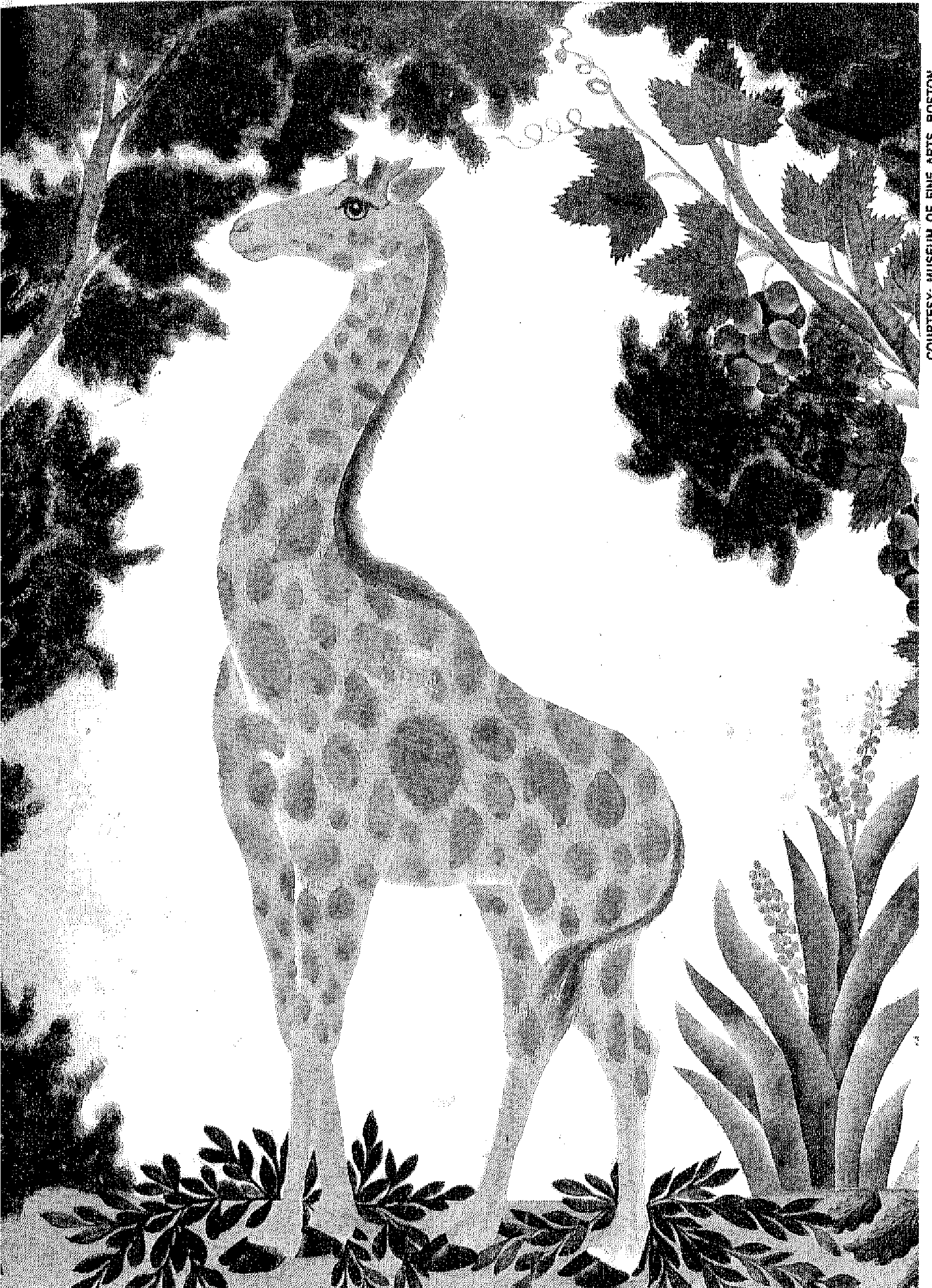
الضحك خير دواء: تفضل النكتة الاصلية، أما اذا كانت منشورة فيجب أن تختار من المطبوعات المحلية ذات الانتشار المحدود. تدفع ٣٥ دولاراً عن الاصلية و١٠ عن المنشورة.

السدات: هناك نكات ونوادر قصيرة من مصادر مطبوعة مثل الكتب والمجلات ذات الانتشار المحدود. وهذه كذلك يرحب بها "المختار" ويدفع دولارين عن السطر ذي العمودين.

شروط جديدة

- ★ كتابة الرسائل بخط واضح، والا طبعها على الآلة الكاتبة.
- ★ كتابة مادة كل باب على ورقة منفردة.
- ★ ارفاق كل مادة بنسخة مصورة كاملة لصفحة الكتاب أو المجلة أو الجريدة التي تظهر فيها، شرط أساسي لقبول أي مادة، اذ من دونها يتعذر علينا التحقق من صحة المصدر.
- ★ ذكر المصدر العربي ضروري ونعني بذلك: اسم الكتاب، اسم المؤلف، تاريخ النشر وعنوان الناشر كاملا. (اذا اختيرت المواد من مجلة أو جريدة، فينبغي ارسال عنوان الجريدة أو المجلة كاملاً، خصوصاً اذا كانت المطبوعة محلية محدودة الانتشار).
- ★ تحاشي المواد المترجمة أو المستقاة من مصادر أجنبية.
- ★ لا ينظر في الرسائل التي تضم كدسات من المواد، فالمقصود أن يحسن القارىء الاختيار.
- ★ لا تعاد النصوص الى أصحابها، سواء نشرت أو لم تنشر.

توجه الرسائل الى العنوان الآتي: مجلة "المختار من ريدرز دايجست"، بيروت. شارع المقدسي. بناية الشرتوني. ص.ب ٨٧٠٧ لبنان.



زرافة – مائية لرسام مجهول من القرن التاسع عشر.

سبتمبر/اكتوبر ١٩٩٠ - صفر/ربيع الأول ١٤١١



Reader's Digest
المختار

AL MUKHTAR min Reader's Digest
September / October '90 N° 142-143

الاوزون: نار تقترب من الأرض

(ص ١٤)

سؤال واحد لكل الأزواج

(ص ٢٠)

الصلع دليل تفوق؟

(ص ٧٩)

اللبناني الشاطر يشغل العالم

(ص ٣٤)



المختار

من ريدرز دايجست

مجلة شهرية

رئيس التحرير - المدير المسؤول: ادمون صعب.

مديرة التحرير: راغدة حداد. امينة التحرير: نهلا رزق. محررة مساعدة: لورا نفاع. الاشتراكات: فريال علاف.

مدير القسم الفني: جورج غالي. الخطوط: عبد القادر اسماعيل.

الامتياز: شركة النهار للمنشورات الدولية - باريس. الناشر: شركة "ايبراك" للمنشورات الدولية - بيروت.

رئيس مجلس الادارة - المدير العام: الدكتور لوسيان دحداح.

المدير العام المعاون: داني دحداح - باز.

التحرير والادارة: بيروت، شارع المقدسي، بناية الشرتوني، ص.ب ٨٧٠٧ بيروت - لبنان.

التلكس (الموقت): ANAHAR 22322 LE

COLIDI 21058 LE

التنضيد والتنفيذ: المطابع التعاونية الصحفية، شارع مصرف لبنان. بيروت.

الطباعة: المطبعة العربية، المدينة الصناعية - البوشرية، المتن الشمالي - لبنان.

التوزيع: الشركة اللبنانية لتوزيع الصحف والمطبوعات، بيروت.

AL MUKHTAR min Reader's Digest

Editor-in-Chief: Edmond Saab.

Managing Director: Dany Dahdah-Baz.

Beirut, Makdesi St., Shartouni Bldg., P.O.Box 8707, Beirut, Lebanon.

Telex ANAHAR 22322 LE / COLIDI 21058 LE



Circulation Audited by G. Bargout C.P.A.

September / October '90 N° 142-143 (New Series) Vol. 12

ريدرز دايجست

المؤسسان: دي ويت والاس وليلى اتشيسون والاس.

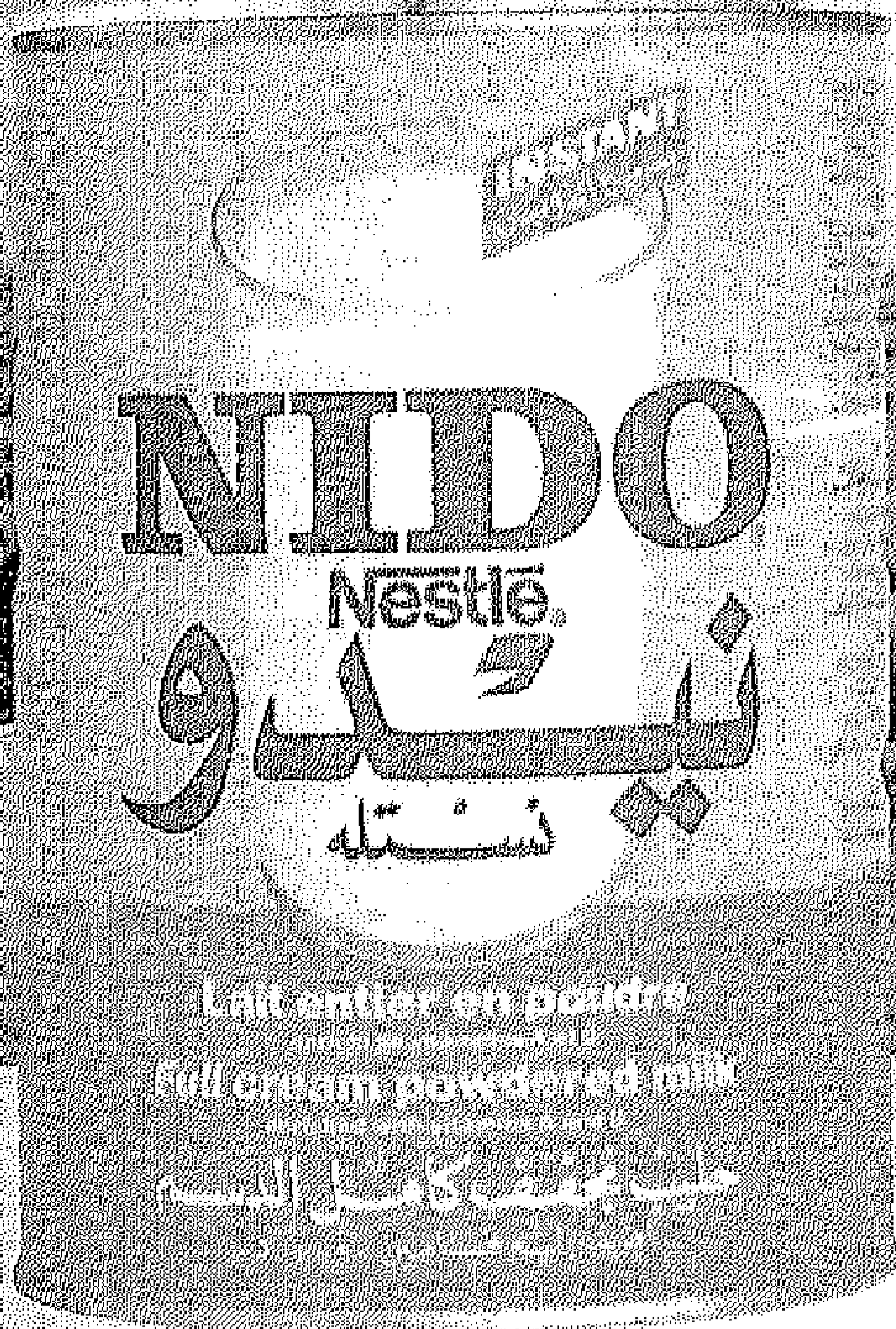
الطبعات الدولية

رئيس التحرير: كنيث غيلمور. مدير التحرير: فرنسيس ج. شيل. المدير العام: جورج ف. غرون.

تنشر «ريدرز دايجست» في اللغة الانكليزية (الطبعات الامريكية، الكندية، البريطانية، الاوسترالية، النيوزيلندية، الافريقية الجنوبية، الهندية والاسيوية) وفي الفرنسية (الطبعات الفرنسية، الكندية، البلجيكية والسويسرية) وفي الاسبانية (الطبعات الامريكية اللاتينية والاسبانية) وفي البرتغالية والاسوجية والنروجية والدانمركية والفنلندية والالمانية (الطبعتين الالمانية والسويسرية) وفي الايطالية والهولندية (الطبعتين الهولندية والبلجيكية) والصينية والكورية والهندية، الى العربية.

بنان ١٠٠٠ل - سورية ٤٠ل - الاردن ٧٠٠ف - الكويت ٧٠٠ف - الامارات العربية المتحدة ٩د - قطر ٨ر - البحرين ٨٠٠ف - لسعودية ١٠ر - مصر ١،٥ج - السودان ١ج - ليبيا ٥٠٠د - اليمن ٨ر - عدن ١٥د - مسقط ٨٠٠ب - العراق ٨٠٠ف - قبرص ٧٥ب - تونس ٧٠٠م - المغرب ٧د - الجزائر ٧د - فرنسا ١٠ف - انكلترا ١ج - اليونان ١٣٠د - كندا وامريكا الشمالية ٢،٥د

نيدو الحليب الأفضل

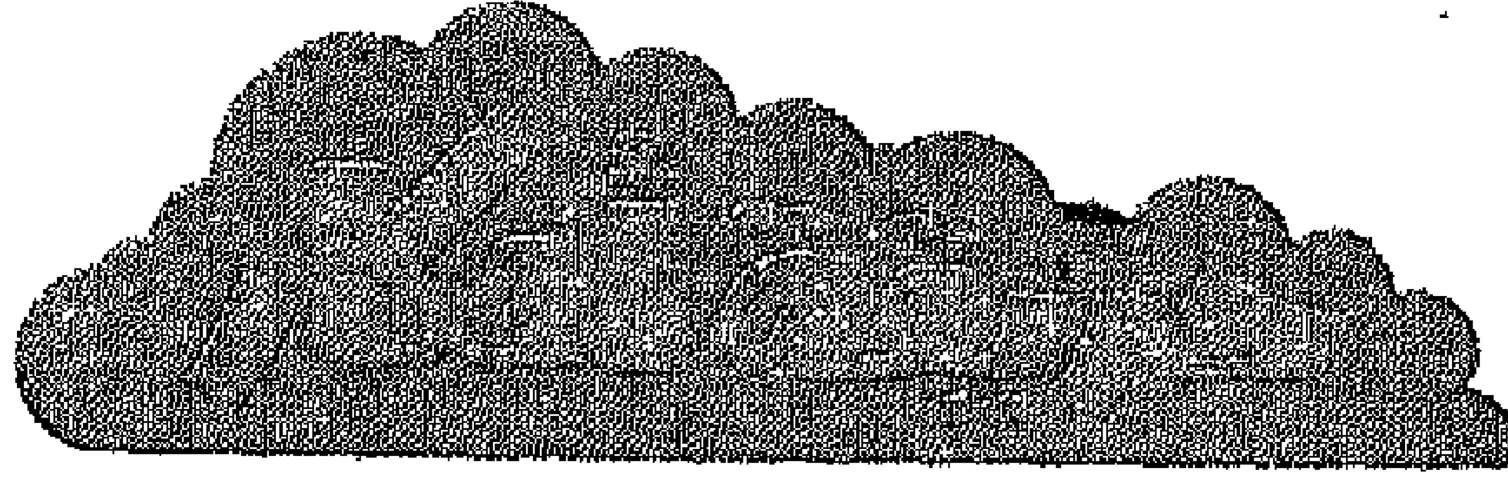


نيدو الأفضل طعماً، الأسرع ذوباناً، الأضمن نتيجةً والأوسع إنتشاراً.

نيدو السريع الذوبان: ضمانة أكيدة لنمو أولادكم.

Nestlé

تضمنه نستله



- نحكم على ذواتنا بما نشعر اننا قادرون على تحقيقه، فيما يحكم علينا الآخرون بما حققناه فعلا.

هنري ودسورث لونغفلو، شاعر امريكي

- نحن أمس الغد.

م.و.

- غالباً ما يلاقي المرء قَدَره على الطريق التي يسلكها لتجنبه.

جان دو لافونتين، شاعر وروائي فرنسي

- لا تدع ما لا تقدر عليه يثنيك عما تقدر عليه.

ج.و.

- إن تقدير عالم اقتصاد قد يكون صائباً كتقدير أي شخص آخر.

ويل روجرز، ممثل امريكي

- من ألذّ التجارب ذات المتعة الدائمة ذلك الشعور الذي يغمرك عندما تغفر لعدوك بقلب صادق، أعَرَف هو أم لم يعرف.

أ.أ.ب.

- يسن الناس قوانين لأنفسهم، ثم يفتشون عن ثغرات لنقضها.

و.ر.

- عندما تتمكن من الاصغاء الى شخص يسرد لك مصائبه ولا تبادله بسرد مصائبك، تكون بلغت مرتبة الابرار.

أ.ف.م.

- الانضباط هو أن تتذكر ما تريده.

د.ك.

- التشاؤم لم يربح معركة أبداً.

دوايت ايزنهاور، جنرال ورئيس امريكي راحل

يكسو الغبار أثاث منازلنا ويملأ الشقوق ونراه لألاء طافياً في شعاع نور. فمن أين يأتي؟

الغبار يكحّل العالم

جلست وحيداً في منزل جدتي مأخوذاً بقراءة كتاب. ورفعت عيني فجأة، فإذا بي أرى شعاعاً من نور الشمس تجلّى داخل غلافه الذهبي منظر فائق الروعة. كانت ذرات لامعة من الغبار تدور ببطء في بحر الشعاع كنجوم في مجرَّة نيرة. وحين مددت يدي الى الشعاع تحلّقت حول كل اصبع زوبعة من غبار.

حدث ذلك قبل سنوات كثيرة. لكن صورة مملكة الغبار المتألقة في شعاع الشمس كما نراها في حداثتنا لا تلبث أن تغيب عنا في خضم الواجبات المنزلية الدائمة من مسح الغبار في أرجاء البيت وتنظيف السخام المتراكم في الشقوق. غير أن رؤية طفولتنا هي الأصح. فللغبار حصة كبيرة من جمال العالم.

لولا الغبار لما كانت غيوم ولا أطياف متباينة من خِضار ولا ظلال متعددة الألوان. ولما تمتعنا برؤية السديم الألِق فوق الجبال ولا بمغيب الشمس الفاتن.

ولما كانت زرقة السماء لولا جسيمات الغبار الدقيقة المعلّقة في الجو التي تتعاون وجسيمات الهواء على اعتراض الموجات القصيرة (الزرقاء) في نور الشمس وبَعْثرتها. واذ تغيب الشمس يكشف الجو المغبر الاشعة البرتقالية والحمراء الطويلة الامواج التي تلوّن السماء. ويولِّد الغبار المعلق في الاجواء العليا حمرة الشفق التي تظل متوهجة بعد المغيب، كلحن عذب انتهى عزفه وما زال رجعه ينساب شجياً يهز أعماق النفس. باختصار، يمنحنا الغبار روائع ملهمة.

والى الجمال المنظور يتحفنا الغبار بمنافع جمّة، منها المطر. فلكي تتكون الغيوم يجب أن تكون نواة يتكثف حولها بخار الماء كما تتكثف اللآلىء حول حبات الرمل. فجسيمات الغبار المحمولة في الهواء تؤدي الغاية ذاتها.

فمن أين يأتي الغبار؟ كثير من مسبباته يقع على عاتقنا. فكل خطوة على الرصيف تحت جسيمات من نعل الأحذية والاسمنت. ولدى تبادل قطع النقد المعدنية تنسلخ منها أجزاء دقيقة. وتنطلق من عود ثقاب لدى اشعاله ملايين الجسيمات من الكربون. ولدى مطالعة صحيفة تنقصم نتف مجهرية من الصلصال عن الصفحات الصقيلة اللامعة وتحلق عائمة في الجو مع رقائق من حبر المطبعة وجلد الاصابع.

وأينما يكن مسكنك فكثير من الغبار العالق في سجادك ناتج من الصناعات المحلية. ومصانع الفولاذ والاسمنت ومقالع الصخور ومطاحن القمح هي من المسببات الرئيسية للغبار. وتأتي نسبة كبيرة من الغبار الذي يسببه الانسان من حرق الوقود. فالمصانع التي تحرق الفحم لانتاج الطاقة تنفث أطناناً من الرماد يومياً من مداخنها. ورواسب محركات الطائرات النفاثة تسقط من الجو على رؤوسنا باستمرار. ومن المدهش أن جزءاً يسيراً من الغبار في الهواء يأتي من السيارات.

غبار حي. يتراكم في المنزل النموذجي نحو ٢٠ كيلوغراماً من الغبار في السنة. وتحوي ردهة الجلوس مليارات الجسيمات من الغبار، منها ما يلج محرك المكنسة الكهربائية عبر الكيس ويتقلّى هناك مولّداً تلك الرائحة "الساخنة" المألوفة، ومنها ما يتراكم بسرعة على شاشة التلفاز لان وراء أنبوب الصورة "بندقية الكترونات" تطلق عليها شحنات سلبية. ولأن الاضداد تتجاذب، فكل ذرة غبار ذات شحنة ايجابية طافية قرب الشاشة تتجه اليها مباشرة.

والتراب أحد أهم مصادر الغبار الطبيعي. لكن قلة من الناس تعلم أن المحيطات هي مصدر كبير آخر. فكلما تكسرت موجة على شاطىء حملت الريح عدداً لا يحصى من جسيمات الملح مئات الكيلومترات الى الداخل. وتنفث البحار ٣٠٠ مليون طن من هذه الجسيمات البلّورية سنوياً، أي ما يزيد ٥٠ في المئة على كميات الملح المستخرجة من المناجم. ويترسب ملح المحيط الاطلسي على سطوح القرميد والقش في بريطانيا، ويستقر ملح المحيط الهادىء في مواقف السيارات بمدينة رينو في ولاية نيفادا الصحراوية. وقد تنفث كميات كبيرة من الملح على شاطىء ولاية نيوجرزي فيتراكم على عازلات الاسلاك الكهربائية مما يتسبب في انقطاع التيار.

وبعض الغبار "حيّ" يتحرك. فعثّ الغبار يعشش في فراشك وسجادك ويقتات بملايين القشور التي تسقط من جلدك يومياً (وتبين أن برازها من أقوى المواد المثيرة للحساسية.) وتنتج الخميرة بتكاثر بوغات (بذور) بالغة الصغر، وهي كيميائي مملكة الغبار. فالخميرة تحلل السكر الى كحول وثاني أوكسيد الكربون، وتحول عصير العنب خمراً والشعير جعة. ولولا ملايين أطنان اللقاح التي تطفو في الجو كل سنة لَعجز معظم الأزهار والأشجار عن التكاثر.

مسافر حول الارض. اذا تفحصت عينة من حبيبات الغبار فستجد بينها تباينا كالفوارق بين الحصى والجلاميد. فجسيمات الدخان يبلغ قطرها جزءاً من الميكرون (قطر ثقب الدبوس ٤٠٠ ميكرون)*. وقطر الجرثومة (البكتيريا) ميكرون واحد أو اثنان، وتراوح قطرة الغيم بين ٦ و١٨، ويزيد قطر حبيبة اللقاح على ٢٥ ميكروناً. أما عث الغبار فصغير جداً تحتشد ١٢ عثة في النقطة التي تنهي هذه الجملة.

وتتباين سرعة تساقط جسيمات الغبار. ويستغرق سقوط حبيبة غبار قطرها ٣ ميكرونات مسافة ٣٠ سنتيمتراً نحو نصف دقيقة، في حين يستغرق سقوط حبيبة قطرها ربع ميكرون أكثر من ذلك ٢٠٠ مرة. أما حبات الغبار المتناهية في الدقة فتتقاذفها اهتزازات ذرات الهواء وقد تبقى قروناً محمولة في الهواء.

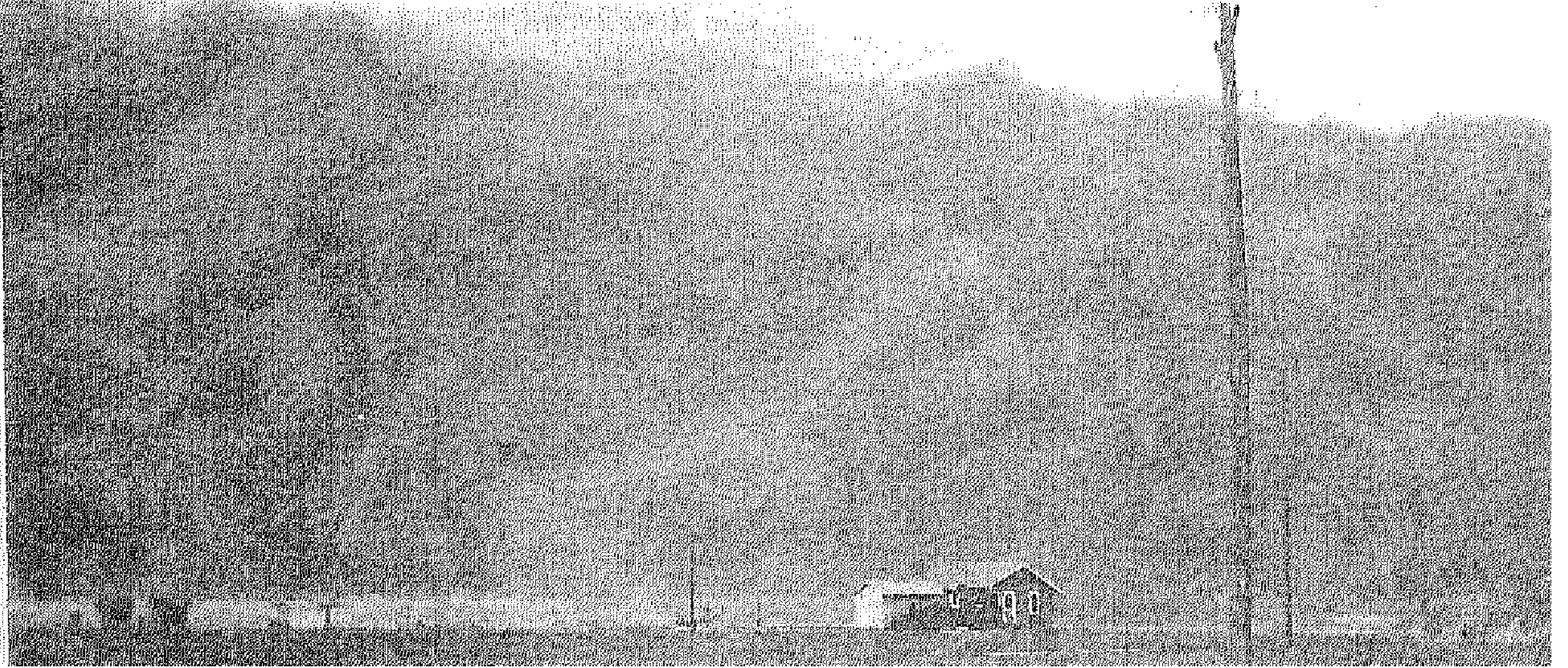
وعلى رغم ضآلة بعض جسيمات الغبار فانها قد تسبب أضراراً. فرقائق السيليكون المستخدمة في أجهزة الكمبيوتر والهاتف وألعاب الفيديو والأدوات "الذكية" قابلة للعطب بفعل الغبار. وكل رقاقة بحجم ظفر طفل محززة بألوف الخطوط المجهرية لتؤلف دوائر متكاملة. يقول أندرو س. غروف رئيس شركة "إنتل": "ان سقوط جرثومة واحدة على رقاقة يعادل سقوط جذع شجرة على طريق." لذا يتعين أن تكون الغرف حيث تصنع الرقائق أنظف ألف مرة على الاقل من جناح العمليات في مستشفى.

ومن الحقائق المدهشة عن الغبار قدرته على السفر. فهو يدور حول سطح الارض منذ القدم. وفي الثلاثينات ذرت عواصف الغبار من السهول الكبرى في الولايات المتحدة كميات هائلة من التراب شرقاً فسوّدت الثلج في منطقة نيوانغلند وكست سطوح السفن على بعد ٥٠٠ كيلومتر في الأطلسي. أما أسوأ العواصف فربما كانت تلك التي هبّت في ١٤ أبريل (نيسان) ١٩٣٥ حين "تدحرج" جدار من الغبار بلغ ارتفاعه ٣٠٠ متر وعرضه ٣٠٠ كيلومتر شاقا طريقه عبر سهول كنساس وشرق كولورادو الى أوكلاهوما وتكساس بسرعة ١٠٠ كيلومتر في الساعة، خانقاً أسراب البط والاوز هناك.

ويسقط في الولايات المتحدة غبار من أراض أجنبية. ففي ميامي بلفوريدا يمكن تتبع مصدر السخام البني الذي يكثر في الصيف الى الصحراء الافريقية الباعدة ٦٥٠٠ كيلومتر. وحين ثار بركان "إل شيشون" في جنوب المكسيك عام ١٩٨٢ عثر العالمان الفلكيان آدن ومارجوري ماينل على ترسبات من الرماد البركاني في بركة السباحة أمام منزلهما في توسون بولاية أريزونا الامريكية.

غبار كوني. يطوف الرماد البركاني سنوات حول الارض. وفي انفجار جزيرة كراكاتوا في المحيط الهادئ يوم ٢٧ أغسطس (آب) ١٨٨٣ قُذف الرماد والخفاف ٨٠ كيلومتراً الى

(*) الميكرون جزء من الف من المليمتر



الـ"ستراتوسفير" وهو الجزء الاعلى من الغلاف الجوي. وبعد مرور ثلاث سنوات ظلت درجات الحرارة في العالم أدنى من الطبيعي بسبب تأثير التظليل. وكان غروب الشمس من أروع ما شوهد. ومنذ العام ١٩٦٣ حدثت سلسلة ثورات بركانية أبقت الأجواء، صبحاً ومساء في أنحاء العالم، مصطبغة بألوان حية زاهية لم تخبُ الا في العام ١٩٨٦.

وهناك نوع آخر من الغبار الحاضر في كل مكان. مرّر أصبعك على عتبة النافذة، فقد تلتقط كسرة من الفضاء الخارجي. ويقدر بعض العلماء أن "الغبار الكوني" الذي انهمر على الارض خلال مليارات السنين الغابرة (أكثره من الشهب المحترقة في الجو) يكفي لتكوين طبقة بكثافة سنتيمترين ونصف سنتيمتر.

وقد تحوي حفنة تراب في فناء منزلك بضع ذرات من مذنّب "هالي." وبعض الغبار على كوكبنا مصدره القمر، ويعتقد خبراء أنه ترسب على أثر اصطدام شهب ضخمة بسطح القمر. والاكثر غرابة أن وابلا من غبار كوكب المريخ ربما سقط على الأرض حين اصطدم كويكب سيّار بالكوكب الاحمر قبل ١،٣ مليار سنة.

والى ذلك، قد تكون حيوانات الارض مدينة للغبار. وتزعم احدى النظريات أن كويكباً سريعاً بلغت مساحته حوالى ٦٢ كيلومتراً مربعاً اصطدم بالارض قبل ٦٥ مليون سنة فأثار غيمة من غبار أغرقت الارض في الظلام والبرد القارس لمدة عقود. فهلكت حيوانات الدينوصور العملاقة مما أتاح ازدهار الثدييات.

واذا أخذنا في الاعتبار عدد الجسيمات الهائل ومدى التمازج في الجو، فمن المحتمل أن يكون دخان من الحرب العالمية الاولى لا يزال سابحاً في غبار منزلك. وقد تكون في منزلك جسيمات متناهية الصغر من كواكب أخر أو من رماد براكين بدائية أو من معدن دروع المعارك في القرون الوسطى.

ريتشارد م. شنايدر ■

يالهامِن نكهةٍ غنيّة ولذيذة !

Carnation®

Coffee-mate®

كريمة مُبيِّضة للقهوة

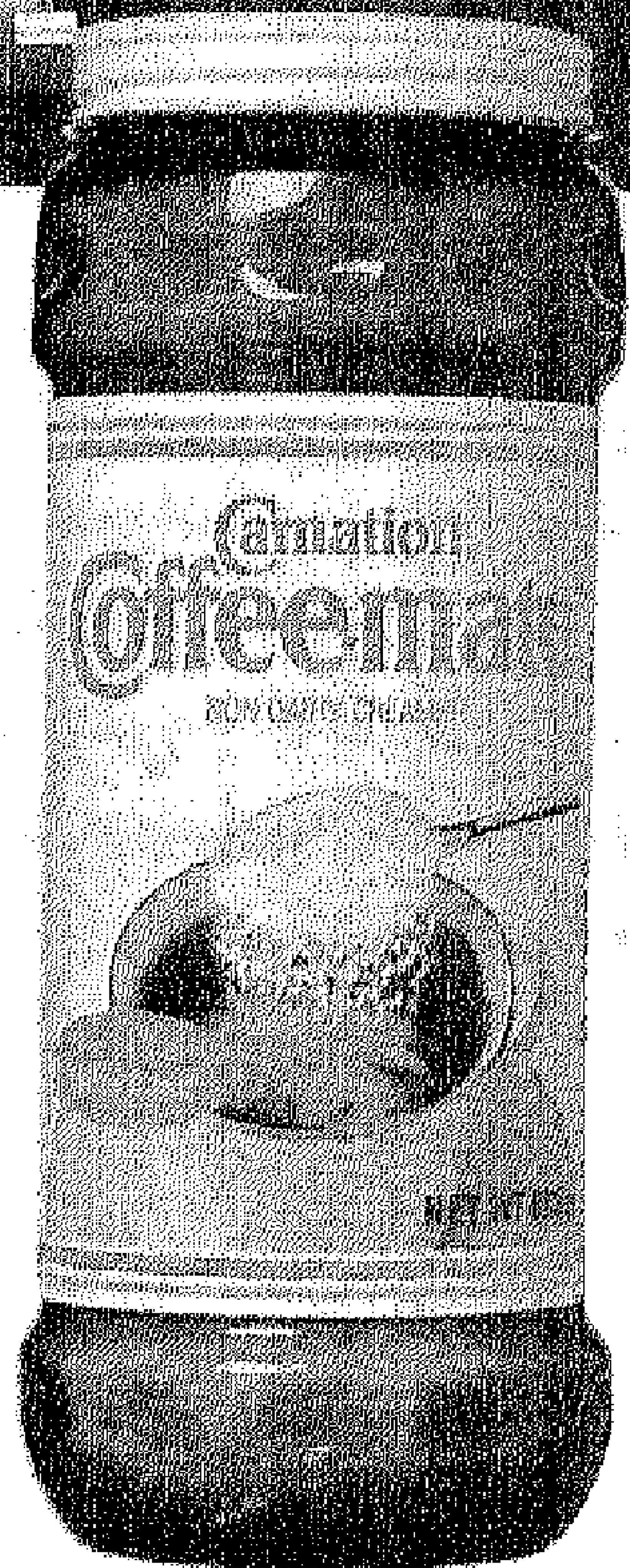
كوفي - ميت يجعل طعم قهوتك سلسًا لذيذًا
ويُغنيك عن المواد الدسِمة

كارنيشن

كوفي - ميت

يُضفي إلى قهوتك نكهة غنيّة

من إنتاج Carnation كارنيشن



Reader's Digest
المختار
سبتمبر/اكتوبر ١٩٩٠
صفر/ربيع الأول ١٤١١
السنة الثانية عشرة
سلسلة جديدة
مجلة بحجم كتاب ومقال لكل يوم بأسلوب ممتع

١٠ عبارات تؤذي أطفالكم

اذا بدا لك أن طفلك لا يسمع ما تقولين فقد يكون ما تقولينه خطأ

عندما تكتشفين أن ابنك نسي دفتر فروضه في المدرسة مرة ثانية، تقولين له من غير تفكير - وإن كنت أكثر الامهات تفهماً: "كيف تكون غبياً هكذا؟" وعندما لا يجد أولادك في العطلة ما يفعلونه سوى الشجار، تصرخين - وان كنت أكثر الامهات صبراً: "ليتني لم أنجب أولاداً!"

وعلى رغم أن تربية الأولاد هي امتحان لصبر المرء، فمن المهم أن نتحاشى استعمال عبارات قد تؤذي كبرياء الطفل. يقول دونالد كيت الاختصاصي بتربية الأولاد وأستاذ الارشاد النفسي في جامعة بنسلفانيا: "على الآباء والامهات أن يتعلموا التحكم بغضبهم وإحباطهم كي يعلّموا أولادهم حسن السلوك، اذ يتمتع الاولاد بالمقدرة العقلية والعاطفية التي تؤهلهم لذلك."

هنا عشر من أكثر العبارات المتداولة أذى، وطرق تحاشيها:

١ "لماذا لا تكون مثل فلان؟" تحضّر سمر فروضها المدرسية على الدوام، ولا تنسى تنظيف أسنانها. بيد أن شقيقها صلاح يحتاج دائما الى من يذكره بواجباته. فلماذا لا يكون مثل سمر؟

يشير الاختصاصيون الى أن المقارنة لا تؤدي الى سوى زيادة التنافس الطبيعي بين الأخت وأخيها. ويقول العالم النفساني دون فلمنغ: "اذا قورن الطفل بغيره سلباً، فقد ينمي استياء من أخته أو من أخيه."

فبدلا من مقارنة الأطفال، حددي بالضبط ما تريدينه من ولدك: غرفة أكثر ترتيبا؟ سلوك أفضل الى المائدة؟ ركزي على السلوك الذي تبتغين تغييره. كأن تقولي: "إنتظر حتى يؤذن لك بمغادرة المائدة."

وبيِّني للطفل أهمية العادات الحسنة في حياته. مثلا، إنجاز الفروض في وقتها يعني نيله علامات تريحه من الدراسة خلال العطلة الصيفية. فمتى فهم الطفل أنك تريدين تغيير طريقته لا شخصه، سنحت لك فرصة أفضل للمس تحسن في سلوكه.

٢. "لماذا لا تتصرف حسبما يقتضيه عمرك؟" عندما تتصرف ابنتك البالغة سبع سنوات في مطعم أنيق كبنت أربع سنوات، تصابين باحراج وتنهرينها قائلة: "لماذا لا تتصرفين حسبما يقتضيه عمرك؟" النتيجة؟ تشعر ابنتك بالإهانة وتواصل رش الملح بعناد حتى تفرغ المملحة.

فبدلا من استفزاز الطفل تفوهي بعبارة تحقق المطلوب. يقول فلمنغ: "تصرفي بمواجهة غير شخصية. قولي ببساطة: أعلم أنك لا تود أن تُحرم مشاهدة التلفاز هذا المساء، كما لا أريد أن أطفئه. لكن هذا ما سيحدث بالضبط إذا لم تحسن التصرف." وبلمحة خاطفة يعي الطفل نتائج عمله.

٣. "أيجب دائماً أن تبدو قذراً؟" تعنى الأمهات بإلباس أطفالهن ثياباً نظيفة أنيقة. وفي غفلة من الام يخلع الطفل ثيابه المرتبة ويلبس قميصاً عليه رسم "رامبو" وسروال جينز ممزقاً. وهنا تبدأ معركة الثياب وتمشيطة الشعر.

قد يؤدي انتقاد ملبس الطفل وتمشيطة شعره الى ارساء عادة التصارع على النفوذ. اذذاك يجب على الوالدين أن يتساءلوا: "لماذا نريد أن نكون أصحاب القرار في هذا الشأن؟" يقول كيت: "عندما يخرج ولدك مع أصدقاء له، دعيه يلبس ما شاء. ولكن اذا كان ذاهباً معكما لتناول العشاء في الخارج، لا تدعيه يلبس ما يريد. إذ يجب أن يتعلم الأطفال ان لكل مناسبة ملبسها. وللوالدين الحق في وضع خط فاصل بين رغبات الطفل وواجباته.

٤. "أنت الاحبّ والاجمل والاخفّ ظلا." مثل هذه التصنيفات الايجابية قد تؤدي الى حرمان الطفل رؤية نفسه بوضوح. فإن صنفته "بارعاً في الرياضيات"، مثلا، فقد ينزع الى كبت نزعته الفنية. وعبارة "أنت الأذكى" قد تشكل ضغطاً يعيق نجاحه.

لذلك أفيدي من معرفتك بمواهب طفلك

كي تشجعيه، ولا تطبعيه بصفة محددة. مثلا، عبارة "أنت ذكي، لذا أنا واثقة بنجاحك" تؤمن له دعما معنوياً، وهي ليست صارمة مثل عبارة "أنت الأذكى، والامتحان بالنسبة اليك كشربة ماء."

ويحذر كيت: "قد يكون التصنيف السلبي توقعاً يتحقق ذاتياً: "فإن قلت لطفل انه كسول، فقد يزداد كسلا عملا بتأكيدك له أن الكسل صفة ثابتة تلازمه.

على الوالدين ايضاح قصدهم الحقيقي حين ينزعون الى تصنيف أطفالهم سلباً. فهل الطفل كسول حقاً؟ ألا يؤدي واجباته ان لم يُذكّر بها؟ إن كان الأمر كذلك فعلى الوالدين توجيه طفلهما بأسلوب الثواب والعقاب، كانذاره مثلا: "إذا نسيت رمي النفايات فسوف أحسم جزءاً من مصروف جيبك."

٥. "كيف تكون غبياً هكذا؟"

أهداف التربية بناء ثقة الطفل بنفسه. لكن عبارات مثل "كيف تكون غبياً هكذا؟" لا تؤدي الا الى جرح شعوره. بدل ذلك، امنحي الطفل دعماً إيجابياً يساعده في تحسين سلوكه. وخصصي وقتاً تشرحين له كيف يؤدي عملا ما بنجاح. مثلا، اذا خرج الى الشارع ولم ينتبه الى السيارات العابرة، جرّبي عبارة: "ينبغي أن تمسك يدي حين نعبر الشارع." وعندما يمسك يدك يسعك أن تضيفي: "ذكاء منك أن تمسك يدي. الآن نستطيع عبور الشارع بأمان."



٦. "أتمنى أحياناً لو لم أنجب أولاداً." يسمع الطفل عبارات مثل: "أنت غير نافع. لا أريدك." ويقول كيت: "يحتفظ الطفل في قرارته بهذه الفكرة، وغالباً ما يحملها الى سن الرشد.

وإذا غضبتِ الى حد يحملك على القول: "ليتك لم تولد"، فينصحك الدكتور وليم كوش المستشار في شؤون تربية الأولاد، بأن تجربي بدلا من ذلك عبارة "أحياناً تجعلني غاضبة جداً."

وأفضل من ذلك، ضعي أحكاما ونفذيها قبل أن تصل الأمور الى درجة الغليان. فالطفل الذي يعرف ما يُتوقع منه ويرى ثباتا في موقف والديه، يتصرف على نحو أفضل.

٧. "دعني وحدي!" يحتاج جميع الوالدين الى وقت يقضونه منفردين، لكن صرف الطفل بغضب يشعره بأنه غير مرغوب فيه. حاولي إشراك طفلك في شؤون عليك انجازها. فحتى ابن السنوات الثلاث يحب أن "يساعد" في تحضير المائدة. يقول الدكتور كوش: "إن قضيت وقتاً مع أولادك حين يحتاجون اليك، تضاءلت مطالبتهم باهتمامك في أوقات أخرى."

وحين تحتاجين الى البقاء وحدك، يقترح الدكتور كوش أن تقولي لطفلك: "أحبك كثيرا، لكنني مشغولة جداً الآن." دعيه يدرك أنك ستعودين إليه في ما بعد. اما اذا أصرَّ على ملازمتك فقد يفيد أن تنبهيه: "اذا قاطعتني ثانية تذهب الى غرفتك، لأن هذا الوقت يخصني أنا." وبهذه الطريقة تصبح القضية قضية مبدأ وانضباط، لا رفض.

٨. "إخرس!" تترك هذه الكلمة لدى الطفل انطباعاً انك لا تعبئين برأيه، وقد يرى نفسه شخصاً لا يملك شيئاً مهماً يقدمه الى الآخرين.

جربي القول: "تمهل. إهدأ. أسكت." فإن لم تنجحي، اعمدي الى تدبير هادىء وحازم: أطفئي التلفاز وأرسلي طفلك الى غرفته.

وتذكري أن الأولاد يتعلمون بالأمثولة. يقول روبرت برامسون الذي ألَّف وزوجته سوزان كتاب "بيت بلا شوارع"*: ان أردت أن يكون أولادك مهذبين، فعليك أنت أن تكوني مهذبة. فأنت لا تقولين "إخرس" لصنو لك، لذلك لا تستعملي هذه الكلمة مع طفلك."

٩. "إفعل وإلا..." إن التهديدات الفارغة تنتقص من سلطتك. فهي تحدو الطفل على متابعة سلوكه السيىء إمعانا منه في امتحانك.

الخطة الفضلى تقضي باختيار عقاب محدد تعمدين الى تنفيذه. قولي شيئاً مثل: "إن لم تتوقف عن ذلك فوراً منعتك أسبوعاً من اللعب خارج المنزل." أو: "إن فعلت ذلك ثانية فلن تلعب بعد

* The Streetless Home

العشاء." فيعرف الطفل أنك تعنين ما تقولينه. ويؤكد الدكتور كوش: متى لجأ الوالدون الى مراعاة الانضباط بثبات، أدرك الأطفال بسرعة أنهم يقرنون القول بالفعل. أما بالنسبة الى الأطفال الصغار، فارسالهم الى غرفهم اجراء فاعل جداً. وعندما يكبرون يتحول هذا النوع من العقاب قصاصاً يطاول امتيازاتهم.

١٠ "إن لم تأتِ معي فوراً فسأذهب وحدي." لا "تلعبي" أبداً بخوف الطفل من أن يترك وحيداً. يقول كوش: "على الوالدين أن يكونوا ملاذاً أميناً ينطلق منه الطفل الى العالم، والا نمت فيه نزعة الاعتماد على الأهل والالتصاق بهم."

لذا يستحسن أن تقولي لطفلك الدارج الذي يرتمي عند زاوية الشارع رافضاً متابعة السير: "اما أن تأتي الآن واما أن أجرَّك بيدك وأجبرك على المجيء."

فاذا كان طفلك نزاعاً الى التواني والمماطلة، أنذريه قبل وقت. أعلميه مثلاً: "لديك خمس دقائق أخرى للعب مع سوسو، ثم نذهب." غالباً ما يؤدي هذا الأسلوب الى النتيجة المرجوة من دون حاجة الى تهديد الطفل بتركه وحيداً.

إذا قلت لطفلك كلاماً مؤذياً فثمة طرق لاستدراك الخطأ. فمن حسن الحظ أن الأطفال يتسمون بالمرونة. وينصحك الدكتور فلمنغ بالآتي: "عودي الى طفلك واحتضنيه هامسة: "لقد قلت لك كلاماً قاسياً. فحين أغضب أقول كلاماً لا أعنيه. إني آسفة." هذا الكلام لا يساعد فقط في ترميم العلاقة المجروحة بل يعلِّم الأطفال ما يجب أن يفعلوه متى قالوا كلاماً غضوياً لا يعنونه."

أما القاعدة الذهبية التي يجدر بك اتباعها فهي، بكلام الدكتور كوش: "دعي طفلك يشعر دائماً بأنه محبوب."

أنطونيا فان در مير ■

الغش الظريف!

يدرس صديق لي الموسيقى في احدى الجامعات. وطلب منه يوماً كتابة مقال عن أحد المؤلفين الموسيقيين. وإذ لم يكن لديه متسع من الوقت لانجازه عمد الى نقل مقال من موسوعة موسيقية آملاً ألاّ يلاحظ أستاذه فعلته.

وعندما أعاد اليه الاستاذ المقال خلت صفحاته من اي تعليق ما عدا جملة قصيرة كتبها الاستاذ في نهاية المقال وجاء فيها: "من دواعي الرضى ان يعلم الانسان أن أعماله ما زالت تُقرأ.

م.ت.

الحكم لا يعني الادارة فقط، بل يعني أيضاً اضفاء شعور بالثقة والولاء.

م.غ.

ثقوب الأوزون بين الحقيقة العلمية والتضخيم الإعلامي

لم تشهد استوكهولم شتاء دافئا كشتاء ١٩٨٩ منذ ٢٣٠ سنة، وما عرفت فرنسا مثل الحر الذي غمرها في مايو (أيار) من ذلك العام. واكتسحت اسبانيا وجنوب ايطاليا موجات حرارية صيفية بدت كأنها لا تنتهي. وتلظّت بريطانيا في صيفها وتشمست في شتائها خلال تلك السنة الدافئة والجافة كما لم تعهده قبلا. وضربت الولايات المتحدة واحدة من أسوأ موجات الحر في هذا القرن، فلفّت الشاطئ الشرقي وجفّفت الغرب الاوسط. وأعلن جايمس هانسن، وهو عالم مرموق بالارصاد الجوية ومدير معهد غودارد للدراسات الفضائية في مدينة نيويورك التابع لوكالة الفضاء الامريكية (ناسا) "إن مفعول الدفيئة (الاجواء الارضية المشابهة لزرع النباتات الرخصة في منزل زجاجي) يغير مناخنا اليوم."

إزاء ذلك اجتمع في باريس في تموز (يوليو) ١٩٨٩ قادة الدول الصناعية السبع الكبرى وهي الولايات المتحدة وبريطانيا وفرنسا وكندا واليابان والمانيا الغربية وإيطاليا، بينهم الرئيس الامريكي جورج بوش ورئيسة وزراء بريطانيا مارغريت تاتشر، ودعوا الى بذل جهد مشترك غايته وضع حد لانبعاث غاز ثاني أوكسيد الكربون وغيره من "غازات الدفيئة"* ولتحقيق هذه الغاية اقترح عدد من علماء البيئة إجراءات قاسية جدا

(*) Greenhouse gases. والدفيئة بيت بلاستيكي او زجاجي تستنبت فيه مزروعات في غير مواسمها

وضرائب ضخمة جديدة قد تؤثر الى حد بالغ في نمط حياتنا. وحذر رئيس "الوكالة الامريكية لحماية البيئة" من أن "ابطاء عملية ارتفاع الحرارة في العالم يتطلب اجراءات اقتصادية واجتماعية هائلة."

والرهان كبير، إذ قد يسأل الناس أن يختاروا بين حلول كارثة بيئية ودفع أثمان باهظة. ولكن هل هذا الخيار لزام علينا؟ يعتقد كثير من العلماء أن الخطر حقيقي، فيما ينحى آخرون الى الشك. وهنا ما نعرفه:

ما هو مفعول الدفيئة؟

عندما تدفىء أشعة الشمس الأرض تتسبب بعض الغازات في طبقة الجو السفلى في احتباس الحرارة المرتجعة الى الفضاء، تماما كما يحدث في البيوت الزجاجية والبلاستيكية المخصصة لزراعة النباتات. وهذه الغازات مؤلفة غالبا من بخار الماء وثاني أوكسيد الكربون والميثان والكلوروفلوروكربون الذي يصنعه الانسان، وهي ما يدفىء كرتنا الأرضية ويجعل الحياة ممكنة.

ولكن إنْ كثرت هذه الغازات فقد تؤدي الى احتباس مقدار كبير من الحرارة. في جو كوكب الزهرة، مثلا، ٦٠ الف ضعف ما في جو الأرض من ثاني أوكسيد الكربون، ومعدل الحرارة على الكوكب ٤٢٥ درجة مئوية. ولكن إن قلت مقادير غازات الدفيئة أو فقدت كليا من جو الأرض، هبطت معدلات الحرارة دون درجة التجمد.

"ثقب الاوزون"
قضية طغت على أخبار العصر.
فهل ترتفع حرارة الارض حتماً،
أم ان وسائل الاعلام ضخمت
احتمال وقوع كارثة بيئية
قد لا تحصل أبداً؟

وترتفع تركُّزات غازات الدفيئة باطراد، لذا اهتم العلماء بازدياد الحرارة في العالم. وتوقَّع الباحثون في معهد غودارد وفي جامعة إيست أنغليا البريطانية تضاعُف تركُّزات غازات الدفيئة خلال القرن المقبل، مما قد يرفع معدلات الحرارة في العالم نحو ٥ درجات مئوية.

ما مسببات هذا التراكم؟

الطبيعة مصدر معظم غازات الدفيئة. مثلا، ينبعث ثاني أوكسيد الكربون، وهو أوفر الغازات المتتبَّعة، من البراكين والمحيطات والنباتات المتعفنة، ومن تنفسنا. إلا أن جزءاً كبيراً من تراكمه هو من أعمال الانسان.

ينبعث ثاني أوكسيد الكربون من اشتعال الأخشاب والوقود العضوي، كالفحم الحجري والنفط. والواقع أن كمية هذا الغاز في جو الأرض ارتفعت بنسبة تزيد على ٢٥ في المئة مذ بدأت الثورة الصناعية قبل نحو ٢٠٠ سنة. وساهمت الفترة الممتدة منذ العام ١٩٥٨ وحدها بنسبة ١١ في المئة من هذه الزيادة.

أما الميثان، وهو ثاني أوفر غازات الدفيئة، فينبعث عندما تنحل المواد العضوية في المستنقعات وحقول الرز وزرائب الدواجن، وحتى في أحشاء النمل الأبيض والحيوانات المجترَّة. وترتفع مقادير هذا الغاز سنوياً بنسبة واحد في المئة، بعضها ناجم عن ازدياد تربية المواشي واستهلاك الغاز الطبيعي.

ثالث هذه الغازات، الكلوروفلوروكربون، يتسلل من الثلاجات ومكيفات الهواء والبلاستيك والمواد المذيبة وقوارير الرذاذ (سبراي). وعلى رغم ضآلة الكلوروفلوروكربون في الجو بالمقارنة مع ثاني أوكسيد الكربون، فان فاعليته في امتصاص الحرارة أقوى ألوف المرات، كما أنه يُعتبر من مسببات "ثقب الأوزون".

ما الرابط بين ثقب الأوزون ومفعول الدفيئة؟

من الناحية العملية: لا شيء. فالأوزون شكل من أشكال الأوكسيجين، لكنه مهم لسبب آخر هو أن وجوده في طبقة الجو العليا يساعد في وقايتنا من أشعة الشمس فوق البنفسجية التي يمكن أن تتسبب في سرطان الجلد. وفي العام ١٩٨٥ أكد العلماء وجود "ترقق موقت" في طبقة الأوزون فوق قارة القطب الجنوبي (أنتارتيكا)، الأمر الذي أثار قلقا جديداً لدى العلماء لأن الترقق إذا امتد الى المناطق المأهولة يمكن أن يتسبب في ازدياد اصابات السرطان.

لا يظهر ثقب الأوزون الا بين سبتمبر (أيلول) ونوفمبر (تشرين الثاني) فوق منطقة القطب الجنوبي وحدها. ثم يصلح ذاته بعد أسابيع عندما تتغير الظروف الجوية. كما أنه يتقلَّب بحيث لم يُشاهد عام ١٩٨٨ سوى ترقق قليل.

والأوزون غاز تكوِّنه الطبيعة وتدمره باستمرار. وتطلق البراكين كميات هائلة من الكلورين الذي يصل بعضه الى الستراتوسفير (الجزء الأعلى من الغلاف الجوي) ويدمر جزيئات الأوزون.

بيد أن أكثر النظريات شيوعاً في تفسيـر ثقب الأوزون هي أن غاز الكلوروفلوروكربون الذي ينتجه الانسان، يُطلق ذرات من الكلورين الى الجزء الأعلى من الغلاف الجوي.

وعلى رغم ترقق طبقة الأوزون في الستراتوسفير فوق قارة القطب الجنوبي، لا تُتوقع أي زيادة في الاشعاع فوق البنفسجي السطحيّ خارج تلك المنطقة.

هل يزيد تدمير الغابات مفعول الدفيئة؟

تنمو الأشجار والنباتات منتزعة من الهواء غاز ثاني أوكسيد الكربون، ثم تطلقه عندما تحترق أو تنحلّ. وفي بلدان مثل البرازيل تقطع الاشجار وحرق في ألوف الكيلومترات المربعة من غابات المطر الاستوائية، مما لفت انظار كثيرين الى أخطار تراكم غاز ثاني أوكسيد الكربون.

بيد أن ملايين الهكتارات تُزرع كل عام بنباتات بذرية. وقد أكدت دراسات جديدة أنّ لا معلومات موثوقا بها عن مدى تأثير تدمير الغابات في سخونة العالم. وبينت أبحاث حديثة أن المحتوى الكربوني في الغابات بُولِغ كثيراً في تقديره، مما يشير الى أن تعرية الغابات ليست مصدراً كبيراً لثاني أوكسيد الكربون كما ظُن.

هل ارتفاع حرارة الأرض أمر محتوم؟

يجمع العلماء على أن الارض ستزداد حرارة اذا ازدادت مقادير غازات الدفيئة وبقيت جميع العوامل الأخرى ثابتة. لكن "المسألة الحاسمة"، كما يقول عالم الارصاد الجوية البروفسور فريد سنغر، "هي الى أي مدى ستبقى العوامل الأخرى ثابتة." ذلك بان القوى المناخية تتفاعل بطرق يصعب فهمها، وقد يُبطل بعضها حصول أي زيادة في حرارة الأرض.

فالغيوم، مثلا، تغطي ٦٠ في المئة من الكرة الارضية على الدوام، فتحتبس الحرارة المنبعثة من سطحها، لكنها أيضاً تعكس جزءاً من أشعة الشمس معيدة اياه الى الفضاء الخارجي. فاذا سخنت مياه المحيطات وتبخرت منتجة غيوماً أكثر، فان الغلاف المتكاثف يصبح "منظم حرارة" (ترموستات) يحفظ الارض من التسخين. وقد ألقمت أجهزة كمبيوتر في "المكتب البريطاني للارصاد الجوية" معلومات عن مؤثرات غيوم تُنتج في المختبر، فتبين أن التقديرات المستقبلية لارتفاع حرارة العالم يمكن خفضها الى النصف.

وللمحيطات، الى ذلك، تأثير أساسي في المناخ لم يبدأ العلماء فهمه الا أخيراً. وقد عزا الباحثون في "المركز الوطني الأمريكي للأبحاث الجوية" جفاف صيف ١٩٨٨ في أمريكا الشمالية الى تغيّرات حرارية في المنطقة الاستوائية في المحيط الهـادىء نجمت عن تيـار "ال نينيو"، وليس الى مفعول الدفيئة. وعندما ادخلت معلومات عن تيارات المحيطات، في اختبارات مناخية مبرمجة، الكمبيوتر، لم تُلحظ زيادة في حرارة

المحيط المتجمد الجنوبي، مما قلل احتمال ذوبان جزء من الطبقة الجليدية هناك وزيادة مقدار الفيضانات الساحلية.

أما كيف ترتحل الحرارة عبر الجو رجوعاً الى الفضاء الخارجي، فعلامة استفهام أخرى كبيرة في نظرية ارتفاع الحرارة في العالم. ومثلها دورة البقع الشمسية ومؤثرات التلوث الجوي والجزيئات البركانية التي تعكس نور الشمس الى الفضاء. ان عوامل كهذه تطرح ظلالا من الشك على نظرية ارتفاع حرارة العالم.

إذاً، ما هو القول الفصل؟ هل بدأت حرارة الأرض ترتفع فعلاً؟

هناك احصاءان واسعا الانتشار يدعمان نظرية ارتفاع حرارة العالم. فقد أظهر بعض سجلات الحرارة في القرن الماضي ارتفاعاً في سخونة الأرض بلغ نصف درجة مئوية. وشهدت تلك الفترة زيادة محسوسة في غازات الدفيئة. كما أن السنوات الست الأكثر حراً منذ بدء تدوين السجلات قبل مئة سنة كانت كلها في الثمانينات.

أما في العقد الماضي، فتُعتبر الزيادة المسجلة في ثلاث من أكثر سنواته حرارة – ١٩٨٣ و١٩٨٧ و١٩٨٨ – ناجمة عن مفاعيل تيار "إل نينيو" في المحيط الهادىء.

والمفارقة أن السجلات التاريخية للتغيرات الحرارية في الطقس لا تتفق ونظرية الدفيئة. فبين ١٨٨٠ و١٩٤٠ نزعت درجات الحرارة الى الارتفاع. ولكن بين ١٩٤٠ و١٩٤٥، وهي فترة ازداد فيها استعمال الوقود وتعرية الغابات، هبطت درجات الحرارة، وهذا لا يتوافق ومفعول الدفيئة. كما بينت دراسة شاملة لسجلات قديمة للمحيطات أجراها باحثون من بريطانيا ومن معهد مساتشوستس للتكنولوجيا (M.I.T.) أن لا متغيرات مهمة في أنماط الحرارة بين ١٨٥٦ و١٩٨٦. ويستنتج ريتشارد لندزن من دائرة العلوم الأرضية والجوية والكوكبية في معهد مساتشوستس أن "البيانات المتوافرة لا تدعم نظرية ارتفاع حرارة العالم."

فإذا حسبنا جميع هذه الأمور، لما وجدنا سوى قليل من علماء المناخ ينسبون أي زيادة ظاهرة في حرارة الارض الى مفعول الدفيئة. وفي مايو (أيار) ١٩٨٩ أعلن ٦١ عالماً شاركوا في تجارب أجريت في دفيئة اختبارية في أمهرست بولاية مساتشوستس، أن "هذه الصلة لا يمكن اعتمادها اليوم بأي درجة من الثقة."

هل من دليل آخر على ارتفاع حرارة العالم؟

يلجأ الباحثون الى برامج كمبيوتر معقد، لوضع رسوم بيانية عن متغيرات المناخ. ولكن لا يعوَّل على أجهزة الكمبيوتر الا بمقدار صحة المعلومات التي تلقمها.

والواقع أن العوامل الجوية والمحيطية والقارية التي ما زال فهمها ناقصاً، لا تُحسب فعلا حتى في أفضل البرامج.

ولا شك في أن البرامج والمعدات

ستتحسن مع الوقت. لكن النقص الحالي في الادلة والمعدات الموثوق بها يترك مناصري فكرة ارتفاع حرارة العالم يتخبطون في نظريات تفتقر الى برهان.

هل يتوجب القيام بعمل ما يبطل إمكان ارتفاع حرارة العالم؟

يوفر الوقود العضوي اليوم نسبة ٩٠ في المئة من الطاقة المستهلكة في العالم. وقد دعا بعض علماء البيئة الى فرض ضرائب ضخمة على الفحم الحجري ومشتقات النفط. وثمة اقتراحات تطالب بدعم حكومي للطاقات المستخرجة من أشعة الشمس وطواحين الهواء والحرارة الأرضية، وبالغاء بعض الديون الخارجية في مقابل حماية الغابات، وبابطاء النمو السكاني في العالم.

إن تراكم غازات الدفيئة مسألة تستدعي دراسة لا ذعراً. لكن الحقائق تضيع أحياناً في غمرة الهستيريا. ويرى ستيفن شنيدر مؤلف كتاب "ارتفاع حرارة العالم"، أن هناك معضلة أخلاقية. وهو يعترف بالشكوك التي تكتنف مسألة ازدياد حرارة العالم. ومع ذلك يعمد العلماء أحياناً الى كسب التأييد الشعبي عبر وسائل الاعلام من طريق "اختلاق حوارات راعبة وإصدار بيانات مثيرة من غير ذكر للشكوك التي تراودنا." ويضيف شنيدر: "على كل عالم أن يقرر التوازن اللازم بين الفاعلية والأمانة. وآمل أن يجمع بين الاثنين."

الى ذلك، تستهوي البعض إثارة مخاوف لأهداف سياسية. مثال على ذلك ما قاله السناتور الأمريكي تيموثي ورث لأحد الصحافيين: "تجدر بنا المراهنة على مسألة ارتفاع الحرارة في العالم. وحتى إذا كانت هذه النظرية خاطئة، فسيكون صواباً ما نفعله على صعيد السياسة الاقتصادية والبيئية."

بيد أن استغلال الأدلة الناقصة لدعم موقف سياسي يقلق العلماء. يقول ريتشارد لندسن: "لقد باتت مسألة ارتفاع حرارة العالم حدثاً إعلامياً. كما باتت الدعوة الى اتخاذ الاجراءات المناسبة اختباراً أخلاقياً."

إن ما توافر لدينا من معلومات قليلة لا يبرر الانجراف وراء افتراضات متسرعة ومكلفة. ومن الضروري استكمال الأبحاث والمراقبات المناخية. فاذا انبثقت من البيانات المتجمعة دلائل تؤكد مفعول الدفيئة، أمكننا حينئذ أن نختار السبيل الأفضل.

روبرت جايمس بدينوتو ■

القانون والتقدم

يقول القاضي البريطاني اللورد دنينغ: "إذا امتنعنا عن القيام بأي عمل لم يقدم عليه احد من قبل بقينا حيث نحن. فيتوقف القانون فيما العالم بأسره يتقدم. وهذا مضر بالقانون وبالعالم معاً."

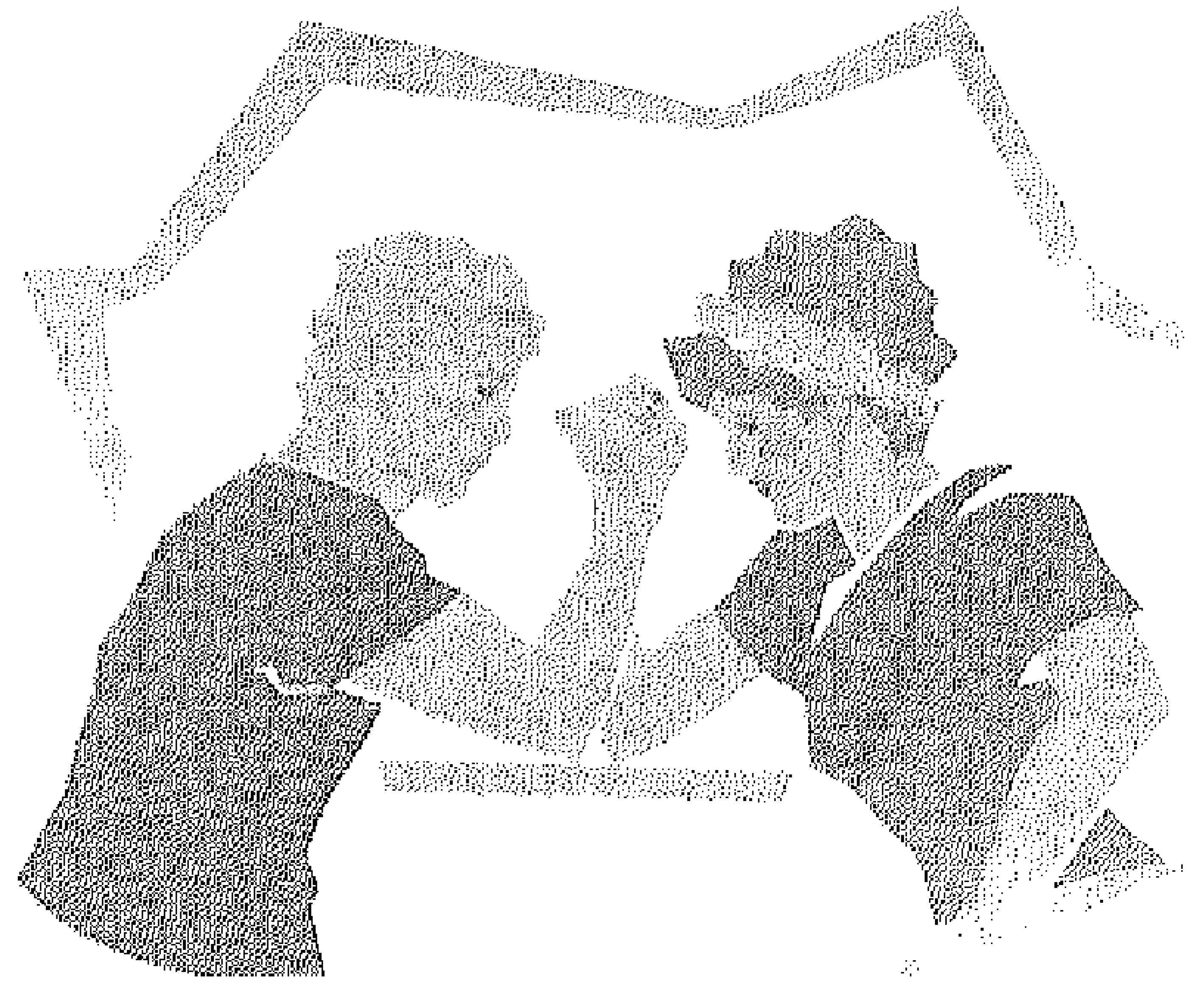
د.ل.

أنظروا الى أنفسكم بمنظار الشريك
ولسوف تعجبون مما ترون

سؤال بسيط ينقذ زواجكما

عندما دخل ستان وسو غوردون عيادة مستشار الزواج هاري دون في نورووك بولاية كونيتيكت كانا يخالان أن زواجهما الذي دام ٢٠ سنة شارف النهاية. وكان مبتغاهما معرفة كيف يجتازان مرحلة الطلاق. وهما قالا للمستشار انهما لا يزالان يحب واحدهما الآخر، لكنهما لا يستطيعان العيش معاً.

وقبل أن يوافق هاري دون على "دفن" زواج ما زال حياً، طلب من الزوجين العودة الى منزلهما والاجابة، كل على حدة، عن سؤال واحد: "كيف هي حال من تزوجني؟" وهو سؤال فاجأهما. بديهي أن دون لم يفهم المشكلة، فلدى كل منهما قائمة طويلة من الشكاوى.



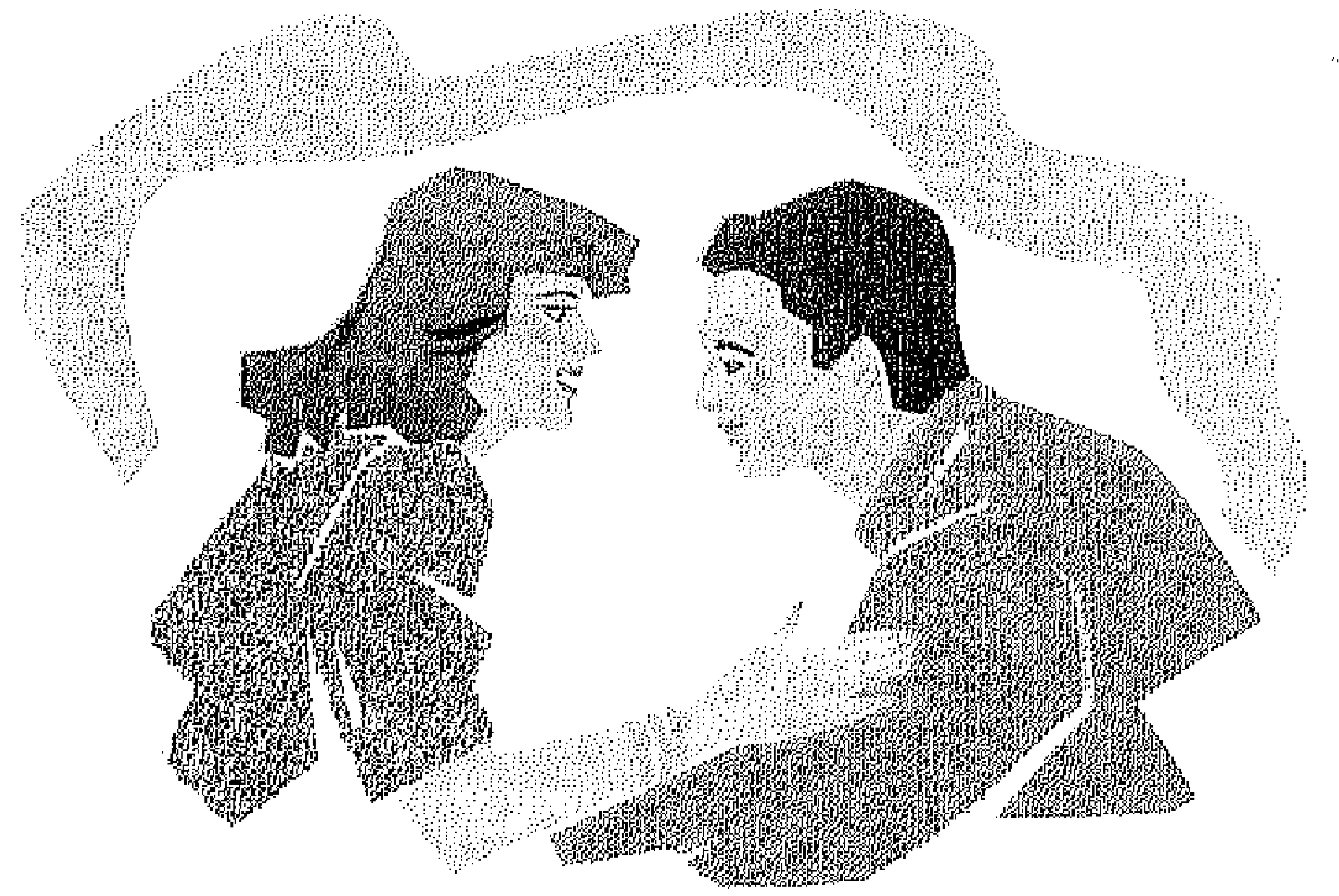
بدت سو واثقة بأن الأمور ما كانت لتجري على ما يرام لو لم يكن ستان حساساً جداً وسريع الغضب، فلطالما خرج من المنزل حانقا وتركها وحيدة. واشتكى ستان من أن سو قليلة الترتيب وسليطة اللسان، ولولا ذلك لقضى وقتا أطول في المنزل. ادرك الزوجان ان هذه الاتهامات زادت الطين بلة، فقررا تجربة السؤال الذي اقترحه دون.

بعد أيام وجدت سو رزنامة ملقاة بإهمال على الطاولة. فانفجرت غاضبة، اذ كيف يتهمها ستان بقلة الترتيب وهو لا ينفك يكوِّم أشياء لا نفع لها في المنزل. ثم صاحت: "لماذا جئت بهذه الرزنامة الى البيت؟"

وقبل أن يتمكن ستان من الاجابة تذكرت أنها هي من وضع الرزنامة على

الطاولة. فزينت لها غريزتها أخذ موقف دفاعي والقول: "حتى إن لم تأتِ بها انت الى البيت هذه المرة، فهذه عادتك دائماً." لكنها بدل ذلك سألت نفسها: "ماذا سيكون وقع هذا الكلام عليه؟"

ولما كان الجواب بديهياً، استدركت قائلة: "إن ما تفوهت به لكريه حقاً، إني آسفة." فدهش ستان، اذ بدت زوجته



كأنها تراجعت خطوة غير منتظرة في رقصة مألوفة أضطر معها الى التقدم خطوة لمجاراتها. فتلاشت نقمته ولم يتطور الأمر الى ما اعتاداه من شجار.

وعلى مر السنوات اقتنع هاري دون بأن سؤاله بالغ الفاعلية بحيث اعتمده في كتاب إرشادي للمعالجة الذاتية.

الخطوة الاولى في برنامج دون تتناول الرد على السؤال، سواء أرغب الشريك في ذلك أم أبى. كثير من الناس يبذلون جهداً عقيماً ومحبطاً لتغيير الشريك. بالنسبة الى ستان وسو، مثلاً، بات المنزل القليل الترتيب مسرح تشاحن لأن الواحد منهما يرى فيه أخطاء الآخر. والاعتراف بأنك جزء من المشكلة يحقق العجائب.

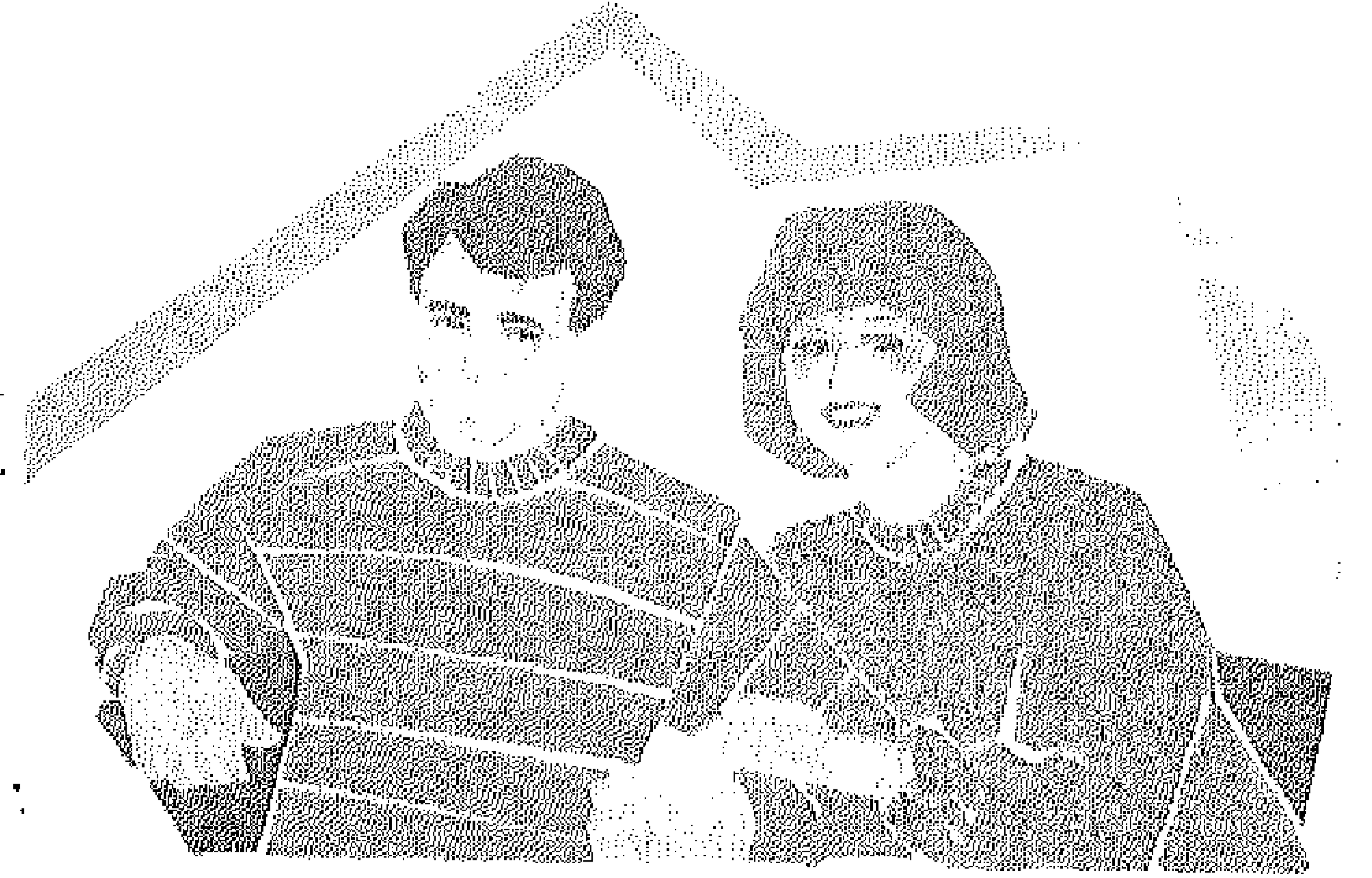
يحب دون وصف الزواج بأنه علاقة ثلاثية بين "الأنا" و"الأنت" و"النحن" التي تشبه حسابا مصرفياً. وهو يقول: "فلئن بدأت، مثل سو غوردون، تودع المزيد حساب النحن، فسيعمد الشريك الى مجاراتك."

الخطوة الثانية: أجريا "جردة" شخصية بحسناتكما وسيئاتكما. فهذه التجربة لا بد ان تساعدكما في تحديد الصفات السلبية، وبالتالي السلوك السلبي الذي يقتضي التغيير. كما تشجعكما رؤية الصفات الايجابية على عدم المبالغة في نقد الذات.

بعد زواج دام أربع سنوات، جزعت آن برمنغهام وزوجها جيم من مظاهر التوتر التي عصفت بعلاقتهما. فكلاهما يعمل، وقد عاشا زواجاً سعيداً حتى ولادة طفلهما الأول.

وكان الزوجان اتفقا على أن تمكث آن في المنزل للعناية بالطفل، لكنهما لم يعملا حساباً للنتائج. فقد أرهق جيم نفسه في العمل لكسب مال يكفي للاستمرار في نمط حياتهما. وشعرت آن بأنها تضحي بمواهبها لخدمة زوج غائب وطفل متطلب. فساد الخلاف بينهما.

لكنهما حين أجريا جردة ذاتية تغيرت مفاهيمهما. يقول جيم: "وجدت نفسي أعود الى البيت متأخراً وأسأل آن عن حالها، وقبل أن تردّ أنهمك في مكالمات هاتفية. فكان جوابي عن السؤال الذي



طرحه دون: إنه لأمر مريع أن تكون أن متزوجة بي!"

رأت آن نفسها تتحول امرأة سليطة. وحين وضعت سؤال دون نصب عينيها بدأت تسمع كلماتها الاولى لدى وصول جيم الى المنزل: "آه، لقد آن لك أن تأتي!" أو قولها حين يكالمها هاتفيا ليبلغها عن تأخره: "الليلة أيضاً؟ لا! حين تأتي حضر العشاء بنفسك." لا عجب، إذاً، أن ينغمس جيم في العمل، فالعودة الى البيت لم تعد باعثا على السرور.

الخطوة الثالثة: تشاركا في بذل الجهد من أجل التحسين. ولأن هذا الأمر يتطلب توجيه أصبع الاتهام الى الذات بدل وضع اللوم على الشريك، فهو يخلق جواً يتيح النقاش المنطقي بدل الشجار. حين اقتنع جيم وآن بأنهما متساويان في الملامة على التوتر الحاصل في علاقتهما، بات في وسع آن أن تقول لزوجها: "كنت غاضبة منك لأنني لم أستطع معالجة الاحباط الذي ألم بي." كما بات في وسع جيم أن يجيب: "أفهم شعورك. فأنت تقومين بعمل رائع، لكن الأطفال لا يحسنون الاطراء."

الخطوة الرابعة: تصرفا عملا بمفهومكما الجديد. وهذه خطوة بالغة الأهمية لأن أي عمل، مهما يكن صغيراً، يؤثر كثيراً عندما يستند الى التفهم البنّاء لوجهة نظر الشريك. ابدآا بسلوك سيىء تستطيعان ابداله بيسر. ثم انتقلا الى أمور تجدانها اكثر صعوبة.

ذات مساء رفض ستان غوردون مرافقة زوجته الى سهرة عائلية بسبب ضغط العمل. وتتذكر سو: "آلمني ذلك كثيراً. شعرت بالخذلان والغضب. وكنت سابقاً أغرق في البكاء أو أتطاير غضباً. لكنني بدل ذلك تساءلت: ترى، كيف هي حال من تزوجني؟ وحين وضعت نفسي في موضع ستان سمعتني أقول: لا بأس. سأذهب وحدي."

وإذ عرف ستان كم عنت تلك المناسبة لزوجته، وعدها بالاتصال هاتفياً ومكالمة جميع أفراد العائلة.

ومنذ تلك اللحظة توقف الزوجان غوردون عن التفكير في أن زواجهما بات في حكم المنتهي. وكلما حاول أحدهما رؤية الأمور من منظار الآخر انبعث الحب الكامن في علاقتهما.

ساموئيل أ. شراينر الابن ■

لا تستأ إذا دعاك أحدهم لئيماً، بل استأ اذا كنت حقاً لئيماً.

مثل اسباني

أضواء من عالم الطب

سماعات الـ"ستيريو" تسبب الطرش

■ أظهرت دراسات حديثة أن مستويات الصوت الصادر عن أجهزة الستيريو المزودة سماعات للرأس يمكن أن تصل الى ١١٥ دسيبل* أو أكثر، أي ما يعادل الصوت الذي تستقبله أذنا شخص يقف على بعد ثلاثين متراً من طائرة نفاثة عند اقلاعها. وقد ينتج من هذا المستوى من الضجيج ضرر دائم يلحق بالسمع وقد يظهر بعد ١٥ دقيقة فقط. وكلما بكّر ولد في استعمال سماعتي الرأس، ازداد الضرر المتراكم. فالضجيج العالي يتسبب في فقدان السمع اذ يقتل خلايا شعرية لا تعوَّض في الأذن الداخلية. وهذا ما يحدث على نحو طبيعي وبطيء مع التقدم في العمر، لكن الضجيج يعجِّل الضرر.

ويحدث فقدان السمع الناتج من الضجيج تدرجاً، ويترسّخ قبل اكتشافه. والضرر الناجم قد لا يظهر الا في مرحلة متقدمة من العمر. وبما أن الأجهزة المزودة سماعات للرأس هي للاستعمال الخاص، فالوالدون لا يتنبهون عادة الى ارتفاع صوت الموسيقى التي يستمع اليها أولادهم. وكقاعدة عامة، يتفق العلماء على أن الصوت الصادر عن سماعتي الرأس والذي يسمعه المارّ بقرب صاحبهما (نحو ١٠٠ دسيبل) يمكن أن يتسبب في ضرر اذا ما استعملت السماعتان أكثر من ساعتين في اليوم. والوقت المسموح به يقلّ بنسبة النصف مع كل خمسة دسيبل اضافية مثلاً: اذا بلغ مستوى الصوت ١٠٥ دسيبل، انخفض الحد الاقصى للوقت المسموح به الى ساعة واحدة. ومهما بلغ عمرك، فالصوت خطر اذا آلم أذنيك أو جعلهما يطنان، أو أجبرك على الصراخ لكي يسمعك الآخرون.

صحيفة "لوس انجلس تايمز"

(*) الدسيبل عشر الـ"بل"، وهو وحدة قياس لمنسوب القدرة الصوتية

وقاية من سرطان الرحم

■ النساء اللواتي يمكثن ثلاث سنوات أو أكثر بين فحص مجهري للمسحة[1] وآخر، يعرِّضن أنفسهن أكثر لخطر الاصابة بسرطان عنق الرحم. هذا ما أظهرته دراسة جديدة.

الفحص المجهري للمسحة يتحرّى تغيرات في الخلايا قد تؤدي الى سرطان عنق الرحم اذا لم تعالج، وهو بالتالي يتيح التدخل المبكر لايقاف المرض. وتظهر الدراسة التي نشرت في مجلة "التوليد والأمراض النسائية"[2] أن نسبة الاصابة بسرطان عنق الرحم لدى اللواتي يجرين فحوصاً مجهرية للمسحة كل ثلاث سنوات هي ٣،٩ مرات أكثر منها لدى اللواتي يجرين هذا الفحص كل سنة أو سنتين. أما اللواتي يمكثن عشر سنين أو أكثر بين الفحص والآخر فيزداد خطر اصابتهن بهذا السرطان ١٢،٣ ضعفاً.

"اسوشييتد برس"

(١) Pap-smear test

(٢) Obstetrics & Gynecology

تحف يفوح منها البنّ

قطع فنية تحكي تاريخ القهوة من عصر حجار الرحى الى عصر الـ"مولينكس" وأجملها لبنانية من القرن الثامن عشر



السناتور بيار جيمبرون.

بدأت هواية السناتور بيار جيمبرون قبل ٢٥ سنة في شارع فرنوي بباريس. يقول: "استرعت انتباهي واجهة محل لبيع التحف، فتوقفت عندها أحدق الى مطحنة بن هي أروع ما شاهدته في حياتي. كانت النقوش الخشبية تزينها من كل جانب. فاشتريتها. ولم يخطر ببالي أنها ستكون الأولى بين كثيرات."

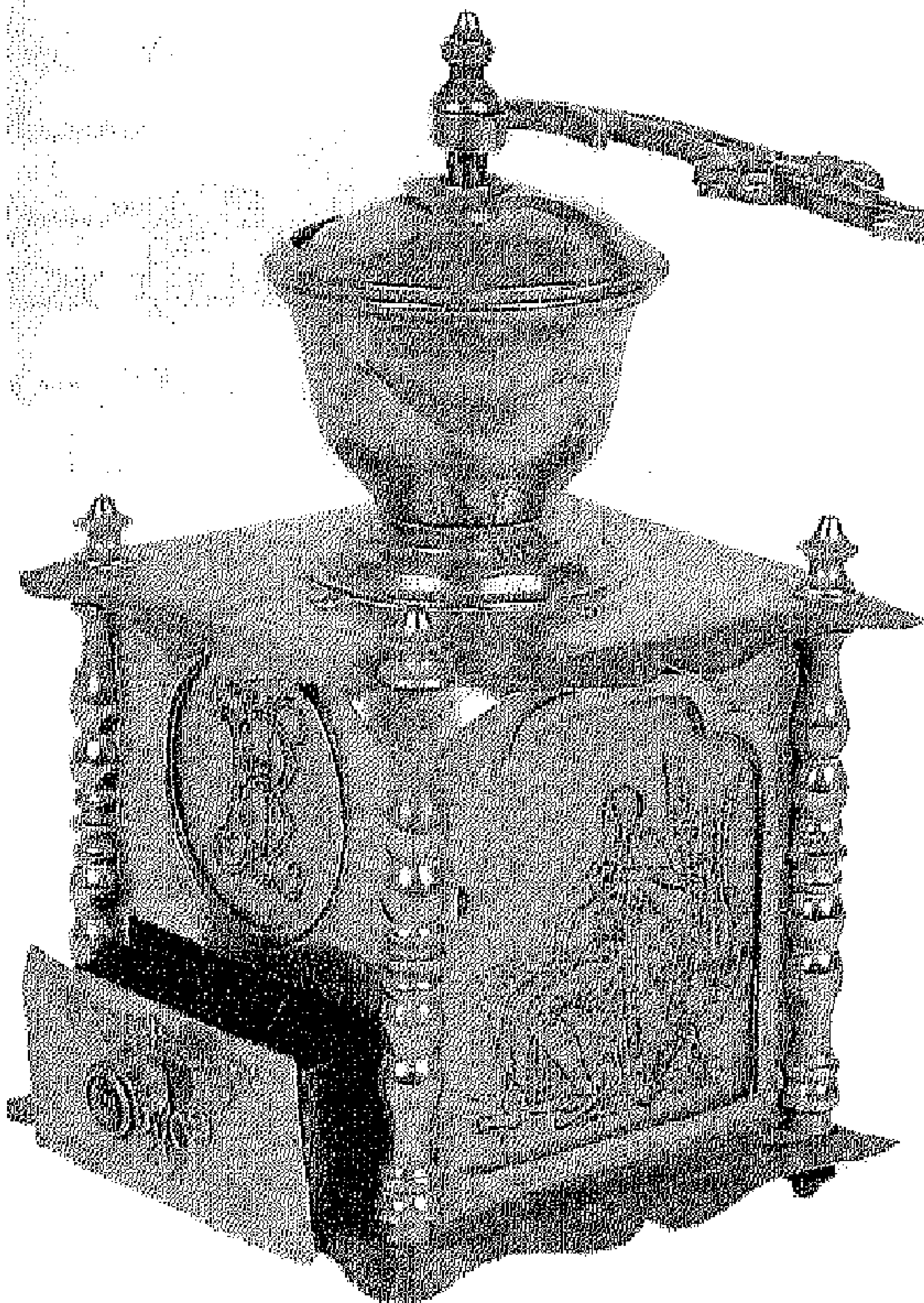
ويمثل السناتور جيمبرون منطقة الجورا الفرنسية منذ ١٥ عاماً. وهو يملك نحو ١٣٥٠ مطحنة بن من كل شكل وحقبة، تراوح بين الخشب والحديد والبورسلين والحجر. فبعد سنوات من التردد على محال بيع التحف والبحث الحثيث في أسواق العاديات حول العالم، جمع طائفة مطاحن البن، الى خزنة لا تضاهى من المعارف والتقاليد المتعلقة بالقهوة.

أما أندر ما في مجموعته فحجيرة أسطوانية غريبة الشكل تنفتح كاشفة ثلاثة نصال فولاذ، وهي "مطحنة خنجرية" يروى أن نابوليون بونابرت كان صاحبها. يقول السناتور: "يوحي شكلها الشرقي أنها جُلبت خلال حملة نابوليون المصرية. وقد تُركت في ساحة واترلو حيث عثر عليها ضابط بريطاني وباعتها

PHOTOS: F. TALMON

وجدها ضابط
بريطاني وبيعت
لاحقاً من تاجر
تحف بلجيكي في
مونس. اشتراها
السناتور جيمبرون
من هاوٍ فرنسي.

"مطحنة نابوليون
الخنجرية" التي
تُركت في ساح
معركة واترلو.
وتظهر مفتوحة
ومقفلة



مطحنة سويسرية - المانية
من النحاس يعود تاريخها
الى العام ١٨٥٠
وعلى جوانبها نقوش
تروي قصصاً رمزية
من منطقة الراين.

عائلته الى تاجر تحف بلجيكي. أما أنا فاشتريتها من أحد الهواة الفرنسيين قبل خمس سنوات."

وجد جيمبرون أقدم تحفه في أنقره بتركيا. وهي ليست مطحنة بن عادية، بل أداة تتألف من حجري رحى ثقيلين يدور واحدها على الآخر لطحن الحبوب. ويعترف السناتور بأنه لم يستطع تقدير زمنها. أما كنزه الأحب الى قلبه فمطحنة لبنانية من القرن الثامن عشر صنعت في بيروت وبيعت في قاعة للمزاد في باريس.

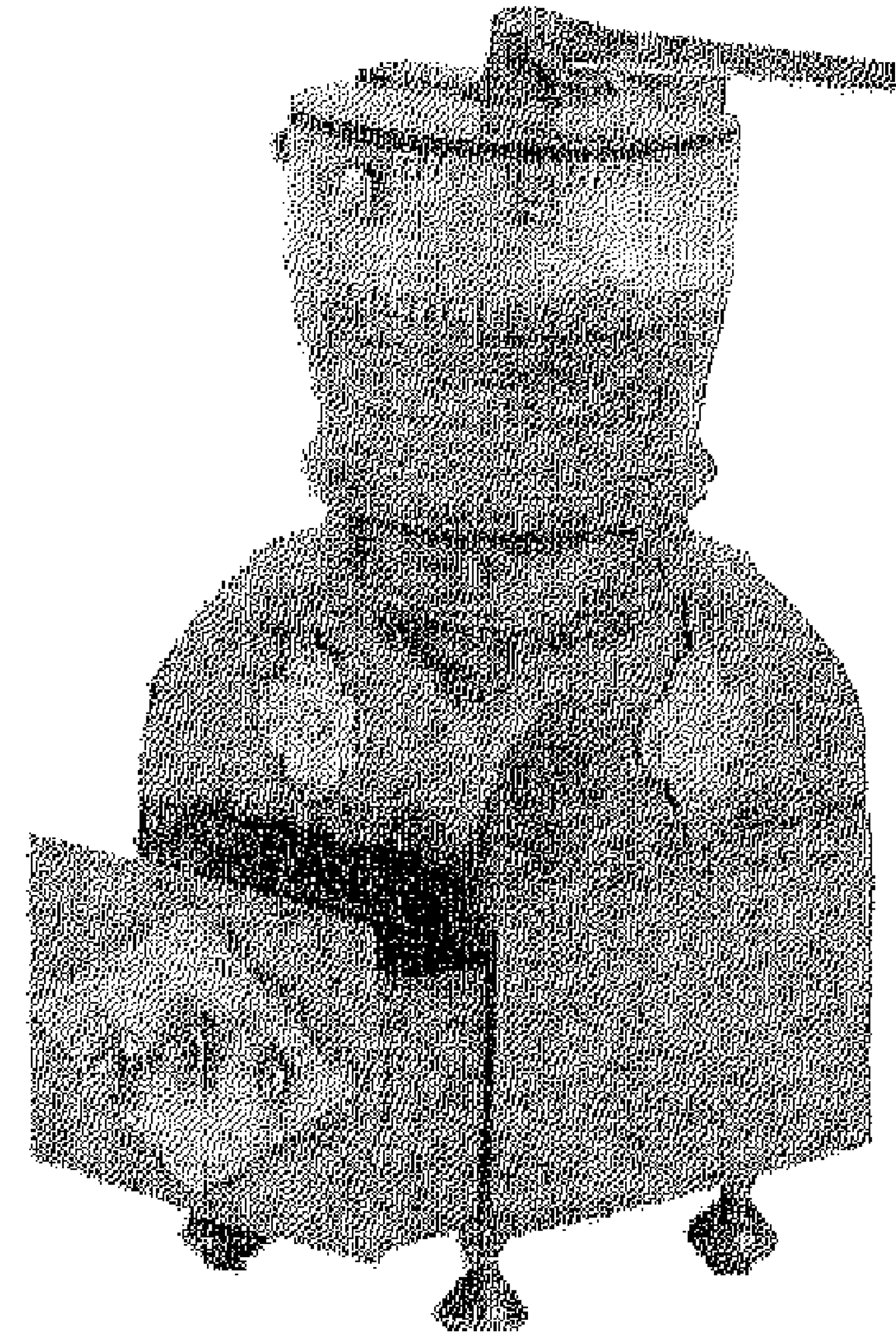
معظم تحف جيمبرون صُنعت بعد أواخر القرن السابع عشر عندما ظهرت القهوة للمرة الاولى في أوروبا. وسرعان ما أصبحت هذه السلعة النادرة والمكلفة موضع تفاخر الأغنياء والنبلاء. يقول السناتور: "استُعملت الهواوين الصغيرة ومطاحن الافاويه أول الامر. ثم صنعت مطاحن صغيرة جداً قُصرت على طحن البن. وفي زمن لويس الرابع عشر كانت المطاحن مربعة ومصنوعة من الحديد ومثبتة ببراغي الى جانب طاولة. ولم تتخذ شكلا قريباً من المألوف اليوم الا في عهد لويس الخامس عشر."

وفي القرن الثامن عشر تطورت أشكال مطاحن البن بعدما أخذ الحرفيون في أوروبا يتنافسون في ابتكار التصاميم. وهذا ما حدا "مدام دو بومبادور" كما جاء في الروايات، على تكليف صائغ صنع مطحنة بن ذهبية مستعملا ألوانا متفاوتة تُظهر أغصان شجيرة بن. وفي تلك الاثناء اكتشفت فضائل الخشب الذي يتشرب مع الوقت رائحة البن المطحون

مطحنة من القرن التاسع عشر مصنوعة من خشب الزان وعلى جوانبها زخارف.



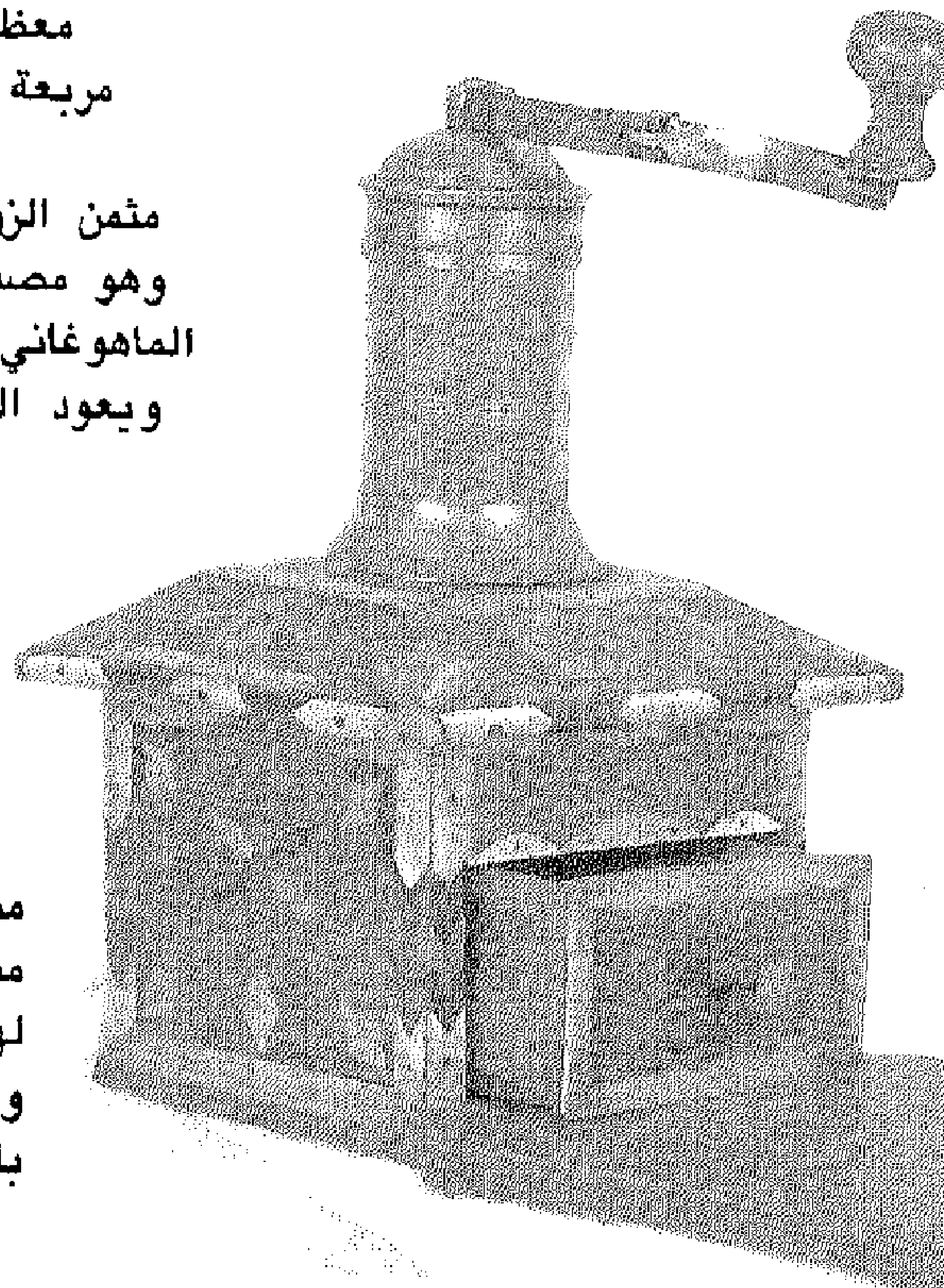
مطحنة من العهد
الامبراطوري مصنوعة من
خشب الماهوغاني
ولها قاعدة
وزخارف عاجية



مطحنة فرنسية من
بداية القرن الثامن عشر
سميت "مطحنة لويس
الرابع عشر". استُعملت
مطحنة بن وأفاويه في
آن.



معظم مطاحن البن
مربعة أو اسطوانية.
هنا نموذج
مثمن الزوايا والأضلاع.
وهو مصنوع من خشب
الماهوغاني وقشور الزان،
ويعود الى أوائل القرن
التاسع عشر.



مطحنة تركية
مصنوعة من خشب الجوز،
لها أنبوب تصريف نحاسي
وعليها أشكال هندسية مطعَّمة
بالقرون وعرق اللؤلؤ.

ويُغني طعم القهوة. واستُعمل النحاس المطروق مع الخشب في صنع مطاحن البن في شمال هولندا.

وعندما شاع البن بين عامة الناس، دخلت المطاحن كل منزل. وفي القرن التاسع عشر، كبرت أحجام المطاحن المصنوعة غالباً من خشب السنديان أو الكرز، وباتت تستعمل وهي موضوعة بين الركبتين. وظهرت في فرنسا عام ١٨٥٠ أولى مطاحن "بيجو"(*) الشهيرة التي أنتج منها ملايين القطع خلال نصف القرن التالي. ثم اخترعت المطاحن الجدارية بعيد الحرب العالمية الأولى، وبعدها المطاحن الكهربائية. وفي العام ١٩٥٠ بدأ عصر المطاحن النحاسية.

(*) Peugeot

وتروي مجموعة السناتور تاريخ القهوة من حجار الرحى القديمة في أنقره الى مطاحن "مولينكس" الحديثة، مرورا بالنماذج البدائية التي أنتجها صُنّاع الحديد في القرن السابع عشر، ومبتكرات صاغة القرن الثامن عشر، وبدائع البورسلين في القرن التاسع عشر الموشاة باللون الأزرق، وبعض نماذج القرن العشرين الجدارية المزينة بشعارات النبالة الملونة.

يقول جيمبرون: "لم ينتهِ بحثي بعد. فحين أسافر أعلن في الصحف سائلا المهتمين ببيع قطع قديمة أن يوافوني الى فندقي كي أراها. وما زلت أطوف أسواق السلع المستعملة حول العالم."

باتريس بورنا ■



فلاحون تقليديون

خلال رحلة قامت بها والدتي الى جزر الهند الغربية، سافرت في حافلة عبر منطقة ريفية في ترينيداد. وبعدما أنعمت النظر في الحقول الواسعة المحروثة لاحظت أنها لم تر اي آلة زراعية. فاستغربت الأمر والتفتت الى مواطن ترينيدادي كان يجلس الى جانبها وسألته: "هل تفلحون هذه الاراضي كلها بالايدي؟"

فأجابها: "كلا يا سيدتي، فنحن نستعمل المعاول."

صلعة أستاذ

كان احد تلاميذي يمشط شعره باستمرار خلال الدرس. وكنت فقدت معظم شعري، فقررت استهداف خيلاء المراهقة لديه لتغيير تصرفه. فقلت له ببساطة إنني أنا أيضاً كنت امشط شعري باستمرار. ومن نظرة الذعر على وجهه عرفت انني اصبت الهدف. ومنذ ذلك الحين لم أر المشط في يده.

ج.ك.

الستيرويدات

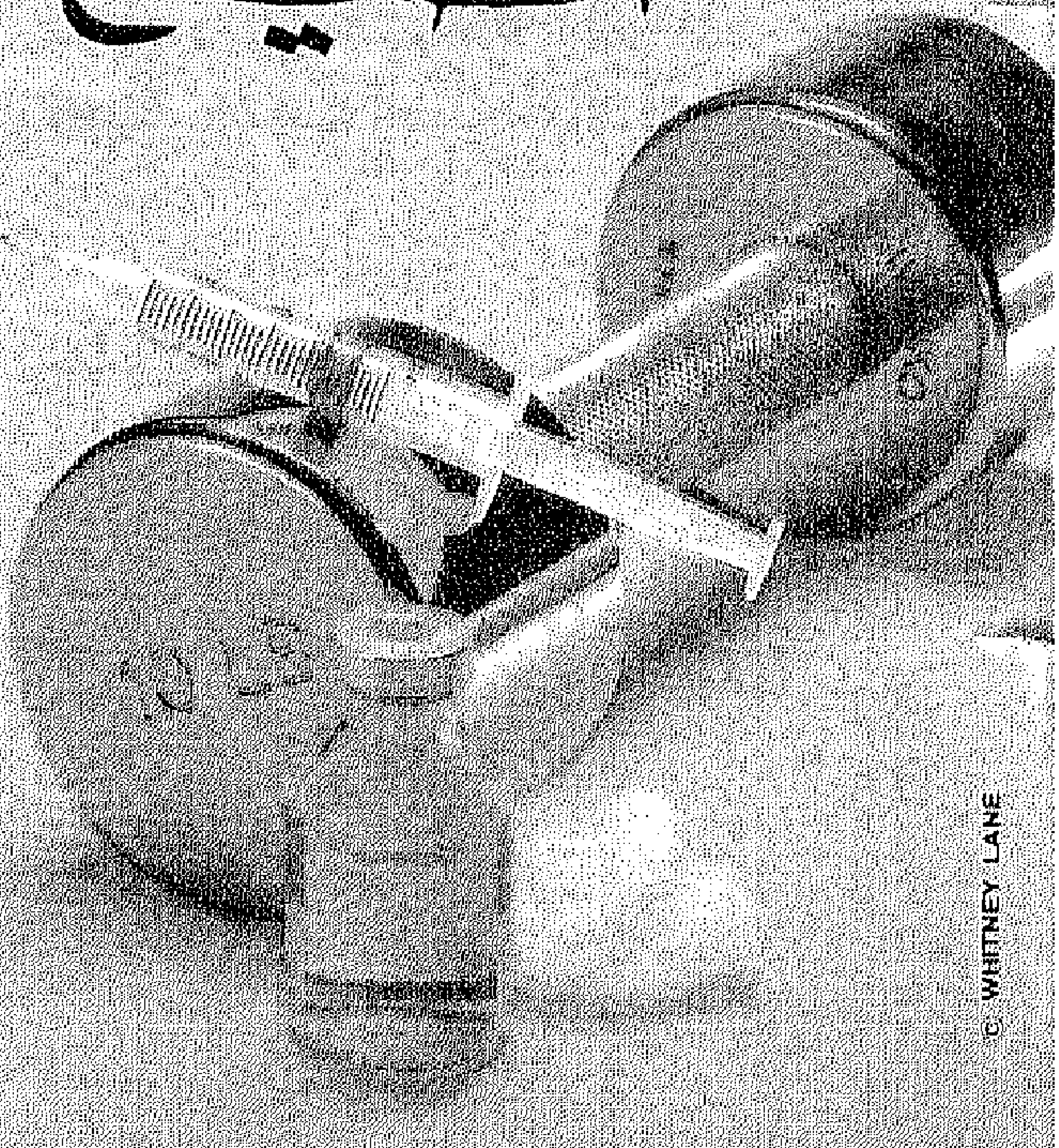
رحلة فتى إلى عالم الضياع

أدمن الفتى عقاقير الـ"ستيرويد" ليصبح بطلاً فتحول حلمه الكبير كابوساً مريعاً

بدا المنظر مقززاً في عيني آرون هنري البالغ من العمر ١٢ عاما: قوارير فارغة ومحاقن مستعملة مرمية في سلال القمامة في قاعة الرياضة. وكان آرون ترعرع وسط عائلة متماسكة تقطن في أحد أحياء الطبقة الوسطى في بلدة سانت تشارلز بولاية ميسوري. ولطالما حلم أن يصبح نجماً في لعبة كرة القدم.

واستحوذت على خياله رغبة بلوغ بنية قوية. فبدأ وهو في الثانية عشرة من عمره يمارس رفع الأثقال في منزله، ثم انضم الى النادي المحلي حيث أكب على التمرن أربعة أيام في الأسبوع. وهناك سمع أن كريغ، أحد أبرز رافعي الأثقال في النادي، كان رقيق العود ضعيف البنية وهو في المدرسة الثانوية. فسأل آرون رفقاءه أين يمكنه الحصول على بعض من الاكسير السحري الذي استعمله كريغ: الستيرويدات الابتنائية.[1]

ولما علم آرون أن كريغ يتولى توزيع هذه المادة، اتصل به. لكن كريغ هز رأسه رافضا، وقال: "أنت صغير جداً." فألحّ آرون مؤكداً أن جل ما يريده هو قليل يساعده في تمريناته الهادفة الى تقوية عضلاته بحيث لا يتجاوز "دورتين" تستغرق كل منهما شهرين. و"الدورة"



© WHITNEY LANE

(١) Anabolic steroids. والستيرويد مركب شحمي شبيه بالكولسترول

قارورة من ١٠ سنتيمترات مكعبة من الستيرويد تُعطى بمقدار سنتيمتر مكعب واحد كل مرة على مدى شهرين.)

وافق كريغ، وبدأ آرون بقارورتين من "إستر التستوستيرون"[٢] وهو مركب مشتق من هرمون التستوستيرون الذكري الصافي الذي تفرزه الخصيتان. وكان هذا المقدار كافيا لدورة واحدة يتولى خلالها رافع أثقال آخر حقن المادة في عمق العضل في أعلى الردفين. ومع الوقت تعلم آرون كيف يحقن نفسه بابرة طولها أربعة سنتيمترات. ودفع آرون ٢٠ دولارا ثمن القارورة الواحدة.

تحقن المركبات الاصطناعية الشبيهة بالتستوستيرون والمعروفة بالستيرويدات الابتنائية، فتنتقل الى خلايا العضلات حيث تنشط الجينات في انتاج البروتيين، العنصر الاساسي في العضل. بيد أن من يتناول الستيرويدات خلال سنوات نموه يعرض نفسه لتأثيرات جانبية خطرة منها تدني نسبة إنتاج الهرمونات الذكرية الطبيعية وتبدل دائم في نمط النمو. ويسبب الستيرويد لمتعاطيه الأكبر سناً محاذير صحية بينها مرض القلب والسرطان وتضرر الكبد والعجز الجنسي والعدوانية والكآبة المزمنة.

وفي تقرير أوردته "مجلة الجمعية الطبية الامريكية" أن نحو نصف مليون أمريكي يتعاطون، أو تعاطوا، الستيرويدات. وقد بدأ ثلثهم تعاطيها في السن الخامسة عشرة. وعلى رغم المخاطر، يُقلِّد كثير من المراهقين نجوم الرياضة الذين يتعاطون الستيرويدات.

وحتى عندما انتُزعت الميدالية الاولمبية من بن جونسون بعد إنكشاف أمره في فحص مخبريّ، اجري في نطاق الاولمبياد الاخير الذي جرى في كوريا عام ١٩٨٨، ترك الأمر انطباعاً واحداً هو أن النجوم يتعاطون الستيرويد.

نجم رياضي. سُرَّ آرون لنتائج دورة الحقن الأولى، اذ وجد نفسه بعد أسبوعين فقط قادراً على رفع أثقال زاد وزنها ١٠ كيلوغرامات على ما كان يرفع سابقا، كما زاد كيلوغرامين ونصف كيلوغرام وقامته البالغة ١٦٨ سنتيمتراً. وهذا تبدل مدهش يتطلب عادة أشهراً من التمرين الطبيعي.

وما إن انقضت دورة الحقن الأولى حتى أحس آرون بقدراته المكتسبة تتضاءل خلال أسابيع. اذذاك لم يرَ بدأ من دورة ثانية تناولت هذه المرة، أضافة الى إستر التستوستيرون، جرعات من الستيرويد "ميثاندروستينولون"[٣] من طريق الفم، متجاهلا أعراضاً جانبية طفيفة تضمنت اصابته بالأرق وبحدة طبع غريبة.

وعندما التحق بمدرسة دوشين الثانوية ازدادت لديه أهمية البروز رياضيا بعدما ألم به شعور بعدم الارتياح لما شاهده من تحلُّق التلاميذ في زمر متنافسة. لذا بات التفوق أكثر من حلم يحققه، انه يتعلق بتحقيق ذاته، وهو ضمان لا غنى عنه لقبوله بين أترابه.

(٢) Testosterone ester والاستر ملح كحولي.
(٣) Methandrostenolone

وكان كلما ازداد اهتماما بالتفوق الرياضي ازداد رغبة في تنمية عضلاته.

وكان آرون بات متمرسا في تعاطي الستيرويدات بعدما أكمل ثلاث دورات من الحقن فاقت كل منها سابقتها. وعندما امتنع موزعه عن مده بالمزيد وجد موزعاً آخر. وحين وضعه مدرب كرة القدم في خط الدفاع لفريق السنة الجامعية الاولى، قال لزملائه: "أحب تهشيم الناس." وكان يعني ما يقول.

ولم يكن نقله الى غرفة الطوارىء في أحد المستشفيات سوى واحد في سلسلة. فكما علم لاحقاً، كان وزنه يفوق طاقة هيكله العظمي. وكان يعاني أوجاعاً دائمة في كتفيه ومرفقيه ومفاصله، إضافة الى التهاب الاوتار العضلية. كما أصيب مراراً، وهو يرفع الاثقال، بنزف أنفي نجم عن ارتفاع ضغط الدم.

لم يُهزم فريق دوشين لكرة القدم في ذلك الموسم. ويعود كثير من الفضل في ذلك الى آرون الذي تابع دورات الحقن بالستيرويدات، يلجأ اليها شهرين ويتوقف عنها شهرين. وهو وجد نفسه قادراً على زيادة الأثقال التي يرفعها بما يراوح بين ٢٣ و٣٥ كيلوغراما، علما ان ذلك كان يتم ضمن دورة الحقن لا خلال انقطاعه عنها. وبلغ وزنه ٧٩ كيلوغراماً وطوله ١٧٠ سنتيمتراً.

موت حلم. ما ان حل فصل الصيف حتى بدأ آرون يسرق ليمول عادته المكلفة. فكان يسرق اغراضا من المتاجر وهو يتظاهر بالشراء، ويبيع ما طاولته يداه من أشرطة موسيقى وقطع غيار ومعدات تصوير.

وفي السنة الثانوية الثانية ضُمَّ الى منتخب المدرسة لكرة القدم، لكنه حل ثالثاً بعد اثنين من طلاب السنة الرابعة. ولما لم يستطع تقبل نكسته، انسحب من الفريق مجهضا الحلم الأحب الى قلبه.

ما إن خسر آرون المتنفَّس الذي وفرته له كرة القدم حتى تفاقمت مشاكله الناجمة عن الستيرويد. وذات يوم عاد الى البيت ليجد امه تحضر الطعام. سألته ببساطة: "كيف كان يومك؟" فأجابها بكلام بذيء مفعم بالغضب.

وعندما استدارت أمه لتواجهه دُهشت لما رأت في عينيه من حقد، فنبهته: "إياك أن تستعمل هذه اللغة معي."

إذذاك خرج آرون من المطبخ ساخطاً. ولم يلبث أن عاد واعتذر.

أملت سالي أن يكون الحادث عرضياً وأن شيئاً ما أثار غضب ابنها. إلا أن ما حصل كان غريباً جداً ولا يمكن نسيانه. وهي سألت آرون غير مرة: "إنك تتعاطى المخدرات، أليس كذلك؟"

فكان يجيبها ناظراً الى عينيها مباشرة: "كلا يا أماه."

خرجت هذه الكلمات من فم ابن تحبه، ولكن صعب عليها ان تصدقها. وخطر لها ولزوجها دون أن ابنهما تعس ويتعاطى الكحول. وحين تقهقرت علاماته المدرسية رتَّبا له مقابلة مع طبيب نفساني.

معشر السوء. في هذه الأثناء كثرت المشاجرات بين آرون وأصحابه، حتى انه

لم يتوانَ مرة عن صفع فتاة. ونفر من سلوكه اصدقاء كثر، فأبدلهم بشلّة أكثر عنفاً ومرحاً.

وذات يوم تحداه واحد من شلته الجديدة أن يقاتل روكي، وهو طالب شرس من مدرسة أخرى. فما كان من آرون الا ان طرح روكي أرضا فاقداً الوعي وراح يسدد لكمات الى وجهه، ولم يتوقف حتى أبعده أصحابه عنه بالقوة.

بات آرون يعيش في اضطراب دائم تتنازعه مشاعر الغضب والكآبة. وكان كلما غمره اليأس يلجأ الى الامفيتامينات[٤] طالباً الراحة.

في السنة الثانوية الرابعة قرر آرون العودة الى مزاولة كرة القدم. وتوخياً لأداء مميز تناول مزيجاً بيطريا يدعى "ستانوزولول"[٥] وهو عقار يعطى لخيول السباق لتقويتها. وظن أن ذلك سيجنبه تمزق عضلات مرفقيه ومعصميه الذي ابتلي به في الماضي.

تناول الحقنة الأولى يوم الاثنين، والثانية يوم الاربعاء. ويوم الخميس انهار ونقل الى المستشفى حيث أجريت له الجمعة جراحة بسيطة في التجاويف الأنفية. وبعد ١١ يوماً عاد الى الملعب.

همس غامض. أحرز فريق دوشين – ونجمه آرون – نجاحا لفت الصحافة. بيد أن انتصار آرون كان مشوباً بأقاويل تحدثت عن "دعم" مكنه من إنماء بنيته التي لا تقهر، وعن ضخامته "غير الطبيعية" اذ بلغ وزنه ٩٧ كيلوغراماً في قامة بلغ طولها ١٧٤ سنتيمتراً. وقد استشاطت عائلته غضباً لمغزى هذا الكلام.

أدرك آرون انه يحطم نفسه. وكثيراً ما كان يتفّ دماً. ولم تعد الامفيتامينات اليومية تمحو كآبته وانحطاطه.

ولشدة حاجته الى "خلاص"، عمد قبل يومين من عيد الميلاد عام ١٩٨٣ الى ابتلاع محتوى زجاجة من أقراص الـ"فاليوم"، ثم ذهب الى غرفته في الطبقة السفلى من المنزل حيث تمدد على فراشه معتقداً أنه لن يستيقظ أبداً. لكنه استيقظ بعد حين على همس غامض في أذنه: "لا تمت يا آرون!"

ولم تمضِ لحظات حتى نهض من فراشه وارتقى السلم مترنحا وهتف لاهثا: "أمي، أبي، لقد تناولت كمية مفرطة من الأقراص المهدئة."

وفي المستشفى نظفت معدة آرون. ومع ذلك لم يشك والده في امكان تعاطيه الستيرويدات أو عقاقير اخرى.

وذات ليلة من يناير (كانون الثاني) صعدت أخته أمبر عدواً من غرفته وهي تبكي ويدها على خدها. لقد صفعها آرون. وبعد برهة لحق بها فقالت له: "أحبك كأخ، لكني أكره ما صرت اليه."

وبعد أسبوعين اعترف آرون لأخته: انى في حاجة الى مساعدة."

سألته: "كنت تتعاطى المخدرات، أليس كذلك؟"

قال: "نعم." ثم أخبرها عن الستيرويدات والأمفيتامينات.

---

(٤) Amphetamines . وهي مخدرات منشطة.
(٥) Stanozolol

فقالت: "عليك إخبار أمي وأبي." .

نزل الخبر كالصاعقة على العائلة، لكن اعتراف آرون كان باب فرج. لقد بات في مقدور العائلة طلب المساعدة. وسرعان ما أدخل آرون المستشفى للمعالجة النفسانية.

شفاء ورسالة. أظهرت الفحوص الطبية أضراراً في الكبد والكليتين وقرحة في المعدة. فأنذر الطبيب آرون: "إن لم تقلع عن هذه العقاقير، الآن، فسوف تموت."

وفي جناح المرضى النفسانيين انحرف آرون الى جموح خطر وكان كلما زاره والداه يشتمهما وينهرهما بكلام غير مترابط منطقياً. وعندما يغادرانه ينسى أنهما زاراه ويغضب عليهما.

وتحسنت حال آرون تدريجاً. وبعد ستة أسابيع سُرِّح من المستشفى على أن يتابع العلاج. غير أن كفاحه الطويل مع الستيرويدات والأمفيتامينات والكحول ترك آثاراً دائمة، اذ بات وجهه متجهماً تعباً، وسقط بعض شعره وبدا أكبر من عمره. وبسبب الوهن الذي أصاب جهاز المناعة في جسمه بات دائم التعرض للزكام والانفلونزا.

عاد آرون الى المدرسة حيث ساعده بعض أساتذته في التحصيل. لكنه لم يحتمل نظرات رفقائه الفضولية. فتابع دراسته بالمراسلة، وتخرج، والتحق بمجموعة ارشادية تسدي النصح الى المراهقين.

وكان نشاطه هذا نقطة تحول في حياته، اذ اكتشف أنه مستمع جيد وماهر في تفهم الأمور وانتقاء الكلام المناسب في الوقت المناسب. وسرعان ما خصص معظم أوقات فراغه لمساعدة المراهقين على الشفاء من ادمانهم. وكان يقدم نفسه مثلا حياً وبرهاناً على أن العمل الجاد والايمان يذللان أصعب المشاكل. وهو حمل أمه على تأسيس مجموعة محلية لمساعدة المدمنين في اجتياز مرحلة التماثل.

حكاية تائب. بعد ثلاث سنوات من ترك آرون مدرسة دوشين خاملا وصمة عار، عاد اليها زائراً ليتحدث عن حقيقة ما جرى له وهو على مقاعد الدراسة. تحدث في ستة صفوف، وتطلع في كل منها الى المقاعد المألوفة حيث جلس نحو ٤٠ تلميذاً يرمقونه بفضول.

بدأ كلامه: "غرور فتيّ وأحلام كبيرة وستيرويدات، هذا مزيج بالغ الخطورة." ثم روى قصته كاملة، بدءاً بالأحلام وانتهاء بالكوابيس. قال: "تناولت الستيرويدات لأني لم أثق بذاتي. وتعلمت درساً قاسياً، أن المهم هو كيف تنظر أنت الى نفسك، لا كيف ينظر اليك الآخرون. فما يراه الآخرون فيك يزول، ويبقى ما يعتمل في نفسك ما حييت."

وعادت حياة آرون الى التماسك. وهو اليوم يعيش حياة اجتماعية غنية ومنتجة. ويقول: "لقد أعاد الله الي حياتي لحظة أردت التخلص منها. وأنا مدين لعزته الى آخر عمري."

ستيسي جانل سميث ■

لبناني حلاّل مشاكل عالمي

لبناني في سويسرا تستشيره الحكومات والشركات العالمية وهو وراء ساعة "سواتش"

فرانتس كورزميير رئيس بلدية لوسيرن، وآرمان فيرش مدير ماليتها، في خلاف مع الهيئات الثقافية في المدينة. وموضوع النزاع الحاجة الى قاعة جديدة للحفلات الموسيقية التي ستقام ابان المهرجان السنوي العالمي للموسيقى. وقد ألحت جمعية الفنون على ضرورة اشادة متحف أفضل، وطالبت هيئات أخرى بتحسين مراكزها لكن موارد المدينة لا تفي بكل هذه المطالب. وأشار



أحدهم باستقدام مستشار متجرد يجتمع بالفرقاء المتنازعين ويستنبط حلا قابلا للتطبيق.

وهتف عمدة المدينة: "لنأتِ بأفضلهم. لنستدعِ الحايك."

ليس معهوداً أن يطلب من مستشار هندسي حلّ التضارب بين عشاق الموسيقى والفن والمسرح. لكن نقولا الحايك متميز عن سواه. إنه رجل ربع القامة له من العمر ٦١ عاماً، فوّار بالنشاط، ذو وجه عابث، يدير شركة "الحايك للهندسة"[١] في زوريخ بسويسرا. هذا المليونير العصامي أصبح حلال مشاكل كبار المديرين والحكومات والمنظمات الدولية. وقد التمست شركات ضخمة مشورته، ومنها "دايملر-بنز" و"داو كميكال" و"سيمنز" و"تايسن ستيل" و"فولكسفاغن" و"الفاروميو" و"الشركة السعودية للحديد والصلب."

كما طلب منه الصينيون تخطيط صناعتهم المعدنية، وعهد اليه النيجيريون في بناء مصنع للفولاذ.

غير أن تخطيط المستقبل الثقافي لمدينة ما أمر لم يطرقه الحايك من قبل. بادىء الأمر قصد لوسيرن فريق من مساعدي الحايك خلال صيف ١٩٨٧ للاستماع الى جميع الآراء. وجمع أفراد الفريق الوقائع والارقام عن وزن كل هيئة ثقافية، بشرياً واقتصاديا. يقول الحايك عن أسلوبه: "اني أنتقد الاوضاع والوقائع والأرقام، ولا أتهجم على الناس. وأجادل طوال أسابيع من دون أن أؤذي مشاعر الاشخاص."

وبعد انجاز المهمة قدم الحايك في ٢١ مارس (آذار) ١٩٨٨ تقريراً من ٣٠٠ صفحة الى أعيان البلدة، منوهاً بالمكانة التي تحتلها لوسيرن ثقافياً وسياحيا. واقترح عليهم أن يعمدوا الى بناء مجمّع جديد للحفلات الموسيقية ومتحف للفنون، مقدراً الكلفة بمئتي مليون فرنك سويسري (١٥٠ مليون دولار). وهو سطر في تقريره ما يأتي: "أن الانفاق على شؤون الثقافة استثمار في الأيام المقبلات، كما أن وضع الخطط والمفاهيم الحكيمة والبعيدة النظر ضروري لصون نمط الحياة في المنطقة وطاقتها الاقتصادية الكامنة. لن تغفر لنا أجيال الغد إن اخفقنا اليوم في التصرف بإقدام وسعة خيال..."

وكان للتقرير وقع حسن لدى معظم الهيئات الثقافية.

حيث عجز الآخرون. ولد نقولا الحايك في بيروت في ١٩ فبراير (شباط) ١٩٢٨. وكان أبوه طبيب أسنان. وهو كشف منذ صباه الباكر نزعة استقلالية. فذات صباح مشمس والبحر المتوسط لألاء تحت حديقة المدرسة، سأل نقولا معلمه أن يعقد الصف في الهواء الطلق. لكن المعلم أبى. فما كان من نقولا الصغير إلا أن طلب من رفقائه حمل طاولاتهم ومقاعدهم وقادهم الى الحديقة، فتلاهم المعلم صاغراً.

درس الحايك الرياضيات والفيزياء والكيمياء في جامعة ليون. والتحق بعد تخرجه بشركة سويسرية لاعادة التأمين

(١) Hayek Engineering

في زوريخ. وتزوج بعد ١٨ شهراً سويسرية تدعى ماريان ميزغر. ولما مرض حموه حل مكانه في ادارة المصهر المعدني الذي تملكه الأسرة. وخلال أربع سنوات تدرب على الأعمال الهندسية.

كان مسعاه ذاك في نظره خائباً. ففي نفسه أن ينطلق في عمل خاص به، وأن يأتي بفكرة "جنونية" كل يوم من دون أن يقابل بالرفض. وقر رأيه عام ١٩٥٧ على العمل مستشاراً لشؤون الهندسة والتخطيط. فتدبر قرضاً مصرفياً بـ٥٠٠٠ فرنك (٣٨٠٠ دولار) وفتح مكتباً صغيراً في زوريخ.

ما زاره أحد أول الأمر. واضطر الى العمل وزوجته في ترجمة الوثائق التقنية من الانكليزية الى الالمانية ليدفع بدل ايجار المكتب. وأخذته الريبة في سلامة قراره الشروع في عمل مستقل. وفي نهاية المطاف، بعد ١٢ شهراً من افتتاح المكتب، اتصل به صانع الماني لقطع السيارات طالبا منه إصلاح مصهر لم يتمكن أحد من اصلاحه. سافر نقولا الحايك الى المانيا في قطار من الدرجة الثالثة، وأمضى أسبوعا باذلا جهده لاصلاح المصهر. ونجح في مهمته وتقاضى ١٢ ألف فرنك (٩٢٠٠ دولار). واذ همّ بالرحيل سأله رئيس الشركة: "ما الأجر الذي تطلبه لبناء مصنع جديد؟"

فأجاب الحايك مبهوتاً: "لا أستطيع تحديد الرقم بدقة، لكنه سيكون كبيراً."

قال الصناعي: "قد كلفتك المهمة، بشرط أن نصرفك من العمل متى نشاء بعد أن ندفع لك أجر ما أنجزت."

هرع الحايك الى الهاتف وقد استطاره الفرح، زافاً الاخبار السارة الى زوجته.

وكان رب العمل يلعب الورق (الكوتشينة) مع عصبة من كبار الصناعيين الالمان امثال فليك ومانسمان. وما لبث هؤلاء أن عهدوا الى الحايك في مشاريع صعبة. وسرعان ما اتسعت اعماله فأسس "شركة الحايك للهندسة" عام ١٩٦٣، وهي مختصة بتقديم العون الى الشركات والجمعيات والادارات والمنظمات الحكومية لأخذ القرارات وبلوغ الأهداف.

قفزة "سواتش." كان دأب الحايك لدى التعاقد مع شركة ما إرسال فريق من أربعة أشخاص أو خمسة لتمضية فترة تراوح بين ثلاثة اشهر وخمسة في الشركة، عاملين على جمع كل معلومة ذات صلة بالدراسة التي يعدونها. ويبسّط الحايك الأمر شارحا: "قبل أن نشرع في حل المسائل، ننظر الى بنية المؤسسة بكاملها. لا نفحص القدمين والجوف فحسب، بل نعاين الرأس أيضاً. فما النفع في شفاء الجوف اذا كان الرأس عليلا؟"

ثم تلقم المعلومات جهاز كمبيوتر يخرج بأنموذج قابل للتحوير. ويعقّب الحايك: "بالنظر الى الانموذج وتحليله، نضع اليد على المشاكل الرئيسية. إن المديرين، في غالب الاحيان، لا يحيطون بتعقيدات مؤسساتهم حيث تتشابك ألوف المؤثرات. وطريقتنا هذه تختزل الاحجية المعقدة الى مسائل أساسية يستطيع المديريون فهمها والعمل بمقتضاها. إن

غياب التواصل بين أفراد المؤسسة الواحدة عائق أساسي أمام نجاح المؤسسة في كثير من الاحيان، اذ يغني كل على ليلاه من دون اتصال فعلي مع زملائه."

يقول توماس بيلان نائب رئيس تحرير صحيفة "تاغس – أنزيغر" الصادرة في زوريخ: "ما أن تأتي شركات الاستشارات حتى تتدحرج رؤوس عدد من الموظفين. أما الحايك فيحاول عدم تسريح الموظفين. انه يحدث وظائف بتنشيط الشركات واطلاق منتجات جديدة."

وأبلغ مثال على نبوغ الحايك انقاذه صناعة الساعات السويسرية الآفلة. فلئن يكن السويسريون صناع الساعات هم الذين ابتكروا الساعة الالكترونية، الا ان اليابانيين بزوهم واقتنصوا أسواقهم بسرعة مذهلة. كانت سويسرا تنتج نحو ٤٥ في المئة من ٢٠٠ مليون ساعة مبيعة في العالم عام ١٩٧٠. وبعد عشر سنين اذا بها تتشبث يائسة بحصة لا تعدو ٩ في المئة من سوق تباع فيها ٤٠٠ مليون ساعة في البلدان الغربية. وبحلول العام ١٩٨٢ أغلق ٣٠٠ مصنع وسُرِّح ٥٠ ألف شخص.

وبعد سنة واحدة بلغت خسارة أكبر شركتين لصنع الساعات في سويسرا[٢] أكثر من ١٢٠ مليون فرنك (٩٢ مليون دولار). وقد صرّح الرئيس السويسري فريتز هونيغر: "لطالما حسبت صناعة الساعات رمزاً للجودة السويسرية، وهي علامتنا في الخارج، فلا بد من الحفاظ عليها بأي ثمن."

في نهاية المطاف اقتحم الميدان تجمع من المصارف قدم قرابة مليار فرنك (٧٧٠ مليون دولار) لبث الحياة في شركات الساعات، معلقا الآمال على نقولا الحايك. وخلص الحايك الى أن صناعة الساعات في سويسرا ارتكبت غلطة مشؤومة بانكفائها عن أسواق الساعات ذات الاسعار المنخفضة والمتوسطة، مما ترك الساحة مشرعة أمام المنافسين الآسيويين. وكان الحايك ملحاحاً: "في مقدورنا أن ننتصر على اليابانيين اذا ما اقتحمنا تلك الاسواق وكافحنا. وينبغي للسويسريين أن يسودوا على كل جانب من سوق الساعات." وحض الحايك على المكننة والتسويق الواسع الخيال.

ولاح له في مخططه أن إنزال سلع جديدة ضرورة لا غنى عنها. وفي هذا السياق كان ارنست تومكي أحد المديرين المغامرين في شركة «ASUAG» راغباً في ترويج ساعة جديدة تدعى "سواتش." وكانت على نقيض الساعات السويسرية التقليدية من جميع الأوجه: فهي مصنوعة من البلاستيك، رخيصة، ذات ألوان زاهية صارخة، وتكّتها عالية. وبدت فكرتها سخيفة في عيون بعض صانعي الساعات. لكن إصرار الحايك ودعم المصارف أتاحا انزال "سواتش" الى الاسواق، فأصابت نجاحا منقطع النظير. وقد بيع من ساعات اليد "الجنونية" هذه أكثر من ٦٥ مليوناً، فانقلبت صورة صناعة الساعة زاهية تتألق ابداعاً وقوة.

(٢) Allgemeine Schweizerische Uhrenindustrie AG (ASUAG), Société Suisse pour l'industrie Horlogère (SSIH)

"ما علة وجودكم؟" أشار الحايك بدمج الشركتين الكبريين، ونفذ مبتغاه فأنجز الدمج عام ١٩٨٤. لكن الشركة الجديدة «SMH» ما زالت تلاقي بعض المصاعب بما فيها الادارة غير الكفية في "أوميغا" أحد أقسامها الاساسية. وبدا للحايك ان طريق المستقبل الزاهر مسدودة بالنزاعات بين المديرين، فكل مدير تشغله مصالحه الخاصة عن المصلحة العامة للشركة. وقال: "ينبغي إحداث مركز واحد للقرار بدلا من خمسة مراكز أو ستة."

وبناء على ذلك شُكل اتحاد من المستثمرين بقيادة الحايك، فانتظمت شؤون الادارة والانتاج والابحاث والتسويق وغدت اكثر فاعلية. وفي العام ١٩٨٨ حققت شركة «SMH» ربحاً قياسيا بلغ ١٠٥ ملايين فرنك (٨٠ مليون دولار) بزيادة ٣٦ في المئة على ربح العام ١٩٨٧. وهي اليوم تحتل المرتبة الاولى في المبيعات في العالم.

وفيما الحايك مكب على معالجة ازمة صناعة الساعات في سويسرا عام ١٩٨٣، جاءه التماس من مدينة زوريخ لتحليل المزايا والعيوب في الادارة القائمة على شؤون المدينة واستنباط وسائل لخفض التكاليف. وابتدع الحايك خطة رئيسية تقترح ما لا يقل عن ٤١٧ تغييراً، تراوح بين زيادة عدد التلاميذ في الصفوف وتحويل بعض الخدمات الحكومية الى القطاع الخاص وإبطال حق أهالي المدينة في ركوب سيارات الأجرة مجانا لدى مواكبة جنازات أقربائهم. لكن عدداً من الموظفين الحكوميين تلكأ في قبول هذه المقترحات الدخيلة. وقال لهم الحايك سعيا الى اقناعهم: "ما علة وجودكم في مناصبكم؟ أيلبي غاية ما؟ هل تقومون بواجباتكم؟" وهو يشرح موقفه ذاك قائلا: "هذه الاسئلة توقف المشاجرات وتطلق الافكار من عقالها." وهكذا أدخل الحايك الاصلاحات تدريجا، مما وفر نحو ٤٥ مليون فرنك (٣٥ مليون دولار) سنويا، فخفضت حكومة زوريخ الضرائب عن مواطنيها.

عام ١٩٨٨ أجرى الحايك دراسة على مستشفى كبير في زوريخ يضم ٤٠٠ سرير، بعدما طلبت منه سلطات المدينة أن يدلها على سبيل لاستخدام الاموال المتاحة في خفض التكاليف الصحية الفاحشة. وتعقب فريق العمل أعمال المستشفى ليل نهار، وحضر جراحات. يقول الحايك: "بعثت الي احدى الممرضات بيانا بما تؤديه من عمل. فأصابني الروع للساعات الطوال التي تمضيها في الخدمة والواجبات الكثيرة المطلوبة منها." واقترح فريق العمل استخدام مجموعة من الممرضات بداوم جزئي لتخفيف ضغط العمل وتشجيع بعض الممرضات السابقات على العودة الى المهنة. وفي امكان هؤلاء تقديم خدمات الى مستشفيات اخرى. ومن شأن المشروع خفض التغيبات والكلفة المترتبة عليها.

ويهمس منافسو الحايك في حقل الاستشارات أنه لا يفعل ما يعجزون هم عنه لكنه يُعلم الجميع بما يفعل. ويصفه

داياتر هاس المحلل المالي في مصرف ساراسان في بال بأنه البائع الأمثل، فيما يشير منتقدوه الى أن أعماله لا تصيب نجاحا مكتملا الا نادراً. لكن هذه الأقاويل لا تقلق الحايك، ففي اعتقاده أن الاتصال في الاعمال بالغ الاهمية، وأن بعض التبجح غير مضر.

يهوى الحايك سَوْط مديري الاعمال العصريين بلسان حاد. واذ خاطب المشاركين في "المنتدى الاقتصادي العالمي" الذي عقد في دافو بسويسرا في يناير (كانون الثاني) ١٩٨٨، أعلن أن "مديرين كثيرين لا يفكرون الا في معاشات التقاعد. أين الشجاعة والريادة وثبات الجنان لاقتحام كل الجبهات؟" ثم عرض نصيحته: "أولا، كونوا على استعداد لتذليل العوائق. ثانياً، لا يجدر بنا في اوروبا والولايات المتحدة أن نخسر أدواتنا وامكاناتنا، أي مصانعنا. ثالثا، ردوا الصاع صاعين للاستئثار بسوق المستهلكين واحراز الغلبة."

من يطلب ٧٠٠ فرنك (٥٤٠ دولاراً) أجراً في الساعة على خدماته ما نسي قط أياما كان فيها مفلسا. يقول الحايك: "يأتيك المال ان اخترت مهنة تتيح لك أن تنمي شخصيتك. أما أنا فأهوى الابتكار." ويبدو ذلك جليا حين يعكف الحايك على دراسة شؤون مؤسسة مضطربة فيبث فيها حيوية. انه شغّيل وساحر معاصر في دنيا الاعمال، وقد أتقن فنون النجاح.

مرغريت ستودر ■



المدير والسكرتيرة

طلب المدير من سكرتيرته ان تكتب له خطاباً مؤثراً يستغرق عشرين دقيقة لكي يلقيه في مؤتمر مهم. وعندما عاد الى المكتب بعد المؤتمر استدعى السكرتيرة غاضبا وصرخ في وجهها: "ماذا فعلت بي؟ لقد طلبت منك خطاباً يستغرق عشرين دقيقة، فسلمتني مقالا استغرق ساعة كاملة فضجر الحاضرون وغفوا قبل انتهائي من القائه."

ارتبكت السكرتيرة ثم ردت: "لقد كتبت لك يا سيدي خطاباً يستغرق عشرين دقيقة. لكنني سلمتك نسختين اضافيتين."

إ.ف.

عصافير تحب العطر

يربي صهري عصافير غريبة في قبو منزله. وعندما سافر مرّة اوكل بها الى اختي. فكانت كلما ادخلت يدها القفص، تهتاج العصافير وتصفق باجنحتها وتزعق مذعورة. وخطر لأختي ان تفرك يديها بالعطر الذي يستعمله زوجها بعد الحلاقة، ففعلت. وعندما ادخلت يدها القفص لوضع الطعام وتغيير الماء، بقيت العصافير هادئة وساكنة.

ك.ا.

بحار يقهر المحيط بمركب مكسور

تشق السحب تشق العباب الصاخب في جنوب المحيط الهادي، فجأة ضربته سلسلة أمواج عاتية فانقصم صاريه عند القاعدة وسقط متعثرا في القمرة بجلبة رهيبة. وراح حول هيكل القارب يتدفق الماء خارجها وهو يخلع عنه كيس النوم، [illegible] مخاطر الأسابيع الخمسة السابقة التي [illegible] حوله مرشد الشراعي الوحيد البحار الفردي القيادي "جوزف يونغ" وهو بعد في منتصف رحلة حول العالم ضمن "تحدي BOC"[1] وهو أصعب سباق عالمي للمراكب الشراعية.

في الثالثة والربع فجر ٦ فبراير (شباط) ١٩٨٧ بات المركب الوحيد الذي يمثل كندا في السباق هيكلا ينجرف على

(١) BOC Challenge

انكسر الصاري في أقسى سباق عرفته الملاحة لكن البحار العنيد واصل طريقه متحديا أبلغ الأخطار

ILLUSTRATION: [illegible]

غير هدى. فحدق هيو الى حطام أحلامه هامساً: "لا، لا، لا...».

انجرف المركب تحت رحمة الأمواج. فراح هيو يقطع الاسلاك الفولاذ المتشابكة بمقصّ مسامير حتى انزلق الصاري برمته جانباً. ولما لم يبق ما يثبت المركب، أخذ يترجح بعنف حتى بات هيو عاجزاً عن الحركة إلا دبيباً. وبعناد ثبَّت أحدى ساريات الشراع في وضع قائم ثم رفع هوائي جهاز لاسلكي معدّ للحالات الطارئة. وفي الثامنة مساء نجح في الاتصال بمنافسه الأمريكي مارك شرادر الذي كان يسبقه ٣٧٠ كيلومتراً في مركبه "لون ستار." سأله شرادر: "كيف أحوالك؟"

فأجاب هيو: "ليست على ما يرام. لقد خسرت الصاري الليلة الماضية."

وكان أحد المتسابقين قضى خلال السباق، كما غرقت ثمانية مراكب أو تحطمت أو تقهقرت الى ديارها. ولما كانت عرى الصداقة والرفقة توطدت بين الناجين الستة عشر، فقد توالت عروض العودة لمساعدة هيو.

لكن ردّه كان واحداً: "لا يرجعن أحد. طمئنوا الجميع الى أني ما زلت عائماً فلا يقلقوا." ثم أقفل الجهاز وانهار باكياً.

مركب مسكين. امتزج حب المغامرة بدم هيو مذ كان صبياً يبحر مع جده في طوف صغير بمحاذاة شاطىء كورنيش في بريطانيا. وفي العاشرة من عمره هاجر مع عائلته الى ثندر باي في أونتاريو بكندا. وسرعان ما انطلق يجوب مياه بحيرة سوبيريور، احدى البحيرات الخمس الكبرى الفاصلة بين كندا والولايات المتحدة، على متن قارب بناه بنفسه. وفي العام ١٩٨٢ كان يعمل مساعد ربان على متن ناقلة معادن في بحر الشمال، فسمع بسباق "تحدي BOC."

يبدأ هذا السباق في نيوبورت بولاية رود آيلند الامريكية، برعاية "شركة الاوكسيجين البريطانية"[٢] وهو سباق قاس حول العالم يتخلله توقف عند كيب تاونً (جنوب افريقيا) وسيدني (أوستراليا) وريو دي جانيرو (البرازيل). وقد وصل الى خط النهاية في سباق ١٩٨٢ عشرة متبارين فقط من أصل ١٦ قطعوا مسافة ٥٠ ألف كيلومتر مضنية خلال ثمانية أشهر، كما فُقدت ثلاثة مراكب.

فكر هيو آنذاك: إنه لتحدٍ يستحق المحاولة. وعقد العزم على الاشتراك في السباق التالي عام ١٩٨٦.

حاول جاهداً أن يحصِّل رعاية شركات خاصة، لكن مساعيه أخفقت ولم يتلقّ حتى جزءاً يسيراً من مبلغ ٨٠٠ ألف دولار قدَّر أنها لازمة لتأمين مركب مؤهل للفوز. فقرر أن الاشتراك في السباق أهم من الفوز فيه. وبعدما تأكد من استحالة حصوله على دعم مالي يمكنه من شراء مركب كبير غالي الثمن وعالي التقنية، عمد الى تحقيق هذا الأمر بوسائله الذاتية. فباع كل ما يملكه جامعاً مبلغ ١٦٠ ألف دولار أمَّنت له يختاً يزيد ٣٥

(٢) British Oxygen Company (BOC) وتدعى اليوم BOC Group.

سنتيمتـراً فقط على الطول الادنى المسموح به والبالغ ١٢ متراً.

أطلق هيو على مركبه الشراعي اسم جده المتوفى "جوزف يونغ." وكان المركب المصنوع في أسوج (السويد) قوي البنية سريع الحركة بسيطاً. وكانت قمرته ضيقة الى حد أنه كان يتلمس جنباتها بمجرد بسط ذراعيه ولا يستطيع الوقوف فيها مستقيماً. وكان في القمرة سرير مبيَّت في الجدار ومطبخ صغير له فرن بموقدين وأجهزة لاسلكية وطاولة للخريطة وللعمل.

بدا مركب هيو، وهو راس وحده في هاليفكس، الأكبر والأسرع والأبرع. لكنه الى جانب مراكب منافسيه الـ٢٤ التي احتشدت في نيوبورت كان الأقل جلالاً، مما شكل طعنة لمعنويات هيو. وكانت القوارب الأخرى لمتبارين ترعاهم شركات خاصة، أكثر تعقيداً وأقصر بمقدار النصف. كما تأمنت لها فرق دعم من اختصاصيين يتقدمونها جواً الى محطات التوقف. كذلك يُسِّر للمتبارين البارزين الحصول على معلومات فورية عن الطقس من محطات ساحلية تتولى مـراقبة التقلبات الجوية حول العالم. حتى أن أحد القوارب الأمريكية كان مزوداً ثمانية أنظمة للقيادة الذاتية. أما هيو الذي مثَّل كنـدا منفرداً فكـان في السادسـة والعشـرين من عمره، وهـو أصغر المتبارين سناً.

تتحطم الاحلام. أبحرت القوارب يوم ٣٠ أغسطس (آب) في المرحلة الأولى الممتدة ١٣٠٠ كيلومتر الى كيب تاون في سباق مدمر شهد اصطدام قاربين قبل بدء السباق بثلاث دقائق، وغرق قارب آخر قرب برمودا. وفقدت قوارب أخرى صواريها أو انقلبت أو اندلعت فيها النار. ومر جميع المتسابقين في مغامرات تقشعر لها الأبدان.

وذات يوم فيما كان هيو يرشف قهوته عند باب القمرة، ارتعب إذ مرت به ناقلة عملاقة لم تبعد عن قاربه سوى ثلاثة أمتار، فنجا "جوزف يونغ" من كارثة محققة. وعندما اقترب هيو من كيب تاون شاهد حوتاً ينداح متقوساً تحت مقدم قاربه. فقبع منقطع الانفاس ينتظر الاصطدام المروع، لكن الحوت استدار في اللحظة الأخيرة متيحاً للقارب متابعة سيره من دون أن يصاب بأذى. وبعد ٥٥ يوماً وصل هيو الى كيب تاون حالاً في المرتبة الأخيرة، لكنه كان بين ١٩ متبارياً اجتازوا المرحلة الأولى.

وانطلق المتسابقون في المـرحلة الثانية التي تقودهم الى سيدني. وهبت عاصفة ليلية هوجاء يوم ١٥ نوفمبر (تشرين الثاني) بعثرتهم كلًّا في طريق. وفي أوج العاصفة اضطر هيو الى العودة الى كيب تاون لاصلاح حبال صاريه، الأمر الذي أخره ٢٧ ساعة. ووسط ظروف جوية غريبة عن شتاء شمال الأطلسي، انطلقت اليخوت تتسابق على امتداد ١١ ألف كيلومتر عبر "قعر" العالم.

وصل هيو الى سيدني أخيراً ليلة عيد الميلاد وقد هدَّه الارهاق بعد خمس ليال لم يذق فيها طعم النوم مصارعـاً

العواصف والضباب وجبال الجليد. هكذا اجتاز "جوزف يونغ" وربانه امتحان البحر القاسي. ولمّا أطلق رئيس وزراء أوستراليا بوب هوك النار ايذاناً ببدء سباق الـ١١ ألف كيلومتر الى ريو دي جانيرو يوم ١٨ يناير (كانون الثاني)، حدد هيو مساره المروع الى كيب هورن. الى حين نخر الوهن معدن صاريه وحطم آماله.

فكرة جنونية. جلس هيو يرشف القهوة ويقلب الرأي في ما يفعل. كانت أقرب يابسة إليه تبعد ١٧٥٠ كيلومتراً جنوباً حيث شاطىء قارة القطب الجنوبي (أنتارتيكا). وإلى الخلف نيوزيلنده على بعد ٢٨٠٠ كيلومتر وفي اتجاه معاكس للريح. ولكي يبقى في السباق عليه التوجه مباشرة الى أمريكا الجنوبية البعيدة ٧٤٠٠ كيلومتر شرقاً. لكن عليه أولا ترقيع الأضرار بعجل كي يعيد "جوزف يونغ" الى مساره، خصوصاً أن حزام عواصف يلف خطوط العرض هذه ويهدد بتحطيم اليخت الشارد بين لحظة وأخرى.

تحرك هيو زحفاً على سطح القارب المترجح الذي بات فخاً مميتاً بسبب فقدان حاجز الميمنة. وأقام ساريتين ارتجل بهما شكلا يشبه العدد "٨" وربطهما معاً بحبال. ثم رفع فوقهما شراعاً صغيراً برتقالياً للعواصف. اذذاك انطلق المركب بسرعة حسنة بلغت ٧،٥ كيلومترات في الساعة. وقبل أن يأوي هيو الى سريره كتب في سجل الرحلة: "ما زال المركب يرشح، لكنه بات آمناً."

في غضون ذلك استُنفر أصدقاء هيو بعد مكالمة هاتفية أجراها مقر قيادة السباق مع صديقته فيكي ماكدرموت في دارتموث بمقاطعة نوفاسكوشيا الكندية. وكان أعضاء نادي دارتموث لليخوت أهدوا الى هيو، قبل رحيله، بضعة أشياء كمالية، بينها سترة نجاة. وحين أنشق صاريه في المرحلة الأولى جمعوا مبلغ ٤٠٠٠ دولار كي يرسلوا اليه صارياً وأشرعة جديدة الى كيب تاون. والآن عقدوا العزم على دعمه بأي ثمن. وفيما هم أنصرفوا الى جمع التبرعات، أوصى المهندس البحري جون ساندفورد على صار يرتفع ١٨ متراً وما يرافقه من أشرعة ولوازم ضرورية.

وحين أدار هيو جهازه اللاسلكي سمع رسالة تثلج الصدر: "عليك بلوغ اليابسة حيث ينتظرك صار وأشرعة جديدة."

اتجه هيو، وقد ارتفعت معنوياته، الى قاعدة تالكاوانو التشيلية البعيدة ٢٢٠٠ كيلومتر من جنوب كيب هورن، حيث تنتظره المساعدة. لكن "جوزف يونغ" توقف فجأة عن الحركة. وتوالت الأيام واليخت يتثاقل بطيئاً، فيما دار أقرانه حول كيب هورن مبتعدين عن مجاله اللاسلكي.

وبعد إنقضاء ١٧ يوماً على هذه الحال كاد هيو يجن. لقد خسر صاريه وشراعه ولم يعد قادراً على إكمال السباق، فاراد العودة الى نيوبورت قبيل الاحتفاء بتقديم الجوائز الى الفائزين يوم ٣١ مايو (أيار). ثم راودته فكرة جنونية: ماذا لو اكتفى بالشراع الموقت لبلوغ كيب هورن؟

العواصف العاتية لا تهدأ حول كيب هورن إلا يوماً واحداً كل أربعة أيام. وحرارة المياه تكاد تبلغ درجة الصقيع. ولا مثيل لأمواج كيب هورن العاتية. وعلى رغم كل ذلك أبحر "جوزف يونغ" جنوباً يوم ٢٧ فبراير (شباط).

وفي اليوم التالي كتب هيو في سجله متهللا: "تحركت أخيراً. البحر هائج!" ونقل هواة اللاسلكي رسالته الى دارتموث: "انه في طريقه الى كيب هورن!"

في أغوار الموج. تصدرت ملحمة هيو عناوين الصحف في نوفاسكوشيا. وكان تقدمه يُسجِّل يومياً بدبابيس على خريطة جدارية في "متحف هاليفكس للملاحة الأطلسية." وعمد مؤيدوه الى جمع الأموال ببيع أوراق يانصيب وقمصان رياضية، فحصلوا على ٤٠ ألف دولار نقداً ومعدات متنوعة قبل أن تقدم "الشركة الوطنية المحدودة للمنتجات البحرية" مساعدة دعائية بلغت ٥٠ ألف دولار.

وفيما حركت الدبابيس فجأة على الخريطة مشيرة الى تقدم "جوزف يونغ" جنوبا، تولى فريق الدعم شحن الصاري والأشرعة البديلة الى ملقى جديد في جزر فوكلاند.

وكان تلاميذ السنة الابتدائية السادسة في مدرسة غلوسكاب يتابعون السباق على الخريطة ويبعثون رسائل يتلقاها هيو في المرافىء التي يتوقف عندها، ويتهللون فرحا وهم يراقبون تقدمه اليومي. وتقول معلمتهم كلوديا شيسمان: "لم نفرح كثيراً عندما درسنا الأخطار التي تعترض طريقه." كما أنهم لم يتصوروا هشاشة حياة هيو وهو يكافح أخطاراً لا تلين على متن قاربه الواهن.

أبحر المركب تصارعه العواصف الثلجية وسط أجواء مكفهرة، وقد غلفته رطوبة خانقة وصقيع يقارب التجمد. وتسرب الماء من الفوهة المرقّعة مُنصبا على الخرائط. وزاد الأمر سوءاً تقطر الماء عن معطف هيو المشمع كلما عاد الى القمرة. وفاحت روائح كريهة من كيس النوم شبيهة برائحة جوارب نتنة. وأمضى هيو ليالي قلقة يصيخ السمع الى ما قد يتأتى من مشاكل محاولا سرقة لحظات يخلد فيها الى النوم. وكان شرب القهوة ملاذه الوحيد في وحدته الخانقة. ولكن قبل خمسة أيام من بلوغه كيب هورن نفد الماء من خزّانيه ولم يبقَ لديه سوى سبعة ليترات اختزنها في حزمة النجاة وراح يغذيها بحبات بَرَد يجرفها عن سطح القارب.

وعلى رغم هزال الشراع مضى "جوزف يونغ" في سرعة فاقت ١٥ كيلومتراً في الساعة. لكن الأمواج بلغت من الارتفاع حداً جعل الشراع القزم يستكين في أغوارها. وذات يوم ترجح المركب بعنف وهو في غور احدى الأمواج، ثم انقلب دورة كاملة بفعل موجة عملاقة. فانفتحت الخزائن من جراء الصدمة العنيفة، وانكسرت قارورة صلصة فوق الجهاز اللاسلكي. فنظر هيو حوله وقد انطمر تحت محتويات صندوق

العدة، وخيل اليه أن النهاية وشيكة.

لم ير هيو في حياته مثل هذه الأمواج الجبارة. ولم يخف هكذا من البحر. وفجأة رأى صخوراً سوداء تنذر باصطدام وخيم والزبد يندفع عنها عنيفا. لكن المركب حافظ على مساره الصحيح. وفي الثالثة من صباح اليوم التالي الموافق ٢١ مارس (آذار) أطل "جوزف يونغ" على كيب هورن. وفي السابعة دار متجها الى الشمال الشرقي.

"برافو جون!" لم يجد هيو ما يحتفي به سوى تناول قالب الحلوى المعدّ لعيد الميلاد، وفتح علبة بطاطا استقطر منها مياهاً يشربها. وفي مدرسة غلوسكاب احتفل التلاميذ بالنصر بقطع كعكة في شكل خريطة أمريكا الجنوبية خُط عليها مسار هيو. وفي مرفأ هاليفكس تهلل الانصار والمشجعون بتلويح أعلام كُتب عليها: "برافو جون!"

لقد قهر جون هيو كيب هورن.

وبعد ثلاثة أيام لاقت اليخت دورية من البحرية البريطانية وواكبته الى جزر فوكلاند. فسارع هيو، وقد بدا أشعث الشعر أحمر البشرة بعد ٦٦ يوما في البحر، الى شرب ابريق القهوة الذي أرسلته البحرية اليه في قارب مطاط. لقد أمضى ٤٥ يوما تحت الشراع المرتجل، والساعات الست والثلاثين الاخيرة من دون ماء.

في هذه الأثناء وصل من كندا جون ساندفورد وإفرت باسكت وهو بحار أولمبي وصانع صوار، للمساعدة في إعادة تركيب الصاري والشراع. وبعد ١٣ يوماً قضاها في المرفأ يمم "جوزف يونغ" شطر ريو دي جانيرو حيث أمضى هيو ثلاث ساعات فقط انطلق بعدها في مساره.

وبعد قضاء ٢٢٤ يوماً في اليم دخل البحار العنيد مرفأ نيوبورت قبل أربعة أيام من الاحتفال بتوزيع الجوائز.

فاز الفرنسي فيليب جانتو للمرة الثانية بالمرتبة الاولى، وحصل على ١٥ ألف دولار. وهو اجتاز المسافة في ١٣٤ يوماً. ونال الأمريكي مايك بلانت مبلغا مماثلا لحلوله في المرتبة الثانية بعد ١٥٧ يوماً. أما هيو الذي وصل أخيراً، وإن لم يكن آخراً في التقدير، فنال جائزة خاصة "كمثال يحتذى في البراعة الملاحية وقوة الاحتمال والرفقة الطيبة والروح الرياضية."

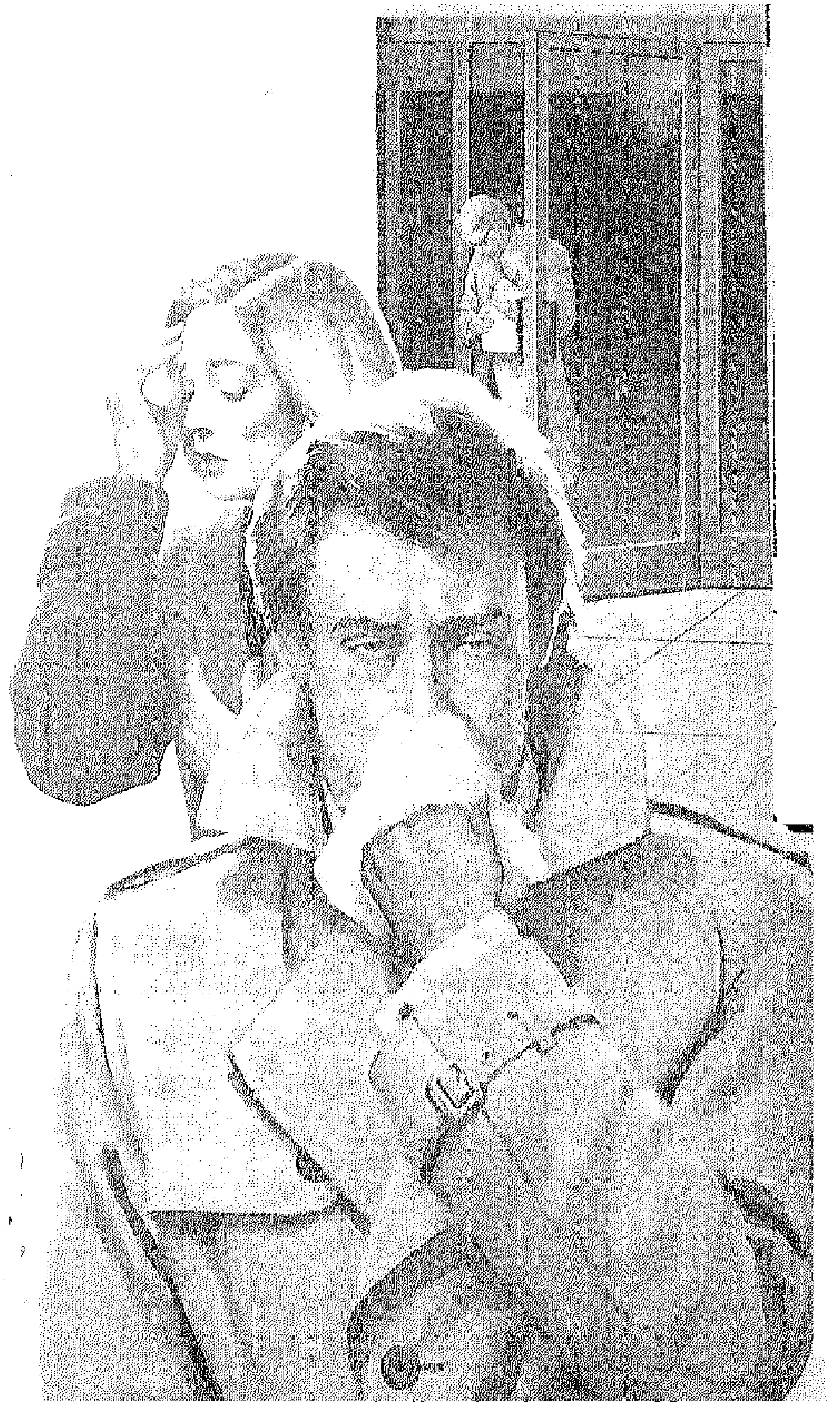
أبحر "جوزف يونغ" عائداً الى دياره بعدما قطع مسافة ٥٢٨٨٠ كيلومتراً. وأصطف ألوف المستقبلين تحت وابل الأمطار فيما واكبه أسطول من اليخوت الى مرساه في نادي دارتموث حيث نزل هيو الى الشاطىء واستُقبل كالأبطال. لقد هزم كيب هورن الذي يماثل قمة إفرست بحراً. فعل ذلك من دون صار. وحقق بعبوره كيب هورن بصار وشراع مرتجلين ما لم يحققه بحار منٌ قبل.

فهل يشترك هيو في هذا السباق ثانية؟ يقول: "تسألني اليوم فأجيب لا. وإن سألتني بعد أسبوع فقد أقول ربما. فللبحارة ذاكرة ضعيفة."

جون ديسون ■

هل تشعرون بحكاك في العينين أو ألم في الحنجرة أو صداع أو عياء؟ قد تكون العلة في المبنى حيث تسكنون أو تعملون

أمراض غامضة في البيوت والمكاتب



□ بعد أشهر من افتتاح البناء الجديد المتلألىء الملحق بمسرح كوبنهاغن الملكي في الدانمرك في ديسمبر (كانون الاول) ١٩٨٥ عانى الممثلون والراقصون ومغنو الاوبرا عيونا دامعة وآلاما في الرأس والحنجرة. وتبين أن السبب مادة لاحمة طليت بها أبواب البناء الجديد ونوافذه. ويقول أوف تيلسن الذي حقق في القضية: "انه يطلق كبريتا يهيج الحواس." وعندما أزيلت المادة اللاحمة توقفت الشكاوى.

□ في المانيا الغربية أصيب الاولاد والموظفون في عدة روضات للاطفال بزكام غريب لازمهم خلال السنة الدراسية ١٩٨٦ - ١٩٨٧. واكتشف الدكتور بيرغر هاينزو الاختصاصي بعلم السموم البيئية

ILLUSTRATION: HECTOR GARRIDO

في ولاية شلزفيك – هولشتاين أن جميع المدارس بنيت من أجزاء جاهزة متطابقة مكسوّة بقطع من الخشب. يقول: "عولج الخشب بالـ"لندين" والـ«PCP» وهما مادتان كيميائيتان سامتان تستخدمان لوقاية الخشب من العفن. وكانت الكتب والاوراق وقطع الأثاث ملوّثة بأبخرة هاتين المادتين. ويقدر هاينزو كلفة ازالة التلوّث من الروضات بـ٣٠٠ ألف مارك للروضة الواحدة.

□ بعدما جُهزت إحدى المطابع في النورماندي بفرنسا بمكيف هواء، أصيب رئيس العمال على الفور بحمى والتهاب في الحلق، ثم ظهرت لديه أوجاع في الصدر. وكانت أوجاعه تزول حين يذهب في عطلة سنوية أو اجازة مرضية وتعود الى الظهور بعد رجوعه الى العمل. وأظهر تشخيص في النهاية أنه يشكو من "حمى الرطوبة" الناتجة من البكتيريا والعفن وغيرهما من العوامل الكامنة داخل أجهزة تكييف الهواء.

في العقدين المنصرمين وقعت مئات الحوادث المماثلة في بيئات وأقطار مختلفة كاليابان وألمانيا الغربية وايطاليا والولايات المتحدة والدول الاسكندينافية. وهي تشكل – بكلام الدكتور كلود مولينا رئيس فريق العمل المهتم بنوعية الهواء داخل الابنية بتكليف من المجموعة الاوروبية – "بروز نوع جديد من المرض بحيث تسبب الأبنية ازعاجا أو مرضا لساكنيها." أما الاعراض الاكثر شيوعا لهذه "الامراض المرتبطة بالابنية" كما يدعوها العلماء، فهي حكاك العينين واهتياج الجلد وجفاف الحنجرة وانسداد الانف بفعل الزكام وصداع وإعياء ذهني. وهذه المشاكل شائعة جداً بحيث أطلقت عليها تسمية "علة الابنية الممرضة."[١] ومن الاعراض الشديدة الدوار والغثيان ونوبات الربو وذات الرئة. ولم تود أمراض الابنية هذه بحياة المصابين الا في حالات نادرة.

وتقدر منظمة الصحة العالمية أن نسبة ٣٠ في المئة من الابنية الجديدة والمجدّدة تمنى بهذه الامراض. وفي دراسة أجريت عام ١٩٨٦ على ٤٤٥٩ عاملا من ٧٠ بناء للمكاتب في مدينتين يابانيتين، شكا ثلث العمال من أعراض علة الابنية الممرضة. وأظهر مسح شمل ٤٣٧٣ موظفا مكتبيا في بريطانيا ان ما يزيد على نصف العاملين في بعض الاماكن أصيبوا بالمشاكل ذاتها. وتقدر جمعيــة من الخبــراء الصنــاعيين والحكوميين الهولنديين أن قرابة ٤٠٠ الف يوم عمل تهدر في هولندا سنوياً بسبب الامراض المتعلقة بالابنية. وفي الولايات المتحدة يفيد تقرير حديث لوكالة حماية البيئة أن الامراض المرتبطة بالابنية تكلف مليارات الدولارات التي تهدر سنويا نتيجة تدني الانتاج والعناية الطبية والخسائر في الارباح وأيام المرض.

أجواء فاسدة. يعتقد الخبراء أن الازدياد السريع للامراض المرتبطة بالابنية يعود اجمالا الى تدابير خفض

(١) Sick — building Syndrome

التكاليف التي اعتمدت عقب الازمة النفطية في السبعينات. فبغية خفض تكاليف التدفئة عمد المهندسون الى بناء مكاتب ومنازل محكمة الاقفال، يمتزج فيها الهواء الداخلي الدافيء الذي غالباً ما يكون رطباً، بكمية صغيرة من الهواء الخارجي، ثم يعاد "تدويره" في الابنية عبر قنوات التهوئة. وسدّت النوافذ باحكام لمنع تسرّب الحرارة مما جعل تكييف الهواء ضرورياً حتى في البلدان الباردة.

في دراسة بارزة أجريت عام ١٩٨٤ اكتشف الدكتور أنطوني بيكرنغ الاختصاصي بامراض التنفس في مستشفى وذنشو في مانشستر ببريطانيا وباحثان آخران، أن الناس المقيمين في أبنية محكمة الاقفال ومجهزة بمكيفات هواء هم أكثر تعرضا للاصابة بالكسل والتراخي. والصداع واهتياج الجلد والعينين ومشاكل التنفس، من أولئك الذين يعملون في مكاتب حيث التهوئة طبيعية. فلماذا؟

أولا، لان التصميم الرديء أو الصيانة غير الوافية أو الخطأ في تقدير مجاري الهواء أو الملوثات الكيميائية في مواد البناء، قد تفسد الاجواء في الداخل. والأسوأ من ذلك أن الجراثيم التي تسبب الامراض قد تدخل جهاز التبريد وتتكاثر في الماء الراشح من مكيفات الهواء وأجهزة ترطيبه، ومن ثم تنتشر في البناء من طريق دوران الهواء.

ويرز الخطر الاخير الى الواجهة عام ١٩٧٦ حين اخترقت باكتيريا مجهولة تعيش في الماء جهاز تكييف الهواء في فندق "بلفو ستراتفورد" بولاية فيلادلفيا أثناء انعقاد مؤتمر لرابطة المحاربين الامريكيين القدامى، وقتلت ٢٩ منهم بسرعة. ونبّه "مرض المحاربين" الجسم الطبي الى أخطار الامراض التي تنتشر في الهواء داخل الابنية. وفي العام ذاته شهد بيكرنغ حادثا آخر من الامراض المنتشرة في الهواء في مطبعة ببريطانيا. فقد اكتشف ٣٥ عاملا "أصيبوا بضيق تنفس يرافقه صفير أثناء عملهم، وتحسنت حالهم في عطلة نهاية الاسبوع." ووجد بيكرنغ أن جهاز ترطيب الهواء في المؤسسة كان ملوّثا بالمتعضيات المجهرية ومصمما على نحو جعل تنظيفه مستحيلا فعليا. فلم يكن بد في النهاية من ابداله بجهاز جديد.

الفطر القاتل. في أجنحة السرطان وغرف العناية التي تتلو العمليات الجراحية في المستشفيات تكافح الاوبئة المحمولة بالهواء. وكان السبب أساسا أنواعا من الفطر من عائلة "أسبرجيلوس"[٢] تنمو في كل مكان على الارض وعلى النبات. هذا الفطر لا يؤثر في الناس الاصحاء لكنه قد يكون مميتاً لمن يعانون ضعفاً في أجهزة المناعة.

ظهر أول وباء كاسح لفطر "أسبرجيلوس" في أوروبا عام ١٩٨٢ في مستشفى هنري موندور في كريتاي بالقرب من باريس. فبعد تجديد المبنى أطلقت مستوطنات من الفطر كانت متجذرة خلف السقوف الزائفة. وكان

(٢) Aspergillus

جهاز التهوئة يصفّي الهواء الآتي من الخارج، فلم يلاقِ الفطر أي عوائق، فيما حمل الهواء الدائر في الداخل بذوره الى كل منافذ الهواء في البناء فأنشأ مستوطنات جديدة.

حين غزت مستوطنات الـ"أسبرجيلوس" جناح أمراض الدم حيث يعالج أناس يعانون نقصاً في المناعة، جثم كابوس على الجناح. فأصيب ٢٦ مريضاً خلال سنتين مات منهم ستة. ولم تقتلع الآفة الا بعد تصفية الهواء تماماً داخل وحدة أمراض الدم. ويحتل مرضى ضعف المناعة في كريتاي اليوم غرفاً خاصة تحوي أجهزة مستقلة لتصفية الهواء.

ومواد البناء الحديثة، كالبلاستيك والمركّبات والأنسجة الاصطناعية والاسمنت الجديد، هي عوامل رئيسية أخرى لأمراض الابنية. ويقول تيد بايتمان وهو مهندس معماري ايرلندي ومستشار في ميدان أمراض الابنية في البورغ بالدانمرك: "ظهرت في الستينات والسبعينات مئات من مواد البناء الجديدة، ولم يعرف الناس كيف ستكون حقيقة تفاعلها في المنازل والمكاتب."

تصب في الطبقات تحت الارضية أنواع جديدة من الاسمنت تحتوي على الـ"كاسيين" وهو نوع من البروتيين يؤمن للبنائين عملية تمهيد أسهل وأسرع. ويحذر الدكتور توماس ليندفال وهو أستاذ علم الصحة البيئية في معهد كارولنسكا في استوكهولم بأسوج (السويد): "لكن لهذا التقدم ثمناً، فالاسمنت الجديد الذي يمهد ذاته رطب جداً ويتطلب وقتاً طويلاً لكي يجف. فاذا بني فوقه وهو لا يزال رطباً، تحلل الكاسيين فيه وانبعثت منه مادة الأمونيا (النشادر). والى ذلك فالرطوبة قد تولّد فطراً كريه الرائحة."

في أوائل الثمانينات أنشيء ١٥ بناء ضمت ١٥٠٠ شقة سكنية، على أرضية رطبة في منطقة انشكيده في استوكهولم، وبحلول العام ١٩٨٨ اشتكى مئات السكان من آلام في العينين والانف والحنجرة تنطبق نموذجياً على أعراض "علة الابنية الممرضة." فشكلت لجنة رسمية للتحقيق اكتشفت أن تفاعل الأرضيات الخشبية وسجاد البلاستيك والاسمنت الرطب الذي تنبعث منه الأمونيا كان يولّد مادة كيميائية جديدة تبعث روائح غريبة. ويقول الدكتور كييل أندرسون أحد أعضاء اللجنة: "قد يكلف حل هذه المشاكل كلياً نحو ٥٠ مليون دولار."

غازات ممرضة. يحتوي كثير من مواد البناء والتجهيزات الجديدة على كميات لم تعهد قبلاً من مركّبات عضوية سهلة التبخر، أي كيميائيات تتحول غازات في درجة حرارة عادية. وتمتزج هذه المركبات بالغراء في رقاقات خشب الاثاث ونسيج السجاد والمطاط الاسفنجي العازل والمواد اللاحمة للشقوق. وقد يكون بعضها، مثل غاز "فورمالديهايد"، ذا تأثير مهيج قوي. وقد تواصل المنتجات المحتوية على هذه المركبات

اطلاق الغازات لأشهر بعد تركيبها. وتبين للعلماء أن النفحات الاولى من الغازات، وان لم تكن مؤلمة، تثير حساسية في العينين ومجاري الانف والحنجرة، والتعرض المتواصل لها قد يولد احساساً أليماً يستمر الى ما بعد هبوط نسبة الغازات المنبعثة من البناء.

ساد دار المحكمة في كييل بألمانيا الغربية جو خانق بسبب غازات المركبات العضوية بعد تركيب ألواح خشبية فاصلة في غرف المحكمة ويقول الاداري غونتر موغيله: "لقد حفرنا فيها شقوقاً لامتصاص الصوت." لكن ذلك زاد المساحة السطحية للالواح فازداد انبعاث الفورمالديهايد. ويضيف موغيله أن القضاة والكتبة شعروا بتأثير الغاز فكانت عيونهم "تحرق" وسدّت أنوفهم وأصيبوا بألم في الحنجرة واشتكى بعضهم من الصداع. وعلى رغم مسح الالواح وتنظيفها تكراراً وأخذ اجراءات جديدة لزيادة التهوئة فلا تزال المشكلة من دون حل.

ان التهوئة الطبيعية للأبنية تؤمن هامش وقاية من غازات المركبات العضوية. فكلما زاد عدد الناس داخل البناء زاد مقدار التهوئة، لان التيارات الحرارية المنبعثة من أجسامهم تولّد مجاري تدفع بالهواء وبالملوثات عبر النوافذ الى الخارج. أما الابنية التي يضبط فيها المناخ فيبقى فيها مجرى الهواء ثابتاً ما لم يعدَّل نظام التكييف. وترفع الأجسام الاضافية حرارة الغرفة متيحة للمركبات العضوية اطلاق غازاتها.

بدأ موظفو المكتبة الجديدة في جامعة استوكهولم يشكون من الصداع وتهيج العينين والحنجرة والشعور بالاعياء بعيد افتتاح المكتبة عام ١٩٨٣. وتقول لينا لوندن المتخصصة بعلم النفس البيئي التي درست وقائع المكتبة لمدة ٣٣ أسبوعا بين ١٩٨٧ و١٩٨٨: "لقد ساد اعتقاد أن الاعراض الجسدية ناتجة من أسباب نفسية." ولكن بعد استخدام كمبيوتر لتحليل ١،٨ مليون معلومة مستقاة من الاسئلة ومن عينات الهواء، أوضحت لوندن بالتعاون مع فريق بحث أن زوار المكتبة عانوا الاعراض ذاتها التي انتابت موظفي المكتبة، فاستبعدت العوامل الجسدية – النفسية. كما ظهر ترابط واضح بين ارتفاع نسبة غازات المركبات العضوية وازدياد الأعراض المرضية. ويخطِّط الآن لعملية تجديد البناء من أجل ازالة المركبات العضوية.

نداء الى المهندسين. كيف تعرفون أن بناءكم يمرضكم؟

اذا أصيب عدد لافت من القاطنين في قسم معين من البناء بالاعراض الشائعة لامراض الابنية، فينصح الخبراء باستدعاء أحد المتخصصين بالنوعية الداخلية للأبنية أو أحد فنيي الصحة المهنية، ليجري فحصاً للبناء وشاغليه. فطبيعة الاعراض ومكان انتشارها في البناء وأوقات ظهورها مؤشرات مهمة لجلاء الغموض.

في سبيل اكتشاف مصدر التلوّث يبدأ المحققون غالبا بالتجوال داخل المنزل أو

المكتب ليستشعروا الهواء ويتبينوا روائح يمكن تحديدها.

قبل وقت قريب استدعي غاري رو من "مؤسسة أبحاث البناء" في بريطانيا الى أحد المكاتب حيث أفيد أن الهواء فاسد وحار جداً فتناول أنبوب دخان (وهو نوع من الضباب المعلّب) وكسره ثم راح يراقب الدخان يرتفع الى السقف ويتجه مباشرة الى أنبوب يؤدي الى الخارج. فقال: "ان المنافذ التي تُدخل الهواء النقي من الخارج وتطرده من الداخل متقاربة أكثر مما ينبغي. لذلك يدخل الهواء من منفذ ويخرج من آخر من دون أن يصل الى الناس."

ويحلل المحققون أيضاً عينات من الهواء والغبار المنبعث من السجاد ومن أجهزة تكييف الهواء لتبيّن مركبات عضوية قابلة للتبخر وغيرها من الملوثات. وإن لم تكن إحدى المواد الكيميائية بمفردها مسؤولة عن ظهور الاعراض المرضية فان المزيج الاجمالي قد يكون له شأنه. ويرى رو أن "أعراض علة الابنية الممرضة قد تتأتى من التأثير المشترك لملوثات كثيرة، كل واحد منها قاصر عن إحداث هذه الاعراض بمفرده."

وللمساعدة في حل مشاكل أمراض الابنية افتتح معهد للابحاث في اسكوتلندا عام ١٩٨٩ برعاية جزئية من "كلية ماكنتوش للهندسة المعمارية" الذائعة الصيت في غلاسغو. وتحظى الكلية بتعاون دولي لعلماء وفنيين بارزين. ويتفق الخبراء على ضرورة تنبّه المهندسين المعماريين منذ البداية الى الكلفة الخفيّة للأبنية الممرضة. فالخسائر الناجمة عن المرض في الأبنية المحكمة الاقفال، مثلاً، قد تفوق قيمة التوفير في مصاريف التدفئة. والسقوف المسطحة وشرائح الاسمنت على الارض الرطبة قد تتحول مصائد للفطر. كما أن قنوات الهواء المركبة في غير أماكنها الصحيحة، ومواد البناء المحملة بالمركبات العضوية القابلة للتبخر، قد تشل فاعلية العمل.

يقول أوف نيلسن من الدانمرك: "يوم يتنبه البناؤون تماماً الى هذه النتائج الوخيمة، تصبح الأبنية المشحونة بالامراض الغامضة في وجه الماضي."

مارك هنتر ■

نصائح عملية

آراء وحقائق تساعدنا في اجتياز نهار عمل:

■ التسعون في المئة الاولى من العمل تستهلك ١٠ في المئة من الوقت. أما العشرة في المئة الباقية فتستغرق ٩٠ في المئة من الوقت.

■ الآلات الناسخة تنتج نسخاً سريعة عن الاخطاء البشرية.

■ عندما توضح الامور تماماً يرتبك الناس.

■ لا عمل مستحيلا حتى يحوّل الى احدى اللجان.

مجلة "يو"

كلنا يمر بتجارب قاهرة فمنّا من تقصمه الصعاب
ومنّا من يجتازها ويحيا

التفاؤل والصمود في الأزمات

ان التكيف مع حدث قاصم، كوفاة حبيب أو طلاق أو مرض أو فقدان وظيفة، هو مؤلم دائما، لكن بعض الناس يتخطون تحولات كهذه بلباقة. فما الذي يساعد هؤلاء في السيطرة على تبدلات حياتهم؟

لقد توصل الباحثون المختصون عمليات التبدل الى تحديد التدابير المميزة الآتية التي تساعد في التكيف والاوضاع الجديدة:

١. **التفاؤل يُجزي**. يقول أستاذ علم النفس كريستوفر بيترسن: "ثمة وهم شائع أن المتفائل ساذج. والحقيقة أن المتشائم لا يجيد التكيف والاوضاع الجديدة لأن موقفه السلبي يعميه عن رؤية الحلول الممكنة. والمتفائل اكثر سعادة وأوفر صحة وأقدر على ايجاد حلول للمشاكل اذ يواجهها بالقول: "سوف أتمكن من معالجة هذه المسألة."

PHOTO: © RON LOWERY / TSW

وهذا ما قاله بوب ديل لنفسه اذ خف على أثر الصدمة التي اصابته بعد أزمة شخصية. وكان بوب عمل أكثر من ٢٦ عاماً في مصنع لتوضيب اللحوم في بنسلفانيا، ثم أقفل المصنع نهائياً من دون إنذار. فوجد بوب نفسه وهو في الخامسة والاربعين من عمره عاطلاً عن العمل ومن دون تعويض خدمة، مسؤولا عن اعالة زوجة وطفلين وتسديد رهن، وهو لا يملك لذلك سوى شهادة ثانوية.

يقول: "في البدء سألت نفسي: كيف السبيل الى تخطي أزمتي؟ ثم قررت: لا يجوز أن أتوقف، يجب أن أجد عملا جديداً."

بعد فترة وجيزة زاره مندوب احدى شركات التأمين. ويتذكر بوب: "قلت له انني عاجز عن دفع أي مبلغ لأنني عاطل عن العمل. فأخبرني أن شركته في صدد توظيف مندوبين جدد، ونصحني بتقديم طلب عمل."

لم يهمل بوب الفكرة مع أنه لم يبع شيئا في حياته. فهو، كمتفائل نموذجي، كان منفتحا على كل الاحتمالات.

وجب عليه أولا أن يخضع لامتحانين. أولهما لتقويم خبرته المهنية، وثانيهما اختبار يجريه مارتن سليغمن أستاذ علم النفس في جامعة بنسلفانيا.

أظهرت أبحاث سليغمن، انطلاقا من فرَضية توافر مستوى أساسي من المهارات لدى موظف المبيعات، أن العامل الأهم الذي يجعله بائعا جيدا ليس جدارته المهنية بمقدار ما هو وضعه النفسي. فلكي يكون البائع ناجحا يحتاج الى مخزون عميق من التفاؤل يساعده على الصمود في وجه الرفض المستمر. ويعتقد سليغمن أن المتفائلين ينزعون الى اعتبار النكسات أموراً موقتة لا دائمة. وهو أقنع الشركة بتوظيف أكثر من مئة مندوب جديد أظهر الاختبار ضعف أهليتهم وقوة تفاؤلهم، متكهنا بأنهم سيبيعون أكثر من الموظفين الجدد الذين أظهروا أهلية عالية وتفاؤلاً متدنيا. وكان محقا، اذ تفوّق المتفائلون على زملائهم المتشائمين في نسبة المبيعات.

ويقول سليغمن: "يعتقد المتفائلون أن الامور ستتحسن، ويتصرفون على هذا الاساس. هؤلاء الناس قادرون على تحويل أي ظرف لمصلحتهم."

كان بوب ديل واحداً من ١٣٠ موظفا جديداً "متفائلا" انضموا الى الشركة. وفي أقل من سنة تحوّل من عامل يحشو النقانق الى بائع متفوق يكسب ضعفي ما كان يتقاضاه في مصنع توضيب اللحوم. وعلم ديل بأمر الاختبار لاحقاً من مقال في احدى المجلات. وبتفاؤله المعهود، اتصل بسليغمن معرفا بنفسه وباعه بوليصة تقاعد.

٢. **التقدم خطوة خطوة.** ثمة ظروف مخيفة يصعب النظر اليها بتفاؤل. فما العمل ازاء ظروف كهذه؟

كانت غرايس شافير في الخامسة والثلاثين عندما توفي زوجها جيري على نحو مفاجىء تاركاً لها أربع بنات صغيرات ومؤسسة تجارية متعثرة. وتقول: "بعد الحزن العظيم اجتاحتني

موجة رعب. كيف لي أن أحافظ على استمرار المؤسسة وأسدّ حاجات بناتي؟ واستمر القلق مسيطراً علي الى أن أدركت أنني أهدر طاقتي.

"وكانت خطتي الجديدة أن أشغل نفسي بشؤون بناتي والمؤسسة بحيث يستحيل علي التفكير في أي شيء آخر. وبتّ أعيش ليومي: لا خطط لخمس سنوات، ولا لسنة واحدة، بل خطة لكل يوم."

هذا الاسلوب يحمينا من الغرق في "الصورة الكبرى." وترى آن بنبرثي الاختصاصية بعلم النفس السريري، أن تجزئة الامور مراحل لا تتعدى الواحدة منها ١٥ دقيقة تبني لنا "تاريخا من التغلب على الصعاب" يدعمنا للاستمرار في الحياة. وعندئذ يتحول السؤال من "كيف سأتدبّر أمري حتى آخر عمري؟" الى "كيف سأتدبر أمري في الدقائق الخمس عشرة المقبلة؟" وهذا يشجع الناس على التوقف عن القلق والشروع في العمل."

كانت غرايس شافير تشك في قدرتها على التكيف وواقع وفاة زوجها. لكنها أفاقت يوما لتجد أنها اعتادت خسارتها: "اضمحلّ شعوري بالعجز وتساؤلي كيف أستطيع العيش من دونه، اذ ألفيت نفسي أعيد تنظيم المؤسسة وأعيل بناتي وأدير شؤون العائلة."

٣. التمسك بالايمان. يعتبر طبيب الامراض النفسية فردريك فلاك أن الايمان هو "العنصر الاكثر حيوية" في المرونة التي نحتاج اليها للتكيف والأزمات الشخصية. فالايمان يغذي الأمل. ويقول في كتابه "المرونة": "تذكرنا الصلاة بأن ثمة مساراً أفضل لحياتنا قد لا نستوعبه كلياً ولكن يمكننا أن نصبو اليه اذا نحن تحركنا مع الاحداث في تطورها."

صبر أيوب عليه السلام على مصائبه المتكررة رافضاً بعناد أن يكفر بنعمة الخالق. وعندما انتهت تجاربه جازاه الله خيراً على ايمانه. هكذا، يشعر الناس في الازمات بأنهم يخضعون لامتحان لا تتكشف اهدافه ومكافآته إلا بعد حين، وقد لا تتكشّف أبداً.

أما غرايس شافير فوعت الهدف الحقيقي لحياتها في أثناء صلاة تذكارية لراحة نفس زوجها. وهي تقول: "عندما نظرت الى طفلتي النائمة بين ذراعي أدركت فجأة أنها المستقبل، وان من واجبي أن أحيا من أجلها وأجل أخواتها."

٤. درس الوضع. لا يعني التفاؤل أن نكون عمياناً. فالنجاح في التكيف يتطلب تحليل الوضع بدقة. ويحذر بيترسن: "اياكم وتجاهل الحقائق الصعبة. الاعتقادات المتفائلة تساعد لكنها لا تغيّر الحقائق."

أما الحقيقة الصعبة في حياة مارشا داولينغ فكانت الكفاح للاحتفاظ ببيتها بعد طلاق صعب من دون نفقة أنهى عشر سنين من الحياة الزوجية.

وفي وحدتها وكآبتها وتحت وطأة

ضغط مالي هائل، درست مارشا وضعها واستنتجت أن عليها النهوض من عثرتها. وتقبلت ضرورة العمل سبعة أيام في الاسبوع الى أن تمكنت من الوقوف على أرض صلبة.

إن مواجهة مارشا المتطلبات المتغيرة لوضعها الجديد ساعدتها في التكيف.

أجروا "جردة" لموجوداتكم أيضاً. فالدور العملي للمال غالبا ما يهمل في الازمات. وتقول العالمة النفسانية سوزان فوكمن: "المال مهم جداً في الظروف الصعبة. فهو يزيد الخيارات المتاحة." ان شخصا عاطلا عن العمل ويملك مالا في مصرف، يستطيع الصمود حتى يجد وظيفة مناسبة بدل قبول أول عرض.

الاقارب والاصدقاء والجيران والمرشدون الذين يقدمون النصح والدعم المعنوي هم نوع آخر من الذخر.

ولكن توقعوا أن تتغير صداقاتكم والعلاقات الاجتماعية التي كانت تدعمكم. يقول أستاذ علم النفس روبرت د. فلنر: "عندما نتقاعد نفقد اتصالاتنا بالناس الذين كنا نراهم كل يوم في العمل. واذا طلقنا شريك حياتنا فقد لا نلتقي الازواج الذين كنا نقيم معهم علاقات اجتماعية."

وعلى رغم أن مارشا داولينغ كانت تعيش وحيدة، اذ توفي والداها ولم ترزق أولاداً، فهي أفادت من دعم بعض أصدقائها المقربين ومن انتمائها الى جمعية نسائية.

٥. **الشروع في العمل.** شعر رجل الاعمال جيم بلوت بالعجز عندما أصيب بنوبة قلبية كادت تودي بحياته وهو في الحادية والثلاثين من عمره. وأشار عليه الاطباء بأن يغير عاداته ويخفض وزنه البالغ ١٣٠ كيلوغراما وإلا أصبح عاجزاً عن صعود السلالم وحتى عن اللعب مع طفليه. ويقول جيم: "لم أتقبل فكرة تحولي كسيحا بسبب مرض القلب، وأدركت أنه آن الاوان لكي أغير بعض عاداتي."

توقف جيم عن التدخين وتناول القهوة واتبع حمية صارمة. ثمّ باشر رياضة المشي بناء على نصيحة طبيبه، وانتقل بعدها الى الهرولة. وفي سنة ونصف سنة خفض وزنه ٥٧ كيلوغراماً وأصبح في وضع صحي سليم مكّنه من الاشتراك في سباق للمسافات الطويلة.

كان في وسع جيم أن يتبع سبلا مختلفة تؤدي الى الشفاء. ولكن، كما تقول الاستاذة نانسي ك. شلوسبرغ في كتابها "المقهورون: المتكيفون مع خير الحياة وشرها": "ليس المهم التزام خطة معينة، بل التزام المرء تحريك قدراته وتجربة أمور جديدة."

ليس كل من يواجه أزمة يتمكن من الافادة منها، لكن كثيرين ممن يجتازون تجربة التبدل يصبحون أفضل استعدادا لجبه أي تحد قد يعترضهم.

تتذكر غرايس شافير التي أنقذت مؤسستها المتعثرة وتزوجت ثانية، أنها كانت تقلق كثيراً لأمور تافهة: "بعد وفاة جيري تعلمت ألا أخاف. وأدركت أنني ما دمت تغلبت على أقسى الضربات ففي وسعي تدبر كل أموري.

وليم توماس بكلي ■

أمّ الفقراء

العالم مليء بأطفال جياع ومرضى
وهذه سيدة تبلسم بعض الجروح

جاءت المكالمة الهاتفية باكراً صباح يوم أحد من نوفمبر (تشرين الثاني): هل توافق دورين ويكس وزوجها بن الرسام الكاريكاتوري، على مقابلة شابين في حاجة ماسة الى مساعدة؟

وبعد ساعة جلس الزوجان في غرفة فندق في تورونتو بكندا يستمعان الى القصة المرعبة التي رواها لهما عضوان في "هيئة إغاثة إريتريا" ومفادها أن القوات النظامية في اثيوبيا (الحبشة) تنفذ سياسة الأرض المحروقة لتهجير الشعب الاريتري الى مستوطنات جديدة، وأن الجفاف المدمر أوصل إريتريا الى شفير المجاعة المفجعة.

قاطعهما بن: "هل هيئتكم مرتبطة بالجبهة الشعبية لتحرير إريتريا؟"

فأجابا معترفين: "نعم."

فاستدار بن مخاطباً زوجته: "إذاً، للقضية وجه سياسي. فلئن قررتِ مساعدة هؤلاء الناس فسوف تتورطين في مسائل خطرة...".

لم يبدُ على دورين أنها سمعت قوله، بل انحنت الى الأمام وسألت الإريتريَّين: "هل يموت النساء والأطفال في منطقتكما لنقص في الأدوية؟"

فأجاب أحدهما: "نعم، بعشرات الآلاف..."

قالت: "إذاً سنساعدكم."

باشرت دورين ويكس اجراءاتها على الفور. انها امرأة معسولة اللسان في الخامسة والخمسين من العمر أسست "الهيئة العالمية للامدادات التربوية – الطبية الكندية."(*) وهي جمعت خلال بضعة أسابيع ٣٧ صندوقاً من المواد الطبية، فيما توصل زوجها بن الى إقناع شركة الخطوط الجوية البريطانية بنقله مع المؤن مجاناً الى السودان.

كان دخول منطقة الثوار الإريتريين مغامرة مثيرة بالنسبة الى بن ويكس، وهو رجل طريف بالغ الحيوية. وصل بن الى بور سودان ومكث يومين في فندق رخيص ينتظر ملاقاة عناصر الاغاثة. وعندما وصل ثلاثة منهم في سيارة "لاندروفر"، يقول بن، "حمَّلنا المؤن في الشاحنات ثم انطلقنا في السيارة." وبعد ١٥ ساعة من

(*) Global Ed - Med Supplies Canada Inc. (Gems)

السفر المضني عبر الصحراء غير المطروقة، بدأ السائق يبحث عن الممر الوعر المؤدي الى قاعدة الثوار في واد خفيّ.

يقول بن: "لن أنسى ذلك ما حييت. كانت الشمس بدأت الشروق. فجأة برز من خلف صخرة جندي علق على كتفه بندقية. تبسم وحيَّانا مرحباً، ثم أشار الينا بالعبور. بدا الأمر كمشهد من فيلم وسترن أمريكي."

ترك بن نصف المؤن في المخيم. واقتيد في الأيام العشرة التالية الى موقع لـ"الجبهة الشعبية لتحرير إريتريا" عبر مناطق مقفرة. هناك شاهد نحو ٦٠٠٠ لاجيء إريتري وقد تكوكبوا طالبين مأوى تحت خيم من الخرق والاغصان انتشرت على قاع نهر جاف تكويه أشعة الشمس.

يذكر بن: "كان هناك مستوصف حجبته جمهرة من الأمهات الجاثمات حوله وهن يحملن رزماً صغيرة. وقد نهض بعضهن بصعوبة ودفعن أولادهن إليّ. كنت أبيض البشرة، لذا ظننَّ أني طبيب. وكانت مؤننا قليلة، لكن الطبيب الشاب هناك رآها استجابة لصلواته."

ولمَّا عاد بن من إريتريا أخبر دورين أن كثيراً من الاطفال السيئي التغذية يموتون في ليالي الصحراء الباردة لنقص في الحرامات. فقالت: "سنشنّ اذاً حرب حرامات."

دورين باحثة متفوقة عن اللوازم المجانية عندما يتعلق الأمر بقضية محقة. وإذ أتاحت لها محطات الإذاعة فرصة طلب المساعدة، جمعت عدداً من المتطوعين وبعثت رسائل الى مدارس تورونتو طالبة من التلاميذ التبرع، كلٌ بحرام لا يحتاج اليه.

ووافقت شركة "يونايتد فان لاينز" للحافلات على جمع الحرمات ونقلها الى مصابغ "كاديت" لتنظيفها ثم الى شركة "سينيود كندا" لتوضيبها. كل ذلك من دون مقابل. وسرعان ما تجمَّع ٥٠ ألف حرام شحنت الى مراكز اللاجئين الاريتريين.

وطرحت مشكلة أخرى هي الرَمَد (التهاب باطن الجفن) الذي تفشى بين الاطفال وتسبب في اصابة كثيرين بالعمى. ازاء ذلك اتصلت دورين بشركة أدوية تبرعت بـ١٥ ألف أنبوب من مراهم المضادات الحيوية (أنتيبيوتيك) التي تنقذ الاطفال من العمى المحتوم.

أطفال منتفخو البطون. ليس من طبيعة دورين ويكس غض الطرف عن أي مشكلة تواجهها. لهذا السبب أسست "الهيئة العالمية للامدادات التربوية – الطبية الكندية."

بدأ ذلك عام ١٩٧٨ عندما كتب بن مقالا عن ميتم للاطفال العمي والصم تديره متطوعة في هاييتي. حرك المقال عاطفة ابنته المراهقة سوزان التي تطوعت للمساعدة خلال عطلتها الصيفية. وكانت دورين في هذه الاثناء ممرضة غير متفرغة وأما لثلاثة أولاد. واذ كثرت مكالماتها الهاتفية مع سوزان، رأى بن من الأوفر أن تسافر جواً الى هاييتي.

تقول دورين: "هالني ما رأيت من

أولاد منتفخي البطون وأمهات يحملن أطفالا يبسّهم الكزاز وعائلات منحشرة في أكواخ من صفيح." وكان أكثر ما يثير الشفقة منظر الاطفال الذين يعانون ديدانا أمعائية.

ولدى عودة دورين الى كندا قالت لزوجها: "يجب القيام بعمل ما." ثم سافرت الى بريطانيا وتعلمت من اختصاصي هناك كيف تعدُّ برنامجا رائداً لمعالجة الاطفال المصابين بهذه الطفيليات. وأقنعت شركة "جونسون اند جونسون" للمستحضرات الصيدلانية بتقديم كمية مجانية من دواء "فرموكس" الذي اقترحه الطبيب البريطاني. ثم يممت شطر هاييتي في اوائل مايو (أيار) ١٩٨٠. ورافقت بعثة طبية الى قرية جبلية استلزم الوصول اليها ركوب سيارة جيب والتجذيف في قارب على مدى أيام.

وهناك دعمت دورين العلاج بالارشاد الصحي. وتذكر أن "بعض الأمهات كن يسرن ثلاثة ايام لاحضار أولادهن الى المستوصف. كن حقاً رائعات."

ورائعة كانت نتائج أعمالها، اذ بينت الفحوص بعد ستة أشهر من العلاجات الأولية ان ثلاثة أطفال فقط من اصل ١٢٠ عاودهم المرض. وبعد سنة تولت المهمة هيئة كبرى. وقد افاد ما يزيد على ٢٠ الف طفل من هذا البرنامج.

ولدى عودة دورين الى تورنتو كتبت رسائل الى نحو ٤٠٠ مستشفى في كندا بلغها أنها تطرح معدات قديمة ما زالت صالحة للاستعمال، وبينها أسرّة وحقن وآلات جراحية وقساطر وماكينات تعقيم أجهزة أشعة سينية (إكس)، وهي معدات يتمنى أطباء البلدان الفقيرة الحصول عليها.

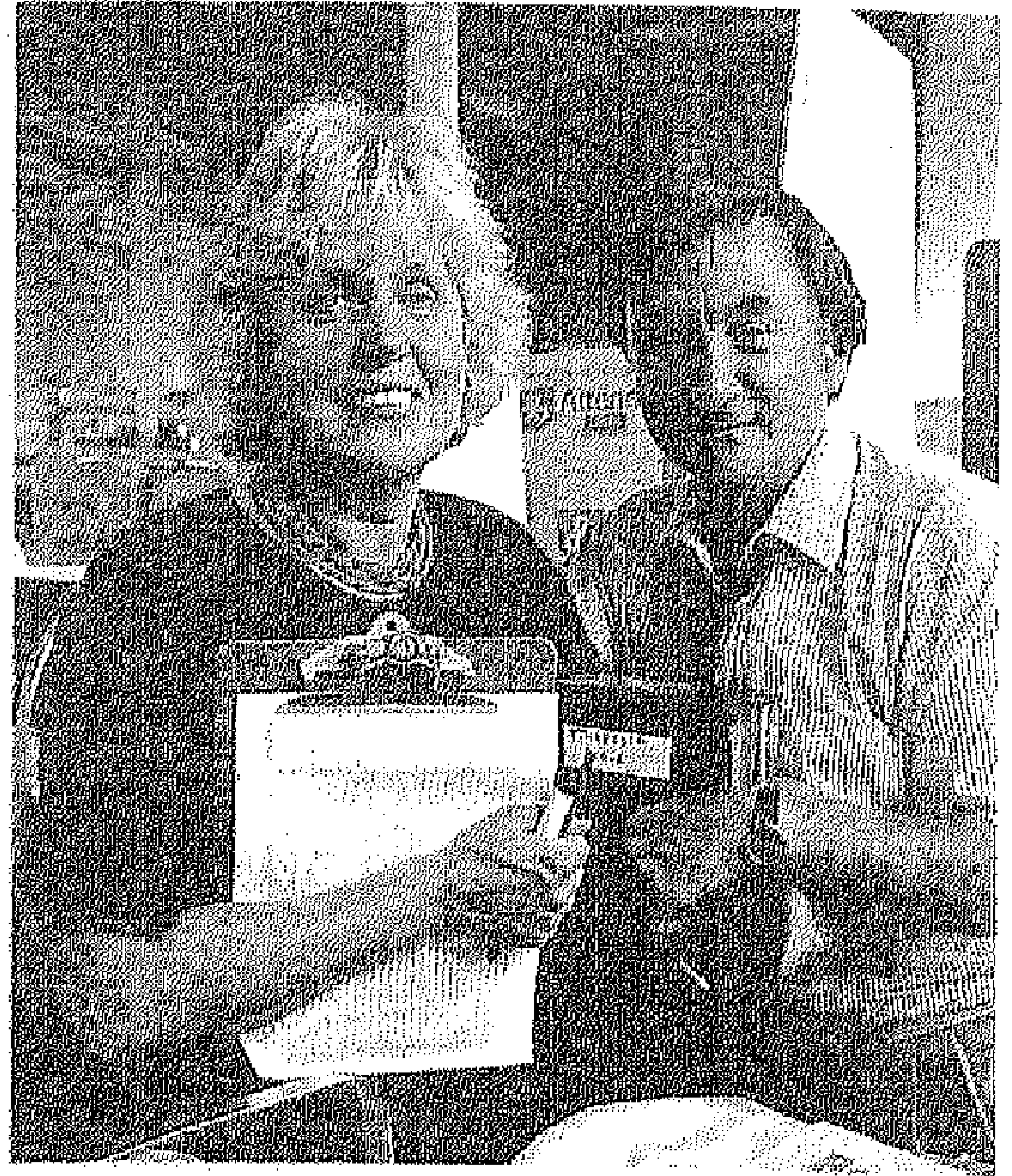
جاء رد المستشفيات غامراً. وتدفقت على الزوجين امدادات من كل نوع بفضل النقليات المجانية التي أمنتها "يونايتد فان لاينز."

قال بن لزوجته: "نحن في حاجة الى مستودع. وبسرعة!"

وخلال سنة وزعت الهيئة مساعدات بقيمة مليون ونصف مليون دولار: معدات لعلاج السرطان الى مستشفى في البيرو، واغطية ومأكولات وأسرَّة أطفال الى مستوصف توليد في ترينيداد، وأدوية وضمادات الى مجمَّع للبرص في هاييتي. وتنجز دورين هذه الأعمال بمساعدة ثلاثة موظفين ومجموعة من المتطوعين وعدد من المستشفيات، فضلا عن المتبرعين من أشخاص وشركات.

[illegible]. نشأ الزوجان ويكس في عائلتين فقيرتين. وُلد بن عام ١٩٢٦ في حي فقير جنوب جسر لندن. ووُلدت دورين في بريستول عام ١٩٣٥، وكان لها أشقاء ثلاثة وأربع شقيقات كنَّ، كما تقول دورين، ينمن "في سرير واحد... ثلاث تحت واثنتان فوق."

كانت دورين في التاسعة عشرة من عمرها عندما ذهبت لقضاء عطلة في نيوكي بمنطقة كورنوول. وعلى الشاطىء ذات يوم اقترب منها شاب قصير ضحوك يتحدث باللهجة الكوكنية السائدة في أحياء لندن الفقيرة، وعرفها بنفسه.



دورين ويكس وزوجها بن في مستودع الهيئة في تورونتو.

لكنه لم يخلف في نفس دورين أثرا يذكر. بل هي رأت فيه انتهازيا اذ أكل غير مستأذن كل ما لديها من حلوى، وطلب منها ١٠ شلنات تعهد أن يعيدها عندما يقبض راتبه. ومع ذلك لاحظت فيه سحر من يتكل على الحظ. كما لاحظت أنه يتجول حاملا إضمامة رسم وقلم رصاص. وكان بن بدأ ينتج رسوما كاريكاتورية ونشر بعضا منها.

أحب بن دورين وراح يتودد اليها. ولم تمض بضعة أشهر حتى تزوجا.

قررا مباشرة حياتهما المشتركة في كندا، فسافرا الى كالغاري حيث عملت دورين ممرضة، فيما تنقل بن بين عدة وظائف، ثم عاد الى ممارسة الرسم. وأرسل بضعة رسوم كاريكاتورية الى مجلة "ساتردي إيفننغ بوست" الامريكية التي، لدهشته، اشترتها.

بيد أن أياما سيئة تلت ذلك، اذ خسر بن عمله كبائع حليب في وقت كانت دورين حاملا ومن دون عمل. وسرعان ما انفقا كل مالهما ولم يبقَ معهما سوى ٥٠ دولارا. فدفع اليأس بن الى الالتحاق بالجيش عازف مزمار.

وما إن توافر له راتب ثابت حتى عاد الى الرسم جديا. وأنجز مجموعة رسوم من نوع "كاريكاتور الجيب" وباعها من مجلة "ألبرتان" في كالغاري. ولم تمضِ ستة أسابيع حتى انهالت عليه الطلبات من بضع عشرة مجلة كندية.

ويتهكم بن على موهبته الفنية، لكنه يعتبر نفسه "بائعا رائعا." واذ اقتنع بأن رسومه قادرة على بلوغ جمهور أكبر، ذهب الى تورونتو عام ١٩٦٣ وأبرم عقدا مع نقابة "تلغرام" التي تبيع مواد معدة للنشر الى عدة صحف ومجلات في وقت واحد.

وعندما أنهى بن خدمته في الجيش استقر مع عائلته في تورونتو. وهو قارب الاربعين من عمره، لكنه بدأ يصيب قسطا كبيرا من النجاح الى أن بات في السبعينات واحدا من أنجح الرسامين الكاريكاتوريين في كندا.

قطرة في دلو. كان في وسع الزوجين الانصراف الى حياة مريحة بعدما تحقق لهما الاستقرار المالي. بيد أن آلام شعوب العالم الثالث أصابتهما في الصميم، فلم يجدا سبيلا الى نسيانها.

دأب بن على تخصيص نصف وقته لجمع التبرعات وتنظيم الحملات

PHOTO: JOHN REE

الاعلامية لهيئة الامدادات التربوية – الطبية. ومن نشاطاته دفع زملائه يوم "عيد الشكر" من كل عام الى التبرع بجنى مواهبهم لاحدى قضايا الهيئة، ومنها: تمويل أعمال خيرية في الاحياء الفقيرة في ليبيريا، وتمويل بعثة من كيبيك مؤلفة من ثلاث فتيات يدرن مستوصفا في ناحية جبلية نائية في هاييتي، وتمويل ممرضة من نيو برنزويك تعمل بعناد في مستوصف وسط الحرب التي كانت تمزق الموازمبيق آنذاك.

في تلك الاثناء استغلت دورين أموالا قدمتها "هيئة التنمية الكندية الدولية" لتوسيع أعمالها ومساندة مشاريع انماء الأحياء الفقيرة في جامايكا وهاييتي وليبيريا. وفي العام ١٩٨٦، خلال زيارة لها المستوصف وست بوينت للأحياء الفقيرة في ليبيريا، وجدت أن المتطوعة الكندية تريزا هيكس تواجه ضغطا في العمل. وفيما هي هناك دخلت جدة تحمل طفلا مصابا بحمى شديدة وبذات الرئة وحمى التيفوئيد والاسهال الحاد، وجسمه متجعد بفعل الهزال والجوع.

قالت تريزا لدورين وهي تضع الطفل بين يديها: "هيا، مارسي التمريض!"

لم تر دورين في حياتها حالة تيفوئيد. لكنها سارعت الى تغذية الطفل بمحلول لمعالجة الجفاف مؤلف معظمه من السكر والملح المذابين في الماء. فقالت لها تريزا: "خلال نصف ساعة سترين الفرق واضحا في هذا الصغير. لقد استعاد فجأة قدرته على البكاء."

اعتادت أم الطفل المصاب تناول وجبة واحدة في اليوم، لذا ظنَّت أن طفلها لا يحتاج الى التغذية سوى مرة واحدة يوميا. واذ أبرز هذا الحادث لدورين أهمية التربية الصحية، باتت الأقلام والكتب وكراريس الارشاد التي تتحدث عن النظافة والصحة والعناية بالاطفال، جزءا أساسيا من برنامج الاغاثة.

لا تخالج الزوجين ويكس أوهام في سياق عملهما الدؤوب لتخفيف المعاناة عن شعوب العالم الثالث، اذ إنهما كمن يرمي قطرة في دلو. بيد أنهما يستمدان رضى من تذكارات كثيرة ترد عليهما: صورة أم تبتسم وطفلها جالس وسط ملاءات نظيفة في مستوصف وست بوينت للأحياء الفقيرة في ليبيريا. ورسالة من جزر مالايو جاء فيها: "تسلمنا بفرح ما أرسلتموه." ورسالة من البيرو تشكر الهيئة على المؤن "التي بعثت لدى سكان هذه القرية المنسية أملا بالتغيير."

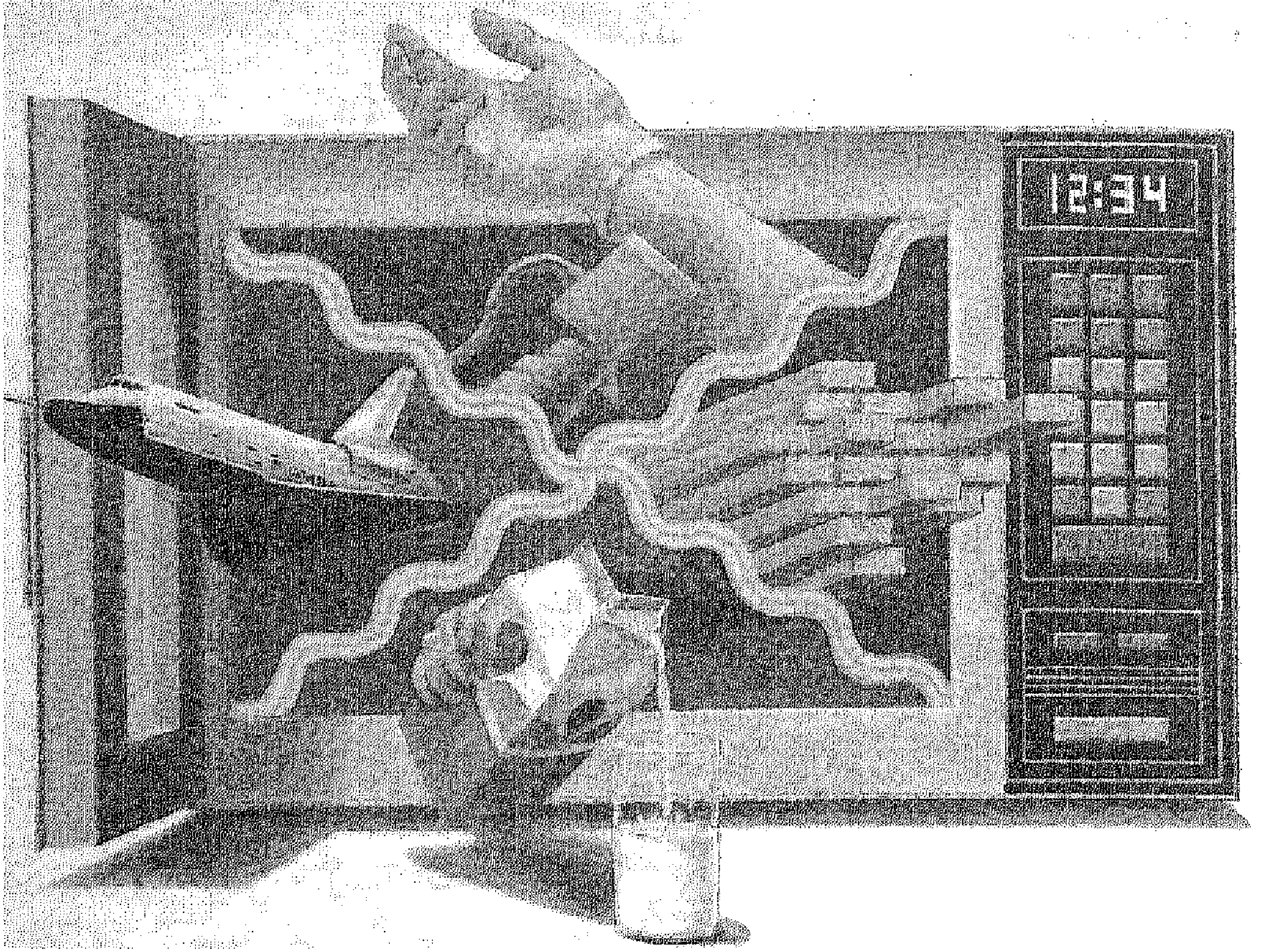
وهذه قطرات كبيرة.

تشارلز و. سميث ■

حسابات أم

ساعدت ام ابنها المراهق في حل تمارين الرياضيات. وبعد اسبوع اعاد الفتى دفتره الى البيت وقال لامه مطلقا زفرة عميقة: "آسف يا اماه، لقد اعطاك الاستاذ صفرا!"

د.ت.ف.



الميكروويف ساحرة في مَطبخك!

"الموجة الصغرى" تطهو الطعام وتقتل الجراثيم وتشفي من السرطان!

حار روبرت شيفمان في أمره وهو يحاول جاهداً تحضير الفشار (البوب – كورن) المطلي بالكراميل في فرن الميكروويف[1]، إذ كانت حبوب الذرة تتفحم أو تقصر عن التفتق. وغالبا ما كانت طلية الكراميل تتحول مادة لزجة سوداء كالقار.

لقد سبق أن احتار شيفمان، لكنه كان دائما يتغلب على العقبات. فعلى مدى ٢٥ سنة قضاها يدرس المنافع الطهوية لطاقة الميكروويف، جبه أكثر المشاكل إثباطا للهمم، ومنها: لماذا تفور القهوة السريعة الذوبان في الميكروويف؟ وكيف تمنع فطائر المربى المجلدة من "التفجر"

(١) microwave او الموجة الصغرى.

عندما تتعرض لحرارة الميكروويف؟

بيد أن أصعب ما واجهه كان معضلة الفشار بالكراميل التي يشرحها شيفمان: "تتفتق حبوب الذرة في درجة الحرارة ذاتها التي يحترق فيها الكراميل." لكن التحديات التي تواجه العلماء في أبحاث الميكروويف تتجاوز كثيراً قضايا المطبخ اليوم. فـ"الفرن"، يقول شيفمان، "أطلق العنان للقدرات الابداعية للجميع."

بدأ استعمال الميكـروويف خلال الحرب العالمية الثانية عندما باشرت شركة "رايثيون"، التي كانت آنذاك شركة صغيرة للالكتـرونيات خـارج بـوسطن، انتـاجـا واسـع النطـاق للمغنطرون[٢] وهي المرسلة الصغيرة التي لا غنى عنها في الرادار الجديد. والمغنطرون أنبوب خوائي (مفرّغ) يحوّل الكهرباء موجات كهربائية - مغنطيسية صغرى (ميكروويف).

وبالمصادفة، اكتشف برسي سبنسر البـاحث لـدى "رايثيـون"، قـدرة الميكروويف على الطهو. ففيما كان واقفاً بتكاسل يستمع الى طنين رادار يعمل بالميكروويف، تبين له أن لوح الشوكولاتة في جيبه ذاب تماماً. فالتمعت في ذهنه فكرة عمد على أثرها الى تسليط الميكروويف على بعض حبوب الذرة، فتفتقت للحال! وكانت تلك أول وجبة يُنضجها الميكروويف. وفي العام ١٩٤٧ انزلت "رايثيون" الى الأسواق نموذجاً أخرق بطول رَجُل، بعيداً كل البعد عن أفران الميكروويف المستعملة اليوم في التسخين وتذويب الجليد عن الأطعمة.

ولم يفهم الباحثون الا في الماضي القريب كيف يُسخِّن الميكروويف الطعام، وكيف يطهوه بهذه السرعة. فالأفران العادية تُسخِّن الطعام من خارج الى داخل: فهي تنشط جزيئات الهواء التي تضرب بعنف جزيئات سطح الطعام، فتثير هذه بدورها جزيئات الطبقات الأعمق. وهكذا، طبقة فطبقة، تصل الحرارة بعد نحو ساعة الى لب الطعام.

على نقيض ذلك، يعمل الميكروويف بايصال طاقته مباشرة الى الطعام الذي يسخن فيما يبقى هواء الفرن بارداً. وخلافاً للأفران التقليدية، تسخن أفران الميكروويف الطعام من داخل ومن خارج في آن، وإن بغير توازن أحيـاناً. فالميكروويف ينشط ملايين المليارات من طبقات الجزيئات دفعة واحدة، وخصوصاً جزيئات الماء التي تدور على الدوام محدثة احتكاكا يولد حرارة تنتقل بدورها الى جزيئات البروتيين والكربوهيدرات والدُهن.

ولا صحة للمفهوم السائد بـأن الميكروويف يُسخِّن الأطعمة من داخل الى خارج. والواقع ان خسارة بعض الحرارة في الهواء الأبرد حول الطعام يؤدي الى برودة أجزائه الخارجية بسرعة أكبر.

معالجة السرطان. لا يقتصر عمل الميكروويف على طهو الطعام. ففي مختبر "كرافت جنرال فودز" في تاريتاون بولاية نيويورك، يعتمد الفيزيائي تشارلز بفلر

(٢) Magnetron.

هذه التقنية لتعجيل بَسْترة الطعام[3] وتطويرها لتشمل التعقيم. يقول: "البسترة لا تقتل كل الجراثيم، لذلك يتوجب حفظ الحليب في الثلاجة. أما الأطعمة المعقمة والمختومة ضمن أكياس محكمة السداد فتحتفظ بجودتها وإن بقيت سنوات على رفوف المحال."

والقضاء على جميع الجراثيم يستوجب رفع الحرارة الى ١٢٠ درجة مئوية لثلاث دقائق. لكن رفع الحرارة بالوسائل التقليدية يفتت الطعام متى بلغ درجة التعقيم. لذا يأمل بفلر أن يتمكن من إبقاء اللحوم طازجة والجزر يانعاً بواسطة الميكروويف.

ومنافع التعقيم بالميكروويف ليست قصراً على منتجي المأكولات، اذ يمكن الإفادة من هذه التقنية في التخلص من النفيات الطبية التي تحمل جراثيم معدية. وقد توصل علماء ألمان غربيون الى ابتكار أسلوب لتطهير هذه النفيات بواسطة الميكروويف. وبعد المعالجة بهذا الأسلوب يمكن تصريف هذه النفيات كأي نفيات عادية.

بيد أن أكثر التطبيقات الطبية إثارة هي استخدام الميكروويف في تدمير الأورام السرطانية. وليس "مركز سيتي أوف هوب الطبي" في كاليفورنيا سوى واحد من ٢٠٠ مستشفى أمريكي يلجأ الى معالجة السرطان بالفرط الحراري الميكروويفي.[4] مرتين في الاسبوع، يسلط الاطباء موجات صغرى مخفوضة الطاقة لمدة ساعة على الورم السرطاني، ثم ترفع الحرارة الى ٤٣ درجة مئوية أو أكثر. يقول الدكتور كنيث لوك العالم بمعالجة الأورام بالأشعة: "هنا يحدث أمر في غاية الروعة. فالأنسجة السرطانية السريعة التأثر بالحرارة تبدأ بالاضمحلال."

يترافق هذا العلاج عادة والعلاج التقليدي بالأشعة والمواد الكيميائية. لكنه لا يخلو من بعض سيئات، بينها أعراض جانبية كالحروق والقروح.

لغز البيتزا. للميكروويف تطبيقات صناعية متنوعة، منها ما تلجأ إليه شركة "لوكهيد" في تجفيف المواد المستعملة في صناعة السيراميك (الخزف) الخفيف الوزن الذي يقي المكوك الفضائي الحرارة المتأتية من اختراق المجال الجوي للارض. كما تجري شركات أخرى اختبارات على الميكروويف في تجفيف الأخشاب. ولكن سيكون للميكروويف، على الأقل في المستقبل القريب، أبعد الأثر في الصناعات الغذائية حيث تبقى معضلات كثيرة في حاجة الى حل.

واحدة من هذه المعضلات التي اقضّت مضاجع المهندسين هي مسألة "التسفّع والهشاشة." مثلاً، عندما تتحمص فطيرة بيتزا في فرن عادي، ترتفع جزيئات الماء فيما يخبز العجين، ولا يتبخر منها سوى تلك التي تبلغ السطح. لذا يبقى العجين رطباً من الداخل وهشاً من الخارج.

(٣) Pasteurization . وهي تعقيم السوائل والاطعمة جزئيا بحرارة تقتل الجراثيم من غير ان تحدث في المادة المبسترة تغييرا كيميائيا جوهريا.

(٤) Microwave hyperthermia .

أما في أفران الميكروويف، فتتبخر جزيئات الماء عميقاً في العجين. ثم، عندما تتدافع هذه الجزيئات نحو السطح، يتولى الهواء البارد تكثيفها، فتعود الى القشرة. لذا تخرج البيتزا من الفرن ندية مترهلة.

ولمعالجة هذه المسألة، عمدت شركة "ديبوزيشن تكنولوجيز" في سان دييغو بكاليفورنيا الى ابتكار حل جزئي قوامه "مِحَسّ" هو غشاء معدني يسخن متى تعرض للميكروويف. والفكرة ألهمها الغلاف الخارجي الممتص لموجات الرادار في القاذفة "ستيلث" التي لا يمكن الرادار رصدها. فالمحسّ يمتص الموجات الصغرى تماماً كما تمتصها "ستيلث"، ثم يحوِّل الطاقة حرارة تصل خلال ٢٠ ثانية الى ١٧٥ درجة مئوية.

وتعمل هذه الأدارة الرمادية الصقيلة مثل السخّانة التي تسفع كل ما يوضع عليها من أطعمة كالبيتزا والبطاطا المقلية وغيرهما.

ويوم أتم المهندسون معالجة مسألة "التسفع والهشاشة" بات حل معضلة "الفشار بالكراميل" مسألة وقت فقط. وكالعادة، وجد روبرت شيفمان الحل.

فقد أجرى تجارب تناولت مواد عدة – لم يصرح بها – تمزج بالكراميل وتكوِّن "كوابح حرارية." فتمتص هذه المواد المضافة بعض طاقة الميكروويف مبطئة سرعة نضج الكراميل مما يتيح للفشار الوقت اللازم للتفتق. وهكذا توصل شيفمان الى حل عالي التقنية لمسألة شغلته وقتاً طويلاً.

مارك رومان ■

غسلة جامعية

شعرت صديقتي بتعاسة غامرة عندما غادرت ابنتها الوحيدة المنزل للالتحاق بالجامعة. وبعد شهر رايتها في حديقة منزلها تنشر الغسيل على ستة حبال. وعندما سألتها عن هذه الغسلة الكبيرة اجابتني مبتهجة: "اتت سناء لزيارتنا مصطحبة بعض صديقاتها."

واضافت: "انا لم اخسر ابنة، بل ربحت جامعة."

ش.هـ

كاذب صغير

لاحظت أن طفلي البالغ الرابعة من عمره يكذب أحياناً، فحذرته من أن من يكذب تظهر بقع على لسانه. ثمّ طلبت منه أن يمدّ لسانه، وعندما فعل صرخت: "هه! هناك بقعة."

فأجابني من دون أن يرمش له جفن: "انها من الاسبوع الفائت."

ب.ف.د

صَبَاح الخَيْر!



نسكافه ، خلاصة القهوة اللذيذة بالحليب ،
تجعل نهارك مليئاً بالحيوية والنشاط .
إشرب نسكافه في الصباح وفي أي وقت ، وتمتع بطعمها اللذيذ ونكهتها الغنية .
نسكافه ، قهوة ..١ بالمئة صافية سريعة التحضير .

نسكافه قهوة الشباب العصري الناجح .

PI 2950

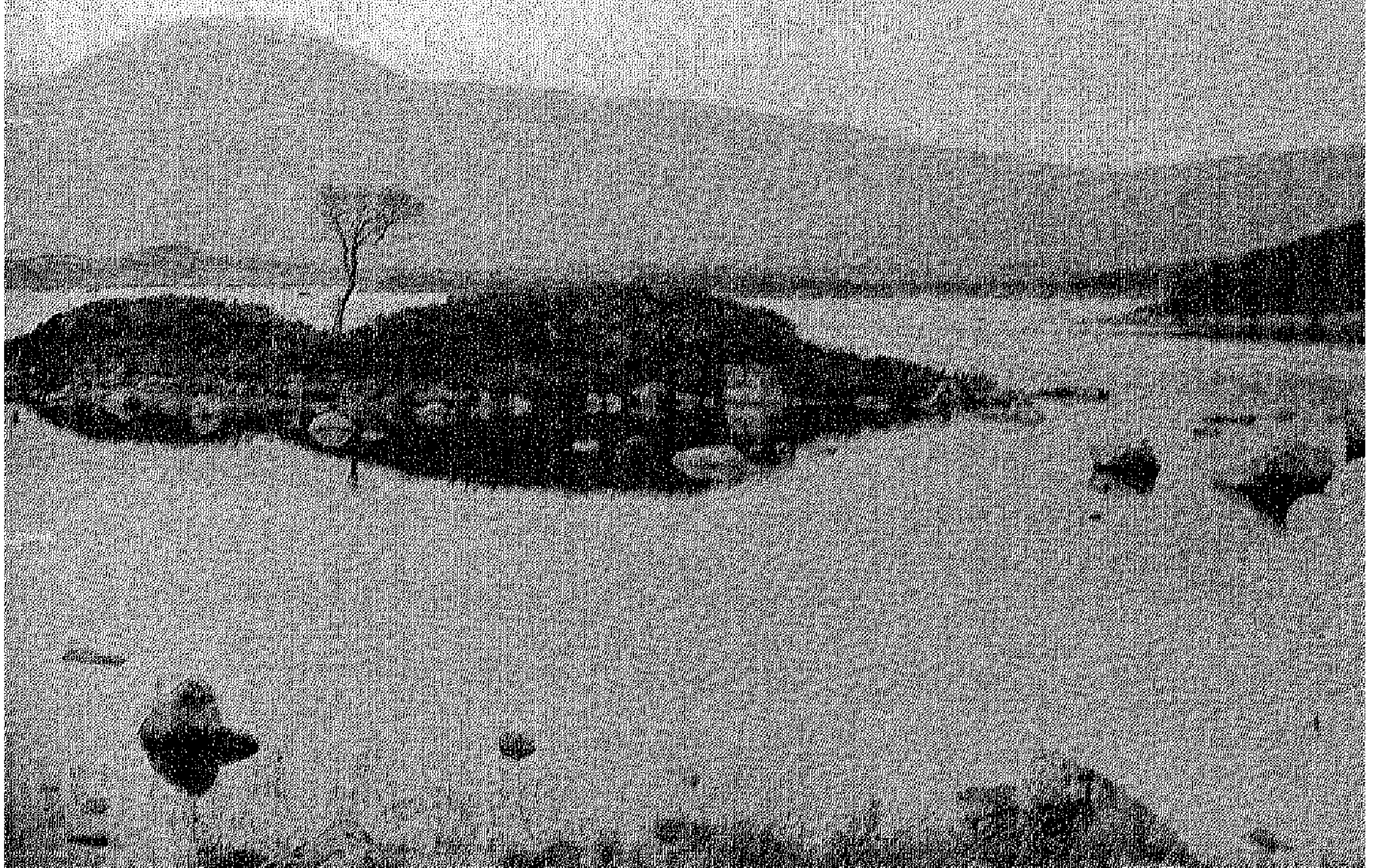
أرض الآكام والبحيرات الرواكد تتوشى حسناً برياً آسراً

اسكوتلندا بقاع شتى: جنوب تتخلله أنهار وأودية خصيبة، ووسط تحرسه مدينتان توأمان هما غلاسغو وادنبره، وجزائر غربية يزبد الموج على شواطئها. ولكن اذ نغمض عيوننا تلوح لنا اسكوتلندا نجوداً[1] برية بديعة.

أنت هاهنا في شمال البلاد. فالهواء أبرد والنور أبهت، والثلوج على مدار السنة تعمم جبلا قصيا. إنها احدى القفار القليلة في أوروبا حيث المناظر الطبيعية تسبي سكان المدن وتوقظ فيهم حب الارتحال.

في كل ناح تقع على بحيرة صغيرة يحف بها القصب، وزنابق الماء متبددة على سطحها تميل أوراقها في الريح فتبدو كأشرعة متسابقة. الأنهار تنساب من الهضاب بلون الشاي. وبين فينة

(١) Highlands



وأخيرا تلوح كتلة من الجبال منتصبة في تباين يهزّ النفس، منتظمة في أروع الأشكال. منها جبل سويلفن الأجرد المخروطي على الساحل الغربي من ساذرلند، وجبل بن نيفز بسنامه الثقيل، وهو أعلى جبل في الجزر البريطانية.

في هذه الارجاء ظباء تعدو مختالة عبر القفار الفُسُح، وأسماك سلمون تتواثب من بين نبتات الخلنج. وفي يوم سعد ترى عقابا يمتطي الريح. وفي البراري ثعالب وارانب برية. ومن شق ما أو أجمة ترمقك عينان صفراوان لقطة برية.

هذه بلاد العشائر التي شغف العالم بلباسها واعرافها. وما زال بعض شيوخها في القلاع متأهبا للحرب. وفي النجود الاسكوتلندية تقام مباريات في قذف جذوع شجر الشوح. هنا آخر المعاقل لديمومة اللغة الغاليّة.

وتمتد "غلين الكبرى" قطريا عبر هذه النجود. انها بحيرات ومنحدرات مخططة بالروابي الجرداء ومبقعة بغابات الصنوبر. وقد ذاعت شهرتها في العالم بفضل لوك نيس، أطول بحيراتها وأعمقها حيث تحيا وحوش خرافية مزعومة كالدينوصورات.

قصدتها، مثل كثيرين، لأتحقق من هذا اللغز المحير الذي وددته حقيقيا. لوك نيس الرمادية دوما، ساكنة دوما، تلطخ سطحها بقع داكنة فأكاد أرى كل بضع دقائق رأسا أسود سابحا، وعنقا ملتويا كالانقليس، أو اثر شيء ما يوشك أن يتحرك.

أنعمت النظر فلم تقع عيناي على الوحش في هذه المياه الباردة المسكونة.

مرَّ بي حرّاج شاب، فسألته هل رأى كائن البحيرة. لم يبتسم لسؤالي. لقد

MIKE TAYLOR



قضى حياته هنا، كما أخبرني، ولطالما ترصد الوحش المزعوم لكنه لم يشاهده بعد. وجوده أو عدم وجوده لا يهمه، بل هو فسّره على هواه بأنه رمز لليقين. قال: "إنه يعلمنا أن نوقن بشيء لا نراه... أتدرك ما أعني؟".

الحبل المشدود. "غلين الكبرى" الموصولة الى قناة كاليدونيا التي شقت في القرن التاسع عشر، تربط بحر الشمال بالمحيط الأطلسي وتجتازها يخوت وقوارب صيد. ولا يبعد اي مكان في نجود اسكوتلندا اكثر من ٦٥ كيلومتراً عن البحر. وتفاجأ مرة إثر مرة اذ تكتشف "لساناً" ضيقاً من البحر ينسل باعوجاج في محاذاة البرّ، متلألئاً تحت أشعة شمس الاطلسي.

واذ يعبر المرء قمة جبل أو يدور حول منعرج، يقع غالباً على موقع منعزل لصيد السمك وفيه زورقان راسيان قرب رصيف وشاحنة تنتظر نقل السمك الى انفير أو أبردين أو غلاسغو.

في يوم راكد تكون مياه البحر كالمرآة تعكس صفحتها الروابي السواكن في كل مكان. ولا صوت سوى هدير مولِّد أو صيحة عارضة. إن مرسى صغيراً كهذا يمر به المرء، على غير توقع، يوحي أموراً وأموراً، لكأنه ملاذ سري لأعمال تجرى خفية بعيداً عن عيون خفر السواحل.

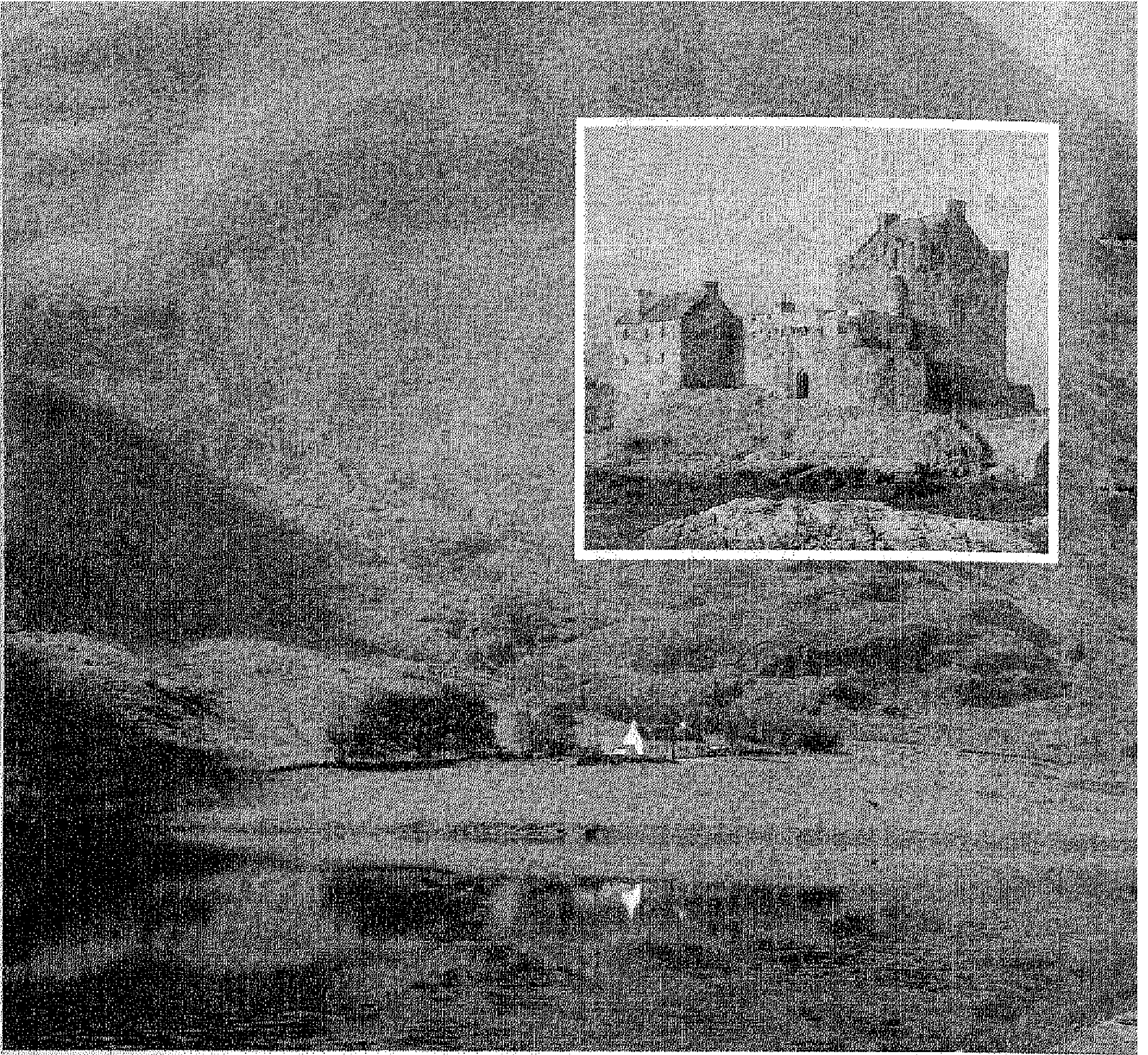
نجود اسكوتلندا خالية من المدن، وبلداتها الكبيرة معدودات. ولكن اذ يدخل المرء بلدة منها سائقاً، ترحِّب به بسمت الحريص على الدنيا وما فيها، وبسخاء ودماثة. لأصغر سوق هنا شأن، يجللها نصب قديم وفندق على الطراز الفيكتوري وقاعة تقليدية للاجتماعات وأثر تذكاري لجندي أو شاعر أو محام أو طبيب زاد البلدة بهاء وفخاراً في الازمان الغابرة.

تتركز حياة النجود في بضع قرى الى جانب الطريق، حيث تلقى النجدي كما تصوره الاساطير: مهذباً، مرهف الاحساس، مراوغاً. في منطقة النجود البالغة مساحتها ٢,٥ مليون هكتار يقطن أقل من ٢٠٠ ألف نسمة. والنجدي الاصلي يطغى عليه الوافدون. فعلى مرونته وتراثه الحربي، يبقى حضوره باهتاً.

عبر هذه التربة الرقيقة، ووسط هاته السلاسل الجبلية غير المضيافة المعرضة للريح والبرد، يمشي النجدي برشاقة فخوراً ببلاده على حذر، اذ ان الحياة كانت عسيرة على الدوام والتاريخ قلاباً لا يركن اليه.

كانت اسكوتلندا، حتى في الازمنة المعاصرة، متاهة من العداوات والمؤامرات وأعمال الخطف والقتل والحروب مع انكلترا، والتحالفات مع فرنسا. فتن يذكيها زعماء رعب من أمثال "آل دوغلاس السُوْد" وأنار ظلمتها ذوو شهامة ونبل أمثال روبرت بروس وماري ملكة الاسكوتلنديين.

جزء كبير من النجود لا يُطرق الا سيراً. وما زال معظمها غير مأهول. الطرق القليلة التي تشق القفار شبه مهجورة، وثمة قُطر بلونين أزرق وأبيض تتلوى بشجاعة بين الجبال. في زمن مضى لم



موقع منعزل في غلين كو. وتبدو قلعة ايليان دونان المشرفة على ثلاث بحيرات.

تكن هذه البلاد خاوية كما هي الآن، وكان في عدد من سفوحها الموحشة اليوم مزارع ومدارس وبيوت.

في القرن الثامن عشر فطن الاقطاعيون الى أن الخراف تدر عليهم ربحاً أكثر من المستأجرين. وفي القرن التاسع عشر زُيِّن لهم أن صيد الظباء هو الافضل. فطرد ألوف من صغار المزارعين وشحنوا بالسفن الى أراض اسكوتلندية جديدة في الجانب الآخر من المحيط الاطلسي.

نداء المزامير. عندما أمّ الدكتور جونسون اسكوتلندا في القرن الثامن عشر توقع أن يرى بلداً على الفطرة. وهذا ما لقيه حقاً: "اسكوتلندا اذ تراها هي شكل أسوأ لانكلترا. لكأنك ترى زهرة تذبل تدريجاً فتغدو سويقة عارية."

PHOTOS: DEREK BAYES / ASPECT

بعد نصف قرن بدّل الوطنيـون الغيورون هذا الصيت فأضاؤوا كل شيء يمت الى اسكوتلندا بمشعل الأبهة. وكان على رأسهم الكاتب والشاعر البارز السر ولتر سكوت.

عشائر النجود ورموزها ولغتها القديمة ونباتها وحيوانها سلبت الالباب وأضرمت الخيال في كل مكان، جاذبة السر ادوين هنري لاندسير[٢] الى منطقة غلين والملكة فيكتوريا الى بالمورال. وهي ما زالت تهز منا الوجدان. وليس سوى بليد الاحساس من لا يطرب لأنغام مزامير القرب؟

عصر الرفاه الاسكوتلندي هو القرن التاسع عشر من دون ريب. آنذاك انتشرت في أرجاء النجود بيوت شواهق على الطراز الفيكتوري تعمر في مواسم الصيد، ودور وقصور قوطية مستكنة في الاودية الضيقة أو قابعة على ضفاف البحيرات، وكأنها تفصح عن الأمان والحفاوة والعيش الرغد الهانيء الذي يعدّ من سمات الحياة الاسكوتلندية.

لدى سيادة النمط الفيكتوري ووسمه الاشياء الاسكوتلندية نشأ حافز لحسن الضيافة. وكـان البيت الريفي في اسكوتلندا في أوج عزه: أسماك سلمون رقراقة في أطباق فضية، وغزال مشوي ينش فوق الجمر، وطيور معلقة تشهي.

ويزدهر "ساحل النفط" في الجانب الشرقي من النجود. وتنتشر فيه المطاعم والمقاهي والمكاتب والسيارات الفخمة وفنادق رجال الاعمال.

جبال غرامبيان الوعرة لا تبعد اكثر من ٦٥ كيلومترا داخل البلاد. وفي وسعك أن ترتحل في ساعة من الاراضي القفر الى مطار دايس القريب من البحر حيث تقلع طوافات ليل نهار في اتجاه حقول نفط بحر الشمال.

وتنساب في مصارف آبردين أموال طائلة. وتعد هذه المدينة اليوم احدى مدن النفط الرئيسة في العالم. كما نشأت فيها صناعات فرعية من ألف نوع. لكن هذه الأعمال الجديدة الطريفة في آبردين لم تفقدها رشدها. فالعاصمة الصوّانية للشمال الاسكوتلندي لا تزال قوية ودؤوبة مستغنية عما سواها، تستبقي لنفسها مغانم هذه الثروة المذهلة وتعدّ ليوم نفادها طبقا لقول مأثور بين أهليها: على المرء أن يأخـذ للمستقبل أهبتـه، فالمستقبل قاصر لا يعتني بذاته.

يان موريس ■

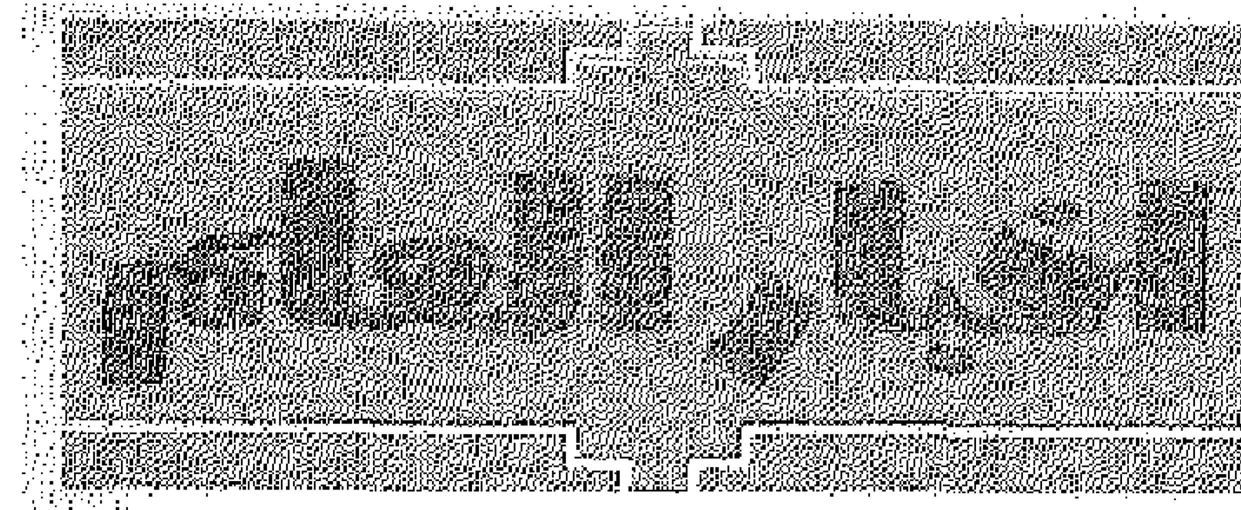
(٢) هو رسام بريطاني (١٨٠٢ – ١٨٧٣) اشتهر برسوم الحيوانات.

جدّة عاشقة!

قرر جدّاي إحياء شبابهما فتواعدا على الالتقاء في الثامنة مساء في الحديقة العامة حيث كانا يلتقيان "أيام زمان." وعندما وصل جدّي الى الموعد بهندامه الكامل حاملا باقة زهر لم يجد جدتي هناك. وانتظرها حتى التاسعة لكنها لم تات.

فعاد الى المنزل غاضبا وواجه "الشابة القاسية القلب." فاعتذرت جدتي اليه قائلة: "لكنك تعرف يا حبيبي أن أمي لا تسمح لي بالخروج ليلا."

ج.ت.



كمبيوتر بصري

■ كشف العلماء في مختبرات "بل"* عن كمبيوتر في طور التجربة ينجز العمليات الحسابية بواسطة نبضات ضوئية بدل الكهرباء. وخلال سنوات ستتمكن أجهزة الكمبيوتر "البصرية" من انجاز عمليات متعذرة حالياً.

ويحوي الكمبيوتر البصري شبكة من الليزر والعدسات والمرايا التي توجه شعاعات الضوء وتحوّل مسارها على نحو شبيه بتوجيه التيارات الكهربائية عبر الاسلاك الدقيقة في رقائق الكمبيوتر. ولكن خلافاً للكهرباء، يمكن مرور الشعاعات الضوئية بعضها خلال بعض من دون أن يعترض شعاع سبيل آخر. وبالتالي فان الكمبيوتر البصري ينجز ما يشبه مكافحة ازدحام السير بالسماح للسيارات بالمرور بعضها عبر بعض عند تقاطع الطرق.

لذلك تستطيع أجهزة الكمبيوتر هذه انجاز ملايين العمليات الحسابية في آن، تماماً مثل الدماغ والعين البشرية عندما يتعرف صاحبهما الى وجه ما. ويمكن استخدام الكمبيوتر البصري في أجهزة الأمن لتمييز الوجوه، أو كعيني "رجل آلي" في مصنع. ويمكن هذا الكمبيوتر أيضاً حلّ المسائل التي تتطلب اعتبار عدد كبير من المتغيرات، كالتوقعات البعيدة المدى للاحوال الجوية.

ولا يزال كمبيوتر مختبرات "بل" غير مكتمل بالمقاييس الالكترونية الحديثة. ففي حين يحوي الكمبيوتر المكتبي نحو مليون محوّل، لا يحوي هذا الكمبيوتر سوى ١٢٨ محولا. لكن العلماء يعملون الآن على صنع أدوات ليزر مجهرية دقيقة لتصغير حجم هذا الجهاز. ويتوقع توافر الكمبيوتر البصري تجارياً بعد السنة ٢٠٠٠.

صحيفة "نيويورك تايمز"

(*) AT & T Bell Laboratories

النوم الزائد مستحب!


■ يفيد معظم البالغين كثيراً من ساعة نوم اضافية على الأقل في الليلة الواحدة. هذا ما تشير اليه أبحاث "مركز اضطرابات النوم" في مستشفى هنري فورد بمدينة ديترويت في ولاية ميشيغن الامريكية.

راقبت الدراسة ٢٤ رجلا صحيحاً ينامون عادة ما بين ٧ ساعات و٧،٥ ساعات في الليلة الواحدة ولا يشكون من النعاس خلال ساعات النهار. ولمدة ستة أيام، اوى هؤلاء الرجال الى الفراش باكراً وناموا نحو تسع ساعات في الليلة.

وخلال هذه الفترة أخضعوا لفحوص تختبر تيقظهم وانتباههم وتحاكي اختبار مهارات قيادة السيارات أو مراقبة المعدّات. وقد سجلوا كلّهم تحسنا بيّناً.

ويشير العالم النفساني تيموثي رورز مدير الابحاث في المركز، الى أن الدراسة تخالف الحكمة التقليدية القائلة بأن النوم الزائد غير مستحب. ويضيف: "يبدو أن الناس يفيدون من النوم أطول وقت ممكن."

صحيفة "واشنطن بوست"


TEXAS
610 SKK
مأساة واقعية
كادت
البيتزا
تكلّفني
حياتي

جاء الشاب لتسليم فطيرة بيتزا فوجد في انتظاره مجرمين خطيرين



وقف أناند "أني" ألويو أمام باب شقة في الطبقة الثانية من عمارة سكنية في فورت ورث بولاية تكساس، حاملا طبق بيتزا على راحته وصندوقاً صغيراً من علب المرطبات باليد الاخرى. وكان عنوان المنزل في بطاقة التسليم مطابقاً للاسم المكتوب على مدخل الشقة. فقرع الباب، وكانت الساعة تجاوزت الحادية عشرة ليل الأحد ٢٣ يوليو (تموز) ١٩٨٩. وسمع صوت امرأة من الداخل يستعلم من الطارق، فأجاب: "انها البيتزا التي طلبتها يا سيدتي."

فردت المرأة بخشونة: "لم تطلب بيتزا، انصرف من هنا."

فمضى أني ساخطاً ومردداً في نفسه: ليت الناس لا يتصرفون هكذا، فليس لدي وقت أضيعه.

وأني شاب أسمر مفتول العضلات، وخريج جامعي يطمح الى دراسة المحاماة والتخصص بقانون الشركات. وبانتظار قبوله في كلية المحاماة عمل في تسليم البيتزا الى المنازل.

ما ان وصل أني الى الطبقة الاولى حتى سمع صوتاً يناديه من الباحة في أسفل البناء: "هل معك بيتزا لي؟"

كان ذلك رجلا ناحلا أسود يلبس سروالا فضفاضاً وقميصاً ذا مربعات ويقف عند البركة. فاقترب منه أني

ILLUSTRATIONS: BILL DODGE

بارتياح وسأله: "أأنت طلبت البيتزا؟ السيدة في الطبقة العليا قالت انها لم تطلبها."

أجاب الرجل وهو يحكّ لحيته الخشنة: "نعم، فأنا استخدمت هاتفها. سآتيك بالثمن من صديقتي في موقف السيارات. انتظر هنا قليلا."

توارى الرجل عند زاوية البناء ورجع بعد لحظات ومعه رجل أسود ضخم الجثة يعتمر قبعة رياضية.

قال الرجل الاول ببرود: "ضع البيتزا جانبا." ثم زمجر مهدداً حين لم يمتثل أني لأمره: "هيا يا رجل، نحن لا نمزح معك." ولم يصدّق أني عينيه حين رأى الرجل الثاني يوجه مسدساً صغيراً الى صدره.

وضع أني البيتزا والمرطبات على الارض وتذكر وقد خدّره الخوف عملية سلب مسلحة تعرض لها قبل أسبوع عامل آخر لتسليم البيتزا يعمل في المطعم ذاته. فتبادر الى ذهنه أن مهاجميه لا بد أن يكونا منفذي العملية السابقة، ووقف رافعاً يديه.

تكلم الرجل الاول: "أعطني ما في حوزتك من مال، ومفاتيح سيارتك. ولا تحاول المراوغة، فهذا المسدس حقيقي."

ناوله أني محفظته ومفاتيح سيارة والده الجديدة." فغاب الرجل ثم عاد بعد لحظات وهو يقود السيارة. فنخس رفيقُه أني بالمسدس وقاده نحو السيارة، وكانت لا تزال تحمل لافتة "بيتزا دومينو" مضاءة على سقفها.

فتح الرجل الاول صندوق السيارة، وغرز رفيقه الضخم فوهة مسدسه في رقبة أني من خلف.

فصعد أني الى صندوق السيارة. وحين أُقفل الغطاء خيّم ظلام قاتل في الداخل. فشرع أني يضرب الصندوق بقبضتيه صائحاً فيما انطلقت السيارة من الموقف وموسيقى الروك الصاخبة تلعلع من مكبرات الصوت كاتمة الصراخ.

ذكرى منسية. بعد لحظات الذعر الاولى تنفس أني بعمق وهدأ روعه. وكان غالبا ما يلجأ الى التنفس البطيء وأساليب الاسترخاء لتخفيف صفير التنفس لدى اصابته بنوبات الربو. وحاول الا يفكّر في ما قد يصيبه لو فاجأته نوبة ربو وهو في صندوق.

وعادت اليه ذكرى من طفولته كاد ان ينساها. فعندما كان في السن العاشرة تحداه أخوه الأكبر أن يدخل صندوق سيارة والدهما. وما ان صار في الصندوق حتى أقفله أخوه بالمفتاح، فذعر وراح يبكي. الا أن أخاه بيَّن له بعدئذ كيف يفتح الصندوق من الداخل. والآن، بعد ثلاث عشرة سنة، لجأ الى طريقة أخيه للنجاة.

كانت السيارة الصغيرة تثبت فوق حافات الطريق عند المنعطفات وهي منطلقة بسرعة فائقة. فاستجمع أني قواه وسدّ أذنيه بيديه ليريحهما من صوت الموسيقى الصاخبة.

ورأى انه في حاجة الى بعض الضوء. فتلمّس البراغي التي تثبت مجمَّع

الاضواء الخلفية حيث كان رأسه محشوراً. وما هي الاّ دقائق حتى تمكن من فكّ برغيين وسحب جزءاً من مجمع الاضواء داخل الصندوق، فأضاء ظلمته.

ثمَّ شعر بأنه يكاد يختنق. فرفع احدى زوايا سجادة الصندوق، وتلمّس عجلة الاحتياط الى أن عثر على سدادتها. وحين انتزعها تدفق الهواء النقي المنعش داخل الصندوق الخانق.

وانصرف أني الى فتح الصندوق. فتحرك حتى أصبح في وضع مناسب، ثم انبرى الى معالجة أجزاء القفل الى أن عيَّن موضع "اللسان" الذي يفتحه.

كانت السيارة منطلقة بسرعة ثابتة، فقدر أني أنها تسير في طريق رئيسية. ورجّح أن يوقفها شرطي سير ينتبه الى أن الانوار الخلفية مطفأة، فيفتح الصندوق في تلك اللحظة، لانه عرف أن فتحه الآن سيطلق ضوء انذار على لوحة أجهزة القياس فيثير انتباه الرجلين داخل السيارة. كان عليه اذاً انتظار اللحظة المناسبة.

أمسك أني اللسان الصغير بين أصابعه وقال في نفسه: "سأقفز فور ابطائهما.

في الحفرة. لم تسنح لأني فرصة للقفز من الصندوق. وعندما توقفت السيارة أخيراً فُتح باباها الاماميان ثم رفع غطاء الصندوق. واذا بالرجل الضخم المسلَّح يأمر أني: "اخرج من هنا."

نزل أني بهدوء من الصندوق ومشى مذعناً الى الباب الايمن وركب السيارة. وجلس الرجل المسلح وراءه في المقعد الخلفي.

لم يبق أمام أني سوى مصادقة الرجلين. فتكلف الابتسام وقال: "شكراً لاخراجي من ذلك المكان. لقد كان حاراً جداً." ثم انتظر فلم يحظ بجواب. وتابع: "تعلمان أن الاحوال صعبة في هذه الايام، فليت معي مزيداً من المال أعطيكما اياه."

والتفت أني الى السائق فصاح به هذا: "إياك أن تنظر الى وجهي."

ثم تابعوا السير في مناطق ريفية دامسة الظلام، طرقها مهجورة وحقولها جرداء. وتوقفوا بعد ١٥ دقيقة. فبدأ قلب أني يدق. ثم أمره المسلّح بأن يخرج من السيارة، وأجبره على الانبطاح في حفرة عمقها حوالى ثلاثة أمتار.

دفن أني رأسه في الوحل والعشب الندي، ولم يجرؤ على التحرك لشدة خوفه من اطلاق الرصاص عليه. وكان عود يخز خدّه حتى كاد ان يثقبه.

شعر بارتياح حين سمع الرجل المسلّح يقول: "عدّ الى مئة ثم امشِ. سنترك سيارتك في أسفل الطريق."

فجأة تفجّر ضوء لامع داخل رأسه ومزّق ألم حاد قاعدة جمجمته. واذا بانفجار ثان يفتل وجهه الى اليسار ويرميه هو على العشب الندي. وللحظة انتفض جسمه متشنجا الى أن حطّم شيء ذقنه وشلّه.

بركة دم. تفيد سجلاّت شرطة فورت ورث أن تحالفا آثما نشأ بين فرنك

ليمونز (٢٧ عاماً) وآرك برايس (٢٨ عاماً) في الصيف السابق حين أقدما على سرقة محلات صغيرة في المنطقة تفتح حتى ساعة متقدمة من الليل. وكان سجل ليمونز (الذي قابل أني أولا) نظيفاً حتى ذلك الوقت. لكن برايس (حامل المسدس) كان مجرماً محكوماً عليه أربع مرات وله تاريخ حافل بالاجرام منذ سنوات. وللمرة الثالثة أفرج عنه قبل انتهاء عقوبته ووضع تحت المراقبة. وكان في السابعة عشرة عندما دين مرتين بجرمي السرقة والسطو على المنازل.

خطط ليمونز وبرايس لخطف عامل تسليم بيتزا وسلبه قبل أسابيع عندما أعوزهما المال. وتمكنت ضحيتهما الأولى، أنسل تورن وعمره ٢٤ عاماً، من فتح صندوق السيارة والهرب. لكنهما أطلقا الرصاص عليه فجرح في ساعده.

هذه المرة سارت الأمور بحسب مبتغاهما. فقد استوليا على سيارة جميلة ومحفظة مليئة ببطاقات الاعتماد، وأهم من ذلك كله أنه لم يكن هناك شهود.

عاد أني الى وعيه، فتحرك قليلا ثم شهق اذ أحس جسمه كله ينبض ألماً. كانت يداه ورجلاه ترتجف لاإراديا، ونفَسه يرتعش واهياً في صدره ويكاد ينقطع. وصمّ أذنيه هدير تتخلله قعقعة، وكان وجهه غارقا في بركة من الدم المتدفق من فمه. فبذل جهداً كبيراً لكي يركّز بصره. وقال في نفسه: لا بد أن إصابتي شديدة.

وأصاخ ليتأكد من رحيل الرجلين، على رغم الهدير الصاخب الذي ملأ أذنيه. ثم فكّر: ما علي الا المجازفة.

فنهض بصعوبة عن الارض الرطبة وحدّق في ظلام الليل. وإذ تأكد من غياب سيارته زحف خارج الحفرة.

عودة المجرمين. مشى أني مترنحاً في اتجاه الطريق العامة، ولاحظ ان الدم يقطر من ساعديه. وبشعور غريب من الانفصال عن الذات استنتج أن ذلك ليس حسناً. وعندما وصل الى الرصيف سار بمحاذاة الطريق.

مرّت به سيارتان، فحاول طلب النجدة بالتلويح والصياح، لكن رفع يديه استنزف كل قوته وخانه لسانه في لفظ الكلمات. فلمس فمه واكتشف أن أسنان فكه الادنى ناتئة الى الخارج من بين شفتيه الداميتين المتورمتين. وبعد محاولة ثانية في طلب النجدة من السيارات العابرة، انهارت قواه ويئس من التكرار فتابع سيره.

وأخيراً اقتربت من خلفه سيارة، وأبطأت اذ أصبحت بمحاذاته. ثم توقفت فجأة بعدما تجاوزته بضعة أمتار. لكن آمال أنّي تحطمت حين حدّق مرتعباً الى مؤخر السيارة الصغيرة ورأى مصابيحها الخلفية مطفأة!

ركض أني عبر الشارع فيما استدارت السيارة الصغيرة بسرعة. وكاد قلبه ان يتوقف اذ أعمته أضواء مصابيحها الامامية المتوهجة، فتعثر وسقط في خندق لتصريف المياه، لكنه عاد وزحف مذعوراً الى الجهة المقابلة. وإذ طارده الرجلان اصطدم بسياج من أسلاك



شائكة. فتخبّط محاولا تحرير نفسه وهو ينتحب مردداً: "يا الهي، سوف يقتلانني!" لكنه نجح في تسلق السياج بعدما اصيبت رجله بجرح بالغ. وركض بضعة أمتار تعثر بعدها وانزلق في جدول موحل. فتمدد هناك ساكناً آملا أن تحجبه عتمة الدغل والماء.

وتحقق أمله. فبعد دقائق من التفتيش انصرف الرجلان خائبين وهما يشتمان. وسمع أني صرير عجلات السيارة الصغيرة اذ انطلقا بها مسرعين. فتنفس الصعداء. لكنه واجه صعوبة كبرى وهو يحاول النهوض هذه المرة.

وحين وصل الى الرصيف قرر البقاء بعيداً عن الطريق وتجنّب السيارات حتى يصل الى مكان مضيء آمن. فهو خشي أن يكون خاطفاه ما زالا في المنطقة.

وظل يردد في نفسه: خطوة، خطوة، ما عليك سوى متابعة سيرك.

مكالمة من مجهول. لم يكن الاستسلام خياراً وارداً في عائلة ألويو. فوالدا أني هاجرا من الهند الى الولايات المتحدة عام ١٩٦١، واجتازا كل العوائق التي اعترضتهما، بدءاً بالعقبات المالية وانتهاء بالتمييز العنصري. فحصل والده على شهادة ماجستير في الهندسة، وتعلّم أخواه اللذان يكبرانه سناً وأصبحا طبيبين. ولم يكن أني يبحث بعيداً عن أبطال يقتدي بهم، ففي كل صباح ومساء كانوا يجلسون معه الى المائدة.

والآن صمم على التمثل بهما عزماً. فمشى حوالى ثلاثة كيلومترات الى أن بلغ طريقاً يعرفها. فوقف تحت أنوار الرصيف راجياً أن يتوقف أحدهم لمساعدته.

وأخيراً سلطت سيارة شرطة أضواءها عليه، فتوقفت اذ شاهده سائقها يترنّح دامياً. وإذ رأى أني الاضواء الزرقاء والحمراء الوامضة تقدم من السيارة

بخطى متعثرة وقال للشرطي الذي نظر اليه مذهولا:

"رجلان فعلا بي ذلك. ويمكنني ان أصفهما." ثم أعطى الشرطي رقم لوحة سيارته وانهار في المقعد الخلفي.

بعد يومين من الحادث تلقى رجال الشرطة مكالمة من مجهول دلهم على مكان فرنك ليمونز وآرك برايس. وكانا لا يزالان في فورت ورث. فقبض عليهما ودينا بتهمة محاولة قتل بعدما تعرف أني الى صورهما الفوتوغرافية. ووقّع الاثنان افادة تشرح تفاصيل عمليتي "سرقة البيتزا" اللتين ارتكباهما.

أما أني فأجريت له جراحتان لانتزاع رصاصتين من رأسه، فيما بقيت الثالثة مغروزة في ذقنه بانتظار جراحة ثالثة لانتزاعها. وتضرر سمعه وبصره. والى ذلك، ما زالت الكوابيس المتكررة تنتابه منذ ليلة الجريمة فتقض مضجعه.

أثارت هذه التجربة المرعبة غضب أني الشديد حيال القضاء الجزائي الذي أفرج عن مجرم متيحا له مهاجمته هو وغيره من المواطنين. يقول: "بفضل برايس وليمونز أفكر جدياً في متابعة دراستي لاصبح نائباً عاماً لا محامي شركات. أريد ان يكون لي دور في تقرير مسار القضاء في بلادي."

ديبرا موريس ■

الأبلق العقوق

يعمل والدي ناظراً في شركة للسكك الحديد. وكان يوماً يجري مقابلة مع شاب طلب العمل في الشركة. وأبدى هذا رغبته في التعرف الى كل الوظائف الممكنة. فسأله والدي: "اتحب العمل عند ملتقى خطوط السكك الحديد؟"

فأجابه الشاب: "لست اكيدا من ذلك. ما نوع العمل هناك؟" وبعد اصغائه الى شرح مطول للوظيفة، قال إنها لا تروقه.

فسأله والدي: "إذاً ما رأيك في أعمال الورش؟" ووصف له هذه الوظائف ايضاً. فلم يبدِ الشاب رغبة في العمل هناك.

ثمّ عرض عليه والدي وظيفة عامل كوابح، لكنه رفضها كذلك.

فسأله والدي وقد نفد صبره: "حسناً يا بني، ما هي بالضبط الوظيفة التي تروقك؟"

فأتاه الردّ سريعاً: "وظيفتك يا سيدي."

م.د.

ايقاع الحياة

عندما يتقاعد رجل عجوز يستعيد مرح الطفولة ولامسؤوليتها. يصبح مستعداً للعب. وإذا تعذر عليه العدو مع ابنه، فهو قادر على مجاراة حفيده في خطواته الاولى المترنحة. فخطواتنا الاولى والأخيرة لها الايقاع ذاته.

ا.م.

الصلع دليل تفوق؟

حين كنت صغيراً كان أبي يسمح لي بفرك رأسه الاصلع حتى يغدو لماعاً يعكس نور مصباح غرفة الجلوس. وهو أخبرني أن الصلع علامة تفوُّق وبطولة. وزعم أيضاً أن الهنود الحمر سلخوا فروة رأسه وهو في الثلاثين من عمره. ولفتني الى الشبه بينه وبين الجنرال أيزنهاور الذي أنقذ أوروبا ويوليوس قيصر الذي عاث فيها خراباً.

والحقيقة أن يوليوس قيصر سُرَّ حين أجاز له مجلس الشيوخ الروماني إبقاء اكليل الغار على رأسه، ربما لانه يغطي بعض صلعته.

الشعر الذي تمناه يوليوس قيصر والذي يبقى موضع تقدير كبير لدينا، ليس سوى بصلات من البروتيين الليفي نابتة بمعدل ١٠٠ ألف شعرة في الرأس العادي. وهو في نمو وسقوط مستمرين.



وفي كل يوم يخسر الرأس العادي نحو مئة شعرة. ومعظم الناس المشرفون على الصلع لا يخسرون أكثر من سواهم، لكن شعراتهم الساقطة لا تعوَّض دائماً.

وعلى رغم الادعاءات المتناقضة، علاقة للصلع العادي بالقبعات الضيقة وقصات الشعر وكسل الدورة الدموية ونقص الفيتامين والقشرة وجريبات الشعر المنسدّة والجلدة الزيتية وشكل الرأس والتفكير المفرط. أما شعر والدي فقد "كُنس" بفعل عوامل خارجة عن سيطرته. ولم يكن الهنود الحمر هم السبب، بل العمر والهرمونات والمورِّثات[1] التي لا مردّ لعادياتها. كان صلعه "صلع الذكور النموذجي."

انما ليس ذلك سبب الصلع الوحيد (فهناك أيضاً "صلع الاناث النموذجي" والصلع الناجم عن المرض أو الضيق). لكنه السبب الاكثر شيوعاً.

وينتهي سقوط الشعر الى "جبهة عريضة" تبلغ مؤخر الرأس مخلّفة حاشية من الشعر في المؤخر وعلى الجانبين.

هذا الصلع يورثه الآباء لابنائهم. وقد تمر أجيال تخلو منه ثم يعود الى الظهور في الذرِّية لاحقاً. وأتذكر كيف تجلّت لي سطوة الصلع الوراثي خلال مأدبة عشاء عائلية. كنت آنذاك في الرابعة عشرة من عمري. وحين وقفنا الى المائدة نتلو صلاة الشكر نظرت خلسة الى الرؤوس المحنية، فأذهلني أن أرى رؤوس جميع ذكور العائلة، أعماماً وأخوالا وأبناء أعمام وأخوال، صلعاء مثل بيضة، مثل رأس أبي، مثل رأسي أنا عندما أبلغ الثلاثين. وراعني ما رأيت: إن فقدان الشعر لم يكن مكتوباً في سجلّي الوراثي، بل محفور فيه:

الصلع دليل رجولة؟ تبدأ عملية الصلع عادة في العشرينات حين ترسل مورثات الصلع تعليمات الى جريبات الشعر (الغدد التي ينبت منها) لكي تنتج كميات مفرطة من الخميرة "٥ – ألفا ريدكتيز."[2] ويتحد الهرمون الذكري المعروف بـ"تستوسترون" مع هذه الخميرة (الانزيم) لانتاج "ديهيدروتستوستـرون."[3] وهذا هو المذنب الحقيقي، وبتأثير منه تتقلص بعض الجريبات فتنتج شعرات هزيلة تزداد نحافة حتى تصبح زغبا خفيفاً، فيما تتوقف جريبات أخرى عن الانتاج.

وقد عُرف دور الهرمونات الذكرية بداهة عبر التاريخ. وذكر أرسطو وأبوقراط وغيرهما أن الخصيان لا يصلعون. ولا تزال طريقة الخصي هي الاكثر فاعلية، وان تكن غير مستحبة، لتفادي الصلع. واستناداً الى هذا الواقع تستمر الاسطورة القائلة بأن الرجال الصلع رجوليون متفوقون. والحقيقة أن الصلع يكفيه مستوى عادي من الهرمونات الذكريّة.

على مر العصور جرّب الرجال

---

(١) المورِّثات او الجينات (genes) هي حاملات الخصائص الوراثية في نواة الخلية.

(٢) 5-alpha reductase

(٣) Dihydrotestosterone

الـراغبون في الاحتفـاظ بشعـرهم، وبرجولتهم، كل طريقة أمكن تصورها. فعمدوا الى فرك رؤوسهم بالقطران والنفط وروث البط وبول البقر. وحشروا رؤوسهم داخل قلنسوات مطـاطية مـوصولـة بمضخات خوائية لسحب الشعر الغائر الى سطح الجلد، ولكن من دون جدوى.

لكن بعض الجهود الحديثة حقق فاعلية أكبر. فقد تبين ان في الامكان تطعيم مقدم المنطقة "المنكوبة" وقمتها بخصلات صغيرة من الشعر السليم منتزعة من مؤخر الرأس أو جانبيه، وهي مناطق غير مرشحة وراثيا لاجتياح الصلع. وتراوح كلفة هذا الزرع الجراحي بين ألف دولار وأربعة آلاف للجلسة الواحدة، علما أن العملية تقضي عدة جلسات. وهناك خيار بديل هو تقليص مساحة الصلع بسلخ جزء من القمة وتغطيته بشدّ جلد جانبي الـرأس المكسوّين بالشعر، وتراوح الكلفة هنا بين ٥٠٠ و٢٥٠٠ دولار.

منجم ذهب. ثمة طريقة واحدة فقط لنمو الشعر فعلا بكثافة، وهي طلي المنطقة الجرداء مرتين يوميا بالعقار "مينوكسيديل."[٤] وهو استخدم أصلا لمعالجة ارتفاع ضغط الدم، لكن ٧٠ في المئة من متناوليه أفادوا عن نمو شعر غير متوقع (أحيانا في أماكن غير مستحبة كالجبين). وتنبهت شركة "أبجون" الى هذه المعلومات ورأت فيها دليلا الى منجم ذهب. فأنتجت محلولا يحتوي على اثنين في المئة من "مينوكسيديل" سوّقته باسم "روغين"[٥] واعتبرته "مديرية الغـذاء والدواء" الامـريكية العقـار الموصوف الوحيد للصلع. وتبلغ كلفة مؤونة منه لسنة ٦٠٠ دولار.

ولا أحد يعلم يقينا كيف يعمل "مينوكسيديل"، لكنه قد يتيح للجريبات المتقلصة معاودة النمو الى حجم قادر على انتاج شعرات قوية مرئية. وهو حقق نتائج واعدة، وان تكن محدودة. وفاعليته الفضلى هي في تغطية تلك البقع المفرغة التي تنذر ببداية الصلع. وقد ظهر لدى نصف عدد الرجال الذين شملتهم بعض الدراسات نمو شعر "لافت" أو "مقبول تجميليا."

ان فائدة "مينوكسيديل" لا تشمل الجميع. فلا رجاء لي فيه لاني فقدت معظم شعري، وما زال سقوط البقية مستمرا منذ خمس سنوات وقد تجاوزت الثـلاثيـن مـن عمـري. وليس "مينوكسيديل" دواء شافيا، بل هو التزام لمدى الحياة. فما إن تتوقف عن استعماله حتى يخف شعرك خلال أشهر.

ويعكف العلماء على اختبار أدوية أخرى علّها تعد بفاعلية أكبر. ولكن ريثما يكتمل العلاج الناجع أو تكتشف مورثة الصلع ويهندس القضاء عليها، فما علينا نحن المبتلين بالصلع الا أن نجد ملاذا وعزاء في كلام وليم شكسبير: "ما أنقصه من شعر الرجال نفحهم بديله ذكاء وفطنة."

فريد ستربرغ ■

(٤) Minoxidil

(٥) Rogaine or Regaine



فراخ الاوز تحيي مربيتها.

صيف الأوز

عالمة أحياء شابة ربّت خمس إوزّات يتيمة وأطلقتها الى الحرية

نقف فرخا اوزّ بيضتيهما داخل "فقّاسة" في معهد ماكس بلانك للفيزيولوجيا السلوكية بمدينة زيفيزن في مقاطعة بافاريا الألمانية. وعندما رفعت غطاء الصندوق ذلك الصباح من شهر مايو (أيار) عام ١٩٨٦، حيّتني كرتان صوفيتان بصفير هامس. التقطت الفرخين بتأن ودسستهما داخل سترتي الصوفية وحملتهما مسافة ٧٠ كيلومتراً الى كوخي الخشبي قرب بلدة فوسن في بافاريا الذي سيصبح منزلهما الجديد.

منذ زيارتي لعالم السلوكية الراحل كونراد لورنز في غرونو بالنمسا عام ١٩٧٥ بات حلمي تربية الاوز البري مثله.

درست علم الاحياء وذهبت في رحلات استكشافية الى البراري في أنحاء العالم. والآن تحقق حلمي، إذ سمح لي معهد ماكس بلانك بتربية ستة فراخ من الاوز البري المخطط الرأس(*) المتحدرة من التيبت والتي تأقلم بعض طيورها في ألمانيا. أما البيضات الست فأخذت من أعشاش مهجورة ووضعت داخل فقاسات.

عندما وصلت الى فوسن أوقفت سيارتي أمام أحد المخازن. واذ تعذر علي أن أترك الفرخين وحدهما، وإن للحظة واحدة، صممت على اصطحابهما الى التسوّق. ومن الواضح أنهما شعرا بالدفء والامان داخل سترتي، فقد ناما طوال الرحلة. وما إن وقفت أمام منضدة الخبز حتى أعلنا حضورهما بتغريدة ناعمة "في في في." فأجبتهما بهمهمة اوزّية مهدئة: "غانغ غانغ غانغ." وأملت ألاّ يلاحظهما أحد. لكن ذلك لم يجد، إذ ان البائع حدّق الي مشدوهاً. وبعد سقسقة أخرى لم أرَ بداً من الخروج، وكانت تلك آخر مرة أصطحبهما الى التسوق.

عندما وصلنا الى البيت وضعت الفرخين على أرض الممر المؤدي الى المنزل، وأردتهما ان يلحقا بي الى باب المدخل. رفع أحدهما رأسه عالياً ففقد توازنه وانقلب. فدعوته "بورتسل" أي "المتشقلب". أما الثاني فدعوته "فلوكه" أي "الزغبي" لرقته ونعومته.

نزعت حذائي أمام الباب ودخلت البيت، لكن بورتسل وفلوكه بقيا واقفين قرب حذائي. وكان كونراد لورنز لاحظ منذ العام ١٩٣٥ أن الاوز الحديث التفقيس يطلب التعرف الى امه، وهذه ظاهرة تسمح للبشر بانتحال دور الام. وفي معظم الاحوال لا تتذكر الفراخ المتفتحة على الانسان سوى ألوان ثيابه وحذائه، مما اضطرني الى ارتداء الثياب ذاتها على مدى أسبوع الى أن يتوصلا الى تمييز صوتي.

كان الفرخان يحتاجان الى نوم كثير. وتبقى الأوزة الام دائماً مع فراخها لكي تمنحها الدفء والامان تحت جناحيها. وخلال النهار كان بورتسل وفلوكه يتدافعان تحت سترتي. وفي الليل كنت أضعهما داخل صندوق صغير قرب سريري وأغطيهما بمنشفة وأدفئهما بمصباح كهربائي. وكانا يسقسقان باستمرار كأنهما يسألانني "أما زلت هنا؟" ولا يطمئنان الا بعد أن أجيبهما.

في يومهما الرابع عدت الى زيفيزن لتسلم فرخ آخر دعوته "فلو" أي "برغوث." وتسلمت معه حاضنة نقالة تحتوي على ثلاث بيضات، اثنتان فيها على وشك النقف. وكنت أسمع بين الحين والآخر سقسقة ضعيفة، الى أن رأيت من خلال فتحة صغيرة طرف منقار دقيق يشق القشرة القاسية. لكنني لم أرَ الكرتين الصوفيتين الصغيرتين الا بعد انقضاء النهار. وكان أحد الفرخين الجديدين أسود، بينما تميز أشقاؤه بكساء بني ضارب الى الرمادي ومرقط بالاصفر. فدعوت الاسود "بونكتشن" أي "مرقط" والآخر "موكه" أي "ذبابة."

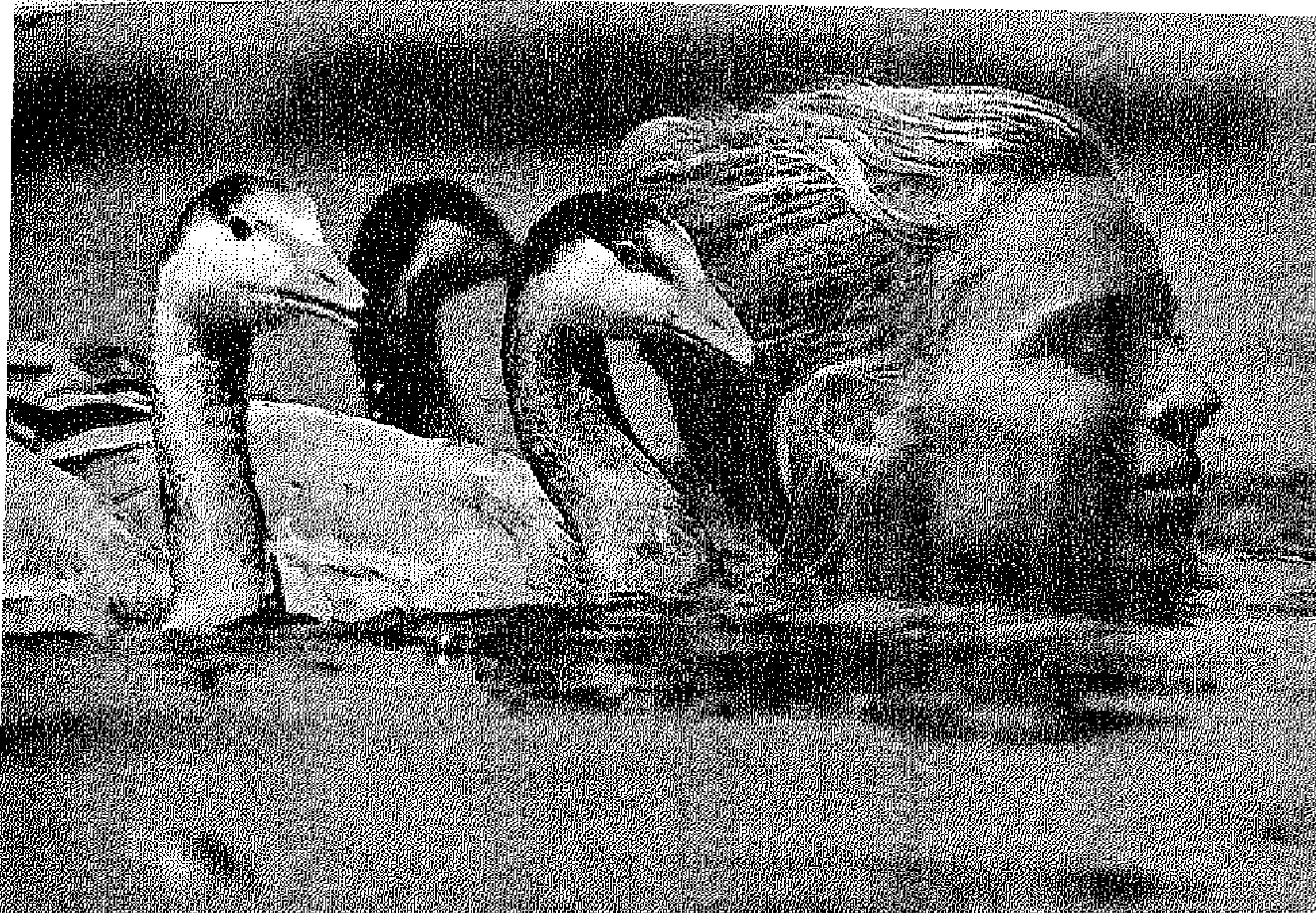
(*) Anser indicus

كانت سقسقتهما حافزاً قوياً للفرخ الثالث الذي عمل بكل طاقته للخروج من البيضة، فكانت هذه تترجح الى الامام ثم الى الوراء، وتصدر منها طرقات خفيفة. وفي الاول من يونيو (حزيران) خرجت "يولشن" أي "جولي" من البيضة، واستغرقت عملية خروجها ثلاث ساعات فقط بينما استغرق خروج شقيقيها نحو يومين. وها هي الآن تتمدد منهكة داخل الحاضنة وزغبها لا يزال مبللا وملتصقاً بكسور القشور. ولكن بعد بضع ساعات من الاحتكاك المتواصل بسترتي سقطت القشور ونفش الزغب الناعم.

السلوك الفردي. لا تطعم أمّات الاوز فراخها. ففي الساعات الثماني والاربعين الاولى تقتات الفراخ ببقايا صفار البيض. ثم تشير الام بمنقارها الى ما هو صالح للاكل. وخلال جولاتنا القصيرة حول المنزل جعلت من ابهامي وسبابتي منقاراً. أشرت به الى الاعشاب وقطفت به البرسيم والهندباء البرية والاعشاب. الا أن الفراخ وجدت في العشب النابت في شقوق المصطبة وفي ثلم الخس قربها خير غذاء. وكانت الخسات مصفوفة في أثلام جميلة، ولكن لم يمض وقت قصير حتى تعرت من أوراقها.

تعرفت الفراخ الى الماء في البركة الصغيرة أمام المنزل. وكنت أقف داخلها وأغوي الفراخ بصوت ناعم على الغطس. وكان بورتسل وفلوكه سباقين الى تلبية الدعوة. وجذب صوت غطسهما في الماء الفراخ الأخرى التي ما لبثت ان غطست بين قدمي. وحدها يولتشن لم تنجح، إذ ظلت مؤخرتها طافية مثل فلينة فوق الماء.

بعد السباحة شرعت الفراخ تسوي ريشها بمناقيرها. وللطائر المائي غدة شحمية خاصة فوق ذنبه يشحم بدنه بافرازاتها كي لا يغرق. أما فراخ الاوز فلا تعمل غددها الشحمية الّا بعد بضعة



WOLFGANG ENGLERT

الكاتبة تسبح
مع موكه ويولتشن.
والى اليسار،
الخس وجبة فاخرة لموكه.

أسابيع من تفقيسها. والى ذلك الحين ترطب زغبها من طريق حكه بريش أمها. وقد أثبتت سترتي الصوفية قصورها في هذا المجال اذ لم تق زغب فراخي من البلل. وبعد كل "حمّام" كانت الفراخ تبدو مثل فئران مبللة.

"كيف يمكنك التمييز بين فراخك الستة؟ فهي متشابهة تماما."

كثيراً ما طرح علي هذا السؤال. لكنني لم أواجه صعوبة في التمييز بين فراخي، فلكل فرخ صوت مختلف ووجه خاص وسلوك مميز. وقد لمس بورتسل وفلوكه استقلاليتهما في مرحلة مبكرة، ولازم واحدهما الآخر باستمرار. وترأس بورتسل المجموعة منذ البداية، لكنه بين الفينة والاخرى كان يشعر بتحدي فلو وهو المتذمر الاكبر. أما يولتشن فكانت منشرحة الصدر معظم الاحيان ومنفتحة على كل جديد. وكثيراً ما كان فضولها ينسيها اللحاق بي وباخوتها. أما موكه



GUNTER ZIESLER

وبونكتشن فكانا الاكثر التصاقاً بي يتوددان الي في كل سانحة.

يوماً بعد يوم نمت حيوية الفراخ وحاجتها الى الحركة. وكان وزنها يتضاعف كل أسبوع. وسرعان ما ألفت الجوار ولم أدر بها الا وقد اضطلعت بدوري فباتت تسير امامي خلال نزهاتنا اليومية الى البركة أو عبر الغابة.

وبدت الحفر المملوءة بمياه الامطار أنسب المواقع للعب بالماء. فكانت الفراخ تعكرها بأقدامها المكففة باعثة فيها غيوماً من الوحل، ثم لا تلبث أن تبحث بمناقيرها عن حصى صغيرة تخزنها في معدها لتساعدها على الهضم. وتركض فجأة في كل اتجاه باسطة أجنحتها القصيرة، ثم تدور وتتجمع تحت قدمي كأنها تنفذ أمراً سرياً. هذا النوع من التفرق هو، مثل الغوص في المياه، ضرب من اللعب. لكنه أيضاً سبيل لنجاة الاوز البري عندما تتهدده الثعالب أو الطيور الكاسرة.

حان الوقت لاصطحب فراخي الى نهر آك الذي يبعد ٥٠٠ متر عن بيتي. ركضت الفراخ أمامي طوال الطريق. ولكن عندما دخلنا أراضي مجهولة تهادت خلفي رافعة أعناقها بتيقظ ولم يكن ثمة ما يردعها عندما وصلنا الى النهر، فانزلقت رأساً على عقب من الضفة الى المياه.

وكان عرض لفنون السباحة. فقد مارس موكه ويولتشن "الشقلبة" والوقوف على الرأس. وترجح كل من بورتسل وفلوكه يمنة ويسرة مصفقين بأجنحتهما باهتياج شديد. أما فلو وبونكتشن فمارسا الغوص. وعندما كان

أحدهما يطفو على ظهره لم يظهر منه الا الاقدام والبطن. وكانت الفراخ جميعها ترش الماء بحماسة، فتبللتُ وأنا جالسة على الضفة.

تعلم الطيران. في منتصف يونيو (حزيران) نبت لفراخي بعض ريش عوض الزغب. وعظمت شهيتها للطعام وباتت


WALTER HOFER

الفراخ مرتاحة خلف المقود.

تبدي اهتماما بخضر أخرى غير البرسيم والهندباء البرية، كالملفوف الغض مثلا. لكنني رفضت التضحية بالملفوف كما ضحيت بالخس، فسيجت مسكبة المزروعات.

في الاسابيع الثلاثة السابقة أصيبت فراخي ببعض "أمراض الطفولة." فعانى موكه وفلوكه أولا التهابا في العيون، ثم التهبت حنجرة فلو. وفي احدى جولاتنا أثار بونكتشن قلقي إذ رفض الاكل ومتابعة السير وارتضى أن أحمله الى البيت. وفي اليوم ذاته أصيب باسهال حاد، فأخذته مساء الى الطبيب البيطري الذي أعطاه حقنة... ولكن بعد فوات الأوان. ففي صبيحة الغد نفق بونكتشن بين ذراعي. شعرت بالحزن طبعاً، لكنني أدركت أن احتمالات الوفاة هي أعلى في الطبيعة، وأن علي أن أفرح إذا استطعت المحافظة على الفراخ الخمسة الباقية.

كان بورتسل وفلوكه في أسبوعهما السابع عندما استحوذت عليهما الرغبة في الطيران. فما ان خرجا من البيت حتى أخذا يركضان في أرجاء الفناء مصفقين بأجنحتهما باهتياج. وكان أثر ذلك معدياً، إذ سرعان ما انضمت اليهما الفراخ الثلاثة الاخرى. وتعلمتُ كلمة جديدة من قاموس الاوز هي "غاق" حادة افترضت أنها تعني: "هيا بنا نطير!"

كانت مساحة المرجة خلف البيت صغيرة نسبياً ولا تفي بحاجة تمارين الطيران. الا أن جارتي سوَّت جانبا من أرضها، فقدت فراخي الى هناك وركضت أمامها. حقق مسلكي هدفه، إذ تبعتني الفراخ وهي تقفز وتصفق بأجنحتها.

وقوي اصطفاق أجنحتها يوما بعد يوم. وفي اليوم الاخير من شهر يونيو (حزيران) حان وقت الطيران. فركضت الفراخ أمامي نحو "المدرج." وبعد اجتيازها بضعة أمتار ارتفعت للمرة الاولى في الهواء وحطت على بعد عشرين مترا الى جانب الطريق. ولاحظت من جديد أن يولتشن احتاجت الى الركض مسافة أطول.

وسط هذه الاثارة الجديدة زادت رغبة الفراخ في الطيران. وبات مدرج جارتي

دائم الانشغال. كانت الفراخ تبدأ نهارها بجولات صباحية فوق المنازل المجاورة. ثم أدرجت نهر آك في برنامج طيرانها. ولم يكن نمو أجنحتها اكتمل بعد. وعلى رغم قدرتها الغريزية على الطيران كانت لا تزال في حاجة الى اتقان الاقلاع والهبوط والمناورة. وكان قلقي يزداد كلما ارتفعت أكثر في طيرانها. فثمة منازل وأسلاك هاتف وكهرباء، وأنا لا أستطيع الطيران في الطليعة لأحذرها من الخطر كما تفعل أمات الاوز الاصيلة. وبعد فترة وجيزة بت عاجزة عن اللحاق بها ركضاً. وفي نزهتنا التالية الى بحيرة هوبفن امتطيت دراجتي ولحقت بها. وعندما وصلت لاهثة وجدتها ترعى في انتظاري.

وعلى رغم قدرتها الجديدة على الطيران ظلت متعلقة بي. وغالباً ما كانت تعود من نهر آك عندما تلاحظ غيابي. وحتى أثناء طيرانها كانت تبقى على اتصال صوتي بي، وكلما ناديتها: "تعالي" عادت وحطت بقربي.

نداء الحرية. ذات أمسية في أواخر أغسطس (آب) رفضت الفراخ اللحاق بي الى المنزل. لا شك في أن غريزتها انبأتها بوجوب المبيت عند البحيرة. وبقلب كسير عدت وحدي الى البيت، فطوال ثلاثة أشهر قاسمتني هذه الفراخ غرفتي وها هي فجأة تصبح بالغة. لقد فعلت كل ما يمكن لتحضيرها لحياة البراري، وها هي الآن جاهزة لذلك. على الاقل، أستطيع الآن أن أحظى بساعة نوم هانئة.

عند انبلاج الفجر صحوت على تحية صباحية حارة. وما ان جلست على العشب حتى قفز موكه الى حضني وغفا. ربما كان البلوغ يتطلب وقتاً أطول. وبعدما قضينا النهار كله معاً ظهر التململ على الفراخ. وقبيل حلول الظلام طارت نحو بحيرة هوبفن.

منذ ذلك الحين صار يومي يبدأ بزيارة الفراخ الصباحية. وكانت دقات قلبي تتسارع كلما لمحت طيفها في الجو.

ذات عصر في أوائل سبتمبر (أيلول) ذهبت في السيارة الى البحيرة فلم أجد فراخي هناك. لكنني وجدتها أخيراً على الضفة المقابلة في متنزه قرية هوبفن. فسألني اثنان من المارة: "تلك فراخك، أليس كذلك؟ كانت واقفة وسط الطريق. وكلما مرت سيارة بسطت أجنحتها ولم تتزحزح قيد أنملة. أخيراً طاردناها وأبعدناها عن الطريق، وما زلنا نراقبها."

وبعد أيام راقبت الفراخ من بعيد. قضت معظم وقتها على ضفة البحيرة. وفجأة رأيتها تتجه نحو الطريق. وبعد وقت قصير سمعت ازيز عجلات سيارة أرغمت على التوقف فجأة، فقلت لنفسي: ماذا لو وقع حادث؟ سأضطر الى دفع الاضرار. كيف أعلمها أن تخاف الطرق؟

قصدت شركة تأمين وسألت الموظف: "هل يمكنني الحصول على بوليصة تأمين رسمية على خمسة فراخ أوز برية؟" فنظر الي مندهشاً ثم عبس مفكراً وانهال علي بوابل من الاسئلة. وبعد اتصال هاتفي أجراه مع المدير حصلت على البوليصة.

تطوع أبي لتمثيل دور "الفزاعة." فتسلّح بقرن كبير وبعلب تنك فارغة. وكان

كلما اقترب أحد الفراخ من الطريق أصدر جلبة رهيبة. وهو نجح في مسعاه – على الاقل في الايام القليلة التالية – إذ أبقى الفراخ بعيدة عن نطاق الخطر.

ومع أن الصيف كان لا يزال مخيماً على الريف في أواخر سبتمبر (أيلول) فقد ازدادت رغبة الفراخ في الطيران. فموعد الهجرة السنوية للطيور يقترب في موطنها الآسيوي الاصلي. ويطير الاوز المخطط الرأس عبر جبال حملايا الى قواعده الشتوية في السهل الهندي الشمالي. وللوصول الى هناك عليه أن يعلو أكثر من أي طائر آخر. وأدركت أن فراخي لن تطير بعيداً، فالطيور الصغيرة تتبع والديها اللذين يقودانها في طريق هجرتها. ولكن خلال الايام القليلة السابقة لم تعد فراخي تمضي الليل عند بحيرة هوبفن، بل كانت في كل مساء تطير شرقاً الى بحيرة فورغن حيث انتقت مضجعاً بين القصب، ولا تعود الى بحيرة هوبفن الا مع انبلاج الفجر.

وحان وقت الوداع. فريبياتي التي أمضيت معها ما يقارب خمسة أشهر باتت قادرة على الاعتناء بذاتها. وصباح يوم أحد من شهر أكتوبر (تشرين الاول) غطّى ضباب الخريف الرطب البحيرة. واذ أعلنت ساعة البرج المجاور تمام السادسة انبثقت أطياف خمس اوزات برية من جدار الضباب الرمادي وامتزجت نداءاتها البهيجة برنين الاجراس. ناديتها، فهبطت مرة أخيرة من أعاليها إليّ.

لقد تحقق حلمي.

أنجليكا هوفر ■



توارد خواطر

عندما كنا ندرس نظرية "توارد الخواطر" في صف علم النفس، قال الاستاذ المحاضر إنه سيقف في صدر القاعة ويرسل افكاره الينا. وطلب منا تسجيل الافكار التي ترد علينا لمقارنتها لاحقاً بافكاره.

وران صمت مطبق على الصف اذ وقف المحاضر بوقار واغمض عينيه محاولا التركيز. لكن طلاباً ضعيفي الارادة لم يتمالكوا انفسهم ومضوا يقهقهون بصوت مكبوت. لكن الصف بكامله انفجر ضاحكاً عندما سأل أحدهم الاستاذ بصوت هادىء: "هل تسمح باعادة السطر الأخير؟ لقد فاتني تسجيله بسبب القهقهة."

أ.د.ك.

ميلاد ضوئي

فاجأتني عائلتي بقالب حلوى يوم عيد مولدي أضْفَى عليه لمسة بارعة. فبدلا من الشموع غرزت "لمبة" في القالب وحولها ورود من السكر.

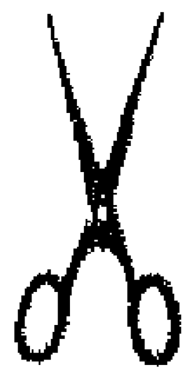
أ.ل.

المختار

الرجاء ارسال القسيمة والشيك بالبريد المسجل (المضمون)
الى احد العناوين الآتيين:

البنك المتحد للاعمال ش.م.ل.
ص.ب. ٧١٦٥ - ١١٣
بيروت - لبنان
ALLIED BUSINESS BANK S.A.L.
P.O.BOX 113-7165
BEIRUT-LEBANON
(TELEX 43321 ALBANK)

AL MUKHTAR
C/O Mrs. Annick Meadows
P.O.BOX 4271, NICOSIA 163, CYPRUS.



الرجاء وضع العبارة الآتية على غلاف الرسالة: "اشتراك في مجلة المختار".

ستة ناجحين يتذكرون
دروساً تلقوها في انطلاقتهم الاولى
الى ميدان العمل

إعملوا ماتحبّون

صانع القبعات

خلال نشأتي في الأحياء الفقيرة شمال فيلادلفيا بولاية بنسلفانيا، كان الحصول على عمل أمراً ممكنا لأي ولد. وتوجب علي أن أعمل لأن والدي تخلّى عنا وكانت أمي في حاجة الى مساعدة مادية.

عملت ماسح أحذية. وكان أحد زبائني رجلا يملك معمل قبعات للسيدات. وما عتم أن طلب مني أن أعمل لديه في تسليم رزم البضائع. ولدى بلوغي الرابعة عشرة رقّاني الى العمل في خياطة أطر القبعات. وكان ينقدني ٥٠ سنتا في الساعة، فأعمل لديه بعد انصرافي من المدرسة.

وذات يوم طلب مني أن أساعده في عطلة نهاية الاسبوع لتحضير قبعات موسم الخريف. أبديت تمنعا في بادىء الامر اذ كنت على موعد مع صديقتي للذهاب الى حديقة الملاهي. لكنه أفحمني اذ سأل: "أيعقل أن ترفض كسب المال وتخرج وتصرف مالا؟"

فاستصوبت الذهاب الى العمل.

وقال لي مرة ثانية: "أتعلم أنه أسهل علي كثيراً أن أبيع زبوناً مكنسة كهربائية لماعة من أن أقنعه بشراء سهم ماليّ واحد؟"

فسألته: "وما هو السهم؟"

فعرّفني الى عميل في البورصة اقترح عليّ شراء سهم في شيء أحبّه. وأحببت "بيبسي كولا" فاشتريت فيها سهما بقيمة ١٨ دولاراً.

بعد ذلك شرعت أقرأ الصفحات المالية في المجلات والصحف للاطمئنان الى أوضاع شركتي، وما لبثت أن اشتريت مزيداً من الاسهم بعتها بـ٢٨ دولاراً للسهم الواحد لدى التحاقي بالجامعة. وبعد تخرجي عدت الى سوق الأسهم المالية لتوظيف مالي من أجل مستقبل عائلتي.

صرفت من عملي في مصنع القبعات وأنا في السن السادسة عشرة. فقد وشى أحد العمال بصاحب المصنع الى دائرة الاجور في وزارة العمل لانه يشغل قاصراً.

وقال المحقق لأمي إن رب العمل يستغلني. يستغلني أنا! فيا له من

استغلال رسم طريق حياتي.

ولتر وليمس "أستاذ ممتاز" في كلية الاقتصاد بجامعة جورج مايسون في ولاية فرجينيا. وهو صحافي مرموق ومؤلف أربعة كتب.

البنّاء

بعد توقفي عن الدراسة أردت أن أنشىء شركة بناء خاصة ولم يكن في حوزتي سوى ١٢٠٠ دولار ادخرتها من العمل صيفاً مع والدي الذي كان ناظراً في ورش البناء. فقدمت عرضاً في "مناقصة" على ورشة للاشغال العامة قرب منزلنا في شمال ولاية نيويورك. لكنني اكتشفت أنني في حاجة الى كفالة للفوز بعقد العمل. وسألني المسؤول عن الكفالات: "هل لديك اعتماد في المصرف؟" ولم أفقه ما الذي كان يتكلم عنه. فتوجهت الى أحد المصارف حيث استُجوبت ساعتين كاملتين الى أن أقنعت المسؤولين بأنني أستطيع الفوز بالمناقصة ضد شركات مهمة. واشتركت في المناقصة بعرض متدن جداً بلغ ١٣ ألف دولار. وبلغ ثاني أدنى العروض ١٨ ألف دولار. فرست المناقصة علي.



أرعبني فوزي. وكاد أبي يجن لاعتقاده أنني سأنتهي الى الافلاس. وكان ذلك اعتقادي أنا أيضاً. لكن عرضي المتدني جداً كان بَرَكة مخفية، فالمرء يبذل جهداً أكبر حين يكون مرتاعاً.

ولكي أتمكن من دفع ايجار المعدّات التي احتجت اليها، كنت أنهض في الرابعة صباحاً وأعمل في حفر أقبية للمنازل حتى السابعة، موعد بدء العمل في ورشة الاشغال العامة. وفي السادسة مساء أعود الى حفر الأقبية لمدة ثلاث ساعات. وكنت أتقاضى ٥٠ دولاراً عن كل قبو، وأحفر أربعة أقبية في اليوم. وبذلك تمكنت من تسديد ايجار المعدات.

كان العمل مضنياً، ولكن بعد انتهاء الورشة بات لدي رأس مال متواضع، وسجل رسمي لانجاز الاعمال لدى الدوائر المعنية، وثقة بالنفس تنبع من المخاطرة في سبيل تحقيق الاهداف.

روبرت ج. كونغل صاحب غالبية الاسهم في "بيراميد" كبرى شركات تشييد المجمعات التجارية في شمال شرق الولايات المتحدة.

البائعة

كان أبي يملك محلا للبقالة وآخر لبيع الزهور في بلدة مونتروفيل الصغيرة بولاية الاباما. وكنت في الثانية عشرة من عمري أساعده في تفريغ البضائع وطلب الزهور وتنسيقها، فأنهض في الخامسة صباحاً لاكون في المحل وألبّي طلبات العمال الذين يشترون اللحم والخضر لوجبة الغداء التي يتناولونها في حقول القطن.

لكني شأن جميع الصغار لم أحسن العمل دائماً، فكنت أهمل عد قطع النقد المعدنية أو اتغاضى عن تنظيف بعض الاسلاك في رف برّاد اللحم، فيجبرني والدي على اعادة تنظيفها بفرشاة أسنان.

PHOTO: © CHICAGO TRIBUNE / WALTER KALE

وكان يدفع لي ١٠ دولارات في الاسبوع، وكنت شغوفة بمطالعة الكتب. لكن المكتبة العامة كانت محرَّمة على الاولاد السود، لذا كنت أصرف خمسة دولارات في الاسبوع ثمنا للكتب وأدخر البقية لدخول الجامعة.


© J.L. ATLAN / SYGMA

وذات مرة كنت مكبة على القراءة، فأهملت تلبية أحد الزبائن. فاستشاط والدي غضبا وهزّني بعنف قائلا لي: "إياك أن تكوني فظة مع هؤلاء الناس، فهم من يتيح لك شراء هذه الكتب؟"

ولطالما تذكرت قوله هذا. وما أنا الآن سوى حصيلة ما تعلمته آنذاك.

مارفا كولينز مؤسسة مدرسة "وستسايد" الاعدادية في شيكاغو بولاية ايلينوي وهي حازت جوائز عدة تقديراً لعملها مربية.

■ ■ ■ ■ ■ ■ ■ ■ البحار

كنت على متن سفينة تجارية متجهة من الفيليبين الى هونولولو (جزر هاواي) حين ضربنا اعصار بعد ثلاثة أيام من مغادرتنا الميناء. ترنّحت السفينة تحت وطأة الامواج، وفكّ رباط ١٢ برميلا من الزيت فتدحرجت على متنها. واستحال وقوف شخص واحد بمفرده أمام البراميل المتدحرجة، فعملنا كفريق وحاصرنا البراميل ثم ثبتناها في أماكنها.

وفي ما بعد، في الحرب العالمية الثانية، كنت بحاراً مكلفا مراقبة قافلة من ٤٠ أو ٥٠ سفينة محملة ذخائر. وفي برد الشتاء القارس ووسط العواصف الهوجاء التي تهب على شمال المحيط الاطلسي، كنت أقف على منصّة مكشوفة أراقب السفن فيتكثف الجليد على وجهي وملابسي. وكانت نوبتي في المراقبة تدوم أربع ساعات كأنها الأطول في التاريخ. لكنها علمتني أمرين مهمين حقا: كيف تنجز عملك، وأي نوع من المعاونين أنت. ولا شيء عدا ذلك يستحق الاهتمام. فحياة الجميع متوقفة على كل فرد من البحّارة. وتلك أمثولة في أهمية التضامن البشري،فإن أحجمت عن حماية زملائك البحّارة ومساندتهم لغرقوا وغرقت أنت معهم.

© BETTY ENGLE LEVIN

لين كيركلاند رئيس الاتحاد العمالي الامريكي ورئيس مجلس المنظمات الصناعية.

■ ■ ■ ■ ■ ■ لاقط الكرات

إبان الازمة الاقتصادية في الثلاثينات كنت في المدرسة الثانوية. وعملت خلال فصل الصيف مساعداً للاعبي الغولف في عطل نهاية الاسبوع. وكان الاولاد الذين يسبقون سواهم الى الملعب يضمنون الحصول على تلك الوظيفة، لذا كانت أمي تنهض في الرابعة صباحا لتحضير فطوري وغدائي فيسهل علي الوصول أولا الى الملعب.

وفي سنتي الثانية خطر لي أن أسأل

لاعبي الغولف أن يطلبوني كمساعد. ولم يكن الامر سهلا أدبيا، وتطلّب بعض الشجاعة لشعوري بأن هؤلاء أرفع


© CNS

مني منزلة. الا أن الحظ ابتسم لي حين كنت أساعد أحد أصحاب المصارف الذي قذف الكرة فانحرفت وسقطت في بحيرة. فما كان مني الا أن خلعت سروالي وخضت الماء ورحت أتلمس قعر البحيرة بأصابع رجلي حتى وجدت الكرة. سرّت بادرتي صاحب المصرف كثيراً، فاغتنمت الفرصة وعرضت عليه طلبي. ومنذ ذلك الحين كان كلما لعب الغولف يطلب أن أكون مساعداً له.

بعد ذلك أصبح الامر أسهل. وبت ملما بطلب المساعدة من الناس، أسألم أن يكونوا مراجع لي يشهدون لمؤهلاتي عند الحاجة. ولا جدوى من ذلك ان كنت لا تتقن عملك، ولكن ان أحسنت الاداء أحب الناس مساعدتك. ولكي تنجح، لا بد من أن تلازمك أهدافك خلال الأكل والنوم، وفي الاحلام، انما من المهم أيضاً الا تخشى طلب المساعدة.

كورت كارلسون منشيء مجمّع يضم ٧٥ شركة بلغ دخلها الاجمالي عام ١٩٨٩ نحو ستة مليارات دولار.

■ ■ ■ ■ ■ ■ تاجر الصابون

بعدما خدمت في سلاح البحرية خلال الحرب العالمية الثانية، وجدت نفسي حائراً في ما أعمل. لم تجذبني مهنة معينة، فعملت في حقل التأمين ثم أصبحت بائع صابون الى المستشفيات ومحلات غسل الملابس. فعرفت أني أملك موهبة البيع. وأذكر اجتماعي برئيس قسم المبيعات، كان يبدو سعيداً ويجني مالا كثيراً. لكني تساءلت: هل سأستمر أبيع الصابون بقية أيام حياتي؟

ثم ألتقيت رجلا يبيع اعلانات لاذاعة «WOR» في مدينة نيويورك. فجال بي في الاستوديو، وجلست مأخوذاً في غرفة البث أستمع الى اذاعة أحد العروض الكلامية اليومية. وكأن نوراً أضاء ادراكي فجأة، فعرفت للحال أن أمنيتي الحقيقية هي العمل في الاذاعة. وحصلت على وظيفة تأمين اعلانات تجارية لاذاعة «WOR» وهي عملاق صناعي في كبرى الاسواق الامريكية. وحققت نجاحا باهراً في عملي لانني أحببته حقاً.

من المهم، اذا لم تكن سعيداً في عملك، أن تتركه وانت لا تزال مرنا في ربيع العمر، قادراً على محاولة القيام باعمال جديدة. وحتى إن كان أجرك مغرياً ولا تجد عملك مثيراً فيجب أن تتركه اذ ليس في امكان أحد أن يجلّي في عمل مدة ٤٠ سنة اذا كان لا يحبّه.

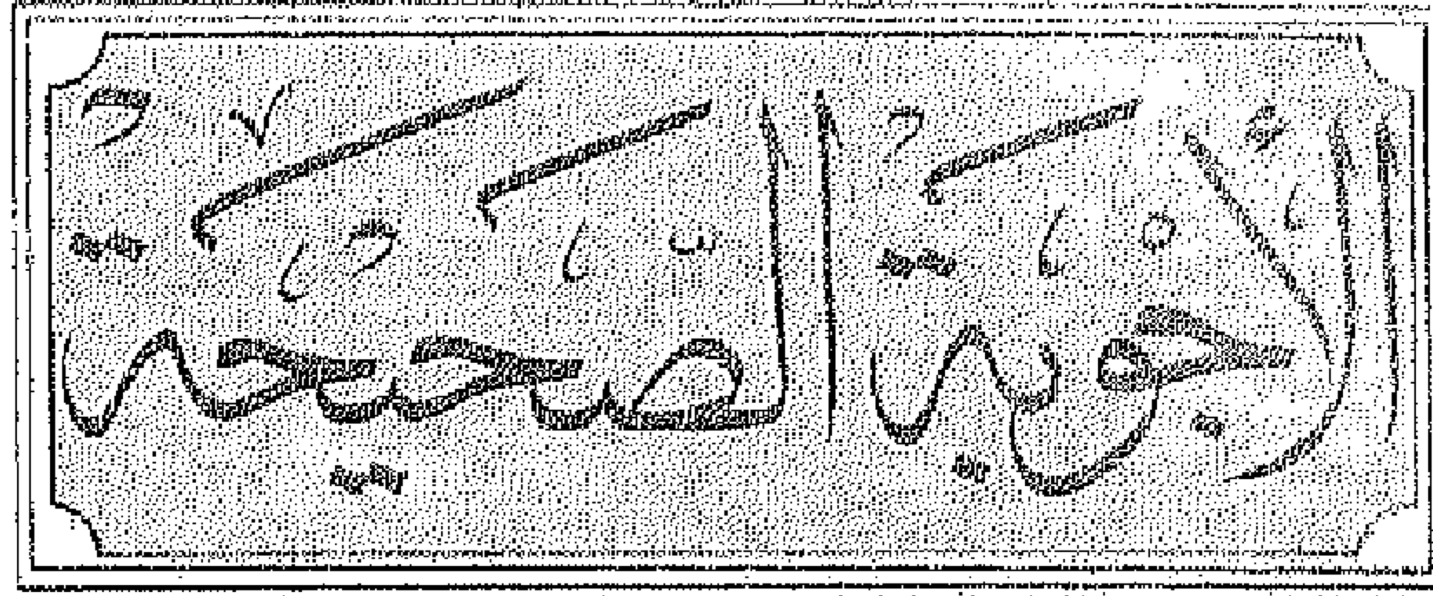
فرانك شكسبير رئيس قسم الخدمات التلفزيونية في شبكة «CBS» ومدير الوكالة الامريكية للمعلومات. وسفير سابق للولايات المتحدة في البرتغال (١٩٨٥ - ١٩٨٧) والفاتيكان (١٩٨٧ - ١٩٨٩).

راندي فيتزجيرالد ■

دائرة المعارف

كلمات الدائرة اسماء على وزن فعلاء. وقد وضع امام كل اسم اربعة معانٍ، واحد منها صحيح. وعلى القارىء أن يختار المعنى الذي يعتبره مناسبا، ثم يقلب الصفحة ليحصل على الاجوبة ويقيس مستواه.

١. **بغضاء**: طراوة – غض الطَرْف – بغض شديد – هلاك.
٢. **حصباء**: حصى – قصب طويل – عروس – من الامراض.
٣. **ضوضاء**: شهرة – جلبة – ضوء ساطع – كذب.
٤. **سحناء**: تجهّم – حُسْن – جبين – هيئة ولون.
٥. **هيجاء**: حرب – ريح شديدة – غضب – ناقة شرود.
٦. **رمضاء**: عطش – ألم مبرّح – شدة الحر – اغماضة عين.
٧. **لوماء**: لؤم – عذل ولائمة – اشارة – نحيب.
٨. **تُرْباء**: ذهب – تراب – قبر – فقر مدقع.
٩. **وعثاء**: عثرة – خراب – سفر – مشقة وتعب.
١٠. **قوباء**: قوس – جماعة من الناس – مرض – مصيبة.
١١. **عنقاء**: طائر خرافي – فرس أصيلة – حبيبة – كرمة.
١٢. **لألاء**: اهتزاز – فرح تام – ثرثار مهذار – قذارة.
١٣. **بيداء**: موت – بُعد – حقل خصبة – فلاة.
١٤. **فحشاء**: فحش – بكاء صاخب – ظلمة – أنثى الوطواط.
١٥. **كأداء**: شدة ومشقة – عرجاء – قصر يد – عجوز.
١٦. **برداء**: عباءة – ستار – حمى مع برد – قشارة.
١٧. **حنّاء**: أوان – نبات يخضّب به – حنين – طائر.
١٨. **حَوْباء**: نعش – حشرة سامة – نفس – نبتة عطرة.
١٩. **شحناء**: عداوة – ازدحام – شحوب – أمارات الوجه.
٢٠. **جلّاء**: تأجيل – عين واسعة – هيبة – خطب عظيم.
٢١. **حرباء**: رمح قصير – غارة – عقرب – زحّافة متلونة.
٢٢. **غوغاء**: جلبة – سفلة الناس – اشاعات – كلام النائم.
٢٣. **سرّاء**: سر – مشي الليل – مسرّة ورغد عيش – سيادة.
٢٤. **بَوْغاء**: فساد – غاية – بلاغة – ما ثار من غبار.
٢٥. **فيحاء**: دار واسعة – حيّة ناشبة – رائحة – بستان.



١. **البغضاء**: البغض الشديد.
٢. **الحصباء**: الحصى. الحَصِبة: ريح شديدة تثير الحصباء.
٣. **الضَـوْضاء والضِيْضـاء**: الجلبة، وأصوات الناس في الحرب أو الازدحام.
٤. **السحناء**: الهيئة واللون. أيضاً: لين البشرة والنعمة.
٥. **الهيجاء**: الحرب.
٦. **الرَمْضاء**: شدة الحر. أيضاً: الارض الحامية من شدة حرارة الشمس.
٧. **اللوماء**: العذل واللائمة.
٨. **التَرْباء**: التراب، والارض ذاتها. يقال "بينهما ما بين الجرباء والترباء" أي ما بين السماء والارض.
٩. **الوعثاء**: المشقة والتعب. أيضاً: كل خصلة مكروهة. يقال "ركب الوعثاء" أي أذنب. وعثاء السفر: مشقته.
١٠. **القوباء**: داء يتقشر منه الجلد ويعرف عند العامة بالحَزاز.
١١. **العنقاء**: طائر خرافي، ويدعى عنقاء مُغْرِب والعنقاء المُغرب والمُغربة. يقال "حلّقت به في الجو عنقاء مغرب" أي هلك وبطل.
١٢. **اللألاء**: الفرح التام. أيضاً: بائع اللؤلؤ. لألاء السراج: ضوءه.
١٣. **البيـداء**: الفلاة أي الصحـراء الواسعة.
١٤. **الفحشاء**: الفحش وما يشتد قبحه من الذنوب.
١٥. **الكأداء**: الحزن والشدة والمشقة. أيضاً: الليل المظلم. عقبة كأداء: شاقة.
١٦. **البرداء**: الحمّى مع البرد.
١٧. **الحنّاء**: نبات يُتخذ ورقه للخضاب الاحمر وله زهر أبيض كالعناقيد، مهده الاصلي الهند. أبو الحنّاء: طائر صغير أحمر الصدر.
١٨. **الحَوْباء**: النفس. قيل هي مأخوذة من الحَوْبة بمعنى الحاجة لكون النفس موطناً للحاجات.
١٩. **الشَحْناء**: العداوة امتلأت منها النفس.
٢٠. **الجلّاء**: الجُلّى أي الامر الشديد والخطب العظيم.
٢١. **الحرباء**: ضرب من الزحّافات تتلوّن ألواناً مختلفة ويضرب بها المثل في التقلّب.
٢٢. **الغوغاء**: الجراد. أيضاً: سفلة الناس. والعامة تقول "غوغاء" بمعنى الجلبة واللغط.
٢٣. **السرّاء**: المسرّة ورغد العيش ونقيض الضرّاء. يقال "هو صديق لهم في السرّاء والضرّاء" أي في الرخاء والشدة.
٢٤. **البَوْغاء**: ما ثار من الغبار ودقائق التراب. بوغاء الطيب: رائحته.
٢٥. **الفيحاء**: لقب طرابلس والبصرة ودمشق. والفيحاء: الدار الواسعة.

المستوى

٢١ - ٢٥: ممتاز
١٤ - ٢٠: جيد جداً
٩ - ١٣: مقبول

جزاء الإحسان

أخاه في الحرب عندما كان شريداً
وعندما كبر الصغير وصار مليونيراً راح يفتش على الجندي الطيب الذي أحسن اليه

لم يعرف أحد كنية طريد العدالة ولا ما اذا كان حياً. لكن كورتلند جونز الموظف المتقاعد في قسم مكافحة التجسس بمكتب التحقيقات الاتحادي «FBI» قبل مهمة البحث عن الطريد بشوق شديد. وقد دأب جونز على العمل محققاً خاصاً في بعض القضايا كي لا يصاب بالصدأ على حد قوله. لكن هذه ستكون احدى القضايا الأغرب والأصعب في حياته المهنية. لم يكن الطريد مطلوباً لجريمة اقترفها، بل لفعل رفق بالانسان أتاه في الخمسينات.

كانت كوريا الجنوبية التي قاست ويلات الحرب عام ١٩٥٢ مرتعاً لاكثر من مئة ألف يتيم يتسكعون في الأرياف. واسم احدهم بيك سانغ هاك وهو فتى في الثانية عشرة من عمره تستره مزق من الثياب ويقتات بالنفايات التي يطرحها الجنود الامريكيون.

استخدمته وحدة مدفعية تابعة للجيش الأمريكي في عداد "الأحداث الشاحبين" كما سموهم. وقد عمل ستة منهم في غسل الثياب وتنظيف المراحيض وقضاء الحاجات. وكان بيك أصغرهم ولا يتقاضى أجراً، لكن الجنود قدموا اليه الطعام والحلوى واللبان.

وكان بين الجنود الامريكيين واحد اسمه بيلي وله من العمر ٢٠ عاماً، جُبل على الحياء ورقة الحاشية فلم يشتم ولم يرفع صوته. وران عليه سمت من الحزن لم يفارقه. وكان لقيطاً.

اعتنى بيل ببيك عنايته بأخ أصغر، وأقام له سريراً في قبو تحت الارض. وعندما أصدر القائد الجديد أوامر بإخراج الاولاد من الاقبية نقل بيل وبيك فُرش الهواء والأغطية الى ناقلة جند مصفحة.

وكان من دأب بيلي أن يكرر على

مسامع الفتى أن على المرء أن يسلك سلوكاً قويماً وأن يكون ذا استقامة في معاملاته مع الغير. ولشد ما كان بيلي يغتم اذ يسمع بيك يلفظ كلاماً بذيئاً، فيعقب: "لا تتحدث هكذا. هذا لا يجوز."

وعلّم بيلي بيك بعض المفردات الانكليزية. وجعله يتلو: "هذه حلوى، هذا مدفع رشاش." وكان الصبي يستصعب النطق بهذه الكلمات.

وعمل بيلي ليل نهار على حشو مدافع الهاوتزر* من عيار ١٠٥ مليمترات لقصف مواقع العدو. وكان بيك يحضر اليه أكواب القهوة. وكلما تخلف الجنود عن العودة الى الناقلة كانت الخشية تدب في بيك فيخالهم قُتلوا.

وانهارت أعصاب الفتى غير مرة. واذ ينفجر منتحباً يطوقه بيلي بذراعه قائلاً: "لا تقلق. لن تدوم الحرب الى أبد الآبدين."

ذات يوم فيما بيك واقف على ضفة النهر، سقطت قذيفة على برميل وقود. أشتعلت ثياب بيك فوثب غاطساً في الماء. وجاءه بيلي مسرعاً وحمله الى سيارة جيب هرعت به الى مركز اسعاف. وانقضت ١٨ ساعة قبل أن يستعيد الفتى وعيه. ها هو ملفوف بالضمادات وقد احترق بدنه من الأمام من رأسه حتى أخمصيه.

حين فتح بيك عينيه رأى وجه بيلي حزيناً ينظر اليه من علُ. قال له: "لا تجزع. ستتحسن حالك." وبعد ثلاثة أشهر تعافى بيك وعاد الى عمله في الوحدة العسكرية.

ولمناسبة عيد الميلاد أهدى اليه بيلي علبة. فسأله بيك: "ما فيها؟"

أجابه: "أفتحها وانظر ما داخلها."

فتحها، فهاله ما رأى داخل العلبة: سروال جينز أزرق وقميص وحذاء وجزمة مخططة. كان بيك حتى ذلك الحين يلبس بزات عسكرية أكبر من قياسه، فكتب بيلي الى أحد الاشخاص في الولايات المتحدة – ظن بيك أنها أخته – يطلب ثياباً.

زُلزلت حياة الفتى بعد بضعة أيام اذ أرسل كل الاحداث العاملين دون السن الخامسة عشرة الى دور الايتام. وسرعان ما فرّ بيك. وحاول أن يعود الى فرقة بيلي، لكن الشرطة العسكرية أبعدته.

وقصد بيك مستوصفاً أمريكياً في سوكو، فحصل على وظيفة بواب. وتابع المسعفون هناك علاج حروق جسده.

في الرابعة عشرة أبلّ بيك تماماً. وكانت الحرب وضعت أوزارها فاتجه الى سيول. وعمل ١٨ ساعة يومياً بواباً في مصنع ينتج قبعات لتلاميذ المدارس. وشدت نباهته ورغبته في العمل انتباه صاحب المصنع. واذ بلغ الثامنة عشرة من العمر كان يدير مخزنين ومصنعاً صغيراً.

وما لبث أن ترك وظيفته بعد بلوغه التاسعة عشرة واستأجر مخزناً صغيراً. وأخذ يعمل في صنع القبعات كل مساء الى ما بعد منتصف الليل، ويقصد السوق فجراً لشراء المواد اللازمة، ثم يعمل طوال النهار في خدمة الزبائن. واستخدم مساعداً بعد ستة أشهر.

بيك اليوم من أثرياء كوريا. لديه ٣٨٠٠ موظف في ١٩ مصنعا في خمسة بلدان بينها الولايات المتحدة. وقد غلّت مصانعه ربحا اجماليا بلغ ٨٥ مليون دولار أمريكي عام ١٩٨٩. وهي تنتج اللوائن والصناديق و٤٨ مليون قبعة للاعبي البيسبول، يباع اكثر من نصفها في الولايات المتحدة.

أربعة في صورة

عبر السنين رسخ في نفس بيك أن نجاحه في الحياة مرده الى المثال الاخلاقي السامي الذي زوده اياه بيلي. وتاق الى رؤيته ثانية، ولكن أنّى له ذلك؟

في منتصف الثمانينات، وفاء لذكرى بيلي، اشترى بيك أرضا مساحتها ١٨ هكتاراً قرب مكان لقياه وصاحبه. فشاد هناك قرية بلغت كلفتها خمسة ملايين دولار وهي تؤوي اليوم ٦٠٠ من الايتام والعجزة والمعاقين والمعدمين. وفي القرية عيادة طبية ومركز للتدريب المهني ومزرعة. وأطلق بيك على بيت المعوقين اسم "دار بيلي."

يوم التقيت بيك في سيول في بداية العام ١٩٨٦ قال لي: "سأعثر على بيلي يوما ما بطريقة ما."

تذكر بيك أن الوحدة العسكرية التي انتمى اليها بيلي اتخذت جواداً قزماً شعاراً لها. وعلمت أنا أن هذا هو شعار كتيبة المدفعية المدرعة الرقم ٣٠٠. ونشرت لي مقالة بعنوان "البحث عن بيلي" في عدد يونيو (حزيران) ١٩٨٦ من الـ"ريدرز دايجست" طلبت فيها الى من يعرف شيئاً عن بيلي الاتصال بالمجلة. وتلقيت ردوداً من أكثر من ٣٠٠ قارىء للمجلة، لكنني لم أعثر على طرف الخيط.

وغدا البحث عن بيلي عملا لأهل الاحتراف. وتعرفتُ الى كورتلند جونز، وكان في نحو السبعين وقد أمضى معظم عمره في تضليل الجواسيس ومن لف لفهم. ووقعت قصة بيلي من نفسه وقعا مؤثراً.

ولاحت أول بارقة في رسالة وردت على الـ"ريدرز دايجست" من روبرت ج. ديفيس من كولورادو. وهو رقيب أول في السرية "أ" بالكتيبة ٣٠٠، متقاعد منذ أمد بعيد. لم يتذكر بيلي، لكن في حوزته لقطات مصورة عن أربعة "أولاد شاحبين" أصغرهم تلفه الضمادات من عنقه حتى خصره.

لقي بيك كورتلند جونز في نيويورك. واذ عرض عليه الصورة أيقن بيك أنه الصبي المضمد. لقد انحصر البحث عن بيلي في السرية "أ" لكن عدد أفرادها بلغ ١٣٠ كما تعاقب عليها مئات الرجال خلال الحرب.

سافر جونز الى شايين جوا آملا العثور على بيلي في عداد الحرس الوطني في وايومنغ. وأوضح له أحد الضباط أن الكتيبة ٣٠٠ وضعت في إشراف الحكومة المركزية بواشنطن لدى ارسالها الى وطنهم بأفراد من الجيش النظامي وافدين من أي مكان في أرجاء الولايات المتحدة الفسيحة.

وعكف جونز على تفحص جدول

بأسماء العناصر وأعمالهم يرقى الى العام ١٩٥٢. فعثر على ١٢ رجلا يحملون اسم بيلي. تعقب تسعة بالهاتف، فلم يكن أي منهم المحسن الذي حدب على بيك.

ثم التقى جونز عريفا في السرية "أ" اسمه وين سيكورد. لم يتذكر بيلي، لكنه ذكر أن بيك كان اصغر "الاحداث الشاحبين." ثم سلم جونز صورة فوتوغرافية له ولاربعة من أصدقائه في السرية "أ" وكانت أسماؤهم مكتوبة على قفا الصورة: الرقيبان ساباتينو وwايز والعريف هاك والنفر د. بيتي.

رمق جونز الصورة فألفاها غير ذات نفع. وأنى له أن يعرف أن أحد هؤلاء الاربعة هو بيلي.

لم تفض الادلة الاخرى الى شيء. وبعد سنة من البحث والتنقيب طوى جونز ملف البحث عن بيلي.

اجتماع في المطبخ

في نهاية العام ١٩٨٨ خطرت فكرة ببال الرقيب المتقاعد ديفيس. فنظم لقاء في كنساس سيتي بولاية ميسوري في مايو (ايار) ١٩٨٩ لقدامى أفراد السرية "أ" الذين تمكن هو وجونز من تحديد عناوينهم.

حضر الاجتماع أربعة عشر رجلا لم ير واحدهم الآخر من ٣٥ عاما. وجاء بيك في طائرة من سيول. وأكب لثلاثة أيام على تفحص أكثر من ألف صورة باخ لونها. وفيما هو ينظر الى احداها في اليوم الاخير من لقاء جمع الشمل صاح بغتة: "هذا بيلي!"

كانت الصورة غفلا من الاسم وقد التقطها لافيرن بابل الذي يعمل اليوم مزارعا في ليندساي بولاية نبراسكا.

أعمل الرجال الحاضرون اذهانهم. ثم قال أحدهم: "إنه ديف بيتي."

راجع ديفيس الجدول فعثر على اسم ديفيد بيتي ورقمه المتسلسل RA13283670 . لقد خلط بيك، لضعفه في الانكليزية في حداثته، بين "بيلي" و"بيتي."

تولى كورتلند جونز القضية ثانية. فوجد أن اسم ديفيد بيتي صاحب الرقم المتسلسل المذكور أدرج في قائمة الجيش في فيلادلفيا عام ١٩٤٨. لكن دليل الهاتف وملفات الآليات لم تؤد الى شيء. فعمد جونز الى التنقيب في سجلات أخرى، فتناهى اليه أن ثمة ديفيد بيتي في بورت ريتشموند، وهي منطقة تسكنها الطبقة العاملة في فيلادلفيا.

وعزمتُ وجونز على زيارة ديفيد بيتي هذا في منزله.

فتح لنا الباب رجل أشيب.

أخبرنا أنه حارب في كوريا، وأنه يذكر انه آخى صبيا صغيرا. سألناه هل تعرض الفتى الغر لحادث، فأجاب: "أجل، لقد أصيب بحروق."

افترت شفتا كورتلند جونز عن ابتسامة صغيرة. فبعد ثلاث سنوات ها هو قد عثر على مبتغاه.

كان بيتي في الثامنة والخمسين من عمره يطابق وصف بيك كما تذكره: رجل متواضع هادىء يفيض استقامة. واذ اخبرناه عن العرفان الذي يكنه له بيك بدا

وقد أشكل عليه، ثم قال: "لا أدري لم يولي الامور هذه الأهمية، اني كنت لأفعل ذلك مع أي شخص."

وُلد بيتي في فيلادلفيا ونشأ في دور رعاية. وكانت أول "أم" له ماري بول التي رعت عشرة أولاد صغار. وهي غرست في نفوسهم قول الصدق والعمل بكد ومن دون ملل.

ولمّا بلغ بيتي السن الرابعة عشرة لم تعد ماري قادرة على رعاية الاولاد. فعهد بالصبي المنكسر القلب الى السيدة كاثي كريدا التي أحبها بيتي حبا جما. فلبث عندها ثلاث سنين والتحق بالجيش وعمره ١٧ عاما. وعلبة الملابس التي جاءته في عيد الميلاد ذاك لم ترسلها أخته كما قدّر بيك، بل كاثي كريدا.

سرّح بيتي من الجيش عام ١٩٥٧. فعمل في فرن مدة ٢٠ سنة. وعندما اغلق الفرن عام ١٩٧٨ كان بيتي متزوجا وله أولاد صغار. فاضطر الى تدبير معيشته بشق النفس ملتحقا بوظائف موقتة.

وفي العام ١٩٨٢ عمل بوابا ليليا في مركز فيلادلفيا التجاري. وما زال في وظيفته تلك. وهو يكسب اليوم ٨ دولارات في الساعة، عاملا في تشغيل مصعد الشحن ونقل براميل النفايات الى رصيف التحميل.

ويعد بيتي نفسه محظوظا. فهو في صحة جيدة وله أربعة أولاد وهو وامرأته دوروثي زوجان سعيدان.

بيتي مولع بالرياضة، يحضر مباريات البيسبول في عطل نهاية الاسبوع. ولم يصل الى علمه خلال تلك السنين أن قبعات البيسبول المبيعة في المتنزه كانت من صنع ذاك الولد الكوري الرث الهيئة الذي آخاه قبل سنين.

بعد محادثتي مع بيتي هاتفت بيك وأخبرته: "قد عثرنا على بيلي."

بعد ثلاث ساعات ركب بيك طائرة في رحلة الى فيلادلفيا تستغرق ١٦ ساعة. وفي صباح اليوم التالي صحبته الى منزل بيتي.



قال بيك: "اني مضطرب الاعصاب." وانتظرني في السيارة فيما دخلت المنزل. قلت لديف بيتي: "انه في الخارج."

فسألني متوجسا: "ماذا أدعوه؟ أأقول له يا سيدي؟"

قلت: "ادعه ما كنت تدعوه... هاك."

خطا بيتي الى الشارع المشمس. واتجه بيك للقياه. حدق كل منهما الى الآخر، ثم تصافحا بوقار.

تبسّم بيتي وقال: "لقد كبرت مذ رأيتك آخر مرة يا هاك."

أجابه بيك مبتسما: "شعرك غزاه الشيب."

جلس الملياردير والبواب الى طاولة المطبخ وتحدثا عن الحرب وأفراد السرية وأعمالهما وأسرتيهما وآمالهما. بقيا هكذا مدة ست ساعات.

كان بيك يود أن يجازي بيتي على حنوّه، فلم يجده في حاجة الى شيء. فالبيت ملكه. ولم يشتر بيتي سيارة، ولا يرغب في ذلك، فهو يتنقل في الحافلات.

لكن بيك أصر على تقديم عون مالي. سيساعد ابنة بيتي لتمضي في دراسة التمريض، وسيساعد ابنه على دخول الجامعة.

وكان فعله يدل على جود نفس صاحبه. لكن المغزى الحقيقي لجمع الشمل ذاك هو حقيقة السلوك القويم الذي أرست دعاماته "أمّان" محبتان وتعهد سقياه جندي عادي في حياة مسحوقة لصبي مسكين أغدقه بدوره على مئات التعساء. هذا السلوك جزاؤه ينبع من ذاته.

ديفيد ريد ■

الطفل والبحر

عندما كان ابني في الخامسة من عمره، كان يطلب دائما نزع سدّادة المغطس بعد الاستحمام. وكان يدهشه منظر المياه وهي تدوّم في المصرف.

وذهبنا يوما الى الشاطىء. فشعّ وجه ابني عندما رأى البحر للمرّة الاولى. فامسك بيدي وسالني متردداً: "هل سنستحم هنا؟" فاجبته: "نعم. وسوف نمرح كثيراً." فقال: حسنا يا أماه، لكن عليك ان تدلّيني الى مكان سدّادة مصرف المياه!"

هـ.ف.ر.

زوج مثالي

كنت في مكتب المدير عندما تلقيت اتصالا هاتفيا من زوجي. ولعلمي أن المدير يستهجن المكالمات الهاتفية الخاصة خلال دوام العمل، اتى ردي مقتضبا ومبهما. وفهم زوجي انني في وضع حرج، فقال: "حسنا يا حبيبتي، اجيبيني بنعم او لا. ما مقدار الحليب الذي يجب أن اضيفه الى البطاطا المهروسة؟"

ن.ل.

هل تطلبين السعادة في "زاوية القلوب المستوحشة" في الصحف والمجلات؟ إقرإي إذاً بين السطور

كثيراً ما يقال لنا إن كل شيء ممكن في عالم اليوم. فاذا كان الأمر كذلك فان السعادة في متناولنا. وحين أقرأ بريد "القلوب المستوحشة" في الصحف يتراءى لي أن كل ما فيها من تصويرات ذاتية ينشد شيئاً واحداً: السعادة.

وللبحث عن الحب طرائق متنوعة ومبتكرة في هذه الزوايا. وثمة معلمة تعرف بنفسها بأبيات من احدى قصائد شكسبير. فماذا عساني أقول فيها لو كنت رجلاً؟

أما الرجال فهم أقل تعقيداً. يعلن

بريد "القلوب المستوحشة"



أحدهم: "أنا رجل رائع، أفتش عنك، عن زوجة رائعة!" أليس ذلك رائعا حقا؟ الا يبعث فيك شعوراً بالاثارة ويثبت لك أن لا أحد يعرفك أكثر من هذا الغريب؟ ويستوقفك غموضه، فهو لم يكشف شيئاً عن ذاته: لا عمره ولا وضعه المالي ولا شيء سوى قوله: "أنا أمير فاتن."

ويلف الغموض أولئك الذين يضيعون ذواتهم في متاهات التفاصيل المملّة. كأن يذكروا مسقط رأسهم وطبقهم المفضل وطول قامتهم بالمليمترات. ولكن ماذا يعني الرقم ١/٥٠؟ أهو قياس ملابسهم الداخلية، أم شيفرة سرية، أم العمر، أي ٥٠ عاماً وشهراً واحداً؟ وماذا عن ٨١/٨٠؟ ألعلّه قياس الخصر ام ان المعلن في أوائل الثمانينات؟

أعلن أحدهم في "زاوية القلوب المستوحدة": "أنا نحيف. وأطلب صاحبة فكر تحليلي مميز."

أنا أعرف أنني لست مؤهلة له، لكني أعرف أيضا أن التحديات الثقافية ليست جهداً مضنياً. فحين يتكلم هذا الرجل عن "أحلام الحب" و"الانوثة الآسرة" و"الاثارة التي يعجز عنها الوصف بين شخصين"، أتفهم كلامه ويخفق له قلبي: لكنه يبقى لغزاً اعجز عن حله بسبب مشكلة التفكير التحليلي التي أواجهها. ولكن هل أنا في حاجة الى هذا الرجل في أي حال؟

لا، قطعاً. فثمة رجال متميزون كثيرون يعلنون عن أنفسهم. فهناك الدينامي والرياضي والعالم والوارث ومالك الابنية والقصور. وهنا رجل أعمال يعلن أنه، على رغم نجاحه، "هادىء وليس ثرثاراً." لكم هو فاتن!

ولكن انتبهي يا فتاتي! ان عنوان نبذته: "نادر." فهل أنا في حاجة الى إجلال رجل نادر؟ ليجلس في واجهة ويعرض ذاته. فقد يحظى بأخرى "تحقق لي أحلامي كاملة." وهناك رجل ثالث يقدم الي حصة في شركة تملكها عائلته. طبعاً "المساواة ضرورية، والمطلوب توافر امكانات مادية لديكِ أيضاً." ولكن من يلومه؟ فحتى في السعادة لا شيء من دون مقابل.

ماذا جرى حتى أحجم هؤلاء الرجال الخارقون عن الزواج؟ يبدون جميعهم أثرياء وشباباً وعطوفين. ولماذا لم ألتق أحداً منهم في قطار أو في حفلة موسيقية؟

يكتب احدهم: "لا تيأسي اذا تهربتُ منك أولاً أو خجلتُ." فهل علي شراء سعادتي من معلن في مقابل تسامح لا يحظى به من أحد سواي؟

أم ان الخوف يعتري هؤلاء الرجال لدى اطلاعهم على إعلانات النساء في "القلوب المستوحشة"؟ ان رغباتهن هي العطف والحنان والتفهم. فهل الرجل الذي "يقدم جنة ويطلب حورية" يخشى في الواقع قيود الحب المعروفة؟

أنا سعيدة لاني لا أحتاج الى رجل أحلام. فالعيش الخالي من الهموم الذي توفره "الخمسون الموسِرة" (العمر هنا) لا يمكنه أن "يحوِّل الخريف ربيعاً" كما يعد شاب في الخامسة والعشرين.

سيبيل غرافن شونفلت ■

كتاب الشهر

"إنّي أرى"

هتفت العمياء

منذ ٤٠ سنة

ملخص من كتاب

"كما أراه"

بقلم جودي تايلو

"إنّي أرى"

قد يبدو فقدان النظر نهاية لحياة منتجة، لكنه بالنسبة الى جودي تايلور كان بداية لمثل هذه الحياة. تذكر جودي أنها أحست وهي طفلة "بغيوم سوداء تهبط تدريجاً." وأخيراً أصيبت بالعمى التام ولم يجد الاختصاصيون سبيلا الى معالجتها. وعلى رغم الصعوبات تأهلت كمعلمة وعاشت زواجاً سعيداً وربت عائلة. ثم ابتسم لها القدر فاستعادت بصرها جزئياً بعد جراحة ورأت، للمرة الاولى، زوجها وولديها ومنزلها وكلابها الوفية التي قادت خطاها.

وكتبت جودي تايلور مذكراتها، فجاءت تروي بظرف ودفء ملحمة شجاعة وتصميم أبرزت عالم المعاقين بصرياً بأسلوب مؤثر



"ذات العيون الأربع!" عبارة طالما رددها الأولاد ساخرين مني في ملعب المدرسة القريبة من منزلنا المطل بشرفاته على أحد أزقة شلتنهام. كانوا يرقصون حولي ويشدون شعري هازئين من منظري المضحك.

كنت في السابعة من عمري وقد كرهت نظارتي الجديدة التي كانت بشعة مستديرة يحوطها إطار فضي. ولم تحسن الزجاجتان السميكتان من نظري أو تخفيا الدموع المنبجسة خلفهما. امتلكني الخوف وشعرت بالاذلال ولازمني احساس بأني مختلفة.

ارتأى الطبيب في عيادة العيون أن أضع نظارة علّها تساعدني في رؤية الرصيف والسيارات والمارة، وإن لفترة وجيزة.

وكان والداي ارتابا في أن أمراً ما ليس على ما يرام عندما بدأت المشي. وقد أخبرتني أمي أنها كانت تتضايق مني حين أصطدم بالأشياء، الى أن تبين لها أني كنت لا أرى تلك الأشياء. وحار الاطباء في أمري، لكنهم اعتبروا أن الحصبة الشديدة التي أصابتني وأنا في شهري الثالث عشر أدت الى ضمور في الشبكيتين والعصب البصري. ووصف أحدهم حالي لأمي: "سيزداد نظر جودي سوءاً، وليس هناك من علاج لذلك."

وهذا يعني أني سأصاب بالعمى التام في النهاية.

وفي العام ١٩٤٤، وكنت بلغت التاسعة من عمري، لم أعد أرى الحروف في الكتب. وعندما بلغت الثانية عشرة اخذتني أمي لقضاء عطلة في بلدة بلاكبول، فحاولت أن أرى البرج المثير الذي حدثني عنه أبي عندما خدم هناك إبان الحرب، فلم أتبين سوى ضباب رمادي. وأذكر تلك الأمسية حين نُظِّم معرض ملاه في الملعب المجاور لمنزلنا، اذ جلست الى نافذة غرفتي أستمع الى الموسيقى المدوية الى ما بعد حلول الظلام. سمعتُ ضحك الفتيان والفتيات، وتاقت نفسي الى أن أكون بينهم، طبيعية مثلهم. لكني لم أتبين سوى بصيص أضواء الدولاب الكبير الدائر وقد تراءت عالية في الهواء.

لم أكن طفلة سهلة المراس. لذلك تجرَّحت "الأنا" الحقيقية في ذاتي، واختبأت خلف مظهر كاذب من النكات والآراء العنيدة في أي موضوع يطرح. بيد أني نجحت في امتحان كلية كورليوود في هرتفوردشير، وهي مدرسة داخلية مرموقة للفتيات المعاقات بصريا تنمّي التكيُّف الايجابي مع واقعهن.

وكورليوود منزل ريفي قديم على طراز القصور الفرنسية تفوح منه رائحة الشمع والصابون المعطر والخبز. انها مدرسة سبقت عصرها بسنوات. هناك دأب معلمونا على حفزنا – باللطف حينا وبالتخجيل والارغام أحيانا – على حب الاستقلالية وتنمية روح المغامرة. كنا نجوب الغابات والدروب المتاخمة للقرية المجاورة برفقة احدى المعلمات حتى باتت كل تفاصيل المنطقة مألوفة. وغدوت قادرة على ملاحظة اي تغيير يحصل، وإن يكن شجرة اقتُلعت من مكانها. ولما كانت مدينة لندن لا تبعد سوى ٣٠ كيلومتراً

عن المدرسة، كنّا نؤم الحفلات الموسيقية في قاعة "ألبرت هول الملكية" ونشاهد مسرحيات شكسبير في دار "أولد فك."

وكنت أعزف على البيانو والكمان، لذا ظنَّ معظم الاساتذة اني سأختار الموسيقى مهنة لي. ولكن ذات يوم من يونيو (حزيران) ١٩٥٢، وكنت في السابعة عشرة من عمري، مررت بتجربة قررت منحى حياتي.

كنت جالسة في مختلى ظليل أراجع كتابا مطبوعاً بطريقة "بريل"[١] وأستعد لامتحان في مادة الجغرافية. فجأة أحاطت بي قوة امتلكت كياني. لم يتناهَ الى سمعي صوت من الأعالي، لكني علمت من فوري ومن دون أي شك أني سأصبح معلمة.

شعرت لبرهة بعجز عن الحركة. أنا لم أفكر يوماً في امتهان التعليم، وخيل الي أن شعوري ذاك ربما نجم من حرارة النهار وأن حالي ستتحسن متى برد الطقس. إلا أن هذا الإدراك الجديد لم يفارقني، ووجدتني في الصباح التالي ما زلت مقتنعة بأن خياراً أُخذ نيابة عني.

(١) "بريل" كتابة خاصة بالعميان تعتمد احرفا مؤلفة من نقاط نافرة.



نينا ترشد جودي الى صندوق البريد. (الى اليسار) الكاتبة مع كلب العائلة.

الخروج الى العالم

لم تصادف الآنسة ماكهيو، رئيسة كلية كورليوود، كفيفاً يلتحق بدار للمعلمين. غير أنها وجهت رسائل الى عدد من الكليات. فاستجابت كلية سانت غبريال في جنوب شرق لندن واستدعيت لاجراء مقابلة.

أذكر سؤالا واحداً وجه إليّ: "لماذا تودين أن تصبحي معلمة؟"

أجبت بأمانة تنبعث مني عادة من دون تصميم: "أنا لا أود أن أصبح معلمة، بل يجب أن أصبح كذلك." وقبل طلبي على أن ألتحق بالكلية في سبتمبر (أيلول) التالي. ووافقت وزارة التربية على تسديد رسوم التعليم والإقامة في منامة للشابات.

وهكذا بدأت مرحلة جديدة من حياتي. كنت في كورليوود محمية كطالبة بين طلاب عميان. أما في سانت غبريال فغدوت العمياء الوحيدة بين ٢٠٠ طالب لم يلتقِ معظمهم كفيفاً من قبل. وجاءت ردود فعلهم قاسية، وإن عن حسن نية.

أردت الاندماج بهم على نحو طبيعي. لكني بدل ذلك غدوت محط الانظار. وكنت كلما اقتربت من باب أو سلم أو قطعة أثاث أمسكتني يد وسمعت صوتاً يقول: "انتبهي! قد تقعين!"

إلا أني، كغيري من العميان، كنت أتكل على سمعي وحواسي الأخرى لاستبيان طريقي بأمان. وسرعان ما ألِفت المبنى الكبير. فهناك تغيُّرات دالة في سطح الأرض وأصداء انحرافات صغيرة في دورة الهواء. وهناك أيضا احساس غريب في أسفل الساق ينبه الى المفروشات والمقاعد والطاولات المنخفضة.

أما تجربتي الكبرى فكانت السير مسافة ٨٠٠ متر بين الكلية ودار الشابات عبر شوارع مكتظة. رفضت حتى التفكير في الاستعانة بعصا بيضاء لعلمي أنها ستسبب لي ارتباكاً وخجلا. وبنبرة استقلالية مضلِّلة عمدت الى رفض عروض المساعدة لمواكبتي جيئة وذهوبا، علماً أن كثيرين يتوقون الى المساعدة كحاجة ذاتية، ولا يحق لي حرمانهم هذه الغاية. بيد أن قبولي المساعدة كان بالنسبة الي اعترافاً بالهزيمة ورضى بالخروج من ركب الحياة.

ونجحت منفردة في اتمام الرحلة، لست أدري كيف. ولكن يا لهول ما عانيته من جهد أرهق كل عصب في كياني. فلكم اعترضتني عقبات ليس أقلها سلالم عمال التنظيف والطلاء والكلاب التي لم تحلُ لها القيلولة الا وسط الممرات التي أطرقها.

أما أسوأ ما عانيته فكان حركة المرور، اذ كنت أنتظر عند حافة الرصيف والسيارات تمر الواحدة تلو الأخرى. وبعد لأي أُطبق أسناني وأصابعي بشدة وأنطلق غير مبالية. ولطالما أوقفني صرير كوابح السيارات وما يستتبعه من شتائم. وفي السنوات التالية ألفت الغمز من قناتي في الملاعب المكتظة بالفتيان والفتيات، ولم أعد أبالي.

وبدأت أستمتع تدريجاً بحياة الكلية. كنت أرتدي قمصاناً هدلة وأقراطاً كبيرة

عصرية، وأقصد مع رفيقات لي مقاهي وست إند ومراكز اجتماعات الطلاب. كنا ندفع شلنين لنقف في الصفوف الخلفية من دار الأوبرا الملكية في حديقة كوفنت لنشاهد الأوبرات العظيمة. لم يكن ذلك شاقاً علي، فانا لم أكن لأرى الأداء المسرحي. لذلك كنت أجلس على الأرض وأتشرب ملذات الصوت وروائعه.

وذات ليلة عدنا الى دار الشابات من سهرة لنجد الباب الأمامي موصداً فاذا قرعنا الجرس توجب علينا دفع غرامة. ولحسن الحظ وجدنا نافذة صغيرة تعمدت احدى رفيقاتنا الشفوقات ألا توصد مزلاجها.

تسلقت الفتيات المتأخرات النافذة وهن يقهقهن بصوت خافت. وكنت واحدة منهن. وقد عني لي ذلك الحدث وحده أكثر ما عنته لي السهرة المرحة.

لقد قبلت، وغدوت جزءاً من المجموعة.

بعض ذكريات السنتين اللتين قضيتهما في سانت غبريال حلوة مرة. ففي حفلة أخرى التقيت شاباً يدرس في جامعة قريبة. فانخرطنا في حديث ساده الانسجام،



جودي تقرأ على تلاميذها في كتاب مطبوع بطريقة "بريل".

وتبين لنا أن اهتماماتنا متشابهة جداً. ولم تمضِ السهرة حتى دعاني الى حفلة موسيقية في "رويال فستيفل هول" الأسبوع التالي.

وبعد الحفلة تمشينا في محاذاة الجسر وسط ليل صيفي ساكن، ورحنا نتبادل أطراف الحديث وقد جلسنا على مقعد مواجه لنهر التايمس. فجأة وقف وقال لي بصوت أجش: "لا أريد أن أراك ثانية." وأخبرني أني أعجبته كثيراً – وربما كثيراً جداً – وأنه لن يسمح بنمو صداقة قد ينجم عنها ارتباط بينه وبين فتاة عمياء.

يا له من شاب مسكين. ربما خجل من اصطحابي بين أصدقائه. إني لا أحمل له أي ضغينة. بيد أن هذه التجربة كانت ضربة قاسية لكبريائي كشابة. شعرت كأنه يخبرني بأني أدنى مستوى. فلم أتقبل ذلك برزانة، ورحت أبكي صابة في وسادتي مرارتي وكبريائي الجريح.

"أتظنين أنها ترى؟"

في يوليو (تموز) ١٩٥٥ بعد سنتين في كلية سانت غبريال تأهلت كمعلمة. لكن غيمة سوداء لاحت في الأفق إذ تلقيت جواباً مماثلا عن جميع الطلبات التي تقدمت بها للتعليم: "آسفون، ليس لدينا ما يناسبك." ويظهر أن جميع مديري المدارس لا يخالون أن معلمة عمياء يمكنها التغلب على مصاعب التدريس المباشر.

إلا أن رسالة لم أتوقعها وردت علي من الآنسة باكستر، مديرة مدرسة "سانت أندروز بن" للبنات في رغبي، تقول فيها إنها سمعت عني من معلمة الجغرافية في كلية سانت غبريال، وأنها في "حاجة ماسة" الى بديل من معلمة الموسيقى واللغة الانكليزية التي توقفت عن العمل بسبب مرض مفاجيء.

فانضممت الى تلك المدرسة تجربة لمدة نصف فصل، على أن يُوفَّر لي لوح خاص مزود أخاديد أفقية تسهل لي الكتابة بالطباشير، وهو أمر أتقنه. وتولت معلمة متقاعدة مساعدتي في تصحيح الفروض بعد ساعات الدوام.

وذات أحد من سبتمبر (أيلول) نزلت من القطار في محطة رغبي حاملة حقيبتين حوتا كل ما أملكه في هذا العالم. وفي الصباح التالي قادتني الآنسة باكستر، ممسكة ذراعي، الى غرفة التدريس. وعرفتني الى الصف ثم تركتني هناك.

أحسست التساؤل الذي اعتمل في عيون ٣٢ تلميذة: عمياء؟ وشعرت كذلك بما بدأ يتضح لهن: رائع، سنتسلى كثيراً.

كان عليّ أخذ موقف فوري. فوقفت منتصبة الى أقصى ما تسمح به قامتي البالغة ١٦٠ سنتيمتراً، وقلت بنبرة أملت أن تكون بالغة السطوة: إسمعنني جيداً، لقد قيل لكنّ اني عمياء، لكن ما لم تعرفنه هو أني لست حمقاء. أقترح أن تنزعن هذه الابتسامات السخيفة عن وجوهكن."

كان ذلك تخميناً مُلهماً. وشعرت بردود الفعل كمثل موجة كهربائية. لقد أصبت الهدف. ومع الأيام تلقَّت مني تلميذاتي مزيداً من المفاجآت. ذلك لأن حاسة الشم لدي أتاحت لي ضبطهن متلبسات بأكل الحلوى. كما وجدتني قادرة على تمييز أصوات نقر أقلام الرصاص وتمشيط الشعر وتصفح المجلات تحت الطاولات.

وعندما كنت استشعر أمراً يجري في الخفاء، كنت أمشي ببطء بين الطاولات، فأصغي ثم أنقضّ قابضة على رسالة مطوية تمرَّر عبر الممشى.

وفي فترة الراحة ذات صباح أخذت معي الى غرفة الأساتذة واحدة من تلك الرسائل. وقرىء لي على وجهٍ منها ما يأتي: "أتظنين أنها ترى؟" وعلى الوجه الآخر: "أعتقد ذلك. انها تعلم دائماً ما نفعل."

وسرعان ما تخلَّت الفتيات عن محاولات النيل مني وتحولن جدياً الى التعلُّم. افتُتنت بعملي وثبت لي أن التعليم هو حقاً قدري المرسوم. وعلمت أيضاً أن تلميذاتي قبلنني عندما بدأن يحضرن صور إخوتهن وأخواتهن وصوراً تظهرهن في مناسبات عائلية، كي ألقي "نظرة" عليها. كنت أمسك بكل صورة على حدة وأسأل صاحبتها وصفها لي، فتفعل ذلك بعفوية من يتحدث بغير كلفة بين أصدقاء.

"أرجوكم، أرسلوا كلباً!"

مضى نصف الفصل الدراسي. وذات يوم دعتني الآنسة باكستر الى مكتبها وأبلغتني أني ثبتُّ في عملي.

كان مسكني يبعد حوالى كيلومتر عن المدرسة. وقد نال من صحتي وأعصابي الجهد المضني الذي تطلبه قطع هذه المسافة عبر شوارع ناشطة ضاجة، خصوصاً وأني ما زلت أكره طلب المساعدة. فأصبتُ بارهاق ونزوع دائم الى النوم.

حين أرهقتني حركة المرور في سانت غبريال بلندن، قالت لي صديقة إني أعذب نفسي من غير طائل، واقترحت عليّ أن أقتني كلباً يرشدني. فكتبت الى "جمعية تأمين الكلاب المرشدة للعميان" وقبعت أنتظر حصولا سريعا على بغيتي. لكني تلقيت بعد مدة استمارة خاصة بالطلبات واشعاراً بأني "على لائحة الانتظار."

وانتظرت سنتين قبل أن أبلَّغ ما مفاده أن كلباً يُعتبر مناسباً لي قد دُرب في ادمونسكوت مانور، ليمنغتون، وأن عليّ قضاء شهر كامل هناك أتدرب على التكيف واياه. ولحسن الحظ صادف التوقيت عطلة الربيع.

شمل صفي في ادمونسكوت ستة أشخاص – ثلاثة رجال وثلاث نساء. تعلمنا كيف نطعم كلباً ونسوسه وندربه، وكيف نصدر اليه أوامر بسيطة مثل "اجلس" و"تقدم" و"انتظر". ولم يكن خطر لي وجوب ارفاق هذه الأوامر باشارات معينة باليد وبوضع مناسب للقدمين والجسم.

ولما اقتنع المدربون بأننا بتنا مؤهلين لامتلاك كلب، حانت اللحظة التي طال انتظارها. أخبرونا بأسماء كلابنا وفصائلها، وقادونا الى الزرائب التي آوت الكلاب.

كان اسم كلبتي "نينا"، وهي سوداء من فصيلة "لابرادور" وعمرها ١٣ شهراً. ركعت بحذر ومددت رأسي نحوها، فارتمت علي بثقلها (٣٢ كيلوغراما) وقوائمها الطويلة وذنبها المتلوي ولسانها الرطب وأسنانها القاضمة.

قلت متكلفة التهذيب: "ألستِ جميلة!"

ويبدو أن عبارتي نجحت في تهدئتها، فتوقفت عن ملاعبتي وتقبيلي وقد كوّنت منذ تلك اللحظة انطباعها عني، فلم يبق ثمة شك في من هي الآمرة الناهية – التي لم تكن أنا أبداً.

وكغيرها من الكلاب المدرَّبة، تعلمت نينا كيف تحجم عن عبور الشوارع ما لم تكن آمنة، وكيف تحذرني من المارة بجلوسها لدى اقتراب الخطى، وكيف تقبع متكومة تحت مقاعد الحافلات.

ومع نهاية الشهر الاول تدرَّبنا على كل حال قد تصادفنا في تنقلاتنا في الريف والمدينة، بما في ذلك محطات السكك الحديد. وعندما جربنا التجول في مركز تجاري كبير، عجبت لمدى اليسر الذي شققنا به طريقنا بين جماهير المتسوقين.

عُدت بعد العطلة الى المدرسة في رغبي، وتجولت للمرة الاولى من غير أن أستند الى ذراع. ودخلت الصف برشاقة ومرشدتي الامينة الى جانبي.

كانت تلك بداية حرية لم أعرف مثلها مذ اصبحت كفيفة.

نينا القائدة

ذلك الصباح الاول في المدرسة جلست نينا بعظمة على صندوقها الى جانبي، وأظهرت بوضوح أني لم أعد مكلَّفة ادارة الصف. وقد أخبرتني الفتيات لاحقاً كيف راحت نينا تراقبهن بعينيها الواسعتين النافذتين، وكيف أبدت امتعاضاً عندما حلّت فترة الاستراحة وأدخلت عربة الحليب المحملة زجاجة لكل واحدة من التلميذات. وكانت الفتيات يسترضينها بسكب هبات من زجاجاتهن في طبقها الفارغ. ومنذ ذلك اليوم بدأ عربة الحليب تحمل زجاجة اضافية – تُعطى قبل الجميع.

كان التجوال في رغبي، ورفيقتي الامينة تعدو الى جانبي، مبعثاً للبهجة. يجد الناس صعوبة في التحادث مع كفيف، بسبب الارتباك عادة، لكن حضور كلب مرشد يكسر الجليد. وقد ساعدتني نينا على كسب أصدقاء كثيرين، خصوصاً بين أصحاب المحال التجارية في رغبي. وبعدما تعلّمت إطاعة أوامر مثل "خذيني الى الملحمة" أدركت بسرعة أن القصّاب – الذي يضع عظاماً على المنضدة ويهمه أن يتبرع بها – قد يفهم التلهف البادي في عيني كلبة أسيئت تغذيتها ومعاملتها.

تلك كانت أياما سعيدة ظننت فيها أني حظيت بكل ما أرغب فيه: مدرسة جيدة ومسكن مريح وحياة اجتماعية خصبة شملت حفلات راقصة مساء كل سبت. الا أن تململ الشباب وازدياد اتكالي على نينا أديا الى نتيجة مشابهة لما ينجم عن تعلم صغار العصافير الطيران: أردت أن أغادر العش وأنطلق الى تحديات جديدة.

ووجدت هذه التحديات في مدرسة بلبر التي تبعد حوالى ١٥ كيلومتراً عن دربي، حيث كانت حاجة الى معلمة لمادتي اللغة الانكليزية والموسيقى. وكانت هذه المدرسة المختلطة جديدة لم تمض على تأسيسها ثلاث سنوات، وقد بلغ عدد تلامذتها خمسمئة.

كان تطبيق النظام في الصفوف المختلطة أمراً أكثر صعوبة. وساهمت نينا بنصيب في ذلك. وذات مرة أرسلتُ تلميذاً ليقف في الزاوية لسوء تصرفه. وبعد انتهاء الدرس لاحظت نينا أنه ما زال واقفاً هناك، فظنت أني لم أوبخه بالقسوة التي يستحقها، فحشرته في الزاوية وراحت تنبح مؤنبة اياه بعبارات واضحة المعنى.

بلبر بلدة امتزج فيها الجمال الريفي بالنشاط الصناعي على نحو غير مألوف، بحيث تبين التلال والحقول – كما قيل لي – من كل جانب حول الشارع الرئيسي. وسرعان ما بدأتُ ونينا التجوال في البلدة. غير ان نزعتي الاستقلالية عادت تتبرعم. فشعرت بأن الوقت حان كي أتكل على نفسي كلياً ويكون لي مسكن خاص.

وذات يوم أخبرتني صديقتي جين التي تُدرِّس مادة التدبير المنزلي: "هناك شقة للايجار فوق متجر الأدوات الكهربائية." فذهبت الى المكان، وأحببت الشقة على الفور. كانت السلالم تقود مباشرة من الشارع الى الطبقة الأولى حيث غرفة الاستقبال والمطبخ الصغير والحمام الذي كان بالغ الروعة بمقياس العام ١٩٦٢. ومن هناك يرتفع سلم عتيق الطراز الى غرفتين للنوم. أما المبنى فبالغ القدم، وقد شعرت بأن ذلك المنزل الصغير ظل قابعاً ينتظر مروري كي يتطاول الي ويلتقطني.

اشتريت أثاثاً وسجادات مستعملة، وأهدت إلى أمي لوازم المطبخ. وبقيت جين معي أسبوعين تعلمني المبادىء الأساسية لتدبير المنزل. واتفقت مع امرأة لكي تنظف لي المنزل مرة في الاسبوع. وكان للمنزل حديقة صغيرة خلف المتجر، مناسبة لتدريب كلب.

وكان مشغل المتجر مواجهاً للحديقة. وكان أحد المهندسين هناك لا يترك فرصة الا ويحييني بمرح. وذات يوم توجهت الى صندوق القمامة كي أرمي بعض النفيات، فطالعني صاحب الصوت المألوف جالساً يتشمس على صندوق القمامة. فنهرته باستياء: "هلا ذهبت من هنا؟ هذا ليس مقعداً في حديقة."

فاستجاب بلطفه المعهود، ثم عرَّفني الى نفسه: "إسمي يان تايلور."

بدأت بيننا صداقة سهلة غير معقدة، وساعدني يان في حل الأحاجي التي واجهتني كطباخة مبتدئة. كان يقرأ الارشادات ثم يوجهني وكأنه عرفني طوال حياته.

والى كتف يان اسندتُ رأسي باكية إذ علمت أن نينا التي تجاوزت الحادية عشرة مصابة بالتهاب في المفاصل وتجدر إحالتها على التقاعد. وكانت بدأت تبطىء حركتها الى حد لافت بحيث بت لا أعلم، ولا هي تعلم، من يقود من. فأخذتها الى منزل والديّ اللذين أحباها كثيراً. ولم تلبث أن نفقت هناك عن ١٤ عاماً ونصف عام.

خلفت نينا كلبة أخرى لا تقل عنها إخلاصاً اسمها دانا، وهي أيضاً من فصيلة "لابرادور" لكنها أصغر حجماً. وقال لي يان إنها جميلة، ظهرها ذهبي وصدرها وبطنها أبيضان ويحوط عينيها إطار أسود.

ومررتُ بتجربتين عاطفيتين لم تثمرا. وإذ شدني فجأة دافع التأهل معلمة للأطفال العميان، نقلني يان في سيارته الى جامعة برمنغهام لدراسة تستغرق سنة كاملة. انحشرنا في سيارته الـ"موريس ماينور" المتوقفة في باحة منزلي وقد تراكمت فيها الحقائب والكتب والقدور والمقالي ودانا التي جلست في مضجعها بين هذه الأشياء.

وكان عصر الأحد من كل أسبوع محطة مهمة في حياتي في برمنغهام، اذ كان يان يزورني فنذهب معاً الى التلال نتمشى ودانا ترقص حولنا جذلة. لم نتكلم على المستقبل قط.

وعندما عدت الى بلبر لمعاودة التدريس لم يمضِ يوم لم "أر" فيه يان الذي ساعدني على الانتقال الى منزل صغير إشتريته.

وفي أكتوبر (تشرين الاول) ١٩٧٠ قدَّم الي خاتم خطبة، وفيه حجر ياقوت بيضوي تحوطه حبات ألماس. كان مضى على تلاقينا ست سنوات، وأخبرني يان لاحقاً أنه انتظر كل هذه السنوات كي يتأكد من أن شعوره نحوي هو الحب، وليس الشفقة الناجمة عن كوني عمياء أو الاعجاب بطريقتي في مواجهة اعاقتي.

تزوجنا يوم اثنين. وامتلأت قاعة الاحتفال بالأصدقاء. وشعرت بالفخر اذ سرت بين الحضور تتقدمني جوقة مدرستي وفيها تلميذة غنت بصوتها الصافي الفتي أنشودة حب.

نعمة أم نقمة؟

لم أكن مولعة بالحياة المنزلية قبل أن أتزوج، اذ لم تكن من الضروريات. وكان فقر خبرتي الطهوية أمراً واضحاً. وحاولت أن أترك انطباعاً حسناً لدى يان في عطلة نهاية الاسبوع الاولى بعد عودتنا الى بيتنا من شهر العسل، فحضَّرت طبقاً مؤلفاً من النقانق والفطر. وحملت المقلاة وسرت عبر المطبخ يغمرني شعور بالانتصار. لم أعِ أني أحمل المقلاة منحرفة، فاندلق عشاؤنا على الأرض مما أصابني بخيبة شديدة.

إلا أني أدركت في الأشهر التالية أن قليلة هي المهمات المنزلية التي لا يتقنها الكفيف مثل المبصر. لكن جميع الأعمال تحتاج الى بذل جهد أكبر وتركيز أشد

فسكبُ الشاي، مثلا، يعني الأصغاء الى صوت السائل وهو يقترب من حافة الفنجان. ويمكن التنبه الى بلوغ الخضر درجة الغليان ليس فقط بسماع البقبقة بل بتحسس ذبذبة يد المقلاة أيضاً. وسر كيّ الثياب يكمن في تلمس التجاعيد باليد اليسرى أمام مقدم المكواة.

وصممتُ على ألا أدع أحداً يعتقد ان عدم الترتيب في منزلي عائد الى كوني عمياء. فرحت أولي تنظيف الاثاث عناية فائقة. ودأبت على غسل الجدران في الطبقة العليا أسبوعاً والجدران في الطبقة السفلى أسبوعاً آخر. ولم أهمل قضبان الستائر التي أعملت فيها فركاً وتلميعاً.

فلكم أضعتُ من وقت ثمين في هذه الأعمال. ولم يطل بي المطاف حتى أدركت تدريجاً أن هذا السعي الى الكمال لم يكن تعبيراً عن حبي لزوجي بمقدار ما كان وسيلة لاشباع كبريائي الغبية. فما همَّ إن اعتقد الناس أن زواج يان بي كان تجربة حظ ونصيب؟ فجميع الناس يجربون حظهم في الزواج، مهما تكن الظروف.

وأخيراً تعلمت أن أضحك من أخطائي. ومنها ما حدث عندما أخبرني يان أنه في طريقه الى عمله قطف من الحديقة بعض قرون البازيلاء وقشرها. واذ كنت أحضر يومئذ يخنة كبد، تناولت من الثلاجة علبة هززتها للتأكد من احتوائها على البازيلاء، ثم أفرغتها في القدر. وفي المساء رفع يان غطاء القدر ووقف صامتاً مذهولا وقال: "لم أر في حياتي كبداً أرجوانية!" لقد نسي أن يخبرني أنه قطف أيضاً بعض ثمار العليق ووضعها في الثلاجة.

ولما عرضت الكبد على الكلبة أشاحت هي أيضا بوجهها.

وفي أغسطس (آب) ١٩٧٢ حدث ما فتح باباً جديداً للتشكيك في قدراتي المنزلية. لقد ولد لنا ابن سميناه أدام. وشرحت لي الممرضات الارشادات الاولية للعناية بالأطفال. وفي اليوم العاشر بت قادرة على العناية بطفلي.

أما الصعوبة القصوى التي واجهتني لاحقاً فكانت إطعام الطفل بالملعقة. كنت أجلسه وظهره إلي، وأضع سبابتي تحت شفته السفلى، ثم أسدد الملعقة الى فمه بعد



جودي ومارتن.



ملئها طعاماً. وفي لحظة وصول الملعقة الى فمه كان يدير رأسه الصغير فيقع الطعام في أذنه. وكثيراً ما لجأت الى دعوة أصدقاء الى تناول طعام الغداء عندنا آملة أن يسرهم إطعام الطفل بينما أكون في المطبخ أضع اللمسات الأخيرة على الطعام.

وإذ تحوَّل أدام دارجاً ثم صبياً صغيراً، علَّمته إدراك الألوان. كنت أُلصق أوراقاً ملونة على بطاقة وأكتب الى جانبها اسم اللون بطريقة "بريل." وحاولت جاهدة التحدث اليه بالطريقة البصرية، كأن أحمله وأقول له: "هل ترى تلك الحافلة الحمراء الكبيرة؟"

لكن، ماذا كان رد فعل كلبتي دانا؟

فور عودتي مع أدام من المستشفى عرَّفتُ دانا الى العضو الجديد في عائلتنا. إلا أنها أشاحت بوجهها عن الرزمة المحتضنة ومكثت الى جانبي ملتصقة بي.

ومنذ تلك اللحظة درجت دانا على عادة جديدة، كانت تبقى على قيد أنملة مني مهما يكن العمل الذي أتولاه، ومن غير أن تلقي وإن نظرة خاطفة على أدام. وبعد أشهر صارت تهرّ بصوت أجش محذرة أدام كلما همَّ بالزحف نحوها. بيد أن عاطفة ما كانت تنمو بين الاثنين. فعندما كان الجيران يأخذون أدام لتناول الشاي عندهم كانت دانا تئن كلما سمعت صوته عبر الجدار الفاصل، ولا تتوقف عن الانين حتى يعود الى البيت.

وعندما أصيبت دانا بتصلب الكبد وتعين اعفاؤها من الخدمة، اقتنيت كلباً جديداً

اسمه مارتن، وهو هجين من فصيلتي "لابرادور" وكلاب الصيد الذهبية. وقيل لي إنه عاجيّ اللون. مررت يدي على رأسه المقبَّب وأذنيه الطويلتين الحريريتين وكتفيه القويتين، وأيقنت أنه أروع ما وجد من كلاب.

لكن القيمين على مركز تدريب الكلاب حذروني منه قائلين: "راقبيه. انه نشال!" وإذ كنا يوماً واقفين امام صندوق الدفع في متجر، شعرت بأن مارتن أحنى رأسه لحظة. وعندما خرجنا ووقفنا ننتظر الحافلة، هتفت امرأة في الحشد المنتظر: "مارتن يحمل كيساً بأسنانه!"

تظاهرت بأني لا أسمع تأوهات المنتظرين هناك،.ولا عبارات مثل "أنظروا الى وجهه الطيب البريء." فانتزعت الكيس من فمه ومددت يدي داخله، فغاصت أصابعي في القشدة والمربى. وعلمت أن مارتن سرق كعكة محلاة.

سألت الناس المتحلقين حولي:

"ماذا أفعل به الآن؟"

فأجابوا بصوت واحد: "أطعميه الكعكة."

وهكذا أدخلت الكعكة الخبيص في فمه الذي بقي مفتوحاً.

وبعد ثلاثة أشهر اقتربت مني امرأة في الشارع وقالت لي ان مارتن أغار على كيسها في ذلك اليوم، وإنها عندما جلست لتناول غدائها الخالي من الكعكة سرها أن يكون مارتن هو من شاركها في الغداء.

كيف تقود أعمى؟

رزقنا في العام ١٩٧٧ طفلا آخر سميناه بنجامين. وفي السنة التالية جرني الفضول الى منزل منفرد قرب زاوية شارعنا معروض للبيع. كان مبنياً على جانب تلة شديدة الانحدار، وهناك سلّمان يقودان نزولا الى فنائه، وسلّم ثالثة الى حديقته. واذ لمس جيراني الطيبو النية إعجابي بالعقار، حذروني من أن المنزل غير ملائم اطلاقاً لامرأة عمياء لها ولدان صغيران.

لكن ذلك لم يزدني الا تصميماً. ولم أقوَ على مقاومة التحدي، أردت أن أسكن في هذا المنزل بالذات. وسرعان ما انتقلنا اليه.

وصف لي يان المشهد الرائع المطل من نافذة غرفة الجلوس على النهر المنساب متلألئا تحت أشعة الشمس، ومعمل القطن المنتصب بكبرياء في الأفق، وبلدة بلبر المتمددة بكسل على التلال في الجانب الآخر من الوادي، والريف المترامي الى اليمين. فشعرت بانجذاب فوري الى هذه الأجواء المحبَّبة، وإن تكن غير مرئية بالنسبة الي.

وعندما بلغ ولدانا سن الدراسة أفدت من أوقات فراغي لحضور صفوف في الأدب

وعلم الآثار. كما تابعت إلقاء محاضرات عن نشاطات "جمعية تأمين الكلاب المرشدة للعميان" كنت بدأتها في العام ١٩٥٨.

وامتلأت مفكرتي بمواعيد المحاضرات في الجمعيات النسائية والنوادي الثقافية والمدارس في أرجاء دربيشاير. واذ يرافقني مارتن بتهذيب واحترام الى منصة الخطابة، كان يبدو مثالا رائعا لمنجزات الجمعية.

وألِفني مارتن الى حد أني بت أدعوه "كلبي الآلي." كان "يقرأ أفكاري" فلا آمره الا بالقليل. ولكن حين بلغ عامه الثاني عشر تصلبت مفاصله وضعف سمعه. فأمنت له ما يستحقه من تقاعد مريح هانىء. كثيرون عرضوا ايواءه في منازلهم، لكننا قررنا ابقاءه معنا كي لا تنقص عائلتنا.

كان اسم الكلب البديل فكتور. وقيل لي انه يشبه الـ"لابرادور" لكنه كلب صيد ذهبي بنسبة ٧٥ في المئة. وكان جميلا، له صدر أبيض وعينان لطيفتان وعادة مربكة، فمتى سُرّ لرؤية أحدهم أمسك معصمه وجره الى الداخل.

في أيامه الأولى معي لم يتسم فكتور بأي صفة تقرِّبه من مفهوم الكلاب المرشدة. حاولت، وأنا ألقي المحاضرات، أن أبدو هادئة ويدي تمسك بقوة زمام هذا الصاخب الرقاص ابن العامين وهو يدمدم لحناً غير متناغم يحبه أكثر متى عض في فمه حذاء انتشله من شخص ما.

وعلى رغم مقاطعات فكتور نجحتُ في شرح ارشادات لتسهيل حياة العميان. فالناس غالباً يحجمون عن تقديم المساعدة لأنهم لا يعلمون ماذا يفعلون.

مثلا، عندما تقود كفيفاً على الرصيف، أبقِ يدك برفق على ذراعه كي يتحقق من أنك ما زلت معه لأن صوتك قد يضيع في غمرة الضجيج المحيق.

الاعمى الذي يود عبور شارع يفضل ألا يُمسك بمؤخر مرفقه ويُجر الى المجهول، كما يحدث أحيانا كثيرة. ولا يستحسن أن يُحمل ويُعبَر به، كما حدث لي يوم فاجأني سائق اسكوتلندي طيب القلب اذ أوقف شاحنته وحملني وعبر بي الى الرصيف المقابل. وهو ضحك كثيراً عندما أخبرته أني كنت واقفة أنتظر الحافلة.

دع الكفيف يتناول ذراعك بنفسه، ثم سِر أمامه مسافة ضئيلة كي يشعر بحركتك متى صعدت الى الطريق أو هبطت عنه.

وأهم من ذلك أن العميان لا يحبون أن يُعاملوا كأنهم طرشان أو مختلون عقلياً. فعندما كنت أعود الى البيت من المدرسة الداخلية، وأنا بعد في سن المراهقة، كنا نلتقي دائماً من يسأل حين يراني: "كيف هي؟"

وكانت أمي تعادلني حساسية لدى مخاطبتي على نحو غير مباشر، فتجيب السائل "لمَ لا تسألها هي؟"

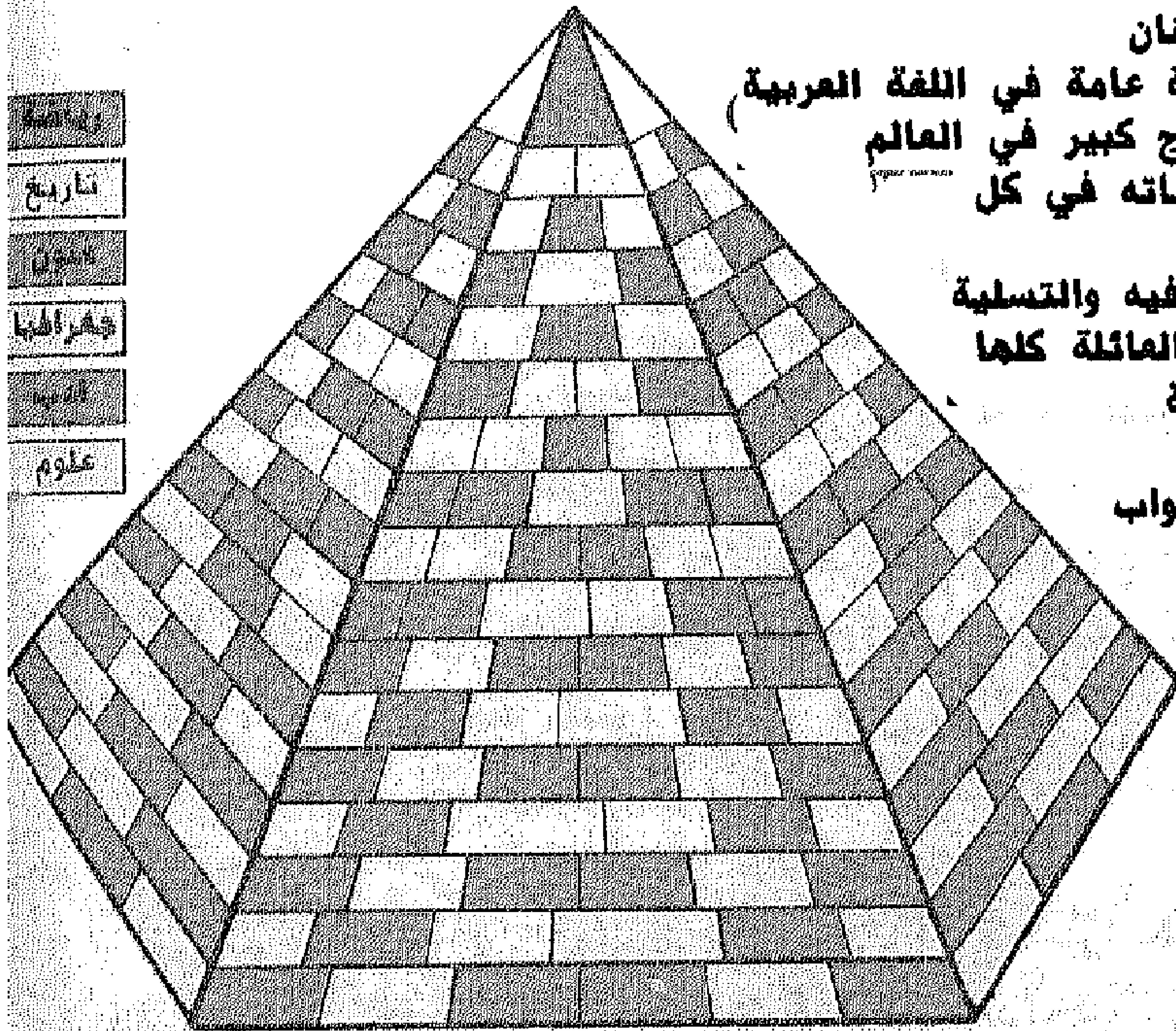
وكان محتوما أن يسألني أحد الحضور يوماً خلال احدى محاضراتي: "ما هو

لعبة التحدي في الثقافة والمعلومات

هرم المعرفة

لعبة عربية تثقيفية مشوقة

- ▲ هرم المعرفة: صممت وانتجت في لبنان
- ▲ هرم المعرفة: اول لعبة معرفة (ثقافة عامة في اللغة العربية)
- ▲ هرم المعرفة: لعبة من التي لها رواج كبير في العالم
- ▲ هرم المعرفة: لمن اراد توسيع معلوماته في كل الميادين والحقول
- ▲ هرم المعرفة: طريقة جديدة في الترفيه والتسلية
- ▲ هرم المعرفة: لعبة تسلية للشباب والعائلة كلها
- ▲ هرم المعرفة: من سن الخامسة عشرة وما فوق
- ▲ هرم المعرفة: ٣٦٠٠ سؤال و٣٦٠٠ جواب
- ▲ هرم المعرفة: ستة مواضيع مختلفة



شعورك حيال كونك لم تري ولديك أبداً؟" فأجبت إني أستشعر بحواسي الأخرى كل تفصيل في شكلي ولديّ، كما أدرك كل خصائصهما السلوكية.

ويبدو أن ولديّ، كما زوجي، لم يتضايقا أبداً من إعاقتي. وذات يوم فيما كان بن يمثل دور رائد فضاء في غرفة الجلوس، وأنا في المطبخ، أنبأني حدسي أن الأريكة باتت القمر وأن بن يمارس عليها السير القمري.

فناديته: "قم عن الأريكة!"

فأجاب: "أواه يا أماه، ليتك تبصرين."

فهزني شعور مروع وسألت نفسي: هل يشعر هذا الطفل المسكين بالحرمان لكوني عمياء؟

ثم تابع بن: "لا تعرف والدة صديقي متى نسير على الأريكة. ربما لأنها مبصرة."

على وشك الموت!

ليس عجيباً أن تكون امرأة عمياء زرية الملبس. لكني أحببت الثياب الجميلة، واهتممت كثيراً بالتبرج وفنون الماكياج. وحين بدأ معهد للتجميل عمله في بلبر، لم أنتظر دعوة ثانية لكي أحضر الجلسات الأسبوعية.

وخالج النساء الحاضرات شعور محسوس بأني في غير موضعي بينهن. ولكن



جودي تتامل بن.

سرعان ما كسبت ودهن وصداقتهن. ثم أخبرتني جماعة منهن أنهن ذاهبات الى دربي لحضور مؤتمر حول الشفاء بفعل الايمان، يستغرق أربع أمسيات. فانضممت اليهن، خصوصا لأن موضوع الشفاء يستحوذ على اهتمامي.

جلست في قاعة المؤتمر في المساء الأول، وكان يوم جمعة، أفكر في صديقة لي يعاني طفلها إعاقة بالغة ويلازمها حزن وحيرة. لم أفكر في طلب الشفاء لنفسي. وكنت في الماضي التمست العون من اختصاصيين كثر قالوا لي ان ليس في وسعهم مساعدتي.

وعلمت منهم أني أشكو من السُدّ[٢] ومن اضطرابات في عصبي العينين والشبكيتين. وتكيفت والعمى منذ وقت طويل.

مساء السبت اقتربت مني امرأتان غريبتان وقالتا لي إنهما واثقتان من إمكان استعادة بصري. ومساء الأحد والاثنين تجمهرت حولي صديقات ورحن يصلّين طالبات شفائي.

بدا كل ذلك رائعا أثناء المؤتمر. ولكن في اليوم التالي شعرت بأن صديقاتي يضحين بوقتهن من اجلي. وخشيت كذلك ان يُقال عني اني مهووسة. الا أن شيئا لم يثنِ صديقاتي عن الصلاة من أجلي.

وكانت حفلة العشاء في عيد ميلادي الثاني والخمسين في فبراير (شباط) ١٩٨٧ مناسبة مأسوية نجمت عنها نتائج بالغة الأثر. اخترت ويان مطعما أنيقاً فيه ما لذ وطاب. ولكن ما ان تذوقت الطعام حتى شعرت بانحراف غريب في صحتي. ولمّا جيء بالحلوى كان وجهي ممتقعاً وملتويا بغرابة. مما استوجب استدعاء سيارة اسعاف. وأذكر أني فكرت بهدوء بالغ في أني على وشك الموت.

وإثر فحوص أُجريت لي في قسم الحوادث بمشفى دربيشاير الملكي، طمأنني الطبيب الى أني غير مصابة بنوبة قلبية أو بسكتة دماغية. وأضاف ان بعض الناس يصابون بما أصابني اذا تناولوا وجبة ثقيلة بعد صيام طوال النهار.

ثم صعقني سؤاله: "متى أصبتِ بهذا الحَوَل؟" لقد نزعت عيني اليمنى دوما الى الانحراف نحو الزاوية، لكن تلك كانت المرة الاولى يقال لي إن هذا الأمر يدعى حَوَلا.

قلت لزوجي في طريق العودة الى المنزل: "سأعمد الى تقويم هذه العين."

الطبيب الاردني

نصحتني صديقة باستشارة الدكتور حسن سالم، وهو أردني اختصاصي بطب العيون، يقطن في دربي لكنه يقضي بضعة أشهر من كل سنة خارج البلاد. ولم يتسنَّ لي تحديد موعد معه قبل منتصف يوليو (تموز).

(٢) السُدّ (cataract) هو إعتام عدسة العين او ما تسميه العامة "الماء الازرق."

وحين دخلت عيادته قال لي من دون تردد إن تقويم الحول يتطلب عملية بسيطة. ثم تطرق الى موضوع إصابتي بالسُدّ.

بعد ذلك أجرى فحصاً شاملا لعيني. وشرح لي أن جراحة السُدّ تتطلب ازالة العدسة المعتمة وزرع عدسة بلاستيكية. وبعد وقت بدا لي دهراً سمعته يقول: "ثمة أجزاء سليمة في العصبين البصريين. إني على استعداد لإجراء الجراحة." ثم أخبرني أنه سيجري الجراحة الأولى لعيني اليسرى آخر الشهر، وأني سأمكث في المستشفى مدة أسبوع.

وأضاف: "ليس لديك ما تخسرينه."

ولكن هل هناك ما أربحه؟ وهل من أمل في استعادة بعض نظري؟ سؤالان تعذرت الاجابة عنهما قبل الجراحة.

عدتُ الى بلبر يغمرني ارتباك تام. فبعد أكثر من أربعين سنة من العيش في الظلام قيَّض الله لي من منحني بصيص أمل.

عينا مَنْ أُحب

أجرى الدكتور حسن سالم الجراحة لعيني اليسرى في مستشفى دربيشاير الملكي بعد ظهر يوم اثنين، واستغرقت ٤٥ دقيقة. وفي اليوم التالي حانت اللحظة المروعة التي طال انتظارها. دخلت علي ممرضتان قادتاني الى غرفة المعالجة. وهنا حُلَّت الضمادات عن عيني. فرفعت رأسي ببطء.

سألتني إحدى الممرضتين بتردد ظاهر: "ماذا ترين؟"

فأجبت: "خطاً افقياً ساطعاً." ثم أدرت رأسي يمنة وأضفت: "وثلاثة أضواء أخرى ساطعة، لكنها عمودية."

ولاحظتُ أن جوابي حيَّرها، وبدأ قلبي يخفق بعنف. ثم أدرت رأسي يسرة فرأيت شيئاً يسطع قبالتي. ولما مددت يدي مشيرة اليه أحسست الارتياح يعم الغرفة. لقد تبينت الابزيم الفضي على حزام الممرضة الاخرى. وفجأة اتضحت لي حقيقة هذه "الأضواء." فالضوء الأفقي كان الجزء الأعلى من اطار الباب، والأضواء الأخرى كانت ثلاث زجاجات على أحد الرفوف. في هذه المرحلة الباكرة من استعادة نظري كان أي لون خفيف يبدو لي فائق السطوع.

بعد ذلك مشينا الى غرفة استراحة تحلَّق فيها عدد من مرضى جناحي، وصحت بهم جميعاً: "إني أرى!" وفي غمرة حماستي أردت أن أقف على قمة جبل وأخبر العالم أجمع بواقعي الجديد.

ولساعات، لم أر شيئاً يمكنني تفسيره. بدت لي ملامح الناس في غير مواضعها، بانت العيون ماثلة في قمم الرؤوس. ولم أستطع تبيُّن الأنوف أبداً. ولكن مع تقدم النهار

بدأت أرى قضبان الستائر ومزيداً من الاشياء التي استدعت من يعرّفني بها.

وحين نظرت من النافذة أدركت أني نسيت وجود مصارف المياه على الجدران الخارجية للابنية. ولم أدرك أن تلك الأشياء المعدنية الطويلة الصقيلة هي سيارات. ثم، ما هو هذا الخط المستقيم الذي يعلو ويهبط فوق طبق الطعام كلما حاولت الأكل؟

فشرحت لي احدى الممرضات: "إنها سكينك."

وبعد الظهر سمعتُ وقع خطوات يان. كثيراً ما سمعتُ هذه الخطوات. لكنه، هذه المرة، اذ تقدم نحوي وأخذ يدي في يده، وجدتني أنظر اليه، الى زوجي، وأراه للمرة الاولى في حياتي. فلطالما رأيته بعين خيالي، بعينيه السوداوين وشعره الاسود، و"علمت" كيف يبدو. فلم أفاجأ الا حين وعيت أني أحدق الى عينيه. ولن أنسى لحظة تلاقت عيناي وعيني آخر للمرة الاولى وأنا بالغة. وأسعدني كثيراً أن تكونا عيني مَنْ أُحب.

وفي المساء جاء يان بولدينا أدام وبن اللذين عرفتهما لسنوات تعرف أم أولادها بتحسس كل تفصيل في مزاجهم واستباق كل رد فعل لهم. كان بن في العاشرة من عمره وأدام في الخامسة عشرة. وكان عليَّ استجماع كل هذه السنوات من انعدام الرؤية بين ذراعيّ فأدور معهما سريعاً كما في آلة زمنية، حتى أدركنا "الآن" ولحظة المشاهدة الاولى التي تأخذ بمجامع القلوب.

وعندما جاء الدكتور سالم لعيادتي شعرت أنه، حتى هو، دُهش لهذه النتيجة. قال: "صليت لك وأنا أُجري الجراحة. وشكرت الله بعد إتمامها. إني أفعل ذلك دائماً."

يوم السبت بعد الجراحة أخذني يان الى منزلنا. وكانت المسافة القصيرة الى بلبر بالنسبة الي رحلة سحرية عبر أرض مجهولة.

أدهشني أن أرى الخطوط العمودية الملتمعة في طريقنا، وأن أعلم أنها أعمدة الانارة وساريات التلغراف التي اعتبرتها لسنوات عقبات في طريقي. وسمرني الخط الأبيض وسط الطريق الذي راح يتراكض أمامنا محدداً وجهة السير وعابراً المنعطفات قبيل وصولنا اليها.

ولدى وصولنا الى البيت نسيت أن أتطلع حولي، بل انقدت الى أصوات وملموسات ألفتها: ممسحة الأرجل أمام الباب، والسجادة الناعمة في الداخل.

سمعت طقة مزلاج باب غرفة الجلوس وهو ينفتح، ثم رأيت مارتن وفكتور متلهفين لاستقبالي. كان فكتور يزعق ويتواثب جذلاً، فيما وقف مارتن جانباً ينتظر أن أمسد راسه. لقد علمتُ دوماً أن كلبيّ جميلان – كما أخبرني جميع من رآهما. لكن عيونهما الواثقة التي أرتني طريقي لسنوات اخترقت شغاف قلبي.

وبعد نصف ساعة وصل صحافي أراد أن يكتب مقالاً عن عودتي الى البيت. وهو وقف عند نافذة غرفة الجلوس يشيد بالمناظر الخلابة المطلة من هناك. ولم اكن مستعدة للصدمة التي أحدثها سؤاله: "هل ترين الأبواب الحمراء في مركز الاطفاء؟"

أنعمت النظر ولم أجب. فعلى مدى سنوات كونت صوراً شبه مرئية لكل ما هو حولي. لكني في تلك اللحظة لم أرَ سوى كتل ونتوءات مختلطة تتماثل ظلالا تراوح بين الأسود والأبيض والرمادي. وهنا أدركت أن هناك كثيراً أتعلمه عن النظر، وأن ما أراه بنظري الجديد لا يشبه ما يراه غيري. فأنا لم أكن أرى، حتى تلك اللحظة، إلا صوراً أحادية اللون. وكانت قدرتي على الرؤية لا تتعدى في أحسن الأحوال نسبة ٢٥ في المئة من البصر الطبيعي، وبعين واحدة.

بيد أني في تلك الليلة، حين أُضيئت أنوار الشوارع، نسيت أني لا استطيع رؤية أبواب مركز الاطفاء. ورحت أحدق الى عشرات الاضواء المتناثرة في الظلمة وهي تتلألأ بدءاً من أسفل نافذتنا صعوداً الى السماء. لم تكن تلك أضواء عادية، أنا خلتها خفيرات بواسل تحرس التلال بسيوف نارية ممتشقة.

شعرت في قرارتي بالذنب. فلماذا أُعطيت، أنا بالذات، هذه الهدية التي لا تصدق؟ أنا لست إنسانة مثالية. فطبعي نزق أحيانا، ولست شجاعة، بل أحجم حتى عن عبور حقل اذا ارتعت فيه أغنام. ولم يسعني سوى الاستنتاج أن ثمة أسئلة لن نجد لها أجوبة في هذه الفانية.

طرحت هذه الأفكار وبدأت اقتات بنهم من وليمة النظر. بدت لي أبسط الأشياء غاية في الروعة. أُعجبت بالفقاقيع المنبعثة من حوض الحمام، وخصل الوبر الحريرية في الفرش بعد تمشيط الكلاب. حتى قشور البطاطا سحرتني.

وذات صباح فيما كنت أتطلع من نافذة غرفة الجلوس رأيت في الخارج شيئا حيا يجري ويلتمع متكسرا مئات الأجزاء.

فناديت أحد ولديّ أسأله عن هذا الشيء.

فأجاب: "أوه، انه النهر فقط يا أماه."

النهر فقط؟ ليس هناك "فقط" بالنسبة الى نهر جاورته عشر سنين ولم تَرَه أبدا.

وعندما بدأت أذهب لوحدي إلى المتاجر أثارتني بهجة التسوُّق. فبدلا من السير في الممرات وتسمية الأغراض التي أبتغي شراءها لاحدى البائعات، بدأت أرى ما أريده. إذذاك اجتاحت كياني ثقة جديدة بالنفس. قد يبدو الأمر طفوليا بالنسبة الى من اعتاد هذا العمل. لكن عبور صناديق الدفع منفردة من دون صدم الناس بمقدم عربتي منحني شعورا إنجازيا رائعا.

واذا تلوح امامي وجوه أُحب النظر اليها، أركز نظري محدقة، ومَن لم يفهم قصدي ظنني وقحة. حتى يان ارتبك كثيراً قبل أن يعتاد مراقبتي اياه. ولطالما شعرت به متوتراً واذا أحدق اليه وهو يقود السيارة.

ولكم دهشت لدى لقاء أناس عرفتهم لسنوات وكوَّنت لكل منهم صورة واضحة في خيالي. وعندما التقيت فتاة تعمل في احد المحال واسمها سالي، عرفتها للحال من صوتها. لكني قلت لها من غير تفكير: "أنت لا تبدين هكذا! شعرك ليس أسود. لقد خلتك دوماً شقراء." فتلقت الفتاة كلامي بروح طيبة.

وكان أكثر ما أدهشني رد فعل صبي صغير في صف الموسيقى. لاحظت أنه ظل جالساً عندما دخلت غرفة الصف ودعوت التلامذة الى النهوض. فانتهرته. فنظر الي مشدوهاً. ان معلمته "العمياء" تراه.

ورحت أمتع نفسي بالجلوس ساعة بعد ساعة أتفرج من نافذة غرفة جلوسنا على المنازل المنتشرة قبالتي. وكثيراً ما كان الجيران يلوحون لي، كما علمت لاحقاً، لكني لم أستجب لأني لم أكن اراهم.

ويوماً بعد يوم أخذت أخترق حجاب الرؤية الأحادية المملة، وبدأت أرى الألوان. لكني طفقت أشكو لأسابيع من انعدام منظورية الأبعاد. وسألت يان مرة: "ما هو ذلك الشيء الابيض المرتفع في الهواء قرب المنزل المواجه. فتبين أنها الطريق التي مضيت لا أراها منبسطة حتى بعد ايضاح يان.

وكنت أرى الأشياء على نحو أفضل في بعض الأيام، ولا أراها جيداً في أيام أخرى، وفقاً لنوعية الضوء وحالي الجسدية أو الذهنية.

وذات صباح جاءني يان بفنجان شاي وبادرني من فوره: "أراك مرتعبة." وخانتني الألفاظ وأنا أخبره أني لا أرى المنازل عبر الشارع. فضحك، ثم أزاح الستائر، فلاحت السطوح والمدافىء والنوافذ والطريق التي استقامت في وضعها الصحيح.

لم أدرك حتى تلك اللحظة كم عنى لي بصري، وإن ناقصاً ومشوشاً، وكم خشيت فقدانه.

أحسست بالزيف وأنا أسير في الشارع الرئيسي ومعي كلب مرشد على رغم أني بت قادرة على قراءة أسماء المحال. بيد أني شعرت بالارتياح عندما زارني مدرب في مركز تدريب الكلاب في ليمنغتون وقال لي، بعدما لاحظ إجفالي لدى دخول شيء نطاق رؤيتي المحدود، إني لن أكون آمنة بين الحشود ووسط حركة المرور من دون كلب يرشدني.

وقدرت مدى ذكاء فكتور وحسن اهتمامه بي. فقبل إجراء الجراحة لاحظت أربعة أمكنة ألِفَ فكتور أن يبطىء عندها أو يتوقف تماماً. وإذ لم يجد المبصرون لذلك تفسيراً، افترضت أن لفكتور أسبابه الخاصة.

لكني اكتشفت لاحقاً أن الرصيف غير مستو في مكانين حيث يمكن أن أتعثر. وفي المكانين الآخرين برك صغيرة موحلة تتكون إثر هطول الامطار. ولذا كان صديقي الوفي يتوقف لكي يتبين أفضل سبيل يتبعه تحاشياً لهذه العقبات.

رحلات الى الماضي

تطلعت بشوق ونفاد صبر الى اجراء الجراحة الثانية. فلطالما تمنيت وأنا طفلة أن أرى هطول المطر. أما الآن فبت أحدث نفسي قائلة: "أود رؤية القرميد على السطوح." وغدا ذلك هدفاً جديداً أتوق إلى تحقيقه.

وفي نوفمبر (تشرين الثاني) بعد أربعة أشهر من الجراحة الاولى، أجرى الدكتور حسن سالم الجراحة الثانية على عيني اليمنى. وحالما رُفعت الضمادات علمت أن الجراحة الثانية كان تستأهل العناء. اذ تبين بنتيجتها أن الحول قد زال وأن عيني تتحركان معاً للمرة الاولى في سنوات. وعلى رغم أني لم أرَ ضعفي ما كنت أراه سابقاً – أذ أن الرؤية بعيني اليمنى كانت أدنى درجة وأقل وضوحاً – الا أني رأيت قرميد السطوح. وبت، الى ذلك، قادرة على التمتع بالسفر.



ميلاد ١٩٨٧، العينان تبصران.

واجتذبت قضيتي وسائل الاعلام، ودعيت الى محطات الاذاعة والتلفزة لاجراء مقابلات. حتى أننا دعينا مرة الى حفلة في الحديقة الملكية حيث عبرت "ذات العيون الأربع" وزوجها أبواب قصر بكنغهام.

وارتحلنا الى امكنة لم أعرفها إلا سمعاً. ومنها كاتدرائية سالزبوري بعظمتها وجمالها، وحديقة الحيوان "لونغليت" (لم أتصور أن على المرء ان ينظر هذه المسافة البعيدة كي يرى عيني زرافة)، ورحلة مثيرة في عربة معلقة (تلفريك).

وكانت لي أيضا رحلات الى الماضي. فذهبنا الى بلاكبول حيث رأيت البرج الذي حاولت رؤيته في زيارتي السابقة مع أمي.

وكان حنيني الأشد الى معهد كورليوود حيث أمضيت معظم سنوات مراهقتي. وذهبت الى هناك. كان المختلى الظليل خلف المبنى ما زال قائماً، كذلك المقعد الذي جلست عليه يوم شعرت بدعوة الى مهنة التعليم قبل أكثر من ٣٠ عاماً.

يصعب على من تمتع دوماً بنظر صحيح أن يبدي امتناناً لما أمتلكه الآن.

كثير من الأمور الدُنيوية يثير فيَّ أعمق العواطف. فذات مساء نبش يان مجموعة من صور العائلة. وفيما رحت أنظر اليها بدأ يشوب اعجابي رعب من صور امرأة لم اعرفها. واذ تكررت صورها، ومعها كلب أحياناً، لم يبق شك في أن الماثلة أمامي هي أنا.

انغمست في هذه التجربة الجديدة أشارك عائلتي في عرض صور تبعث ذكريات شبه منسية. وبدا غريباً أن أرى أدام يعتلي دراجته البلاستيكية التي طالما حملتها الى الحديقة.

وعندما نظرت الى رأس أدام الذي بدا، وهو بعد في السادسة، حكيما ومهيبا، اغرورقت عيناي. وفي اللحظة التالية وضع أدام في يدي صورة تظهرني في تسريحة عجيبة مروعة، فتبدلت سحنتي وحل الضحك مكان الدموع.

يحدوني الأمل، وانا أتطلع الى المستقبل، أن أواصل محاضراتي عن "جمعية تأمين الكلاب المرشدة للعميان" وإرساء مفهوم أن المعاقين بشر لهم عواطف طبيعية ويتوقون الى عيش الحياة على نحو خصب ومنتج ما امكنهم ذلك.

ويبقى التدريس، بعد عائلتي، موضع اهتمامي وحبي الاكبرين. فأتطلع بشوق الى حصص الموسيقى في سانت اندروز، وهي مدرسة محلية للأولاد الذين يعانون مشاكل تربوية. ولا أنظر الى تلامذتي على انهم معاقون عقلياً. فهم مجرد أطفال، مثل أولادي.

وما زلت أحتفظ بكلبيّ الامينين: مارتن الذي بات في السادسة عشرة من عمره وفكتور الذي غدا في السادسة. وهما يذكرانني بسنواتي التي قضيتها في الظلام. وأسأل نفسي أحياناً ألا أشعر بمرارة لأن النور لم يدخل حياتي قبلاً. فيتردد الجواب: لا.

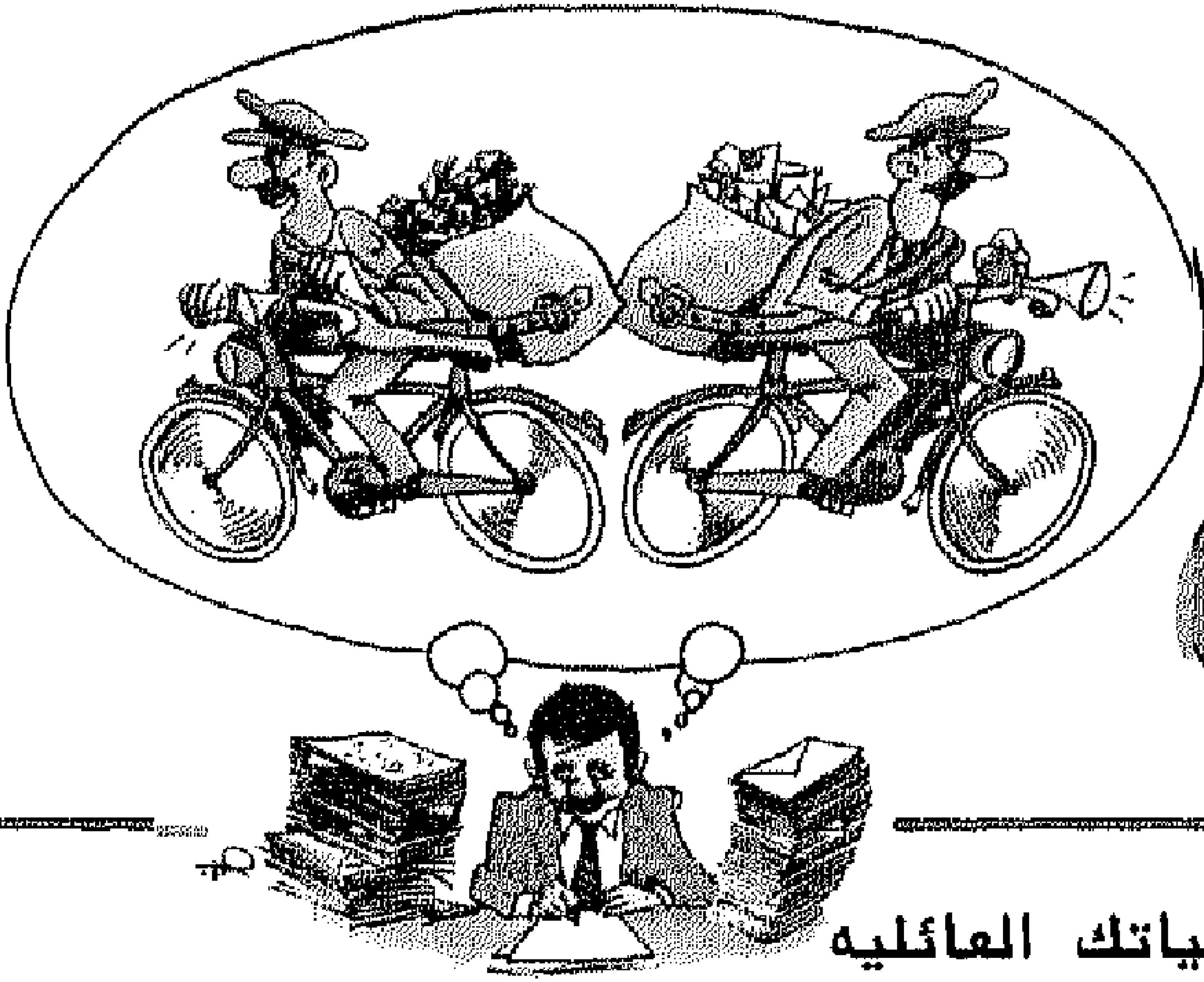
لا تنظروا الى إعاقة كالعمى على أنها مأساة تلفّ المعاق.

فالظلام الذي لفني لم يكن سيئاً بمقدار ما يتصوره الناس. فلولاه لما تمتعت بفرح الرؤية التي طالعتني في حياتي الراشدة. رؤية الجبال البعيدة والندى المستقر على خيوط العنكبوت وحقول الذرة المتألقة تحت شمس الغروب وعشرات الأشياء الرائعة الماثلة لعينين نهمتين متفتحتين كعيني طفل.

جودي تايلور ■

ترجمة فريد شديد

اكتب واربح



هل لديك نكتة؟ هل صادفت في حياتك العائليه أو المهنية حادثاً طريفاً؟ هل سمعت حكاية ذات مغزى وترغب في أن تشرك الآخرين في متعتها؟ خذ قلماً وورقة واكتب ما لديك وأرسله الى "المختار" فتدفع لك المجلة في المقابل، بعد النشر، حسب المعدلات الآتية:

صور من الحياة: القصة يجب أن تكون حقيقية تتحدث عن تجربة شخصية ناجحة ذات متعة خاصة. تدفع عن القصة الواحدة ٣٥ دولاراً.

تأملات معاصرة: مقاطع أصلية أو من كتب ومقالات منشورة تنطوي على مغاز حكمية. يدفع دولار عن كل سطرين.

حديقة أفكار: أقوال مأثورة للأعلام العرب. تدفع ٥ دولارات عن كل سطرين، على ألا يتجاوز القول المأثور السطرين.

الضحك خير دواء: تفضل النكتة الاصلية، أما اذا كانت منشورة فيجب أن تختار من المطبوعات المحلية ذات الانتشار المحدود. تدفع ٣٥ دولاراً عن الاصلية و١٠ عن المنشورة.

السدات: هناك نكات ونوادر قصيرة من مصادر مطبوعة مثل الكتب والمجلات ذات الانتشار المحدود. وهذه كذلك يرحب بها "المختار" ويدفع دولارين عن السطر ذي العمودين.

شروط جديدة

- ★ كتابة الرسائل بخط واضح، والا طبعها على الآلة الكاتبة.
- ★ كتابة مادة كل باب على ورقة منفردة.
- ★ ارفاق كل مادة بنسخة مصورة كاملة لصفحة الكتاب أو المجلة أو الجريدة التي تظهر فيها، شرط أساسي لقبول أي مادة، اذ من دونها يتعذر علينا التحقق من صحة المصدر.
- ★ ذكر المصدر العربي ضروري ونعني بذلك: اسم الكتاب، اسم المؤلف، تاريخ النشر وعنوان الناشر كاملاً. (اذا اختيرت المواد من مجلة أو جريدة، فينبغي ارسال عنوان الجريدة أو المجلة كاملاً، خصوصاً اذا كانت المطبوعة محلية محدودة الانتشار).
- ★ تحاشي المواد المترجمة أو المستقاة من مصادر أجنبية.
- ★ لا ينظر في الرسائل التي تضم كدسات من المواد، فالمقصود أن يحسن القارىء الاختيار.
- ★ لا تعاد النصوص الى أصحابها، سواء نشرت أو لم تنشر.

توجه الرسائل الى العنوان الآتي: مجلة "المختار من ريدرز دايجست"، بيروت.
شارع المقدسي، بناية الشرتوني، ص.ب ٨٧٠٧ لبنان.



سباق زوارق"، زيتية للرسام الفرنسي بول ماز.

نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٩٠ - ربيع الثاني ١٤١١

Reader's Digest

المختار

AL MUKHTAR min Reader's Digest November '90 N° 144

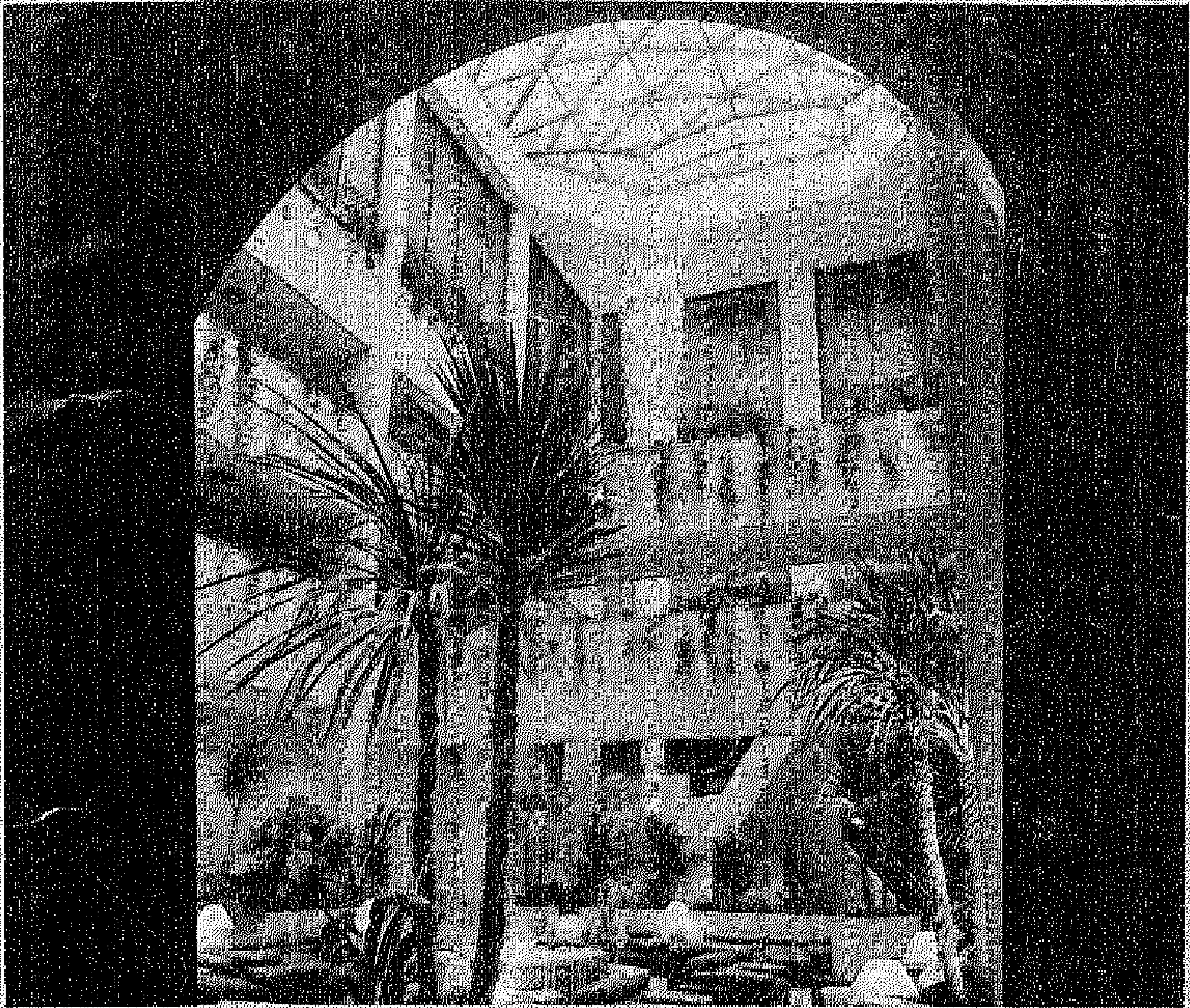
مسحة الرحم قد تنقذك من السرطان
(ص ٥٢)

مجرور يبتلع طفلة
(ص ١٢)

ذوق العصر ايطالي
(ص ٦٦)

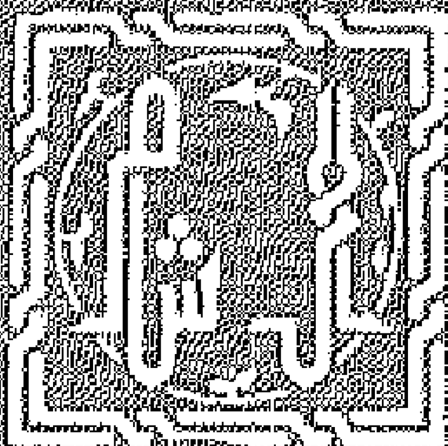
معجزة عدّاء أعمى!
(ص ٩٠)

فندق الشام



أحدث مدينة في أقدم عاصمة

فندق الشام ليس فقط أحدث وأكبر الفنادق في المنطقة ، بل إنه مدينة قائمة بذاتها . صمم على أحدث طراز في ليوفر لك الراحة والمتعة القصوى سواء كنت ترتاح في غرفتك ، أو كنت منهمكاً في عملك . فندق الشام يوفر لك جميع الاحتياجات مثل المركز الرياضي والصحي وحمام السباحة وعدد من المطاعم الفخمة والمشارب بالاضافة إلى مسرح وصالة سينما وعدد كبير من المحلات التجارية . ولاننس المطعم الدوار المطل على مدينة دمشق التاريخية بأكملها التي تعتبر أقدم عاصمة في التاريخ وتتميز بآثار قديمة تظهر أهميتها الحضارية وتقاليدها الأصيلة التي لازلنا نفاخر بها ونحافظ عليها



للحجز : فندق الشام - ص . ب ٧٥٧٠
تلكس ٤١١٩٦٤
رقم الهاتف : ٢٣٢٣٠٠٠ (١٠٠ خط)
تلكس الزبائن : ٤١١٨١٠ (٥ خطوط)

فندق الشام

عراقة في التقاليد



المختار
من ريدرز دايجست

مجـلة شهريّـة

رئيس التحرير – المدير المسؤول: ادمون صعب.

مديرة التحرير: راغدة حداد. أمينة التحرير: نهلا رزق. محررة مساعدة: لورا نفاع. الاشتراكات: فريال علاف.

مدير القسم الفني: جورج غالي. الخطوط: عبد القادر اسماعيل.

الامتياز: شركة النهار للمنشورات الدولية – باريس. الناشر: شركة "ايبراك" للمنشورات الدولية – بيروت.

رئيس مجلس الادارة – المدير العام: الدكتور لوسيان دحداح.

المدير العام المعاون: داني دحداح – باز.

التحرير والادارة: بيروت، شارع المقدسي، بناية الشرتوني، ص.ب ٨٧٠٧ بيروت – لبنان.

التلكس (الموقت): MEM 22288 LE / ANAHAR 22322 LE

التنضيد والتنفيذ: المطابع التعاونية الصحفية، شارع مصرف لبنان، بيروت.

الطباعة: المطبعة العربية، المدينة الصناعية – البوشرية، المتن الشمالي – لبنان.

التوزيع: الشركة اللبنانية لتوزيع الصحف والمطبوعات، بيروت.



AL MUKHTAR min Reader's Digest

Editor-in-Chief: Edmond Saab.

Managing Director: Dany Dahdah-Baz.

Makdessi St., Shartouni Bldg., P.O.Box 8707, Beirut, Lebanon.

Telex ANAHAR 22322 LE / MEM 22288 LE



Circulation Audited by G. Bargout C.P.A.

November '90 N° 144 (New Series) Vol. 12

ريـدرز دايجسـت

المؤسسان: دي ويت والاس وليلى اتشيسون والاس.

الطبعاتُ الدوليّة

رئيس التحرير: كنيث غيلمور. مدير التحرير: فرنسيس ج. شيل. المدير العام: جورج ف. غرون.

تنشر "ريدرز دايجست" في اللغة الانكليزية (الطبعات الامريكية، الكندية، البريطانية، الاوسترالية، النيوزيلندية، الافريقية الجنوبية، الهندية والآسيوية) وفي الفرنسية (الطبعات الفرنسية، الكندية، البلجيكية والسويسرية) وفي الاسبانية (الطبعات الامريكية اللاتينية والاسبانية) وفي البرتغالية والاسوجية والنروجية والدانمركية والفنلندية والالمانية (الطبعتين الالمانية والسويسرية) وفي الايطالية والهولندية (الطبعتين الهولندية والبلجيكية) والصينية والكورية والهندية، الى العربية. وهي تنشر ايضا في طبعة خاصة بحروف كبيرة، وفي طبعة بحروف بريل، وعلى اشرطة مسجلة.

بنان ١٠٠٠ل – سورية ٤٠ل – الأردن ٧٠٠ف – الكويت ٧٠٠ف – الامارات العربية المتحدة ٩د – قطر ٨ر – البحرين ٨٠٠ف – لسعودية ١٠ر – مصر ١،٥ج – السودان ١ج – ليبيا ٥٠٠د – اليمن ٨ر – عدن ١٥د – مسقط ٨٠٠ب – العراق ٨٠٠ف – قبرص ٧٥ب – تونس ٧٠٠م – المغرب ٧د – الجزائر ٧د – فرنسا ١٠ف – انكلترا ١ج – اليونان ١٣٠د – كندا وامريكا الشمالية ٢،٥د

صَبَاحَ الخَيْرِ!



كوبٌ من نسكافه مع الحليب ، في الصباح
وفي أيّ وقت ، يجعل نهارك أكثر بهجة وإشراقاً.
نسكافه ، خلاصة القهوة اللذيذة ، تملأك حيويّة ونشاطاً.
نسكافه ، قهوة ١٠٠ بالمئة صافية ، سريعة التحضير.

نسكافه قهوة الشباب العصريّ الناجح.

أمضى سنوات طويلة في الاسر
وسلاحه للبقاء درع حب لا تفلّ

كنز المحبة

لم أملك أكثر من لحظة لأفكر بما سأقول. حدث ذلك في العام ١٩٧١ وقد مضى على أسري في فيتنام الشمالية سبع سنوات طوال بعدما أسقطت طائرتي وهي من طراز "سكاي هوك" تابعة لسلاح البحرية. كانت تلك السنوات كابوساً من التعذيب والطعام الفاسد والوحدة المؤلمة التي يفرضها السجن الانفرادي المتكرر. وقد اجتمع ما يقارب أربعمئة أسير في ذلك السجن الرديء السمعة الذي سميناه "هيلتون هانوي."

للتغلب على الرتابة أنشأ زملائي السجناء نادياً للخطابة. وفي ذلك اليوم أُعطيت ثلاثين ثانية فقط لتحضير خطاب يستغرق إلقاؤه خمس دقائق ويتناول تجربة شخصية في حياتي.

عاد بي فكري غريزياً الى عائلتي. كانت المحن التي واجهناها بلورت شخصيتي ومنحتها قوة. لقد تزوجت جدتي لأمي في الثالثة عشرة من عمرها في المكسيك، وأتت الى الولايات المتحدة زوجة عامل في السكة الحديد. وكانت تنتقل من محلة الى أخرى، فتنام تارة في مقطورة وطوراً في كوخ متداع. واضطر والداي الى ترك المدرسة عندما كانا طفلين من أجل كسب عيشهما. وتعلمت منهما الثبات والاصرار والتصميم، وهي صفات مكنتني من البقاء. وأهم من ذلك، تعلمت منهما الحب الصافي الكامل بين الأهل والاولاد الذي غمرني الى الأبد مثل درع واقية.

كيف لي التعبير عن كل ذلك؟ كيف أصف لهؤلاء الرجال الكنز الذي أورثني اياه أهل فقراء؟ فجأة، تذكرت برهة من طفولتي وعرفت ما سأقول.

كنت في الثامنة من عمري، وكنا نقيم موقتاً عند جدتي في ساليناس بكاليفورنيا. وذات يوم إنتحت بي جدتي جانباً وذكرتني هامسة أن ذلك اليوم ذكرى مولد أمي. أردت أن أشتري لها

شيئاً جميلا، لكني لم أملك نقوداً. كانت ثمة وسيلة واحدة لتحصيل بعض النقود وهي أن أجمع زجاجات المرطبات الفارغة وأبيعها في دكان قريب بقرش واحد كل زجاجة.

أخذت عربتي الحمراء الصغيرة وطفت أبحث عن زجاجات في نفايات الجوار. وكلما ملأت العربة جررتها مجهداً الى الدكان.

عند العصر تجمعت في جيبي قروش كثيرة. فجررت عربتي صعوداً الى الصيدلية وأخرجت من جيبي حفنة من القطع النقدية. كان لدي ما يكفي لشراء بطاقة معايدة وأكثر.

تسمرت عيناي على قطعة حلوى. وكنت أملك ما يكفي لشرائها. وضعتها في جيب سروالي ودسست البطاقة تحت قميصي وركضت الى البيت.

كان الظلام بدأ ينسدل. وما ان اجتزت المنعطف قرب بيتنا حتى رأيت أمي تبحث عني والقلق باد عليها، والغضب أيضا. سألتني: "أين كنت؟ لقد بحثت عنك في كل مكان."

انتابني الخوف لغضبها. ولما قادتني الى الداخل أجهشت في البكاء.

"أين كنت؟" سألتني وهي تصرخ. فأخبرتها وأنا لا أزال أنتحب: "كنت أجمع الزجاجات لأحصل على مال اشتري به هدية لعيد ميلادك."

ومددت يدي تحت قميصي وناولتها البطاقة التي لم أوقعها بعد. وتركت يداي القذرتان لطخة حيث يفترض التوقيع. ثم اخرجت قطعة الحلوى التي كادت تنشطر في جيبي، وقلت لامي: "اشتريت لك هذه أيضا."

ولّى غضبها وأقبلت علي تعانقني. وعندما ضمتني بقوة ودفنت وجهها في شعري سمعتها تشهق باكية.

تلك الليلة زارنا بعض الجيران، وسأل أحدهم عن سبب وجود قطعة حلوى على إفريز النافدة. فأجابت أمي بفخر وبعينين دامعتين: "قدمها الي ابني هدية لعيد ميلادي."

عندما أنهيت قصتي جلس زملائي مشدوهين. ثم قال لي أحدهم وهو يمسح دموعه: "عليك اللعنة!" وأدركت عندئذ ان كثيرين منا، نحن المحظوظين، يملكون ذلك الكنز السري الذي تهبه عائلة محبة، تلك الدرع الواقية والمخبأة في ذاكرة الطفولة. هذا الكنز رافقنا طوال فترة الحرب.

ايفريت ألفاريز الابن
وأنطوني س. بيتش ■

ايفريت الفاريز الابن أول طيار امريكي اسقط في فيتنام الشمالية وتحمل الأسر لمدة ثماني سنوات ونصف سنة. وبعد اطلاقه في العام ١٩٧٣ حصل على شهادة في الحقوق وشغل منصب نائب مدير "فيالق السلام" ونائب مدير "إدارة المحاربين القدامى." وهو يعيش اليوم مع زوجته وابنيه في روكفيل بولاية مريلاند.

بين الكرة والقرميد

بعد خمسة مواسم كروية فقط أصبح جيري رايس، من فريق سان فرنسيسكو، أعظم ملتقط في كرة القدم الامريكية. ورايس ابن بنّاء قرميد، نمّى مهاراته خلال أشهر الصيف الطويلة الحارة بمساعدة أبيه في بناء المساكن، فقوّى العمل قدرة احتماله وطاقة يديه.

قال رايس لأحد المحررين الرياضيين: "أقف على سقالة عالية، فيرمون الي القرميد طوال النهار. ويكدس أحد أشقائي أربع قرميدات واحدة فوق أخرى ويرميها الي. فتتباعد في كل الاتجاهات، لكني التقطها جميعا."

ك.ب.

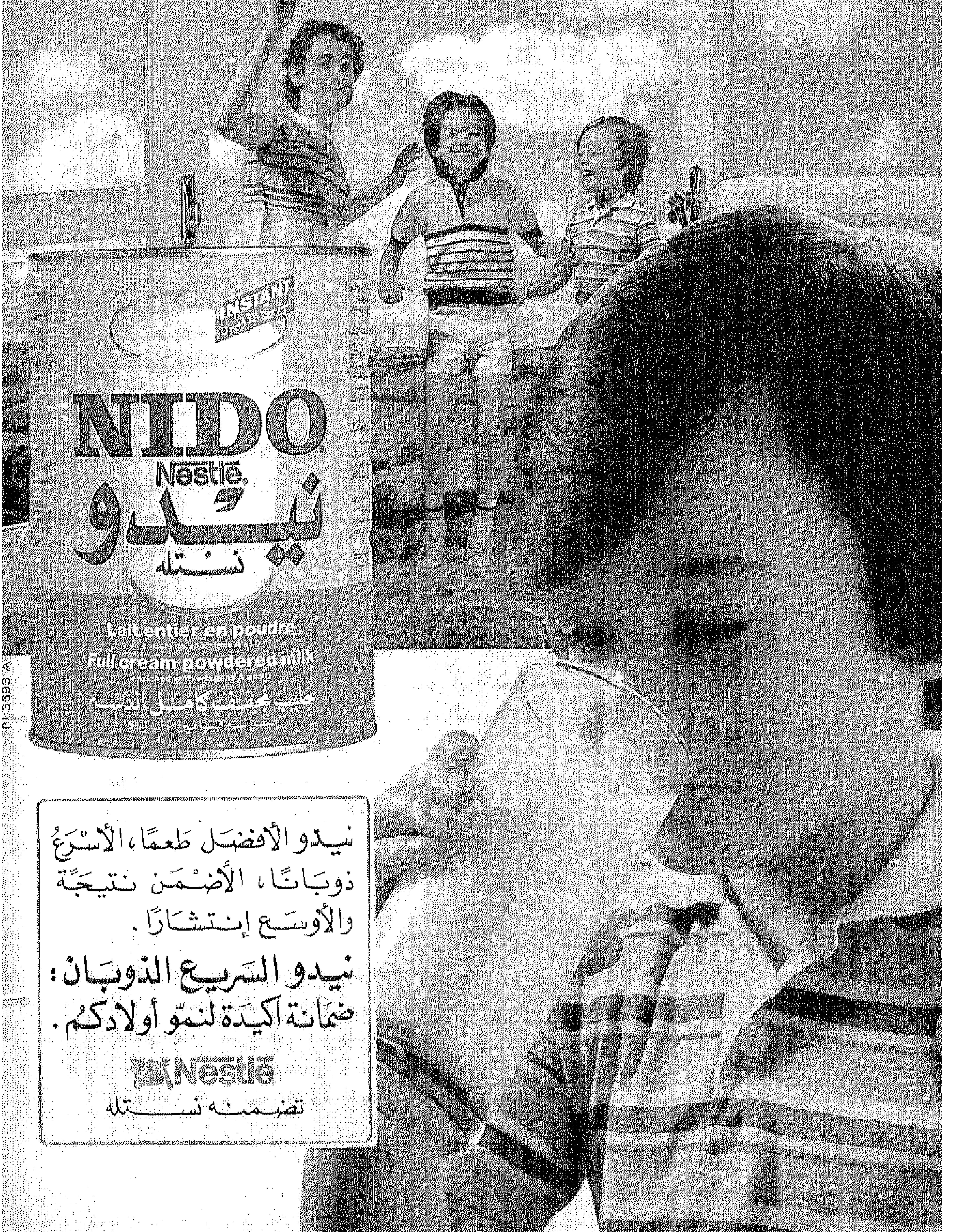
أستاذ غير مطمئن

كان لنا أستاذ معروف باعطائه امتحانات شديدة الصعوبة. وذات يوم وزع علينا أوراق امتحان قائلا: "هذا أسهل امتحان أعطيته خلال مدة تعليمي منذ ١٦ سنة. فاذا كنتم بذلتم حدا أدنى من الجهد في الدرس فنجاحكم مضمون."

وما ان شعرت ببعض الاطمئنان الى كلامه حتى ارتفع صوت من مؤخر الغرفة: "هذا تماما ما قلته لنا السنة الماضية."

س.ب.

نيدو الحليب الأفضل



Reader's Digest
المختار
نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٩٠
ربيع الثاني ١٤١١
السنة الثانية عشرة
سلسلة جديدة
مجلة بحجم كتاب ومقال لكل يوم بأسلوب ممتع

لا تبالغوا في تناول الألياف

أصحيح أن الألياف النباتية تبعد القرحة والسرطانِ وأمراض القلب والامعاء؟

عمت "الصرعة" الغرب وغايتها واضحة: تناولوا نخالة الشوفان وتوقفوا عن القلق في شأن الكولسترول.

ثم نشرت دراسة لجامعة هارفرد أفادت أن النخالة قد لا يكون لها تأثير مباشر في الكولسترول. فهل يعني هذا أن ألياف الشوفان لا تنفع؟ وماذا عن نخالة القمح التي يُغالى في إطراء قدرتها على مكافحة السرطان؟ هل سنعلم عاجلاً أنها هي أيضا غير ناجعة؟

الألياف مفيدة لنا، وهذه حقيقة لا تقبل الجدل. والكميات المعتدلة منها تحمي ضد الامساك والاسهال، وربما حدّت من الافراط في الطعام. فالذين يستهلكون كفاية من الالياف هم أقل اصابة بأمراض القلب وسرطان القولون[1] والاضطرابات المعوية. لكن الافادة لا تأتي سحرياً بابدال مقومات الفطور، لان الالياف يجب أن تدمج بحكمة في كل وجبة.

(١) القولون هو الجزء الاسفل من الامعاء الغليظة.

وتنطبق عبارة "ألياف الحمية" على الاجزاء النباتية التي تمر في المعدة البشرية والامعاء الدقيقة من دون أن تهضم، وتراوح بين قشور القمح القَصِفة وقرون اللوبياء الخيطية ولب الشعير الصمغي. وهناك نوعان رئيسيان من الالياف: القابل للذوبان وغير القابل للذوبان.

حين يصل الليف القابل للذوبان الى القولون تحوّله الجراثيم أحماضاً دهنية قابلة للذوبان. وثمة نوعان من الليف القابل للذوبان: البكتين (في التفاح والبرتقال وغيرهما من الفواكه) والصمغ (في الشعير ونخالة الشوفان وغيرهما).[٢]

أما الليف غير القابل للذوبان فلا تحلّه الجراثيم في القولون. وكل الاطعمة الليفية تحوي بعض الليف غير القابل للذوبان، لكنه أكثر تركيزاً في نخالة القمح والذرة. والعدس والحبوب الكاملة هي أيضا مصادر غنية بالالياف.

والتوازن بين الليف القابل للذوبان والليف غير القابل للذوبان يمنح الطعام المهضوم تماسكاً كتلوياً طرياً يساعد في تقدمه باتزان داخل القناة الهضمية، فلا يكون سريعاً جداً ولا بطيئاً جداً. وعلى مدى قرون وصف الاطباء ألياف الحمية لمرضى يعانون الامساك والاسهال.

ولكن في السبعينات من هذا القرن أفاد الدكتور دنيس بوركيت، وهو طبيب بريطاني خدم الأفارقة في الارياف لعشرين سنة، أنه نادراً ما رأى اصابات بأمراض القلب وسرطان القولون والتهاب الرتج[٣] وحصى الصفراء (المرارة) والقرحة والبواسير وتهيج الامعاء بين مرضاه الافارقة. وعزا بوركيت ذلك الى الكميات الوافرة من الالياف التي يتناولونها يومياً.

وذاعت ادعاءات بوركيت أن الالياف تحمي من بعض الامراض، وأثارت اهتماما عالميا. فشرع الاطباء يحققون في حقيقتها، وتركز بحثهم على أشد الأمراض فتكاً: أمراض القلب وسرطان القولون.

وبينت دراسات عدة أن استهلاك منتجات الشوفان التي تحتوي على كميات كبيرة من الالياف القابلة للذوبان من شأنه خفض كولسترول الدم ١٥ في المئة. ولئن تكن دراسة هارفرد لا تشير الى منافع مماثلة فان نتائجها تحتاج الى اثبات، خصوصا ان الذين شملتهم كانوا يتمتعون بمستويات عادية من الكولسترول.

ويعتقد بعض العلماء أن الالياف القابلة للذوبان تغسل أحماض الصفراء من الامعاء الدقيقة. ويبدو أن جراثيم الامعاء حين تخمر هذه الالياف تنتج مواد تنتقل الى الكبد وقد تُوقف انتاج الكولسترول.

ويزيد ارتفاع معدل الكولسترول امكان الاصابة بأمراض القلب، ولكن لا أبحاث تشير الى أن الالياف تمنع مرض القلب مباشرة.

(٢) Pectins and gums
(٣) Diverticulitis

ويقتفي العلماء خطأ آخر غير مباشر بين الليف غير القابل للذوبان والاصابة بسرطان القولون.

ان كميات متوسطة من نخالة القمح قد تبطىء تكاثر الخلايا في بطانة القولون مما يبطىء نمو الاورام (بوليب) التي قد تؤدي الى سرطان القولون. وتنفذ الالياف هذه المهمة في القولون بوقف عمل الاحماض التي تعاون الكيميائيات المسببة للسرطان في فعلها المؤذي.

والالياف تكافح الجوع أيضا. فالاغذية الليفية تحفظ الماء مما يعني حجما أكبر. وهكذا تمتلىء المعدة فيشعر المرء بالشبع. والى ذلك فان المعدة الملأى بالليف القابل للذوبان، مثل دقيق الشوفان، تفرغ ببطء أكثر فيطول الوقت قبل الاحساس بالجوع ثانية.

والنتيجة الحاسمة هي أن الالياف تنفعنا. وهنا بعض الاقتراحات المفيدة:

١. **فكروا في الليف على أنه طعام لا دواء.** ينصح باحثو التغذية بعدم تناول مكملات مسحوقة أو أقراص بديلة لانها تحتوي على مغذيات ضئيلة. ففوائد الالياف تأتي من تناول أطعمة نباتية متنوعة.



PHOTO: © MARTY UMANS

٢. تناولوا تشكيلة من الاطعمة الليفية ولا تقتصروا على النخالة. فالتنوّع يؤمن كفاية من الليف القابل للذوبان والليف غير القابل للذوبان، ويتيح لنا الافادة من جميع المغذيات المتنوعة التي تحويها الأطعمة الليفية. والقصد هو أن تأكلوا الفواكه والخضر والبقول والحبوب الكاملة بدلا من الاطباق العادية الغنية بالدهن.

ويوصي "المجلس الوطني للابحاث" في الولايات المتحدة بخمس حصص أو اكثر يومياً من الفاكهة والخضر، وبست حصص على الاقل من الحبوب الكاملة والبقول. وتشتمل الحصة على شريحة خبز، وفطيرة صغيرة، ونصف كوب من الخضر أو البقول أو الحبوب المطبوخة، وحبة فاكهة. واذا كنتم لا تريدون احتساب الحصص فما عليكم الا أن تحرصوا على أن يؤلف الطعام النباتي ثلاثة أرباع أطباقكم.

٣. تذكروا أن بعض الأطعمة ليفية اكثر من غيرها. فالجزرة تحوي من الليف ضعفي ما في سويقة كرفس. والتفاحة التي تؤكل بقشرتها تحوي خمسة أضعاف الليف الذي تحويه شريحة بطيخ. وتحوي الفاصولياء ضعفي الليف الذي في الحمص.

انتبهوا الى طريقة تحضير الطعام، اذ أن سلسلة المعالجات قد تخفض المحتوى الليفي. مثلا، يحتوي كوب من عصير التفاح على جزء من عشرين من الالياف التي تحويها تفاحة كاملة، لان تحضير العصير يعني نبذ القشرة وأجزاء اخرى من مركبات التفاحة.

وفي ما يتعلق بالخبز والبسكويت والاطعمة الحبوبية (كورن فليكس) فما عليكم الا قراءة الملصقات. إنما تذكروا دائماً أن الاسماء مضللة أحيانا. فهناك أنواع كثيرة من الخبز الاسمر الذي يدعى "خبز دقيق" أو "متعدد الحبوب" مصنوعة من دقيق مكرّر الى درجة عالية مما يعني أن مجمل الليف نزع منه في سياق التكرير والتنقية.

٤. أضيفوا الليف الى غذائكم تدريجاً. الجراثيم في القولون تخمّر الالياف، وعليكم اتاحة الفرصة لها كي تكون جاهزة لذلك. وينصح باحثو التغذية برفع كمية الالياف الى المستوى الصحي خلال ستة أسابيع.

ابدأوا، على سبيل المثال، بأكل موزة وكوب من نخالة الحبوب مع فطور الصباح بدلا من اللحم والبيض. وبعد أسبوع أو نحوه تحولوا الى الخبز الكامل الحب، وفي الغداء تدرّجوا بزيادة تناول الرز الأسمر والخضر والفاكهة فيما أنتم تخفضون حصصكم من اللحم والحلوى.

واذا عانيتم من الغازات أو التشنجات (المغص) فتوقفوا لبضعة أيام ومارسوا رياضة، كالمشي عشرين أو ثلاثين دقيقة في اليوم.

تذكروا أيضاً أنه كلما زاد الليف في طعامكم زادت حاجتكم الى شرب الماء

والسوائل. وشأن الليف شأن الاسفنج، فانه لا يصبح طَوياً سلساً الا عندما يكون رطباً.

٥. **لا تبالغوا**. حجم الليف كبير، لذا يقتضي بذل بعض الجهد لزيادة كمية الطعام المتناولة كي يكتمل محتواها الغذائي. لكن بعض الناس يظنون أن الاكثر هو الافضل، فيحشون بطونهم بفطائر النخالة أو الحبوب. والانزعاج ليس هو الخطر الوحيد، اذ ان كمية الليف الزائدة قد تمنع الجسم من امتصاص المعادن الكافية والحاسمة للنمو. وتنوع الغذاء كاف لازالة القلق. لكن المشكلة تبقى لدى الشيوخ والاطفال الذين لا يأكلون كفاية.

يحتاج الاطفال دون السنتين الى كميات وافرة من الطاقة الحرارية للنمو، ويحتاجون كذلك الى الدهن لبناء دماغ وجهاز عصبي صحيحين. تقول فيليشا بوش المتخصصة بعلم تنظيم الاغذية في سانت بول بولاية مينيسوتا والناطقة باسم "الجمعية الغذائية الامريكية": "ان تناول كميات كبيرة من الالياف يملأ المعدة الصغيرة قبل الحصول على وحدات حرارية كافية للنمو الطبيعي. واذ يكبر الاولاد يقلدون نمط والديهم في الاكل. فاذا كان غذاؤكم متنوعا ويشتمل على اطعمة كثيرة غنية بالالياف فان أولادكم سيحذون حذوكم."

تندمج هذه الاقتراحات في إطار نصيحة خالدة قائمة منذ القدم: تناولوا أطعمة متنوعة، وباعتدال. هذا هو لبّ الحكمة في الطعام منذ عهد أبقراط، ابي الطب، تعززه الآن أحدث الابحاث العلمية.

ماري موري ■



اقتصاد ياباني

للتوفير في اكلاف المساحة المكتبية (التي تصل الى ١٧٠ دولارا للقدم المربعة سنوياً في طوكيو) اعتمدت شركة في اليابان نظاماً يحشر ٥٠٠٠ موظف في مساحة مكتبية تتسع لـ٤٥٠٠ فقط. وتسير الخطة كالآتي: عندما يصل أحد مندوبي الشركة الى المبنى، يراجع الكمبيوتر الذي يدله على مكتب فارغ. ومن ثم يجر خزانة ملفات نقالة من مخزن الخزائن الى المكتب المتيسر ويبدأ العمل. وإذا اضطر الى مغادرة المكتب لانجاز عملية بيع، فعليه اعادة اوراقه وملفاته الى الخزانة وجرّها الى المخزن وترك خبر بمغادرته المبنى. ولدى عودته تبدأ العملية من جديد.

ويدخل بعض مندوبي المبيعات المبنى ويخرجون منه ثلاث مرات أو أربعاً يومياً. وتقدّر الشركة أن هذه العملية ستختصر الأكلاف العقارية بنسبة ٣٠ في المئة.

س.س.

مأساة واقعية

طفلة اليمّ!

ابتلعت المياه الفتاة فعلقت في دوامة كلعبة قماش داخل غسالة ثياب

٢٦ يونيو (حزيران) ١٩٨٩ اطلت لاتريشيا ريس ابنة الاعوام السبعة من نافذة البيت في احد الأحياء المزدحمة بمدينة هيوستن (تكساس). وكانت العاصفة الاستوائية "اليسون" عبرت بعدما امطرت المدينة بمعدل ٢٥ سنتيمتراً ماء.

رأت لاتريشيا أولاد الجيرة يخرجون من منازلهم ليمرحوا في الشوارع المغمورة بالمياه وهم يجرّون أطواقاً مطاطية وقد طاول الماء ركبهم. وكانت رداءة الطقس اضطرتها الى ملازمة البيت اياماً عدة، فتوسلت الى امها "هلا سمحت لنا باللعب في الخارج؟" وشاركتها في توسلاتها ابنة خالتها كريستال كيلنغسورث (٨ اعوام) المقيمة معهما في المنزل "اسمحي لنا بالخروج يا خالتي أرجوك".

غلب التردد والشك على كارين ريس فهي منفصلة عن زوجها وشديدة الحرص على الفتاتين.

ولكن بعد ايام من احتجازهما في

المنزل لم تر بدأ من الاستجابة الى رجائهما. وسرعان ما ركضت الفتاتان الى الشارع.

وفيما هما تلهوان وتخوضان المياه في الباحة الامامية كانت كارين تراقبهما من النافذة مطمئنة الى أنهما سعيدتان وفي أمان تام.

قبيل السابعة مساء دخلت كارين الى المطبخ لانهاء بعض الاشغال. فقررت لاتريشيا وكريستال استكشاف قناة الى جانب الطريق، اذ أثار فضولهما عمق الماء هناك. فقالت لاتريشيا: "لننزل اليها."

كانت روث سترونغ في المنزل المجاور تنظر الى الخارج لتتبين ما اذا كانت المياه شرعت في الانحسار، فرأت الفتاتين تخوضان القناة. واذا لاتريشيا تغيب فجأة في الماء كأن يداً خفية جذبتها بعنف.

اعتقدت روث في البداية أن الفتاة تلهو تحت سطح الماء. ولكن حين لم تعد الى الظهور صعقت المرأة لادراكها حقيقة ما حدث. فنادت زوجها: "داريل، هناك فتاة غرقت في القناة!"

هرعت روث الى الهاتف واتصلت بقسم الطوارىء، فيما هرع داريل الى القناة. وكانت كريستال خرجت منها ووقفت جزعة وقد عقد الخوف لسانها تنظر الى البقعة حيث اختفت لاتريشيا.

صاح داريل بالفتاة المذعورة: "أسرعي واطلبي النجدة." وتمدد على حافة القناة ومد يده الى عمقها، فأدهشته قوة مجرى الماء. لكنه لم يلمس شيئاً. قد تكون الفتاة غرقت في "المجرور" البالغ قطره ٤٥ سنتيمتراً والممتد تحت الطريق.

حين رأت كارين ابنة أختها كريستال مندفعة الى المطبخ استوقفتها وسألتها: "أين لاتريشيا؟"

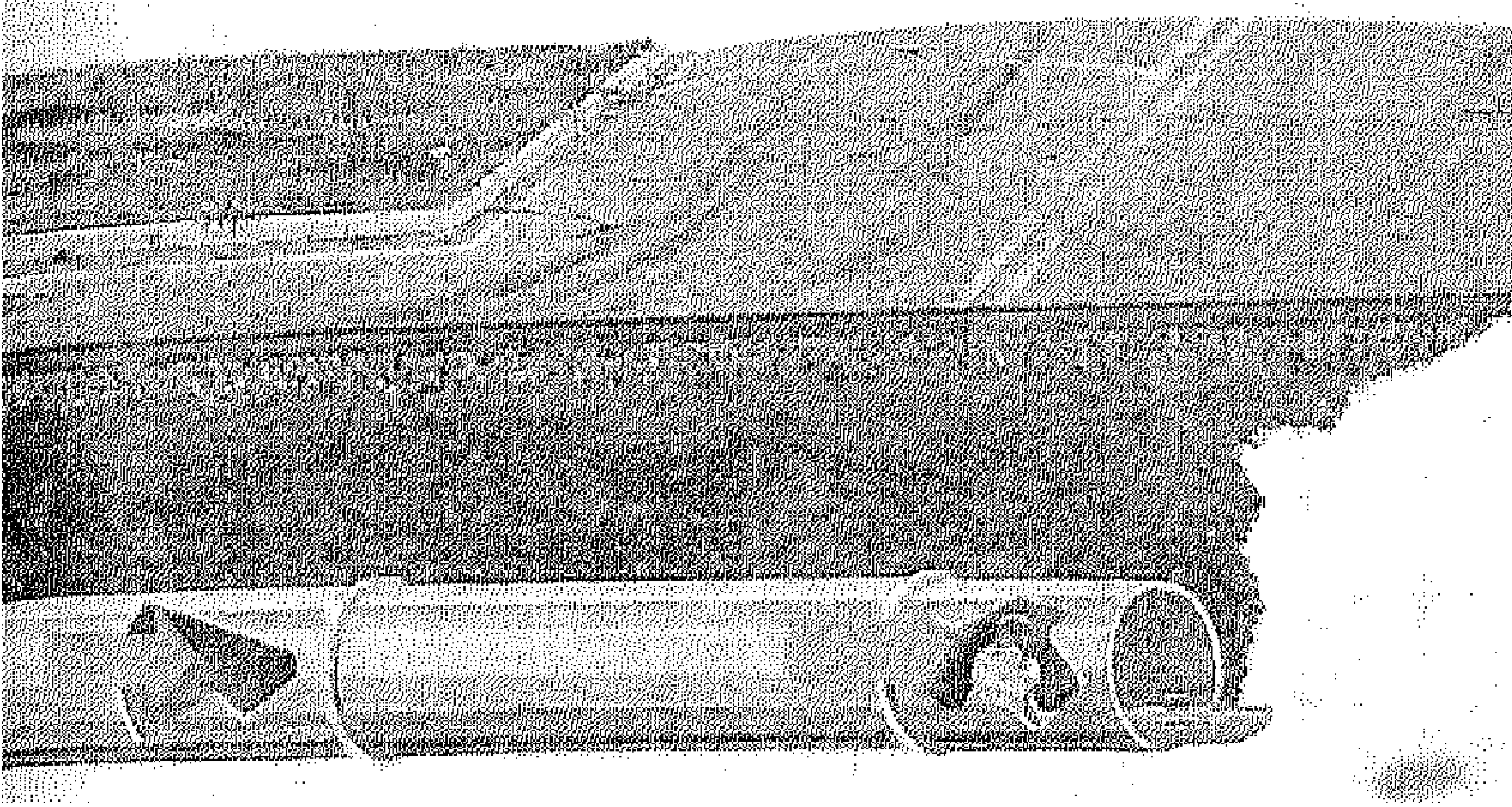
فأجابت الفتاة متلعثمة: "لست أدري."

ركضت كارين الى الخارج حيث أخبرها داريل بما جرى، فصاحت يائسة: "لاتريشيا!" وأضافت في نفسها: "أنى لها أن تبقى قيد الحياة؟" كانت لاتريشيا فتاة عطوفة تحنو على الكلاب والقطط الشاردة. وكانت المفضّلة بين أولاد الجيران، لكنها افتقدت روح القتال والقدرة على الاحتمال.

هتف داريل: "الرافد! ربما جرفتها المياه عبر المجرى الى الرافد." وركض مسافة قصيرة الى حيث تصب مياه المجاري المتقاطعة تحت الطريق، لكنه لم يجد لاتريشيا. فراح يعدو على ضفتي الرافد ويناديها.

بعد برهة قصيرة وصل النقيب بوب كرينيك من دائرة اطفاء هيوستن ومعه ثلاثة رجال، وتبعهم ١٥ رجلا آخرون. فرمى أحدهم بنفسه في الحفرة وبدأ يفتش بيده ثم بقضيب معدني في رأسه عقيفة فولاذية غير حادة. وبلغ من قوة المياه الجارفة أن اضطر عدة اطفائيين الى التمسك بخصر رفيقهم لتثبيته.

ورفع آخرون الغطاء الحديد الثقيل الذي يغطّي حوض تجمع الماء تحت



ابتُلعت لاتريشيا ريس داخل مجرور فائض يبلغ قطره ٤٥ سنتيمتراً وجرفت اكثر من ١٢ متراً داخل شبكة تصريف المياه.

الطريق والبالغ عمقه متراً واحداً. ولعجزهم عن تبين أي شيء عبر المياه المزبدة راحوا يتحسسون العمق بالقضبان الطويلة.

اتصل كرينيك لاسلكيا بفريق الغطس في شرطة هيوستن، فيما اندفع رجاله في الشارع يرفعون أغطية فتحات شبكة المجاري لاقتفاء خط الانبوب تحت الطريق. فلم يروا تحت الاغطية سوى مياه ثائرة صاخبة، ولا أثر للفتاة.

"ساعديني يا أمي!" كانت لاتريشيا تحت الطريق على عمق ثلاثة أمتار، متشبثة بوصلة داخل أحد أنابيب الاسمنت. وكانت المياه تتدفق عبرها مهددة بانتزاعها من مجثمها الواهي، لكن رأسها بقي في جيب هوائي فوق التيار الجارف. وكان الماء يذرّ في فمها فيحملها على السعال الى حد الاختناق.

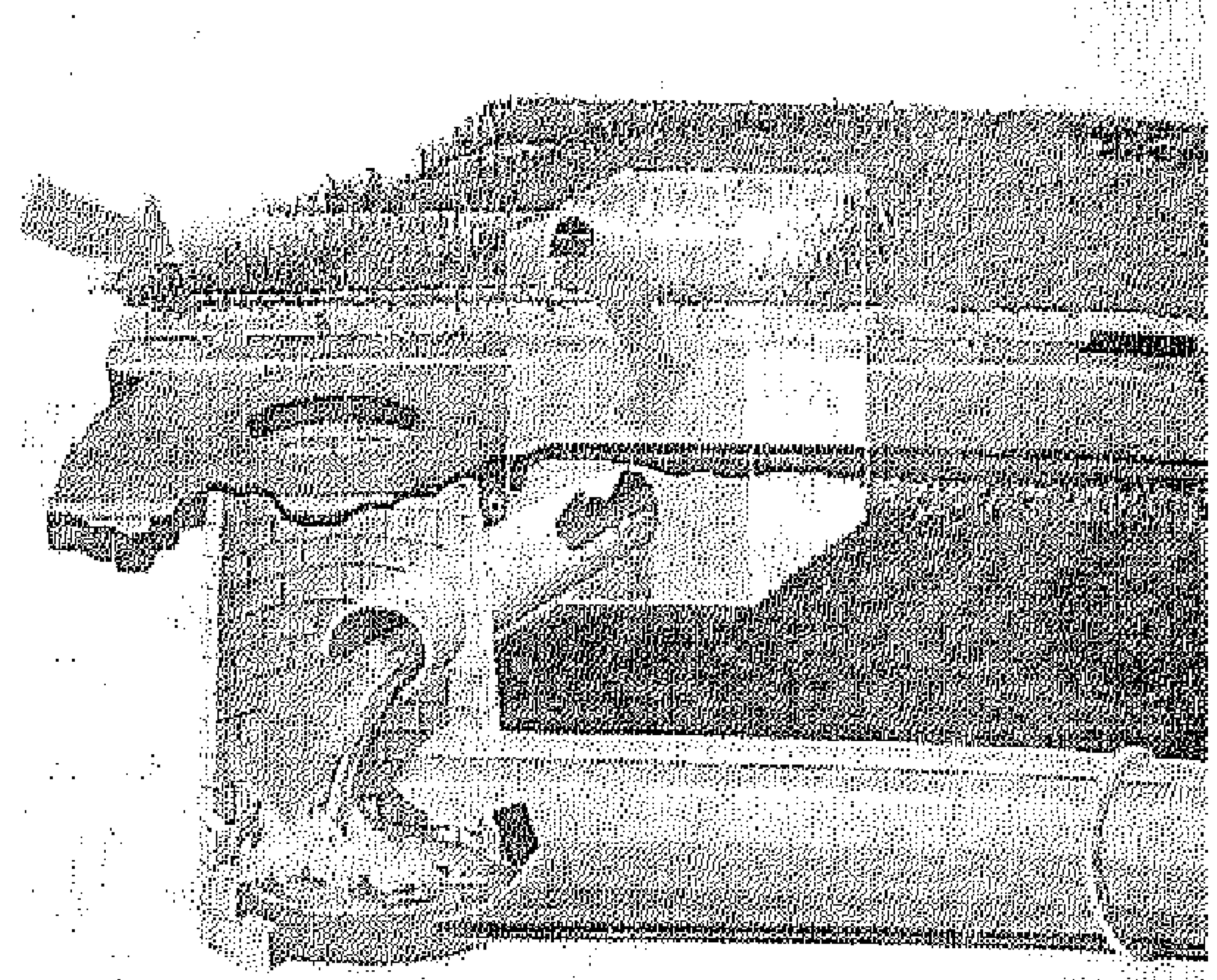
وقع الحادث بسرعة خاطفة أعجزت الفتاة عن إتيان أي رد فعل منقذ. فما ان وقفت في القناة لحظة حتى شُدّت بعنف نزولا، وقدماها أولا، ودفعت مسافة مترين عبر مجرور الى حوض المجمّع الزاخر بالمياه الثائرة. وهناك راحت تدور وتنقلب كلعبة قماش في غسّالة ثياب. ثم حملها التيار الى مهوى عمودي عمقه ثلاثة أمتار، يتقاطع عند قاعدته مع أحد أنابيب المجاري وقطره متر واحد. وكانت كلما اجتازت شبكة أنابيب الى غيرها تندفع عبر فتحات مثلّمة من الاسمنت.

بسطت الفتاة ساعديها بدافع الغريزة. فعلقت أصابع يدها في وصلة بين أنبوبي اسمنت، واصطدمت مؤخرتها برواسب متكدسة على أرضية الانبوب. فاذا بها تتوقف فجأة عن الانسياب في المجاري.

وجدت نفسها مرتعبة ومرتبكة ومتألمة فصرخت: "ماما! ساعديني!" فكان الجواب رجع صدى صراخها في الظلام المطبق ممتزجا بهدير المياه المتدافعة. فتشبثت بوصلة الأنبوب كما يتشبث طفل بأمه لدى محاولة غريب اقصاءه عنها. وصرخت: "أين أنا؟ ساعديني يا أمي!"

أمل وحيد. وصل الشرطيان جيفري شبلي وآلن والاس من فريق الغطس.

DIAGRAM: JOHN EGGERT



فأراهما كرينيك المكان حيث اختفت الفتاة. وقال لهما: "تفحصنا الرافد والانبوب بدقة، فلم نجد لها أثراً."

سأله والاس: "كم مضى عليها هناك في العمق؟"

فاجاب كرينيك: "نحو أربعين دقيقة."

فتبادل والاس وشبلي النظرات اذ استبعدا أن تكون الفتاة قيد الحياة.

كانت المياه تهدر في الانبوب تحتهم بسرعة ٦٥ كيلومتراً في الساعة. وتعذر ارسال أي من الغطاسين. فحتى إن صمد الغطاس في وجه الماء المتلاطم على أنبوب الاسمنت، فليس في قدرة أحد سحبه ضد التيار. والأمل الوحيد الباقي هو أن تكون لاتريشيا جُرفت الى الرافد وبقيت هناك حية متشبثة ببعض الحطام المترسب.

انطلق والاس وشبلي في سيارتهما مخترقين الشوارع الغارقة الى الرافد حيث ركبا زورقاً صغيراً من الألمنيوم طوله خمسة أمتار. وراحا يستكشفان بمشعلين كهربائيين أغصاناً وجذوع شجر تحت الماء وأي مكان قد يعلق فيه



باردوميانو غارسيا وتيم غبريش فوق المجرور.

الجسم. وجذفا على هذا النحو حوالى ٨٠٠ متر في محاذاة ضفتي الرافد المغمورتين. ثم قفز والاس الى الماء ظناً منه أن الفتاة ربما عالقة في سياج مغمور جزئياً. لكنه لم يجد لها أثراً.

أخيراً، بعد تمشيط ضفتي الرافد على امتداد نصف كيلومتر من مصب أنابيب المجاري، أدركا أنهما أخفقا في محاولتهما. وفي العاشرة ليلا نقل شبلي الى كارين ريس النبأ المفجع: "سيدتي، لقد بذلنا جل طاقتنا وامكاناتنا هذا المساء. وسنعود غداً صباحاً."

كان شبلي يدرك أن أناساً آخرين في المدينة التي غمرها الفيضان يحتاجون الى مساعدة من فريق الغطس. لكن التخلي عن هذه المرأة المفجوعة كان من أصعب ما واجهه في حياته.

عادت كارين الى منزلها وراحت تذرع الغرف يائسة ومرددة في فكرها: "ليست في العالم فتاة أعذب منها."

تخيلات مهدئة. قبعت لاتريشيا داخل المجرور ترتجف برداً وخوفاً. وحزّ الالم في أصابعها وهي متمسكة بوصلة الانابيب فيما المياه تندفع عبرها هادرة مهددة وتترجّع في النفق المظلم أصداء مخيفة غامضة تملأه رهبة.

كان من السهل على لاتريشيا الاستسلام لقدرها وافلات قبضتها. لكنها أبت أن تجرها المياه مسافة أبعد. وأدركت فجأة وبوضوح أنها لن تستسلم، فعزمت على الثبات. وأحكمت قبضتها على الوصلة، على رغم الوجع. وكانت قطع النفايات تضربها بعنف. وعلقت بشعرها اوراق وعيدان طافية، وشعرت بآلام في ساعديها وقدميها بفعل الصدمات القوية التي تعرضت لها. ومرت الساعات طويلة، فثقلت عيناها، لكنها كافحت رافضة الاستسلام للنعاس. وأحسّت في أعماقها قبساً من الايمان استمدّته من محبة والدتها، ووجدت فيه قوة للثبات والكفاح. وفكرت: "ستجدني أمي. أنا أكيدة من ذلك. ستخبرها كريستال أين أنا، وستجدني."

وتخيلت أنها في منزل كثير الغرف، وأن حوض الاستحمام فاض وهذا كل ما في الأمر. فلا داعي الى القلق. وهدأ هذا التصور من روعها.

عند شقّ الفجر توجهت كارين وأختها أبريل الى الرافد وجالتا وسط الحطام الذي خلفه الفيضان وهما تناديان: "لاتريشيا." ومرّت ساعتان عادتا بعدهما الى المنزل منهكتين يغطيهما الوحل. وانطلق صديق العائلة هوزيه غونزاليس وابن شقيق كارين دوفنسنت فيلبس الى الرافد لكي يتابعا البحث.

قرابة السابعة والنصف صباحا شاهد فيلبس رجلين مكبين على درس خرائط ملقاة على غطاء محرك شاحنة. فقدر أنهما هما أيضا يبحثان عن لاتريشيا.

والحقيقة أن الرجلين، تيم غبريش وباردوميانو غارسيا، جاءا بتفويض من شركتهما للتثبت من أن مستويات المياه في المدينة متدنية الى حد يسمح بتنفيذ أشغال المجاري الصحية.

واستجابة لالحاح فيلبس ركب الثلاثة الشاحنة وتوجهوا الى حيث اختفت لاتريشيا. رفع غبريش غطاء النفق ونزل، وفي يده مشعل كهربائي، الى أقرب نقطة من حوض المجمّع. وفكر في نفسه: "خير لي الا أجد شيئاً من أن أجد جثة هامدة."

"أهذه أنت يا صغيرة؟" دهش غبريش لدى اكتشافه أن منسوب المياه في أنبوب الفيضان هبط الى أقل من ٣٠

PHOTO: © MANUEL M. CHAVEZ / THE HOUSTON POST



لاتريشيا
بعد انقاذها.

سنتيمتراً خلال الليل. فسدّد مشعله الى القعر فوجده مغطى بقطع الـزجاج والمعدن والاسمنت. ففكّر: "يستحيل أن يسقط أحد في هذه البؤرة المهلكة ويخرج منها سالماً."

واذ حوَّل الضوء الى يمينه خيل اليه أنه لمح شيئاً يتحرك في قعر النفق. فصاح غير مصدق: "أهذه أنت يا صغيرة؟" فلم يأته الا صدى صوته. وأنعم النظر، فبان له شكل صغير متكوم على بعد تسعة أمتار في الانبوب.

صاح ثانية: "يا صغيرة!" فأتاه الرد هذه المرة واضحا: "من أنت؟ أريد أمي."

صعق غبريش وأراد أن يندفع نحو الفتاة. لكن الانبوب كان أضيق من أن يتسع لجسمه. فصاح: "أيمكنك أن تأتي الي؟ سآخذك الى أمك."

كانت لاتريشـيا خائفة. لكنها استجابت لالحاح غبريش وتشجيعه وبدأت تتقدم ببطء نحوه.

ووصلت لاتريشيا الى غبريش، فرفعها اليه وكانت ترتجف بفعل البرد والصدمة والخوف. فضمها اليه برهة ثم رفعها من وركيها الى رفيقه.

نقلت لاتريشيا الى المستشفى حيث تبين أن اصاباتها غير خطرة: ارتجاج في الدماغ وضربة على رسغ القدم وكدمة متورمة في الجبين. وقال الدكتور جورج رودريغز: "ثمة عين ساهرة كانت تحرس هذه الفتاة."

ولازمت لاتريشيا المستشفى ليلة واحدة للمراقبة، وغادرته صباح اليوم التالي.

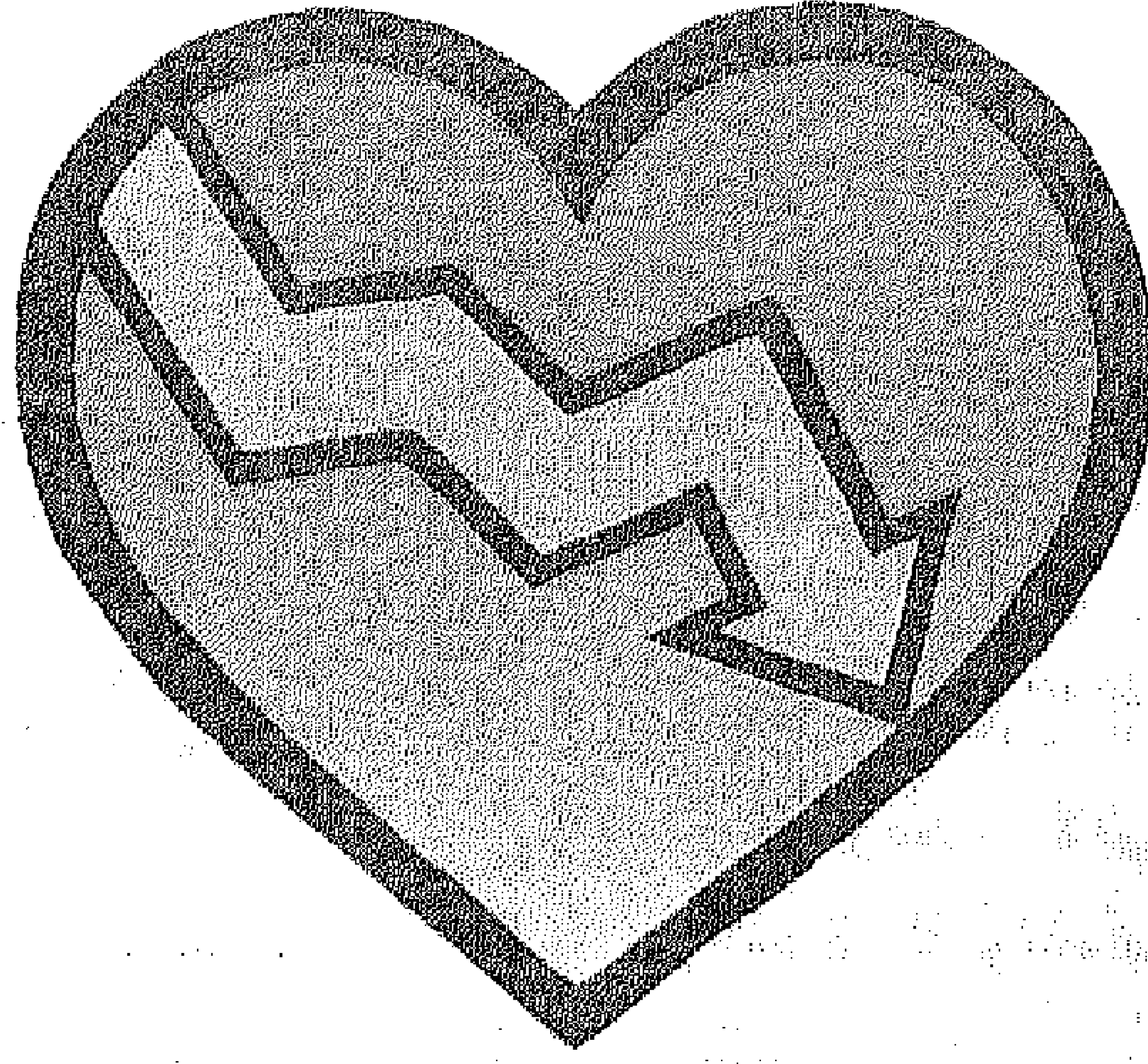
وفي دائرة الاطفاء، ما أن عرف كرينيك وفريقه أن الفتاة وجدت حية حتى تحول جو الكآبة والاحباط الى تهلل وفرح. وقال جون كاريسون وهو مسعف في دائرة الاطفاء أخـذ لاتريشـيا الى المستشفى: "لم أر في حياتي رجال اطفاء متجهمين مثلهم حين عادوا أمس وقد اخفقوا في العثور على الفتاة."

وترغب لاتريشيا في نسيان ما حدث لها. لكنها فخورة بطريقة تصرفها، وتعترف بتواضع وحياء: "أعتقد أنني كنت شجاعة."

وتقول أمها: "لم تكن لاتريشيا مناضلة من قبل. لكنني أقول لها اذا كان في إمكانها البقاء طوال الليل تغالب النعاس والخوف والألم واليأس داخل أنفاق المجاري، فانها قادرة على تحقيق أي شيء تعقد العزم عليه."

بير أولا وإميلي دولير ■

ضغط الدّم



ارتفاعه يمرض القلب واعتداله يطيل العمر

أدت الابحاث الحديثة الى تحسن ملحوظ في طرق معالجة ارتفاع ضغط الدم، وبالتالي في مكافحة النوبات القلبية والسكتات الدماغية (الفالج). لكن الاعتقادات الخاطئة المتعلقة بارتفاع ضغط الدم وعلاقته بأمراض القلب لا تزال سائدة. وفي المقتطفات التالية من كتاب "اخفض ضغط دمك وعش عمراً اطول" يدحض طبيب قلب شهير خبير بعلّة ارتفاع ضغط الدم هذه الخرافات ويسدي نصائح للمحافظة على قلب سليم.

معالجة ارتفاع ضغط الدم هي غالباً أسوأ من المرض ذاته.

هذه هي احدى الخرافات الاشد أذى. نحن لا نعرف سبب ارتفاع ضغط الدم ولا السبيل الى الشفاء منه في معظم الحالات، ولكن في امكاننا معالجة غالبية المرضى ببساطة ومن دون انزعاج أو تكاليف باهظة. واليوم تكفي الادوية الشديدة الفاعلية لضبط ارتفاع ضغط الدم مع حد أدنى من الاعراض الجانبية.

لا حاجة الى معالجة ارتفاع ضغط الدم "الخفيف."

قبل ست سنوات قصدني رجل في عيادتي. كان عمره ٤٧ عاماً وضغط دمه ١٤٥/٩٥ وهو معدل غير مرتفع لكنه في

نطاق تتعين معالجته. وكان الرجل اطّلع على مقالات تشير الى أن لا حاجة الى معالجة ارتفاع ضغط الدم الخفيف ما دام المرء يشعر أنه في حال جيدة. وهو أصر على الابتعاد عن الادوية "السامّة." وخلافاً لتوصيتي، رفض تناول اي دواء.

بعد خمس سنوات ارتفع ضغط صاحبنا الى ١٠٥/١٥٥. ولم يكن هذا المعدل بعد مرتفعاً الى حد الخطر، ولكن كان هناك دليل على تلف في الكليتين وتضخم في القلب. ولحسن الحظ وافق الرجل على تناول أدوية. وبعد تناوله جرعات من دواء مدرّ للبول ومن مُحصر "بيتا"* لمدة ستة أشهر انخفض ضغط دمه وعادت كليتاه الى العمل طبيعياً.

الرسالة بسيطة: أي ارتفاع في ضغط الدم، مهما يكن خفيفاً، تنبغي معالجته. بعض الناس يحتاجون الى خفض وزنهم والتخفيف من تناول الملح وزيادة التمارين الرياضية، ويحتاج آخرون الى تناول أدوية تراوح بين حبة في اليوم للارتفاع الخفيف في ضغط الدم و٢٠ حبة في الحالات القصوى. ويعتبر ضغط الدم ٨٠/١٢٠ مثاليا للبالغين، وهو طبيعي حتى ٩٠/١٤٠. ويندرج ٧٠ في المئة من المرضى في نطاق المعدل الخفيف (٩٠/١٤٠ الى ١٠٤/١٦٠) ومعظم الآخرين في النطاق المعتدل (١٠٥/١٦٠ الى ١١٥/١٨٠). اما حالات ارتفاع الضغط الحاد (اكثر من ١١٥/٢٢٠) فنادرة لتيسُّر معالجة الحالات الخفيفة والمعتدلة بفاعلية.

«الناس المتوترون والقلقون وحدهم يصابون بارتفاع ضغط الدم.

يعزى ارتفاع ضغط الدم الى ارتفاع الضغط في الشرايين وليس الى شخصية الفرد. فكثيرون من الناس الهادئين الودعاء يعانون ارتفاعا في ضغط الدم، وكثيرون من المتوترين والقلقين يتمتعون بضغط طبيعي. لكن التوتر والقلق قد يسببان ارتفاعا موقتا في ضغط الدم. وتبين دراسات على الحيوان أن الارهاق المطوَّل قد يساهم في ارتفاع ضغط الدم.

يحتاج المتقدمون في السن الى ضغط دم أعلى لامداد الدماغ والاعضاء الحيوية بدم كاف.

أظهرت دراسات عدة أن المسنين الذين يتمتعون بضغط دم طبيعي يعمِّرون أطول ويصابون بسكتات دماغية ونوبات قلبية أقل من ذوي الضغوط المرتفعة وإن قليلا. ولا دليل على أن ارتفاع ضغط الدم يحسِّن وظيفة الدماغ لدى المسنين. والواقع أن له تأثيراً مضاداً أحياناً، اذ يزيد احتمالات الاصابة بالسكتات.

ارتفاع ضغط الدم هو أكثر شيوعاً لدى المسنين.

قد لا يتسنى تشخيص ارتفاع الضغط قبل بلوغ الخامسة والخمسين أو أكثر، لكن الدراسات تشير الى أن معظم الاصابات يحدث ما بين الخامسة والثلاثين والخامسة والاربعين.

(*) Diuretic and beta blocker

يقتضي تشخيص ارتفاع ضغط الدم اجراء فحوص عدة تشمل مراقبة ضغط الدم خلال المشي والحركة، وفحوص الاجهاد، والتخطيط الصوتي للقلب.

ليس أي من هذه الاجراءات ضرورياً في غالبية الحالات. ويمكن اجراء تشخيص صحيح من خلال بعض فحوص الدم العادية وفحص البول وقياس ضغط الدم لفترة معينة. وقد يقع المرضى ضحايا نوع من المبالغة في الاهتمام الطبي فيخضعون لفحوص أكثر مما يلزم.

برامج الحمية المخصصة لذوي ضغط الدم المرتفع صارمة جداً.

خفض الوزن هو أهم وسيلة لا تعتمد الدواء لخفض ارتفاع ضغط الدم. ولكن ليس من الضروري اتباع حمية صارمة جداً.

قصدتني سيدة كانت تعاني ارتفاعاً خفيفاً في ضغط الدم. وكان وزنها زائداً ١٨ كيلوغراماً على المعدل الطبيعي. وقبل سنة كان طبيب العائلة أعطاها لائحة بأطعمة الحمية وبالأطعمة المالحة التي يجب أن تتحاشاها. لكن الطبخ والضيافة كانا سلوى السيدة. وهي حاولت الاكتفاء بمراقبة أفراد عائلتها وهم يلتهمون المعجنات واللحوم والحلوى الشهية فيما هي تقضم بتأن الخضر المسلوقة ولحم الدجاج الابيض. ونغّصها ذلك على الدوام، وما لبثت أن استسلمت للاغراء وتخلّت عن الحمية.

واذ كان واجبي خفض ضغط دم السيدة، طلبتُ من اختصاصي بالتغذية قائمة تتضمن أطباقها المفضلة التي تحتوي على قليل من الملح والدهن. وشجعتها على المشي السريع نصف ساعة كل يوم.

لم تمض ثلاثة أشهر حتى نقص وزن مريضتي خمسة كيلوغرامات ونصف كيلوغرام، وانخفض ضغط دمها. وبعد سنة عاد ضغطها الى مستواه الطبيعي ونقص وزنها أكثر من ١٣،٥ كيلوغراماً. وقد تحتاج الى أدوية في المستقبل، لكنها الآن في حال صحية جيدة من دون أدوية.

ولكن ليس في الامكان معالجة كل مريض بمثل هذا النجاح. غير أن معظم ذوي ضغط الدم المرتفع يستطيعون مباشرة اكل نصف حصصهم العادية من الاطعمة الدهنية وزيادة أكل الفاكهة والخضر وغيرها من الاطعمة ذات الطاقة الحرارية المتدنية.

أما في شأن الملح، فالقاعدة المفيدة لذوي الضغط المرتفع هي أن يتناولوا نصف الكمية العادية. فمعظمنا يستهلك عادة ملء ملعقتين صغيرتين من الملح يومياً. فاذا خفضنا الكمية الى ملعقة واحدة فذلك يساعد على خفض ضغط الدم. وفي بعض الاحيان، ما علينا الا أن نرتدع عن اضافة الملح الى الطعام أثناء الطبخ وعلى المائدة.

نستطيع تفادي النوبات القلبية وإطالة عمرنا بالرياضة القاسية فقط.

الرياضة المنتظمة تساعد القلب على

العمل بفاعلية أكثر. وهناك دليل على أن التمارين الحيهوائية (ايروبيك) تساعد على خفض أمراض القلب ولا تسبب ضغطاً واجهاداً للظهر والوركين والركبتين كما يحصل في الهرولة.

الرياضة المعتدلة، المترافقة مع حمية قليلة الملح تتضمن طاقة حرارية مخفضة، هي خطوة مهمة أولى في معالجة ارتفاع ضغط الدم الخفيف والمعتدل. وقد دلت الدراسات على أن هذه الخطوة قد تخفض ضغط الدم الى مستويات طبيعية لدى ٢٥ في المئة من المرضى. فالمشي النشيط ٢٠ أو ٣٠ دقيقة، ثلاث مرات أو أربع في الاسبوع، تمرين مثالي يمكن كل واحد منا اعتماده.

المدخنون منذ مدة طويلة سببوا لقلوبهم ضرراً لا سبيل الى اصلاحه. لذا فالتوقف عن التدخين لن ينفع كثيراً.

الى الاضرار الكثيرة التي يلحقها التدخين بالجهاز القلبي الوعائي، هناك دليل على أن كثرة التدخين تؤدي الى ارتفاع ضغط الدم. ولكن حتى إن دخنت علبتي سجائر أو ثلاثاً يومياً لمدة ٢٠ سنة ففي امكانك خفض خطر الموت فجأة بنوبة قلبية خلال سنة أو سنتين بعد الامتناع عن التدخين، قريباً من مستوى شخص لم يدخن أبداً. ومن دخّن بين ١٠ سجائر و٢٠ سيجارة يومياً طوال ١٥ سنة قد يحقق هذا الهدف في أقل من سنة.

رياضة التأمل والمعالجات الاخرى التي لا تعتمد الادوية هي فاعلة كالادوية واكثر أماناً.

ان بضع دقائق يمضيها المرء في التأمل والتفكر قد تحسن قدرته على التركيز والتغلب على الاجهاد ومواجهة مهمة صعبة بنشاط متجدد. انما في حال معظم المرضى الذين يعانون ارتفاعاً في ضغط الدم فتقنيات الاسترخاء هذه تخفض ضغط الدم موقتاً.

اذا كنت تعاني ارتفاعاً خفيفاً في ضغط الدم (ضمن نطاق ٩٠ – ٩٥ / ١٤٠ – ١٥٥) فلا خطر كبيراً في تجربة هذه الطرق لبضعة أشهر بدلا من الادوية. أما الذين يعانون ارتفاعاً حاداً في ضغط الدم أو تلفاً في الاعضاء ناجماً عن ارتفاع ضغط الدم، فلا يجوز أن يعتبروا هذه الطرق بديلا من المعالجة التقليدية.

لقد ولّت أيام كان المرضى يتركون لاطبائهم مسؤولية العناية الطبية الكاملة. فالمرضى في أيامنا لا يطلبون فقط أن يكون لهم رأي في الرعاية الصحية التي يتلقونها، بل يدركون أنهم يتحملون بعض المسؤولية حيال طرق معالجتهم. وهذا ينطبق خصوصاً على داء مثل ارتفاع ضغط الدم الذي يقتضي دراية وارادة جادة لضمان حياة طويلة ومثمرة.

د. مارفن موسر ■

الكاتب أستاذ في الطب السريري بجامعة ييل ومستشار طبي لـ"برنامج التوعية الوطنية حول ضغط الدم المرتفع" الذي يرعاه "المعهد الامريكي للقلب والرئتين والدم."

أوراق من بلور

ذات صباح سأل متزلج المصور الفوتوغرافي الأرجنتيني إدواردو فس عما يفعل بآلة تصوير مثبتة على سناد ثلاثي القوائم وموجهة الى الأرض. فسأله فس أن ينظر عبر العدسة. وعندما فعل الرجل دهش وقال: "لقد أمضيت عشرين سنة أتزلج هنا، ولم أنظر يوماً الى الجليد." ثم مضى وهو يركع بين فينة وأخرى لينظر الى ما فاتته رؤياه لزمن طويل.

يعرض لنا فس عالماً نطأه عادة بأقدامنا. فيصبح الجليد شاشة لعدسته، وأوراق الشجر لوحات تجريدية.

وهنا يدعونا الى تأمل رموز الخريف الملونة محتجزة في الحبيبات البلورية رافضة الاستسلام لقبضة الصقيع.

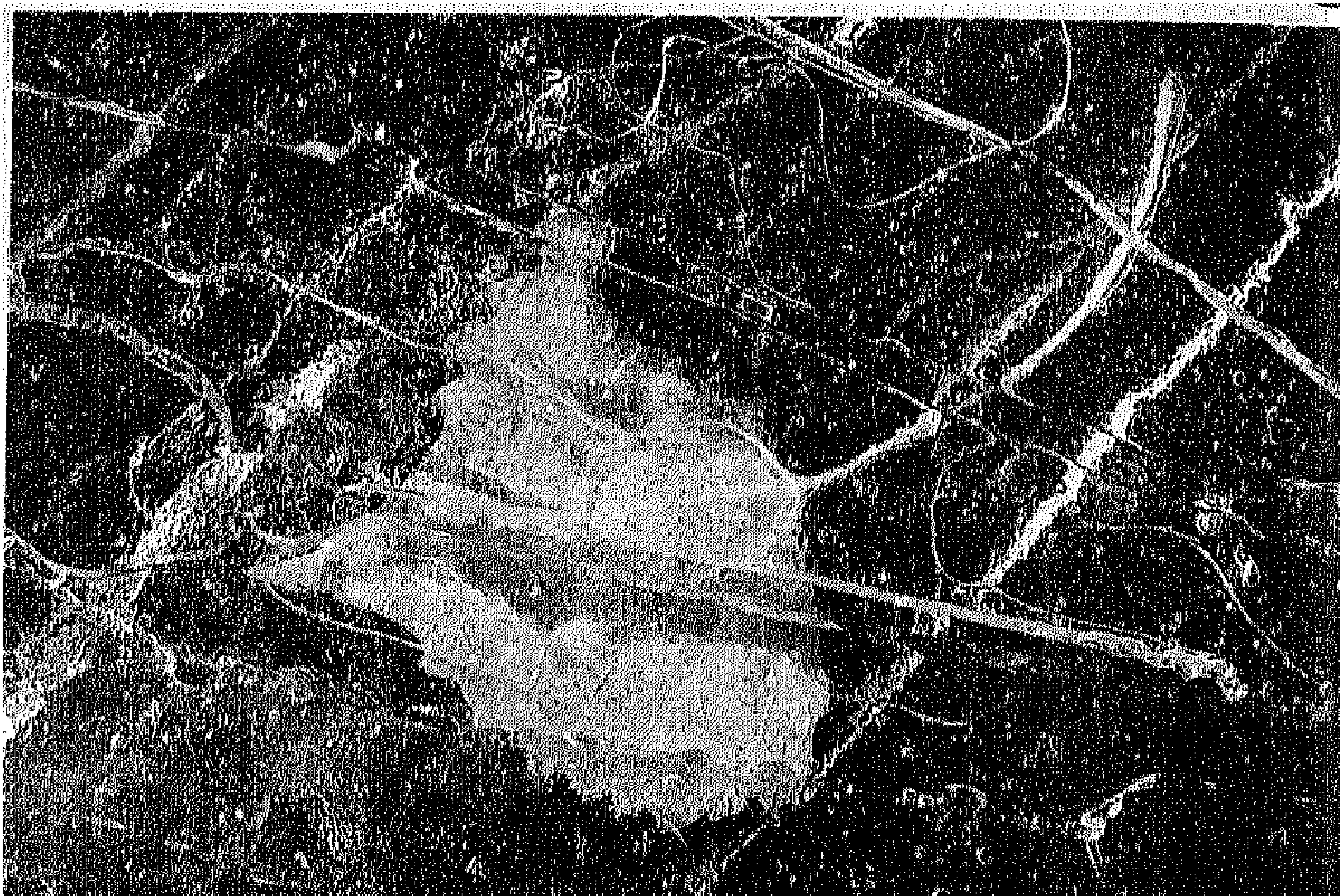
دوتشيو كانستريني وأدريانو سانسا ■

(الى اليمين) بيضوية واهليجية ورمحية. لم تعد هذه مجرد أوراق، بل هي اشكال صُوِّرت في صباحات شتائية باكرة قبل أن تفتت اشعة الشمس الألواح الجليدية.

(الى اليسار) "النشغ جمّده الصقيع والأوراق الشبقة رحلت. التحف الجمال الثلج، والعري في كل مكان..." كلمات من "سونيتة" لشكسبير كأنها كتبت لوصف هاتين الصورتين.

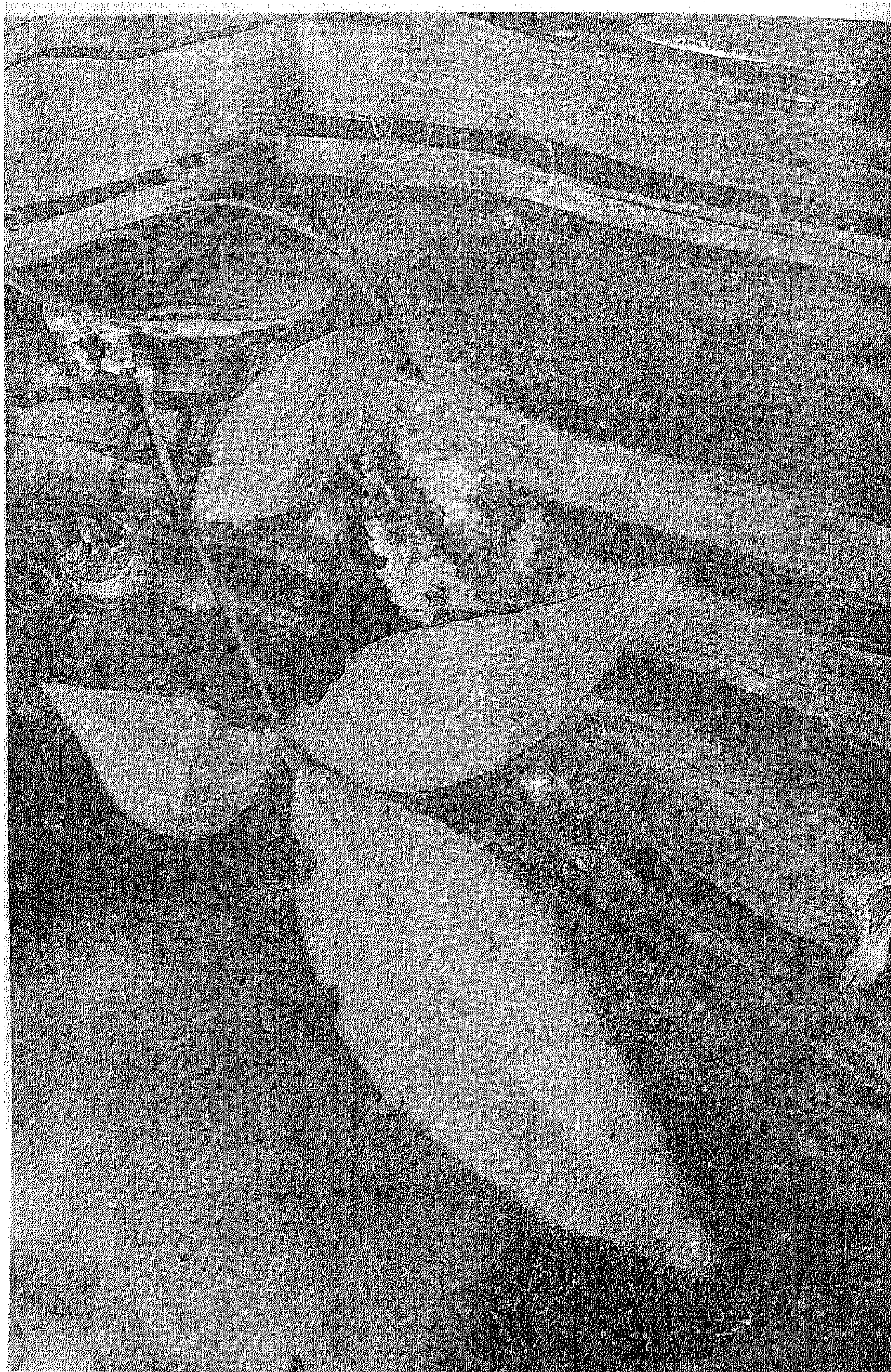






نار في الجليد. تحت ثلاثة مليمترات من المياه المتجمدة تتقد نار عبر الشتاء... اوراق خيزران قزمة تحفظ دفء شمس الخريف ولونها. هل فكرتم يوماً في أن اوراق الخريف تلامسكم وهي تسقط؟ الشاعر الأمريكي روبرت فروست فكر في ذلك وقال: "كي تستقر في مثواها الأخير عليها أن تمر بي."





أوراق من بلور

"عوالم ضمن عوالم"، وصف يطلقه المصور على المشاهد حيث تتآلف مجموعات من الاشكال والتصاميم والألوان. فقاقيع محتجزة وأوراق ملونة تحت السطح، هي أشياء عادية من الطبيعة ضربها التحول. وأنمطة في الجليد ذاته تبدو كمجرة حنّطتها تكة آلة تصوير.





فلسفة الحصان الطائر

■ حكم على رجل بالاعدام. لكنه أقنع الحاكم بوقف تنفيذ الحكم، شرط أن يعلّم حصانه الطيران خلال سنة يُعدم في نهايتها اذا أخفق.

وأخبر الرجل خاصّته: "خلال سنة قد يموت الحاكم وقد أموت أنا وقد يموت الحصان. ومن يدري؟ فقد يتعلّم الحصان الطيران."

وفلسفتي شبيهة بفلسفة ذلك الرجل. فأنا آخذ بالنظرة البعيدة المدى والطويلة الاجل.

برنارد باروك، سياسي وخبير مالي أمريكي

السؤال الفصل

■ هناك اختبار فاصل يعتمده الطيارون في الرحلات التجريبية لتقويم المصاعب الطارئة. فعندما تطرأ مشكلة خلال الطيران يَسألون: "أما زالت هذه المركبة تطير؟" فإذا كان الرد ايجاباً فمعنى ذلك أن لا خطر مباشراً ولا حاجة الى ردود فعل متسرّعة.

عندما أقلعت "ابولو ١٢" نحو القمر ضربها البرق، فتوهجت لوحة المفاتيح بأضواء الانذار البرتقالية والحمراء. وكان رواد الفضاء على وشك الوقوع في تجربة رد الفعل المتسرّع، لكنهم سألوا أنفسهم: "أما زالت هذه المركبة تطير في الاتجاه الصحيح؟" وكان الجواب: نعم، انها تتجه نحو القمر. فتركوا الأضواء تتوهج وعالجوا المشاكل كلا على حدة، ثم راقبوا الاضواء البرتقالية والحمراء تنطفىء واحداً تلو الآخر.

وإن في ذلك عبرة للأوضاع الضاغطة. فإذا كنتم ما زلتم تسيرون في الاتجاه الصحيح، فكّروا أولا ثم تصرّفوا.

الن بين، رائد في برنامج "ابولو"

المنديل ومحرمة الورق

■ تشير الدلائل الى أن المنديل سقط ضحية محارم الورق الواسعة الاستعمال. لكن عمل المنديل لا يقتصر على تنظيف الأنف، فهل يمكن استعمال محارم الورق في الاحوال الطارئة كمرقأة ضاغطة لوقف النزف؟ وهل خفّفت محارم الورق يوماً عن كفّك ضغط قبضة حقيبة سفر ثقيلة، أو ساعدتك في فتح قارورة ابتل غطاؤها؟ لعلّ أكثر المشاهد شاعرية في أفلام إرول فلين وجون وين هو مشهد تلويح الجنود بمنديل لاعلان هدنة. حتى قصص الحب تغيّرت مع التخلي عن المنديل. ففي عصر الفرص المتكافئة هذا، لم تعد الشابة الجميلة في حاجة الى اسقاط منديلها كإشارة ايجاب. فربّما حلت بطاقة العمل مكان المنديل.

روبرت أوتربور

لذة التشجيع

■ تملّقني وأشبِعْني إطراء، قد لا أصدقك. أنتقدني، قد لا أحبك. تجاهلني، قد لا أغفر لك. ولكن شجعني، فلا أنساك أبداً

وليم أرثر ورد

١٠ توصيات لإنقاذ بلدكم من أخطار التلوّث

التلوث آفة العصر، وكثير منه ناجم عن أعمال نأتيها ولا ندرك مدى خطورتها. هنا توصيات لكل فرد كي يساهم في إنقاذ محيط بلده

قال رجل حكيم: "ليس من خطأ يفوق خطأ منْ لا يفعل شيئا لأن ما يستطيعه قليل." إنه لمن السهل أن نقف مشدوهين مشلولين ازاء ما يطالعنا من أخبار عن مشاكل البيئة، في حين يستطيع كل منا اخذ مبادرات يومية بسيطة تجعل العالم مكانا أفضل للعيش لنا وللأجيال القادمة.

تطالعنا التسعينات بمفهوم جديد مفاده أن الحكومات والشركات والمصانع لن تستطيع استدراك التلوث الناجم عن أفعال ملايين البشر. ولكن علينا أن نتذكر أننا ما دمنا نحن سبب المشكلة فنحن أيضا بداية الحل.

فالحفاظ على البيئة أمر مستطاع إن اتبعنا اجراءات بسيطة وغير مكلفة لا تتطلب إلا تغييرا طفيفا في نمط حياتنا



وهنا عشر طرق تتيح لنا المساهمة في إنقاذ المحيط الذي نعيش فيه.



إفحصوا منازلكم. اذا كان جهاز التدفئة في منزلكم غير فاعل فانكم تهدرون من طاقته مقداراً يصل الى ٥٠ في المئة. ومن شأن ضبط بسيط لبيت النار أن يزيد فاعليته بمقدار ٥ في المئة.

ثاني أكثر الأدوات المنزلية استعمالا هو مرجل الماء الذي يبقي مستعملوه حرارته ثابتة على ٦٠ درجة مئوية. فإذا خفضتم حرارته الى ٥٥ درجة (وهي كافية لقتل الجراثيم) فإنكم تخفضون استهلاك الطاقة بنسبة ٦ في المئة. أما إذا لففتم الخزان بعازل فيمكنكم توفير طاقة إضافية تراوح بين ٧ و٨ في المئة.

فالمنزل الخالي من المواد العازلة يكلف مالكه — والبيئة — ثروة حقة. فإذا كان منزلكم مزوداً مواد عازلة، تحققوا من فاعلية هذه المواد، علماً أن تغليف "العلّية" وحدها بعازل يتيح لكم توفير ٥ في المئة من كلفة التدفئة.



راقبوا أدواتكم المنزلية. من الضروري أن يكون لهب الشعلة الدائمة في مدفأة الغاز أزرق مخروطي الشكل. فاذا كان هذا اللهب أصفر فهذا يعني أنكم تهدرون طاقة بسبب انسداد المضْرَم والمنافذ وأن ثمة لزوما لضبطها. وإذا أزمعتم على شراء مدفأة جديدة، فاعلموا أن مدافىء الغاز التي تعمل بجهاز إشعال الكتروني تستهلك كمية من الغاز أقل بنسبة ٤ في المئة من تلك التي تعمل بالشعلة الدائمة. فاختاروا دائماً النماذج الاكثر اقتصاداً للطاقة.

واذا كانت ثلاجتكم أبرد من اللزوم بخمس درجات مئوية، فإن استهلاكها للطاقة يزيد بنسبة ٢٥ في المئة. الحرارة المقترحة للبرادات هي بين ٣ و٦ درجات مئوية، وللثلاجات بين ١٨ و١٥ درجة مئوية تحت الصفر.

وتستهلك الغسالات نحو ٩٠ في المئة من طاقتها في تسخين الماء. وبدل ذلك يكفي استعمال مياه فاترة للغسل تُتبع بمياه باردة للشطف. وتستهلك الغسالة مقداراً من الماء يصل الى ٢٢٥ ليتراً. فلاقتصاد في الماء، انتظروا حتى تتجمع لديكم غسلة كاملة.



الاضاءة الصحيحة. حافظوا على الطاقة باطفاء الانوار عندما تنتفي الحاجة اليها. واختاروا المصابيح الكهربائية متوخين الاقتصاد في الطاقة. مثلا، مصباح كهربائي بقوة ١٠٠ واط يوفر إضاءة تقارب ما يوفره مصباح بقوة ٦٠ واط فيما يستهلك طاقة أقل. (تذكّروا ان المصابيح المتوهجة هي أقل اقتصاداً للطاقة من المصابيح العادية.) ومن الأنسب استعمال المصابيح الفلورية (فلوريسان) لأنها تضيء كمصباح عادي وتقتصد كثيراً من الطاقة. صحيح أنها أغلى ثمناً، لكنها، في المدى البعيد، أكثر اقتصاداً لأنها تستهلك مقداراً أقل من

الكهرباء. كما أن إبدال المصابيح المتوهجة بمصابيح فلورية يحول دون اطلاق نصف طن من غاز ثاني أوكسيد الكربون خلال عمر المصباح.

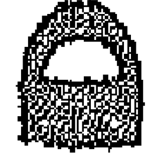
 **لا تهدروا الماء.** هل تتركون الماء يتدفق وأنتم تنظفون أسنانكم أو تحلقون ذقونكم أو تغسلون الأطباق؟ إن كنتم تفعلون ذلك فإنكم تستهلكون من الماء مقادير قد تصل الى ٥٠ ليتراً وأنتم تنظفون أسنانكم و٧٥ ليتراً وأنتم تحلقون ذقونكم و١١٠ ليترات وأنتم تغسلون الأطباق. وذلك ليس نقطة في دلو. فعلى مدار السنة يمكن المرء اقتصاد ما يزيد على ٧٥ ألف ليتر من الماء إن هو ضبط استعماله.

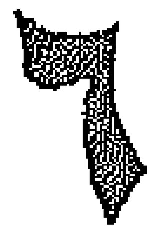
وفي وسعكم أيضاً أن تقتصدوا كثيراً في الماء اذا أضفتم بضع أدوات رخيصة الى منازلكم. من هذه الأدوات مرشّة الحمام (الدوش) والحنفية (الصنبور) الخفيفتا الجريان اللتان تخفضان استهلاك الماء بمقدار ألف ليتر في الشهر لعائلة من أربعة أشخاص.

واذا وضعتم في خزان المرحاض (السيفون) مقداراً من الماء يوازي محتوى قنينة بلاستيك فانكم تقتصدون في كل استعمال ما بين أربعة ليترات وثمانية.

وعليكم أيضاً ضبط تسرب الماء. ذلك بأن تقطير حنفية واحدة قد يبدد أكثر من ٢٠٠ ليتر يوميا. كما يبدد مرحاض راشح نحو ١٧٠ ألف ليتر كل ستة أشهر.

ولا تنسوا استهلاك الماء خارج المنزل. فغسل السيارة بواسطة خرطوم متدفق يستهلك نحو ٥٥٠ ليتراً من الماء، فيما يستهلك غسلها بالاسفنجة والدلو ١٥ ليتراً فقط.

 **احذروا النفايات السامة.** كثيرون منا لا يدركون أن الفضلات المنزلية والمواد المستهلكة في المرآب هي نفايات خطرة. من هذه المواد الدهانات والسوائل المرققة ومنظفات المواقد والمراحيض وبطاريات السيارات وزيوت الكوابح وزيوت أجهزة نقل الحركة (الترانسميسيون) ومضادات التجمد (أنتيفريز) والمبيدات. وقد تُرمى هذه المواد السامة بحسن نية في مصارف المياه. فتأتي النتيجة تلوث ماء خطيراً.

 **تكرير النفايات.** يحرر تكرير النفايات الأرض من الفضلات المتراكمة. كما أن صنع منتجات جديدة من هذه النفايات يستهلك طاقة أقل من تصنيع مواد جديدة. ولا يتطلب وقتاً طويلا تخصيص صندوق قمامة لكل نوع من النفايات.

 **اقتصدوا في الوقود تنقذوا الغابات.** تنفث السيارات نحو كيلوغرامين ونصف كيلوغرام من غاز أوكسيد الكربون باستهلاك كل ليتر من

الوقود. والمعروف عن ثاني أوكسيد الكربون أنه العنصر الأساسي في "مفعول الدفيئة" أي احتباس الحرارة في الجو كما يحدث داخل البيوت البلاستيكية والزجاجية. لذا فالسيارة التي تجتاز ١١ كيلومتراً بليتر الوقود تبعث ١٠٠٠ كيلوغرام من ثاني أوكسيد الكربون كل ٤٤٠٠ كيلومتر. وتنفث السيارات أوكسيد النيتروجين مساهمة في إحداث المطر الحمضي، كما تنفث مركّبات الهيدروكربون التي تقضي على الاشجار وتتسبب في تكوين ضباب الاوزون الدخاني الذي يتلف الرئتين. ولهذه الامور علاقة مباشرة بكمية الوقود المستهلكة.

إن أسهل الطرق لجعل سياراتكم تحرق الوقود بفاعلية أفضل هي صيانتها. فنسبة استهلاك الوقود في السيارات المضبوطة هي أقل ٩ في المئة. وهذا يعني خفض ابتعاث الغازات السامة بنسبة ٩ في المئة.

وتساهم مركّبات الهيدروكربون في تكوين ضباب الأوزون الدخاني عندما تتبخر. لذلك، عندما تملأون خزان السيارة بالوقود حاولوا منع تسرب الأبخرة الملوثة الى الجو.

ونفخ الاطارات بالضغط الملائم يطيل عمرها ويحول دون استنزافها المبكر بسبب ارتفاع حرارتها وازدياد ليونتها. وتؤدي العناية بالاطارات الى اقتصاد في الوقود، لأن "تنفيس" الاطارات يهدر كمية من الوقود تصل الى ٥ في المئة بفعل ازدياد الاحتكاك الدوراني.

والمشاركة في استعمال السيارات طريقة عملية جداً في المناطق الآهلة، اذ يؤدي الى توفير ألوف الكيلومترات سنوياً على الفرد الواحد إن هو لجأ الى هذه الوسيلة مرتين يومياً مسافة ١٣ كيلومتراً.

وإن كنتم تتولون بأنفسكم تغيير زيت السيارة، فلا ترموه في أقرب مصرف. فالزيت المستهلك يتسرب الى المياه الجوفية، وقد يلوث كل ليتر منه ٢٢٠ ألف ليتر من المياه الجوفية. وسكب الزيت في المجاري (أو في الشارع حيث يتسرب حكماً الى المجاري) يماثل سكبه مباشرة في مجاري المياه أو في الأنهر. ورمي الزيت في براميل القمامة يماثل أيضاً سكبه في المجاري لأنه يصل الى مرامي النفايات حيث تتشربه التربة.

في معظم البلدان محطات وقود تستعيد الزيوت المستهلكة برسم زهيد. فمعظم الزيوت المستعادة يعالج ويباع وقوداً للسفن وللمراجل الصناعية، فيما تعالج البقية وتحوّل زيوت تزليق (تشحيم) وصناعة.

٨ لا تشتروا عاجاً. ان اصطياد الفيلة، طمعاً بعاجها، لم يبقِ سوى ٦٠٠ ألف فيل حي في افريقيا. وهي قد تنقرض بحلول السنة ٢٠٠٠. لذا لا تشتروا العاج لأي سبب أو ظرف. ولا تشتروا ظهور السلاحف وحجار المرجان وجلود الزواحف وجلود النمور وأي منتجات عائدة الى حيوانات أو نباتات مهددة بالانقراض.

٩ ترفقوا بالشطآن. تهلك النفايات البلاستيكية نحو مليون طائر بحري وعشرة آلاف حيوان بحري لبون وعدداً لا يحصى من الأسماك كل سنة. فاذا كنتم تقطنون على مقربة من الشاطىء، خصصوا بعض الوقت لازالة الفضلات المنتثرة هناك.

واحرصوا على قطع السدّات البلاستيكية والمعدنية عن علب المرطبات قبل رميها في القمامة. فهي خطرة على الطيور والحياة البحرية سواء تركت على الشاطىء او رُميت في البحر.

١٠ أخيراً عمموا هذه التوصيات. يستطيع فرد واحد أن يساهم في حماية البيئة. فاذا اقنعتم أصدقاءكم وعائلاتكم بهذا الواجب، فسوف يعمدون الى إقناع آخرين. لذا انقلوا ما تعلمتموه وراقبوه ينمو حولكم. فأنتم نقطة البداية.

حركة "أشغال الأرض" ■



الاهتمام ومعنى الحياة

يتذكر المخرج السينمائي راي ستارك أمسية في المكسيك أثناء تصوير فيلم "ليلة الاغوانا." فاذ اجتمع الممثلون والممثلات لتناول طعام العشاء سألهم ستارك: "لو كان لكم خيار واحد، فأي نمط تختارون لحياتكم؟"

أجاب ريتشارد بورتون: "المغامرة." واليزابيث تايلور: "الثروة." وآفا غاردنر: "الصحة." وديبرا كير: "السعادة." وبيتر فيرتل: "النجاح."

وكلها أفكار شائعة.

ثم ارتفع صوت جون هيوستن وقال: "أنا أختار الاهتمام."

وتبنّى ستارك خيار هيوستن شعاراً توجيهياً في حياته موضحاً "انك قد تخسر مالك. ولكن اذا كان لك اهتمام بالحياة فيمكنك أن تبقى حياً. وقد تصاب بمرض قاتل، لكن الاهتمام يعينك على الاستمرار واضفاء معنى على الحياة."

ل.غ.

خاتم الزواج

تزوجت في ١٣ يونيو (حزيران) ١٩٣٩. واهدى الي زوجي يومذاك خاتماً من الذهب دفع ثمنه خمسة دولارات. لكنني أضعت الخاتم صيف ١٩٤٨. وفي الصيف الفائت كنت انقب في الحديقة فلاحظت شيئاً يلمع في كتلة تراب. انه خاتمي! وجدته بعد ٤١ سنة وفي اليوم الذي سبق الذكرى الخمسين لزواجنا.

تعلّموا الحبّ من الأطفال

انفتاحهم على الحياة يكشف لنا نحن البالغين حقائق تحجبها عنا حذاقتنا

جاءتنا الطائرة الورقية الحمراء هدية من صديقة. فافترضتها هدية الى ولديّ، لكنني اذ تفحصت البطاقة. قرأت فيها: "الى الطفلة داخلك."

قال لي ولداي متوسلين: "دعينا نطيرها يا ماما."

نظرت الى كدسات الاوراق على طاولتي. لكن اليوم كان مثاليا لتطيير طائرات الورق، شمس وريح وسماء زرقاء صافية.

وقصدنا ملعباً في الجوار.

وقفت أراقب الولدين وهما يحاولان رفع الطائرة الى أصابع الريح. قال لي ابني: "لماذا لا تحاولين؟ إنها طائرتك."

أخذت الخيط وهرولت بحياء وولداي يشجعانني. فجأة "التقطت" الطائرة مجرى الريح وحلقت. ورافقتها ضحكتي الى الاعالي.

تلك اللحظات التي عشتها تحت الطائرة قربتني من روح الطفولة المنسية والمدفونة تحت هموم البلوغ. فما ان نبلغ

ILLUSTRATIONS: LISA HENDERLING



هذه السن حتى نقتنع بأن علينا أن نترك وراءنا كل أثر للطفولة كي نؤخذ على محمل الجد. لكننا في قناعتنا هذه إنما نخدع أنفسنا.

تقول اليزابيث وذرسبي من "معهد اتلانتا للمعالجة الفنية": "غياب حس الطفولة يفقدنا قدرتنا على أن نكون بسطاء وعفويين ومتيقظين وآملين ومنفتحين على الحياة."

ليس محتما أن تموت هذه الخصال عندما نكبر. فيمكننا أن نحافظ على روح الطفولة فينا بانفتاحنا على الدروس التي يعلمنا إياها الاطفال كل يوم:

١. إبتهجوا. مررت ذات يوم بملعب رأيت فيه صبيا على ارجوحة. تقدم منه رجل يرتدي بذلة رسمية أنيقة ووقف يراقبه. فجأة أسند الرجل حقيبته الى شجرة وفكّ ربطة عنقه وانضم الى الصبي في أرجوحة قريبة متبادلا واياه نظرات الفرح. في منتصف نهار محموم وجد رجل الاعمال واحة صغيرة من اللعب الطفولي البريء.

إن الساعات الطويلة الرتيبة في المكتب قد تفقدنا بهجة الحياة، ولا يسعنا ان نتجاهل متطلبات العمل. لكننا نستطيع تلوين يوم عملنا بقليل من اللعب.

بيتي بلاكربي مديرة في شركة تأمين علقت على جوار مكتبها لافتة جاء فيها: "تمتع بالحياة، فهي ليست عرض أزياء." تقول بيتي: "الموظفون الذين يبقون على اتصال بمباهج الحياة هم الاكثر انتاجا. فهم يتمتعون بسحر يجذب الزبائن."

بعضنا لا يستطيع التخلي عن الجدية الا في رفقة أطفال. تقول الطبيبة النفسانية جوي ميلر: "الاطفال يأذنون لنا باعتاق الطفل الذي داخلنا."

كانت عطلة نهاية الاسبوع وبقيت لدى رئيس تحرير احدى المجلات أعمال كثيرة غير منجزة. وكانت زوجته خارج المدينة، لذلك كان مسؤولا عن رعاية ابنه ذي السنوات الثلاث. صباح السبت التفت الصبي الى أبيه وقال: "هيا نلعب!"

أجاب الاب: "هيا بنا!" وتضمنت تسليات عطلة نهاية الاسبوع عراكا مائيا بخراطيم الحديقة وغذاء من بيتزا ومخلّلا وحماما بهيجا أبحر خلاله أسطول صغير من المراكب البلاستيكية. وبفعل الحيوية التي أضفاها اللعب أنجز رئيس التحرير عمله في نصف الوقت المتوقع.

اللعب الطفولي يطلق دفقا من الطاقة في من أضناهم الافراط في العمل. فإدخال البهجة قلوبنا يسمح لنا بالاسترخاء والتمتع بأيامنا بدل تحمل شقائها.

٢. تأملوا أعاجيب العالم. كنت أشرف على بضعة أطفال تركوا في رعايتي. فجأة شدني أحدهم الى النافذة لأتأمل بطن يسروع خارج الزجاج. ألصق الاطفال أنوفهم بزجاج النافذة وتأملوا دبيب اليسروع في عجب هادىء مطلقين بين حين وآخر أصوات دهشة. واذ راقبتهم تملكني مثل الرهبة التي تملكتهم.

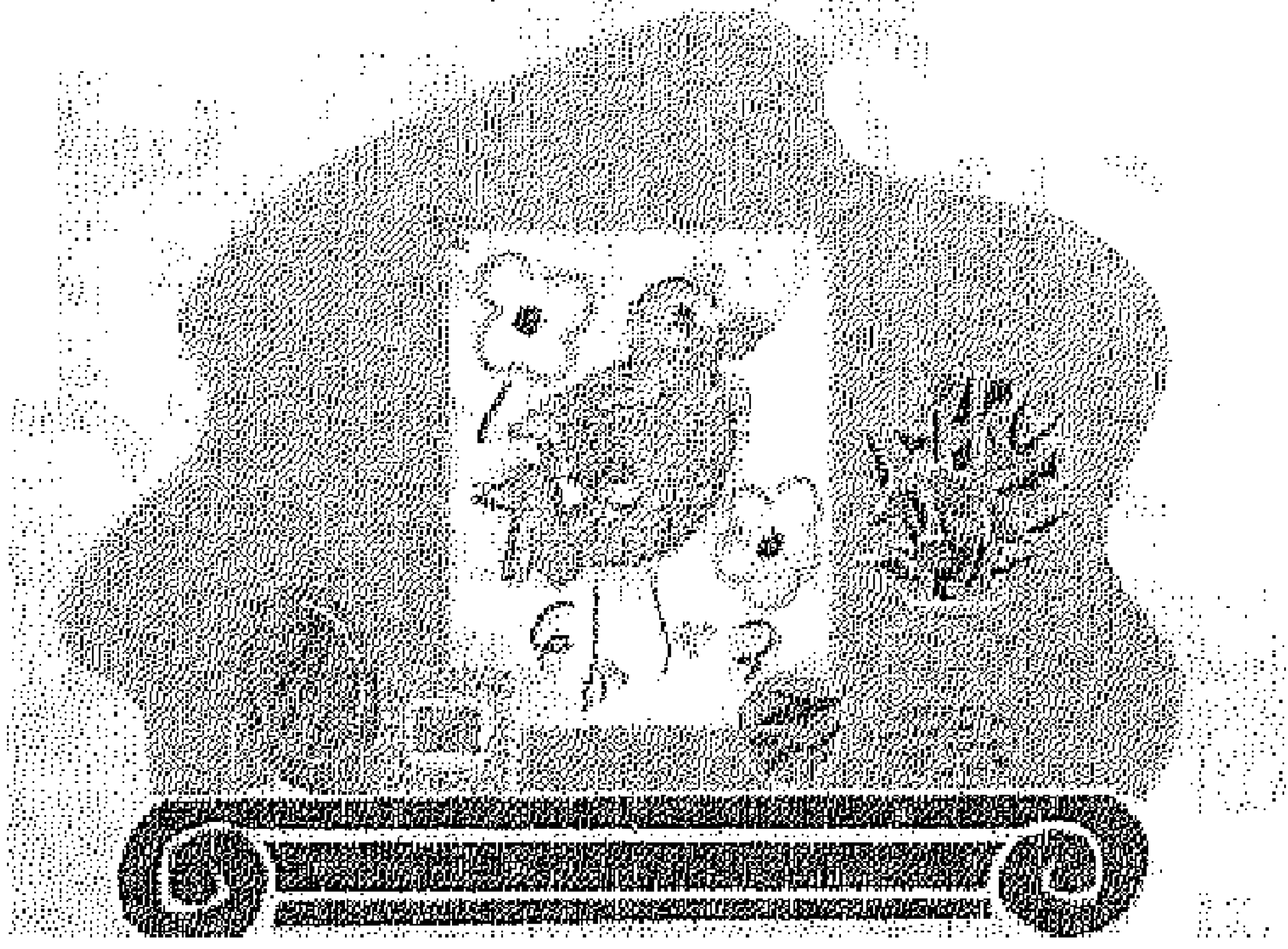
أليس منتهى التجديف أن ننظر الى صنع الخالق ونقول: "وإن يكن؟" لكن مشاغلنا المتكدسة تعطل قدرتنا على التعجب.

يرى الاطفال أموراً لا يراها معظم البالغين. وغالباً ما تقود ملاحظاتهم الى أسئلة توسع العقل وتشحذ الروح. كان الفيلسوف الاغريقي أرسطاطاليس يعلم ان الفلسفة تبدأ بالدهشة. اذاً، الاولاد هم الفلاسفة بيننا. كم ارتفاع السماء؟ لماذا تهز الكلاب أذنابها؟ كيف تعرف أوراق الشجر الوقت المحدد لتغيير ألوانها؟

واجهت جميع هذه الاسئلة المحرجة في وقت من الاوقات. فهي تشحذ تأملاتي وتجعلني – كما الاولاد – أفكر في أسئلة أكبر مني.

٣ تجرأوا على الاخلاص لذواتكم. عندما كان ابني في المرحلة الابتدائية أحضر الى البيت يوماً صورة عصفور أرجواني لوّنها بنفسه. وقد كتبت المعلمة في أعلى الورقة: "أعِد تلوينها. العصافير لا تكون أرجوانية."

فقال لي ابني باصرار: "لكن عصفوري أرجواني يا أمي. لقد تخيلته هكذا."



ثبتنا الصورة فوق رف المستوقد ميثاقاً لجرأة طفل خاطر برؤياه للحقيقة. وأحياناً، عندما أتردد بين المخاطرة بفرديتي والطاعة، تمدني صورة ابني بالشجاعة. وغالباً ما يُسمع أحد أفراد عائلتي قائلاً: "أعرف أن هذا عصفور أرجواني، لكنني سأطيّره في كل حال." إن كثيراً من الابتكارات الفنية والاكتشافات العلمية ينبع من مثل هذه الجرأة الطفولية.

٤. انفتحوا على الايمان. أدخل زوجي المستشفى مرة واضطررت الى توضيب حقيبتي لامضي عطلة نهاية الاسبوع معه.. تملكني الشك والخوف. وكانت ابنتنا ذات السنوات الاربع تلهو بدراجتها في الحديقة، فاصطدمت بجذور شجرة السنديان هناك وعلا صراخها "ماما! ماما!" ثم أتتني رافعة ركبتها



المقشورة الجلد كي أقبلها.

سألتني بذقن مرتجفة:

"من سيقبل جروحي في غيابك؟"

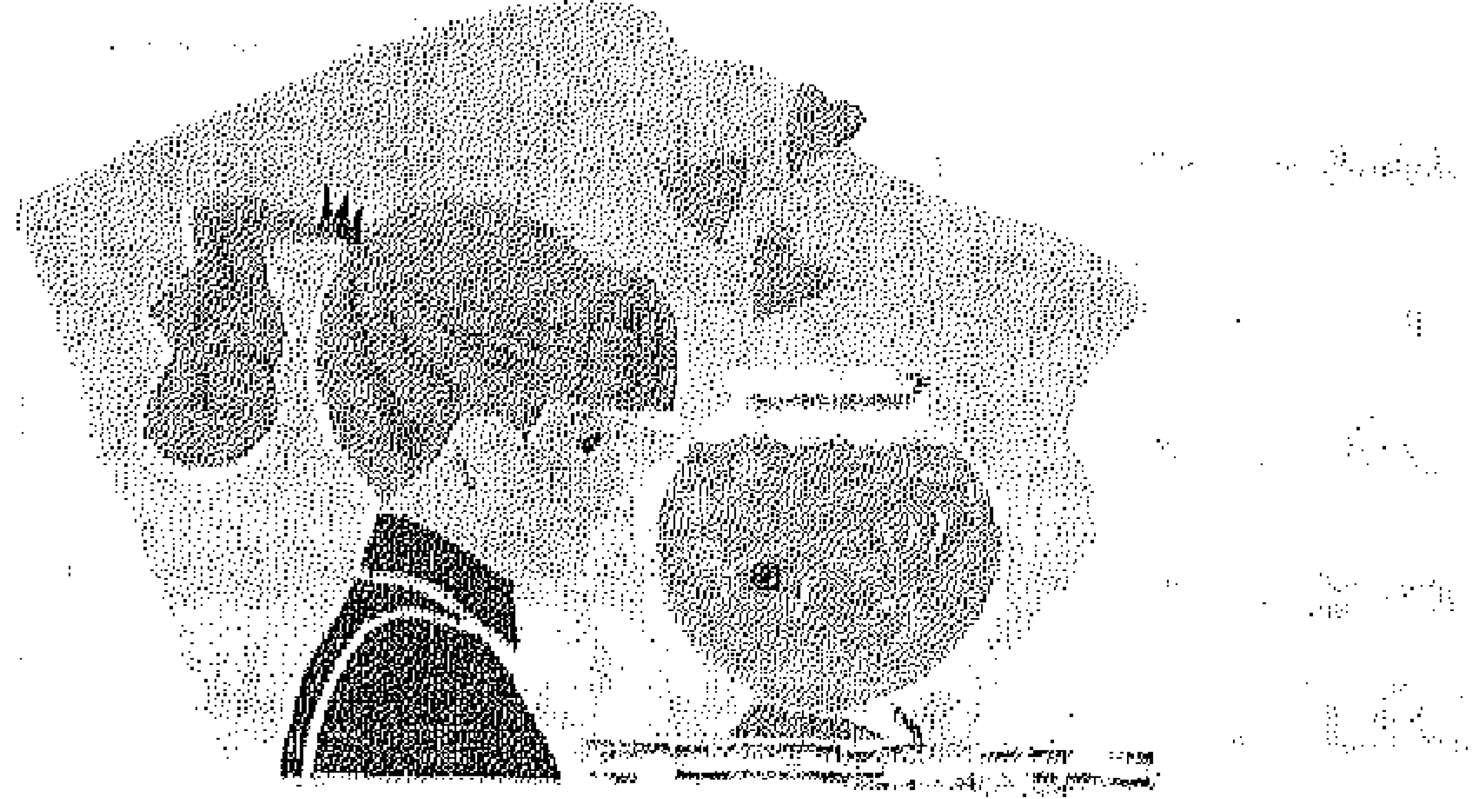
وهممت بأن أقول: "الحاضنة" عندما أجابت هي عن سؤالها: "أعرف. الله سيرعاني." ثم عادت الى دراجتها. لقد أحيا ايمانها البسيط الثابت ايماني المهتز. فذهبت الى زوجي في المستشفى بقلب أشجع.

٥. أطلقوا عنان أنفسكم وأحبوا.

ربما كان أعظم درس يعلمنا اياه الاطفال أن نبقي صلتنا بالقلب قائمة. عندما كانت ابنتي في السادسة اقتنت سمكة ذهبية اسمها "سبانكي." لم تكن تتعب من مراقبتها وهي تسبح، وكانت تناديني لأرى كيف ترسل اليها السمكة قبلات بفمها المتغضن. كانت سبانكي أول من يتلقى تحية من ابنتي بعد رجوعها من المدرسة، ولطالما سمعتها تخبر السمكة بأسرارها.

ذات يوم سألتني: "هل تنام الاسماك؟" كانت سبانكي ممددة على جنبها في قعر حوض السمك. بكت ابنتي بين ذراعي بمرارة تمنيت معها لو أنها لم تحب السمكة أبداً. لكنها سرعان ما مسحت عينيها بكمها وقالت: "على الاقل كانت معي بعض الوقت." رأيت في عيني ابنتي الجمال والنمو اللذين يتأتيان من الحب النابع من الصميم. وكنت تعلمت أن أحاذر الحب خوفاً من الجرح العاطفي. لكن الحب يفرح أكثر مما يؤلم الجرح. هذا ما قاله لي قلبها.

كذلك يعلمنا الاولاد الحب غير المشروط. ذات يوم أراق ابني عصير العنب على سجادة رمادية، فأطلقت سيلا من كلمات الغضب، وقلت له بعد وقت: "كان ذلك حادثاً غير مقصود. وأنا اخطأت بالصراخ عليك."



فطوقني بذراعيه قائلا: "لا بأس، يا أمي. أنا أحبك عندما تكونين لطيفة معي وعندما تكونين غاضبة."

تلك اللحظة حفرت فيَّ درسا لازمني منذ ذلك الحين.

كتب انطوان دو سانت - اكزوبري في روايته الخيالية "الامير الصغير": "لا يرى المرء الحق الا بقلبه." الاطفال مميزون في البصيرة القلبية. ونحن البالغين نحتاج الى الاطفال أحيانا لكي يكشفوا لنا أموراً تمنع عنا حذاقتنا رؤيتها. ففي انفتاحهم على الحياة يذكروننا بالامور الجوهرية.

سو مونك كيد ■



مَوهَبَة القيَـــادة

نادراً ما يولد المرء قائداً، فالقائد يصنع نفسه. هنا مهارات يمكننا تنميتها لقيادة الآخرين وحضهم على الاقتداء

ان الذروة في الاطراء هي ان يُنظر اليك في المجتمع كقائد. يقول العالم النفساني ديفيد كامبل من "مركز القيادة الخـلّاقة" في كـولورادو سبـرنغـز: "اصبحت القيادة فيتاميناً عالمياً، ويبدو أن الناس يطلبون جرعات ضخمة منه."

ولا عجب في ذلك اذ ان القيادة تهب القوة وتفرض الاحترام وتولد الانجازات. ولكن خلافاً للفيتامينات، مهارات القيادة غير قابلة للتجرّع بل يجب تعهّدها بعناية.

وخلافا للاعتقاد الشائع فان معظم القادة الفاعلين لا يولدون قادة بل يصنعـون أنفسهم. وهم يشحـذون مهاراتهم في جميع مراحل حياتهم اليومية. ولكن أيا منها يتعهدون بعناية؟ وكيف يفعلون (وكيف يمكنكم أنتم) لكي يحملوا الآخرين على الاقتداء بهم؟

نوّهوا بالفضل دائماً. يلاحظ قادة كثيرون أن أفعل الطرق لحمل الآخرين على تحقيق انجاز حسن هي في معاملتهم كأبطال. فالتنويه بالفضل علناً لشخص

استحقه هو أفضل فنون القيادة في العالم، وهو أيضاً فعل جود لن ينتسى أبدا.

الاشادة بالفضل أكثر فاعلية حتى من الانتقاد البنّاء الذي كثيراً ما يضر بدلا من أن يساعد. ينصح كينيث بلانشارد المشارك في تأليف كتاب "مدير لدقيقة واحدة": "فاجئوا الناس وهم يقومون بعمل صائب!" ثم أخبروا الجميع عنه. فالولاء الذي يولده ذلك هو رأس المال الاعظم أهمية لدى القائد.

أقدموا على مخاطرات مدروسة. "أن أفضل القادة يعرفون أن المخاطرة لا تكون عملا متهوراً خاليا من التفكير بالعواقب،" بحسب المستشارة الادارية ماريلين ماخلوفيتز، وتضيف: "ان المظلّيين لا يصعدون الى الطائرة قبل أن يتفحصوا مظلات الهبوط."

ولكون فكرة المخاطرة تحمل احتمال الفشل، كثيرون منا يميلون الى ترقب المبادرة من الآخرين. انما اذا أردتم ان تكونوا قادة فعليكم أن تتعلموا كيف تخفقون، فلا تموتوا ندماً ولوماً لأنفسكم، بل تشدّدون عزيمتكم وتعاودون الكرة.

انيروا الطريق. عام ١٩٦٥ أخبر الاطباء لي دوكات، وهي مدبرة منزل في فيلادلفيا، أن ابنها مصاب بداء السكري. فحاولت الاتصال بأمهات أخريات أصيب أولادهن بذلك المرض فلم ترد أي منهن التحدث في الامر.

في النهاية وجدت ثلاث أمهات على استعداد للتعاون معها. وانطلقت من تلك البداية الى تأسيس "مؤسسة السكري للاحداث" التي تضم اليوم ١٥٠ فرعا في أنحاء العالم. وانشأت دوكات "الجمعية الوطنية لتبادل الابحاث المرضيَّة" التي تؤمن أنسجة بشرية للابحاث الحيوية. أما سرّ لي دوكات التي ترئس الجمعية حاليا فهو كونها نموذجا رائداً يقتدى.

وهي تسأل: "هل سبق أن لاحظت أنك اذا تبسمت للناس بادلوك الابتسام؟ حسناً، ان أعطيت فالناس يريدون مبادلتك العطاء. وان كنت ثابت القدمين فانهم يريدون أن يتبعوا خطاك. وان كنت واثقا بقدرتك على بلوغ هدف انعكست الثقة في الآخرين فيحاولون أن يحققوه لك."

وتتابع دوكات: "أفضل شيء تقدر عليه هو أن يكون لك أتباع يعكسون أعمالك من خلال كونهم كما تريدهم أن يكونوا."

حافظوا على الثقة. يقول القادة الناجحون ان المرء اذا وثق بالآخرين كي يحسنوا العمل فانهم يكونون عند حسن ظنه، واذا شك في انهم سيخفقون فالراجح انهم سيخفقون. ويقترح رجل الاعمال والمحسن كليمنت ستون أن يعبّر المرء عن ثقته في رسالة. ويقول ان المدير الذي يعلن ثقته بوكلاء البيع والتزامه انجازاتهم يحفزهم فيحطمون أرقاما قياسية في البيع. والمعلم الذي

يسجل لتلاميذه ملاحظات افرادية تشجيعية يقودهم الى تحقيق انجازات استثنائية. ان وضع الثقة في شخص يعزز ثقته بنفسه ويدخل اليه السرور.

أتقنوا التوجيه. لا يتبع الناس القادة الذين يعوزهم التوجيه الصحيح. استيه لودر مؤسسة شركة مستحضرات التجميل العملاقة* قادت ألوف المستخدمين في طريق النجاح الكبير. وهي ترى أن كل رجل أعمال قيادي تعرفه يرسم في فكره صورة واضحة لما يريد أن يحققه، ويظل مركزاً عليها أفكاره وعمله. وتضيف: "الناس يريدون السير وراء من يعدّ لهم النجاح ويحققه."

تلبّسوا دور الناجح. تعلَّم القادة أن يظهروا ويتصرفوا كرابحين. قد تراودهم شكوك بقدراتهم في بعض الاحيان، لكنهم لا يظهرونها. وهم يعملون كأنهم عارفون الى أين يتجهون.

ويعرف القادة أيضاً أن للمظاهر والاخلاق شأنا. فالناس يرتاحون الى أن يكونوا معهم، فكلامهم مهذب وسلوكهم هادىء وهم واثقون بأنفسهم.

كونوا أكفياء. قيل ان المعرفة قوة. والقادة الافذاذ يعلمون أن خبرتهم ومهارتهم جزء من قدرتهم وسحرهم. فالكفاية تستحث الناس وتحملهم على التطلع الى صاحبها لقيادتهم وتوجيههم.

(*) Estée Lauder

ولّدوا الحماسة. تقول لي دوكات: "حين يتفهم الناس أهمية العمل يضفون عليه قدراتهم العقلية، ولكن حين يستثيرهم العمل فانهم يصبّون فيه كل طاقاتهم. وذلك لعمري قوة هائلة! والطريقة الفضلى لتوليد الاثارة هي أن تكون أنت متحمسا للعمل، فالحماسة معدية تنتقل منك اليهم."

جنِّدوا آخرين. كريس ألجير أم شابة مطلّقة من فلوريدا، كانت منهمكة في ترتيب شؤون حياتها فلم تهتم أبداً بقيادة أي شخص في أي مكان. ولاحظت ذات يوم الناس الجياع في حي بائس من مدينة ميامي. فعادت الى هناك ذلك المساء مع صديقة لها وهما تحملان ٢٠ شطيرة. وفي الليلة التالية عادت ومعها مزيد من الشطائر. ثم بدأت تحضير الحساء والقهوة.

وشاعت أخبار ألجير وروت الصحف ومحطات التلفزة قصصاً عنها. وبفضل الدعاية تقدّم متطوعون آخرون ومحسنون تبرعوا بالمال وبتولي الاتصالات والمراجعات وتوفير المهارات الادارية.

والان يحضّر المتطوّعون ٥٠٠ شطيرة كل يوم مع كميات كبيرة من الحساء. وتؤكد ألجير: "لست انا من يعمل كل هذا، فهناك كثيرون أصبحوا مهتمين ومشاركين فيه. أنا لست قادرة على هذا العمل وحدي."

وهذه، بحق، هي القيادة!

شيري سويب كوهين ■

المخدّرات «تنّين» هونغ كونغ

امرأة رسالتها تقديم العون والحب الى مدمني المخدرات



انغمس ديو تونغ في العنف والمخدرات طوال فترة مراهقته. وفي السن الحادية والعشرين دين بجريمة قتل إثر وفاة زميله في عصابة "ترياد" بعد شجار معه. و"ترياد" احدى عصابات هونغ كونغ الشبيهة بالمافيا. وخلال تمضية ديو تونغ عقوبة السجن المؤبد عرض عليه الهيروبين وغدا مدمناً. وبعد ثلاث عشرة سنة حبسا أخلي، فتحول الى الجرائم الصغيرة ليروي غليله من المخدرات.

يستذكر ديو تونغ ما وقع له: "كانت حياتي كابوسا لا ينقطع. اتعاطى المخدرات واقلع عنها ثم أعود اليها. أدخل السجن وأخرج منه لأعود إليه. كأنما لا شيء يستحق الحياة."



PHOTOGRAPHS: NICK DANZIGER

وفي محاولة يائسة لانقاذ نفسه من الهلاك، وقد بلغ السادسة والخمسين، التمس العلاج في مكان عجيب: المدينة المسوَّرة في هونغ كونغ.

داخل هذا المنغلق القذر الذي تبلغ مساحته هكتارين ونصف هكتار، بأزقته مراتع الجرذان ومجمعات المباني الآيلة الى السقوط، يحيا نحو ٣٠ ألف شخص في ازدحام شديد. والمدينة في الأصل حصن مسوَّر ظل تحت سلطة الصين الى أن أقرت معاهدة ١٨٩٨ تأجير منطقة كاولون المجاورة في بر الصين الى بريطانيا، فنشأت مستعمرة هونغ كونغ. والمدينة أرض مشاع تغاضت عنها الشرطة فأصبحت بؤرة لعصابة "ترياد" وملاذاً لمروجي المخدرات والبغايا ولاعبي الميسر.

هاهنا في حجرة صغيرة مطلية بالكلس تدعى "البئر"، التقى ديو تونغ امرأة بريطانية اسمها جاكي بولنغر سمع أن في وسعها مد يد العون اليه. يقول تونغ: "لم القَ مشقة في العثور عليها. فكل سكان المدينة المسوَّرة يعرفونها."

نور باهر. جاكي امرأة شقراء جذابة في السادسة والاربعين. وكانت تصلي حين دلف ديو تونغ الى الحجرة. رحبت به، وصافحه مساعدوها الغربيون الثلاثة بحرارة ورددوا على مسامعه كلمات العزاء. وجالسوه نحواً من ثلاث ساعات، متحدثين بتؤدة وهم يشجعونه ويصلون له. في هذه الاثناء انسلَّ الى الغرفة قرابة ٦٠ مدمناً، فتياناً وشيباً، تصحبهم عائلاتهم للحديث والصلاة معاً.

بعد ستة أسابيع أصبح ديو تونغ على اهبة الانتقال الى مركز جاكي لاعادة التأهيل من اجل مساعدته على الاقلاع عن تعاطي المخدرات. وهو يقول في هذا الشأن: "ما رأيت في حياتي عناية وحدبا كما هنا. وللمرة الاولى اطمأن قلبي."

وبعد ثلاث سنوات أصبح تونغ رجلا سعيداً واثقاً بنفسه، موظفاً لدى مؤسسة محاماة، ويعين سواه من المدمنين على التخلص من تلك الآفة.

جاكي بولنغر شخص عز نظيره في العالم الهمجي لعصابات المخدرات في هونغ كونغ. ترتدي ملابس عصرية أنيقة (عندما التقينا كانت ترتدي بذلة رياضية زهرية وتنتعل حذاء زهرياً). وتشف عن نقاوة تماثل براءة الاطفال، مما حدا أحد الموظفين الحكوميين على القول "إنها ممن تود أن تهرع الى ملاقاتهم بحرارة."

وهي التي أطلقت عليها صحيفة "ساوث تشاينا مورننغ بوست" لقب "مثيلة الام تيريزا في هونغ كونغ." ولقد قدمت العون وبوارق الامل الى ألوف التعساء والمنبوذين طوال ٢٣ عاماً. رسالتها ذاعت في العالم بأسره من خلال كتابها "مطاردة التنين"* الذي بيع منه أكثر من ٢٠٠ الف نسخة في ١١ لغة. وهي "رسالة بسيطة" كما تقول.

برنامج جاكي لاعادة التأهيل بزَّ البرامج الأخرى نجاحاً. تقول غاريت

(*) Chasing the Dragon

مولوي المندوبة السابقة للجنة المخدرات في هونغ كونغ: "تلقي جاكي الى المدمنين حبل نجاة. انها امرأة مخلصة كرست نفسها كليا لقضيتها وأتت بنتائج لها في النفوس وقع عظيم."

مدد من الطاقة. بدأ اتصال جاكي بمدمني المخدرات في المستعمرة بلقاءات للصلاة في المدينة المسوّرة. تقول في ذلك: "بعد أن نصلي معاً يعرب طالبو العون عن رغبتهم الصادقة في المساعدة."

ويذهب المختارون الى أحد المراكز الاربعة الأولى لاعادة التأهيل التي تديرها جاكي، وقد استأجرتها من الحكومة برسم زهيد. والمركز النموذجي بينها هو "دار تاي تام" وهو مبنى قديم أبيض في أقصى جنوب جزيرة هونغ كونغ. في هذا البناء يقيم نحو عشرين مدمناً يدعون "اخوانا" مع عشرة مساعدين غربيين وثلاثة مدمنين صينيين سابقين، يضمهم جو عائلي حميم. تقول جاكي عن هؤلاء: "المدمنون السابقون هم مفتاح العلاج، اذ انهم خاضوا التجربة برمتها."

خطّ النار. أخبرتني احدى المساعدات في مركز "تاي تام" واسمها جوان وايلدر، عن المدمنين الوافدين حديثا ومعيشتهم في حجرة خاصة. إنهم يتلقون رعاية متواصلة طوال عشرة أيام من المدمنين السابقين الذين يعملون في مناوبات مدة كل منها أربع ساعات. يحادثون المدمنين ويصلون من أجلهم ويبذلون وسعهم لتخفيف أوجاع الانقطاع عن المخدرات. وهم لا يعطون أي دواء الا "جرعات" كبيرة من اللطف والمحبة وشد الازر. تقول جوان: "تتردد على مسامعنا تكراراً العبارة الآتية: لم أدرك قط أن ثمة من يحبني بهذا المقدار."

بعد تجاوز الاتكالية في مرحلة أولى تستمر اربعة أشهر، ينتقل "الاخوان" الى مخيم هانغ فوك المسمى "مخيم البركات." وهو ساحة مترامية من ١٤ كوخ صفيح في شمال غرب كاولون، قدمتها الحكومة بايجار رمزي. هاهنا القلب الخافق لـ"جمعية سان ستيفان" التي أنشأتها جاكي عام ١٩٦٨ لاعادة تأهيل المهجرين. وهو مأوى لاكثر من مئة نزيل بين نساء مظلومات وأولاد أسيئت معاملتهم ومشردين ومدمنين سابقين.

ويهيأ نزلاء المركز للاندماج بالمجتمع مجدداً واكتساب مهارات في أعمال مثل ورشات النجارة ومصانع القمصان والمطابع. ولكلّ دوره في اعمال المطبخ والبستنة والتنظيف والصيانة. ومع تقدمهم، ينضم هؤلاء الى أخر يخرجون الى المدينة، فيزورون المستشفيات وبيوت الشباب حاملين الطعام والأغطية لنوّام الشوارع. يقول أنطوني لورنس المراسل السابق لهيئة الاذاعة البريطانية الذي يقيم في هونغ كونغ: "جاكي امرأة عملية واقعية. لا تكتفي بصرف المدمنين عن عادتهم الضارة بل تدفعهم الى مساعدة الآخرين."

وتجلت رسالة مخيم هانغ فوك في أحلى صورها في ميلاد ١٩٨٩ حين أرسلت جاكي ومساعدوها حافلات وشاحنات الى أرجاء المدينة لجمع ما يربو على ألف شريد من نوّام الشوارع والمدمنين لتناول طعام العيد. تقول جاكي: "كثيرون منهم لم يشعروا من قبل بأنهم أفراد في أسرة كبيرة عطوفة. فأردنا أن نشعرهم بالحب. هذه طريقتنا."

لم يشِ ماضي جاكي بما ينتظرها في المستقبل. لقد ولدت في كرويدون بمقاطعة صاري البريطانية لأب صاحب مطبعة. وخلال دراستها الابتدائية تأثرت بمرشدتها التي تتذكرها جيداً: "جاءتنا في لباس كأنها خارجة من صورة للعصر الفيكتوري في كتب الاطفال، مرتدية تنورة (جونلة) دكناء طويلة وشعرها مجذوب الى الوراء في شبه كعكة."

لكن جاكي أسرت حلمها في نفسها. وانصرفت بعد فراغها من المدرسة الداخلية الى تعلم العزف على البيانو والمزمار في المعهد الملكي للموسيقى. وأثناء دراستها في المعهد دعتها زميلتان الى مسكنهما في لندن لشرب القهوة. فألفت نفسها في لقاء صلاة. تقول: "فوجئت اذ وجدت الجميع على سجاياهم، يتحدثون في مواضيع شتى دونما حرج."

فورة نشاط. حازت جاكي شهادة عالية وبدأت تعليم الموسيقى. لكن فكرة الارشاد ألحت عليها. وتراءى لها في المنام ذات ليلة أنها تنظر الى خريطة عليها بقعة باللون الزهري. وبرز لها اسم "هونغ كونغ." فسطرت في اليوم التالي رسالة الى حكومة هونغ كونغ لمنصب تعليمي في مدارسها، لكن طلبها رُفض.

وحصل الانعطاف الكبير في حياتها عام ١٩٦٦ في جلسة تأمل في وست كرويدون. وتروي جاكي ما حدث لها حينذاك: "تراءت لي امرأة رقيقة الحال. ثم أشار علي رجل جليل أن أركب متن سفينة تعرج على بلدان عدة، وأن أصلي لاعرف متى أغادرها والى أين." في خريف ذلك العام كانت جاكي على متن سفينة متجهة الى اليابان. "صليت، واذ رست السفينة علمت أن هذا مقصدي." كان ذلك ميناء هونغ كونغ، وقد وصلت اليه جاكي وفي جيبها ستة جنيهات ورقم هاتف صديقة.

في هونغ كونغ علّمت في احدى دور الحضانة أولا ثم في مدرسة ثانوية. وعزفت على المزمار في فرقة هونغ كونغ الموسيقية. وأخذت منها مشاهد الحرمان في الشوارع كل مأخذ، فعمدت في أوقات الفراغ الى الحديث مع الفقراء واصطحابهم الى مسكنها الصغير.

وكان حتما عليها اكتشاف المدينة المسوَّرة بعد حين، والتعرف الى أفراد عصابة "ترياد" الذين يتسكعون من دون عمل. استأجرت غرفة صغيرة ثم اسست نادياً للشباب كانوا يحتشدون فيه كل ليلة. ونظمت نزهات ورحلات ومخيمات

صيفية. وسرعان ما غد "الآنسة بون" شخصاً مألوفاً في المدينة المسوَّرة.

وانصب اهتمامها على مدمني المخدرات. فكانت تصحبهم الى مسكنها لتخفيف أوجاع الانقطاع عن تعاطي المخدرات. ولما ضاق بيتها استأجرت مساكن أخرى. وكانت تعود المدمنين في المستشفيات والسجون وتنبري للدفاع عنهم في أروقة المحاكم.

وفي احدى "أسعد لحظات حياتها" تمكنت من هداية غوكو زعيم احدى أقوى زمر "ترياد" وأسوأها سمعة. وهما التقيا مراراً، اذ عملت جاكي على إنقاذ عدد من أفراد زمرته. وفي العام ١٩٨٣ قبض عليه بتهمة حيازة الأفيون. قصدته جاكي في سجنه، وهي تتذكر ما حدث: "أُعطيت دقائق خمساً، لكني مكثت خمسين. قال لي انه يرغب في هجر حياة ترياد. كان ذلك زعيماً يتكلم! وسالت دموعه مدراراً فكفكفها برزمة من مناديل الورق."

أفلحت جاكي في اطلاق غوكو من السجن بعدما أثبتت بالدليل خطأ القبض عليه. واحتفل بتوبة غوكو في لقاء بهيج. تقول جاكي: "استأجرنا حافلة من طبقتين ودعونا أفراد زمرته السابقين. تلك اللحظة انتظرتها ١٦ عاما موقنة انها آتية من دون شك."

لكن احتكاك جاكي بعالم الرذيلة في هونغ كونغ تحفه أخطار. تقول إلسي تو المربية البريطانية المولد والعضو في المجلس المديني والاشتراعي في هونغ كونغ: "إنها تعمل ببسالة في عالم خطر."

وتموِّل "جمعية سان ستيفان" التي أنشأتها جاكي، بأعطيات أفراد من هونغ كونغ والخارج. وهي أخبرتني: "حصولنا على التمويل سهل، اذ نصلي حين نحتاج الى مال." ولدى انتقال المجموعة الى مخيم هانغ فوك تبرع لها الناس بالاسرة وتجهيزات المراحيض وأكياس الرز، وبحوالة مصرفية لدفع فاتورة الكهرباء. وتضيف جاكي: "أعارونا ميتماً كبيراً في ماكاو."

ويتقاطر المساعدون من أرجاء المعمورة ومن مختلف المشارب. منهم من يبقى بضعة أشهر ومنهم من يطول بهم المقام أمثال آن ميردين ايفانز من لندن التي عملت مساعدة لجاكي نحو خمس سنوات، وموندرا غراهام (٢٩ عاما) وهي مدرِّسة من نيوزيلندة، وليزي غروم (٢٧ عاما) وهي ممرضة بريطانية. وستمكث الثلاث نحو سنتين للمساعدة في ماكاو ودار تاي تام. وثمة طاه من نيوزيلندة يدعى وارن غودسير أتى مع زوجه ميتشل قبل سنة.

تحيا جاكي حياة بسيطة في حجرة داخل المدينة المسوَّرة. وتمضي أيامها في الرد على عشرات الرسائل التي تنهمر أسبوعيا على مكتبها في هانغ فوك. كما تدرب المساعدين الجدد وتعمل على استصدار بطاقات هوية للنوَّام في الشوارع. وتزور نزلاء المستشفيات والسجون والاصلاحيات. وهي تشدد الرقابة على مراكز اعادة التأهيل للتثبت من أن الأمور تجري فيها كما ينبغي."

وهي وجدت متسعاً من الوقت لتأليف كتابها الثاني "شق في الجدار" الذي نشر في مايو (أيار) ١٩٨٩. وتسافر جاكي الى الخارج في صحبة بضعة مسعفين ومدمنين سابقين، وتحض منظمات أخرى على الانطلاق في نشاطات مماثلة في ماليزيا والهند والفيليبين واندونيسيا وأوستراليا. وقد طارت الى لندن لتسلم وسام من الملكة اليزابيث في شهر ديسمبر (كانون الاول) ١٩٨٨.

من المقرر ان تهدم المدينة المسوَّرة سنة ١٩٩٢ وينتقل ساكنوها الى مكان آخر. لكن ذلك لن يوقف أعمال جاكي في هونغ كونغ. وهي تقول: "قد تمحى المدينة المسوَّرة، لكن الصعوبات التي يعانيها الناس ستستمر." وتضيف: "ألا يدهشكم تحول بؤرة رذيلة مبعثاً للنور؟"

ديبرا كاولي ■



زوجان سعيدان

ارتبط الممثلان هيوم كرونين وجيسيكا تاندي بزواج دام ٥٠ سنة.

يقول هيوم: "حين تعملان معاً وتتقاسمان الفراش والطعام، وتبقيان على هذا المنوال يوما بعد يوم وسنة بعد سنة، فقد يصبح ذلك..."

وتكمل جيسيكا: "... صعباً. لقد مرت أيام قال لي فيها هيوم إنه يرغب في الاقامة في فندق مدة اسبوع. فكنت أقول له: حسناً، اذهب. ولم يكن ذلك يحصل لسبب معين انما لشعوره بحاجة الى حرية ومدى أوسع من المنزل. وكنت انا ايضاً استمتع بهذا الجو المريح. ولدى عودته كنا نرى كل شيء رائعاً من جديد."

ويعدد الزوجان العناصر الجوهرية التي بنت علاقتهما المتينة: الثقة، التعاطف، العمل معاً، رقة الشعور المتبادلة. لكنهما لا يملكان صيغة تُمزج فيها كل هذه العناصر لتؤلف زواجاً ناجحاً. وينتهيان الى القول انهما مجرد شخصين أسعدهما الحظ بان يكونا معاً.

ج.م.ل.

نشاط الشباب

ينصح رجل الأعمال الكوري الجنوبي كيم وو - تشونغ الجيل الطالع بالآتي: "يعجبني الشباب الذين يستمتعون باطلاق مشاريع متنوّعة، ولاسيما أولئك الذين يستغلون طاقاتهم الى أقصى حدودها. وإذا قارنّا بينهم وبين شباب لا تخطر لهم فكرة انشاء مشاريع خاصة، لوجدنا ان هؤلاء المغامرين أكثر عرضة للاخفاق، لكنني لا أعتقد أنهم ينهزمون يوماً. فالذين يخافون الاخفاق هم اشبه بصياد يعجز عن تزويد صنارته طعماً لخوفه من الديدان. هذا الشخص لن ياكل سمكة واحدة."

غ.ي.

حكايات من العالم

الولايات المتحدة

□ ■ يقفل معظم الناس سماعة الهاتف عندما يسمعون على الطرف الآخر صوت كمبيوتر. لكن الناس في خمسين مدينة امريكية يهتمون عندما يتصل بهم "كمبيوتر هاتفي" لكي يتاكد من انهم على ما يرام. مثلا، تدفع مدينة اوساج في ولاية ايوا اكلاف الجهاز الذي تديره دائرة الشرطة. ويتصل الكمبيوتر في وقت محدد يوميا بالسكان المسنّين الذين يسكنون منفردين، فيبادرهم: "صباح الخير! هل انت بخير؟ اذا لم تكن على ما يرام، اقفل الخط واتصل بالرقم ٩١١." وبعد أن يقفل العجوز الخط ينتقل الكمبيوتر الى الرقم التالي. واذا لم يجب أحد، يخطر الكمبيوتر الشرطة بالامر.
طوّر هذا البرنامج احد هواة الكمبيوتر من سكان أوساج ويدعى بروس جونسون. وهو انقذ الى الآن حياة عجوزين وقع احدهما في غيبوبة بسبب السكري وعلقت يدا آخر في نافذة.

صحيفة "تايم"

الصين

□ ■ تغطي الصين مساحة تزيد على ٩٥٦٠٠٠٠ كيلومتر مربع، ومع ذلك تشملها منطقة زمنية واحدة. فالساعات في انحاء البلاد تضبط بحسب توقيت العاصمة.

صحيفة "تايم"

المانيا

□ ■ بعد مرور يوم على فتح جدار برلين وصل مواطن من جمهورية المانيا الديموقراطية الى المكتبة التذكارية الأمريكية في برلين الغربية حاملا كتبا كان استعارها قبل ايام من بناء الجدار منذ ٢٨ عاما. وهو احتفظ بالامل ان يتمكن من اعادتها الى المكتبة يوما.

و.ج.

بوليفيا

□ ■ الحياة مختلفة في العاصمة لاباز التي ترتفع ٣٦٥٨ مترا عن سطح البحر. فالطائرات تستغرق وقتا أطول للاقلاع والهبوط. والطعام يتطلب وقتا اطول على النار لكي ينضج، لذا ينبغي ادخال تعديلات على وصفات الطبخ. ويقتضي اذكاء النار لكي تشتعل. ومحركات السيارات اقل قوة. وعملية الهضم أبطأ، والشهية إقل، والنحافة أيسر إدراكا.
في معظم مدن العالم يحتل الأغنياء المرتفعات. أما في لاباز فيقع معظم الاحياء السكنية الفخمة على السفوح المنخفضة بضع مئات من الأمتار حيث الهواء اكثف وأدفأ. والمنحدر الوحيد الصالح للتزلج في بوليفيا والواقع على ارتفاع ٥٢٠٠ متر عن سطح البحر، يعتبر الأعلى في العالم. وفصل رياضة التزلج هو الصيف لا الشتاء، لأنّ المنحدر يتحول خلال موسم الصقيع سطحا من الجليد.

صحيفة "نيويورك تايمز"

الاحباء والاصدقاء والغرباء يجرحون احيانا بقصد او من دون قصد

كيف تردّون على الكلام الجارح



"لا أمل لك."

"ياه! انه ثوب جميل، من المؤسف أنك لم تجدي واحداً يناسب قياسك تماما."

"بلغني أن ابنتك حصلت أخيرا على وظيفة. فهل كان ذلك بوساطة من والدها؟"

"لا جدوى من اضاعة وقتك في لتمرين، فأنت لن تتمكني من العزف على لبيانو مثل والدتك."

"تبدين في غاية الرونق، فهل أجريت جراحة تجميل؟"

نتعرض يوميا لملاحظات ساخرة لاذعة مثل هذه، وغالبا ما تصفعنا عندما لا نكون مستعدين لتلقيها. ونكاد نسمعها في كل مكان: في الطريق عندما تثير زحمة السير بعد دوام العمل أسوأ طباع الناس، وفي طوابير الانتظار التي تفقد الانسان صبره، وفي العمل وإلى مائدة الطعام حيث يشعر الناس بحرية التصرف بفظاظة.

أساليب الانتقاد كثيـرة يستحيل تصنيفها أو حصرها. فهناك انتقادات يومية شائعة من قبيل: "تهانينا! أخيراً

CONDENSED FROM «YOU KNOW I WOULDN'T SAY THIS IF I DIDN'T LOVE YOU,» COPYRIGHT © 1984 AND 1990 BY JENNIFER JAMES, PUBLISHED BY NEWMARKET PRESS, NEW YORK, N.Y. ILLUSTRATION DAVE CUTLER

نجحت"، وأخرى جارحة مزعجة تسبب دواراً مثل: "آه، كيف تخفين تجاعيد وجهك؟" أو: "أراك منهمكة في هوايتك المفضلة – الأكل."

ثم هناك الملاحظات الخالية من الاحساس الى حد لا يصدق. فعندما تشجّع أحدهم وأخبر والدته أن زوجته هجرته، سألته فوراً: "وما الذي أخرّها الى الآن؟"

يفترض أن تكون العائلات ملاذاً واقيا من العالم. لكن الحقيقة هي أن الأقارب يتفوهون بكلام لا يقولونه خارج نطاق العائلة، وغالباً ما يبررون ذلك قائلين: "أنت تعلم أنني لولا محبتي لك لما قلت ذلك."

وتتذكر احدى النساء أنها حين كانت في الثانية عشرة من عمرها رأتها أمها واقفة أمام المرآة، فقالت لها: "لا تقلقي يا حبيبتي، اذا كبر أنفك أكثر نستطيع اصلاحه." وحتى ذلك الحين لم يكن خطر لها أن أي عيب يشوب أنفها.

ان الصنف المفضل لدي من الاهانات المتعمدة هو ذلك المعروف بالانتقاد "البنّاء" (وهو أبعد ما يكون عن ذلك.) ويمكن التعرف الى هؤلاء المنتقدين من العبارات التي يهندمون بها انتقاداتهم مثل قولهم: "أرجو الّا تزعجك صراحتي" أو "أقول لك هذا لمصلحتك." ويفترض فينا أن نعجب بصراحة المنتقد واخلاصه وأن نقدر له اهتمامه فيما نحن نحاول التعافي من الطعنة التي اصابتنا في الصميم.

ان الدفاع عن النفس لدى التعرض للاهانة قد يدخلنا حلقة مفرغة من الهجوم والهجوم المضاد. ولكن لحسن الحظ ثمة طرق لاتقاء سهام الانتقاد اللاذع وردها الى نحر مرسلها، مع الحفاظ على الاحترام الذاتي والمعنويات. ففي المرة المقبلة حين تجدون أنفسكم ضحايا للانتقاد، حاولوا تطبيق احدى الخطط الآتية:

١. تبينوا خلفيات الاهانة. ان الناس الذين يوجهون الانتقادات يخفون عادة ألماً يسعون الى التخلص منه. فاذا لم تستطيعوا اكتشاف ما يزعج المنتقد حقا، تمهّلوا وخذوا كل الأسباب الممكنة في الاعتبار. وتذكروا أن الانتقادات ليست كلها موجهة اليكم شخصياً.

فالنادلة القائمة على خدمة زبائن المطعم لا تعنيكم أنتم باثارتها المشاكل، لان خطيبها تخلّى عنها البارحة. والسائق الذي يتجاوزكم بسرعة هائلة لا يقصد اخافتكم بل هو على عجلة للوصول الى ولده المريض. فأفسحوا له الطريق. فعندما تكونون متسامحين في ظنونكم تطيب سماحة النفس خاطركم.

٢. حلّلوا ملاحظة المنتقد. تقترح سوزيت هادن ألجن في كتابه "الفن اللطيف في الدفاع الكلامي عن النفس" تجزئة الانتقاد والاستجابة للافتراض غير المعلن، من دون تمثيل دور الضحيّة. فاذا قيل لاحدهم مثلا: "لو كنت تحبني لانقصت وزنك"، فيمكنه أن يجيب: "منذ متى وأنت تعتقد أنني لا أحبك؟" فالسرّ

يكمن في تفحص ما قيل – وما لم يقل – قبل التورّط عاطفياً.

تجنبوا الوقوع في الشرك اذا أمكن.

٣ تحدّوا منتقديكم ليس سهلا الوقوف بجرأة في وجه التحقير والاهانات. واحدى الطرق الناجعة هي الصراحة. فلكي تنزعوا فتيل الملاحظات الهدّامة تصدّوا لها بالرد المباشر كأن تجيبوا: "هل ثمة سبب يدفعك الى جرح شعوري؟" أو "هل تدرك وقع هذه الملاحظة على الناس الآخرين؟"

ويمكنكم أيضاً أن تطلبوا من المنتقد ايضاح كلامه، فتقولون له مثلا: "ماذا تعني بذلك؟" أو "أودّ التأكد من أنني فهمت ما قلته." ومتى عرف المنتقدون أنكم تدركون ما يرمون اليه فانهم يدعونكم وشأنكم. فلا شيء ادعى الى الخجل من أن يُكشف المرء متلبسا بذنبه.

٤ استخدموا الفكاهة قالت احداهن مرة لصديقتي: "أهذا فستانك الجديد؟ انه أشبه بقماش الكراسي." فأجابتها صديقتي: "اذاً تعالي واجلسي في حضني."

وأخبرتني امرأة ثانية عن أمها التي كرّست نفسها للحفاظ على منزلها في غاية النظافة. لمحت الأم ذات يوم نسيج عنكبوت في مطبخ ابنتها فسألتها: "ما هذا؟" فأجابتها ابنتها: "انه اختبار علمي." المرح والفكاهة افضل سلاح ضد الاهانات. وسرعة البديهة تمكنكم من التغلب على كل منتقديكم.

٥ ارسلوا إشارات ذات مغزى أخبرتني سيدة عن زوجها الذي كان يوجه اليها انتقاداته علانية، فاستعانت بمنشفة صغيرة تحملها دائماً وتغطي بها رأسها كلّما وجه اليها انتقاداً، مما أربكه وجعله يغير أسلوبه.

واستنبطت عائلة أخرى عبارة تؤدي الى الغاية ذاتها. فذات مرة بعد العشاء علّق ضيف على الطعام قائلا: "لقد كان رائعاً! الدجاج رخيص هذه الايام. أليس كذلك؟" والآن، كلما أبدى أحدهم ملاحظة جارحة علق أحد أفراد العائلة قائلا: "الدجاج رخيص الثمن،" فيقهقه الجميع.

٦ لا تكترثوا للانتقاد اقبلوا كل ما يقال. فاذا قالت لك زوجتك: "زاد وزنك ١٠ كيلوغرامات يا عزيزي،" أجب: "انه في الحقيقة أقرب الى ١٢ كيلوغراماً." واذا أصرّت ملحة: "ألا تنوي تخفيف وزنك؟" فحاول الاجابة: "لن أفعل على الأرجح. سوف أبقى بديناً لبعض الوقت."

الملاحظة الناقدة تستمد قوتها من موقفكم أنتم. فاذا تقبلتموها بارتياح، شللتم حركتها.

٧ تجاهلوا الاهانة لاحظوا الانتقاد بعناية وأدركوا أنه لا يعنيكم شخصيا ثم تجاهلوه ببساطة. القدرة على الغفران هي احدى أهم مهارات البقاء التي يمكن تنميتها.

اذا لم تكونوا مهيأين لذلك، دعوا

محدثكم يعلم أنكم أخذتم علما بملاحظته لكنكم لن تردوا عليها. فعندما ينتقدكم أحدهم في المرة التالية تظاهروا بمسح بقعة وهمية عن قميصكم، فيسألكم الناقد عما تفعلون فتجيبون: "اعتقدت أن شيئاً ما ضربني، ولكن يبدو أنني على خطأ." عندما يدرك المنتقد أنكم كشفتم لعبته فانه يصبح أكثر احتراساً.

وفي امكانكم أيضاً التظاهر بعدم الاكتراث، كأن تطرفوا بعيونكم ثم تتمطون وتتثاءبون وتشيحون ببصركم وعلى وجوهكم تعبير مغزاه: "لماذا الاهتمام؟" فالناس يكرهون الاعتقاد أنهم يبعثون على الضجر.

٨. أضيفوا ١٠ في المئة. لن يكون في وسعكم أن تدفعوا عنكم كل الانتقادات اللاذعة، فحاولوا تقبل بعض التهجمات كسبيل طبيعي لتنفيس الاحباط الذي يصيبنا جميعاً. يحاول معظمنا عدم الاساءة الى الآخرين، لكننا نخطىء في بعض الأحيان. لذلك دافعوا عن أنفسكم عند الاقتضاء ولكن خذوا أيضاً في الاعتبار ظاهرة العشرة في المئة:

في ١٠ في المئة من الحالات تكتشفون أن ما اشتريتموه هو ارخص في مكان آخر.

واذا أعرتم أحدهم شيئاً ففي ١٠ في المئة من الحالات يرجعه اليكم وفيه عطل.

وفي ١٠ في المئة من الحالات، حتى أعز أصدقائكم قد يتفوهون بعبارة طائشة لا يلبثون أن يندموا عليها.

بكلام آخر، "تُمْسِحوا جلودكم" وحاولوا تحمل الاساءة والنقد، فأسهل عليكم الافتراض أن الناس يحاولون التصرف حسناً لكن كثيرين منهم لا يعون وقع تصرفاتهم.

أن اتخاذكم دائما موقف الدفاع، وحاجتكم الى إثبات أنكم محقون ومالكون زمام أموركم، يكلفانكم غاليا. لذا تسلّحوا بالغفران تحصدوا أكثر من عشرة في المئة.

شتم أحدهم رجلا حكيما فأجابه هذا: "يا ولدي، اذا رفض امرؤ قبول هدية، فالى من تعود؟"

أجابه الرجل: "الى مهديها."

قال الحكيم: "اذاً، أنا أرفض إساءتك."

العالم حافل بأناس يحاولون رفع مقامهم بالحط من قدر الآخرين. وهم دائمو الاستعداد لاطلاق اهاناتهم في وجه أي كان.

أرفضوا قبول اساءاتهم وإن غلفوها بالمحبة، ففي تجاهلها خفض للتوتر وفرح وطمأنينة لكم وفرص لتمتين علاقاتكم.

جنيفر جايمس ■

قال موظف لرب العمل: "اذا كنت لا تستطيع زيادة راتبي، فهل لي أن اقبضه مرّات اكثر؟"

ك.د.

مسحة عنق الرحم قد تنقذك من السرطان

تتذكر جولي: "انتظرت شهرين للمعالجة بأشعة الليزر في المستشفى المحلي. لكنني بعد ذلك لم أعد أشعر حتى بوخزة ألم."

وقد مضت ثلاث سنوات على الحادث. وتقول جولي: "ذلك الاختبار أنقذ حياتي."

سرطان عنق الرحم هو السرطان الوحيد الذي يمكن تحديده باختبار بسيط

سرطان عنق الرحم هو الداء الذي تخافه جميع النساء لكنه السرطان الوحيد الذي يمكن تحديده والشفاء منه بالمعالجة الباكرة

جولي شابة في الثانية والعشرين تعمل مرشدة صحية في ليفربول ببريطانيا. قصدت يوما الفرع المحلي لعيادة "المرأة المعافاة" بعدما شعرت بورم في ثديها. ولحسن حظها كان الانذار خاطئا. الا أن طبيبها اقترح عليها اجراء اختبار مسحة عنق الرحم. وانهارت جولي لدى ابلاغها عن خلايا في عنق رحمها معرضة للتحول خلايا سرطانية إذا بقيت من دون معالجة.

والشفاء منه بالمعالجة الباكرة. وكل عام تشخص ٤٠٠٠ اصابة بالسرطان العنقي في بريطانيا. ويتبين أن نصف هذه الحالات مميتة لان المرض يكون قطع شوطا كبيرا مبدداً كل امكان للشفاء. وهذا يعني وفاة ٢٠٠٠ امرأة كان شفاؤهن متيسراً.

٩٠ في المئة من المتوفيات نساء لم يُجرَ لهن أبداً اختبار مسحة عنق الرحم – أو "مسحة پاپ"[١] التي سميت كذلك بعد جورج بابانيكولاو الطبيب الامريكي اليوناني الاصل الذي ابتكر هذا الاسلوب قبل ٦٠ سنة. ويتضمن هذا الاختبار أخذ عينة من المادة المخاطية والخلايا من منطقة محددة داخل عنق الرحم الاسفنجي في أعلى المهبل.

(١) Pap smear

وتحتوي المادة المخاطية على خلايا أنسجة شقت طريقها الى سطح العنق. وتمسح المادة على شريحة زجاجية مجهرية وترسل الى المختبر. هناك تفحص تحت المجهر بغية التحقق من وجود خلايا سرطانية أو خلايا شاذة تنذر بسرطان مستقبلي محتمل.

ويجرى ما يزيد على أربعة ملايين اختبار "پاپ" في بريطانيا سنويا. ومع ذلك تبقى ملايين النساء من غير اختبار. فمنهن من يبعدن فكرة المرض عن أذهانهن، ومنهن من يتجنبن الاختبار بحجة أنه يستغرق وقتا ويسبب ألما. لكن جولي تتذكر أن أخذ العينة استغرق دقيقتين ولم يتخلله ألم.

عندما كشفت مسحة جولي وجود خلايا شاذة، أرسلت الى عيادة خاصة في المستشفى بغية فحصها بواسطة المنظار المهبلي،[٢] وهو مجهر ذو عينين يتيح للطبيب مشاهدة عنق الرحم بأدق تفاصيله. وقد استأصل الطبيب قطعة نسيج صغيرة جداً من كل جانب من عنق الرحم بهدف اجراء تحليل مخبري. ومن ثم دمرت الخلايا الشاذة بواسطة الليزر بعد تخدير عمومي.

وتشير الاكتشافات الحديثة الى أن نشوء الخلايا الشاذة في الرحم يرتبط بعدوى فيروس الورم الحليمي البشري (HPV)[٣] الذي يسبب الثؤلول في الاعضاء التناسلية. وينتقل هذا الفيروس جنسيا، لذلك نادراً ما ينشأ سرطان عنق الرحم عند العذارى.

ومن المعرضات للاصابة بهذا المرض النساء فوق الخامسة والثلاثين اللواتي لم يخضعن لاختبار مسحة عنق الرحم، والشابات اللواتي يقابلن أكثر من شريك، والنساء اللواتي بدأن الجماع أو الحمل خلال مرحلة البلوغ عندما تحدث التبدلات الهرمونية تغيرات سريعة في الخلايا ويكون عنق الرحم شديد التعرض لالتقاط العدوى.

والمدخنات المفرطات يشكلن المجموعة الرابعة المعرضة لهذا المرض. يقول الطبيب النسائي ألبرت سنغر رئيس وحدة المنظار المهبلي والليزر في المستشفى الملكي بلندن: "يتمتع الرحم بجهاز مناعة من خلايا دقيقة تطلق الانذار لمهاجمة اجسام متطفلة مثل فيروس «HPV». وتتعطل خلايا الانذار لدى كثير من المدخنات، ربما بمستويات عالية من سموم الدخان في مخاط عنق الرحم."

لكن سرطان عنق الرحم قد يصيب أيضا نساء غير مصنفات في أي مجموعة. فمنذ السن الثامنة عشرة تجري جين، وهي عاملة اجتماعية في الحادية والثلاثين من عمرها، اختبار مسحة عنق الرحم مرة كل ثلاث سنوات. تقول: "عندما انتقلنا الى أكسفورد قبل سنتين أجريت اختباراً جاءت نتيجته ايجابية." وأظهر المنظار المهبلي وجود سرطان توسعي مبكر، فثمة خلايا شاذة تسللت تحت سطح عنق الرحم. "واقترح علي

---

(٢) Colposcope

(٣) Human papilloma virus

طبيبي الجديد الخضوع لجراحة استئصال الرحم. لكنني كنت أريد انجاب طفل، لذلك استشرت طبيباً ثانياً نصحني، بعد تنظير مهبلي آخر، باجراء فحص مخروطي."[٤]

نتيجة سارة. أخضعت جين لتخدير عمومي، واستأصل الجراح جزءاً مخروطياً من عنق رحمها. تقول: "لم أعرف المرض طوال حياتي. وكنت أخاف المستشفيات. لكنني لم أشعر بأي ألم، وكنت شديدة الارتياح بعد انتهاء العملية." وسرعان ما برئت الخلايا. وأجري لجين اختبار مسحة عنق الرحم بعد ثلاثة اشهر فأتت النتيجة سلبية. وبعد شهرين آخرين حملت جين، وهي الآن أم لصبي معافى.

دنيس ماكنس باحث رائد في مستشفى غي في لندن. وهو لحظ أن الزوجات يقلقن من أن توحي المسحة "الايجابية" أنهن غير مخلصات لازواجهن. ويقول مطمئناً: "الخلايا الشاذة يجب ألا توصم بالعار. صحيح أن الاتصال الجنسي ينشر فيروس HPV، لكن المرأة قد تلتقط عدواه من زوجها، فقد تكون له علاقات."

واختبار مسحة عنق الرحم متوافر في بريطانيا برعاية وزارة الصحة منذ العام ١٩٦٤. وفي العام ١٩٨٨ أطلقت الحكومة برنامجا لاخضاع جميع النساء بين العشرين والخامسة والستين لهذا الاختبار كل خمس سنوات على الاقل. ويطلب معظم الاطباء اجراءه مرة كل ثلاث سنوات، لكن الوزارة لحظت موازنة محدودة لهذا الاجراء.

والنقص الحاصل في التمويل يعوق أيضاً أعمال مختبرات أبحاث الخلايا الثلاثمئة المنتشرة في الاراضي البريطانية، حيث تفحص مسحة عنق الرحم مجهريا. والعمل ضاغط في هذه المختبرات حيث يمضي التقنيون عدة ساعات يوميا ناظرين عبر المجهر، فدراسة شريحة زجاجية واحدة صعبة قد تستغرق نصف ساعة من العمل المضني وتشغل عدة تقنيين.

وقد حصلت أخطاء أحيانا سببت الحزن والاسى لبعض المرضى. في العام ١٩٨٧ استدعيت ٤٨٥ امرأة سبق أن خضعن لاختبار مسحة عنق الرحم في مستشفى النساء في ليفربول وجاءت نتائجهن سلبية، اذ تبين أن نتائج اختباراتهن موضع شك. وقد أجريت لاربع منهن جراحة استئصال الرحم، ولعشرين فحص مخروطي، وعولجت ١٣٣ أخريات بالليزر. ووجه اللوم الى طبيب نسائي متقاعد كان مسؤولا عن اصدار التقارير الاولية للشرائح.

درهم وقاية. ان خضوع جميع النساء المتزوجات لهذا الاختبار لم يكن ملحا يوما مثلما هو الآن. يقول الدكتور جاك كوزيك من "الصندوق الامبراطوري للدراسات السرطانية": "خلال السنوات

(٤) Cone biopsy

العشرين الماضية ارتفعت نسبة الاصابة بسرطان عنق الرحم الى ٧٢ في المئة لدى النساء دون الخامسة والثلاثين. وقد يعود ذلك الى المجتمع المتساهل."

ومن المستلزمات الاساسية لمحاربة هذا المرض المراقبة الدقيقة لتطور حال المريضة. فالمنظار المهبلي ضروري بعد أربعة أو ستة أسابيع من أي معالجة، يتبعه اختبار مسحة عنق الرحم بعد ستة أشهر أخرى. ثم يتوجب على المريضة الخضوع لهذا الاختبار مرة على الاقل كل ثلاث سنوات.

وقد أدت الطريقة اليدوية المتبعة في حفظ سجلات الجراحات الى اضاعة بعضها وعدم ملاحقة أحوال المريضات. لكن أجهزة الكمبيوتر بدأت تحل مكان هذه الطريقة. وفي منطقة وست ساسكس يحفظ الكمبيوتر سجلات الاستدعاء المشتملة على جميع المريضات المسجلات منذ العام ١٩٧٢. وقد انضم أطباء العائلات الى هذا النظام. ويتولى الكمبيوتر تسجيل كل التفاصيل عن مسحات عنق الرحم وسبل المعالجة، ويتم اعلام المريضة بالبريد بموعد اختبارها.

وتعِد الاساليب الحديثة بتشخيص أفضل ولكن بكلفة أكبر. ومن الابتكارات الجديدة "فرشاة الخلايا"[٥] التي تستعمل مع مبسط خشبي أو بلاستيكي لتمكين الاطباء من أخذ عينات خلايا من عنق الرحم. وكما يشرح ألبرت سنغر في كتابه الاخير "اختبار مسحة عنق الرحم"[٦] فان فرشاة الخلايا هي أنجع الوسائل في الوقت الحاضر. فشكلها الاسفيني عند طرفها يتيح لشعيراتها ولوج قناة عنق الرحم باحكام والتقاط الخلايا التي يعجز المبسط عن التقاطها.

ويمكن أحيانا اختصار الوقت الذي يتطلبه التشخيص بواسطة الكاميرا. فتأخذ صورة لعنق الرحم وتدرس مع نتائج الاختبار التقليدي لمسحة عنق الرحم.

وابتكر الدكتور أندرو سينكوك من فريق الابحاث في مستشفى ميدلسكس بلندن، طريقة سريعة لتحليل الشرائح المجهرية آليا. يقول: "ليست الآلة بالغة الدقة فحسب، بل انها تمكننا من تحديد الخلايا التي ستصبح شاذة لاحقاً."

ان اجراء اختبار مسحة عنق الرحم بانتظام يمنع حوادث الوفاة بسرطان عنق الرحم. وهنا خطوات بسيطة تستطيع كل امرأة اتباعها لتحمي نفسها:

- تأكدي من أنك مسجلة لدى طبيبك في نظام الاستدعاء. وابدأي اختبارات مسحة عنق الرحم حالما تبدأين حياة جنسية منتظمة. أعلمي طبيبك بأي تغيير في عنوانك.
- أبلغي طبيبك بأي افراز أو نزف مهبلي غير عادي.
- بعد خضوعك لاختبار مسحة عنق الرحم تأكدي من حصولك على النتيجة سريعاً، ولا تنتظري مكالمة من الطبيب.

إليز بيكيه ■

(٥) Cytobrush
(٦) Cervical Smear Test

باع حياته ليشتري السعادة فنال فوق ما ابتغى

أوتشي ... بوتشي

قصة قصيرة

رن الجرس الصغير فوق رأس هيلوين. وتكرر الرنين الاجش بعد لحظة وهو يغلق الباب خلفه بلطف. وجد نفسه في غرفة في الطبقة السفلى تقسمها منضدة طويلة اسودّ خشبها. ووراء المنضدة باب غطته ستائر من الخرز ورفوف تحمل صفوفاً من الدفاتر العتيقة.

تساءل هيلوين: "لا يبدو هذا المكان عتبة الى نعيم الدنيا، ولكن ربما من الأفضل المحافظة على المظهر الرديء في هذا الجزء من البلدة إذا كنت لا أرغب في اجتذاب كثير من الانتباه."

نقر المنضدة بحزم. وإذ اهتزت ستائر الخرز ظهر من ورائها رجل كهل قصير أنيق المظهر ذو عينين بنيتين ووجه دميم. تقدم بابتسامة ودية ووضع أنامله على المنضدة ثم انحنى باحترام.

قال بصوت أوحى أن الانكليزية ليست

لغة صاحبه مع أنه خلا من أي لكنة مميزة: "مساء الخير يا سيدي.

سأله هيلوين: "أأنت السيد زوريك؟"

أجاب زوريك وقد ظلل حزن طفيف ابتسامته: "نعم، ويا للاسف."

– أدعى هيلوين وأنا صديق قريب من السيد جورج لوريمر وأحمل منه رسالة توصية، كانت بينكما أعمال قبل نحو ستة أشهر.

تمتم زوريك مقطباً حاجبيه: "لوريمر؟ آه، أجل. أذكره طبعاً! لقد رتبت أموره في مكان ما من الأقيانوس الجنوبي حيث الحسناوات كثيرات وجوز الهند طيب. ثم أطلق ضحكة خافتة وتابع: "قد يبدو الامر سخيفاً، ولكن لا بأس ما دام الرجل سعيداً. أليس كذلك؟"

– إنه سعيد جداً.

"وأفهم أنك مهتم بإجراء صفقة مماثلة؟"

شرق هيلوين بريقه مرتبكاً اذ تخطى المرحلة التمهيدية، وأجاب: "هذه هي الفكرة عموماً."

بهتت ابتسامة زوريك وبدا الاهتمام المهني في عينيه. قال: "أشك كثيراً في إمكان العمل معك."

فهتف هيلوين وقد احتقن ضيماً: "هذا محال! ظننتُ انك ستستعمل معي أساليب الملاطفة والتملّق وتغدق علي أنواع الوعود البراقة. فأنا نفسي على المحك، لا أسهم الشركة. لقد كنتَ شديد التّوق الى التعامل مع جورج. وأنا لا أختلف عنه."

هزّ زوريك رأسه قائلا: "السيد لوريمر شاب، وأمامه حياة مديدة، وبه نزعة مؤسفة إلى الصلاح والطيبة. كان هناك احتمال جدّي، لو ترك العنان لرغباته، أن يكتسب في نهاية المطاف رصيداً نفسياً وافراً."

وتلفّت زوريك حوله مرتبكا وتابع: "لقد شعر ذلك الذي أخدمه أن من المجدي اقناع السيد لوريمر بابرام اتفاق ملزم. لكن وضعك مختلف يا سيد هيلوين."

صاح هيلوين بانفعال: "لا أظن ما أسمعه يروقني. أنا لم أسلك حياة سيئة. كيف تدري أنني لن أكتسب ما يكفي من هذه الأرصدة الروحية، كما تسميها؟" ثم صمت إذ رأى زوريك يسحب دفتراً عن أحد الرفوف ويفتحه.

قال زوريك وقد استقرّت سبابته اليمنى على احدى الفقرات: "نورمان ستانلي هيلوين. لك من العمر ثلاثة وخمسون عاماً. لديك مشاكل حادة في القلب والأوعية الدموية، اضافة إلى كبد نالت أكثر من نصيبها العادل من العقاب. هل تود معرفة السنوات المتبقية لك بالتحديد؟"

صرخ هيلوين متراجعا: "لا، لا يجوز أن يحمَّل انسان وزر هذه الدراية."

قال زوريك غير مبال: "أربع سنوات إلا أحد عشر يوماً." فهتف هيلوين بصوت متهدّج: "هذا فظيع. لقد بدوتَ لي لطيفاً دمثاً عند دخولي هذا المكان. أما الآن..."

فقاطعه زوريك: "ماذا كنت تتوقع؟

شغِّل عقلك يا رجل! ماذا تظنه فاعلاً لي إن لم أبذل قُصاراي للحصول على أفضل الشروط في كل صفقة؟"

اقترب هيلوين من المنضدة وقد وهنت قدماه وسأل: "صفقة؟ هل قلت صفقة؟"

نظر اليه زوريك شذراً كجوهريّ يتفحص ساعة يد، ووثبت من ورائه الى المنضدة هرة سوداء هزيلة لم تحدث ضجيجاً. قال: "أما زلت متأكداً من أنك تريد التعامل معنا؟"

فأجاب: أما وقد بقيت لي أربع سنوات... اليك اقتراحي... سأبيعك نفسي في مقابل..."

لكن زوريك أسكته: "ليس بهذه السرعة! دعني أخبرك حالاً، قبل أن تتابع، أنك لا تستطيع الحصول على الثروة المادية. لا أوراق نقد ولا صكوك ملكية ولا ذهب ولا غيره من المعادن الثمينة." وأضاف كأنه يستشهد بوثيقة قانونية حفظها عن ظهر قلب: "لا حجار كريمة ولا تحف ثمينة."

قاطعه هيلوين: "كل هذه الأشياء لا تهمني. ولكن أشبع فضولي وأخبرني لماذا لا يمكنني الحصول عليها؟"

هزّ زوريك كتفيه وقال: "هناك مشاكل سيولة. وثمة شيء آخر لا يمكنك الحصول عليه، الا وهو الوقت الاضافي. لا يفيدك أن تطلب اطالة حياتك. السنوات الأربع هي كل ما تبقى لك ولا شيء يمكن أن يغيّر ذلك."

أومأ هيلوين موافقا وقال: "لست بالسذاجة التي تظن. لو أتيحت لي فرصة قضاء هذه السنوات الأربع كما يحلو لي فستمتلىء نشوة تجعلها تساوي أربعة قرون. لقد كانت حياتي موفقة من ناحية المستوى المادي الذي يهتم له معظم الناس: بيت فخم في أرقى أحياء المدينة، ومركز محترم في المجتمع، ونجاح في المهنة. لكن الشيء الوحيد الذي حرمته، الشيء الوحيد الذي تقت إليه أكثر من أي شيء آخر، هو..."

"قل لي ما هو يا سيد هيلوين." ورفع زوريك الهرة السوداء ومددها على صدره.

أخذ هيلوين نَفَسَاً عميقاً وزفره بكلمات سريعة: "أريد أن تقف النساء عاجزات عن مقاومتي. أعني عاجزات حقاً. أريدهن عاجزات عن كف أيديهن عني."

قال زوريك وهو يسقط الهرة على الأرض: "أهذا كل شيء؟ لماذا لم تنطقه منذ البداية فتوفر علينا كثيراً من الوقت؟"

– أتعني أنك ستحققه لي؟

أجاب زوريك بنبرة واقعية: "نعم. أتفهمك تماما. النساء عاجزات عن مقاومتك. ستكون كذلك حالما توقع العقود الضرورية." ثم ابتسم بكآبة وتابع: "الشكليات ضرورية هذه الأيام."

فوجىء هيلوين وبدأت تساوره الشكوك. فالامور تسير بسلاسة غير معقولة. قال: "لقد وافقتَ على طلبي بسرعة."

فرد زوريك بلطف وهو يخرج رزمة وثائق من تحت المنضدة: "سوف أطلعك على سر صغير. أنت ثالث زبون قابلته اليوم لن تقاومه النساء."

احمر وجه هيلوين وقال: "أهذا ما يطلبه معظم الناس؟"

فرد زوريك: "زبائننا الذكور فقط. والآن، قد تود أن تتصفّح هذه النماذج..."

قال هيلوين مرتبكا: "أنا متأكد من أن كل شيء سيسير على ما يرام. لقد أخبرني السيد لوريمر أنه راض جداً عن عقده. قال إنك تنفذه حرفياً."

فابتسم زوريك: "يسرني أنه يقدّر عملنا. في هذه الحال، أرجو أن توقع هنا من فضلك."

نظر هيلوين الى الاوراق منزعجا وقال: "لا لزوم للتوقيع بالدم، أليس كذلك؟ فأنا سريع الغثيان."

ضحك زوريك وسحب قلماً فضياً من جيبه: "لا بأس بالحبر. يمكنك استخدام قلمي. والآن، وقع هنا من فضلك... وهنا... وعلى النسخة الوردية... وعلى نسخة الكمبيوتر. حسنا!"

ثم اختفى القلم والعقد، وصافح زوريك هيلوين بابتسامة عامرة بالدفء والاخلاص. ووثبت الهرة الى المنضدة وبدأت تخرخر. ثم أعلن زوريك: ما عليك سوى العدّ الى عشرة."

فبدأ هيلوين وقد قرر ألا يضيع ثانية أخرى من سنواته الأربع: "واحد..." فجأة بات يرى الاشياء كأنما عبر قطع من الزجاج الملون. لم يراوده أي ذعر، اذ كانت التجربة مسلية تماماً. وبدت له أسنان زوريك دائرة بيضاء مسنّنة. وتابع: "اثنان..." بدأت القطع الزجاجية الدوران، فاستسلم هيلوين لدوار لطيف بهيج. وتأمل مفكراً: "ما ضرورة كل ذلك؟" لكن النعاس غلبه، وهمس: "ثلاثة..." ثم لفه ظلام دافىء.

أيقظته فجأة أصوات متفرقة، ووجد نفسه ممدداً على ظهره عاجزاً عن رؤية أي شيء سوى بقع من الألوان لا معنى لها. وخالجه شعور غامض بأنه في الهواء الطلق.

وعلى حين غرّة، رأى شكلا بيضويا زهري اللون غامض المعالم يهبط فوق رأسه. طرفت عيناه إذ اقترب الشكل من أنظاره. ثم اتضح له أنه وجه ذو عينين زرقاوين ذابلتين وأنف دقيق وفم كبير مطلي بأحمر الشفاه تعلوه ابتسامة رقيقة. وسمع صوتاً ملاطفاً: "أوتشي بوتشي دا دا دا."

تغضّنت قسماته الصغيرة وراح يرفس الهواء بقدميه الصغيرتين غاضبا خائبا، ورمى خشخيشته الخضراء البراقة خارج العربة. وبدأ الصراخ.

بوب شو ■

الكاتب مؤلف اكثر من عشرين رواية من الخيال العلمي.

حَسَن ان تجهَّز السيارة بجهاز كمبيوتر. لكنه لن يضاهي ابدا سائقا يجلس في المقعد الخلفي.

ك.س.

قال جون برفق: "لا مال لدينا."
وأسرَّ طوني في نفسه بمرارة: "فعلا. لا مال ولا هدايا ولا شجرة عيد ولا عشاء للمناسبة." ونقر باصبعه مفتاح التلفاز القديم الذي يبث الصور بالاسود والابيض. وشاهد لدقائق معدودات عرضا خاصا بالعيد، راسما في خياله صورة العائلة مجتمعة. استرق النظر الى جون وقال له: "ما همَّنا؟ أتدري مغزى العيد كما أراه؟" وعانق توأمه بحرارة وتابع: "مغزاه أن نبقى معاً مهما حدث."

كفاح توأمين

أضاعتهما أمهما وهجرهما أبوهما فأقسما على البقاء معاً ومتابعة دراستهما وتحقيق طموحاتهما

تغلغل نور الصباح في المقطورة الضيقة. جون غوميز مكب على دروسه الى طاولة المطبخ، وتوأمه المثيل طوني أضناه عمل الامس فتمدد على مقعد باسطاً ذراعيه وقدميه. فجأة ضج موقف المقطورات بالموسيقى وصياح الاولاد.

تذكر طوني المناسبة فقال لجون: "ميلاداً سعيداً." لكن جون هز كتفيه غير مبال. صاح به طوني: "هيا، يجب أن نحتفل بالعيد."

أن نبقى معاً! هذا سر جون وطوني غوميز وطريقتهما في البقاء والاستمرار. انهما في الرابعة عشرة من العمر، وفي هذه السن ينغمس الفتيان في الرياضة واللهو وملاحقة الفتيات، أما هذان التوأمان فيناضلان من أجل دفع الايجار وشراء الطعام والترقي في المدرسة، مبقيين على سرهما الرائع مكنوناً وبعيداً عن دنيا الراشدين.

في سبتمبر (أيلول) ١٩٨٣ عزم والد التوأمين، وهو عامل صيانة جوّال، وزوجته الجديدة على العودة الى مسقط رأسه في المكسيك. وكان الولدان لم يلتقيا أمهما الحقيقية منذ طلاق أبويهما عام ١٩٨٩.

واذ علما بمخطط أبيهما تبادلا النظرات غير مصدقين. أن يغادرا

الولايات المتحدة؟ وامانيهما والاحلام؟ تكلما معاً كالعادة، يكمل واحدهما عبارة الآخر: "لا، لا نريد ان نرحل. نريد أن ننهي دراستنا هاهنا."

أخذ بدرو غوميز يذرع الغرفة. فابناه المولودان في توسون بولاية أريزونا مواطنان أمريكيان. وهو على علم باستقلاليتهما، اذ انهما عقب رحيل أمهما مع البنات الأربع كانا يتدبران معاشهما، فيطهوان ويغسلان ثيابهما.

أخبرهما الاب: "شأنكما وما اخترتما." وحذرهما من التورط في المشاكل، ومن أنهما اذا عثرت عليهما السلطات وتبين أنهما يعيلان أنفسهما فسيوضعان تحت وصاية غرباء وقد يفرق بينهما. دفع الأب ايجار البيت لعدة أشهر مقدماً، وأعطى ولديه رقم هاتف في المكسيك ثم حمَّل أمتعته ورحل.

مستقبل نسج الخيال. تعاهد جون وطوني على البقاء معاً وإبقاء حالهما سراً محجوباً. وسرعان ما استنبطا صيغة للعيش يوماً فيوماً: أن يبتعدا عن المتاعب، وأن يخلص واحدهما للآخر مهما جرى، وألا يهجر أحدهما الآخر. وسميا ما رسماه "منظومة" خاصة لا يتدخل فيها انسان.

وكان من دأبهما أن ينهضا في السادسة والنصف صبيحة كل يوم فيستحمان ثم يرتديان ملابسهما. ووضعا جدولا بيتيا يحدد مواعيد تصريف شؤونهما، فيغسلان الثياب أيام الآحاد، ويشذبان الرقعة الصغيرة المعشبة حول المقطورة، ويتأكدان من نظافة الداخل.

وكانت طباعهما متباينة. فطوني اجتماعي نزاع الى اللهو، فيما جون أكثر جدية. بيد أنهما كانا يتنافسان في كل أمر. فاذا أهمل أحدهما واجباته أو نال علامة منخفضة في المدرسة، ذكره بها الآخر على الدوام.

وجريا في المدرسة وفي أماكن أخرى على الممازحة، فيدفع الواحد الآخر الى مرشات الماء او الى التحرش بالفتيات. وكانا جِبيَّن لا يجرؤان على التحدث الى البنات. وكان طوني يقول لجون: "يا لبشاعتك!" مبدلا ملامحه وهو يرقص حول أخيه. فيقهقه جون ويصيح: "آه، ليتك ترى توأمي، فهو أبشع مني."

بعد الانصراف من المدرسة يهرع جون الى البيت لمشاهدة برامج التلفاز، فيما ينام طوني قليلا قبل ذهابه الى العمل. وهما عملا في مخبز قريب، وكانا يتقاضيان أجرهما نقداً ومن دون ايصالات، اذ انهما لم يبلغا بعد السن القانونية للعمل. وكان الطعام غالباً وجبات سريعة وما تبقى من خبز في المخبز.

وكانا يستغرقان في تخيل المستقبل بعد الفراغ من العمل أو خلال أوقات الفراغ النادرة. فيقول طوني: "أود أن ألتحق بسلاح البحرية وأجوب الدنيا." أما جون فطموحاته أكثر تخصصاً: "أنا أود أن أصبح مهندس الكترونيات وأتزوج وأقتني سيارة." لكن هدفهما الأقرب أن يتما دراستهما.

المال شغلهما الشاغل. كانا يدفعان ١٦٥ دولاراً في الشهر للعامل في موقف المقطورات. وأرهقت كاهلهما فواتير أخرى كان دخلهما لا يكفي لتغطيتها.

وبغية كسب دخل اضافي، قام طوني بخدمات متنوعة لأصدقائه، فيما أعان جون رفاق صفه في فروضهم المنزلية. واستعملا في تنقلاتهما دراجتين صنعاهما من قطع مستعملة.

وكانا يستوحشان أيام العطل، ويوم الرابع من ديسمبر (كانون الأول) ذكرى ميلادهما. ثم يتحدثان عن أيام الهناء حين كان شمل الاسرة ملتئما: الأم والاب والاخوات.

لعبة خطرة. كثيراً ما سئل التوأمان عن والديهما، فكانا يجيبان: "أبونا مسافر في عمل." وعندما ضعفت حجتهما هذه صارا يزعمان أن والديهما في اجازة أو أنهما يزوران بعض الاقرباء. ولم يجازفا مرة بائتمان أحد على سرهما.

وكان رجل في موقف المقطورات يدخن الماريوانا ويعرضها على الصبيين أحيانا. وذات يوم أخذ منهما الفضول كل مأخذ، فنشق كل منهما المخدر. وبعد دقائق رمق كل منهما الآخر مسراً في ذاته: "هذا لا يجعلني أفضل حالا."

وفي ما بعد، لدى مقارنة مدوناتهما عن تلك التجربة، أدركا أن الرجل اذ "يحلّق" عند تعاطيه المخدر ينقلب شخصا آخر مختلفا، إنسانا في حال لا يودان أن يصيرا اليها. وخلصا الى النتيجة الآتية: كل من يعرض علينا مخدراً يسعى الى إيقاع الفوضى في منظومة حياتنا.

استيقظا ذات صباح فألفيا دراجتيهما مسروقتين. وألقى كل منهما اللوم على الآخر لعدم تثبيتهما بقفليهما. واستعر الجدل بينهما تلك الليلة فغدا شجارا صاخبا. واستدعى جار لهما الشرطة. وما لبث أن قرع بابهما شرطيان، وسألهما أحدهما: "هل والدكما هنا؟"

أجاب طوني متلعثما. "لا."

تأمل الشرطي الولدين المذعورين ثم قال: "لقد ظن جاركما أن أمراً فظيعا يحدث."

قال طوني: "كنا نلعب بخشونة."

أجال الشرطيان نظرهما في المقطورة، فرأيا أثاثها متناثراً من العراك. فقال أحدهما ضاحكاً: "لعبكما بالغ الخشونة. إلعبا، لكن اخفضا الضوضاء. واضح؟"

بعد مغادرة الشرطيين أدرك التوأمان أنهما كانا على وشك تدمير كل ما تعبا من أجله.

إفشاء السر. في السن السادسة عشرة عمل التوأمان في مطعم للوجبات الجاهزة اسمه "دل تاكو." وأخذت المديرة آن كيغ عنهما انطباعا حسناً منذ اللقاء الاول. كانا طلقي المحيا ومتلهفين للعمل ويمكن الاتكال عليهما. وقد عملا خمسة أيام أو ستة أسبوعيا، من الخامسة بعد الظهر الى ما بعد منتصف الليل. وسرعان ما عهدت اليهما المديرة في اقفال أبواب المطعم.

ومع الوقت لاحظت كيغ أن الفتيين يجلسان معاً أمام المطعم وقت استراحة العشاء وهما يتحدثان أو يدرسان. وسألتهما بعد حين: "ألن تتعشيا الليلة؟" فأجابها طوني: "ليس لدينا مال كاف."

أدركت كيغ أن عزة النفس تحول دون طلبهما الطعام مجاناً، وأن استقامتهما تمنعهما من سرقة الطعام من المطبخ. فقالت لهما: "أخبراني ماذا تحبان أن تأكلا، وسيكون لكما ما تريدان."

وتبين لها لاحقاً أنهما يسيران مسافة خمسة كيلومترات من العمل واليه. وأن أيا منهما لا يعزم على أمر إلا بمشورة أخيه.

وذات ليلة أوصلت كيغ طوني الى بيته في سيارتها. كان شهر يونيو (حزيران) على الأبواب، فطلب منها طوني أن تسمح له بالعمل ساعات أكثر في الصيف.

سألته: "ألا تريدان عطلة تستمتعان فيها؟"

أجاب طوني: "لا، علينا أن نعمل."

فجأة أحس طوني ثقل السنين التي أبقى فيها السر مكتوما. وجاهد لحظة ممانعا، ثم أفشى ما في الحشا: "أبي بعيد عنا ويعيش في المكسيك."

صدمت كيغ لانكشاف الأمر. ولما أفضى طوني بما في نفسه أخذها الاعجاب بشجاعة التوأمين وكدحهما. فسمحت لهما بأن يعملا الساعات الاضافية التي يودان. وقررت ألا تخطر مصلحة الانعاش الاجتماعي بحالهما. وهي صرحت في ما بعد: "طالما وقعت عيناي على أولاد في بيوت أهاليهم وينبغي إشعار السلطات بأحوالهم. لكن هذين الولدين يستأهلان أن يبقيا معاً."

كآبة غامرة. في المدرسة الثانوية التحق التوأمان بخليّة للبحرية وبناد للخدمات الاجتماعية. ولطالما سهرا بعد انتهائهما من العمل يدرسان حتى الثالثة فجراً. وعلى الانهاك المستمر أحرزا علامات مدرسية فوق المتوسط.

وكلما رأيا الاولاد الاخرين يساندهم آباؤهم شعرا بالوحدة. وجربا رقم الهاتف في المكسيك الذي أعطاهما اياه والدهما، فما من مجيب. وكانت والدتهما أضاعتهما منذ سنين اذ ان والدهما دأب على نقلهما من مكان الى آخر بعد الطلاق.

لم يعلم التوأمان ان أمهما سوكورو مونتانيز تسكن في تشينو التي لا تبعد عنهما أكثر من ٤٠ دقيقة في السيارة، وأنها تبحث عنهما باصرار. وقد أخبرها أحد الاقارب أنهما انخرطا في سلاح البحرية فأمضت أشهراً تحاول تحديد مكانهما من دون طائل. وقال لها آخر ان الولدين مع أبيهما وزوجته في نيكاراغوا. فقطعت الأم عهداً أمام بناتها: "سأعثر عليهما يوماً."

واذ استهل طوني وجون سنتهما المدرسية الأخيرة بدا لهما ان سنوات العمل الشاق وثبات العزم أخذت تؤتي ثمارها وأنهما سيتخرجان في المدرسة. ولكن في أكتوبر (تشرين الاول) ١٩٨٧ بدأت الرتابة المرهقة تحدث أثراً ظاهراً

في طوني. فانتابه في أعماقه شعور بالوحشة والامتعاض. أين أمه؟ بل أين أبوه عند حاجته اليه؟ وانزلق الى حال من الكآبة وانقطع عن حضور الصفوف. ولم يفلح أخوه في حفزه على المتابعة. وبات التوأمان ينقطعان أياماً عن التحادث. وتخلّف طوني عن المدرسة فصلا دراسيا كاملا.

وصبيحة يوم من يناير (كانون الثاني) ١٩٨٨ استيقظ طوني ونظر الى وجهه في المرآة. ذعر للتعبير المستاء الشكاك المرتسم على قسماته، وأسرّ في نفسه: "مهلا، مهلا، أنا لست هكذا."

قصد طوني مدرسة أخرى تقدم دروسا تتيح له إدراك ما فاته. وشككت المديرة في قدرته على اتمام سنة دراسية في فصل واحد. لكنها وافقت على منحه فرصة للمحاولة. فبات طوني يصل الى المدرسة باكراً ويبقى فيها الى ما بعد الرابعة والنصف عصراً، ويتعقب الأساتذة لمزيد من الدروس. وشجع جون أخاه ممثلا دور الأب الفخور.

مكالمة غير منتظرة. بلغ التوأمان الثامنة عشرة ولم يعودا يخشيان افتضاح أمرهما. وإذ لاحت لطوني فرصة زيادة تحصيله العلمي بكتابة قصة، ألف قصته بعنوان "الاستقلال" واصفا فيها حياته وأخيه. ونشرت القصة في صحيفة المدرسة.

وتسلم طوني شهادته الثانوية في حفلة التخرج، فيما أخوه جون وسط الجموع يلتقط الصور معتزاً وينتظر أخاه لتهنئته.

بعد ذلك بوقت وجيز، قبل يوم واحد من تخرج جون في مدرسته، تلقى التوأمان مكالمة هاتفية من احدى أخواتهما التي تمكنت من تحديد مكان اقامتهما. وهي أعطتهما رقم هاتف أمهما.

تساءل جون: "أتراها تذكرني بعد السنين العشر الماضيات؟" أدار قرص الهاتف بأصابع مرتعشة، فأتاه صوت امرأة.

سألها: "أتعرفين من المتكلم؟"

قالت سوكورو مونتانيز: "الصوت أليف..."

قال: "أنا ابنك جون."

جلست الأم مصعوقة مربوطة اللسان.

سألها جون: "هل تحضرين حفلة تخرجي غداً يا أماه؟"

في اليوم التالي كانت الأم والتوأمان والاخوات في عناق وبكاء. وفي حفلة التخرج مشى جون على المنصة مزهوا، فبين المتفرجين أسرة مبتهجة اجتمع شملها.

ويتابع جون دراسته في كلية لادارة الاعمال، لنيل شهادة في تقنيات الاعمال، وهو يعمل الى جانب دراسته في احدى الصحف بدوام جزئي. أما طوني فقد تزوج وتخرج في معهد للكومبيوتر، ويعكف حالياً على دراسة هندسة الديزل في سلاح البحرية.

وما زال التوأمان يتذكران عهدهما: "لن نستسلم مهما حدث."

راندي فتزجيرالد ■

دعي طفلك ينمو مع سيريلاك



سيريلاك

الطعام الأول لطفلك بالملعق

عندما يبلغ طفلك شهره الرابع
لا يعود الحليب وحده يكفيه .
عليك بوجبة من سيريلاك
سيريلاك متوفر بعدة أنواع تلائم مذا
طفلك . سيريلاك يحتوي على العناص
الغذائية الأساسية التي تؤمن
لطفلك نموا متناسق
وسليما .

Nestlé

تضمنه
نستله

الذوق الأيطالي يطبع العصر

خلال العقود الثلاثة المنصرمة وطّد التصميم الايطالي منزلته فبات الافضل في العالم. لنتأمل الحقائق الآتية:

□ تساهم التصاميم الايطالية في بيع بضائع بقيمة ١٢٠ مليار لير ايطالي سنويا. ويلاحظ عالم الاقتصاد الشهير جون كينيث غالبريت من جامعة هارفرد أن التصميم الايطالي البديع أنعم على ايطاليا بأحد أعلى معدلات النمو في أوروبا منذ الحرب العالمية الثانية.

□ صمم الايطاليون ست سيارات من أصل العشر الاكثر مبيعا في اوروبا.

□ تعرض ايطاليا منتجات أكثر من أي بلد آخر في مجموعة التصاميم التي يضمها متحف الفن العصري الشهير في نيويورك.

لا مثيل للعبقرية الابداعية والتذوق الجمالي اللذين يتسم بهما مصممو الصناعة الايطاليون



أهذا مبنى مستقبلي لسيناريو فيلم علمي - خيالي؟ كلا، انها الآلة الكاتبة «ET 55P» التي صممها ماريو بيليني لشركة "أوليفيتي".

التصميم، في نظر كثيرين، يعني الاثاث والمصابيح الرائدة التي تباع بأسعار فاحشة. قليلون يتوقفون ليفكروا في أن التصميم هو قلب العمل الصناعي، بدءاً بالفكرة الاولية المبدعة وانتهاء بعملية التوضيب. ويحدد التصميم الصناعي العصري غالباً طريقة عمل السلعة وتركيبتها، لكن وظيفته الرئيسية تبقى ابراز نوعية السلعة وأصالتها عبر شكلها الخارجي. فالتصميم البديع يقرر أحياناً امكان بيع السلعة أو بقائها على الرفّ.

ويرى سيرجيو بيننفارينا رئيس الاتحاد الايطالي للصناعات وأحد مصممي السيارات البارزين، أن "التقدم التكنولوجي يجعل المنتجات الصناعية تزداد تشابهاً، سعراً وفاعلية. ولا فوارق كثيرة اليوم بين سيارتين أوروبيتين من فئة واحدة في السوق، مجهزتين بمحركين متعادلي القوة. انما الفارق هو في حسن التصميم."

وفيما يتضامن أصحاب المصانع يرجح أن يستمر الاتجاه نحو توحيد المقاييس الهندسية. فشركات "بيجو" و"رينو" و"فولفو" أنتجت سيارات متنافسة مجهزة بالمحرك ذاته، في حين زودت أربع سيارات – "لانسيا ثيما" و"فيات كروما" و"صاب ٩٠٠٠" و"ألفا روميو ١٦٤" – الهيكل التحتي ذاته وفيها كثير من الاجزاء الميكانيكية المشتركة. لكن كل واحدة منها تبدو مختلفة تماماً عن الاخريات.

أهل الفن. بدأ التصميم الصناعي العصري في العشرينات مع حركة "بوهاوس" الالمانية التي سعت الى دمج الوظيفة والجمال في هندسة العمارة والاثاث والسلع. وفي الخمسينات سيطر الاسكندينافيون على الميدان بتصميم هندسي تضمّن استخدام الزجاج والخشب والصفائح.

أما جذور التصميم الايطالي فثقافية وتاريخية. فحماسة الذوق لدى الايطاليين شحذت بطبيعة عيشهم في بلاد غنية بكنوز العالم الفنية. وكان للشركات الايطالية الجبارة، مثل "أوليفتي" و"نيتشتشي"، والصناعات العائلية الصغيرة دور أساسي أيضاً. يقول كارا ماكارثي القيِّم المساعد على مجموعة التصاميم في متحف الفن العصري: "ان الشركات الصغيرة، والمتوسطة خصوصا، شجّعت الاستخدام الاختباري للتكنولوجيا والمواد الجديدة، وكانت منفتحة على التجربة الجمالية الجديدة والألوان والاشكال."

من هذه شركة "بريونفيغا" للالكترونيات في ميلانو التي أسسها الزوجان جوسيبي ورينا بريون عام ١٩٤٨. وقد استخدم الزوجان مصممين بارزين أمثال فرنكو ألبيني وأشيل كاستيليوني وماركو زانوسو وايتوري سوتساس وماريو بيليني، فأنتجوا لهما سلسلة من أجهزة الراديو والتلفاز منها تسعة في مجموعة متحف الفن العصري، وهذا رقم قياسي لاي شركة الكترونيات.

واليوم هناك قائمة انتظار طويلة لجهاز التلفاز "أوبرا ٣٣" الذي صممه بيليني عام ١٩٨٧ ويباع بأربعة ملايين لير (٣٥٠٠ دولار). انه تحفة فنية يكفي النظر اليها من دون عرض مصور.

ويبرز في بعض الاحيان فارق دقيق بين التصميم الاصلي والهندسة الابتكارية. فشركة "بريونفيغا" تسعى دائماً الى انجازات تكنولوجية محسّنة. وفي الستينات كانت الشركة الأوروبية الاولى التي تسوّق جهاز تلفاز مزوداً نظام ترانزستور.

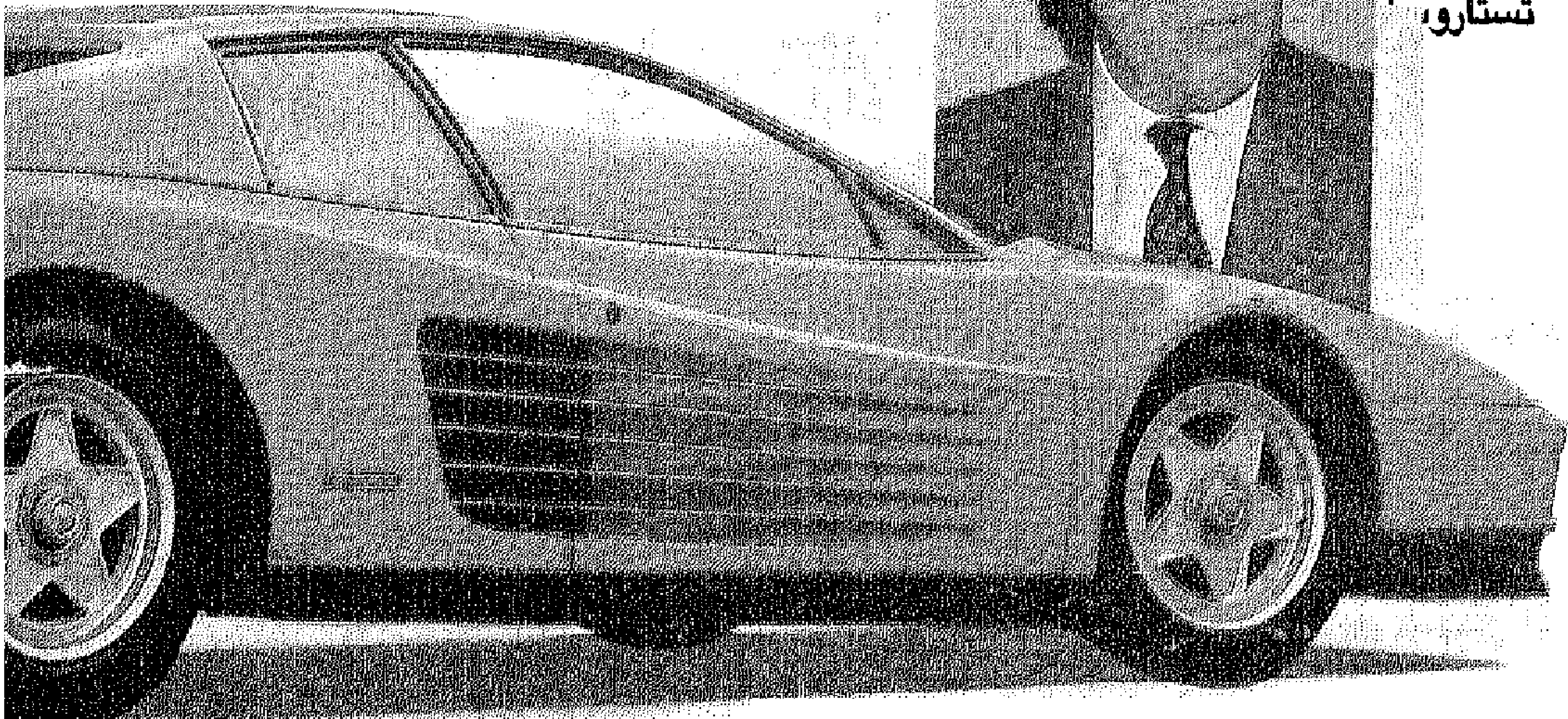
وقد أراني ماريو بيليني جهاز هاتف دقيقاً كرقاقة صنعه لشركة "نيبون" اليابانية للبرق والهاتف مستخدماً التكنولوجيا الالكترونية.

أصحاب نفوذ. حين زرت ماركو دل كورنو الذي يرئس "ديزاين غروب ايطاليا" في ميلانو، وجدته مكبّاً على انجاز مشروع لاحدى شركات التلفزة. قال: "نحن عاكفون على تصميم ١٢ جهازاً مختلفاً وايجاد طريقة لصنع الاجهزة المختلفة بعدد أقل من العمليات. فالتصميم، الى تجسيده الابتكار والبراعة والجمال، يجب أن يكون مقبولاً عملياً كمشروع صناعي."

شركة "جاكوزي" لأحواض الاستحمام المدوّمة، قصدت دل كورنو كي يصمم لها مجموعة جديدة من أحواض الاستحمام. وهو الذي أعاد رسم المقصّ الثوري "سنيبس" لشركة "تولين" النيوزيلندية فبات استخدامه مريحاً أكثر وأيسر على الناس العسر. وحين قابلته في يناير (كانون الثاني) ١٩٨٩ كان هو وشركته منحا جائزة التصميم الصناعي الفرنسية "جانو" لتصميمه مرشّة زراعية، وقد ازدادت مبيعات شركة "تكنوما" ٥٠ في المئة



سيرجيو بينئفارينا وسيارة الأسطورية "فيرار تستارو..."



CAR: ARCHIVIO DESIGN OLIVETTI PORTRAIT: C. CERCHIOLI / GRAZIA NERI

اشتهر دل كورنو بتصميمه قلم "تراتو" الانيق ذا الريشة الليفية الاصطناعية، وهو أسطوانة بلاستيكية رشيقة ذات طرفين مستديرين، وقد صنع منهَ عشرات الملايين وميزة "تراتو" ليست فقط أنه رخيص الثمن وعملي وحسن المظهر، بل أنه مصنوع آليا بكامله. ومن ميزات تصميمه امكان تجميعه ميكانيكيا من دون تدخل بشري.

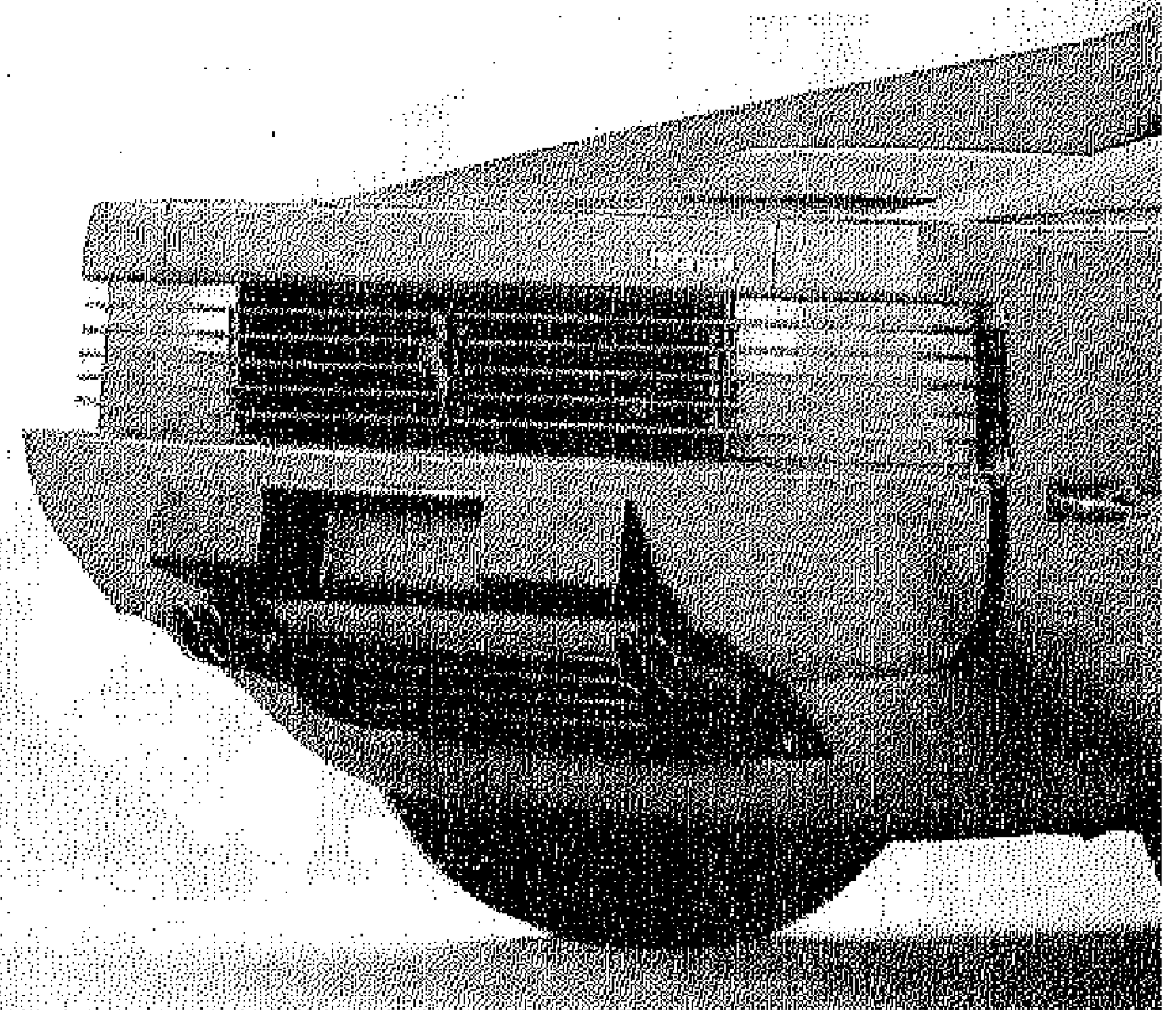
ويتمتع المصممون الصناعيون بتأثير هائل، اذ بشحطة قلم يغيرون مظهر الاشياء اليومية ويعدلون نظرتنا اليها. ويقيم في ميلانو رجل اسمه رودولفو بونيتو مختص بتصميم داخلية السيارات وخصوصا ألواح أجهزة القياس. لكنه هو أيضا الرجل الذي حوَّل كل معدات تكبير الصوت "هاي - فاي" الى اللون الاسود. ففي العام ١٩٧٤ طلبت شركة "فوكسون" الايطالية من بونيتو تصميم مجموعة "هاي - فاي" جديدة باستخدام أجزاء متوافرة أصلا. في ذلك الوقت كانت الاجهزة السمعية مصنوعة



مصباح "اركو"، ومخترعه اشيل كاستيليوني يعرض لوازم المائدة التي صمّمها لشركة "اليسي."

من الخشب أو المعدن المصقول. وتعين على بونيتو استخدام معايير قوة سوداء اللون، فبدا مظهرها غير لائق... الى أن غلّف مكبر الصوت كله ببلاستيك أسود غير برّاق. وهكذا حُلّت مشكلة المظهر الجمالي الذي أضفى على الجهاز السمعي سمتي الاهمية والثقة. ويقول بونيتو مازحا: "الان أصبح في امكانكم اقتناء جهاز بأي لون تشاؤون... ما دام أسود."

عملاقة السيارات. هل تودون رؤية نموذج أولي لطاولة أو مصباح أو تلفاز أو كمبيوتر؟ اقصدوا ميلانو حيث يقيم معظم



المصممين الصناعيين الاول في العالم. أما تورينو فهي مقر تصميم السيارات، وتحديداً استوديو جورجيتو جوجيارو (٥٢ عاماً) الذي يصنع تصاميم للسيارات منذ كان حدثاً. وتدين سيارات "فولكسفاغن غولف" و"فيات أونو" و"فيات باندا" بمظهرها الى شركة جوجيارو "ايطالديزاين" التي أسسها عام ١٩٦٨. وحين عزمت شركة "رينو" الفرنسية على توظيف ١٢٠٠ مليار لير (نحو مليار دولار) لانتاج سيارة تنافس "فولكسفاغن غولف" و"فيات تيبو" و"أوبل كاديت"، طلبت من جوجيارو وضع تصميم لشكلها. وحين أُنزلت "رينو ١٩" الى السوق في يونيو (حزيران) ١٩٨٨ شهدت نجاحاً خاطفاً.

كيف يصمم جوجيارو وكيف يعمل؟ قصدته في مقر شركة "ايطالديزاين" في ضاحية المدينة. كانت قاعة الاستقبال مزدانة بنماذج سيارات جوجيارو. لكن منطقة العمل محظرة على الزوار. وتدابير الحماية في مقر "ايطالديزاين" صارمة جداً لان ما من صانع سيارات الا ويرغب في الاطلاع على ما يخبئه جورجيتو جوجيارو من ابتكارات.

قال لي جوجيارو: "يبدأ تصميم السيارة بتحليل دقيق جداً. نسأل أنفسنا: من سينتج هذه السيارة؟ أين ستستخدم؟ وكيف؟ من سيقودها؟ ونبحث في الطرق الفضلى لخفض تكاليف الانتاج. ويأتي الشكل النهائي للسيارة نتيجة هذا التحليل."

والميزة التي تتفوق بها "ايطالديزاين" هي قدرتها على توفير كل الخبرات المطلوبة لانتاج نموذج ما، من دراسات الجوانب العملية والملاءمة الى هندسة بدن السيارة وهيكلها وطريقة تجميعها ونطاق ألوانها. وتضم الشركة ٣٣٠ موظفاً وقد بلغ ربحها الاجمالي عام ١٩٨٨ نحو ٦٠ مليار لير (٥١ مليون دولار). وهي ابتكرت ٧٤ نموذجاً أنتج منها ٣٦. وكل مصانع السيارات الرئيسية في أوروبا واليابان وكوريا الجنوبية والولايات المتحدة هي من زبائنها.

ولا يقتصر نشاط جوجيارو على



ماتيو تون وحديقة حيوان خزفية.

PHOTO: MATTEO THUN

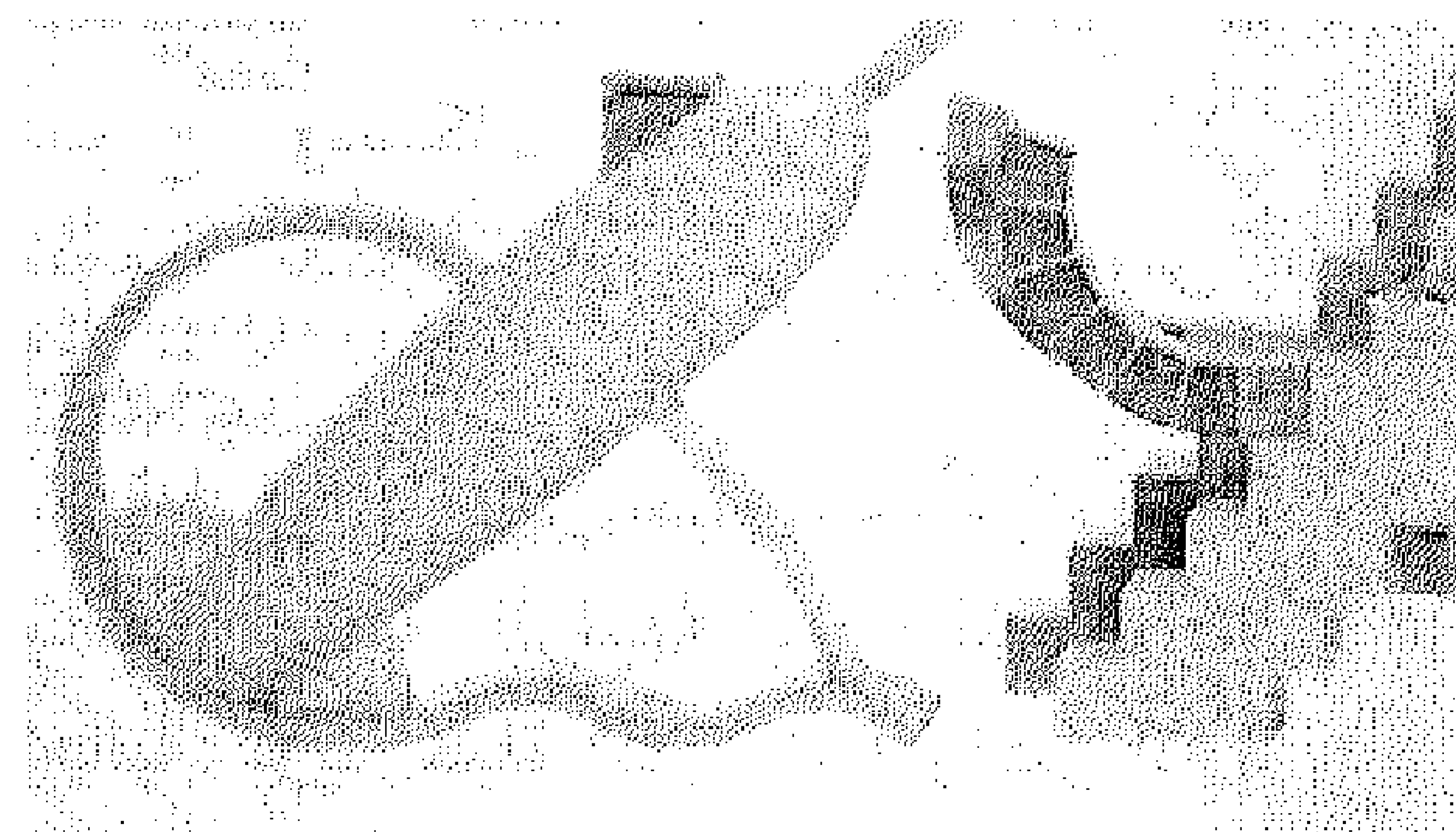
السيارات، بل هو
يقبل تحديات التصميم
في أي حقل. وكان في العام ١٩٧٤ أسس شركة "جوجيارو ديزاين" وهي فرع من "ايطالديزاين" يختص بالتصميم الصناعي. فباتت الآن مؤسسة مستقلة مهمتها "ملء الفراغ والهدوء الحاصلين بين طلب تصميم سيارة وطلب أخرى." وفيها صممت آلات تصوير "نيكون" وساعات "سايكو" وماكينات الخياطة "نيكتشي" وحتى نوع جديد من المعكرونة (باستا) لشركة "فويلو."

حتى المعكرونة (باستا) تظهر مع اصناف المنتجات الكثيرة التي صممها ورجيتو جوجيارو.



سعي الى الجمال. اذا كان جوجيارو يصنع أكثر السيارات مبيعاً فان سيرجيو بيننفارينا (٦٤ عاماً) يصنع أجمل السيارات. وقد نمت شركة عائلته التي أسسها والده باتيستا عام ١٩٣٠ في تورينو، وغدت مجموعة صناعية جبارة تضم ١٩٠٠ عامل وبلغ ربحها الاجمالي عام ١٩٨٩ نحو ٣٧٢ مليار لير. يقول بيننفارينا: "السعي الى الجمال والشخصية الجمالية يجب أن يكون هدف المصمم الرئيسي." وتبدو أفضل تصاميمه كأنها سرمدية فعلاً، فمظهر "فيراري ديتونا" عصري حالياً كما كان يوم اطلاقها عام ١٩٦٨.

ولا يقتصر عمل الشركة على وضع التصاميم، بل انها تصنع سيارات وهياكل جاهزة في مصانعها في غروغلياسكو احدى ضواحي تورينو وفي سان جورجيو كانافيسي. وقد صنع منها ٢٠ ألفاً العام ١٩٨٨. وتصمم شركة بيننفارينا نماذج سيارات عملية مثل "بيجو ٢٠٥"، لكنها مشهورة بصنع نخبة السيارات مثل "ألفا روميو ١٦٤" و"فيراري تستاروسا"



PORTRAIT: ITALDESIGN PASTA: GIUGIARO DESIGN

و"فيراري ف ٤٠" و"فيراري ٣٤٨" و"بنتلي كونتيننتال" و"رولـز رويس كامارغ." وأسندت "جنرال موتورز" الى بيننفارينا صنع سيارة "كاديلاك ألانتي" الفخمة التي ينتج نصفها في الولايات المتحدة والنصف الآخر في ايطاليا. ووضعت شركته تصاميم القاطـرات والمقطورات في قطار «ETR 500» السريع الذي تسيره مصلحة السكك الحديد الايطالية، كما صممت احدى أحدث العربات المعلقة (تلفريك) التي احتفل بتدشينها في أكتوبر (تشرين الاول) ١٩٨٨ على قمة غران ساسو في جبال الابنين.

نفحة عصرية. صناعة السيارات والصناعات الهندسية هي كبرى حقول التصدير في ايطاليا. لكن التصميم ساعد أيضا على جعل صناعة الاثاث الايطالية أحد المصادر الرئيسية للعملات الصعبة في البلاد، وبلغت قيمة صادرات الاثاث عام ١٩٨٨ نحو ٨٠٠٠ مليار لير (٧ ملايين دولار). وبات بعض المبتكرات الايطالية يعتبر روائع فنية، مثل مصباح "آركو" الذي صممه آشيل كاستيليوني وكرسي "كاب" الذي صممه ماريو بيليني.

بيليني اليوم في الخامسة والخمسين. وهو تعاطى جميع نواحي التصميم، من البناء الى الآلات المكتبية ومن الاثاث الى أدوات المائدة، خلال حياة عملية امتدت ٣٠ سنة. الا أنه اشتهر بتصميمه آلات كاتبة ومكتبية لشركة "أوليفيتي."

داخل استوديو بيليني في ميلانو تكلمنا على التحديات التي تواجـه التصميم المعـاصر. فـالالكتـرونيـات والنمنمة منحت المصممين حرية ابداعية هائلة لأنهم تحرروا من التقيد بأنظمة ميكانيكية جامدة. و"لكن،" يقول بيليني، "يجب استخدام تلك الحرية بحكمة، فلا معنى في جعل مفاتيح الآلات الحاسبة صالحة فقط لاصابع طفل ابن سنتين. وتصميم الأثاث معقد في هذه الايام. فالكرسي ومسكة الفنجان لهما تاريخ يعود الى خمسة آلاف سنة خلت. فهناك مجال صغير جدا للتحسين."

بيليني حرفيّ ماهر. فهو، كالنحات، يبدأ بصنع أشكال جامدة ثلاثية الابعاد حتى يتحقق له ابراز التأثير الذي يريده. وما يريده "شيء نبيل سام. فهذه ليست مسألة تكنولوجيا أو أداء فحسب. الغاية الحقيقية هي الشكل والجمال وتعبير التصميم عن روح عصره، أي أن يكون عصريا."

والنفحة العصرية قد لا تجد نصيراً أفضل من ماتيو تون، وهو شاب وسيم في الثامنة والثلاثين نال أسلوبه الثوري استحسانا واسع النطاق وحقق له النجاح. ومسكات فناجين القهوة التي صممها تذكرنا بأذني "ميكي ماوس" الكبيرتين.

يقول تون: "نحن جيل اللمسة الرفيعة. وتأتي اللمسة الرفيعة بعد التكنولوجيا العالية. نريد حياة أكثر راحة وأكثر اثارة

تلامس الاحاسيس والقلب على السواء.» لذا يستخدم تون ألواناً وأشكالا وتركيبات غير متوقعة ليبرز مؤثرات حادة مرئية وملموسة. لكن في انطلاقات خياله الجامح صرامة ودقة بالغتين أيضاً، وهو عكف طوال ثلاث سنوات على تصميم كأس لشركة "كامباري" صُنع منها ٢٠٠ فقط تهديها الشركة في مناسبات خاصة.

لقد شادت الاجيال السابقة صروحا وقصوراً وأنصابا تذكارية. أما في عصرنا فنفضّل أن نترك بصماتنا على أشياء قصيرة الاجل. لكننا نسعى باستمرار الى تحسين نوعية الاشياء اليومية. ويقول فرنشيسكو برامبيلا الاستاذ الفخري لعلم الاحصاء في جامعة بوكوني بميلانو: "الآن، كما في القرن الخامس عشر، نجد أنفسنا فجأة في بحبوحة، ونشهد نهضة جديدة يزدهر فيها الفن والثقافة. واليوم نرى أن رعاة الفن العظيم ليسوا رجالات الدين والدنيا كما في الماضي، بل الصناعيون والمتعهدون. ففي أيامنا لم يعد تذوق الجمال وقفاً على القلة الثرية، فالتصميم المبدع الذي يغني حياتنا ويطبعها بالنبل والجمال هو في متناول كل منا.

كريستوفر ماثيوز ■



"زودة البيّاع"

فيما كنا نغسل نوافذ أحد المجمعات السكنية، عمد أحد الزملاء الى غسل نوافذ شقة لم يشملها الاتفاق. واذا بالمالك يهرع الينا هاتفاً: "انا لم أكلفكم غسل نوافذي، وأرجو ألا تقيدوا النفقة على حسابي."

فرد الزميل ببداهة: "لا بأس، هذا عمل نؤديه على حساب الشركة، فكلما كُلِّفنا تنظيف المجمع نعمد الى تنظيف شقة اضافية مجاناً، لكي نظهر لمالكها الفرق في مظهر شقته وما يفوته من فائدة ان هو ترك نوافذها قذرة."

فربحت الشركة بهذا الرد زبوناً جديداً وشعاراً ترويجياً بارعاً، ونال الزميل تقديراً وترقية.

ل.ا.

كانت أمي في صفك

في بداية السنة الجامعية تقدمت من أستاذ اللغة الانكليزية وعرّفته بنفسي قائلة ان التحاقي بصفّه كان بناء على توصية أمي. فعلَت الدهشة وجهه، ولم تفارقه حتى أخبرته أن أمي درست المادة في فصل الصيف الفائت.

فقال عندئذ: "الحمد لله، لم أظنني سأسمع عبارة "كانت أمي في صفك" قبل عشر سنين على الاقل."

ت.ا.

عيون جاحظة وأفواه فاغرة وصراخ لا ينقطع
في رحلة مثيرة قصيرة تكاد لا تنتهي

القطار الأفعواني: نطيرُ مثل فراشةٍ على سكّةٍ مجنونة

حين كنت في الثانية عشرة من عمري قصدت مدينة الملاهي المحلية لركوب القطار الافعواني[1] الخشبي الذي عتق وتقشر طلاؤه. حبست أنفاسي وحافظت على رباطة جأشي متظاهراً بالشجاعة فيما القطار يرتقي السكة الصاعدة الى القمة. ولكن عندما أشرف القطار من القمة وجدتني أحدق جاحظاً الى هاوية "المهبط الاول." وتقيأت فطوري الصباحي فوراً. ومضت أربعون سنة قبل أن أركبَ قطاراً أفعوانياً ثانية.

(١) Roller coaster

(الى اليسار) "أنشوطات" و"فتاحات سدادات" في "غودوريكس" في متنزد "أستريكس" خارج باريس (تحت) أفعوانية "الركوب وقوفاً" في متنزه "سمرلاند" بأسوج (السويد)

COURTESY OF SKARA SOMMARLAND



للوهلة الاولى لا تبدو "غودوريكس" سكة قطار أفعواني، وهي احدى نجوم الملاهي الجذّابة في متنزه أستريكس خارج باريس. وتنبسط "غودوريكس" في أرض الريف الفرنسي، وتتلوى قضبانها المصنوعة من أنابيب الصلب فتبدو أشبه برسم هائل منقوش على صفحة الطبيعة. لكن "غودوريكس" وحشية، وهي مثال عن ذروة الفن في بناء الأفعوانيات. فخلال ١٢٠ ثانية يندفع القطار بركابه في سرعة جنونية الى علو يعادل ارتفاع بناء من ١٣ طبقة، ثم يهبط بسرعة ٨٥ كيلومتراً في الساعة عبر سلسلة من المتاهات الأنشوطية واللولبية في أشكال فراشة وبومرنغ[٢] والرقم «8». فيدوّم بركابه صعوداً ونزولا سبع مرات ويعرّضهم (لفترة قصيرة والحمد لله) لأربعة أضعاف قوة الجاذبية، ثم يستقر بهم على الارض منهكين يلتقطون أنفاسهم – ولكن سالمين!

وتلك لعمري مغامرة رائعة. أعرف ذلك لأني امتطيت "غودوريكس" صيف ١٩٨٩ خلال موسمه الاول. هذه المرة حرصت على ارجاء تناول فطوري الى ما بعد المغامرة.

مهووسون! العالم مأخوذ بجو المرح والصخب الذي يسود أفعوانية الملاهي. فقد تضاعف عدد الافعوانيات في العالم الى أكثر من ٢٠٠ في السنين العشر المنصرمة. وكانت هذه الملهاة ظاهرة أمريكية محضا، واذا بها تنتشر بسرعة في أوروبا والشرق الاوسط وآسيا. وهناك تصاميم فنية جديدة تهدف الى اختبار حدود الاحتمال والاقتناع البشريين. ففي "عالم لوث" في سيول بكوريا الجنوبية يتقاطع جسر عبور للمشاة مع أنشوطة أفعوانية دائرتها ٣٦٠ درجة. هناك يستطيع المشاة مراقبة وجوه الركاب المرتعبين فيما تمر بهم العربات مندفعة بسرعة هائلة وركابها مقلوبون ورؤوسهم الى تحت. وفي متنزه "سمرلاند" في سكارا بأسوج (السويد) يُشدّ الركاب الى أحزمة محشوة من الصلب، ويهبطون ٢٥ متراً على نحو شبه عمودي وهم وقوف، الى أنشوطة تقلبهم "قلبة" كاملة. وفي "فانتازيالاند" جنوب كولونيا بألمانيا الغربية، بنَت الشركة الهولندية "فيكوما" أطول أفعوانية داخلية في العالم – جبّارة طولها ١٣٠٠ متر محشورة في بناء يرتفع ٢٢ متراً. وهي تستوعب ١٩٠٠ راكب في الساعة وتعمل في ظلام مريك شبه كامل.

تطورت الأفعوانيات كثيراً منذ نشأتها مزلجة في روسيا القيصرية في القرن السادس عشر. وفي أوائل القرن التاسع عشر طوَّر باريسيون من أصحاب المشاريع نسخة معدّلة من هذه المزلجة جهزت بعجلات تسير على سكة حديد، وحولوها ملهاة شعبية جذّابة سمّيت "الجبال الروسية." وفي العام ١٨٨٤ تمّ بناء أول أفعوانية عصرية خشبية في جزيرة كوني بنيويورك، وهي تتضمن عدة

(٢) البومرنغ خشبة ملوية يستخدمها الاوستراليون قذيفة، ومنها صنف يرتد الى صاحبه.

عربات تسيّر على خطوط كالسكك الحديد. وزالت الأفعوانيات الخشبية إبان فترة الركود الاقتصادي، واستعادت عزها لدى اختراع قضبان الصلب الأنبوبية وعجلات الـ"بوليوريثين."

فالعجلات الجديدة ثبتت العربات بالسكة فعلا، فأتاحت ركوباً أسلس وأهدأ ومناورات بارعة كانت تعتبر خطرة. وحسّن الالماني أنطون شفارتزكوف الانشوطة العمودية ذات الـ٣٦٠ درجة الى حد الكمال. وفي شركة "آرو" في الولايات المتحدة ابتكر رون تومر "فتّاحة السدادات" وهي أنشوطة تلولب الركاب جانبياً وهم مقلوبون. وتومر مهندس ميكانيكي عمل مع وكالة الفضاء الامريكية (ناسا) في برنامج "أبولو."

ومن المهووسين بالافعوانيات أفراد يركبونها من الفجر حتى الغسق. (حاملا الرقم القياسي العالمي هما دانيال غلادا ونورمان سان – بيار اللذان ركبا افعوانيات لمدة ٥٠٣ ساعات في مونريال بكندا. وللمتحمسين هؤلاء قوانينهم الخاصة بالركوب (الأيدي مرفوعة في الهواء والأقدام فوق الارضية). ولهم لغتهم الخاصة (الزاخرة بتعابير غنية مثل "المنطقة الميتة" و"الجاذبية السلبية"). ولهم ناديهم «ACE» اي "النادي الامريكي لهواة الافعوانيات."[٣]

متعة حقيقية. ولف تيماير "معلّم" في صنع الادوات المعدنية، وهو ممثل نادي «ACE» في ألمانيا الغربية وبلجيكا وسويسرا وهولندا. وهو لم يركب أفعوانية في حياته الى أن شاهد عرضاً تلفزيونياً عن أمريكي مهووس بالأفعوانيات، وانضم الى نادي «ACE» في العام ١٩٨١. وهو يعترف: "كنت مرتاعاً خلال تجربتي الاولى، أما الان فركوب الأفعوانيات هو شغلي الشاغل."

يجوب تيماير أوروبا مقوِّماً الأفعوانيات لنادي «ACE». وهو يقول: "الولع بالأفعوانيات هو صنو الادمان. فاذا ابتليت بها مرة فلا سبيل لك الى الامتناع عنها. فتنمو رغبتك في ركوبها وتسعى الى اختبار أفعوانيات أكبر وأسرع وأفضل. تعتقد زوجتي أني مجنون. وقد تكون على حق."

الأفعوانيات المفضّلة لدى تيماير هي "غراند ناشونال" الخشبية المجهزة بخطي سكة في "شاطىء بلاكبول للملاهي"[٤] ببريطانيا، و"ثريلر" التي تضم أربع أنشوطات كاملة من ٣٦٠ درجة وهي أحد ابتكارات شفارتزكوف المصممة خصوصاً للمعارض المتنقلة، اذ يمكن تفكيكها وشحنها، ويستغرق تركيبها ثلاثة ايام اذا عمل عليها ١٢ رجلا. لكن تيماير لم يختبر بعد "غودوريكس" ولا الركوب وقوفاً في أفعوانية "سكارا."

أندرو هاين رئيس تحرير نشرة "فرست دروب" المختصة بالأفعوانيات والتي تطبع في ميدلسكس ببريطانيا. وهو

---

(٣) American Coaster Enthusiasts

(٤) Blackpool Pleasure Beach

يقول ان الـ"أناكوندا" في متنزه "بيغ بانغ سمورف" في ميتز بفرنسا هي أروع الأفعوانيات الخشبية ذوات السكة الواحدة في القارة الاوروبية. ويضيف بحماسة: "يبلغ طول أول مهبط فيها ٣٣ متراً بانحدار ٦٥ درجة. ولدى وصول القطار الى أعلى التلة الثانية ينعطف حول لفّة وهو مائل على جانبه. وتلك لعمري متعة حقيقية."

تسيَّر كل القطارات الأفعوانية بقوة الجاذبية. يُقْطَر القطار بسلسلة متحركة الى قمة التلة ثم يُطلَق. وما هي الا بضع ثوان حتى يبلغ سرعة قصوى نموذجية هي ٨٠ كيلومتراً في الساعة. وهذا يحمِّل البناء الداعم ضغطا هائلا. وكانت الأفعوانيات الخشبية القديمة مدعومة بسناد خشبي يزيد ٦٠ في المئة على الدعم المطلوب. وكان عامل يراقب سرعة القطار وهو يضبط كابحاً يدويا. وبغية تجنب حدوث خطأ بشري، تُضبط الأفعوانيات العصرية المصنوعة من الصلب أو الخشب بواسطة أجهزة كمبيوتر تقتفي مسار كل قطار وتحرك "كوابح موازنة" متى تجاوزت السرعة أو قوى الجاذبية الحدود المعيَّنة. ويوقف الكمبيوتر الجهاز بكامله لدى أول مؤشر خطر. ويفحص معظم الأفعوانيات يوميا في سبيل كشف الأضرار والتخريب المتعمّد واجهاد الاجزاء المعدنيـة. وينصح الخبراء بتجنب الأفعوانيات التي تبدو صيانتها سيئة وسناداتها صدئة ودعامات مقاعدها مكسورة وطلاؤها متقشراً.

راكبون وراغبون. البراعة هي في بناء أفعوانية آمنة تماما ومروِّعة في آن. والافعوانية في نظر المهندسين مجرد وسيلة نقل، وهي لا تصبح "ثريلر" أو "غودوريكس" الا حين تلتف خطوطها كالامواج أو كالبسكويت المشبَّك لتوليد قوى الجاذبية الهائلة التي تحدث السرعة والارتعاشات المثيرة. لذا يتعين على المصممين أن يكونوا حريصين ومتنبهين. فقوة "ج" (٥) واحدة تمثل قوة الجاذبية الارضية العادية على الجسم البشري، ويمكن الشخص العادي الصحيح الجسم تحمّل خمس وحدات "ج" لمدة ست ثوان. لكن التعرض لاكثر من ثلاث وحدات "ج" لمدة دقيقة (وهي نصف مدة رحلة في القطار الأفعواني) قد يؤدي الى الغياب عن الوعي. حين اكتمل بناء "غودوريكس" فيكوما في يناير (كانون الثاني) ١٩٨٩ ركبها رئيس الشركة جاك هوبن في أول رحلة اختبارية. ونزل منها مترنحا، وأمر على الفور باجراء تغييرات في قسم "الفراشة." وقال في ما بعد: "كانت قوى الجاذبية عالية جداً، فعدَّلنا شكل الهيكل لتغيير زاوية المنحنى."

وحتى بعد تعديل "غودوريكس" ظل القلق يساور هوبن من أن تكون الرحلة

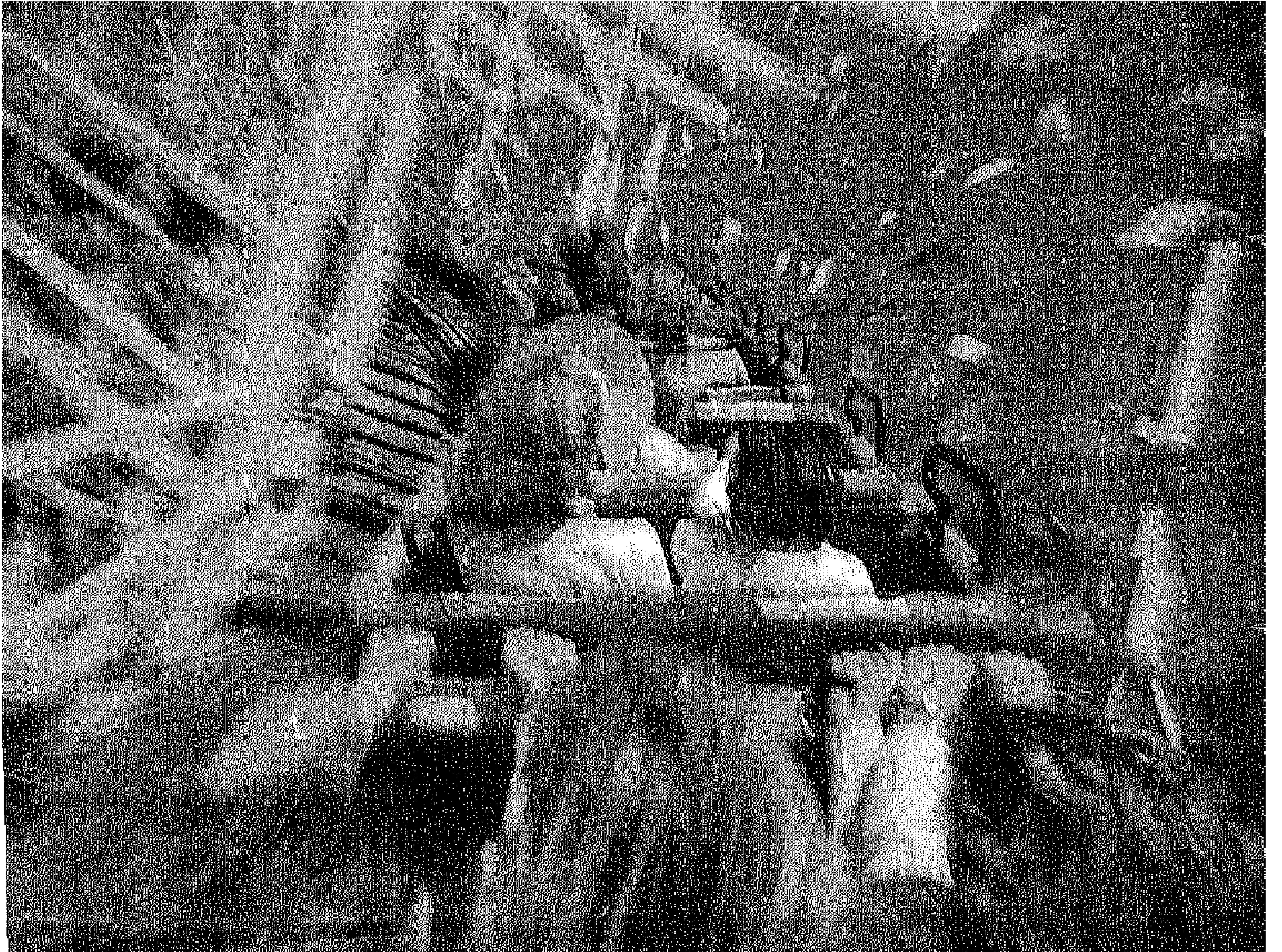
منظر من قمة افعوانية في سانتا كروز بكاليفورنيا، لحظة سقوط القطار في اول مهبط من المهابط الكثيرة.

(٥) G-force

فيها عنيفة وتتجاوز ميول الاوروبيين. قال: "يفضل الاوروبيون ركوباً أسلس مما يستسيغه الامريكيون. ولا أعتقد أن نسبة الزائرين الذين يتجرأون على ركوب "غودوريكس" في متنزه "أستريكس" ستتجاوز العشرين في المئة. ولكن اذا هم جاؤوا لمشاهدة غيرهم يركبون فستكون النتيجة مرضية أيضاً.

وشركة "فيكوما" رائدة في مضمار هذه الصناعة، وقد أنتجت ٤٠ في المئة من أفعوانيات الصلب الضخمة في العالم خلال السنين العشر المنصرمة. وبدأ ذلك مصادفة في أواسط السبعينات من هذا القرن حين زار هوبن "نوتس بيري فارم" وهي مدينة ملاه معروفة في كاليفورنيا.

ويتذكر هوبن: "كنا حينذاك عاكفين على صنع منشآت لصناعة البتروكيميائيات في معملنا في فلودروب. وكانت الصناعة في تقهقر وتعيَّن علينا التفتيش عن باب جديد للعمل. وكانت لدى نوت أفعوانية جديدة غريبة ومثيرة من صنع "آرو" تدعى "فتاحة السدادات." لذا قصدت مديري "آرو" في الولايات المتحدة فمنحوني حقوقاً حصرية للانتاج في أوروبا." وفي أواسط الثمانينات أعلنت شركة "آرو" الأم الالمانية الغربية إفلاسها، وتمكّن هوبن من إحراز براءات بعض اختراعاتها. وبنت "فيكوما" أفعوانية بديلة لمتنزه "نوتس بيري فارم" وأمنت شركة "آرو" القطارات.



بدع جديدة. المنافسة الأوروبية الرئيسية لـ"فيكوما" هي شركة "إنتامين" في سويسرا. وقد اشتهرت ببناء أبراج عالية تسبب الدّوار وأنابيب ومعدات مدهشة لرحلات مائية مثيرة. كما باعت أفعوانيات الى أوروبا والولايات المتحدة والارجنتين والعراق والمملكة العربية السعودية، وحققت نجاحاً عظيماً بالافعوانيتين الثوريتين اللتين تُركبان وقوفاً في كاليفورنيا وأسوج (السويد). ويشدد بعض المعجبين على أن هذه الأفعوانية بقطارها الأقصر والاكثر مرونة توفر الاثارة "المطلقة."

ولكن هل تباع هذه النماذج؟ قد يكلف بناء أفعوانية كبيرة أكثر من خمسة ملايين دولار. ويخشى بعض أصحاب مدن الملاهي المخاطرة بمبالغ ضخمة لشراء تكنولوجيا جديدة. يقول هوبن: "يحمل الزبائن أفكاراً مضخّمة عن الفسحة المتوافرة لديهم. فيقول أحدهم: أريد ثلاث فتاحات سدادات وخمس أنشوطات. ونردّ نحن: آسفون، لا مجال عندك الا لفتاحتين وأنشوطة واحدة. كل منهم يريد أفعوانية أكبر وأوفر إثارة من أفعوانية منافسه."

تعتمد "فيكوما" و"إنتامين" كلتاهما على تقنية تدعى "التصميم المدعم بالكمبيوتر"[٦] لتصميم أجزاء كل أفعوانية جديدة. ويشرح هوبن: "يمكنك أن تضمّ الى أفعوانيتك أنشوطات وفتاحات سدادات بمقدار ما تسمح السرعة. فلكل مناورة عامل احتكاك مختلف، والكمبيوتر يحتسب ذلك كله. فاذا طلبتُ منه بومرنغ أو أنشوطة مزدوجة أو فراشة، فانه يبيّن لي بدقة المدى المناسب لارتفاع القمة وطول مسافة الركوب."

وهناك ابتكار حديث في تكنولوجيا الأفعوانيات هو "محاكي الحركة الدينامية."[٧] تصور قاعة تشبه قاعة سينمائية عادية، مع فارق أن الشاشة أكبر قليلا والمقاعد مجهزة بقيود أو بقضبان حابسة تطبق على الاحضان. تجلس في المقعد فينطبق القضيب عليك. واذا بك تنحدر فجأة في المهبط الاول وتميل مندفعاً في منعطف "مشدود" بقوة أربع وحدات "ج." وأفعوانية "محاكي الحركة الدينامية" مزيج من شريط سينمائي ومؤثرات صوتية ومقعد يشغّل هيدروليكياً فيحاكي حركة قطار أفعواني سريع. وقد طورتها شركة "إنتامين" بمعاونة "شوسكان" وهي شركة أمريكية للانتاج السينمائي. وقد باعت "إنتامين" انتاجها الجديد الى هونغ كونغ واليابان وكوريا الجنوبية وبروناي وايطاليا وفرنسا وألمانيا الغربية والولايات المتحدة. ويعتبر رينارد سوندرمان أن هذه البدعة الجديدة هي "الغاية المطلقة، فهي تمنح راكبها كل مشاعر الاثارة التي يختبرها في قطار أفعواني من دون أن تعرضه لأي خطر."

وهذه مواصفات أفعوانيتي المثلى!

شارل بارميتيه ■

(٦) Computer-Aided Design (CAD)
(٧) Dynamic-Motion Simulator (DMS)

دائرة المعارف

نسب العرب صفات الى الحيوانات وأعضائها وما اتصل بها على سبيل التشبيه والاستعارة. فـ"عرّيسة الاسد" تضرب مثلا للمكان الرفيع المنيع، و"انامل السرطان" تقال في وصف خط رديء، و"بيض النعام" مَثَل في الضَياع، و"رِجلا الطاووس" مثل لما يُستقبح من جملة حسنة، و"إبر النحل" للوصول الى المحبوب بمقاساة المكروه.

هنا تشبيهات وردت على السنة العرب. وقد وضع امام كل عبارة اربعة خيارات، واحد منها صحيح. وعلى القارىء أن يختار الجواب الذي يعتبره مناسباً، ثم يقلب الصفحة ليحصل على الاجوبة الصحيحة ويقيس مستواه.

١. **نواصي الخيل**: تضرب مثلا للسرعة – للأمل – للجرأة – للعز والرفعة.
٢. **ليث الغاب**: يضرب مثلا للجبان – للشجاع – للكريم – لذي الاصل العريق.
٣ – **نوم الذئب**: يضرب مثلا للنوم الحذر – للنوم العميق – للموت – للغفلة.
٤. **مشية السرطان**: يضرب بها المثل في التحايل – في التسلل – في رجوع القهقرى – في التمهل.
٥. **دودة الخَل**: تضرب مثلا للمريض الناحل – للرجل الساقط – للسجين – للقصير العمر.
٦. **وادي النمل**: يضرب مثلا للارض القاحلة – للصحراء – للمكان الوعر – للمكان الكثير السكان.
٧. **عين الديك**: يضرب بها المثل في الصفاء – في حدة البصر – في الاستدارة – في الغضب.
٨. **أخلاق البغال**: تضرب مثلا للوداعة – للانقياد – للاخلاق المتضادة وشر الطباع – للعناد.
٩. **ليلة العقرب**: يضرب بها المثل في الظلمة – في القِصَر – في الطول – في الخوف.
١٠. **لسان الثور**: يشبَّه به اللسان الدقيق – اللسان الطويل العريض – لسان الثرثار – لسان الأكول.
١١. **لبن الطير**: يضرب مثلا للنصاعة – للقلّة – للثمن الفاحش – لما لا يفيد الامل به.
١٢. **أسنان الحمار**: يضرب بها المثل في التماثل والتساوي – في الصغر – في الضخامة – في الاصفرار.
١٣. **كلاب النّاس**: الرعايا – الانذال والسفهاء – البخلاء – الاعداء.
١٤. **حالب التيس**: يضرب مثلا للمجنون – للجريء – لمن يطمع في غير مطمع – للظالم.
١٥. **صدر البازي**: يشبَّه به العرش – المقصد الشريف – القصر العالي – كل شيء حسن التخطيط.
١٦. **دودة القز**: تضرب مثلا للعمل الدؤوب – للبراعة – للنهم – لمن يضر نفسه وينفع غيره.
١٧. **شيب الغراب**: يضرب مثلا لما لا يكون – للقِدَم – للحكمة – للخوف العظيم.
١٨. **فم الاسد**: يضرب مثلا للشَرَك المميت – للفم الواسع – للشيء الصعب المرام – للكهف المظلم.
١٩. **طيران الحبارى**: يضرب به المثل في التقطّع – في السرعة – في العلو – في التعثر.
٢٠. **بيت العنكبوت**: يضرب به المثل في الوهن – في وفرة الطعام – في الصمود – في الفقر.



١. **نواصي الخيل**: تضرب مثلا للعز والرفعة. قيل "العز في نواصي الخيل والذل في أذناب البقر."

٢. **ليث الغاب**: يضرب مثلا للشجاع الذي يُهاب وهو في منزله.

٣. **نوم الذئب**: يضرب مثلا للنوم الحذر. فالذئب يراوح بين عينيه اذا نام، فيجعل احداهما مطبقة نائمة والاخرى مفتوحة حارسة. أما الارنب فينام مفتوح العينين، ولكن ليس احترازاً بل خلقة.

٤. **مشية السرطان**: يضرب بها المثل في الادبار ورجوع القهقرى.

٥. **دودة الخل**: تضرب مثلا للرجل الساقط يعيش مكان السوء في حال رذلة راضيا بهما، اذ لم يعرف سواهما ولم يتعود غيرهما. ومن أمثال العرب "لا يصبر على الخل الا دوده."

٦. **وادي النمل**: يضرب مثلا للمكان الكثير السكان. ويقال أيضا "قرية النمل."

٧. **عين الديك**: يضرب بها المثل في الصفاء، ويشبه بها الشراب الصافي.

٨. **أخلاق البغال**: تضرب مثلا للاخلاق المتفاوتة المتضادة وشر الطباع، لأن البغل شديد التلون. قال البحتري يهجو قوما:

وأخلاق البغال فكل يوم
يعنّ لبعضهم خلق جديدُ

٩. **ليلة العقرب**: يضرب بها المثل في الطول، لأن صاحبها لا ينامها. قيل "إن أطول الليالي ثلاث: ليلة العقرب وليلة العاشق وليلة الهريسة."

١٠. **لسان الثور**: يشبه به اللسان الطويل العريض.

١١. **لبن الطير**: يضرب مثلا لما لا يفيد الامل به، كما يضرب المثل في ذلك بالابلق العقوق ومخ البعوض وسلا الجمل وحلم العصفور.

١٢. **أسنان الحمار**: يضرب بها المثل في التماثل والتساوي. ومن أمثال العرب "سواسية كأسنان الحمار."

١٣. **كلاب الناس**: هم الانذال والسفهاء. قال منصور الفقيه: "ما الكلاب الكلاب، بل هم الناس، اذا أسمنوا كانوا شراً من الكلاب."

١٤. **حالب التيس**: يضرب مثلا لمن يطمع في غير مطمع، ومن يرجو من لا يجدي.

١٥. **صدر البازي**: يشبه به كل شيء حسن التخطيط بديع التحسين. ويذكر في الحسن والملاحة مع سالفة الغزال وطوق الحمامة وجناح الطاووس.

١٦. **دودة القز**: تضرب مثلا في من يضر نفسه وينفع غيره. فيقال: ما فلان الا دودة القز، وفتيلة المصباح، وعود الدخنة.

١٧. **شيب الغراب**: يضرب مثلا لما لا يكون. فيقال "لا يكون ذلك حتى يشيب الغراب." كما يقال: حتى يبيض القار، ويؤوب القارظ، ويلج الجمل في سم الخياط.

١٨. **فم الاسد**: يضرب مثلا للشيء الصعب المرام. قال الشاعر:

ومن يحاولْ شيئاً من فم الاسدِ.

١٩. **طيران الحُبارى**: يضرب به المثل في السرعة فيقال "أطيرَ من حبارى." وليس في الطير أسرع طيرانا منها، لأنها تصاد فتوجد في حواصلها الحبة الخضراء غضة طرية وبينها وبين بلادها بُعد. وقد يضرب المثل أيضا بطيران العقاب لأنه يتغدى بالعراق ويتعشى باليمن.

٢٠. **بيت العنكبوت**: يضرب به المثل في الوهن والضعف.

المستوى

١٧ - ٢٠ : **ممتاز**

١٣ - ١٦ : **جيد**

٨ - ١٢ : **مقبول**

جزيرة الميلاد

ملاذ أمن للطيور البحرية وموطن لأكبر السرطانات البرية في العالم

يوم عيد الميلاد عام ١٦٤٣ اكتشف القبطان وليم اينورز جزيرة في المحيط الهندي، وكان مبحراً السفينة "رويال ماري" العائدة من جزر الهند لشرقية. وجاء انتقاؤه اسم "جزيرة الميلاد"[١] ديهيا معبراً. وأنّى له أن يعرف أن المستكشف لبريطاني القبطان جايمس كوك سيرسو هو أيضاً في عيد ميلاد على شاطئ جزيرة في المحيط الهادئ يسميها "جزيرة الميلاد"، فيربك الخدمات البريدية ي أيامنا. (يتعين ذكر اسم المحيط الذي تقع فيه لجزيرة لكي تصنف دوائر البريد مقصد الرسالة.)

أصبحت جزيرة ميلاد المحيط الهندي جزءاً من الاراضي الاوسترالية عام ١٩٥٨.[٢] وهي حمى كبير

(١) Christmas Island

(٢) جزيرة القبطان كوك هي الآن جزء من أرخبيل كيريباتي في أوقيانيا.

للطيور البحرية. وتبعد ٣٦٠ كيلومتراً عن جنوب جاوه باندونيسيا و١٤٠٠ كيلومتر عن شمال غرب أوستراليا. وهي موطن طيور الأطيش والفرقاط والابله[٣] وأنواع من النبات والحيوان لا تعيش في أي مكان آخر من العالم. وبينها أربعة أنواع وستة نويعات من الطيور، وخمسة أنواع من الزواحف واثنان من السرطانات (أبو جلمبو) واثنان من الخفافيش وتشكيلة من الحشرات.

ولعلّ اكثر الانواع اثارة في الجزيرة التي تبلغ مساحتها ١٣٥ كيلومتراً مربعاً، السرطانات البرّية التي تتكاثر باعداد هائلة تجبر السكان على مشاركتها في منازلهم وملاعبهم ومدارسهم وطرقهم، وخصوصاً أيام هجرة السرطانات الحمر السنوية الى الشاطىء للتكاثر، اذ تحتشد على دروبها المفضلة متحدية أخطاراً مهلكة كالجفاف والاستنزاف في الاراضي المعرّاة من النبات والنفوق على الطرق تحت عجلات السيارات أو تحت أقدام الاولاد في الملاعب. وتبدو هذه المسيرة الطويلة للزائر موضوع روعة ورهبة في آن، أما للمقيم في الجزيرة فتعني زيادة في عدد الاطارات المثقوبة. وقد بلغ الرقم القياسي للثقوب التي أحدثتها السرطانات في اطارات سيارة واحدة في يوم واحد ١٣ ثقباً.

أما المفاتن الطبيعية لجزيرة الميلاد فتتعدى الطيور البحرية وأنواع الحيوان والنبات الفريدة والسرطانات البرية. فحتى تاريخ ضمّها الى ممتلكات التاج البريطاني واستيطانها عام ١٨٨٨، كانت إحدى الجزر الاستوائية الكبيرة القليلة التي لم تعرف سكنى البشر. لذلك كانت حيواناتها البرية لا تخشى الانسان وتسهل مراقبتها عن كثب. وهي ما زالت كذلك.

الجزيرة قمة بركان قديم. فقبل نحو ٥٥ مليون سنة انبثقت صخور بركانية عبر شق في أرض البحر وارتفعت ببطء أربعة آلاف متر. وحين اقتربت القمة من سطح الماء المعرّض لاشعة الشمس التصقت بها حيوانات المرجان وتكونت عليها تدريجاً طبقات كلسية.

ثم قبل نحو عشرة ملايين سنة ارتفعت الجزيرة بانكماشات جديدة مما أضفى عليها مظهراً "مدرَّجاً." وتطوقها سلسلة متعاقبة من مصاطب (جلول) وأجراف. وفي الداخل سهل واسع مرتفع. وتعلو حول معظم الجزيرة أجراف كلسية مثلّمة يبلغ ارتفاع بعضها ٣٠ متراً فتطوق الجزيرة بحافة وعرة منفِّرة. وتندر الشواطىء والمراسي الآمنة. وحتى "خليج السمك الطائر،" وهو الميناء الوحيد، تضربه الأمواج الهائجة في معظم الاوقات.

يبلغ معدل سقوط المطر على الجزيرة ٢٠٠٠ مليمتر سنوياً، ومتوسط الحرارة ٢٧ درجة مئوية، والرطوبة مرتفعة. والجزيرة خصبة بالحياة النباتية. ومع أنها ليست غنية بأنواع النبات (فيها نحو ٢٠٠ نوع فقط) فالبساطة البنيوية لغابة

(٣) Boobies, frigatebirds and noddies

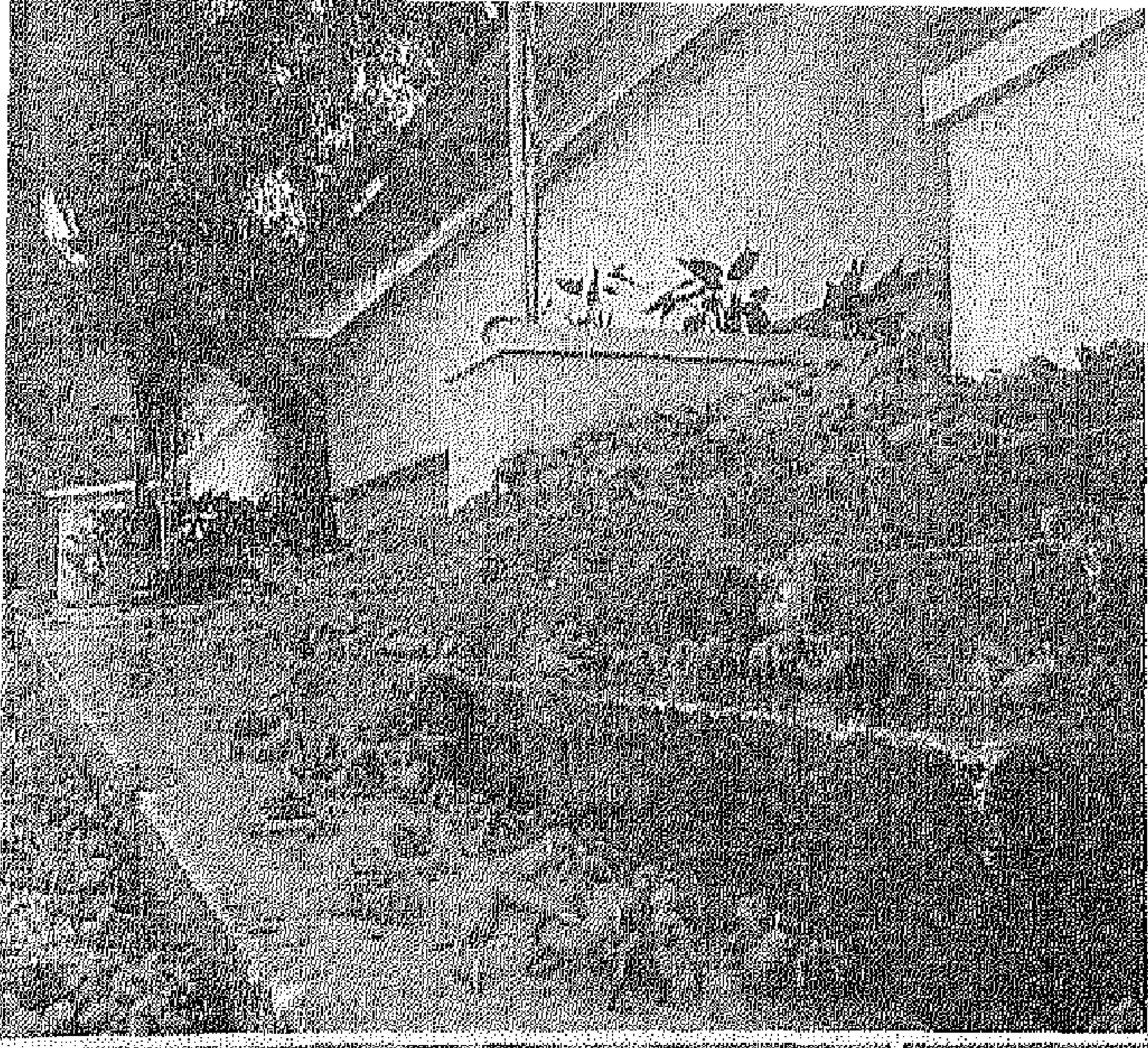
(فوق) البومة - الباز المعرضة لخطر الانقراض. (أعلى اليسار) السرطان السارق أكبر السرطانات البرية في العالم.

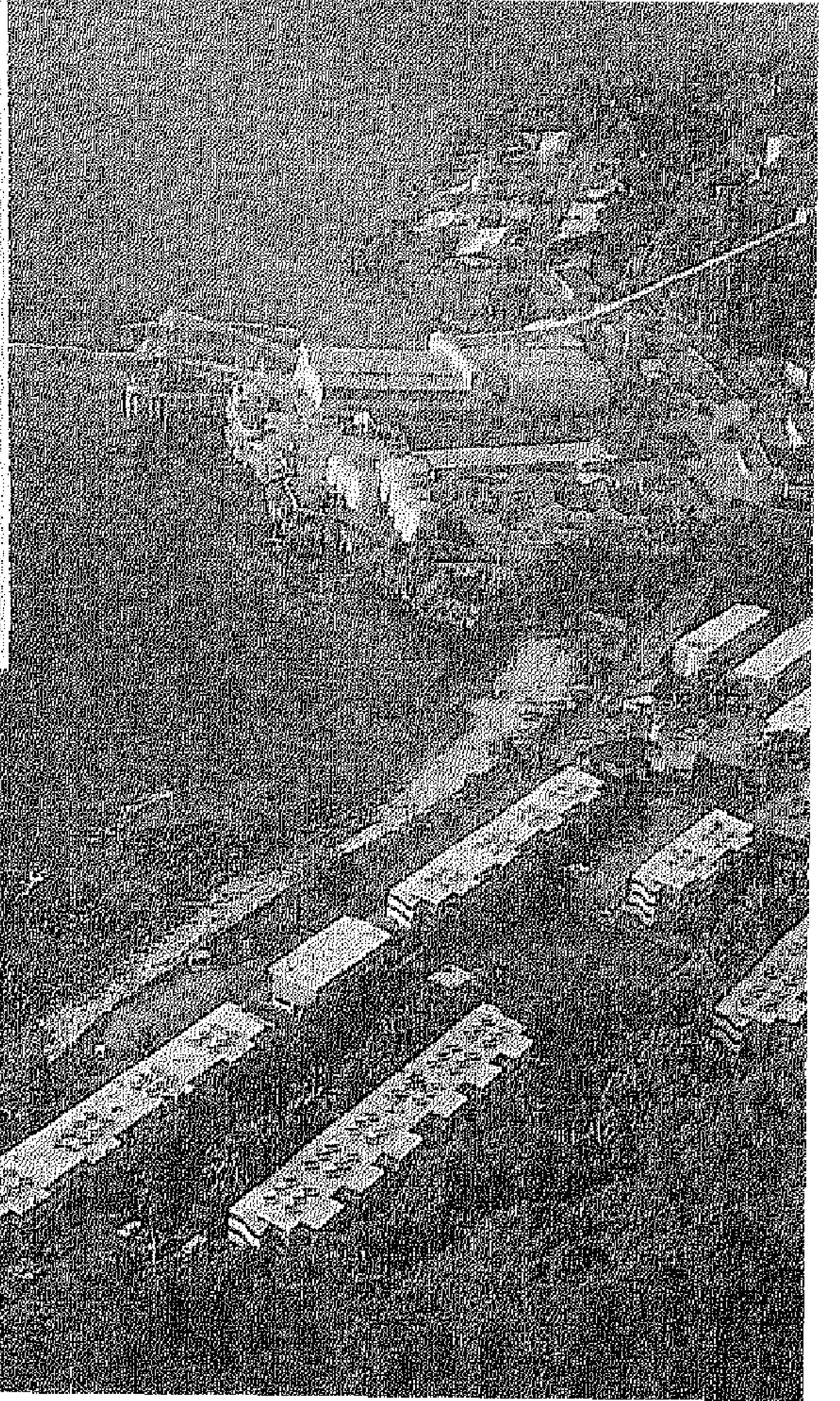
JOHN EGGERT

المطر فيها فريدة. فلا عرائش متشابكة ولا غزارة في الشجيرات والجنبات التي تميز غابات المطر الاندو - ماليزية. هنا أرض الغابة عارية و"نظيفة" بفعل السرطانات البرية القمّامة.[٤] وتسند الجذوع المتلوية ظلّة كثيفة خضراء ترتفع ٣٥ متراً كأنها تجسيد تخيلات طفل لغابة مسحورة.

وبصرف النظر عن الشجرة اللاسعة الغريبة وقفران الزنابير الصفر المتدلية، فان غابة المطر وادعة خالية من العلق ومن الحيات السامة. وإن سمعت حركة في الدغل فغالب الظن أنها حركة سرطان بري. ويقطن في الجزيرة ١٦ نوعاً من السرطانات البرية وسرطانات المياه العذبة، ولها دور مهم في غابة المطر. فهي حيوانات قمّامة، أي انها تحلل الاوراق والثمار ومواد أخرى وتعْتِق مغذيات لنمو النبات. فحفرها في الارض فلاحة للتربة.

(٤) القمّام حيوان يقتات بالقمامة.



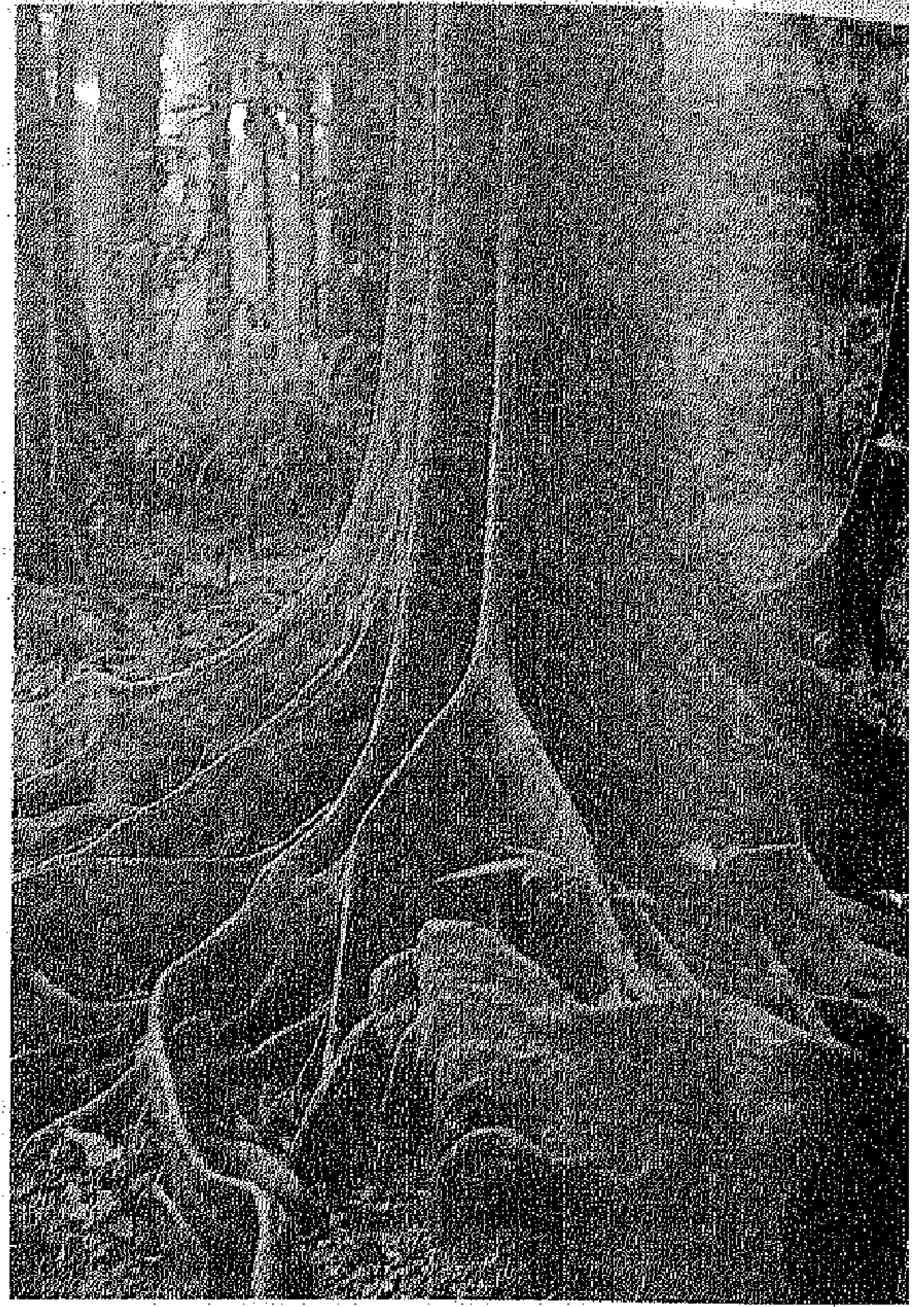




(فوق) "خليج السمك الطائر"
هو الميناء الوحيد في الجزيرة.
(اعلى اليسار) شلالات متدفقة من السرطانات
الحمر تصبغ شوارع جزيرة الميلاد
خلال هجرتها الى الشواطىء للتكاثر.
(الى اليسار) طائر أبوت الاطيش

والى السرطان الأحمر، يكثر أيضاً السرطان السارق المثير للاعجاب. ومع أنه أكبر سرطان برّي في العالم فهو خجول ويعيش حياة ليلية في معظم الأنحاء الاندو - باسيفيكية الاستوائية. لكنه في جزيرة الميلاد جريء وينشط نهاراً، فيغزو المخيمات ويضفي عنصراً من الحيوية على الغابة الودودة. والسرطان السارق ليس عدوانياً، ولكن من الحكمة احترام قرّاضاته الحادة القادرة على شق علبة تنك.

وجزيرة الميلاد موقع محيطي منعزل، لذا هي مهبط طبيعي للطيور البحرية. ومن أنواعها الثمانية التي تستوطن الجزيرة



شجرة الكستناء التاهيتية تنمو في المناطق المنتقعة بالماء ضمن غابة المطر.

ثلاثة لا تتكاثر الا هناك، وهي أبوت الأطيش وأندروز الفرقاط والبوسون المذهب.[٥] والجزيرة أيضاً منطقة التوالد الرئيسية للاطيش البني في المحيط الهندي.

(اطلق البحارة الأوائل اسم "الأطيش" ظلماً على هذه الطيور لاعتقادهم انها غبيّة اذ تصمد عندما تهاجَم في أعشاشها.)

وطائر أبوت الأطيش هو النوع الأندر في العالم، ويبني عشه في ذرى الاشجار الباسقة في غابة المطر. وهو الأبطأ تكاثراً في هذه العائلة، اذ تكتسي فراخه بالريش خلال مدة تطول ما بين ١٥٠ و١٧٠ يوماً، وهي تبقى "قاصرة" معتمدة على أمها ٢٠٠ يوم أخرى. وصوتها أعلى أصوات عائلة الأطيش.

وطيور الفرقاط هي الأغنى بهجة وألواناً. فخلال "المغازلة" تنفخ الذكور جيباً في الحلق يشبه بالوناً أحمر. وعندما تقترب الانثى يبدأ الذكور إنشاداً جماعياً عالياً هو جلبة استعطاف وتودد شبّهها عالم الحيوان والنبات البريطاني الدكتور كارل غيبسون – هيل "بأصوات حمير متقاتلة وقردة ثرثارة."

ومع أن الحياة البرية في جزيرة الميلاد هي أفضل حالا منها في كثير من الجزر الاخرى المنعزلة، فان طيور أبوت الأطيش وأندروز الفرقاط والبومة – الباز تواجه خطر الانقراض.

وكما هي حال كل الاجناس، فان مفتاح البقاء هو ضمان موطن ملائم لحياة الحيوان أو النبات. فعلى مدى ٩٠ سنة كان استخراج الفوسفات الصناعة الوحيدة المهمّة في الجزيرة، لذا بقي ثلاثة أرباع غابة المطر سالماً. إنما تبقى حاجة الى حماية البيئة. ففي العام ١٩٨٠ أُعلن الجزء الجنوبي – الغربي من الجزيرة متنزهاً وطنياً. وتبلغ مساحة هذا المتنزه ١٦٠٠ هكتار أي ١٢ في المئة من مساحة الجزيرة، وهو يوفر بعض الحماية الطويلة الامد لسكانه من طيور الاطيش والفرقاط والسراطين وغيرها من أنواع الحياة البرية الفاتنة في هذا الفردوس الارضي.

جون هيكس ■

---

(٥) Sula abbotti, Fregata andrewsi and Phaeton lepturus fulvus.

"حسنا، اذا كنتم لا تستطيعون الحضور في الخامس من يوليو (تموز) فلنعقد الجلسة في الرابع منه"١

PETER STEINER IN CAMPUS LIFE



"تعال نخبئها في البحر الميت، فلن يفكر احد في البحث عنها هناك."٢

HOEST IN PARADE





"قد تكون محقا يا فيثاغوراس، ولكن اذا دعوت هذا الضلع وتر المثلث فسيضحك منك الناس."

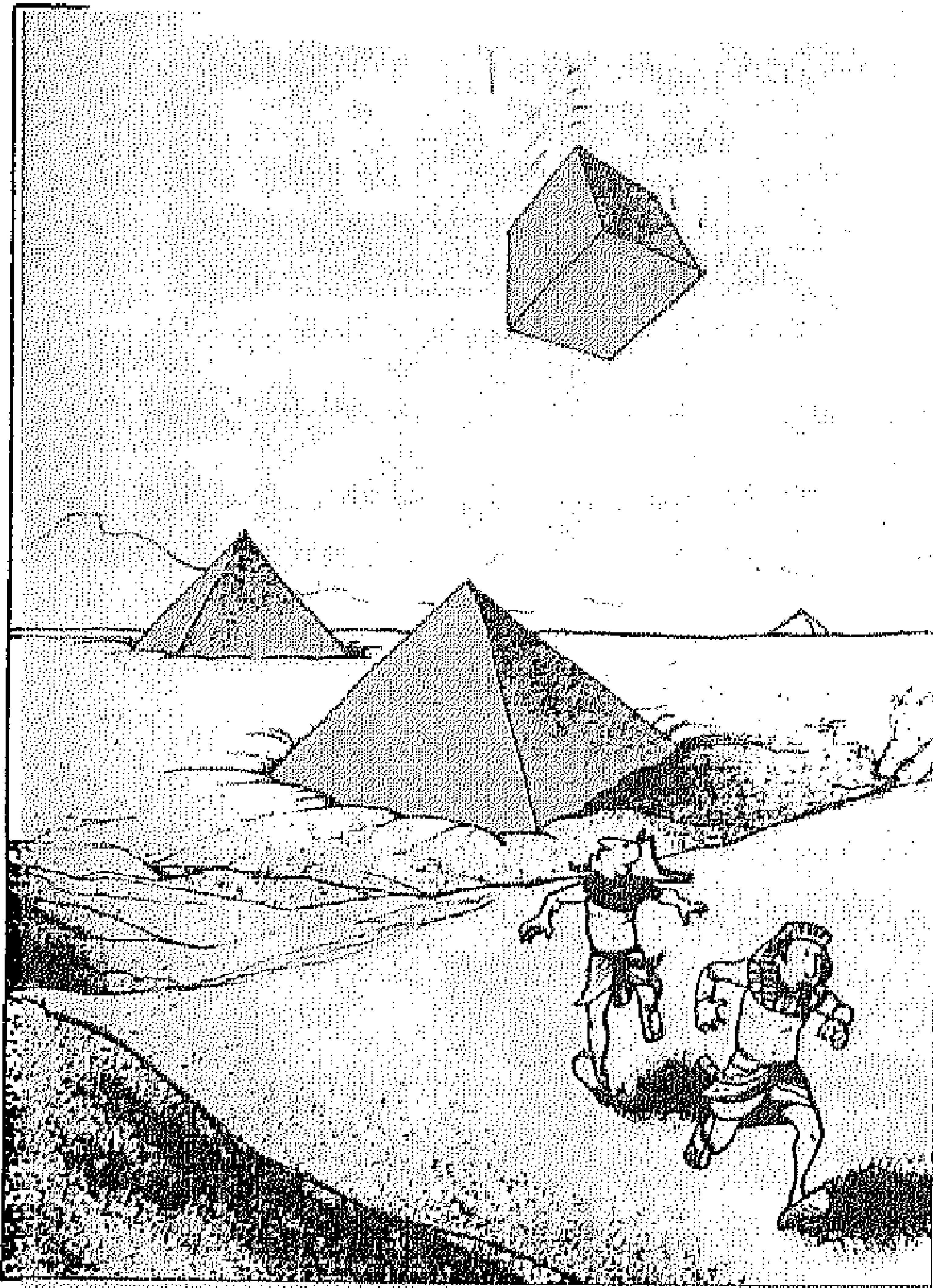
"ها هم يسافرون مرة اخرى باحثين عن آفاق جديدة ومتحدين المجهول. لماذا يفعلون ذلك؟ ومن يدفعهم اليه؟"

ALPHONSE NORMANDIA IN SIGNATURE



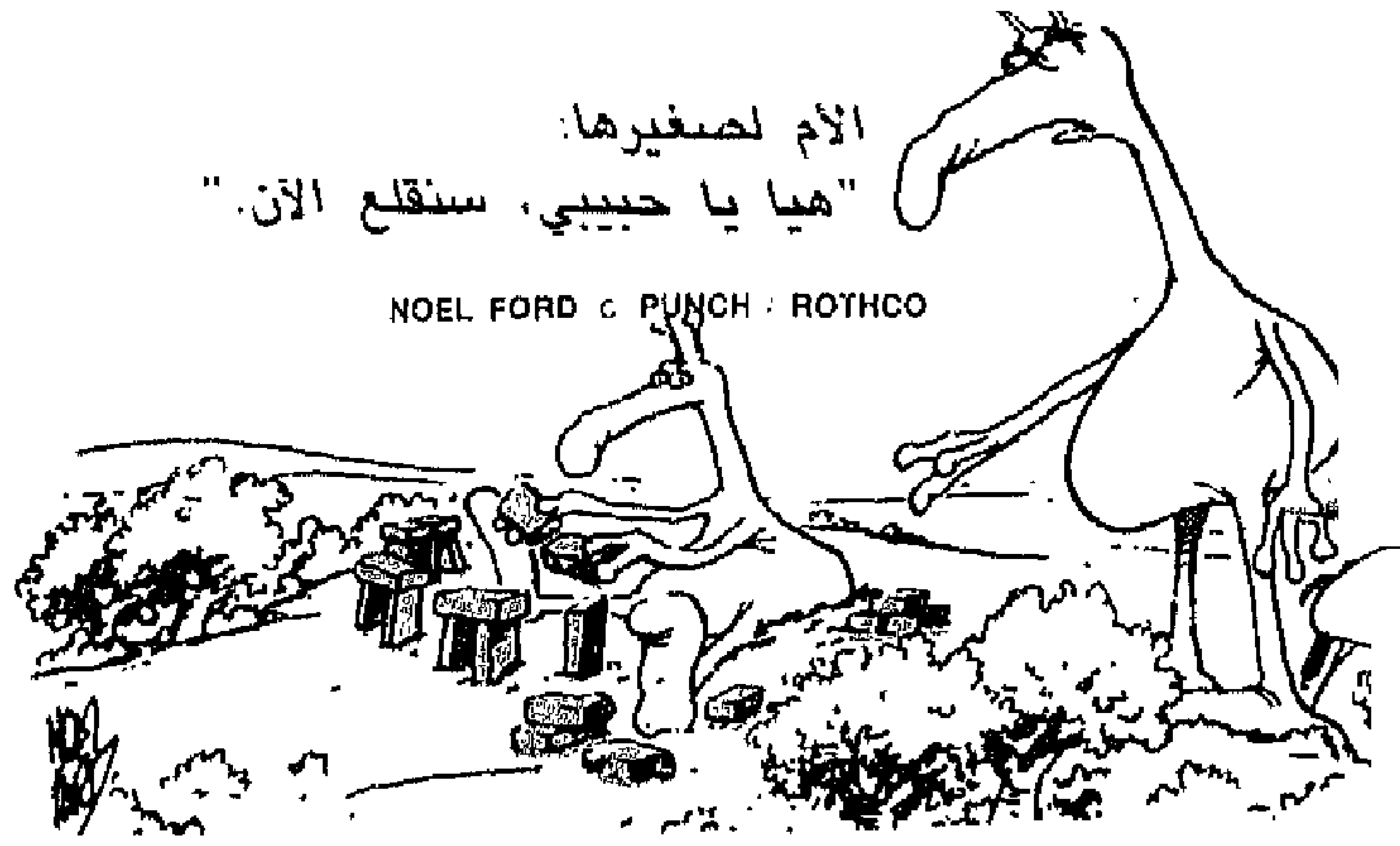
"انتبه، هاك واحداً آخر يسقط."

RICO © 1981 OMNI MAGAZINE



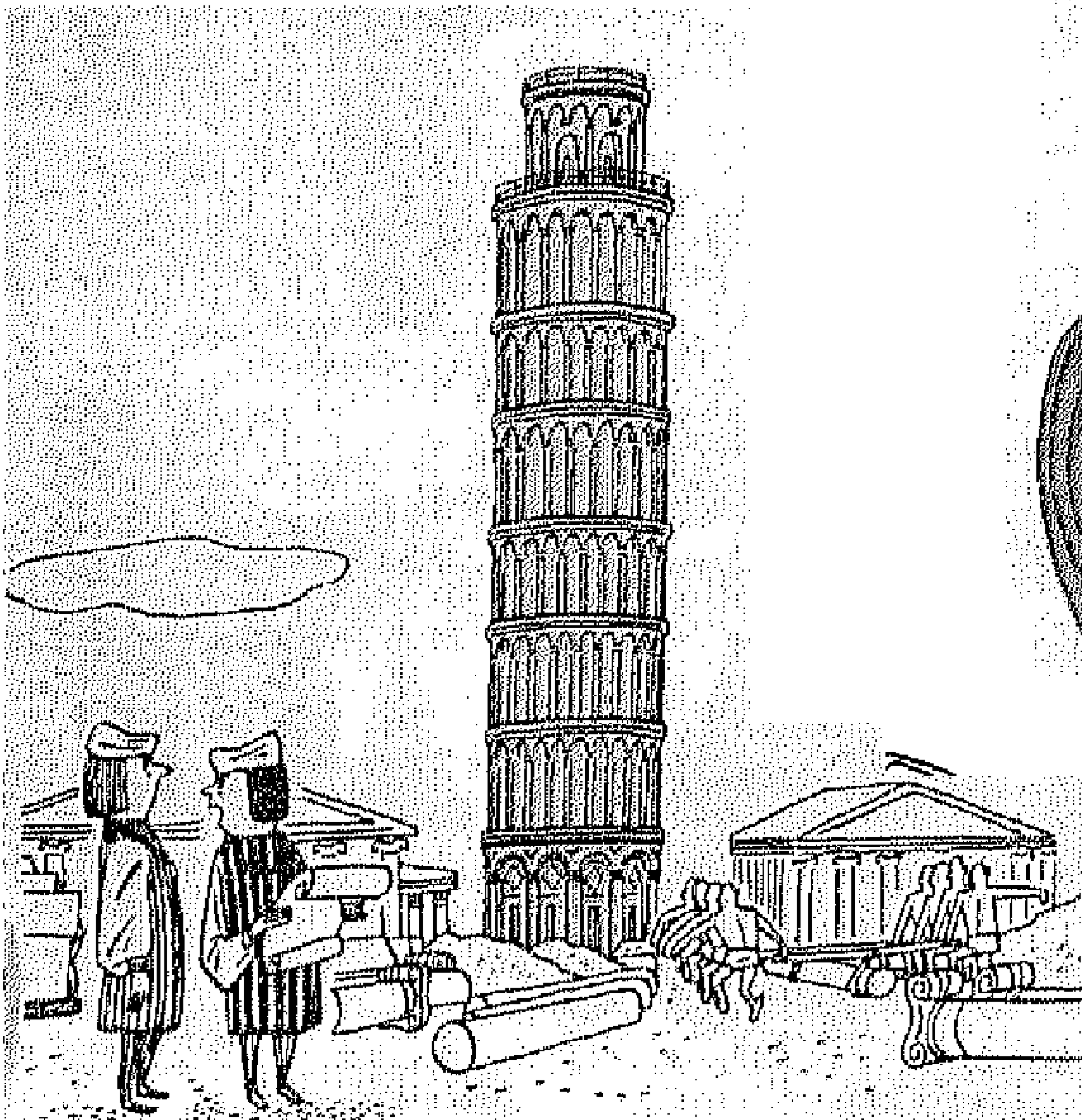
الأم لصغيرها:
"هيا يا حبيبي، سنقلع الآن."

NOEL FORD c PUNCH / ROTHCO





L. HERMAN, SINGER COMMUNICATIONS, INC.



"اقتصدت قليلا في تدعيم الأساس،
لكن أحداً لن يدري بذلك"

FRITZ WILKERSON, MASTERS AGENCY



(١) صدق بيان استقلال الولايات المتحدة في ٤ يوليو (تموز) ١٧٧٦.
(٢) عثر على لفائف الرق التي كتبت عليها أسفار التوراة داخل مغارة في فلسطين قرب البحر الميت.
(٣) كان نيرون يعزف على الكمان فيما روما تحترق

شح بصره منذ طفولته حتى بات شبه أعمى. لكنه لم يقطع الرجاء

صباح يوم مشرق من نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٨٧ كان سيريل تشارلز (٢٤ عاما) واحدا من آلاف العدائين الذين احتشدوا على جسر فيرازانو ناروز للاشتراك في ماراتون[١] مدينة نيويورك. لم يكن سيريل يرى وجوههم خلف الغشاوة التي غلفت عينيه، لكن قلبه كان يرتعش طربا لمرحهم ولوقع أقدامهم الهادرة. عبر الجسر راكضا الى بروكلين برفقة مرشده المبصر. وعلا صوت بالآتي: "حظا سعيدا أيها العداء الاعمى."

تنحّوا جانبًا

العدّاء الأعمى آتٍ!

راح سيريل يقطع الكيلومتر تلو الآخر، وتوالت عليه الذكريات:

عربات تجرها ثيران محملة بقصب السكر ومنتشرة على امتداد الطرق الريفية في غرب جزيرة ترينيداد.[٢]

العداءان مات دنسن وسيريل تشارلز يرفعان أيديهما علامة النصر وهما يجتازان خط النهاية في ماراتون نيويورك في نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٨٩.

---

(١) الماراتون سباق في العدو تكون مسافته عادة حوالى ٤٢ كيلومترا.

(٢) ترينيداد وتوباغو دولة في الانتيل شرق فنزويلا، وهي من جزر الهند الغربية.

يجتازها سيريل تشارلز قاطعاً الكيلومترات الثلاثة عشر التي تفصل منزله عن المدرسة. كان يقطع معظم المسافة ماشياً، وبين فينة وأخرى يعيِّن شجرة يعدو اليها بقدميه الحافيتين.

كان في التاسعة من عمره آنذاك، صبياً أسود البشرة أجعد الشعر أنعم عليه الله بموهبة العدو.

عندما قرع جرس المدرسة ذات صباح قال لأصحابه: "سنلعب الكريكيت في استراحة الغداء."

وكان سيريل، كغالبية صبية ترينيداد، شغوفاً بهذه اللعبة التي تسجل فيها النقاط من طريق ضرب كرة قاسية بمضرب خشبي.

حان وقت الغداء ووقف سيريل في موقعه المعتاد في اللعبة منتظراً رمي الكرة لكي يلتقطها. ورأى الكرة تغادر يد الرامي وتقع أمام اللاعب الضارب الذي قذفها بمضربه. وترنح الضارب هنيهة، فرمقه سيريل صارفاً انتباهه عن الكرة. في تلك اللحظة انقض صبي آخر على الكرة والتقطها ليرميها، ونادى: "سيريل! سيريل!"

استدار سيريل متأخراً، فضربت الكرة عظام محجر عينه اليمنى فوقع مغمى عليه، وتجمع الاولاد حوله. وعندما استعاد وعيه أحس حريقاً في عينه، لكن ذهنه كان صافياً وقال لأصحابه: "أنا بخير."

ولما عاد الى منزله غسلت له أمه عينه ثم أرسلته ليملأ المصابيح الزيتية ويأتي بالماء من عين القرية كما يفعل كل يوم. فكوخهما المستأجر يفتقر الى المياه الجارية والكهرباء.

صانع السلال. بعد مضي شهر بدأت غشاوة تحجب الحروف والارقام المدونة على اللوح الاسود. ولعل الحادث حرك التهاباً سابقاً. ثم بدأت قرنية العين تتبقَّع. فقال الطبيب لأمه أغاثا: "سوف يفقد ابنك بصره ما لم يذهب الى باربادوس لاجراء جراحة زرع.

فأجابته: "نحن لا نملك المال اللازم."

انتقل سيريل الى مقعد أمامي في الصف، فتمكن لفترة قصيرة من تمييز ما يكتب على اللوح. لكن عينه أخذت تجنح الى الحوَل عند القراءة والكتابة. واجتاحت الغشاوة نظره شيئاً فشيئاً وتدنت علاماته. وذات يوم سلّم المعلم ورقة امتحان، فمزقها هذا قائلا للصبي بفظاظة: "عد الى آخر الصف." لقد ساده انطباع ان سيريل يهمل دروسه.

وفكر سيريل: "لن أتعلم شيئاً بعد اليوم."

لما بلغ سيريل الثانية عشرة لم تعد عينه اليمنى تميز الا بين الظلمة والنور. أما اليسرى فغدت قدرتها على الابصار محدودة وضبابية. فكان عندما يستعين بها للقراءة يضع الصفحة على بعد سنتيمترين من وجهه. واستمرت علاماته في التدهور.

أخيراً أرسل سيريل الى مدرسة داخلية للاطفال العميان في سانتا كروز

العين والاذن في نيويورك. فقد رغبت ادارة المستشفى، لضرورات دعائية، في رعاية "سباق أخيل" خاص، وكجزء من الاتفاق، يقدم كوبلن وشركاؤه خدماتهم الى رياضي "أخيلي" فقد بصره لعدم قدرته على دفع نفقات العلاج المناسب.

قال تروم: "أنا أعرف شخصاً تنطبق عليه هذه الصفات."

لم تخطر فكرة الجراحة ببال سيريل منذ كان صبياً. وهو حضر نفسه مطولا لتحمل العمى التام. لكنه قال لتروم: "حسناً، ليس لدي ما أخسره."

في أكتوبر (تشرين الاول) اشترك سيريل من خلال "نادي أخيل" في سباق أجري في روشستر بولاية نيويورك. وكان مرشده في البدء عداء مبصراً، ثم حل مكانه طلاب ثانويون يركبون دراجات. واجتاز سيريل المسافة في ثلاث ساعات واحدى وعشرين دقيقة.

اقتنع سيريل بقدرته على اجتياز مسافة السباق الذي سيقام الشهر التالي في مدينة نيويورك خلال ثلاث ساعات. غير أن عضلات رجله اليسرى كانت تشنجت خلال ماراتون ١٩٨٨ بعد اجتيازه ٢٤ كيلومتراً. وهو عبَر خط النهاية في سنترال بارك برفقة عداء ماراتوني متمرس يدعى كيفن بتروفيك مسجلا نتيجة مخيبة: ثلاث ساعات وسبعاً وثلاثين دقيقة. فأقسم سيريل: "في السنة المقبلة سأكون أول عداء أعمى يقطع المسافة في أقل من ثلاث ساعات."

في غضون ذلك كان على موعد مع الطبيب. واكتشف الدكتور جون سيدور أن عيني سيريل سليمتان تحت القرنيتين المعتمتين. غير أن "المجاري" بين الدماغ والعينين مسدودة منذ فترة طويلة، وربما أقفلها الدماغ نهائياً. قال الدكتور سيدور للشاب: "سوف نجري زرعاً للقرنية في العين اليمنى، لكننا لا نستطيع التكهن بنسبة القدرة البصرية التي ستستعيدها، في حال تحقق شيء من ذلك."

صباح ١٩ يناير (كانون الثاني) ١٩٨٩ نزع الدكتور سيدور جزءاً دائرياً من القرنية التي تغطي قزحية عين سيريل وبؤبؤها، ووضع مكانه قرنية موهوبة وأحكمها بأربع وعشرين قطبة، كل واحدة منها بثلث سماكة شعرة.

وفي الصباح التالي حبس سيريل أنفاسه فيما الممرضة تفك الضمادة عن عينيه. ثم زفر ببطء هامساً: "اني أراك."

بعدما غادرت الممرضة الغرفة تسلل سيريل الى الحمام. ولما رفع الضمادة رأى وجهه للمرة الاولى منذ خمسة عشر عاماً. انه شاب وسيم أجعد الشعر. فاتصل بصديقه ليكوك وأخذ يصيح: "اني أرى! نظري صافٍ كالبلور!"

غادر سيريل المستشفى في اليوم التالي وانطلق يجوب شوارع المدينة. ودهش لزهو ألوان السلع المعروضة في الواجهات. وحدق معقود اللسان الى وجوه المارة.

وفيما هو يجتاز سنترال بارك أخذ يفكر

في سباق الماراتون، لم يعد يخشى التعثر والخطوات الناقصة التي تخل بالاتزان وتضييع دقائق غالية. لكم بات سهلا الآن تحقيق حلمه باجتياز المسافة في أقل من ثلاث ساعات.

ثم تذكر سلوم وليكوك، وتروم وكوبلن وسيدور. انه مدين لهم بنعمة البصر. فقال في نفسه: "لقد حان دوري لكي أكون واهبا."

في نادي "ميدان أخيل" قال سيريل لديك تروم: "سجل اسمي متطوعاً في الماراتون المقبل. أريد الركض مرشداً لعداء أعمى."

وخلال أشهر تعلم سيريل قيادة سيارة وطلب يد كارول دارلنغتون وهي ممرضة من ترينيداد قدمت الى فيلادلفيا في زيارة.

أسود وأبيض. كان مات دنسن (٢٠ عاماً) طالباً جامعياً. وقد بدأ بصره يشحّ في السن الثانية عشرة على أثر ازالة ورم دماغي أثر في عصبه البصري. وخلّفت الجراحة ندوباً في رأسه وسقط شعره بفعل العلاج بالاشعة، لكنه عوّض ذلك بنجاح باهر في الجامعة وبالعدو مسافات طويلة.

عندما اطلع سيريل على قصة مات لم يتردد لحظة واحدة وقال لتروم: "سأعدو مرشداً له."

في الخامس من نوفمبر (تشرين الثاني) وقف الشابان على جسر فيرازانو ناروز. ثم انطلقا موثقين بحبل أحمر بينهما. وافترّ ثغر مات عن ابتسامة عريضة وقد ملأ صراخ العدائين أذنيه وقال: "هذا أشبه بحفلة صاخبة."

فرد سيريل: "المنظر جميل: ألوف المراكب تطفو على سطح النهر. أعلام متطايرة ورؤوس تتمايل في كل مكان. كأننا أمام بحر بشري، يا مات."

وتعاقبت الكيلومترات وسيريل يصف أكواب الماء المتناثرة على الطريق وناطحات السحاب التي تلوح من بعيد والمشاهدين الواقفين على شرفات المنازل.

وسأل سيريل رفيقه: "ما رأيك يا مات؟ هل تشعر بأننا مسرعان أو مبطئان. قل لي، فهذا سباقك."

فأجاب مات: "سرعتنا جيدة يا سيريل."

قال سيريل: "سنصل في أقل من أربع ساعات."

كان وجه سيريل هادئاً وهو يقفز ويبعد مات برفق عن حفر الطريق وأعقاب أقدام العدائين المبطئين أمامهما. وبعد حين قال له: "استعد، فالطريق أمامنا صاعدة."

عندما مرّ العداءان وقف المشاهدون لرؤية الشاب الاسود القوي ورفيقه الابيض الاعمى وقد جمع بينهما حبل أحمر. وصرخ سيريل: "العداء الاعمى آت، تنحوا جانباً اذا سمحتم."

اجتازا حوالى كيلومتر داخل سنترال بارك منتفخي الصدر وأقدامهما تعلو وتهبط كمضخات. ورأى سيريل الراية

التي تبعد ثلاثة عشر كيلومتراً عن شمال شرق العاصمة بورت أوف سباين. وأمضى الفتى خمس سنوات في تلك المدرسة التي بدت له سجناً يروِّض فيه الاولاد لكي يصبحوا مستعدين لحياكة السلال وكراسي الخيزران في ورش الجمعيات الخيرية.

ثبطت عزيمة سيريل. فقد نظف وأصدقاءه حوض السباحة في المدرسة ثم طلوه وطلبوا استعماله. غير أن رغبتهم لم تلبَّ لأن معلميهم رفضوا مراقبتهم وهم يسبحون. وكان سيريل يشعر بحاجة ملحَّة الى الالتحاق بمدرسة ثانوية مجاورة، لكن طلباته لم تلق آذاناً صاغية. ووعد رئيس المدرسة بارسال بعض التلاميذ الى بريطانيا لامتحان دوزنة البيانو. لكن صعوبات مادية حالت دون تنفيذ هذا الوعد.

ارتفعت معنويات سيريل عندما التحق بالهيئة التعليمية أستاذ صفوف ثانوية يدعى روني وليمس وشرع في اعطاء دروس في الرياضيات والعلوم واللغة الاسبانية. أكب سيريل على دروسه معتمداً كتباً مدرسية مطبوعة بطريقة "بريل." وشعر أخيراً بروعة الانجاز. لكن الاستاذ لم يرَ الا أملا واحداً لذلك الفتى الذي بلغ السابعة عشرة، فقال له: "التحق بمدرسة مهنية، وسأدفع أنا رسوم التعليم."

دخل سيريل معهداً مهنياً ليتعلم السمكرة، ووجد عملاً في ورشة لتركيب المراحيض في مشروع سكني مجاور.

وكان خلال عطلة نهاية الاسبوع يلعب كرة القدم مع فريق محلي. كان يرى الملعب كأنما من خلال ضباب، إلا أنه ظل قادراً على تمييز ألوان قمصان زملائه في الفريق وعلى رؤية محيط الكرة. لكن بصره ازداد ضعفاً حتى بات عاجزاً عن رؤية الكرة، فاعتزل اللعب.

وللمرة الاولى، بكى سيريل.

وانتهت كذلك مهنته كسمكري وكانت مدعاة فخر بالنسبة اليه. فقد رأى متعهدو الورشة الحول والبياض في عينيه فسرَّحوه. ولما احتج على طرده التعسفي قال له أحدهم ساخراً: "أنتم العميان تتوسلون على الدوام."

وهكذا عاد سيريل الى الوظيفة التي كرهها أكثر من أي شيء آخر، وهي صنع السلال لـ"جمعية ترينيداد وتوباغو لانعاش العميان." وكان يكسب ٧٠ دولاراً كل أسبوعين، أي أقل من نصف متوسط الاجور في ترينيداد.

أفضل رياضي أعمى. ذات يوم زار مشغل الجمعية في بورت أوف سباين رجل أعمى يدعى آرشي ليكوك، كان هاجر من ترينيداد عام ١٩٧٢ الى الولايات المتحدة حيث نال شهادة ثانوية وأخرى جامعية، وحصل على درجة ماجستير في الموسيقى. وكان في الثانية والثلاثين، يدرس البيانو ويدير معهد موسيقى في فيلادلفيا بولاية بنسلفانيا. فبات ليكوك مصدر الهام بالنسبة الى سيريل.

في ابريل (نيسان) ١٩٨٧ تناهت الى

سيريل أخبار سباق منظم لمعـاقي ترينيداد مسافته ٣٦٠٠ متر ويرعاه "نادي عدّائي ترينيداد وتوباغو." وكانت الجائزة الاولى تعادل أجر أسبوعين. انه في حاجة ماسة الى المال، لكنه ليس عداء مسافات.

لدى إعطاء اشارة الانطلاق عدا سيريل كأرنب بري. ومكنته الاشجار الضخمة الممتدة على يمينه من الحفاظ على مساره. وأخذ يعدو بسرعة قصوى ثم يتمهل ليسرع ثانية. واجتاز خط النهاية بعد ١٣،٥ دقيقة ولما يظهر أي من المتسابقين.

بعد انتصاره أخذ يقطع ثمانية كيلومترات يومياً مع أعضاء في نادي العدائين. وكانوا يروون له قصصاً عن ماراتون نيويورك الشهير. وذات يوم سأله رئيس النادي أنطوني سلّوم: "هل تود الاشتراك في ماراتون نيويورك هذه السنة؟"

فأجاب سيريل: "أجل، أود ذلك كثيراً."

اتصل سلوم بزملاء له في العمل وبشركة الطيران المحلية و"نادي ميدان أخيل" للعدائين المعاقين، فجمعوا المال اللازم لارسال سيريل وستة ترينيداديين معاقين آخرين الى نيويورك في شهر نوفمبر (تشرين الثاني).

غمرت البهجة سيريل وهو يعدو للمرة الاولى في سباق ماراتون جنباً الى جنب مع مواطن له مبصر. واجتاز المسافة في ثلاث ساعات و٤٧ دقيقة، وهي نتيجة حسنة بالنسبة الى أي عداء يشترك للمرة الاولى. كما استحق ثناء ديك تروم وهو أبتر أنهى السباق على رجله اليمنى الاصطناعية. وقد قال له تروم وهو مؤسس "نادي ميدان أخيل": "إذا عدت الى نيويورك فتعال وتدرب معنا."

رجع سيريل الى ترينيداد. وفي مايو (أيار) ١٩٨٨ اتصل بآرشي ليكوك وسأله: "هل تسمح لي بالاقامة عندك؟"

فأجابه ليكوك: "تعال."

وبات سيريل يركب القطار كل ثلثاء من فيلادلفيا الى نيويورك. واشترك في سباق أقيم في متنزه "سنترال بارك" مع أعضاء ينتمون الى "نادي عدائي نيويورك." وقال ديك تروم لمدربهم: "أنت تنظر الى أفضل رياضي أعمى في العالم."

وفي فيلادلفيا أطال سيريل مسافة تمريناته تدريجاً. ولطالما شق ركبتيه واصطدم بأسيجة وتعثر بالافاريز. غير أنه سرعان ما بات قادراً على العدو ثمانية كيلومترات في الشوارع من غير أن يخطىء ويمر في شارع مرّتين.

"أني أرى!" استجاب سيريل لالحاح ليكوك ودرس باجتهاد ونال شهادة معادلة للدراسة الثانوية. وعمل في جز العشب ونشر الاشجار وفي ورش البناء ليكسب مصروفه الخاص. وفي ذلك الصيف تلقى تروم في منهاتن عرضاً مثيراً للاهتمام من الدكتور ريتشارد كوبلن وهو طبيب عيون ومدير مركز جراحة العين في مستشفى

الحمراء والبيضاء والزرقاء في خط النهاية. وقال له مات لاهثاً: "قل لي متى نصل يا سيريل."

وفوق الراية كانت الساعة تعد الثواني. فقال سيريل: "لا يزال أمامنا بعض خطوات... ها قد وصلنا."

بعد ثلاث ساعات و٥٢ دقيقة وثانيتين ارتفعت أيديهما منتصرة ووقف الحضور صاخبين ومهنئين العدّاءين اللذين اجتازا خط النهاية.

وتزوج سيريل خطيبته كارول، وهو يعيش اليوم في فيلادلفيا ويخطط لدخول الجامعة بمنحة يرعاها بيتر دنسن والد مات وزملاؤه في شركة تأمين. ويأمل سيريل أن يتخصص بالعلاج الفيزيائي ويعمل على المعاقين. وهو ما زال على عهده أن يكمل سباق الماراتون يوماً في أقل من ثلاث ساعات.

وفي هذا الشهر، نوفمبر (تشرين الثاني)، سيشترك سيريل في ماراتون مدينة نيويورك مرشداً لصديقه مات دنسن. ويقول: "نقدِّر أننا سنجتاز المسافة في ثلاث ساعات وعشر دقائق."

بيتر مايكلمور ■



شيء لا يصدق

تعطلت احدى الثلاجات في محل بيع الجيلاتي (آيس كريم) حيث أعمل، فنقلنا محتوياتها الى ثلاجة اخرى. وما لبث أن دخل زبون ووقف يقرأ اللافتة الملصقة على الثلاجة: "خالية من الكولسترول، خالية من الصوديوم، خالية من الوحدات الحرارية." ثم نظر الى الثلاجة فرآها فارغة فقال خائباً: "كنت أعلم أن هذه الصفات أروع من أن تصدَّق."

ومضى في سبيله.

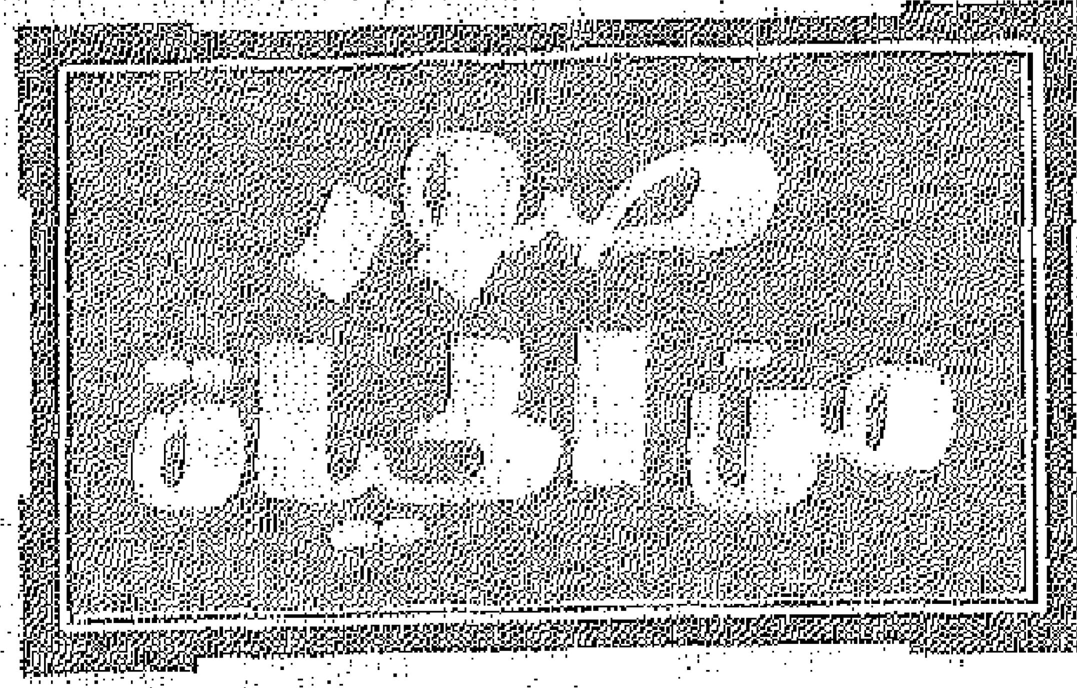
ل.ب.

استطلاع مصور

تعين على أحد أصدقائي اجراء استطلاع للرأي ضمن دراسة اجتماعية حديثة. فتمركز عند زاوية شارع يعج بالحركة وفي يده قلم ودفتر. لكن الناس كانوا يمرون به وهم على عجلة من أمرهم، لا يكترثون للتوقف والاجابة عن أسئلته. فعاد الى منزله خائباً.

لكنه لم ييأس. فعاد في اليوم التالي حاملا مذياعاً (ميكروفون) ومعه رفيق يحمل آلة تصوير فيديو. وهكذا تمكن، وهو ممسك بالمذياع وآلة التصوير تلتقط الوقائع، من تسجيل عشر مقابلات في عشر محاولات ناجحة، لأشخاص متبسّمين ولا تنمّ ملامحهم عن أي تبرّم أو عجلة.

ب.ك.



الزوج والريجيم

■ كان زوجي يتبع نظام حمية صارماً. وذات يوم حضرت قالب حلوى شهياً، فلم يتمالك نفسه والتهم قطعتين كبيرتين. فقلت له مؤنبة: "لا أصدق أنك أكلت قطعتي حلوى في يوم واحد." اجابني: "انك تنظرين الى الأمر من وجهة خاطئة. لقد تناولت قطعتي حلوى في مدى سنة واحدة."

م.ب.

شكراً لك!

■ استعارت ابنتي سيارتي يوماً للذهاب الى السوق. ولدى عودتها الى الموقف رأت ورقة تحت ممسحة الزجاج، وجاء فيها: "شكراً لك! قد تكونين الشخص الذي أنقذ حياة طفلي."
لكن دهشتها زالت حين رأت ملصقاً صغيراً على الزجاج في الداخل يفيد أنني تبرعت بخمسة ليترات من دمي الى الهلال الاحمر.

ج.ج.ل.

يانصيب لا يصيب

■ تراكمت قيمة الجائزة الكبرى في اليانصيب الوطني (لوتو) فبلغت ٢٠ مليون ليرة. فارتفعت حمى الاشتراك. وفيما أنا واقف في طابور طويل أنتظر دوري لشراء ورقة يانصيب رأيت رجلا يحمل كدسة نقود. وحين جاء دوره اشترى ٢٠ ورقة. وأطلق نهدة قوية وهمّ بالانصراف. قدرت أنه لم يكن محظوظاً، فقلت له مواسياً: "إن لم تلعب فلن تربح أبداً." اجاب: "ليس بعد الآن. فقد أنذرتني زوجتي قائلة: إن لم تربح فلن تلعب بعد اليوم."

د.س.

قهوة الصباح

■ ركبت الحافلة في طريقي الى العمل، فشاهدت في احدى المحطات رجلا يرشف فنجان قهوة. ولدى توقف الحافلة صعد اليها تاركاً الفنجان الفارغ على الارض. فاستغربت عمله، خصوصاً لأن الفنجان بدا من الخزف الغالي الثمن. وبعد أيام شاهدت الرجل ذاته يشرب القهوة ويضع الفنجان على الارض ثم يصعد الى الحافلة. واذ انطلقنا التفت الى الوراء فرأيت كلباً يحمل الفنجان بفمه عائداً الى البيت.

ف.أ.هـ.

القلوب الحمر

■ أعطى الطبيب البيطري صديقتي حبوب دواء لكلبها المريض، مع ملصقات في شكل قلوب حمر صغيرة تضعها على الروزنامة لتذكيرها بمواعيد اعطاء الدواء. فألصقت القلوب معلّمة السبت الاول من كل شهر. ولما شاهد زوجها القلوب الحمر تبسم ابتسامة عريضة وسألها: "هل تفكرين في شيء خاص بهذه الايام؟"

م.ل.ر.



لنلبِّ استغاثة الكتب
فهي رجاؤنا في استذكار
الماضي وصون إرثنا الثقافي لأجيال آتية

أنا الكتاب أنقذوني!

"كتبنا تموت!" صيحة أطلقتها أمينة المكتبة جاكلين سانسون وهي ترشدني الى الطبقات الاحدى عشرة في "المكتبة الوطنية" بباريس حيث يخزن نحو عشرة ملايين كتاب. أخذت تشير في كل رف الى ظرف بني واحد على الأقل عليه لصقة حمراء كتب عليها "لا تنزعه." ويحتوي الظرف على بقايا كتاب لا تحتمل ملامسة أيدي البشر. قالت مفسرة: "هاته الكتب موتى، وهذه قبورها."

وإذ مشينا بين الرفوف المتراصة سحبت سانسون كتباً كيفما اتفق. في بعضها صفحات اصفرّت أطرافها، وأخرى ذات صفحات بالية ومتشققة، وكتب تتمزق أجزاء اذ تفتح وتنحلّ نثاراً ضارباً الى السمرة.

PHOTO: THE INDIAN LAW REPORTS

تقول سانسون: "هذا أخطر الأوبئة في الزمان المعاصر. وليس في وسعنا أن نعرف أن الكتاب عليل إلا اذا نُزع من الرف الموضوع عليه. وكثير من الكتب ثاو في أماكنه لا يؤخذ. ومع ذلك ففي تقديرنا أن ثلث كتبنا عرضة للهلاك."

وزودني آخرون تقديرات تبعث على الأسى. اذ ان ثلث الكتب البالغ عددها ١٥٢ مليوناً في مكتبات البحوث بألمانيا الغربية ونحو ٩٠ في المئة من ١٧ مليوناً في المكتبات السويسرية أصابها تلف تدريجي. وذكرت مجلة "ساينس" في تقرير خاص أن قرابة مليون كتاب في المكتبات الأمريكية آخذة في التفتت والتحول نثاراً.

والمعضلة قديمة. ففي العام ١٩٠٠ أعلن ليوبولد دوليل مدير "المكتبة الوطنية" في مؤتمر دولي لأمناء المكتبات: "ان رداءة الورق ستؤدي الى تلف الوف الكتب في مستقبل قريب."

لكن أمناء المكتبات لم يبالوا بالتحذير وأخذوا يبحثون عن تعليلات أخرى لتلف الكتب. فأنحوا باللائمة على الحشرات ونور الشمس ودرجة الرطوبة والابخرة الكبريتية المنبعثة من المصانع والسيارات والازدياد المطرد في عدد القراء. كل هذه الامور أخطار سببت – وستسبب – ضرراً ذا شأن، غير أن المذنب الحقيقي ما لبث أن انكشف في الخمسينات. انه الحمض، أي إن التركيب الكيميائي للورق العصري هو الذي يدفعه الى تأكُّل ذاته.

الترياق المنتظر. ظهرت الكتب في القرن الأول للميلاد. وكانت عزيزة، مخطوطة باليد، تصنع من الرق والبرشمان النفيس. وكان انتاجها يستغرق وقتاً طويلاً، فكانت موضع تفاخر وتباهٍ، اضافة الى أنها وسائل للتعلم. وبحلول القرن الرابع عشر شاع في أوروبا الورق المصنوع من الالياف والخرق.[1] ثم اخترع غوتنبرغ المطبعة في القرن الخامس عشر، وبذا خفت ندرة الكتب، وإن ظلت مكلفة للعامة واقتناؤها حكراً على أقلية.

في القرن التاسع عشر فشت معرفة القراءة والكتابة، وازداد الطلب على الكتب والمجلات والصحف. ولم تفِ الخرق بالحاجة الى الورق، خصوصاً بعدما أدت الحرب الأهلية الأمريكية في الستينات من القرن التاسع عشر الى قطع الامدادات الأساسية للقطن في العالم. فابتكر العلماء وسيلة جديدة لصنع الورق من لب الخشب، وهو رخيص ومتيسر. وبذلك أصبح في وسع كل الناس اقتناء الكتب للمرة الاولى في التاريخ.

لكن الورق المصنوع من لب الخشب لم يمتص الحبر جيداً، فأضاف إليه المهندسون حجر الشب والراتينج الصمغي ليغدو سطحه أفضل. لكن ما لم يعلموه هو أن حجر الشب والراتينج يمتزجان بالاوكسيجين مع السنين، فتتشكل مركبات من الأحماض تلتهم الورق. إن الورق المصنوع من خرق يبقى

(١) ابتكر هذا الورق في الصين فجر القرن الاول.

سليماً لقرون، لكن ورق الخشب يصبح هشاً في وقت وجيز نسبياً، وذلك بحسب الطريقة التي صنع بها والبيئة التي حفظ فيها.

وارتقب أمناء المكتبات الترياق وكادوا يقطعون الأمل. يقول هانس روتيمان وهو بحاثة سويسري مشارك في بعثة أمريكية لحفز التعاون الدولي على انقاذ الكتب: "نحن نحرز الآن تقدماً على صعيدين. الأول حمل كبرى المكتبات في العالم على تبادل المعلومات في شأن أفضل سبل الانقاذ. والثاني ايقاظ تيار عند الجمهور للعناية بالمسألة يدفع الحكومات الى تمويل ذلك المسعى."

ويعزى معظم الفضل في ايقاظ ذلك الاهتمام الى الكاتبة الامريكية برباره غولدسميث التي بدأت قبل عشر سنين بحوثاً عن أسرة فاندربيلت لتضمينها كتاباً تعده عن غلوريا فاندربيلت المرأة الذائعة الصيت في العالم. ولدى تفقد الكاتبة سجلات تلك الاسرة، تبين لها أن المستندات المطبوعة قبل العام ١٨٥٠ في حال جيدة عموماً وقابلة للاستعمال، فيما المستندات المطبوعة بعد ذلك التاريخ تتشقق وتتساقط عند لمسها.

وتبين لغولدسميث أن صانعي الورق على علم بمفاعيل الحمض، لكنهم لا يعيرون الأمر اهتماماً، اذ ان واحداً في المئة فقط من الورق المصنع في العالم يتحول كتباً ذات جودة. واتضح لها أيضاً أن من الميسور، عقب دراسات أجراها أمين المحفوظات الامريكي وليم بارو في الخمسينات، صنع ورق قلوي خال من الأحماض يدوم الى أجل غير محدد وبالسعر الذي يكلفه الورق الحمضي.

وساهمت افادات غولدسميث ومقالاتها في إعلاء صيحات الاحتجاج. وانتاب الذعر زملاءها الكتّاب اذ علموا أن مؤلفاتهم ستؤول الى غبار، فشرعوا في الضغط على الناشرين. وفي مارس (آذار) ١٩٨٩ نشر على صفحة كاملة من صحيفة "نيويورك تايمز" اعلان ميثاق وقعه مئة من كتاب أمريكا وناشريها الكبار يناشد "باستعمال الورق الخالي من الاحماض في جميع الطبعات الأولى للكتب المغلفة بالجلد المقوّى.

في غضون ذلك تبين لمجموعات أخرى أن مصالحها معنية بالامر. اذ تكدّر أفراد السلك القضائي لخشيتهم أن تصبح محفوظاتهم القانونية في خطر. وقس ذلك على العلماء الذين لا غنى لهم عن سجلات الماضي.

خيار أوحد. بدأت الحكومات والمؤسسات الخاصة أخذ اجراءات ببطء. ففي بريطانيا تطبع اليوم كل الوثائق المحفوظة للبرلمان على ورق لا يبلى. والكونغرس الأمريكي عاكف على دراسة مشروع قرار ينص على طبع كل المستندات الحكومية على ورق خالٍ من الحمض، موصيا الناشرين بالاقتداء به.

وتحوّل الى الورق القلوي نحو ٤٥ مصنعاً كبيراً للورق في الغرب الصناعي. ففي النروج، مثلاً، سيكون معظم الورق

دلالة على الصنع الرخيص الذي لا يدوم طويلا.

غير أن تحول كل الصانعين الى انتاج الورق الخالي من الأحماض لا يفيد ملايين الكتب التي تجمعت فيها العلوم والمعارف منذ قرن ونصف قرن، اذ فات أوان حفظها. وثمة أعداد لا تحصى لا يمكن الحفاظ عليها كما هي ولا مناص من نسخها.

والنسخ الوحيد المتاح اقتصاديا على نطاق واسع هو التصوير على أفلام مصغرة،[٢] وهذه عملية طويلة وباهظة الكلفة تنطوي على تجزئة الكتب صفحة صفحة وتلقيمها آلة التصوير واحدة تلو أخرى. ويراوح متوسط كلفة تصوير كتاب واحد بهذه الطريقة بين ٥٠ دولارا و١٠٠ دولار، وبذا تبلغ تكاليف تصوير ملايين الكتب أرقاما فاحشة. واذا ما توافر المال فثمة معضلات لا يمكن تذليلها. ان مكتبة الكونغرس في العاصمة الامريكية واشنطن، مثلا، غير قادرة على تصوير أفلام مصغرة لأكثر من ١١ ألف كتاب من أصل ٧٠ الفا من الكتب المصنفة هشة كل سنة، فضلا عن ثلاثة ملايين ونصف مليون كتاب هش تتضمنها مجموعتها حاليا.

في السنين العشر أو العشرين المقبلة ستسهل التكنولوجيا المتطورة حفظ الكتب. اذ تعمد النظم الالكترونية الى تمثيل الحروف بأرقام تنقلها الى أقراص بصرية أو لينة أو أشرطة مغنطيسية،

(٢) Microfilming



مرمم بريطاني يعمل على كتاب تالف.

الرفيع التوعية قلويا في المستقبل. تقول غولدسميث: "في نهاية الأمر، الطلب المستديم على استعمال الورق الذي لا يبلى سيجعله الخيار الأوحد اقتصاديا وأدبيا. نحن ملتزمون حماية الكلمة المطبوعة، فهي أملنا الوحيد في استذكار الماضي والافادة من الحاضر وضمان ميراثنا الثقافي مستقبلا."

ان تحويل مصنع واحد يكلف ملايين الدولارات، وليس في وسع الاتحاد السوفييتي والهند والارجنتين والبرازيل وسواها من كبار منتجي الكتب تحسين جودة الورق. عرِّضوا للنور صفحة من الكتب السوفييتية أو الهندية المتداولة، تروا نتفا من جذور خشبية دقيقة هي

PHOTO: COURTESY OF THE BRITISH LIBRARY

فيتسنى آنذاك الحصول على نسخة من صفحة أو من كتاب كامل.

الحاجة ملحة الآن الى تحسين أساليب حفظ الكتب. ولعل "المكتبة الوطنية" في فرنسا حازت قصب السبق على عدد من كبرى المكتبات الاوروبية في تجديد الكتب.

نداء الى القرّاء. جلستُ في مشغل مركز الصيانة التابع للمكتبة في "سابليه – سور – سارت" جنوب غرب باريس، أرقب الشبان والشابات يمسكون الفرش والمدى والحبر والصموغ بأنامل رشيقة لاصلاح الصفحات المشوهة والتجليد المتضرر. انهم يستعملون الوسائل، قديمها وحديثها، لتجديد الورق المتجعد الذي نخره الدود ليرتد الى مظهره النضر الذي يتحلى به حين خروجه من المطبعة غضاً. وقد تمكن فنيو "المكتبة الوطنية" بعد ٩٠٠ ساعة عملا من تجديد المخطوطة الاصلية لرائعة فيكتور هوغو "البؤساء."

لكن إنقاذ أكداس الكتب يستلزم اجراءات أسرع. ومن حسن الحظ أن في الامكان اليوم تقوية الكتب والوثائق بحشر صفحاتها بين طبقتين من غشاء شفيف بالغ الرقة من مادة "بوليياميد." وفي سابليه تزال الحموضة من الكتب قبل اتمام هذه العملية باستعمال وسيلة ابتكرت في كندا وطوّرها "المركز الفرنسي لبحوث حفظ الوثائق التخطيطية." بهذه الطريقة "يخبز" نحو ٥٠ كتابا دفعة واحدة داخل فرن لخفض درجة رطوبتها. بعد ذلك تغمس في مغطس من مركّب الكربونات والمغنيسيوم والمثيل[٣] الذي يبطل مفعول الأحماض الموجودة في الورق مشكلاً أساساً قلوياً يمنع نشوء تلك الأحماض مستقبلاً.

ويتوقع جان ماري آرنو المشرف على هذه العمليات معالجة نحو ألف كتاب في اليوم قريباً بهذه الطريقة.

وكانت مكتبة الكونغرس الأمريكي ابتكرت برنامجاً أكثر طموحاً في منتصف الثمانينات. فوضعت ألوف الكتب في حجرات مفرغة من الهواء: يضخّ الهواء ومعظم الرطوبة من الحجرة، ثم يتدفق عليها غاز النيتروجين صرفاً. بعد ذلك تملأ الحجرة بغاز الزنك الثنائي الأثيل[٤] الذي يبطل مفعول الاحماض ويتفاعل مع الرطوبة المتبقية في الكتب لتشكيل طبقة رقيقة من أوكسيد الزنك تقي الورق التلف التدريجي الذي قد يسببه الحمض في المستقبل. وفي نهاية المطاف يُدخل بخار الماء الى الحجرة لاعادة النداوة واللدانة الى الكتب. وبعد ٥٥ ساعة من المعالجة تُردّ الكتب المعافاة الى رفوفها. وترتقب مكتبة الكونغرس ازالة حمض نحو مليون كتاب سنوياً بنهاية ١٩٩٢. وهذا أكبر برنامج من نوعه.

إن الابحاث حول التقنيات المتطورة تنمو باطراد. ويجري ديفيد كليمنتس المدير المسؤول عن وقاية الكتب في

(٣) Methoxy — methyl magnesium carbonate

(٤) Diethyl zinc

"المكتبة البريطانية" اختبارات على عملية تتضمن معالجة الكتب جميعاً بمواد كيميائية وإمطارها بأشعة "غاما" لزيادة قوة الورق عشر مرات واطالة عمره. كما يتولى جيرار بانيك المسؤول عن الصيانة في "المكتبة الوطنية" النمسوية، تجميد الصحف ٦٠ ساعة بعد وضعها في مغطس كيميائي، معالجاً بذلك مئة ألف صفحة أسبوعياً. وابتكر القائمون على حفظ الكتب في مكتبة "دويتش بوشيري" في ليبزيغ بألمانيا وسيلة ممكننة لفلق الصفحة رقاقتين وادخال طبقة مقوية من نسيج رقيق بينهما.

أساليب الوقاية تلك مهمة جداً، ولكن نحن القراء لنا دورنا أيضاً. يقول جان ماري آنو: "الكتاب يناجينا من الماضي، ويستشرف لنا المستقبل، وهو يستحق أن نرعى حرمته."

وتقر فرنسواز فيلدر رئيسة "المركز الفرنسي لحفظ الوثائق" المقترحات الآتية لرواد المكتبات: "لا تأتوا بالطعام والمشروبات الى حجرات المطالعة. ولا تنزعوا الصفحات أو تسطروا تعليقات على حواشيها. ولا تفسخوا التجليد لتستطيع الكتاب من أجل استنساخه." علينا، اجمالا، أن نضع نصب عيوننا اعادة الكتب الى رفوف المكتبة في الحال ذاتها كما أخذناها.

باتباع هذه القواعد البسيطة نؤدي قسطنا في الحفاظ على الكتب وإطالة عمر ميراثنا الثقافي.

روبرت فرنيك ■

لورنس أوليفييه

يخصص "مسرح أوليفييه" ضمن "دار المسرح الوطني الملكي" البريطاني ثلاثة صفوف أمامية تدعى "مقاعد الامواج." وقد اصر مؤسس المسرح اللورد لورنس اوليفييه على تخصيص هذه المقاعد للذين يقفون في الطابور باكراً لشراء البطاقات الاربعين المعروضة للبيع صباحاً. فهو رأى ان مكافأة روّاد المسرح المتحمسين بادرة ضرورية، ولكن كان لديه دافع خفي آخر: فاذا كان شُراة هذه البطاقات الصباحية من هواة المسرح المتحمسين، فغالب الظن أنهم سيكونون اكثر تجاوباً مع المسرحية من غيرهم، فيضحكون للمشهد الهزلي ويبتئسون اذا كان المشهد حزيناً. وتموج هذه الاحساسيس والعواطف منتقلة الى سائر المشاهدين وضامنة جوّاً مسرحياً جيداً.

إ.ب.

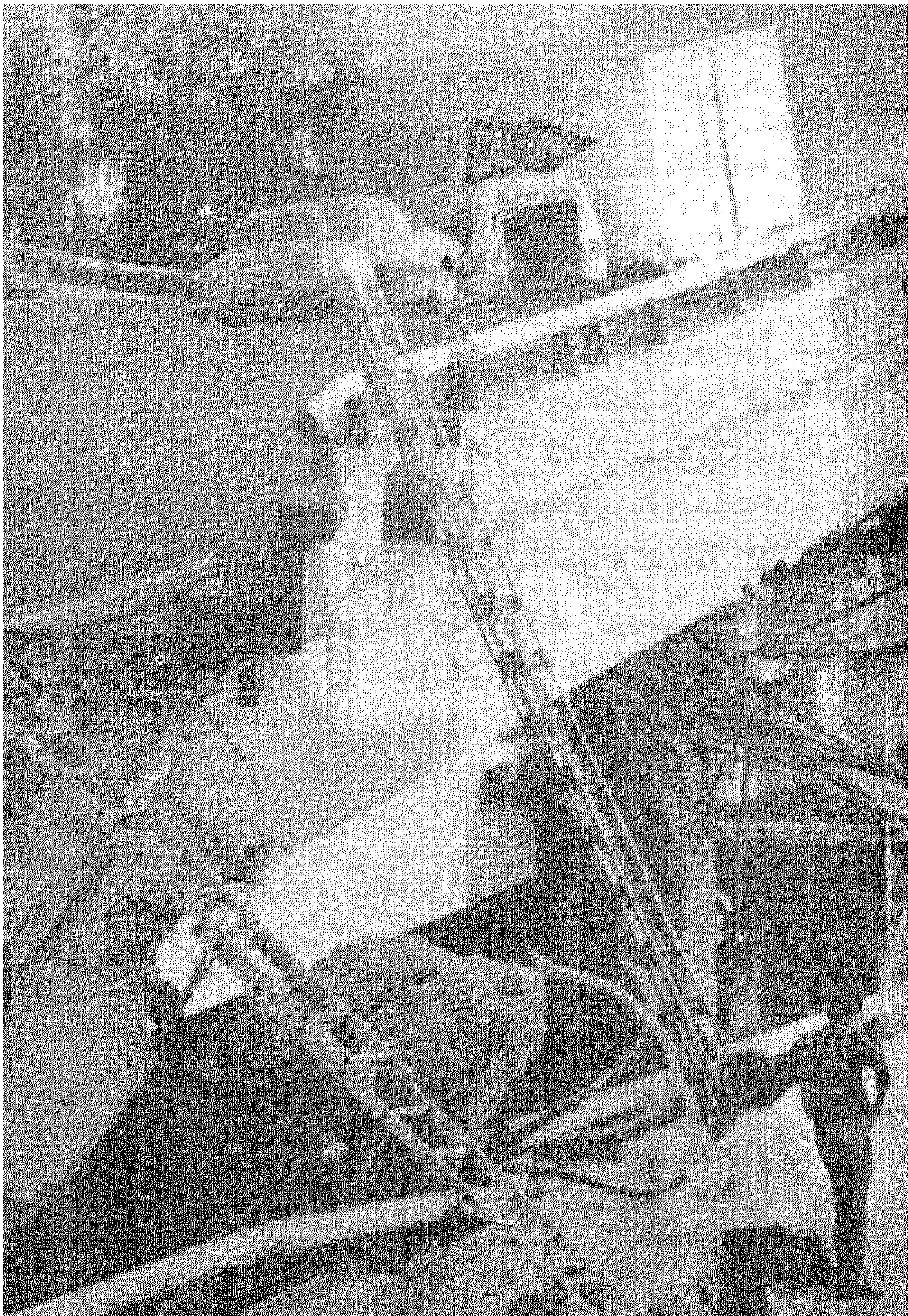
لصوص ذوّاقون!

ذات صباح وصل طالب الى معهد الرسم متأخراً وغاضباً. وأخبرنا أن لصوصاً اقتحموا شقته وسرقوا جهازي التلفاز والستيريو واشياء ثمينة أخرى. فحاولنا مواساته، لكنه فاجأنا بالعبارة الاتية: "أسوأ ما في الامر أنهم سرقوا كل شيء الا رسومي."

د.ك.



PHOTO © PAUL SCOTT / SYGMA



الزلزال

في ١٧ أكتوبر (تشرين الاول) ١٩٨٩ ضرب شمال كاليفورنيا زلزال عنيف رصد موقعه في صدع على عمق ١٨ كيلومتراً تحت سطح الارض. فخلّف ٦٣ قتيلا و٣٧٠٠ جريح وأحدث أضراراً في الممتلكات قدرت بمليارات الدولارات وشرّد ألوفاً تهدمت منازلهم وباتوا من دون مأوى.

لفّت غلالة قاتمة من الحزن واليأس مدينة سان فرنسيسكو، تلك الدرّة المتلألئة على الشاطىء الغربي للولايات المتحدة. وتبيّن أن الكارثة البشرية الكبرى وقعت في أوكلاند، الى الشرق عبر خليج سان فرنسيسكو، حيث انهار جزء زاد طوله على ١٦٠٠ متر من جسر عملاق ذي طبقتين. وحصل الانهيار في أوج زحمة السير، فأغرق المكان في جحيم من الهول لم يشهد نظيره تاريخ الكوارث في أمريكا.

وتحولت "نيميتز فريواي" كابوساً رهيباً من الرعب والموت والدمار وتجلّت فيها البطولة في ذروة روعتها وعطائها.

الثلثاء ١٧ أكتوبر (تشرين الاول) ١٩٨٩، الساعة ٥،٠٤ بعد الظهر.

منذ ١٤ سنة يجوب جون ديفريتاس طرق كاليفورنيا الرئيسية في شاحنة قاطرة، ولم يقع له حادث. وهو قطع ما يزيد على مليون ونصف مليون كيلومتر من دون أن ينظم في حقه محضر مخالفة لقانون السير.

ديفريتاس في الاربعين، وهو من جزيرة أروبا الهولندية الصغيرة في البحر الكاريبي. عيناه يقظتان وله لحية عارمة وخطّها الشيب. انه يحب قضاء أوقات طويلة

مع زوجته وأولاده، ويحلو له صنع المجوهرات الغنية بالالوان وعزف الموسيقى الشعبية.

في هذا النهار كان ديفريتاس متجهاً جنوباً في شاحنته على الطبقة العليا من "نيميتز فريواي"[1] وهي طريق قديمة ضخمة تصل جسر "باي بريدج"[2] بين سان فرنسيسكو وأوكلاند بعدة طرق رئيسية توصل الى المجمّعات السكنية الكثيفة جنوب أوكلاند وشرقها. فالطبقة العليا من الطريق خاصة بالسيارات المتجهة جنوباً، بينما تسلك الطبقة الدنيا السيارات المتجهة شمالا والى جسر "باي بريدج."

تحت هاتين الطبقتين تتقاطع الشوارع في غرب أوكلاند، أفقر الاقاليم في منطقة الخليج. ولاكثر من ثلاثة عقود كان المتنقلون يومياً في سياراتهم ينظرون الى أسفل حيث الشوارع الفقيرة، وكان سكان هذه الشوارع يتطلعون الى أعلى ليشاهدوا السيارات اللماعة تئز منطلقة فوقهم. ونادراً ما تلاقى شعبا هذين العالمين المتباينين.

في الخامسة عند الاصيل كانت طريق نيميتز مكتظة، كالعادة، بالسيارات والشاحنات. وكان ديفريتاس بين ألوف المتنقلين يومياً عائداً الى منزله لمشاهدة مباراة متلفزة في البايسبول (كرة القاعدة) بين فريق أوكلاند (وهو من أنصاره) وفريق سان فرنسيسكو "جاينتس." وكانت تلك المرة الاولى في تاريخ لعبة البايسبول يتقابل الفريقان متنافسين على بطولة العالم. وكان ديفريتاس متأخراً قليلا والمباراة على وشك أن تبدأ.

شهد ديفريتاس خلال قيادته الشاحنات حوادث اصطدام وجنوح مخيفة على الطرق الرئيسية صيَّرته حذراً حريصاً، حتى انه وضع خطة خاصة به في حال تجاوز شاحنته حاجز الجسر واندفاعها محلّقة في الفراغ. وكان يستحضر هذا المنظر الخيالي مراراً وهو يقود شاحنته على طرق كاليفورنيا. والآن، فيما هو يقترب بشاحنته من طريق نيميتز بسرعة ٩٠ كيلومتراً في الساعة، سمع عبر جهازه اللاسلكي صوت سائق يعرفه يعمل على بعد ٦٥ كيلومتراً جنوباً، قرب مدينة سان هوزيه يهتف: "إننا نتعرض لهزة أرضية قوية."

وردّ سائق آخر: "ليس الأمر مزاحاً."

في تلك اللحظة رأى ديفريتاس مشهداً مذهلا، اذ راح الاسفلت أمامه يتموج كأفعى ضخمة سوداء، ثم بدأ يتساقط عليه كأمواج بحر ثائرة زاد ارتفاعها على متر.

تطايرت السيارات في كل اتجاه كلعب مترنحة على سكة حديد للاطفال. واختفى بعضها عندما انشقت الطريق وابتلعتها، فيما انطلقت أخرى كصواريخ في الهواء

(١) Nimitz Freeway والـ"فريواي" طريق رئيسية.

(٢) Bay Bridge

وسقطت الى جانب الطريق. وما ان ضغط ديفريتاس دواسة الكابح حتى عبرت "موجة" الاسفلت الاولى تحت شاحنته فرفعت مقدمها في الهواء، ثم مالت الطريق نحو ٣٠ درجة الى يساره وعجز عن السيطرة على عجلة القيادة وابقاء شاحنته على الطريق.

وما هي الا ثوان حتى رأى ديفريتاس نفسه مندفعا مباشرة الى حافة الطريق. وتواثبت الشاحنة فوق الاسفلت المتكسر واصطدمت بالحاجز واخترقته. في تلك اللحظة نفَّذ الخطة التي أعدها لمثل هذه الحال الطارئة والتي لم يتوقع اللجوء اليها يوماً. في لمح البصر فكّ عنه حزام المقعد وارتمى على ظهره في أرض الشاحنة تحت عجلة القيادة وستر وجهه بيده اليمنى فيما اولج اليسرى تحت المقعد وأمسك بالنوابض للثبات.

في هذا الوضع أحس ديفريتاس بالشاحنة القاطرة تحطم حاجز الطريق وتندفع محلقة في الهواء. فتنبه الى حمولة مادة مرقِّق الدهان السريعة الالتهاب التي كان ينقلها، وأدرك أن شاحنته قنبلة مندفعة على علو ١٥ متراً وستنفجر لدى سقوطها. فأغمض عينيه وهتف: "ساعدني يا رب! ساعدني يا رب!"

زوجة موؤودة

كانت دوروثي فرانز أوتو عائدة الى منزلها في اقليم مارين في الجهة المقابلة من الخليج، متجهة في سيارتها شمالا عبر الطبقة السفلى من طريق نيميتز. اتصلت بزوجها عبر هاتف سيارتها لتعلمه أنها في طريقها الى المنزل. وكانت أوتو جدة في الثالثة والاربعين، وقد اقتحمت عالم الاعمال وتغلبت على مصاعبه ونجحت كبائعة متفوقة ومكافحة شرسة تنعشها المنافسة أينما وجدتها. وهي اتسمت بالمرح والحيوية، واستهوتها صفقات البيع وشحذت همتها ونشاطها منذ حداثتها في غرب بنسلفانيا. وكان سبب تأخرها في العودة الى المنزل، كما ابلغت الى زوجها، هو اتمامها صفقة بيع اضافية بعد دوام العمل.

لم يكن هناك ما يبطىء دوروثي عادة. ولكن هذه المرة أوقفها سقوط دعامة من الاسمنت على سيارتها تزن ٢٠٠ طن، وهي واحدة من عشرات الدعائم التي سقطت من الطبقة العليا على السيارات في الطبقة السفلى. وكانت هذه الدعائم تسند ١٢٨ جزءاً من الطريق ويزن كل جزء ٦٠٠ طن. والدعامة التي سقطت متعارضة على سيارة أوتو سحقت المقدم ومعه المحرك حتى الحاجب الزجاجي، فتحول للحال كتلة متمعجة من الحديد لا تتعدى سماكتها ١٠ سنتيمترات.

لكن دوروثي أوتو نجت بأعجوبة من موت محقق على بعد بضعة سنتيمرات. الا ان

حظها ابى الا أن يتعثر، فقد طمرتها شرائح اسمنت انهالت حولها بكثافة ففجرت اطارات السيارة وخزان الوقود.

رأت دوروثي نفسها دفينة بين الركام تحوطها ظلمة يمتزج بها دخان. فاتجه فكرها الى زوجها. فتناولت قصاصة ورق كتبت له فيها رسالة تنبئه أنها نجت من الكارثة لكنها تخشى احتراق السيارة لأنها مبللة بالوقود والدخان يتصاعد منها.

اكتنفت الظلمة دوروثي وأطبق عليها سكون قاتل، وحبس عنها الركام صراخ الرعب والالم وأنين المصابين. وداخَلها أنها ستموت حتى وان تمكن رجال الانقاذ من الوصول اليها، لانها كانت "معلَّبة" باحكام في سيارتها بحيث يتعذر سحبها بسهولة. وهي أرادت أن يعلم زوجها جاك أنها تحبه. وبعد أسابيع عثر على الرسالة ملطخة بالدم.

في منزل آل أوتوفي في سان رافاييل اطمأن جاك الى أن دوروثي لن تصل قبل ساعة، فجلس لمشاهدة التلفاز والاستماع الى أخبار الخامسة بعد الظهر. وعند وقوع الهزة كاد عنفها يقذفه عن الأريكة. فتمالك ذاته وقوَّم الاضرار الطفيفة التي لحقت بالمنزل وحسب نفسه محظوظاً لعدم انقطاع التيار الكهربائي.

وفيما هدأ روعه بدأت الاخبار تتوالى على التلفاز. فراح يقدّر موقع دوروثي في الساعة ٥،٠٤ استناداً الى الوقت والمكان اللذين اتصلت منهما. وعرف أنها ستسلك طريق نيميتز شمالا على الطبقة السفلى التي تحولت مسرحاً داميا لفاجعة رهيبة.

قدَّر جاك أن زوجته هي حيث عرض التلفاز في نشرة الأخبار مشهد الدخان الاسود يتصاعد من جانبي طريق نيميتز المدمرة. فاذا كانت دوروثي هناك فمن المستحيل بقاؤها حية.

ثوانٍ في الجحيم

في عمق جبال سانتا كروز الباعدة ١٠٠ كيلومتر من جنوب سان فرنسيسكو، تفجرت أحشاء الارض في جوار مستوطنة صغيرة تدعى "بوني دون." فعلى عمق ١٨ كيلومتراً تحت سطح الارض، بالقرب من قمة لوما بريتا، رُصد احتكاك لوحين تكتونيَّين[٣] متقابلين على جهتي صدع سان أندرياس،[٤] بحيث "تطاحَنا" مسافة مترين أفقياً ومتر عمودياً. فانطلقت هزة أولية استمرت ١٥ ثانية وأطلقت فيضاً عارماً من الطاقة الهائلة يعادل ٥٠٠ ألف طن من المواد الشديدة الانفجار.

(٣) Geotectonic plates . والتكتونية هي عملية التشويه التي تغير شكل قشرة الارض محدثة القارات والجبال وسواها.

(٤) San Andreas Fault



سحقت هذه السيارة عندما سقط جزء من الطريق.

وماجت أحشاء الارض كفراش مائي عملاق، واهتزت قشرتها بعنف رهيب. وعلى سطح الارض فوق بؤرة الزلزال اقتُلعت أشجار السيكويا الحمراء العملاقة وتقاذفتها الهزة صعوداً ونزولا كأنها وحوش ضخمة تتراقص في الهواء. وظهرت شقوق وفجوات فاغرة كأشداق الضواري يزيد عمقها على مترين.

امتد الزلزال شعاعياً في دوائر كالتي تنداح على صفحة الماء حين تُرمى بحجر، وفي سرعة تقارب ٢٠ ألف كيلومتر في الساعة. واجتاحت هذه القوة الراعدة البلدات والمدن المجاورة، فدُمّر الوسط التاريخي من مدينة سانتا كروز وانهارت المنازل في المنطقة وانتُزعت ألوف المداخن كأن يد جبار اقتلعتها. ونزلت أفدح الأضرار بمدن مثل لوس غاتوس ودافنبورت وأبتوس وواتسونفيل حيث أصبح ألوف السكان بلا مأوى.

واجتاح الزلزال الذي بلغت سرعته ستة كيلومترات في الثانية ملعب "كاندلستيك

PHOTO: © CHUCK NACKE / PICTURE GROUP

بارك" حيث احتشد ٦٠ ألف متفرج لمشاهدة المباراة الاولى في سلسلة المباريات السبع لنهائيات البايسبول العالمية.

وما هي الا ثوان حتى كان امتد الزلزال الى سان فرنسيسكو فدمّر منطقة "مارينا." وكانت أبنية كثيرة في تلك الواجهة البحرية مبنية على قواعد من الردم، فتحول هذا الردم مادة شبيهة بالهلام. لا تدعم شيئاً. ويدعو الجيولوجيون هذه الظاهرة "تميُّعا" اذ تتحول مواد الردم - رمل ووحل وحطام ممزوجة بالماء المتسرب - عصيدةً تشبه الرمل المتحرك. ولو وُضعت هذه المواد في خفّاقة مطبخ لأعطت النتيجة ذاتها. لذا انهارت مئات المنازل الفخمة اذ تحولت أساساتها وحلاً مائعاً.

واندلعت الحرائق في أماكن عدة من المدينة، وأكبرها حريق هائل شب في احدى مجموعات الابنية المتلاصقة في منطقة "مارينا." ذلك الحريق الذي غذته أنابيب الغاز المكسورة، عرض لساعات على شاشات التلفزة وأعطى انطباعاً خاطئاً أن قسماً كبيراً من سان فرنسيسكو ذهب طعاماً للنيران.

وتمايلت ناطحات السحاب العصرية في الوسط المالي بسان فرنسيسكو كالقصب في مهب الريح. وهي ربما كانت الابنية الاكثر أماناً ضد الزلازل في العالم كله. وانهمر حطام الزجاج وتناثر في الشوارع التجارية تحتها. وطغا على سكان هذه البنايات العملاقة المترنحة، وهم يتطلعون الى الخارج، خوف من ارتطام الواحدة بالاخرى المجاورة لها، ومن انهيارها على الارض بمن فيها.

وتتابعت التموجات العنيفة، فضربت ركائز جسر "غولدن غيت" الشهير فتمايل المعبر العظيم. وعندما هدأت الهزات شاهد سائقو السيارات من بعد سحب الدخان والغبار متصاعدة في سماء سان فرنسيسكو الغارقة في عتمة قاتمة.

وبعد دقائق شُعر بالهزة في لوس انجلس جنوباً ونيفادا شرقاً وأوريغون شمالاً. وبعد جمع المعلومات حدد العلماء قوة الزلزال بـ٧،١ درجات في مقياس ريشتر،[٥] وأطلق عليه اسم "لوما بريتا" نسبة الى المكان الواقع مباشرة فوق بؤرة انطلاقه. وتبيّن أنه الاقوى الذي ضرب منطقة رئيسية في الولايات المتحدة منذ الزلزال الذي دمّر سان فرنسيسكو عام ١٩٠٦ وكان أقوى كثيراً من زلزال ١٩٨٩.

لكن أفدح الاضرار وقع في شرق سان فرنسيسكو. فعلى جسر "باي بريدج" تطايرت السيارات كلعب في الهواء حين عصفت الهزة بالمداميك وانفصمت الصوامل في أحد أقسام الجسر مما أدى الى سقوط الطبقة العليا على الطبقة السفلى. وقتلت

(٥) مقياس ريشتر نظام يسجل قوة الزلازل متدرجة من صفر الى ٨،٩ درجات. وكل زيادة من درجة واحدة تعني زيادة قوة الزلزال عشرة اضعاف.

سائقة قُذفت سيارتها خارج الطريق من علو ١٥ متراً وتحطمت في الاسفل.

ووقعت "المجزرة" الكبرى بعد "باي بريدج" مباشرة حيث سوّى الزلزال بالأرض قسماً من طريق نيميتز الثنائية على امتداد كيلومترين، مما أدى الى مصرع ٤٢ شخصاً من أصل ٦٣ كانوا حصيلة قتلى الزلزال.

ولكن، اذا تجاوزنا الاحصاءات والكارثة البشرية المهولة، فسيذهلنا ما أبداه سكان هذه المنطقة البحرية الموبوءة بالجريمة والبطالة والمخدرات، من بطولة رائعة قل نظيرها.

أبطال الشوارع

أطبق شطرا طريق نيميتز باحكام هائل، كأنهما شطيرة (ساندويش) ضخمة. فسحقتا كل ما كان بينهما وتحولتا نعشا محكم الاقفال. فتفجر الوقود في خزانات السيارات والشاحنات فاشتعلت، واحترقت العجلات المطاطية. وتسرب الدخان الاسود الكثيف من جوانب "الناووس" الهائل. وكان أفظع ما طالع أول الواصلين الى مكان الكارثة منظر الدم ينساب من بين شطري الطريق المنهارة.

لحظة وقوع الكارثة كان إميليو لوبيز (٢٨ عاماً) وهو منجد أثاث، في منزل والدته القريب من طريق نيميتز. وبدا له أن العالم كله أنهار حوله في لحظة خاطفة. والتجأ وليم ماكلروي (٥٢ عاماً) وهو صانع مراجل، الى منزله القريب لدى مشاهدته طريق نيميتز تتداعى وتنهار. واذ انجلى غبار الاسمنت وحلت سحب الدخان الاسود، هرع لوبيز وماكلروي الى الموقع مع أصحاب مروءة كثيرين من القاطنين في الشوارع القريبة، وشكلوا فرق انقاذ فوري. قال لوبيز: "كان هؤلاء الضحايا في حاجة ماسة الى مساعدة فورية. ولم يكن هناك سوانا لأداء هذا الواجب. فعملنا أقصى ما قدرنا عليه."

وفي بعض الاماكن على طريق نيميتز انطبق الشطران ثم انهارا معا متحطمين على الشوارع تحتهما. وفي مواقع أخرى شوهد شطر من الطبقة العليا مرتكزاً على الطبقة السفلى ومعلقاً على ارتفاع ثمانية أمتار في الهواء. وشوهد أيضاً قسم من الطبقة العليا منهاراً على الطبقة السفلى ومائلا بزاوية ٤٥ درجة.

ولم يؤهل التدريب على مكافحة الكوارث أحداً لمواجهة هذا الكابوس المرعب الذي اجتاح شوارع أوكلاند.

وبعد استقرار كتل الصلب والاسمنت الضخمة وتوقفها عن السقوط خف لوبيز وماكلروي وكثيرون غيرهم الى العمل. ولم تتسنَّ لهم معرفة عدد المترجحين بين الموت والحياة تحت أنقاض الهيكل المتهدم الذي ظلَّل جوارهم لثلاثة عقود. ولكن

تناهى اليهم صراخ الألم والاستغاثة وحشرجة المحتضرين التي تقطع نياط القلوب، من المدفن الهائل المغلّف بالاسمنت.

وعلى امتداد الطريق ارتفعت ألسنة النار وسحب الدخان الاسود من غابة قضبان الصلب الملتوية كعيدان المعكرونة والناتئة في كل الاتجاهات. وخرج بعض المحظوظين الناجين من سياراتهم في الطبقة العليا الى حافة الطريق صارخين طالبين النجدة. وحاول بعضهم الهبوط على قضبان الصلب المثلّمة الملتوية، فيما علق آخرون في شرك لا نجاة لهم منه الا بالقفز الى الارض من علو ١٥ متراً.

كان من الواضح للمنقذين وللضحايا أن الهيكل قد ينهار الى الارض في أي لحظة. وما هي دقائق حتى رُفعت السلالم واستُحضرت معدات الرفع والقطع والتحريك والرافعات الضخمة القوية والحبال للوصول الى أعلى، وانزال المصابين الى الأرض.

كان المنقذون الذين تسلقوا الهيكل المتهدم رجالا عاديين يقطنون في المنازل المجاورة ويفتقرون الى الخبرة والتدريب على الانقاذ. وكان اعتمادهم كليا على بداهتم ونباهتم وحسن ادراكهم التي كانت لهم في هذه المرحلة الاولى العصيبة خير بديل. وهم استعانوا بالمطارق والمقاطع والعتلات ورافعات السيارات وخلّصوا كثيرين من تحت الركام. فكانوا يجتنبون ألسنة اللهب والفجوات الخطرة ويأتون بالمصابين الذاهلين الى حافة الطريق حيث يتلقاهم آخرون وينزلونهم الى الارض. وفي بعض الحالات كانوا ينزلون الجرحى بالحبال. وهم استعانوا بأخشاب من مخزن مجاور لفتح أبواب السيارات وسحب المحتجزين فيها، وهدأوا من روعهم وقدموا اليهم الاسعافات الاولية.

وظل الهيكل يئن على امتداد كيلومترين فيما تابع هؤلاء المنقذون، أبناء الشوارع، عملهم البطولي بعزيمة لا تعرف الكلل. وكانت كل حركة منهم للوصول الى ضحية وانتشالها، تحمل خطراً داهماً. ولم يغب عن بال معظمهم أن البناء قد يكمل انهياره ويدفنهم تحت أنقاضه. لكنهم آثروا تجاهل هذه الفاجعة المحتملة.

وفي حالات عجزهم عن بلوغ المصابين بجروح قاتلة وانقاذهم، شفعوا جهودهم بمؤاساتهم واقتباس كلمات مشجعة عن الحياة وحتمية الموت. وغابت الفوارق الواسعة بينهم في الثروة والجاه والمقام، وحل مكانها قاسم إنساني مشترك.

وفي مجال الشجاعة والعطف، لم يكن في عداد من توافدوا لاحقاً للانقاذ من برّ هؤلاء المتطوعين الذين كانوا أول الواصلين الى مسرح الكارثة.

لم يتوقفوا عن المساعدة ساعة وصول الاطفائيين المحترفين والمسعفين الطبيين. قال الملازم الأول جون أيرونسايد أحد رجال الاطفاء الاوائل الذين وصلوا الى نيميتز فريواي: "كان هناك جيش من الناس يقوم بكل الاعمال اللازمة. ولما بدأنا عملنا

تنحوا ووقفوا جانباً في حال جهوز لتلبية الاوامر، كازالة كتل الاسمنت الضخمة ورفع المصابين من سلال الانقاذ وانزالهم الى الارض."

وأضاف الملازم الأول روبرت برامانتي: "بصراحة، لا أرى كيف كنا سننجح لولا هؤلاء المتطوعون. ولن يعرف أحد عدد الناس الذين أنقذوهم."

حيث لا يجرؤ الآخرون!

مارتي كودي (٣٠ عاماً) مسعفة طبية مرحة ذات شعر فاحم وعينين سوداوين ثاقبتين. طولها ١٦٠ سنتيمتراً ووزنها ٥٠ كيلوغراماً، وتتميز بقدرتها على الزحف الى الفجوات الضيقة الصغيرة وسط الركام حيث تبقى مع المحتجزين، تعتني بهم وترعاهم الى أن تتاح سبل لانتشالهم وانقاذهم. وتتمتع كودي ببنية قوية، وهي مدرّبة تدريبا حسناً. وخلال أربع سنوات من عملها مسعفة طبية استحقت احترام زملائها في هيئة "الاسعاف المتحد" في أوكلاند.

يقول رئيسها بروس هاغن: "انها تتمتع بشخصية قوية شجاعة، ويمكننا الاعتماد عليها في كل الاوقات."

كانت مارتي من أوائل المسعفين الطبيين الذين وصلوا الى مكان الكارثة. وعملت في الساعة الاولى على انتشال ضحايا من أماكن صعبة، متمعّجة الى أماكن يعجز سواها عن الوصول اليها. وكانت باكورة نشاطها التسلّق الى حافلة كانت تنقل ثماني نساء عائدات من عملهن في المركز الطبي بجامعة كاليفورنيا في سان فرنسيسكو، وكانت خمس منهن فارقن الحياة لدى وصولها. لكن المنقذين الذين تبعوها استطاعوا نقل الثلاث الباقيات الى عربات الاسعاف.

ثم دعاها هاغن الى مهمة بالغة الصعوبة في عمق أحد المواقع المنهارة والمسوّاة بالارض. فربما أمكن انتشال مصاب من سيارته المسحوقة اذا أمكن انتزاع عجلة القيادة. استلقت مارتي على ظهرها وأخذت تنشر عجلة القيادة بمنشار معدني. ولم تكن هناك فسحة للمنشار، فأمسكت الشفرة بأناملها وراحت تحزّ. واستهلكت أربع شفرات قبل أن تنشر العجلة وتحرر الرجل.

ولم تأخذ دقيقة راحة واحدة، بل عكفت على استكشاف الدمار والحطام بحثاً عن أحياء. فأقحمت جسدها بين كتلتي اسمنت تشعبت منهما قضبان مثلّمة من الصلب، وانزلقت كأفعى على بطنها الى عالم مغلق يسوده هدوء مريب ولا يسمع فيه سوى موسيقى راديو أو صوت منبّه لباب مفتوح في سيارة مطمورة. ومن حين الى آخر كان ضوء جانبي يومض منيراً ظلمة الفجوة. وتعين على مارتي التمعّج والتلوي في أماكن لا يزيد ارتفاعها على ٣٠ سنتيمتراً مما اضطرها الى نزع خوذتها الواقية.

في هذا المدفن الاسمنتي الرهيب شاهدت مارتي مناظر فاجعة غابت عنها خلال عملها كمسعفة طبية في شوارع أوكلاند: فهنا برك من الدم القاني، وهناك نتف من أجساد ممزقة. وعلى رغم قساوة تلك المشاهد لم تهن عزيمتها. وهي تقول: "كنت مدفوعة بحقيقة وجود أناس أحياء هناك. أحسست ذلك في أعماق قلبي وروحي، وعرفت أنهم هناك. فثابرنا، وتسنى لنا العثور عليهم."

كان الخطر جاثماً فوق مارتي والعاملين معها داخل الهيكل المتهدم. فقد كانت هزة لاحقة خفيفة كافية لانهيار ما بقي منه واقفا، فيدفعهم جميعاً في أحشائه.

وحدثت فعلا هزة خفيفة في الساعة ٥،٤١ بعد ٣٧ دقيقة من الهزة الكبرى، وبلغت قوتها ٥،٢ درجات بمقياس ريشتر. فاهتزت لها طريق نيميتز من أقصاها الى أقصاها

عملت مارتي من دون توقف حتى ساعة متقدمة من الليل، يحفزها أمل وطيد بالعثور على أحياء آخرين. وهي تقول: "كلما توقف الصراخ والأنين خيم سكون شامل. وأصعب ما عانيناه اضطرارنا الى تجاوز الميؤوس منهم والبحث عن آخرين يحتاجون الى مساعدتنا."

وكانت مارتي تخرج من سراديب الدمار وتدل رجال الانقاذ على محتجزين داخل سياراتهم، فيتوجه المسعفون الطبيون الى حيث تمكنهم المساعدة. وغالباً ما انسلّت الى حيث تُنتشل ضحايا، فتتلوى وتزحف كالحية الى الفجوات حيث تكشف مزيداً من الضحايا تحت الركام وقد برز منها رسغ أو قدم أو ساعد.

ولم يكن سهلا ارسالها الى بيتها لكي تنام. اذ ما كادت تغفو حتى رأت في حلم أنها غفلت عن ولد بين الركام. فنهضت وعادت الى العمل.

بدا دور مارتي كود في ساعات الانقاذ الاولى نموذجا للتفاني والتضحية اللذين أبداهما كثيرون من المسعفين الطبيين والاطفائيين ورجال الشرطة والمتطوعين. وقد اشترك في عمليات الانقاذ أكثر من ألف شخص. ومنهم من خاطر بحياته لمساعدة الآخرين. وهم بذلوا في جبه هذا التحدي أقصى طاقاتهم، من مهارات جسدية وكبت للعواطف والانفعالات وعبقرية انسانية مبدعة.

أما الحادث المثير الذي خطف انتباه العالم فكان انقاذ الطفل هوليو بيرومن (٦ أعوام) الذي احتجز داخل سيارة عائلته سبع ساعات. وكان عالقاً تحت جثة امرأة ميتة، وقد اضطر الدكتور جايمس بيتس، وهو جراح اطفال، الى بتر ساق هوليو تحت الركبة لتمكين رجال الاطفاء من انتشاله.

قفزت الشاحنة – القاطرة من الطبقة العليا لطريق نيميتز، وجون ديفريتاس داخلها ينتظر الموت... الذي لم يأت. ويقول: "أثناء هبوطي ساورتني أفكار ضاغطة شتى،



(فوق) جون ديفريتاس.
(الى اليسار) الشاحنة التي كان يقودها بعد سقوطها ١٥ متراً.

لكني استسلمت لمشيئة الله اذ كنت عاجزاً عن عمل أي شيء الا الصلاة والانتظار."

بعد السقوط خيم الهدوء على كل شيء. ويتابع جون: "شعرت بألم هائل في ظهري، لكني استطعت تحريك يديّ ورجليّ. وكانت قمرة الشاحنة مستوية، وشممت رائحة وقود فتساءلت: هل شاحنتي تحترق؟"

نهض جون من أرضية القمرة ومد رأسه من النافذة مستطلعا. فوجد أن الشاحنة سقطت مستوية على عجلاتها ثم مالت الى اليسار في احد الشوارع تحت طريق نيميتز. فهرعت اليه احدى الممرضات وهي لا تصدق أن سائق الشاحنة الطائرة ما زال حياً. فصاح بها جون كي تتراجع لان حمولته قد تتفجر في أي لحظة.

زحف جون عبر النافذة وتطلع حوله فتبين له أنه قُذف أفقيا خارج الطريق وحلّق حوالى ٢٠ متراً ثم هوى ١٥ متراً الى الارض. وما ان استوعب ذلك حتى سمع الناس يصرخون وشاهد سحب الدخان تتصاعد من الانقاض ورأى طريق نيميتز قد تحولت بطبقتيها كومة من ركام.

حضّت الممرضة جون على ركوب سيارتها لكي توصله الى المستشفى. لكنه، بدل

ذلك، طلب ان توصله الى شاحنة أخرى كانت قفزت من الطبقة العليا وهوت عمودياً مستقرة على مقدمها في مكان قريب، فسحقت القمرة التي غدت مثل أكورديون.

وصل جون الى الشاحنة آملا مساعدة السائق، لكنه وجد رأسه مسحوقاً في لوحة أجهزة القياس واحدى ساعديه متدلية من الزجاج الامامي. وجس نبض الساعد فلم يحس شيئاً. في تلك اللحظة جال في فكره كم كان محظوظاً لتمدده على أرضية الشاحنة. واستدار وطلب من الممرضة أن تأخذه الى المستشفى حيث بقي يومين.

أما دوروثي أوتو فكانت أقل حظاً، اذ علقت قدمها اليسرى تحت حاجب الحرارة وانغرز الكابح اليدوي في رسغ قدمها. وأمام وجهها مباشرة ارتفعت دعامة الاسمنت الهائلة التي تزن ٢٠٠ طن والتي سحقت مقدم سيارتها وحولته فطيرة من الصلب لا تزيد سماكتها على ١٠ سنتيمترات. أخطأتها الدعامة فنجت، لكن قدمها شُبكت دونما أمل في تحريرها. وأصبحت دوروثي جزءاً من شطيرة اسمنت تعلو ثمانية أمتار عن الارض. ومرت ٣٠ دقيقة وعمال الانقاذ يروحون ويجيئون فوق الأنقاض، ولم يعرف أي منهم أن دوروثي هناك غارقة في الركام.

وشاءت العناية الالهية أن ينتبه الى صراخها ميكانيكيان هما توماس ايستهوب وكلايد موك اللذان يعملان في مرآب للسيارات يبعد أقل من ١٠٠ متر عن كارثة نيميتز، وكانا ممن خفوا الى المشاركة في عمليات الانقاذ.

ولج ايستهوب أولاً. فانسلّ عبر احدى الفجوات الصغيرة الى جانب سيارة دوروثي وشرع يعمل مستخدماً مخلا ورافعة سيارة. وكانت النار تشتعل الى الجانب الآخر وراء عمود من الاسمنت، وتهدد بالامتداد وإلهاب الوقود المنسكب حول أقدامهما. ومضى ايستهوب يعمل تحت خطر انهيار البناء المتداعي الذي ما فتىء يئن ويصرّ، ومع ذلك حاول أن يؤاسي دوروثي ويشجعها.

كان الألم الحارق في قدم دوروثي اليسرى لا يحتمل، وقالت إنه أشد ما عانته في حياتها، ولو كان في وسعها الوصول الى قدمها لقضمتها بأسنانها. وحتى عندما حدث الاهتزاز الثانوي الكبير الذي تلا الزلزال، مقيماً أطنان الاسمنت ومُقعدها، لم يتخلَّ إيستهوب عن دوروثي، بل استمر في محاولة انقاذها وانضم اليه موك.

بعد مرور ٩٠ دقيقة على وقوع الزلزال دعي الاطفائيان لورنزو فردياني وتشارلز غاردنر من أوكلاند ليحلا مكان موك وايستهوب في تخليص دوروثي أوتو. فحشدا جسديهما داخل فجوة ضيقة لا يزيد ارتفاعها على ٤٠ سنتيمتراً، وانسلا حتى وصلا الى دوروثي.

وعلى رغم أن نظام تدريبهما ينص على عدم تغليب العطف الشخصي على الواجب، فانهما أدركا فوراً أن دوروثي ستحظى منهما باهتمام يتجاوز ما نصّ عليه

قانون المهنة. وحين سألتهما دوروثي ماذا ينويان عمله بالتحديد لاخراجها، ومتى، أخبرها فردياني بلهجة حازمة أنه في غنى عن نصائحها، فلتكفّ عن الصراخ فيما تتركز جهودهما على انقاذها.

وكبائعة قديرة، رأت دوروثي أن من الحكمة الاذعان، وأن في ذلك فرصة لابرام صفقة رابحة مع الاطفائيين. قالت لهما، وهي تغالب السعال بفعل الدخان، إنها هي أيضا تكره صراخ النساء، فاذا ثبتا معها الى النهاية حتى تتحرر فهي في المقابل لن تقضّ مسامعهما بصراخها. وحين يتجاوز الالم قدرتها على الاحتمال ستدير وجهها الى الجهة الاخرى وتعضّ منشفة صغيرة تدفن فيها ألمها وصراخها.

يقول فردياني الذي نشأ قرب نيميتز: "كانت سيدة رائعة."

"سنخرج من هنا"

استخدم الرجلان رافعة هيدروليكية فائقة القوة تسمى "فكّي الحياة" وتعمل مثل كماشة متيحة خلع أبواب السيارات بسرعة والضغط بفاعلية لفتح أماكن مدمّرة بغية الوصول الى ضحايا عالقين. ولكن شق عليهما تشغيل الآلة التي تزن ٣٠ كيلوغراما في فجوة ضيقة لا يزيد ارتفاعها على متر. فعمدا الى فتح باب السيارة ثم أتيا بازميل يعمل بالهواء المضغوط لقطع الأرضية تحت قدم دوروثي.

يقول فردياني: "كان ألمها هائلا، لكنها وفت بما وعدت، فكانت تنذرنا حين يتجاوز الألم حدود احتمالها وتنوي الصراخ، فتدير وجهها وتصرخ وتعضّ منشفتها الصغيرة. وكان ذلك مفيداً من دون شك."

إبان المحنة استمر اهتزاز الطريق وغمر الجميع غبار اسمنت خانق. وكان واضحا أن الطريق قد تنهار كلياً فتسحقهم. ولم يطل الأمر حتى مرت أشد اللحظات هولا، اذ بعد ساعة من وصول المنقذين الى دوروثي، تساقطت كتل الاسمنت بكثافة حولهما منذرة بانهيار. يقول فردياني: "رأينا شريحة الاسمنت تنسلخ، وراقبناها وهي تنهال على سيارة دوروثي وتسحق ١٥ سنتيمتراً أخرى منها. وتوقفت عند هذا الحد. فعرفنا أن تلك كانت النهاية حتما."

اندفع الرجلان نحو الفتحة الصغيرة التي كانت أملهما الوحيد في النجاة، ثم توقفا وتبادلا النظرات. فكّر فردياني في زوجته ماريا التي كانت تنتظر مولوداً هو باكورة زواجهما، لم يتسنَّ له التأمين على حياته. أما غاردنر ففكر في ما اذا كانت أعماله مستقيمة في هذه الدنيا.

انتشر الخبر أن على كل العمال بين الانقاض اخلاء الموقع لانه متداع ومهدد بالانهيار. وكانت مضت ساعة على فردياني وغاردنر وهما يعالجان سيارة دوروثي أوتو



دوروثي اوتو مع المنقذين كلايد موك (الى اليمين) وتوم إيستهوب.

ولم يتقدما الا قليلا. فوجدا أنهما في مأزق هو كابوس يواجهه كل من يعمل على الانقاذ فيتنازعه عاملان: الشفقة التي تدعوه الى اتمام مهمته تحت الخطر، والخوف على حياته والتخلي عن المصاب وتركه يواجه مصيره.

فجأة سمعا دوروثي تستغيث: "أتوسل اليكما، لا تتركاني أموت وحيدة هنا." كان صوتها هادئاً تمازجه شجاعة غاب عنها أي أثر للهلع. وكان الرجلان أكبرا صلابتها خلال معاناتها ولاحظا أنها لم تذرف دمعة واحدة.

قال غاردنر هازاً كتفيه: "كيف نترك هذه المرأة الفريدة تصارع الموت وحيدة. كنا ندرك أن علينا مغادرة المكان حفاظاً على حياتنا، لكننا لم نفعل."

عاد الاطفائيان يحاولان انقاذ دوروثي. واستخدما جميع الوسائل الممكنة، ولكن لم تستجب أي منها لحاجتهما الاساسية الا وهي رفع دعامة الاسمنت عن حاجب النار وتحرير قدم دوروثي.

كررت دوروثي توسلاتها الى الاطفائيين لكي يبترا قدمها بفأس. وأخيراً، قرابة العاشرة ليلا أي بعد خمس ساعات من وقوع الزلزال، قرر الملازم الاول ريتش ساندرز رئيس الاطفائيين أن يرسل في طلب أحد الجراحين ويوكل اليه عملية البتر. واعترف ساندرز في النهاية أن من الافضل بتر قدمها واخراجها قبل أن ينهار البناء ويطبق عليهم جميعا.

بعد قليل انزلق الاطفائي روبرت سبلي الى الفجوة بغية المساعدة. فخطرت له فكرة مبتكرة لم تسبق تجربتها. فعمد الى تفكيك أحد جزءي الرافعة "فكّي الحياة"، ثم أدخله في الموضع الذي لم يقوَ شيء على تحريكه. انحنى سبلي في الظلام وأدار محرك الرافعة بغية احداث فسحة بين حاجب الحرارة وقدم المرأة. وعادت الآلام الحادة تمزق دوروثي. لكن طريقة سبلي البارعة نجحت في رفع الثقل ثلاثة مليمترات كانت كافية لتحرير قدمها.

هتف سبلي: "لقد نجحنا، وسنخرج من هنا."

مضى على وقوع الزلزال نحو ست ساعات. وكان البناء يطبق بعضه على بعض، وبات الخروج من الفجوة أصعب كثيراً من دخولها. فرفع الرجال دوروثي عبر فتحة لا تزيد على ٢٥ سنتيمتراً لوضعها في نقالة وانزالها الى الارض.

أكرهت دوروثي نفسها على التبسّم وسط أوجاعها. وحين تطلعت حولها لتشكر رجال الاطفاء الذين خاطروا بحياتهم لانقاذها لم تجد منهم أحداً. وحين انطلقت بها سيارة الاسعاف دفنت رأسها بين يديها وأجهشت بالبكاء.

كان جاك أوتو في منزله أمام التلفاز فلم يعرف شيئاً. ولم يرَ بدأ من الانتظار ساعات طويلة من العذاب. وحين رنّ الهاتف في وقت متقدم جداً كان على يقين أن المكالمة نذير شؤوم يحمل اليه أسوأ الاخبار.

قال له أحدهم: "السيد أوتو؟ زوجتك هنا تريد التحدث اليك."

قالت دوروثي لزوجها وقد عادت اليها حيويتها وطفحت بالرضى والارتياح: "لقد نجوت! نجحت في اقناع أولئك الرجال بانتشالي من هناك، وخشيت إن لم أعجبهم أن يتخلوا عني لانقاذ شخص آخر صراخه أخف من صراخي."

وفي المستشفى عادها توم إيستهوب وكلايد موك ترافقه زوجته ومولودهما. قالت دوروثي في وقت لاحق: "ان رؤية ذلك الطفل الوديع أيقظت فيَّ شعوراً بفداحة الخطر الذي جبهه الرجلان في سبيل انقاذي." وهي زارتهما لاحقا في المرأب، مكان عملهما، وشكرتهما على صنيعهما.

وبعد ثلاثة أسابيع من مغادرتها المستشفى، وكانت لا تزال تعاني من قدمها المسحوقة، ذهبت دوروثي مع زوجها الى مركز الاطفاء في اوكلاند لتقدم شكرها أيضاً الى الاطفائيين الذين ساعدوا في انقاذها.

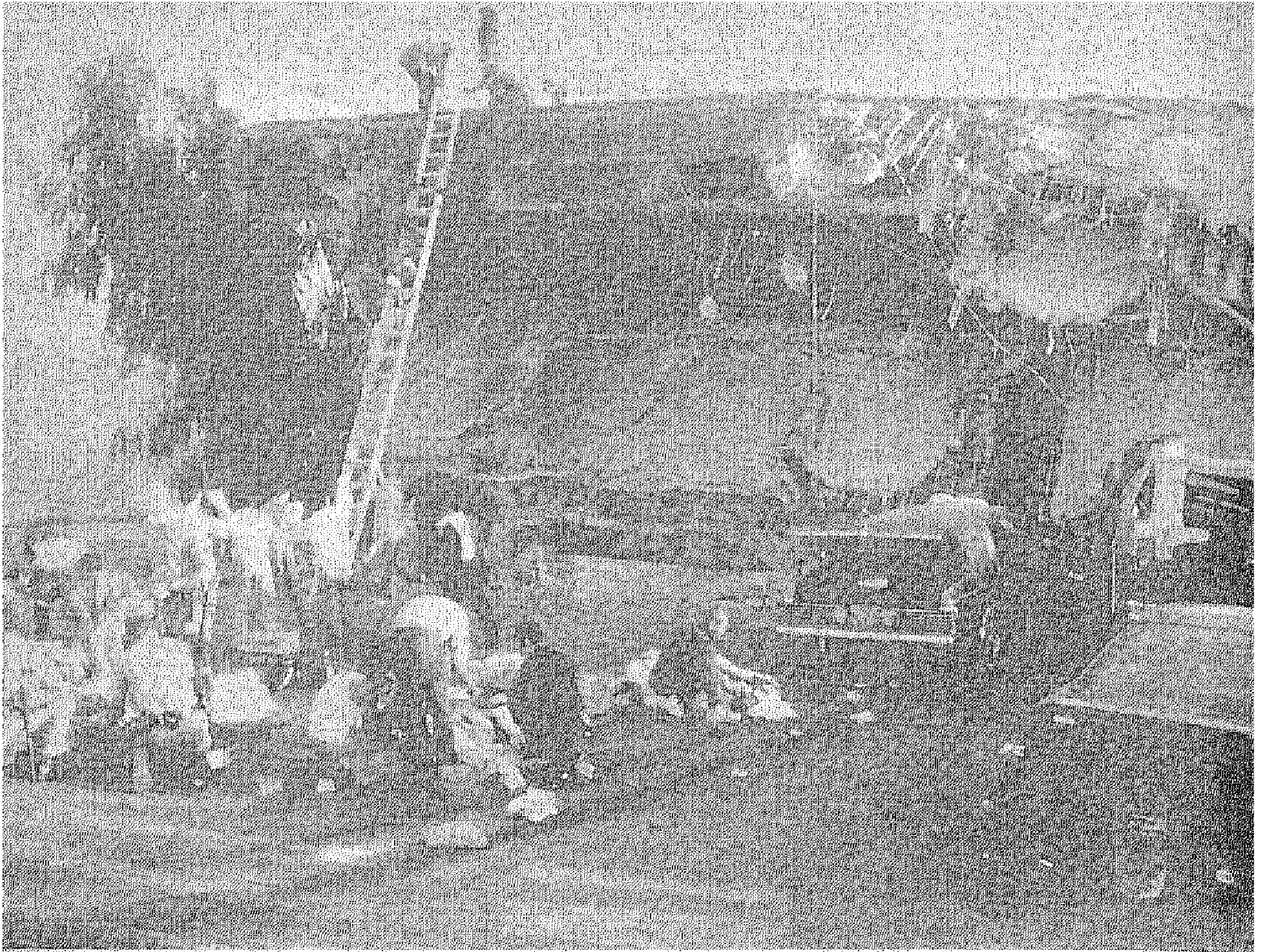
قطع الرجاء

بزغ فجر اليوم التالي، فارتسم الاطفائيون وعمال الانقاذ أشباحاً منعكسة على سماء كاليفورنيا، وهم يروحون ويجيئون فوق مقبرة الاسمنت المريعة. ولدى شروق الشمس بدا المشهد كأنه موقع دمرته القنابل في مدينة مزقتها الحرب.

عمّ مسرح الكارثة شعور بالرهبة والاجلال لمئات الضحايا البريئة التي شاء القدر الغاشم أن تدفن حية تحت الانقاض.

راجع مهندسو دائرة النقل في كاليفورنيا سجلات حركة السير والتنقلات اليومية، وأفادوا أن نحو ٢٠٠ سيارة تسلك هذا القسم من الطريق في الخامسة بعد الظهر. لذا فقد يكون هناك ما يزيد على ٣٠٠ شخص لحظة الانهيار.

وغذّت هذه الارقام، إحباط المنقذين، اضافة الى تقرير خاطىء ظل سائداً مفاده



منقذون يعالجون ضحايا الطريق المدمرة.

أن حافلة سياحية ملأى بالركاب. شوهدت الساعة ٥،٠٤ على الطبقة السفلى.

وتخللت كومة الركام المذهلة مئات الجيوب والفجوات غير المرئية من الخارج والتي توفر فسحة صغيرة كافية للحياة فترة تحددها حال المدفون فيها. ويستغرق الكشف عن هذه الزوايا والشقوق أياماً.

لجأ المشرفون على الانقاذ الى استخدام كلاب مدربة وأدوات متطورة تتحسس الحرارة، في البحث عن علامات الحياة بين الانقاض. وأشرف مهندسو دائرة النقل على تدعيم البناء الواهي بأخشاب قوية لجعله أكثر أماناً لدى معاودة عمليات الانقاذ.

وفي وقت متقدم من نهار الاربعاء أعلن المسؤولون أن أكثر من ٢٤ ساعة مرت منذ اكتشاف آخر الاحياء، فيما انتشلت ١٤ جثة فقط. واعتقاداً منهم أن هناك ما بين ١٥٠ و٢٠٠ جثة مدفونة في مقبرة الاسمنت، تعين على منسقي العمليات أخذ قرار بتحديد موعد وقف أعمال البحث والانقاذ ومباشرة هدم البناء لانتشال الجثث.

وأجريت صباح الخميس محاولات شاملة استخدمت فيها كاميرات تتحسس الحرارة وفرق كلاب مدربة اسفرت عن اقتناع المسؤولين بأن من العبث توقع

PHOTO: © PAUL MILLER / OAKLAND TRIBUNE / SYGMA

اكتشاف أحياء آخرين. وقوبل هذا اليأس باستياء مارتي كودي وزملائها المنقذين لاعتقادهم أن لا بد من بقاء أناس أحياء يتنفسون تحت طبقات الركام.

في هذه الاثناء دعم القسم الاكبر من الطريق المنهارة بأخشاب ضخمة. وكوِّمت الجرافات التراب تحت أجزاء واهية. وبدأ العمال تكسير سطح الركام لانتشال الجثث مستعملين ثقابات الصخور ومناشير الاسمنت التي عكّرت قعقعتها الهدوء الحزين المخيم على المكان. وكلما عمق الحفر تعاظمت رائحة الموت.

همدت حماسة الساكنين في جوار "نيميتز فريواي" وخبا وهج البطولة الفذة التي أبدوها في الدقائق الاولى بعد وقوع الكارثة. وأخليت مئات المنازل بسبب الاضرار التي لحقتها، وأجلى المسؤولون عائلات أخرى من منازلها موقتاً ريثما تستقر الطريق وتصبح آمنة. وخيم الرعب وظلُّ الموت على الناس الذين سعوا الى مزاولة أعمالهم، يلاحقهم شعور متنامٍ بالالم واليأس القاتل.

وعلى رغم الفوضى لم يقع الا قليل من التجاوزات. وانخفض عدد الجرائم وخصوصاً تجارة المخدرات في الشوارع. واختفت سيارات المروجين البراقة المترفة وحلّت مكانها سيارات الليموزين الأنيقة التابعة لوكالات الانباء ومحطات التلفزة. لقد اصبح كابوس نيميتز الحدث البارز الذي استأثر باهتمام جميع وسائل الاعلام.

حملت أمواج الاثير أنباء الزلزال الى أنحاء العالم فأقلقت الخواطر، وخصوصاً في شمال كاليفورنيا حيث هرعت العائلات الى أوكلاند للبحث عن أهل وأحباء مفقودين. وتبين أن معالجة أهالي أوكلاند لنكبة الزلزال كانت فاعلة ورائعة. ولكن ظل هناك مئات الاشخاص المفجوعين الذاهلين وقد احمرت عيونهم ونال منهم القلق والاعياء، يجوبون أطراف الأنقاض متلهفين لسماع كلمة تنبئهم عن أحبائهم. وزاد في تشاؤمهم ولوعتهم عدم السماح لهم بالوصول الى الركام للبحث بأنفسهم عن مفقوديهم.

في أصيل يوم الجمعة، بعد ٧٠ ساعة من وقوع الكارثة، عصفت بالمنطقة رياح شديدة وانهمر المطر مدراراً فتوقفت كل الاعمال. وبينت فحوص الاجهاد الهندسية أن الطقس العاصف قد يزيد خطر الانهيار.

ورأى المسؤولون أن لا مبرر لتعريض حياة العاملين للخطر فيما الامل ضئيل جداً بالعثور على أحياء، وكانت مضت ٦٥ ساعة لم يعثر خلالها على حي واحد.

تعيش ديانا مور مع جدتها في بركلي التي تبعد بضعة كيلومترات عن شمال أوكلاند، وهي شابة في الخامسة والعشرين ذات وجه لطيف وادع وعينين بنيتين



مارتي كودي (أعلى اليمين) تساعد منقذين آخرين في نقل احدى ضحايا الطريق المنهار.
(الى اليمين) مارتي كودي وديانا مور.

واسعتين وشعر كستنائي طويل. وقد عملت ست سنوات مسعفة طبية تُشيع وداعة وهدوءاً يبعثان الطمأنينة في نفوس ضحايا الصدمات.

أمضت ديانا ٢١ ساعة بين أنقاض نيميتز يومي الاربعاء والخميس، وعادت يوم الجمعة، بعد راحة قصيرة، لثلاث ساعات ناشطة وزميلاتها في البحث عن أحياء. وقالت مستشهدة بالزلزال الذي ضرب أرمينيا عام ١٩٨٨ حيث عثر على ضحية حية تحت الركام بعد مرور ١١ يوماً على الكارثة: "ما حملنا على متابعة البحث ايماننا بأن هناك شخصاً لا يزال يحتاج الى مساعدتنا. وعندما أبلَغنا الخبراء أن ثمة مئات الضحايا تحت الانقاض غلب علينا اعتقاد أن ثمة قلباً ينبض بعيداً عن أنظار الجميع.

وعظمت خيبة ديانا وكثيرين غيرها من المنقذين لدى اعلان المهندسين ليل الجمعة أنهم اكتشفوا تحركاً خطراً في طريق نيميتز فأمر المسؤولون باخلاء المكان. وكان كثيرون عادوا الى منازلهم وفنادقهم بسبب الرذاذ البارد والضباب اللذين رافقا

PHOTOS: © AP / WIDE WORLD; (INSET) ROBERT HOLMGREN

الشعور العام بفقدان الأمل. في غضون ذلك غفت ديانا على سرير نقال داخل خيمة واسعة.

وقبيل بزوغ فجر السبت بعد ٨٥ ساعة من الزلزال، كان المهندس ستيف ويبل جاثماً على منصة رافعة معلاة ينعم النظر داخل أحد أقسام الركام غير المستقرة. وجه نوره الكاشف عبر فجوة تتسع خمسة سنتيمترات بين الطبقتين العليا والسفلى، فأضاء سيارة مسحوقة تبعد عن الحافة حوالى ١٠ أمتار.

شاهد ويبل رأس رجل حسبه ميتا. فأخذ يلاعب الضوء حول السيارة عله يكشف ضحايا أخرى. ولم يلبث أن جمد مذهولا، اذ تحركت يد الرجل.

لم يصدق ويبل ما رأى، فاستمر يلاعب الضوء حول السيارة غير مقتنع بامكان بقاء حياة في هذا الشرك الخانق الذي تفوح منه رائحة النتن والموت. ثم رأى الرجل يدير رأسه، فاتصل بمركز قيادته لاسلكياً وأطلع زملاءه على اكتشافه المذهل.

سرى الخبر في كآبة الفجر النديّ، فأفعم فرق الانقاذ بالامل. وأيقظ أحدهم ديانا زافاً اليها الخبر السار. لكن الاثارة اضمحلت حين عُلم أن الرجل مدفون في أخطر نقاط الطريق المنهارة.

رُفعت ديانا بمنصة رافعة لاجراء تقويم طبي فصاحت عبر الفتحة الصغيرة: "اذا سمعتني حرّك رأسك."

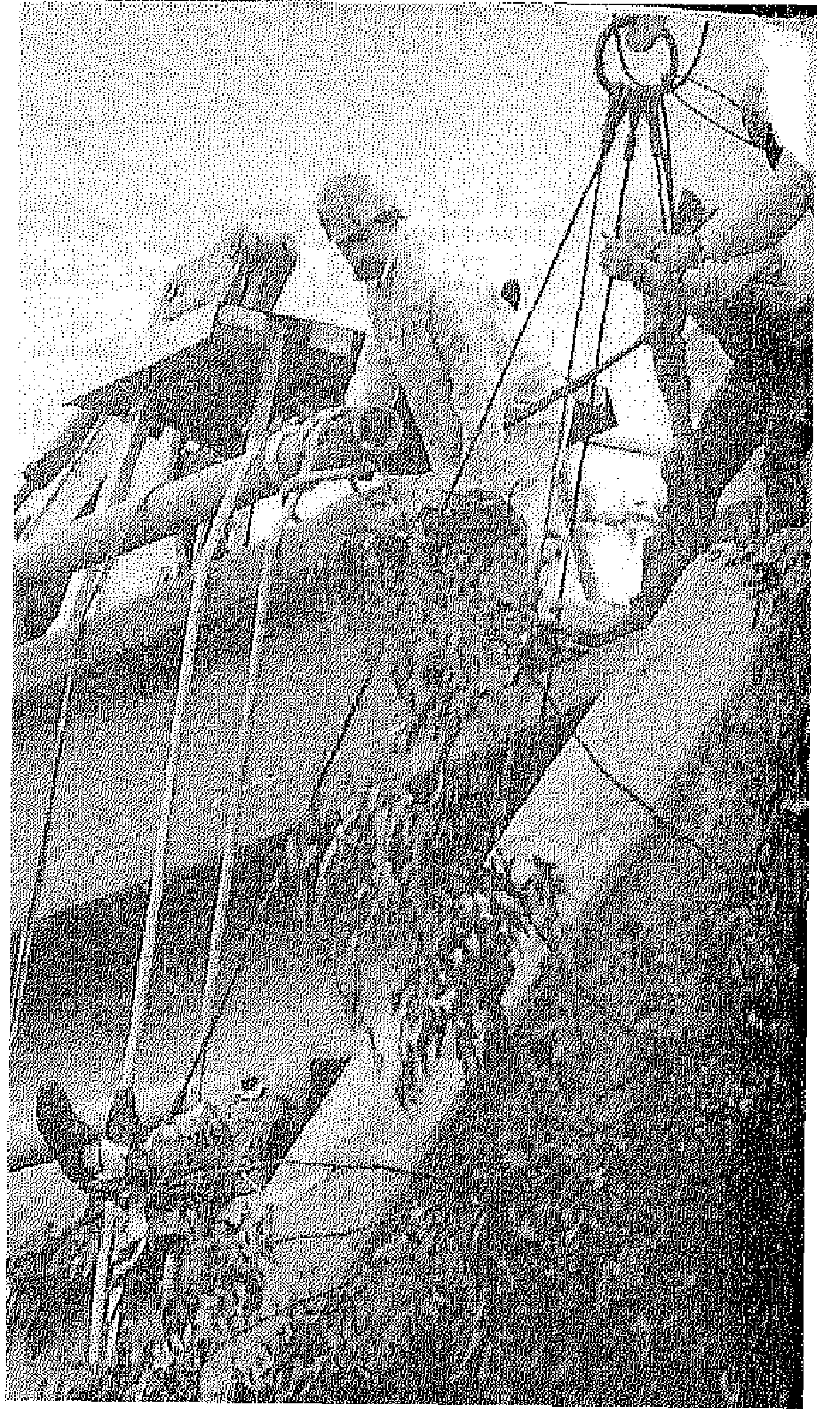
صاحت ثلاث مرات من دون استجابة. ولكن بعد الصيحة الرابعة رأت رأس الرجل يعلو ويهبط فهتفت: "اصمد، نحن قادمون لاخراجك."

وخلافاً لسبل الانقاذ العفوية التي استخدمت في الساعات الاولى للكارثة بات الخبراء مسؤولين عن العمليات. فطلبوا من العمال حفر نفق مدعّم الى "قبر" الاسمنت ثم حفر ثقب واسع في الاسمنت لتسهيل انتشال الرجل. فقد أراد المهندسون والمسؤولون عن السلامة العامة ايجاد وضع آمن تماما قبل السماح للمسعفين الطبيين بالدخول لمعالجة الرجل. وهذا ما لم يرق المسعفين الذين – كما تقول ديانا مور – "كان أي منهم على استعداد للمجازفة بالدخول ومد الرجل بالاسعافات الاولية والخروج بسرعة." علماً أنهم ظلوا منذ ٨٥ ساعة يخاطرون بحياتهم لانقاذ الضحايا.

ومرت أربع ساعات قبل أن يسمح لديانا بالولوج لاسعاف الرجل.

وانتهى المهندسون والمسؤولون عن السلامة الى اعتبار البناء آمنا. فزحفت ديانا على بطنها فوق الزيت والوقود وحطام الزجاج حتى دنت من الرجل، فلم تشاهد أي حركة منه.

ولدى وصولها الى السيارة سألت الرجل: "ألا تزال واعياً؟"



بوك هيلم بعد نحو ٩٠ ساعة من احتجازه تحت الركام، وهو آخر شخص انتشل حياً.

فاصدر الرجل أنَّة وتحرك.

كانت ديانا تدرك أن البناء آخذ في الانهيار على رغم دعمه. فأسرعت في انعاش الرجل بالاوكسيجين. كان ذاهلاً، ولكن بعد لحظات ازداد تيقظه ففتح عينيه ونظر الى وجهها القريب.

أسطورة الحي الأخير

قال الرجل لديانا: "أنا عطشان."

فأخبرته أنها ستمده بالسوائل حالما يتسنى لها اكتشاف عرق في جسمه. أما الآن فلا سبيل الى ذلك لان لا شيء في متناولها الا رأسه.

سألته: "ما اسمك؟" محاولة ابقاءه واعيا يتكلم.

أجاب بهدوء: "بوك."

سألته: "هل أنت مصاب بأذى؟"

فرد بحزم: "كلا."

استنتجت ديانا أنه قوي صلب العود وأن صلابته هي سرّ بقائه حياً. وأخبرها أنه وحده في السيارة. ورأت ديانا أن أول واجباتها توطيد استقراره الصحي لكي تتمكن من تقويم اصاباته قبل انتشاله، لأن تلك عملية دقيقة، حذرة.

وآزر ديانا في عملها اطفائيو أوكلاند وفريق انقاذ من جنوب كاليفورنيا مجهز بمعدات ثقيلة. وهم علموا لاحقاً أن الشخص الذي يسعون الى انقاذه يدعى بوك هيلم، وهو موظف في وكالة لتفريغ السفن وتحميلها، نشيط في عمله متقشف في معيشته ومعروف باستقلاليته وصلابته. وهو محب لاولاده، وفي كل نهاية أسبوع يقطع ٨٠٠ كيلومتر ذهاباً واياباً الى حيث يعيشون في شمال كاليفورنيا لكي يكون معهم. وفي أيام العمل ينام بوك في مقطورة. وتحدث أصدقاؤه عن حبه للحياة ومشاكسته وعناده وولعه بلعب الورق (الكوتشينة). وابرز صفاته رفضه التخلي عن أي شيء صمم عليه. وكان عزمه الآن على التمسك بالحياة حتى وصول الاسعاف.

PHOTO: © ANGELA PANCRAZIO / OAKLAND TRIBUNE

بدأ الاطفائيون تفكيك أجزاء السيارة ليتسنى لهم سحب بوك، فيما حاولت ديانا تأمين استقراره الصحي. لكنها عجزت عن كشف أي وريد لايلاج حقنة مصل، بسبب الجفاف الشديد الذي لحق جسده. وحين جسَّت نبضه الواهي قال لها إن يديها باردتان، وتلك دلالة على تيقظه وادراكه الحسي.

قالت: "أنا أعلم أن ذلك يستغرق وقتاً طويلاً."

سألها بوك: "ماذا حدث؟"

فأخبرته: "وقع زلزال قوي، وأنت الناجي الوحيد بعد هذا الوقت الطويل."

تعمدت ديانا اطالة الحديث، فسألته كم عمره. "قال لي انه في التاسعة والثلاثين فصدقته، لكن عمره في الواقع ٥٧ عاماً. فيا له من رجل! كان يمازحني فيما نحن قلقون على حياته."

بعد ٩٠ دقيقة من دخول ديانا رُبط بوك الى لوح خشبي وحمل في سلة على الرافعة وجلست ديانا الى جانبه ويدها في يده.

وحين حطتهما الرافعة على الارض رفع بوك يده فدوى الهتاف والتصفيق. وقالت له ديانا: "التصفيق والهتاف لك." وساعدت في نقله الى سيارة اسعاف داخلها طبيبان.

أظهر التشخيص الطبي ثلاث أضلع مكسورة وشقاً صغيراً في الجمجمة وجفافاً شديداً وتضرراً في الرئتين والكليتين. لكن الاطباء بدوا راضين عن حال بوك عموماً. ولم يتمكن رجال الاعلام من مقابلته، فحاصروا ديانا لاستقاء الاخبار منها. وهي كانت أمضت ٣٢ ساعة من الخدمة المتواصلة لم تذق فيها طعم النوم، وقد نال منها الجوع والعطش وغطاها الزيت وامتلأت جيوبها بكسر الزجاج والاسمنت. فظهرت هنيهات أمام رجال الصحافة ثم توارت.

وأوضحت لاحقاً: "أنا أفضل الزحف والتفتيش بين الانقاض على الظهور على شاشات التلفزة. ثم إنني لا أستحق أن يُنسب الي فضل أكثر من المسعفين الآخرين في نجاح هذه العملية الرائعة. وكل ما في الامر أني كنت هناك حاضرة عندما حان موعد ارسال أحد المسعفين لمساعدة بوك."

ذاع خبر انقاذ بوك هيلم من بين الركام في "نيميتز فريواي" فأدهش ملايين الناس في العالم. وكان توقيت انقاذه مثاليا لبعث الامل في المكبّين على عمليات البحث والانقاذ المضنية، في وقت كان عشرات الالوف من المتضررين في شمال كاليفورنيا يكافحون لاعادة اللحمة الى حياتهم الممزقة.

لم تمرّ ساعات على الانقاذ العجائبي حتى غدا بوك هيلم رمزاً حياً للأمل والارادة القوية التي تقهر المحن. وغدا أسطورة تنمو وتتفاعل فتبعث الشجاعة والتفاؤل في

آخرين من ضحايا الزلزال الذين يخضعون لمعالجات طويلة الامد في المستشفيات بسبب اصاباتهم المدمرة.

المباراة المنقذة

تسارعت الاحداث التي أعقبت الزلزال، فمنها ما مرّ بسرعة وانتهى كأنه عادي عابر مثل حادث جون ديفريتاس، ومنها ما كان معاناة طويلة قاسية مثل حالتي دوروثي اوتو وهوليو بيرومن.

وتنازعت الناس عوامل الخوف واليأس والشك والامل. وتمت ألوف الاتصالات الهاتفية، فاطمأن كثيرون الى أن أهلهم وأحباءهم وأصدقاءهم كانوا بمنأى عن الخطر بعيدين عن مكان الكارثة. ومرّ آخرون بساعات مثقلة بالخوف واللهفة لمعرفة مصير أحبائهم. وأشد ما كان يمزق القلوب خاتمة مفجعة للانتظار والتلهف لحظة ابلاغ أحدهم بالتوصل الى تحديد هوية مجهولة في المشرحة.

كانت حصيلة قتلى زلزال "لوما بريتا" ٦٣ شخصاً قضى منهم ٤٢ تحت أنقاض طريق نيميتز. وانتشل ٣٠ أحياء من سياراتهم التي طمرها الركام، ونقل ١١٨ الى مستشفيات المنطقة في سيارات الاسعاف والمروحيات.

وكان عدد سالكي طريق نيميتز لحظة الانهيار أقل كثيراً مما قدر الخبراء. وعُزيت هذه الظاهرة غير العادية الى أن ألوف المتنقلين يومياً في الخامسة بعد الظهر كانوا في منازلهم أمام التلفاز يشاهدون مباراة البايسبول العالمية.

بلغت أضرار زلزال "لوما بريتا" في الممتلكات ستة مليارات دولار. وأصيب أكثر من ٣٧٠٠ شخص بجروح وشرّد ١٣ ألفاً وتهدم نحو ٢٥ ألف مسكن. وكان ٢٠ في المئة فقط من الملاكين يحملون عقود تأمين ضد الهزات. لكن العالم هبّ الى مساعدة المنكوبين، وتدفقت الاعانات لتأمين المساكن والملابس والغذاء والمال.

ان لحظة وقوع الزلزال – ٥،٠٤ بعد ظهر ١٧ أكتوبر (تشرين الاول) ١٩٨٩ – ستظل محفورة في ذاكرة ملايين الناس الذين لن ينسوا أبداً ما كانوا يعملون في أثنائها. تقول إرما باركر التي كانت في سيارة مع زوجها ونجت من كارثة انهيار طريق نيميتز لتأخرها ثواني عن بلوغ الجزء المنكوب: "إني شهدت في تلك اللحظة قوة خارقة أعظم من أي شيء عرفته في حياتي... قوة أعظم من كل ما صنعه الانسان. كان الصوت كقصف رعد ولم أسمع أشد منه، وظل يترجّع في الابعاد. ثم ارتفعت سحب دخان وغبار أبيض في كل مكان."

أما اليزابيث كوبلز التي ولدت في سانتا كروز الساعة ٥،٠٣ بعد الظهر فلن تتذكر ما حدث. ولكن سيروي لها أهلها أن الارض، بعد ولادتها بدقيقة واحدة، مادت

ورقصت كأن ملايين البراكين تفجرت في باطنها، وانتابت شمال كاليفورنيا نوبة مسعورة من الهلع.

وما كاد غبار نيميتز يستقر حتى أعلن الاختصاصيون بعلم الزلازل أن زلزال ١٩٨٩، وإن يكن خطيراً، ليس هو "الزلزال الكبير." وما زال العلماء مصرين على توقعهم كارثة ماحقة ستنفجر في كاليفورنيا وتحدث دماراً يفوق دمار أي زلزال ضرب الولايات المتحدة.

ولكن، على رغم التكهنات التشاؤمية، بينت استطلاعات الرأي التي أجريت بُعيد الكارثة أن عائلات قليلة جداً مستعدة لاقتلاع جذورها ومغادرة مساكنها خوفاً من هذا الخطر.

ويتساءل سكان كاليفورنيا: أين هو المكان الآمن فنذهب اليه؟ كيف يعيش الناس في الغرب الاوسط وهم يعرفون أن الاعاصير (تورنادو) هي من وقائع حياتهم. وكيف يعيشون في الولايات الساحلية الجنوبية التي تتعرض للاعاصير البحرية أكثر مما تتعرض كاليفورنيا للزلازل الخطيرة؟

في غضون ذلك ظل تحسن حال بوك هيلم يدهش العالم، على رغم عجزه عن الكلام لانه موصول الى جهاز تنفس. ولازمته زوجته لوري وأولاده منذ عملية انقاذه. وبعد مرور شهر على الزلزال في ١٨ نوفمبر (تشرين الثاني) اتصلت لوري بديانا مور وأخبرتها أن بوك يتحسن، فكليتاه تعملان ويفكر الاطباء في تحريره من جهاز التنفس. وطلبت لوري من ديانا أن تعود بوك لأن ذلك قد يساعده.

وتتذكر ديانا: "كان فعلا في حال جيدة، جالساً في سريره ومتيقظاً تماماً." أمسكت ديانا بيده وكلمته، فلم يتمكن من مبادلتها الكلام بسبب جهاز التنفس. وتحدثت الى زوجته التي أعربت عن تفاؤلها بشفائه. قالت لبوك: "اصمد، لا تيأس."

في اليوم التالي توفي بوك هيلم على نحو غير متوقع. فكان موته ضربة ساحقة لعائلته ومدعاة دهشة واكتئاب للملايين الذين هتفوا له وشجعوه.

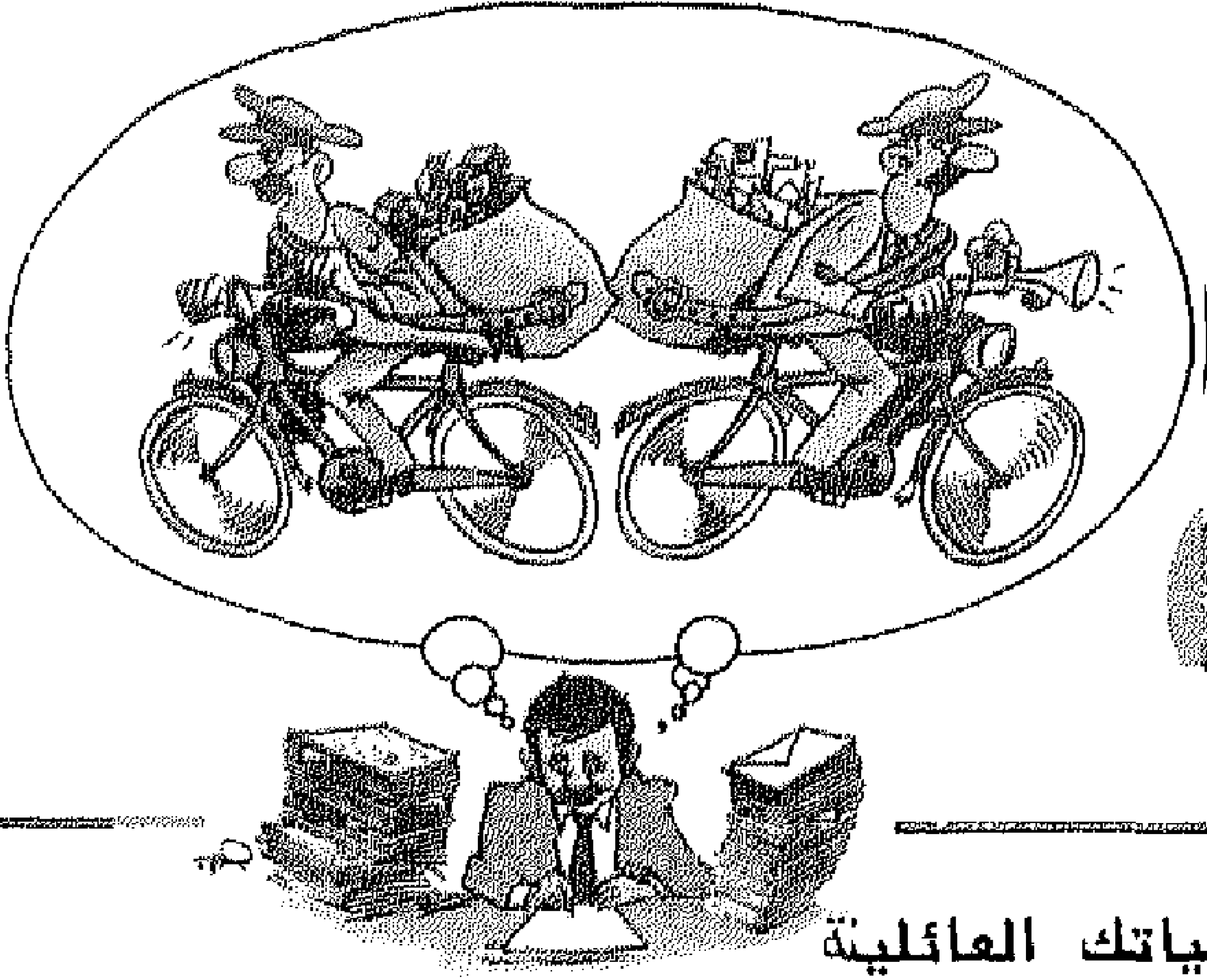
وعزا أطباء المستشفى وفاته الى قصور في التنفس.

والثابت هو أن بقاء بوك هيلم حياً شهراً كاملا، على رغم كل العوامل المعاكسة المثبطة، ألهم الألوف كي يتحلوا بالشجاعة للتغلب على احباطاتهم. وهو غذّى التفاؤل في وقت كان المنقذون في أمسّ الحاجة اليه. وقد جاء شهادة نيّرة تتوج بطولة المتطوعين والمسعفين ورجال الشرطة والاطفاء الذين كافحوا ببسالة لرفع الكابوس الجاثم على "نيميتز فريواي."

هنري هورت ■

ترجمة الياس عقل

اكتب واربح



هل لديك نكتة؟ هل صادفت في حياتك العائلية أو المهنية حادثاً طريفاً؟ هل سمعت حكاية ذات مغزى وترغب في أن تشرك الآخرين في متعتها؟ خذ قلماً وورقة واكتب ما لديك وأرسله الى "المختار" فتدفع لك المجلة في المقابل، بعد النشر، حسب المعدلات الآتية:

صور من الحياة: القصة يجب أن تكون حقيقية تتحدث عن تجربة شخصية ناجحة ذات متعة خاصة. تدفع عن القصة الواحدة ٢٥ دولاراً.

تأملات معاصرة: مقاطع أصلية أو من كتب ومقالات منشورة تنطوي على مغاز حكمية. يدفع دولار عن كل سطرين.

حديقة أفكار: أقوال مأثورة للأعلام العرب. تدفع ٥ دولارات عن كل سطرين، على ألا يتجاوز القول المأثور السطرين.

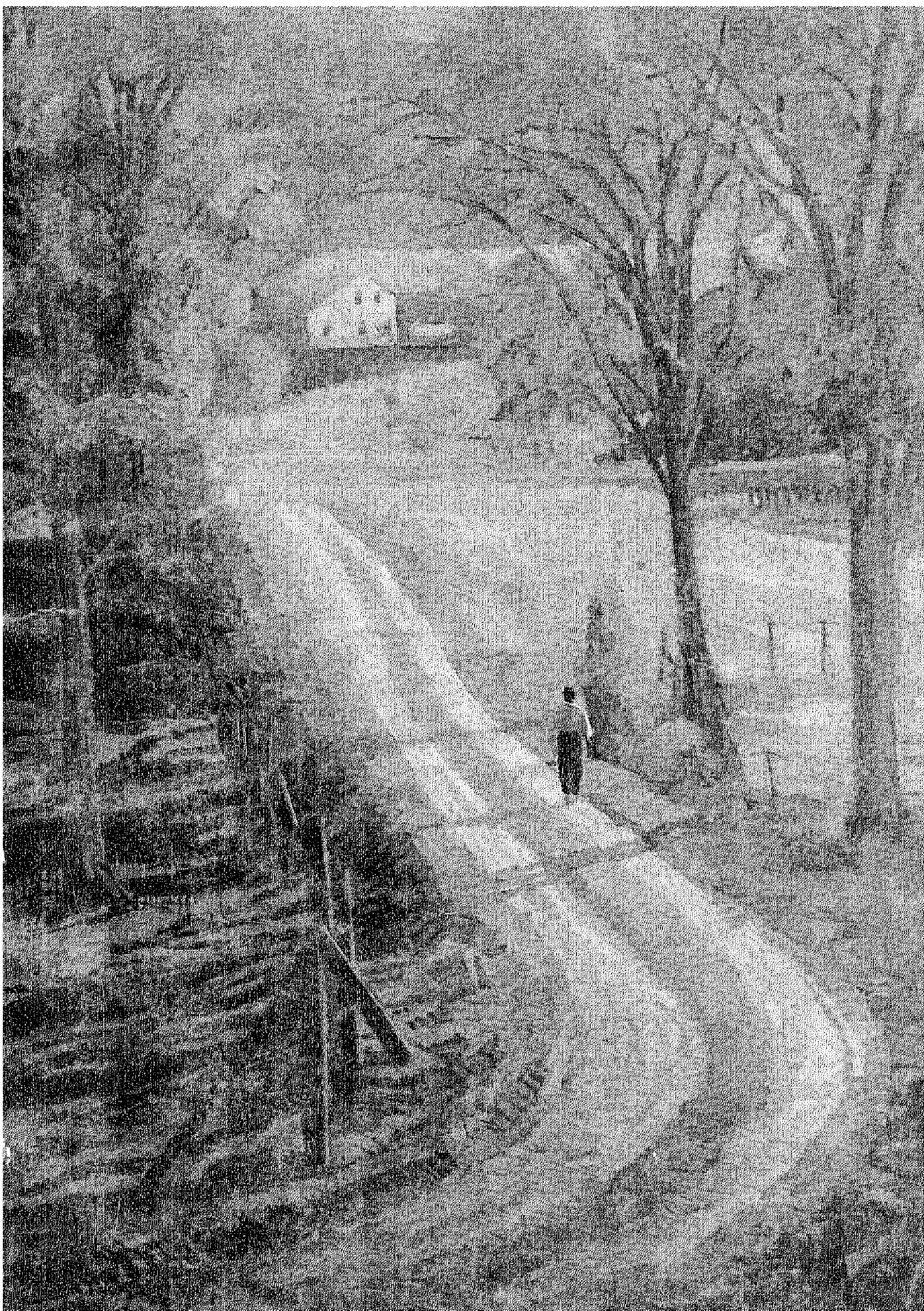
الضحك خير دواء: تفضل النكتة الاصلية، أما اذا كانت منشورة فيجب أن تختار من المطبوعات المحلية ذات الانتشار المحدود. تدفع ٢٥ دولاراً عن الاصلية و١٠ عن المنشورة.

السدات: هناك نكات ونوادر قصيرة من مصادر مطبوعة مثل الكتب والمجلات ذات الانتشار المحدود. وهذه كذلك يرحب بها "المختار" ويدفع دولارين عن السطر ذي العمودين.

شروط جديدة

- كتابة الرسائل بخط واضح، والا طبعها على الآلة الكاتبة.
- كتابة مادة كل باب على ورقة منفردة.
- ارفاق كل مادة بنسخة مصورة كاملة لصفحة الكتاب أو المجلة أو الجريدة التي تظهر فيها، شرط أساسي لقبول أي مادة، اذ من دونها يتعذر علينا التحقق من صحة المصدر.
- ذكر المصدر العربي ضروري ونعني بذلك: اسم الكتاب، اسم المؤلف، تاريخ النشر وعنوان الناشر كاملاً. (اذا اختيرت المواد من مجلة أو جريدة، فينبغي ارسال عنوان الجريدة أو المجلة كاملاً، خصوصاً اذا كانت المطبوعة محلية محدودة الانتشار).
- تحاشي المواد المترجمة أو المستقاة من مصادر أجنبية.
- لا ينظر في الرسائل التي تضم كدسات من المواد، فالمقصود أن يحسن القارئ الاختيار.
- لا تعاد النصوص الى أصحابها، سواء نشرت أو لم تنشر.

تقدم الرسائل الى العنوان الآتي: مجلة "المختار من ريدرز دايجست"، بيروت، شارع المقدسي، بناية الشرتوني، ص.ب ٨٧٠٧ لبنان.



COURTESY G.W. EINSTEIN COMPANY, INC., NEW YORK

"متسكع فى الريف" - زيتية للفنان الامريكي بيل سوليفان.

ديسمبر ١٩٩٠ - جمادى الاولى ١٤١١

Reader's Digest

المختار

AL MUKHTAR min Reader's Digest December '90 N° 145

أوسع المجلات انتشارًا في العالم
٢٨ طبعة، ١٥ لغة، ٢٨ مليون نسخة شهريًا

ألمانيا "العظمى" لا نازية ولا شيوعية
(ص ١٤)

الزواج يتغير مع الأيام!
(ص ٩)

(ص ٢٦)

جان لوكاريه الجاسوس
(ص ٥٠)



المختار من ريدرز دايجست

مجلة شهرية

رئيس التحرير – المدير المسؤول: ادمون صعب.

مديرة التحرير: راغدة حداد. أمينة التحرير: نهلا رزق. محررة مساعدة: لورا نفاع. الاشتراكات: فريال علاف.

مدير القسم الفني: جورج غالي. الخطوط: عبد القادر اسماعيل.

الامتياز: شركة النهار للمنشورات الدولية - باريس. الناشر: شركة "ايبراك" للمنشورات الدولية - بيروت.

رئيس مجلس الادارة – المدير العام: الدكتور لوسيان دحداح.

المدير العام المعاون: داني دحداح - باز.

التحرير والادارة: بيروت، شارع المقدسي، بناية الشرتوني، ص.ب ٨٧٠٧ بيروت – لبنان.

التلكس (الموقت): MEM 22288 LE / ANAHAR 22322 LE

التنضيد والتنفيذ: المطابع التعاونية الصحفية، شارع مصرف لبنان، بيروت.

الطباعة: المطبعة العربية، المدينة الصناعية – البوشرية، المتن الشمالي – لبنان.

التوزيع: الشركة اللبنانية لتوزيع الصحف والمطبوعات، بيروت.



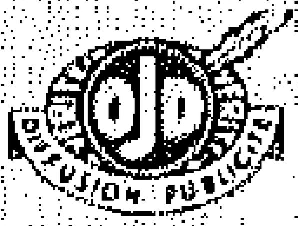
AL MUKHTAR min Reader's Digest

Editor-in-Chief: Edmond Saab.

Managing Director: Dany Dahdah-Baz.

Makdessi St,, Shartouni Bldg., P.O.Box 8707, Beirut, Lebanon.

Telex ANAHAR 22322 LE / MEM 22288 LE



Circulation Audited by G. Bargout C.P.A.

December 90 N° 145 (New Series) Vol. 13

ريدرز دايجست

المؤسسان: دي ويت والاس وليلى اتشيسون والاس.

الطبعات الدولية

رئيس التحرير: كنيث غيلمور. مدير التحرير: فرنسيس ج. شيل. المدير العام: جورج ف. غرون.

تنشر "ريدرز دايجست" في اللغة الانكليزية (الطبعات الامريكية، الكندية، البريطانية، الاوسترالية، النيوزيلندية، الافريقية الجنوبية، الهندية والآسيوية) وفي الفرنسية (الطبعات الفرنسية، الكندية، البلجيكية والسويسرية) وفي الاسبانية (الطبعات الامريكية اللاتينية والاسبانية) وفي البرتغالية والاسوجية والنروجية والدانمركية والفنلندية والالمانية (الطبعتين الالمانية والسويسرية) وفي الايطالية والهولندية (الطبعتين الهولندية والبلجيكية) والصينية والكورية والهندية، الى العربية. وهي تنشر ايضا في طبعة خاصة بحروف كبيرة، وفي طبعة بحروف بريل، وعلى اشرطة مسجلة.

لبنان ١٠٠٠ل – سورية ٤٠ل – الأردن ٧٠٠ف – الكويت ٧٠٠ف – الامارات العربية المتحدة ٩د – قطر ٨ر – البحرين ٨٠٠ف – السعودية ١٠ر – مصر ١,٥ج – السودان ١ج – ليبيا ٥٠٠د – اليمن ٨ر – عدن ١٥د – مسقط ٨٠٠ب – العراق ٨٠٠ف – قبرص ٧٥ب – تونس ٧٠٠م – المغرب ٧د – الجزائر ٧د – فرنسا ١٠ف – انكلترا ١ج – اليونان ١٣٠د – كندا وامريكا الشمالية ٢,٥د

دعي طفلك ينمو مع سيريلا



سيريلاك

الطعام الأول لطفلك بالملعقة

عندما يبلغ طفلك شهره الرا
لا يعود الحليب وحده يكفي
عليك بوجبة من سيريلا
سيريلاك متوفر بعدة أنواع تلائم
طفلك. سيريلاك يحتوي على ال
الغذائية الأساسية الي
لطفلك نموا متناس
وسليما.

Nestlé

تضمنا

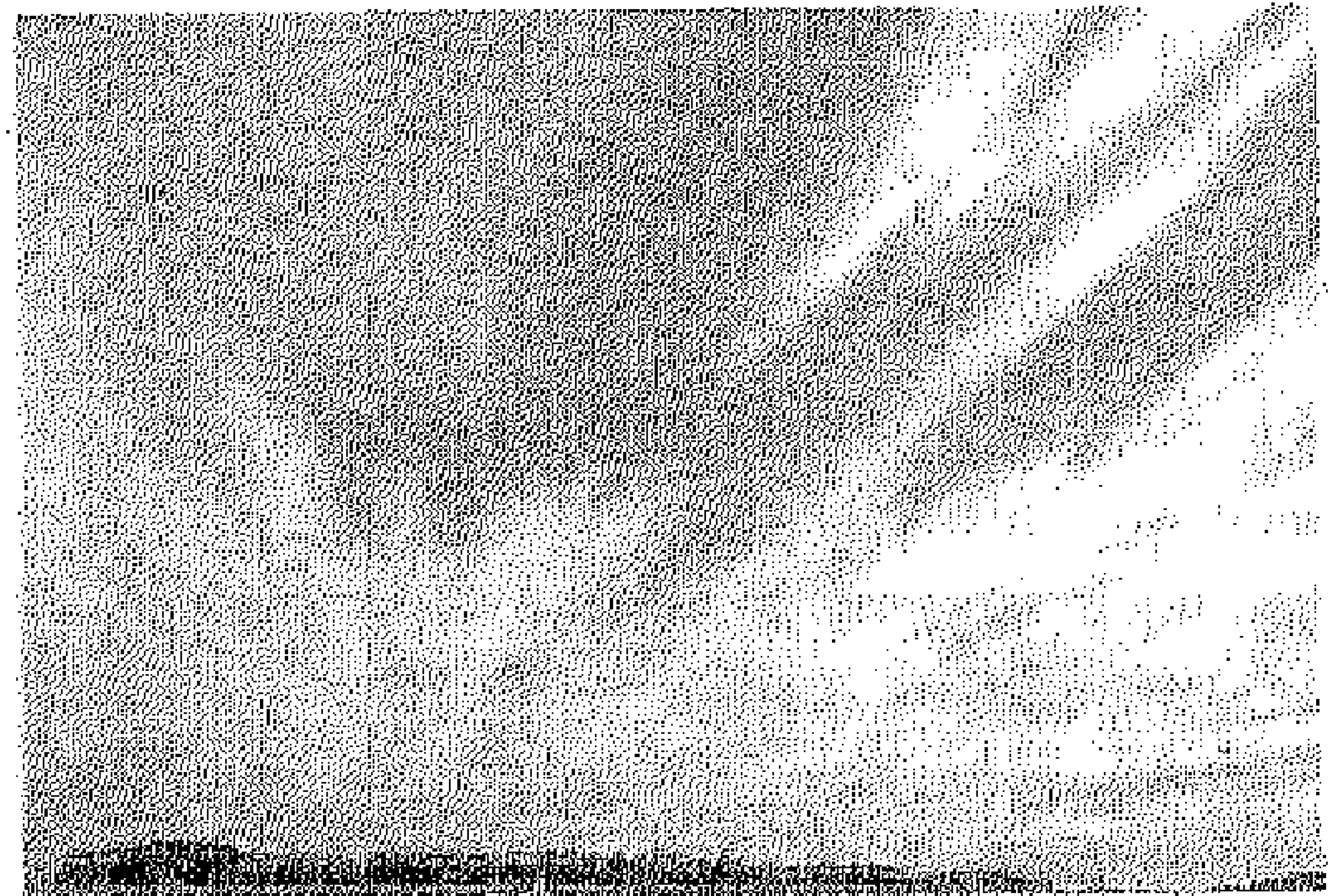
أمثال في الطقس

لكل مثل حكاية، وفي كل خرافة علم حقيقي

لم يكن البحارة والمزارعون القدماء يستعينون بأقمار اصطناعية أو أدمغة الكترونية للتكهن بأحوال الطقس، بل كانوا يراقبون السماء والرياح والغيوم. ومع الوقت نشأت مفاهيم شعبية وصاغ الناس أقوالا مأثورة لتذكرها.

نحن ندرك الآن أن وراء التراث الشعبي علما حقيقيا. وهنا أقوال مأثورة[1] أثبت الزمان صحتها ودعمتها حجج علم الارصاد الجوية.

"خربشات" الدجاج وأذناب الافراس تنزل أشرعة السفن[2]



تشير "خربشات الدجاج وأذناب الافراس" الى الغيوم الطخرورية الشديدة الارتفاع والشبيهة بالصوف. عندما يكون الطقس صحواً، راقبوا الاجواء العليا لمشاهدة هذه الكتل من الغيوم الهشة التي تشبه مجموعات من الفواصل (،). وهي تسبق رياحاً ذات ضغط منخفض، وتأتي غالباً بعد صحو وضغط مرتفع.

وثمة قول شائع آخر بمعنى: "كلما انخفضت الغيوم، أوشكت على المطر."[3]

ومعهود أن "خربشات الدجاج" تنذر بالمطر قبل هطوله بخمس عشرة ساعة، ولكن تذكّروا: "المطر الذي يُرصَد قبل هطوله بوقت طويل يستمر طويلا، أما ذلك الذي يُرصد قبيل هطوله فيمضي بسرعة."[4] واذا استغرقت الغيوم

---

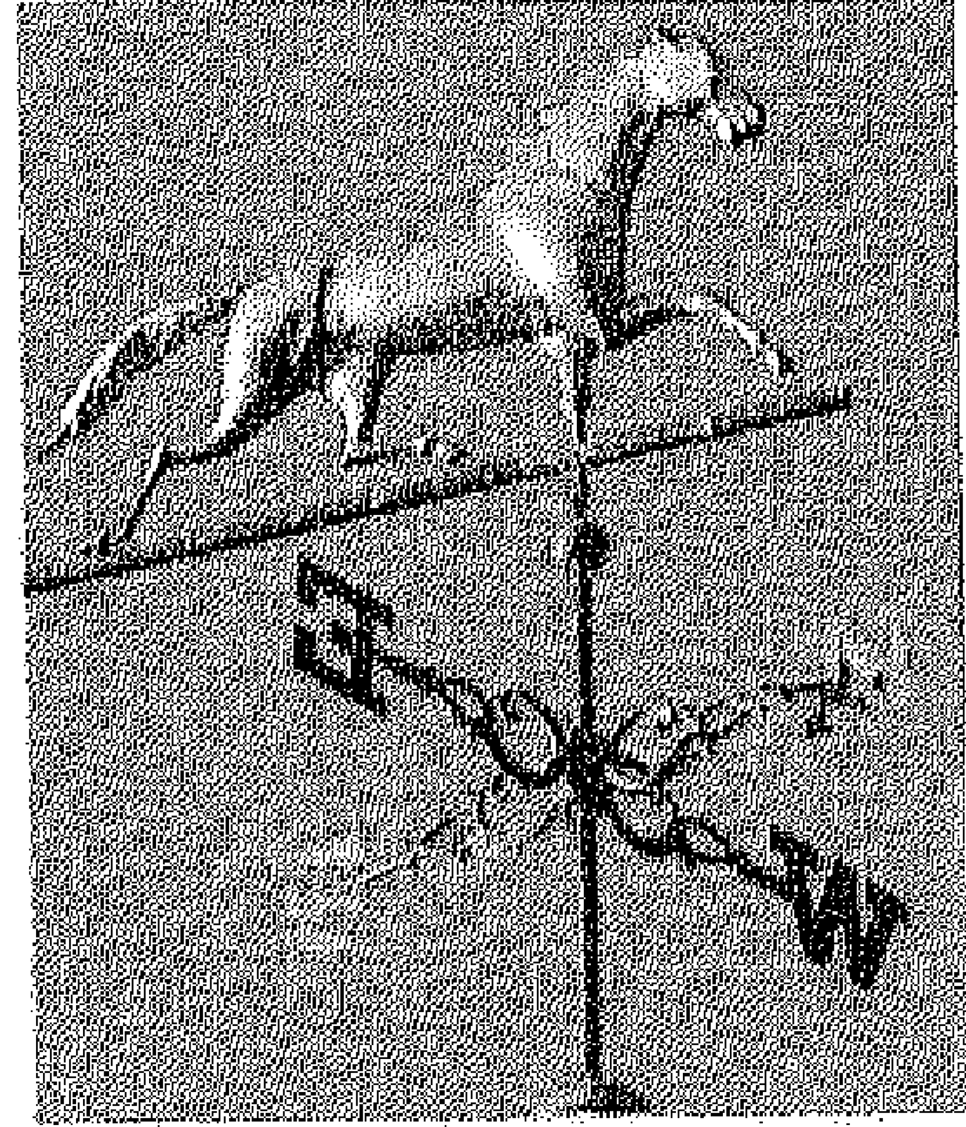
(١) هي ترجمات لسجعات باللغة الانكليزية.

(٢) Hens' scratchings and mares' tails make tall ships carry low sails.

(٣) The lower they get, the nearer the wet

(٤) Long foretold, long last; short notice, soon past

المنخفضة الملبدة وقتاً طويلا للوصول، فان "جبهتها" البطيئة تستغرق وقتاً أطول لتمضي. واذا انخفض مستوى الغيوم بسرعة، فان فترة المطر ستكون قصيرة ولطيفة.



الريح المرتدّة تنبىء بدنو العاصفة. والريح الممتدة تنبىء بصفاء السماء.[٥]

تسمى الرياح تبعاً للجهة التي تنطلق منها. فالرياح الغربية تهب من الغرب الى الشرق، وهكذا. ورياح الصحو تهب عادة من الغرب أو الشمال، في حين تعصف رياح المطر عادة من الجنوب الغربي أو من الجنوب أو من الشرق. فاذا لاحظتم أن الرياح ترتدّ بتّاً – أي في اتجاه معاكس لحركة عقارب الساعة – فتتحول من غربية الى جنوبية – غربية مثلا، فتوقعوا أن يسوء الطقس. كذلك، اذا كان الطقس ممطراً وتقدمت الرياح شزراً – أي في اتجاه حركة عقارب الساعة – من جنوبية – غربية الى غربية مثلا، فترقبوا تحوّلا نحو الافضل.

اذا احمرّت السماء صباحاً فليتنبّه البحّار. واذا احمرّت ليلا فليبتهج.[٦]

يقتضي الصحو كتلا هوائية ذات ضغط مرتفع تتكون من هواء جاف راكد مشبع بالغبار والضباب الرقيق. والنور الواقع بزاوية ضيقة من الشمس الشارقة أو الغاربة يبدو أحمر في هواء كهذا. لذلك فان مشهداً "نارياً" عند الغروب يشير الى هواء مرتفع الضغط على بعد مئات الكيلومترات غرباً، أي في الجهة التي تأتي منها رياح الصحو السائدة في النصف الشمالي من الكرة الارضية. وعلى نقيض ذلك، يشير الفجر القرمزي الى أن الهواء المرتفع الضغط قد عبر شرقاً، مما يرجح احتمال هطول المطر.

هالة حول القمر: مطر قبل الظهر. هالة حول الشمس: مطر قبل انقضاء الليل.[٧]

هذا ما يقوله الشاعر الشعبي دون هاغرتي مؤلف كتاب "سجعات تنبىء بأحوال الطقس."[٨]

تبعثر حبيبات الجليد الجوي نور الشمس والقمر مشكلة دوائر أو هالات. وغالباً ما تشير الغيوم الطخرورية

(٥) A backing wind says storms are nigh. A veering wind will clear the sky.

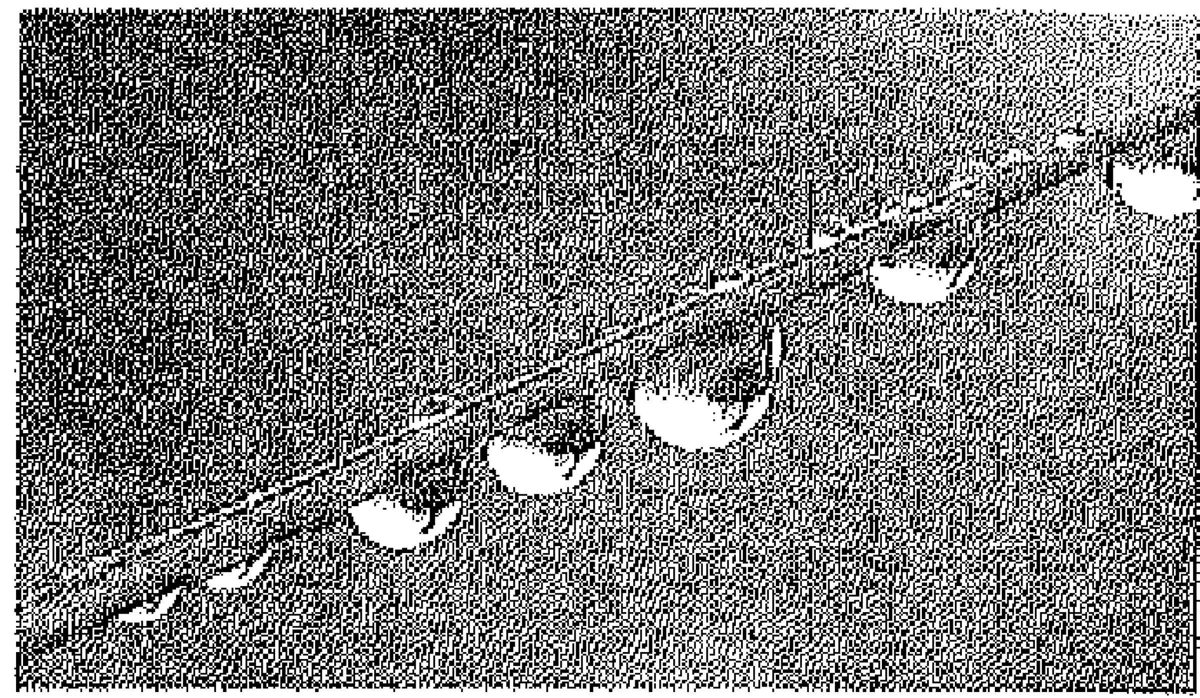
(٦) Red sky at morning, sailor take warning; red sky at night, sailor's delight.

(٧) Ring around the moon, rain by noon; ring around the sun, rain before night is done.

(٨) Rhymes to Predict the Weather

المرتفعة التي تكوِّن معظم الهالات، الى أن طقساً ممطراً سيحل بعد فترة تراوح بين ١٢ و١٨ ساعة. وتبدو الهالات أحياناً كأنها تكبر بانخفاض مستوى الغيوم وهبوط الضغط الجوي. وثمة قول آخر: "كلما كبرت الهالة اقترب المطر."[٩]

عندما يتبلل العشب بالندى، لا تمطر السماء أبداً.[١٠]



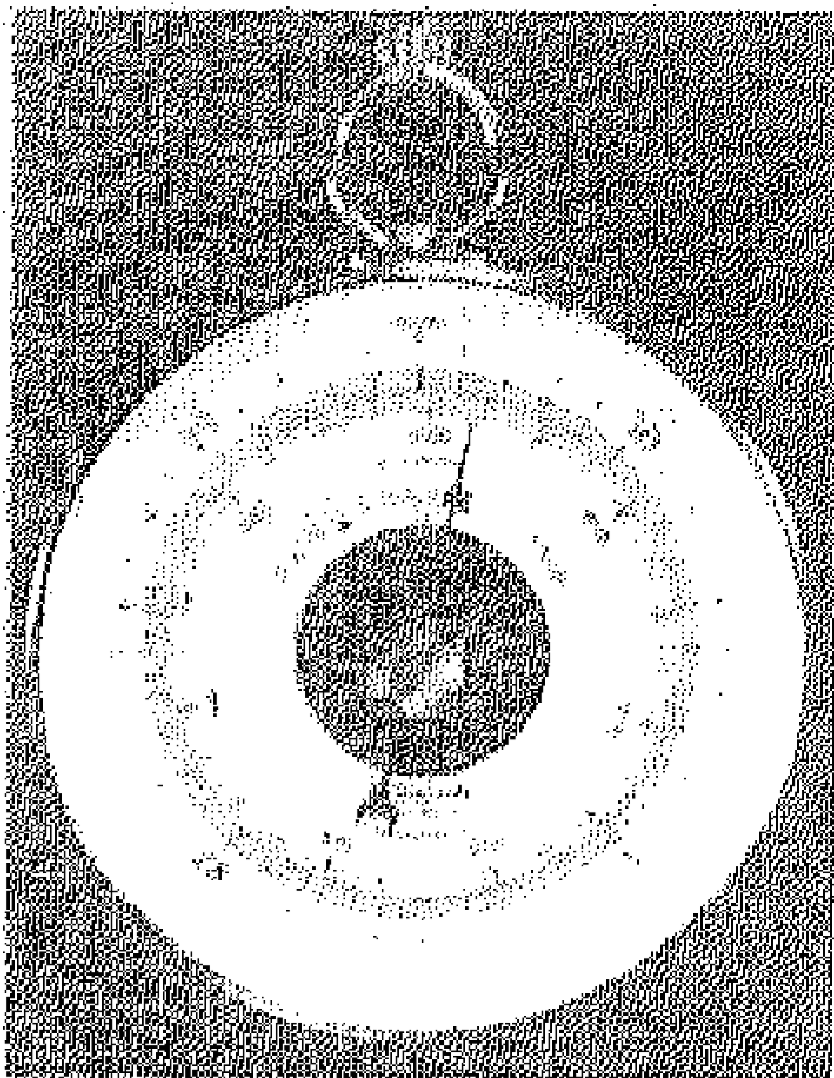
صفاء السماء في الليل يخفض الحرارة الى درجة كافية لتكثيف الرطوبة وتحويلها ندى. فاذا سقط ندى كثيف في ليلة صيف، فتوقعوا نهاراً صحواً.

ولكن "اذا جف العشب قبل بزوغ الصباح، فتوقعوا مطراً قبل حلول الظلام." [١١] هذا صحيح خصوصاً متى ارتفعت درجة الحرارة خلال الليل نتيجة ازدياد كثافة الغيوم. وثمة قول طريف: "اذا زارت الليل حُمّى، فانه يبكي في الصباح."[١٢]

ضباب الصيف يشوي الجرذ.[١٣]

هذا القول صحيح في غالب الاحيان. فالسماء الصافية في ليالي الصيف تشعّ حرارة وتخفض درجة الحرارة السطحية الى أن تتكثف الرطوبة في الهواء الوطيء الى ضباب على الارض. ونادراً ما يتشكّل ضباب فوق الارض ما لم يكن الهواء شبه ساكن. والسماء الصافية والهواء الساكن خاصتان في المناطق المرتفعة الضغط. وفي الصباح تغدو الشمس المشرقة في السماء الصافية قادرة على "شيّ" أي جرذ يخرج من مزبلته.

عندما يهبط الميزان تهيأوا لهبوب العاصفة. وعندما يرتفع، أخرجوا طائرات الورق.[١٤]



يحلّ الطقس الرديء في كتل هوائية ذات ضغط منخفض. ومراقبة البارومتر (ميزان الضغط الجوي) ومسار الغيوم (اذا كانت تهبط أو ترتفع) وتقلبات الرياح تتيح لكم التحكم بأهمّ ثلاثة متغيرات في

---

(٩) The bigger the ring, the nearer the wet

(١٠) When the dew is on the grass, rain will never come to pass.

(١١) When grass is dry before the morning light, look for rain before night.

(١٢) If night has a fever, it cries in the morning

(١٣) Summer fog will scorch a hog

(١٤) When the glass falls low, prepare for a blow; when the glass is high, let your kites fly.

علم الارصاد الجوية. وثمة اشارات أخرى تنذركم بهبوط في الضغط الجوي، مثل الصداع واحتدام التهاب المفاصل والنعاس.

اذا شممت رائحة مميزة تفوح من الارض فاعلم أن العواصف على الطريق.[15]

يطلق النبات زيوتاً في الجو. وتشير الابحاث الى أنه كلما ارتفعت درجة الرطوبة ازدادت كمية الزيوت التي يطلقها النبات. وهذا هو مصدر الرائحة المميزة التي ننشقها فنقول: "اشتمّ رائحة مطر اليوم."

لقد ساعدت هذه الامثال الاجيال الماضية، لكن العقلاء القدماء لم يعتمدوا على واحدة منها بمفردها، بل كانوا يحاولون التأكد من تطابق مجموعة من الاشارات. ويلخص هاغرتي الامر على نحو بديع فيقول: "مؤشر واحد يقتضي حظاً لكي يصحّ. ومؤشران اثنان يقللان احتمال الخطأ. واذا لاحظتم مؤشراً ثالثاً، فيمكنكم الركون الى صدق السجعة."[16]

وتذكروا أن هذه التكهنات الطقسية ليست معصومة عن الخطأ. واليوم، كما في الماضي، تبقى الحقيقة المطلقة الوحيدة عن الطقس أن ليس من حقيقة مطلقة.

أندي داين ■

(١٥) If with your nose you smell the day, stormy weather's on the way.

(١٦) One indicator makes lucky your guess. Two indications make errors much less. So take the weather sign at its word, if you look again and see a third.

زوائد!

وقف أبي يتأمل القارب الجديد الذي اشتراه جارنا. ولما كان يعلم ان زوجته "محافظة" جداً في سبل انفاق المال سأله: "إنه قارب رائع حقاً، هل كلفك كثيراً؟"

اجاب جارنا: "ثمن القارب ليس غالياً، انما الزوائد هي المرهقة."

سأله أبي: "أتعني أشياء مثل المقطورة والمزالج المائية وسترات النجاة؟"

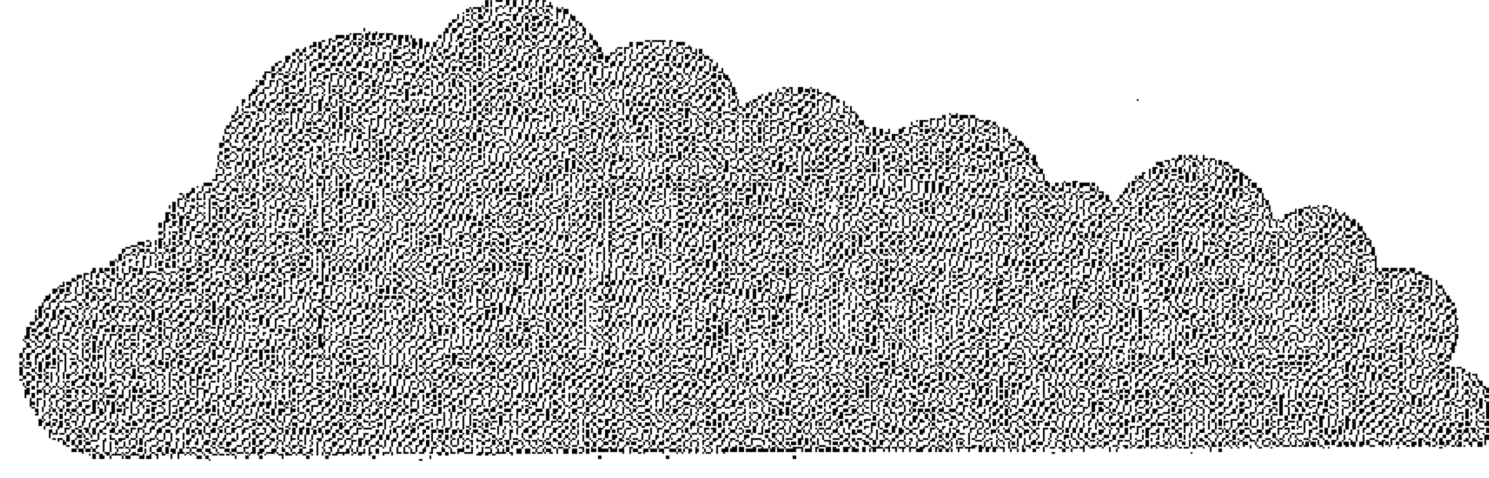
اجاب جارنا متنهداً: "كلا، إنما أعني السجادة الجديدة وخزائن المطبخ والاثاث الجديد في غرفة الجلوس."

ج.س.

مطار زحل

يقول الفكاهي مارك راصل: "ثمة نظرية علمية احبها كثيراً، ومفادها أن الحلقات المحيطة بالكوكب زحل مكوّنة من الحقائب المفقودة في المطارات."

ر.ب



- كلما ازداد عطفك على الآخرين قلت حاجتك الى عطف الآخرين عليك.

مالكوم فوربس، ناشر وكاتب وسياسي أمريكي

- الصورة الموفقة تحبس لحظة عن الهرب.

يودورا ولتي، كاتبة امريكية حائزة جائزة "بوليتزر" الادبية

- قلّة من الأماني تتحقق من تلقائها.

ج.س.

- ربما كانت السياسة المهنة الوحيدة التي لا ضرورة للاعداد لها.

روبرت لويس ستيفنسون، روائي وشاعر بريطاني

- كلام الغضب يسبق أسرع الجياد.

مثل صيني

- السياج ذاته الذي يمنع الآخرين عنك يحبسك أنت.

ب.ك.

- شرف الشجاعة في المحاولة الفاشلة يعادل شرف الشجاعة في المحاولة الناجحة.

آن لندبرغ، كاتبة امريكية وزوجة الطيار تشارلز لندبرغ

- المشاكل قناع الفرص السانحة.

ف.ت.

- الظَرْف الحقّ يشبه طبقاً ممتعاً، كالكافيار، فلا تمرغوه بكثافة كالمربى.

نويل كاورد، ممثل وكاتب مسرحي بريطاني

Reader's Digest
المختار
ديسمبر (كانون الاول) ١٩٩٠
جمادى الاولى ١٤١١
السنة الثالثة عشرة
سلسلة جديدة
مجلة بحجم كتاب، فيها مقالة لكل يوم محكمة الايجاز باقية الاثر

الحب والوفاء يغنيان الزواج

مدّوا يد العون الى أزواجكم وشدّوا أزرهم على الدوام. فالتغير السليم لا يأتي الا بالتراضي

ذات أمسية بعد زواج جورج وبيتي بوقت وجيز، وصل بهما الحديث الى فيلم سينمائي شاهداه. كان رأي بيتي أن بطل الفيلم فائق الجاذبية، الا ان جورج لم يشاطرها هذا الرأي.

قالت بيتي: "لا أردّ جاذبيته الى مظهره فحسب، انه قوي لكنه طيب النفس مرهف الحس. وهذا ما يجذبني الى الرجل. ومع أنك لا تتصرف هكذا دوماً يا جورج فانك في الحقيقة قوي واثق بنفسك. واني أحبك لذاك."

قوي؟ واثق بنفسه؟ فاجأ الأمر جورج، فهو لم يصف نفسه قط بمثل هذه التعابير. فلطالما اقتعد مكانه والآخرون يأخذون القرارات عنه ويذهبون الى حد توعُّده أحياناً. وهو يقول مستذكراً: "فجأة

تفكرت في أن هذه الخلال موجودة فيَّ. وعزمت منذ تلك اللحظة على السعي الى الظهور مظهر القوي الواثق بنفسه مهما يكن شعوري في أي ظرف."

في اليوم التالي وقعت مشادة عند منضدة الدفع في أحد المتاجر، وكان جورج المتوتر الاعصاب طرفاً فيها. لكنه لم يتخاذل. ولم يمضِ وقت قصير حتى ظهرت قوته الكامنة في البيت وأمام الناس وفي العمل. وكانت زوجته تشد أزره على الدوام.

يقول روبرت هـ. لاور أستاذ السلوك البشري في "الجامعة الدولية" في سان دييغو بكاليفورنيا معقباً على ما جرى: "لو أن بيتي قالت لجورج: "لم لا تكون مثل بطل الفيلم؟" لجرحت مشاعره ودخلت في جدل عقيم ولما طرأ تحسن على حال زوجها. لكنها بثنائها عليه وابلاغه ما تريد ساعدته على التبدل."

ويقرّ جورج اليوم بعد مضيِ عدة سنين: "رأت بيتي فيَّ خلالا غفلت عنها. وما كنت لأغدو ما أنا عليه لولاها."

ويضيف لاور أن جورج وبيتي اكتشفا سر الزواج الناجح، وهو مد الشريكين يد العون كل الى الآخر لينموا وينضجا. وقد عكف لاور وزوجته جانيت على دراسة أحوال ٣٥١ زوجاً، وزوجاتهم، مضى على اقترانهم ١٥ عاماً على الأقل، فوجدا أن الخاصة الاكثر شيوعاً في الزيجات السعيدة قدرة الزوجين على التعرف الى المناقب الكامنة في كل منهما وتغذيتها. يقول لاور: "التحسُّن والتعلُّم المشتركان لا غنى عنهما لزواج راسخ." وهذا ما يتفق عليه الخبراء في الزواج. ويعتبر هوارد ماركمان مدير مركز الدراسات الاسرية والزوجية في جامعة دنفر أن "الهدف الأول الذي ينبغي للزواج نشدانه هو تحسُّن الشريكَين كلّ على حدة، ونضجهما معاً."

والزواج ميثاق بين انسانين يرمي الى احتضان هذا التحسُّن المشترك وقد ورد في كتاب "فترة الانتقال"* للعالمة النفسانية جوديث باردويك: "كلما زاد الزوج ثقة بالعلاقة الزوجية أطلق العنان لرغبته في التغيُّر ضمنها."

وفكرة التعلُّم والنمو المشتركين في ظلال الزوجية منعطف ينأى عن الانانية التي شاعت في العقود الاخيرة اذ سعى كل امرىء الى إشباع ذاته، فاذا شعر بحاجة الى حيِّز ينمي فيه شخصيته كان ينشده خارج نطاق الزواج. ووجهة النظر هذه المترعة بالأنانية لم توهن روابط الزواج فحسب، بل أضرت بنسيج مجتمعنا القائم على عرى العائلة. وها هم الازواج والمحامون قد أدركوا أن السبيل لتقوية الافراد هو تعزيز الزواج ذاته.

خذوا حال بيل وليندا ماكونهي مثلاً: بيل طبيب يعمل في غرفة الطوارىء، هادىء، متحفظ، يهوى التزلج والغوص. أما ليندا فمستشارة نفسانية، منفتحة، تجاهر بعواطفها ولا تخفيها، وتصف نفسها بالمطرقة تهوي على آنية الفخار تهشمها. انفصل الزوجان قبل عشر سنين اعتقاداً منهما أن طباعهما متعارضة. واذ

جمعهما لاحقاً برنامج للمشورة الزوجية اهتديا الى الوسيلة الناجعة لتمتين علاقتهما: أن يعين واحدهما الآخر. وقد انخرطا منذئذ في برنامج لاغناء الزواج حيث يعينان أزواجاً آخرين. تقول ليندا: "يخاطر بيل جسدياً، وأخاطر أنا عاطفياً. اني ألهج بما أشعر ولي ملء الثقة بأن الآخرين يصغون. وقد اقتنع بيل في نهاية المطاف بأن لا ضير في إعراب المرء عن عواطفه لزوجه وللآخرين، فأخذت شخصيته بالتفتح. أما أنا فتعلمت أن أفكر قبل أن أتكلم. وعلّمني زوجي في ما بعد متعة ركوب المخاطر، مع أني ما زلت أتزلج بحذر يثير سخرية ابني."

لكن مساعدة الشريك في التحسن تختلف عن السعي الى اصلاحه، وهذا ما تحذر منه ساره كاترون أستاذة علم النفس في جامعة وايك فورست بولاية نورث كارولينا. واعادة صوغ الشخصية كلياً أمر بعيد المنال. تقول الاستاذة: "بعض التحوّلات يعصى بلوغها." كما أن ثمة خيطاً واهياً بين التلاعب بالزوج وحضه على الاهتداء إلى مزاياه وتنميتها بنفسه.

والزواج المستند إلى التعلُّم المتبادل والتحسن المشترك يمكن بلوغه بالالتزام والثقة والحب. وهاك سبل لتحسين حالك وحال زوجك:

كن صديقاً. يقول ماركمان: "حين تفكر في تحسنكما معاً، يغدو للصداقة مغزى. فالصديق هو من تمحضه ثقتك وتأتمنه. انه من يحبك مهما حدث، ويصغي اليك، ويستخرج منك مناقب لا قدرة لك على الافصاح عنها لولاه."

ومما يؤسف له أن أزواجاً كثيرين لا يتصرفون كالاصدقاء. انهم يسعون إلى تثبيط عزائم شركائهم وشتمهم واهانتهم والهزء بهم وانتقادهم. تقول ليندا ماكونهي ناصحة: "لا تهاجمن زوجك، بل قل له: كم يسعدني ان أراك متنبهاً اليّ." ولا تقل: "تباً لك، انك لا تصغي أبداً."

إن التشجيع يصدر طبيعياً عن بعض الناس. خذوا ديف وماري مثلاً: خلال عطلتهما في بريطانيا بعد سنة من زواجهما اشتريا فنجانين تذكاريين لشرب القهوة لهما قبضة في شكل أسد مجنح. وفي يوم من الايام انكسر أحد الفنجانين. وفي المساء صبّ ديف القهوة في الفنجان المتبقي وسلمه الى ماري قائلاً: "الاسد المجنّح لك الليلة، فأنت أهل له."

سألته: "ولِمَ يكون من نصيبي أنا؟"

فأجاب: "لأنك لم تدعي مديرتك تتنمّر عليك اليوم." وكانت ماري علقت في شجار مع مديرتها ظهيرة ذلك اليوم.

ومنذ ذلك اليوم، وحتى انكسار الفنجان الثاني، دأب ديف وماري على الجدل كل ليلة في من هو جدير بـ"جائزة الاسد المجنّح": "أنت تفوزين بها لأنك ساعدت أختك ولم تكوني مضطرة الى ذلك." "لا، أنت جدير بها لانك أتممت مشروعك قبل موعد انجازه." وفي نهاية المطاف يقر واحدهما بحجة الآخر، ويقدم الفنجان إلى المستحق في احتفال.

تقول ماري: "لكم أولعت بجائزة الاسد المجنح تلك. فأنا سليلة عائلة كبيرة، ولم يُحتفَ بي قط على هذا النحو. لقد زادني هذا الرمز ثقة بنفسي وعزز صوابية مواقفي."

اصرف وكدك الى الامور المهمة. تنصح بيتسي ويلارد من "جمعية اغناء الزواج": "ركزوا على الخلال ذات الشأن، كالرفق والمسؤولية، ولا تصروا على محاولة تحسين آداب المائدة عند أزواجكم."

اسأل نفسك عما اذا كان ما يزعجك تكدّر طفيف يمكن أن تعتاد قبوله أم شأن جوهري في حياتك الزوجية. ثمة امرأة لم تطق الموسيقى الشعبية التي كان زوجها يهوى عزفها. لكنها تشرح حالها قائلة: "كلما مضّتني الموسيقى وشتتت أفكاري تذكرت أن زوجي يراعي شعوري في أمور أخرى."

الإقناع باللين. تقول ساره كاترون: "تنشأ العلاقات وتتفتت بخطوات صغيرة." ويردف روبرت لاور: "مفتاح التعلم المتبادل هو الحضّ الرفيق التدريجي."

دنين، على سبيل المثال، تريد أن تمتهن عملا. لكن زوجها جيف متصلّب ولسان حاله يقول: "لا أريد زوجة تعمل." ولم تعاند دنيز زوجها، بل تطوعت في أحد المستشفيات، فلم ينتقص تطوعها من دور زوجها معيلا للعائلة. ثم حضرت دروسا "تساعد في العمل التطوعي." وبما اكتسبته من مزايا ومهارات استخدمت في وظيفة بدوام جزئي، وتسلمت في نهاية الامر منصبا في احدى المؤسسات بدوام كامل. وتبين لجيف أن دنيز غدت أسعد لانها عملت، مما زاد حياتهما الزوجية سعادة. وكان هو من حضها على قبول عملها الجديد وطفق يتباهى بمهنة زوجته.

كن نموذجا يحتذى. اعترف احد الرجال في "مركز إغناء الزواج" في سان رافاييل بولاية كاليفورنيا: "زوجتي تراعي شعور الآخرين. واني اذ أراقب أفعالها أسعى الى مراعاة المشاعر بدوري."

ان كنت تبغي أن تصبح زوجتك اكثر تحملا للمسؤولية، اضرب لها نفسك قدوة. وان رميت الى تنمية فضيلة الرأفة، أظهر رفقك بالآخرين، وان كانت الشجاعة مبتغاك، بيِّن ثباتك في الأحوال العصيبة.

جاهر بعواطفك. وصفت امرأة زواجها بالخاوي، ولامت زوجها لانه لم يفلح في تطييب خاطرها بعد وفاة ابنتهما قبل سنوات. وهي أخبرت روبرت لاور: "تمر أوقات أهفو فيها الى ضمّة من جيم."

فسألها لاور: "هل أخبرته بذلك؟" أجابت: "لا، عليه أن يدرك الأمر."

تحدث لاور الى زوجها في الأمر، وهو يقول: "كان جيم راغبا في ما تريد زوجته. لكنه مفتقر الى التدرب على اليقظة لاحاسيس زوجته وطلباتها. كما

أنها هي أيضاً في حاجة إلى الافصاح عما يعتمل في صدرها."

لا تخش التغير. يتبدل الافراد وتتبدل العلاقات بمرور الزمن. وعلى المرء أن يحذق التغير في الاتجاه الايجابي. قد يناهض الزوج نمو شخصية زوجته مخافة ألا يبقى هو السيد في البيت. وقد تتنغص الزوجة من ترقية زوجها في العمل مخافة أن تتخلف عنه فيهملها. يقول لاور: "يتشكى البعض من ازواجهم قائلين: أنت لست من تزوجت. لكن الزوجين السعيدين يدركان أن التغير مدعاة للاحتفاء لا للنواح والتفجع."

الرابط المقدس يجمع المرأة والرجل فيوكلان النفس واحدهما الى الآخر ويحسّن كل منهما الآخر بالحب والبقاء على العهد. تقول ليندا ماكونهي: "الأمر شبيه برفع حمل ثقيل، يغدو حمله أسهل ان تكاتفتما."

ادوين كيستر الابن
وسالي فالنتي كيستر ■



طيّار

أنا مدرب طيران. وخلال تدريبي أحد الطلاب لاحظت أنه يلاقي صعوبة كبيرة في الهبوط، اذ كان يرتبك في تقدير المسافة المناسبة من الارض قبل أن يشدّ المقبض ويرفع مقدم الطائرة.

لكني دهشت حين هبط على نحو رائع خلال التدريب الليلي. ففي كل مرة كان يقترب من الارض كنت أتهيأ للامساك بجهاز القيادة، لكنه في اللحظة الحاسمة كان يشدّ المقبض ويهبط على نحو ممتاز.

سألته عن المقياس المرئي الذي يعتمده مع أن معظم المؤشرات غائبة في الظلام. أجابني أنه يتجه في خط مستقيم نحو الأنوار في نهاية المدرج، وينتظرني حتى أتصلّب في مقعدي وأهمّ بتسلّم القيادة، فيشدّ المقبض ويهبط بأمان.

أ.ب.

البذلة والوظيفة

اشترى زوجي بذلة جديدة أملا أن يترك انطباعاً حسناً لدى مقابلته مدير شركة طالباً وظيفة.

وخلال المقابلة كان زوجي منسجماً في الحديث، فمال الى طاولة المدير وألقى يده عليها، وللحال لفتت انتباههما بطاقة السعر التي كانت لا تزال مربوطة الى الكمّ. فاستدرك زوجي الموقف المحرج بنباهة قائلا: "حسناً، اذا لم أحصل على الوظيفة فسيكون في امكاني اعادة البذلة الى المتجر."

ك.ر.

وَقعوا في هوى الحريّة

الوحدة الالمانية
مبعث قلق لشعوب كثيرة
ولكن ثمة من يتفاءلون
بأن المستقبل
لن يشهد أوروبا ألمانية
بل ألمانيا أوروبية تنشد السلام

الواقف على قمة التل المشرف على وادي ثورينجيان يوحي له المنظر درسا تاريخيا مؤثراً، والحقول المنبسطة تحته بألوانها الذهبية والزمردية توحي هي الاخرى طمأنينة خادعة. فهنا كان موقع معسكر الاعتقال "بوكنفالد" حيث قتل النازيون ٦٠ ألف سجين بين العامين ١٩٣٧ و١٩٤٥. وعلى مقربة من المكان تجثم قاعدة عسكرية سوفييتية ضخمة ترمز الى الوجود الاجنبي في المانيا الشرقية منذ ٤٥ عاماً.

خلف هذه الحقول تقع مدينة فايمار حيث عاش الاديب غوته - شكسبير المانيا - والروائي فريدريك شيلر والمؤلف الموسيقي فرانتز ليست. في هذه المدينة تنتصب القاعة حيث كان آخر نظام ديموقراطي في ألمانيا يعقد اجتماعاته بين العام ١٩١٩ والعام ١٩٣٢ عندما سقطت في أيدي النازيين. وترمز فايمار الى أفضل ما في الحضارة الالمانية، والى الامل المستقبلي.

لم يعد من وجود لالمانيا الشرقية الآن. لقد اختفت الحدود التي كانت تفصل الالمانيتين وخلت أبراج المراقبة وأزيلت الاسلاك الشائكة. العالم كله يعرف أن هذه الاراضي الممتدة من فرنسا الى بولونيا، بتراثها المنفصم بين رأسمالية وشيوعية أصبحت في أكتوبر (تشرين الاول) ١٩٩٠ "ألمانيا" صرفاً من جديد.

أي شكل ستتخذه هذه الالمانيا الجديدة؟ ان البلاد التي أنجبت أدولف

هتلر ولودفيغ فان بيتهوفن وكارل ماركس وألبرت أينشتاين واخترعت غاز الاعصاب وسيارات "ب م ف" وأول جهاز للاشعة السينيـة (اكس) وأضرمت حـربين عالميتين، ستصبح من جديد، وبسرعة، القوة الرئيسية في أوروبا.

فمن هم ألمان المستقبل الآتي؟

أزهار تتفتح. مدينة هالي هي مركز الصناعة الكيميائية في ما كان لفترة قريبة "ألمانيا الشرقية." في هذه المدينة كنيسة شاهقة من العصور الوسطى ومنازل أنيقة تشهد على ثراء الماضي. أما تركة الحكم الاخير فتتمثل في شوارع قذرة مليئة بالحفر وسطوح متداعية وأراض خـلاء. لقد آلمتني رئتـاي وأحسست حريقاً في عيني وأنا أستنشق هواء قد يكون الاكثر تلوثاً في العالم.

خارج المدينة، في مجمع ضخم من المساكن الحقيرة، التقيت فيليم رومر الذي يدرّس الهندسة الزراعية في جامعة مارتن لوثر. صافحني بحرارة وهو يقودني الى شقته الضيقة النظيفة. وعندما سألت رومر وزوجته آن روز عن رأيهما في اعادة توحيد ألمانيا، بدأا، كعادة الالمان، بسيل من مشاعر القلق. انهما قلقان على الآلاف من العاطلين عن العمل، ويتساءلان هل في مقدور شعب تدرب لسنوات طوال على تلقي الاوامر، أن يفكر لنفسه. وأخيراً هناك الاسعار وأرتفاعها الجنوني بعد توحيد النقد. المستقبل يقلقهما، لكني لمست تحت مشاعر القلق فيضاً عارماً من الابتهاج: أمور كثيرة غير عادية أصبحت الآن ممكنة. فابنهما المراهق يستعد للسفر الى بريطانيا لقضاء أسبوعي اجازة، الامر الذي كان بعيد المنال في الماضي القريب. كما يستطيع فيليم رومر أن يحاضر في جامعات فيينا وغوتنغن وحيث يشاء.

لم يعرف آل رومر سوى النظام التوتاليتاري، أولا في ظل النازية وبعد ذلك في ظل الشيوعية. الآن، وللمرة الاولى في حياتهم، يستطيعون التحدث الى الاجانب. ومال رومر فوق الطاولة ليقول: "انها تجربة جديدة كليا."

وقبل انصرافي أعطاني رومر بطاقتين من صنع يديه: الاولى لوحة زيتية تضج بالحياة وبألوان متداخلة، والاخرى مركبة من زهور برية مكبوسة. وطالعتني في الهدية ملامح غنى في المشاعر المكبوتة والقدرة على الابداع كنت أدرك أنها تنتظر التفتح في انحاء ألمانيا.

يمثل رومر مشاعر كثيرين من الالمان الذين التقيتهم: فهو جدّي، متحرر،ويبحث عن ألمانيا جديدة يفتخر بانتمائه اليها.

أبواق انذار. كانت المانيا الغربية، وتعداد سكانها ٦١ مليوناً، واحدة من أعظم الدول التجارية على الارض خلال معظم الثمانينات. فقيمة صادراتهـا ووارداتها أكبر منها في أي من اليابان أو الولايات المتحدة. وكانت المصانع تنتج في حدود ٩٠ في المئة من طاقتها.

وتضيف الوحدة نحو ١٧ مليون نسمة الى اقتصاد يزخر بالحيوية. قال لي أحد كبار الديبلوماسيين الغربيين في بون: "ان النجاح أمر محتم، وسيكون المعجزة الاقتصادية المقبلة."

ان صهر الالمانيتين قد يُحدث القوة الاقتصادية العظمى في العالم، دولة جديدة غنية على أهبة تعديل ميزان القوى في أوروبا.

قبل فترة ليست ببعيدة كانت ألمانيا الغربية واجهة دفاع حلف شمال الاطلسي (ناتو) أمام الشرق القابع تحت الهيمنة السوفييتية. أما الآن فتتولى المصارف الالمانية شراء ديون أوروبا الشرقية وتؤمّن مليارات الدولارات لدعم الاقتصاد السوفييتي المتداعي. تُرى هل أصبحت ألمانيا جسر الغرب الى الدول الشيوعية السابقة، أم انها في سبيل اقامة "رايش" اقتصادي على أنقاض الامبراطورية السوفييتية؟

أصوات التحذير ترتفع من كل مكان في الغرب. وفي مقالة نشرتها صحيفة "نيويورك تايمز" في ٦ مايو (أيار) ١٩٩٠ كتب الروائي آرثر ميلر مذكراً الامريكتين: "لا يحق لأي جندي ألماني أن يقول انه حارب من أجل الديموقراطية." ووصف وزير التجارة البريطاني نيكولاس ريدلي الخطط الاوروبية للوحدة النقدية بأنها "خدعة ألمانية هدفها الاستيلاء على كل أوروبا." وعندما عقدت ألمانيا الغربية والاتحاد السوفييتي اتفاق التعاون بينهما في ١٠ يوليو (تموز) ١٩٩٠ تساءل بعض المراقبين بعصبية هل المستقبل يخبىء محوراً روسياً – ألمانيا جديداً؟

من جهة اخرى، هناك آخرون ينظرون بتفاؤل الى بروز ألمانيا الجديدة. ويقول جاك سيمور من وزارة الخارجية الامريكية: "يريد الالمان طي صفحة الحرب والقول: اننا نرغب في أن نعود جزءاً من العالم، فنحن لا نريد الاحساس بالعار والخجل بعد الآن." ويضيف سيمور: "انها فرصة لاستعادة ألمانيا الى أسرة الامم حيث سيكون لها دور كبير في التغيير الايجابي."

نظرة استعلاء. أثناء تجوالي في أنحاء ألمانيا الغربية وجدت شعباً وافر الغنى، واقعياء، ينتمي في معظمه الى الطبقة الوسطى. فالعمال الذين استخدموا الدراجات الهوائية في الخمسينات وسيارات الـ"فولكسفاغن" في الستينات يقودون الآن سيارات "أوبل" و"مرسيدس بنز." واختفت مشاعر "العسكريتاريا" والقومية التي كانت أهم ميزات الحياة السياسية في المانيا قبل الحرب العالمية الثانية، كذلك اختفت مشاعر الحذر من العالم الخارجي، القديمة الجذور في المانيا.

أخبرتني استريد ميدلمان – موتز وهي رئيسة دائرة في معهد أبحاث الاحداث في ميونيخ، أن ٨٢ في المئة من الالمان بين السن الثامنة عشرة والسن السابعة والعشرين سيقضون اجازاتهم هذه السنة

في بلاد أجنبية. وأضافت: "قبل ثلاثين عاماً كانت زيارة هولندا تعتبر حدثاً مثيراً. أما الآن فقد أصبح قضاء عطلة نهاية أسبوع في ايطاليا بسهولة الخروج من البيت لشراء البيتزا."

ولكن تحت كل هذا الترف والغنى لمست احساساً بقلق تجاه الماضي ومشاعر متناقضة في شأن القوة الجديدة التي اكتسبتها المانيا. يقول خبير الكمبيوتر الشاب فولفغانغ رابل: "كثيراً ما يدهشني أن احساسي الوطني ينمو مع الوقت. لكن ذلك يقلقني أيضاً." وتضيف ماريون بهر وهي مندوبة مكتب هندسي: "ليس مستحباً أن يفخر الالماني بألمانيا." وعندما سألتها لم لا أجابت: "لأن ذلك يعود بنا دائماً الى السنوات الاثنتي عشرة من الحكم النازي."

في القرن التاسع عشر كانت عبارة "الطريقة الالمانية تجعل العالم أفضل"[١] من الامثال الالمانية الشعبية. وقد ساهم هذا الشعور بالاستعلاء في جر المانيا الى حربين عالميتين والى كارثة النازية.

وشبَّه أحد الهزليين الالمان مواطنيه "بالعصافير التي تتجمع في الساحات: "انها تأكل من يدك وهي تحت وتسلح على رأسك وهي فوق." ولمثل هذه النكات دلالتها على أن ذكرى هذه الخاصّة التاريخية تزعج الالمان كما تزعج جيرانهم.

أخلاقيات العمل. في المطلق، قد لا يميز الالمان شيء أكثر من الانضباط الذاتي والاحساس بالواجب والرغبة في العمل الشاق. ولا يزال العمال الالمان يحتفظون بمفاهيم عن الاتقان الحرفي والنوعية في الانتاج تعود الى القرون الوسطى في وقت اختفت هذه المفاهيم في كل مكان آخر.

وليس ادل على ذلك من قول أحد الاجانب المقيمين في بون: "في هذا البلد، عندما تصلح سيارتك تبقى صالحة مدة طويلة".

ولا تزال ألمانيا الشرقية تحتفظ ببقايا من أخلاقيات ما قبل الشيوعية. فخلال موجة التظاهرات المؤيدة للديموقراطية والتي اجتاحت أوروبا الشرقية عام ١٩٨٩، أدى اضراب العمال في بولونيا وتشيكوسلوفاكيا الى شلل تام في القطاع الصناعي، وتحوَّل في رومانيا فوضى دموية. أما الالمان الشرقيون فأقاموا تجمعاتهم بمراعاة دقيقة للوقت: مساء كل يوم اثنين، بعد الدوام.

وللحصول على فكرة مباشرة عن اخلاقيات العمل الالمانية، ذهبت الى مقر شركة "ديملر – بنز" في شتوتغارت، التي تعتبر نموذج الاتقان الحرفي الالماني. فتبين لي أن القناعة الثابتة لدى مديري الشركة باستحالة مضاهاة المهارات الالمانية دفعتهم الى رفض عروض لانتاج سياراتهم خارج المانيا. وفي هذا الصدد يقول ممثل الشركة ماتياس كلينرت: "اننا نصنع كل القطع

(١) Und es mag am deutschen Wesen, Einmal noch die Welt genesen.

بأنفسنا، ونفحص كل قطعة مئة مرة، وبذا نتأكد من أنها بلغت حد الكمال. ان هدفنا انتاج سيارة غاية في التناسق."

أثناء الزيارة قادني كهربائي شاب يدعى فولكر براون في جولة على حجرات العمل الوامضة حيث يعمل هو وآخرون في تشغيل أجهزة الكمبيوتر التي تتحكم بخط التجميع. وأوضح لي طبيعة عمله: "عندما يومض ضوء، أبحث عن القطعة المعطوبة وأحضرها لاصلاحها. فاذا كان كل جزء صغير ممتازاً، فان السلعة بكاملها تكون ممتازة".

وفيما تختفي الحواجز التجارية بين دول أوروبا، ترسل معدلات الانتاج الحالية في ألمانيا موجات من القلق في الاسرة الاوروبية. وقد علّق أحد الكتاب البريطانيين على هذا الموضوع بنزق: "يبدو أن حرب المصارف أبلغ أثراً من حرب الطائرات."[٢] لكن أوروبيين آخرين يرحبون بالتحدي الالماني. ويقول رينيه لاسير من "مركز الابحاث والمعلومات عن ألمانيا المعاصرة" في باريس: "ستجبر المانيا الشركات الفرنسية على التحديث لكي تصمد أمام المنافسة. انها تصدِّر نجاحها. وخلال عشر سنين لن يتحدث أحد عن القوة الاقتصادية الالمانية بل عن القوة الاقتصادية الاوروبية العظمى."

علاقة حب. ماذا عن ألمانيا الاخرى؟

بعد ٤٠ عاماً من الحكم الشيوعي بات الناس يتكلمون لغة "مختلفة." وكما أشار أحد المصرفيين: "لا وجود لعبارة "الناتج القومي الاجمالي" في قاموس رجال الاعمال في الشرق. السكك الحديد بالية، والطرق العامة متداعية، ونظام الهاتف اضحوكة، ومعظم الصناعات عتيقة عفاها الزمن. ويقدِّر خبراء الاقتصاد كلفة اعادة البناء والتنظيم و"امتصاص" الديون خلال العقد المقبل بمئات المليارات من الدولارات.

ولدى كثيرين في ألمانيا الغربية مشاعر متناقضة حيال تنكُّب هذا العبء الثقيل. لكنني واثق بأن الغالبية كانت ستؤيد رأي بند ستورزل وهو شاب يعمل في حقل العلاقات العامة أخبرني حين التقيته في شتوتغارت: "ستكون المهمة مكلفة، لكننا لا نملك خياراً. يجب أن نضع ثقتنا في الديموقراطية والحرية. سينجح اخواننا وقد عرفوا الآن لأي هدف يعملون."

لا شيء يمثل التاريخين المختلفين لألمانيا أفضل من برلين المقسمة، فقد نما القطاع الغربي من المدينة كجزيرة للحرية والثروة بينما تعفن القطاع الشرقي. والآن لم يعد هناك وجود لبرلينين. وتتشكل البنايات الانيقة التي هي قيد الانشاء موطناً عصرياً في صحراء القطاع الشرقي القديم. ويساعد مئات من الموظفين الحكوميين في برلين الغربية على ادارة الخدمات العامة في القطاع الشرقي: من الاسكان الى المواصلات الى الشرطة. ويُعاد وصل

(٢) Bankkrieg is even more effective than blitzkrieg

الطرق وبناء الجسور وربط خطوط المترو.[٣] "انها تتغير يومياً،" هكذا علّق سائق سيارة الاجرة وهو يقودني عبر طريق أعيد فتحها للمرة الاولى منذ اغلاقها عام ١٩٦١.

ان الغرب يضخ المال والخبرة التقنية — والديموقراطية.

علاقة حب مع الحرية: تبدو اعادة توحيد ألمانيا وامتداد نفوذها شرقاً تحقيقاً سلمياً لأحلام بسمارك والقوميين الالمان. فهل يمكن الوثوق بألمانيا الجديدة؟

يجيب عن هذا التساؤل البروفسور هانتز — أدولف جاكوبسن الذي أمضى خمسة أعوام سجين حرب في روسيا ويشغل اليوم منصب رئيس دائرة العلوم السياسية في جامعة بون: "الفوارق واضحة بين العام ١٩٣٠ واليوم. كنا مشربين بروح العسكريتاريا ونظرية التفوق العرقي. لكن الحلم القديم بالهيمنة على قارة أوروبا انتهى، والمستقبل لن يشهد أوروبا المانية بل المانية أوروبية."

هذه هي ألمانيا التي قد يتقبلها فيليم رومر. وأذكر ما قاله لي عالم التاريخ البارز ألفرد غروسر الذي فرت عائلته من المانيا الهتلرية الى فرنسا: "في العام ١٩٤٥ كان أفضل ما يتمناه الغرب أن يقع الشعب الالماني في حب الحرية. وقد فعل."

فرغوس بوردفيتش ■

(٣) المترو هو القطار النفقي تحت الارض.



انما الأمم الاخلاق...

يتحدث مايكل بلومنتال رئيس شركة "يونيسيس" لأجهزة الكمبيوتر عن الاخطاء التي ارتكبها في اختيار الموظفين:

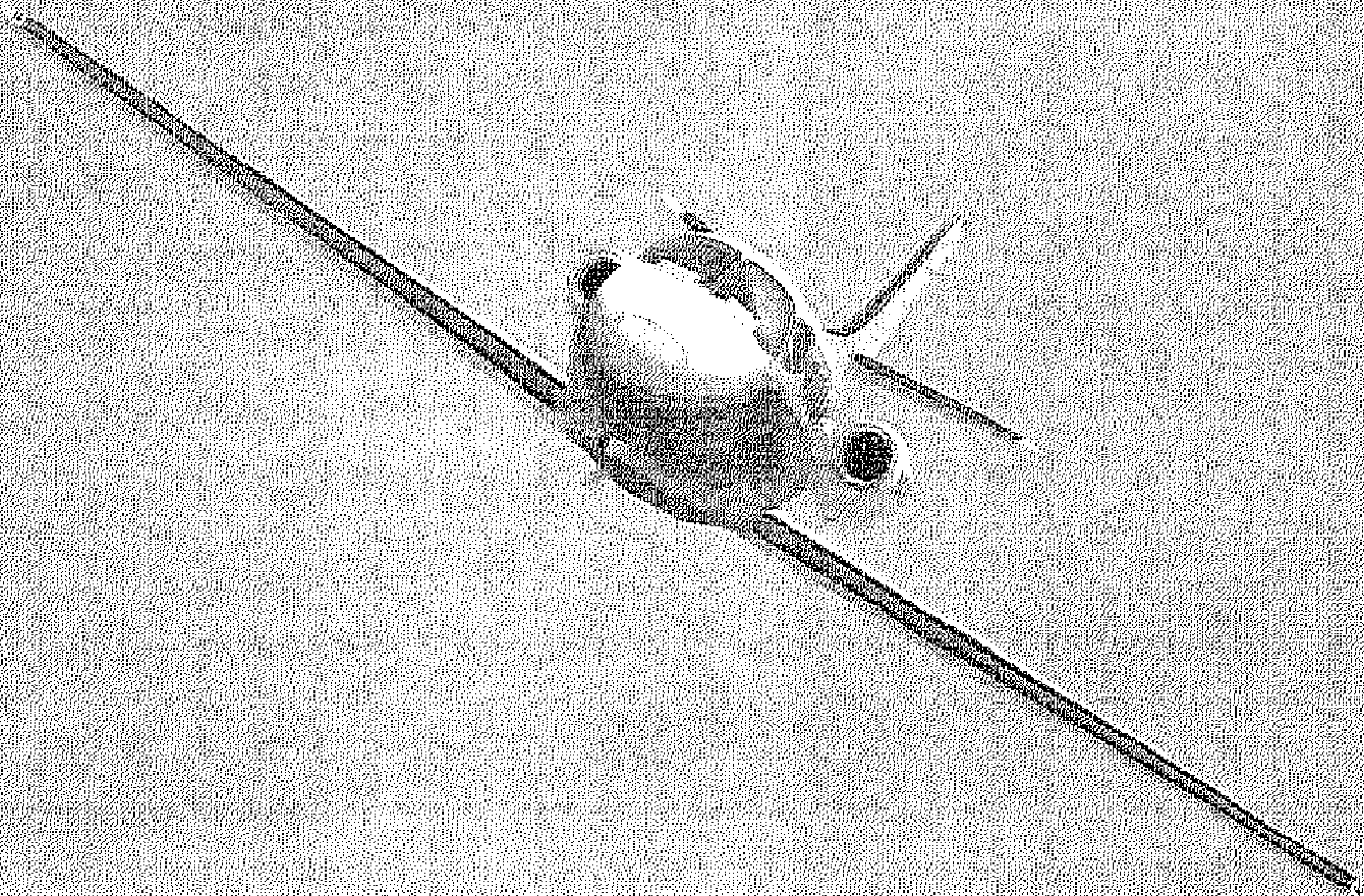
لدى انتقائك أشخاصاً لملء المراكز العالية، عليك التأكد من أنهم يملكون حاسة تمييز الصواب من الخطأ، وارادة قول الحقيقة، والشجاعة في ابداء رأيهم والعمل بما يعتقدونه صواباً، وإن تكن السياسة العامة تسلك اتجاها معاكساً. هذه هي الصفات الجديرة بأن تتبوأ القمة.

وغالباً ما تأثرت بذكاء امرىء وسعة اطلاعه من دون أن أعير اهتماماً كافياً مبلغ استقامته وشجاعته وصلاحه واخلاصه للعمل.

ج.ف.

اقفل متجر صغير بعد أسبوعين فقط من افتتاحه. وعلّق على بابه الاعلان الآتي: "فتحنا خطأ."

ر.ش.



مطاردة في الجوّ

هناك حملة عالمية ضد تجار المخدرات. وتشن حكومة الولايات المتحدة حرباً شعواء علي تجار المخدرات الذين يهربون بضاعتهم الى البلاد من أمريكا اللاتينية. وقد زُوِّد رجال الجمارك الامريكيون طائرات استطلاع مجهزة برادار وطائرات مطاردة بعيدة المدى وطوافات سريعة وبنادق هجومية وبالونات رادار تغطي مئات الكيلومترات من الحدود في أحوال جوية حسنة. لكن الطقس متقلب والحدود تمتد أكثر من ثلاثة آلاف كيلومتر وأعمال الاعتراض الجوي باهظة الكلفة وقد بلغ معدلها نحو خمسة ملايين دولار أسبوعياً خلال السنة ١٩٩٠. فهل يمكن الفوز بهذه المعركة؟ الجواب مرهون بأشخاص أمثال روجر غارلاند وفريقه.



ILLUSTRATION: DAN BURR

الاثنين ٣ ابريل (نيسان) ١٩٨٩، الساعة ٣،٢٠ بعد الظهر.

ظهرت صورة ساحل فلوريدا الغربي على شاشة الرادار في طائرة الاستطلاع التابعة لخفر السواحل. فجأة التقط عامل الرادار نوراً لامعاً متذبذباً في مسار بطيء وعلى علو منخفض. قد يكون "شبحاً" وهو الاسم الذي أطلقه الرجال على الطائرة الصغيرة التي يعتمدها تجار المخدرات لتهريب بضاعتهم الى داخل الولايات المتحدة.

الساعة ٣،٢١. يتصل خفر السواحل بـ«C3» مركز القيادة والمراقبة والاتصالات في الجمارك الامريكية في ميامي. وهناك أكب اختصاصي بأنظمة الرصد على دراسة جداول طيران جمعت بمساعدة مديرية الطيران الاتحادية وحفظت في ذاكرة الكمبيوتر. غير أن هذه المعلومات لم تنطبق على النقطة المتحركة على شاشة الرادار. وأعطى الاختصاصي رأيه: من الجائز أن يكون "شبحا." واتصل عبر خط الطوارىء بقسم الطيران في مصلحة جمارك ميامي في قاعدة "هومستيد" الجوية على بعد ٥٠ كيلومتراً جنوبا.

الساعة ٣،٣٤. عندما رن جرس الانذار الالكتروني في قاعدة هومستيد أسرع روجر غارلاند الى غرفة اللاسلكي. وغارلاند رئيس فرع الطيران في الجمارك في جنوب فلوريدا. لقد أرسلت طائرتان معترضتان على جناح السرعة: طائرة "سيسنا سيتايشن ٢" مزودة آلة تصوير بالاشعة دون الحمراء لتصوير المطاردة، وطوافة من طراز "بلاك هوك" على متنها أربعة ضباط مدججين بأسلحة ثقيلة وعلى أهبة للاغارة وضبط أي عملية مقايضة.

الساعة ٣،٤٤. فيما غارلاند يترقب ورود معلومات أذاع مكبر الصوت: "تمكنت طائرة تابعة لخفر السواحل من رصد الطائرة المجهولة. انها من طراز بيتشكرافت ذات محركين، لكن رقم الذيل مسجل باسم "بايبر أزتيك." وستتولى إحدى طائراتنا مراقبتها حتى وصول الطائرات المعترضة."

لم يكن روجر غارلاند قلقاً. لقد ساهم فريقه في خفض حوادث اختراق المجال الجوي فوق فلوريدا الى نسبة أقل كثيراً مما كانت عام ١٩٨٠، حين كانت "الاشباح" تهبط بأمان على أراض ترابية أو طرق فرعية نائية أو معدة لمشاريع سكنية. أما الآن فالمراقبة المتواصلة خفضت عدد الطائرات المشبوهة التي تدخل المجال الجوي الامريكي الى أقل من واحدة في الشهر.

الساعة ٤،١٧ قطع صوت المذياع على غارلاند حبل أفكاره: "هنا سيتايشن. رأينا البيتشكرافت. وسنقترب للتأكد من الرقم. حوِّل."

توترت أعصاب غارلاند. فالمهربون حين يتنبهون الى أنهم ملاحقون لا يكتفون بالتخلص من حمولتهم بل

يحاولون اسقاط متعقبيهم. وعرف عنهم أنهم يطلقون أنواراً وهاجة ويقذفون أسلاكاً معقودة على المحركات ويلقون رزماً ثقيلة من الماريوانا في الهواء. وتنفس غارلاند الصعداء عندما أوردت طائرة "سيتايشن" خبراً يثبت رقم المطابقة من دون أي اشارة الى اشتباه أحد بوجودها.

الساعة ٤،٥٥. "اختفت الطائرة بين الغيوم. لا بد أن الاشرار شعروا بوجودنا."

أخذ غارلاند يلعن. لقد تأكد الآن من أن البيتشكرافت "شبح." ويبدو أنه أثناء اقتراب طائرة المطاردة للتأكد من رقم الذيل الزائف تنبه اليها شخص على الارض ينتظر وصول الحمولة. لن تتم عملية مبادلة الليلة، ولكن في امكان الجمارك على الاقل ضبط المخدرات باعتقال طيار ينقل حمولة تقدر قيمتها بحوالى ٥٠٠ ألف دولار. فالطيار سيضطر في النهاية الى الهبوط بعد نفاد الوقود، ومعه البرهان القاطع، أو قد يعمد الى رمي الحمولة فتصوّرها الكاميرا من الطائرة المطاردة فيما تناور الطوافة لالتقاطها.

لم ينل روجر غارلاند لقب "الكلب المسعور" جزافاً. انه في الرابعة والاربعين من عمره، قوي البنية، وزنه ١١٣ كيلوغراماً، وهو لاعب سابق بكرة القدم. وقد أمضى ١٧ سنة في خدمة القانون. وكان طياراً نفذ ١٣٦ مهمة قتالية في فيتنام، وحاز وساماً رفيعاً بعدما تمكن من العودة الى قاعدته بطائرته المهشمة. ومعروف عنه أنه عندما يبدأ تعقب "شبح" لا يدعه يفلت منه. وفي احدى مطارداته حط بطائرته على سد للري مفروش بالحصى. وفي مطاردة ثانية هبط على طريق رئيسية مزدحمة شمال بالم بيتش في فلوريدا.

الساعة ٥،١٠. "شاهدت بلاك هوك مظلة هبوط. يبدو أن لدينا طائرة فارغة."

فكر غارلاند: "لا أصدق أن ذلك يحصل ثانية." وعادت به الذكرى الى أربع سنوات خلت عندما كان لا يزال طياراً. فتذكر يوم تعقب طائرة، ولما اقترب منها صعق لرؤيتها خالية وقد شرّع أحد أبوابها. فجمد لا يقوى على شيء وهو ينظر الى الطائرة متجهة نحو المكسيك وعلى متنها الحمولة — البرهان.

صحيح أن الطيار الذي هبط بالمظلة اعتقل، غير أن الذكرى ما زالت الاكثر ازعاجا في حياة غارلاند. فعزم على الا يدع "شبحا" آخر يفلت منه على هذا النحو. فاتصل بطائرة المطاردة قائلا: "سيتايشن، لتحطّ بلاك هوك وتعتقل الطيار."

الساعة ٥،٢٢. "الكلب المسعور، هنا سيتايشن. لقد قبضنا على المشتبه فيه. الشبح يتجه صوب سارازوتا (فلوريدا). الارتفاع ٢١٠٠ متر. السرعة ١٤٠ عقدة.* انه منطلق بثبات، ومن المؤكد انه يحلق بقيادة آلية."

(*) حوالى ٢٦٠ كيلومترا في الساعة.

شعر غارلاند في قرارته بالخطر المحدق. فاذا ظلت الطائرة على سرعتها فستصل فوق سارازوتا بعد نصف ساعة، اذا اجتازت بسلام الخطوط الجوية الناشطة بين تامبا وميامي. واذا لم ينفد منها الوقود فتتحطم فوق احدى المدن الساحلية، واذا صمدت القيادة الآلية الدقيقة وسط الجيوب الهوائية فأي اهتزاز قد يودي بالطائرة الى الارض محطمة شر تحطيم.

أمر غارلاند طائرة المطاردة: "سيتايشن، لتتحقق بلاك هوك من الطيار المعتقل عن كمية الوقود في طائرته."

وكان الجواب الفوري مثيراً للغضب: "لقد رفض المشتبه فيه الاجابة عن السؤال."

انقضّ غارلاند على هاتف الطوارىء آمراً: "أنذروا مديرية الطيران الاتحادي بأن هناك خطراً محدقاً بالملاحة الجوية. فثمة طائرة بلا طيار، وربما مليئة بالوقود، تتجه غرباً بخط مستقيم وتقترب من سارازوتا." وفكر غارلاند: "سوف توجه مديرية الطيران جميع الرحلات الجوية بعيداً عن مسار هذه الطائرة. حبذا لو يلتزم الشبح وجهته وارتفاعه." لكن غارلاند لم يكن مقتنعاً بآماله، فطوال سبع عشرة سنة من حياته المهنية لم ير نظام قيادة آلياً لا يخطىء."

أمر غارلاند عامل الهاتف في مكتبه: "اتصل بواشنطن، وبقاعدة تينـدال الجوية." وتيندال هي أقرب وصلة في فلوريدا بقيادة الدفاع الجوي في أمريكا الشمالية. وبعد أقل من دقيقة رد موظف من القيادة على المكالمة: "ان القيادة مفوضة اطلاق النار على كل جسم يشكل خطراً على الملاحة الجوية. لكن الجنرال وحده يستطيع أخذ هذا القرار."

فسأله غارلاند: "هل يمكن القيادة ارسال طائرات على الاقل؟"

فوافقت القيادة على ارسال مقاتلات.

ما ان انهى غارلاند مكالمته حتى رن جرس الهاتف وكان المتكلم وليم فون راب مفوض الجمارك في واشنطن. فلخص له غارلاند ما حدث، وأنهى حديثه قائلا: "علينا أن نطلب من وزارة الدفاع الاذن باطلاق النار على الطائرة اذا ما بدأت بالهبوط قبل أن تجتاز سارازوتا."

فأجابه فون راب: "أنت تعلم أن ذلك مخالف للسياسة المتبعة."

قال غارلاند: "أجل يا سيدي، ولكن اذا تحطمت الطائرة فوق بناية أو متنزه فهي معرضة للانفجار كقنبلة." فقال فون راب بسرعة: "سأتصل برئيسي في وزارة المال، وأعود اليك."

نظر غارلاند الى ساعته. انها الخامسة والدقيقة السابعة والثلاثون. الليل يقترب وأنوار الـ"بيتشكرافت" غير مضاءة.

الساعة ٥،٤٠. "هنا سيتايشن. اننا نقترب من سارازوتا."

قال غارلاند في نفسه: "اللعنة، اين هذه المقاتلات؟" ثم صاح: "سيتايشن، أريد تقارير متواصلة عن الشبح. واذا طرأ أي تغيير على حركته أعلموني بذلك."

لقد أدرك غارلاند أنه سيطلب من قيادة

الـدفاع الجـوي اطلاق النـار على الـ"بيتشكرافت" اذا لزم الامر وعلى مسؤوليته الشخصية. فوداعا يا معاش التقاعد.

"أيهـا الكلب المسعور، لقد وصل سلاح الجو، مقاتلتان من طراز ف ١٥." وتخيلهما غارلاند، وهو الطيـار العسكري السـابق، أنيقتين وقويتين وسريعتين الى حد أنهما لا تستطيعان مواكبة الـ"بيتشكرافت" الا بالتحليق حولها والالتفاف في شكل أنشوطات.

"هنا سيتايشن أيها الكلب المسعور. لقد اجتاز الشبح مجال سارازوتا الجوي وهو يتجه الآن صوب البحر."

فصرخ غارلاند: "لازموها!" اذ ان الطائرة الفارغة قد تخرج عن القيادة الآلية وتغير مسارها وتعود في اتجاه البر. واذا تركوها الآن فلن يعرفوا ما قد يطرأ عليها الا بعد فوات الاوان.

شكّـت الـ"بيتشكرافت" بسلام في خليـج المكسيك على بعد ٣٤٠ كيلومتراً من ساحل نابولي في فلوريدا، وغرقت قبل أن يصل اليها زورق خفر السواحل. غير أنها خلّفت تسعة عشر أنبوبا بلاستيكيا بلغ طول الواحد منها ١٢٠ سنتيمتراً وهي معبأة بنحو ٣٤٠ كيلوغراماً من أجود أصناف الماريوانا. وقد طفت الانابيب على صفحة الماء.

بعد ستة اشهر مثل الطيار رونالد آرثر كوكس (٤٣ عاما) أمام المحكمة. وهو رجل اطفاء متقاعد لم يلطّخ سجله العدلي من قبل. واعترف كوكس بتهمة التهريب، فحكم عليه بالسجن سبع سنوات.

جاك فنشر ■

المراقبة شيمة الرجال

داخل المتحف الصغير في متنزه "ميسا فيردي" في كولورادو، ديورامات* هادئة تصور حياة الهنود الامريكيين في الماضي: نساء يحكن سلالا ويطهين الطعام ويعتنين بالاولاد. وفي احداها رجال واقفون يحدّقون الى البرية ومعهم كلب.

وسمعت سيدة تبدي ملاحظة تهكمية مؤداها أن النساء يتولين العمل الشاق كالعادة فيما يسرح الرجال ولا يفعلون شيئاً. كانت السيدة على خطأ، لان رجال القفر أولئك كانوا يفعلون شيئاً مهماً: كانوا يراقبون.

والمراقبة تسلية شائعة في معظم بلاد العالم. وأنا أعتقد أنها متجذرة في الجينات الوراثية الذكرية، فماذا يفعل صبي صغير عندما يتسلق شجرة عالية؟ انه يراقب. واذا رأيت رجلا بالغاً متكئاً على جراره الزراعي كأنه لا يعمل شيئاً، فانه يكون فعلا يستجيب لرغبة ملحة عميقة في المراقبة. حتى الصبي الواقف في زاوية شارع أو الجالس على سلّم منزل يلبي نداء الطبيعة الى الرجال أن راقبوا.

(*) الديوراما صورة ينظر اليها من خلال ثقب في جدار حجرة مظلمة.

ج.هـ.

الانفلونزا، مرض الشتاء، تجتاح العالم في موجات وبائية فاتكة. فكيف نتقيها؟

لا تخلطوا بين الزكام والانفلونزا

تشعر فجأة بتعب وانحراف في المزاج وبألم خفيف. ثم يستحوذ عليك العطس البغيض. والسبب في كل ذلك حلول واحدة من تلك الفيروسات الموسمية الجوالة في جهازك. ولكن أهو زكام عادي، أم هي الانفلونزا[1] الناتجة من أغرب ما اكتشفه العلماء من فيروسات؟ كثيرون يعتقدون أن الانفلونزا هي مجرد نوع قاس من الزكام لكنهم على خطأ بل هم على خطأ جسيم.

تفشى وباء الانفلونزا في بريطانيا خلال فصلي الخريف والشتاء من العام ١٩٨٩ على نحو لم تعرفه البلاد منذ ١٤ سنة. فعمدت المستشفيات الى تأجيل كل الجراحات المقررة، ما عدا الطارئة منها والضرورية، لامتلاء الاسرّة بمرضى الانفلونزا. ويذكر الدكتور ولتر ج. غن الباحث في "مراكز مراقبة الامراض" في أتلنتا بولاية جورجيا الامريكية، أن "ذلك الموسم شهد أكبر عدد من الوفيات بفعل الانفلونزا في التاريخ الحديث. ويتوقّع أن يشهد موسم ١٩٩٠ مآسي مماثلة."

فاذا ازددت معرفة بالانفلونزا، ازدادت فرص حماية نفسك وعائلتك من الاصابة بواحد من أغرب ما اكتشفه العلماء من فيروسات. فالانفلونزا مرض ناتج من عدوى فيروسية، لا جرثومية (بكتيرية)، مما يعني أن العلاج بواسطة مضادات حيوية (أنتيبيوتيك) قليل الفائدة. لذا تبقى الوقاية خير علاج.

والفيروس جسيم صغير خدّاع. إذ حين يدخل الجهاز التنفسي يتشبث بخلية ظهارية[2] وينسلّ داخلها حافزاً جهازها التوالدي على انتاج ملايين النسخ عنه. وفي النهاية تمزق الفيروسات المولّدة الخلية وتنتشر في خلايا أخرى تتولى بدورها توليد ملايين أخرى من الفيروسات. وخلال أيام يكتنف المرض الجسم برمته.

قد تبدو الأعراض الأولى للزكام والانفلونزا متشابهة، إذ يرافقهما عطاس ورشح أنف. غير أن الانفلونزا تتسبب في أعراض أخرى لاحقة كالحرارة والسعال

---

(١) influenza او النزلة الوافدة. والكلمة مأخوذة من العبارة العربية "انف العنزة."

(٢) Epithelial cell

الجاف والآلام في أنحاء الجسم. وغالباً ما يعاني الاطفال المصابون اسهالا وغثيانا واستنزافاً لسوائل الجسم.

وعلى رغم هذه الأعراض فان الانفلونزا لا تقتل سوى الخلايا التي تبطن الأنف والحنجرة. وحين تتحول عاملا قاتلا يكون السبب "اشتراكات" وتعقيدات أخرى مثل ذات الرئة.

ويقتل فيروس الانفلونزا أيضاً الشعيرات التي تبطن الشُعَب الهوائية مما يزيد صعوبة تخلص الجسم من المادة المخاطية. إذذاك تتحول الشعيرات الميتة والمادة المخاطية غذاء ينمي الجراثيم في الجنجرة، فتفرز هذه مواد سامة تنتشر في مجرى الدم.

وقد تتسبب الانفلونزا في ارتفاع حرارة الجسم الى درجات عالية ثم هبوطها الى المستوى الطبيعي. ولكن اذا عادت درجة حرارتك الى الارتفاع. فمن المرجح أنك أُصبت بعدوى جانبية. في هذه الحال اذهب الى طبيبك علّه يصف لك مضادات حيوية.

زكام الطيور. درج الايطاليون على تسمية هذا المرض الوافد مع الخريف "إنفلونزا دي فريدو."[٣] واليوم يعرف العلماء أن الانفلونزا ترتحل الى الشمال والى الجنوب من خط الاستواء، متنقلة ليس فقط من بلد الى آخر بل من فصيلة الى أخرى أيضاً. ويرجح العلماء أن يكون فيروس الانفلونزا نشأ في الأصل لدى الطيور. واليوم تصيب الانفلونزا عدداً كبيراً من الحيوانات اللبونة، بما فيها الكلاب والقطط والماشية.

وعدوى الانفلونزا لا تنتقل اليك من كلبك أو من هرك. لكن أطباء القرنين الثامن عشر والتاسع عشر لاحظوا أن البشر والخيول يعانون أعراضاً متشابهة للانفلونزا، خصوصا السعال الجاف والحمّى. واليوم تحقق العلماء من أن المادة الوراثية لانفلونزا الخيل موجودة في فيروس انفلونزا البشر، كما عثروا على "بصمات" الفيروسات الحيوانية في أنواع أخرى من فيروسات الانفلونزا.

وتتدرج الانفلونزا البشرية في ثلاثة أنواع: النوع "ج" يتميز بخفة وطأته ومشابهته للزكام العادي. والنوع "ب" يمكن أن يكون قاتلا، لكن مادته الوراثية لا تتغير الا بفعل التغيار الاحيائي[٤] البطيء، لذا ينزع الى اصابة الأطفال الذين لم يكتسبوا بعد مناعة من اصابة سابقة. والنوع "أ" يتسبب في انتشار وبائي حاد لأنه يتميز بقوة تغيار أحيائية هائلة تحوِّله بين ليلة وضحاها نوعاً مختلفاً من فيروس جموح يراوغ الدفاعات البشرية الحصينة.

ولمعظم الفيروسات مادة وراثية وحيدة تخدع خلايا الضحية فتنسخها. لكن "الرمز" الوراثي لانفلونزا النوع "أ" مقسَّم ثمانية أجزاء مختلفة. ويتولى أكثر من نوع واحد من الفيروسات مهاجمة

(٣) Influenza di freddo اي "تاثير البرد."

(٤) Mutation. وهذا تغير مفاجيء في المادة الوراثية يحدث مواليد جديدة مختلفة على الابوين المنتجين.

الجسم البشري خلال موسم الانفلونزا، وقد تختلط أجزاء فيروسين من النوع "أ" كما يُخلط ورق اللعب. وبهذا تتولى الخلية "المصادَرة" انتاج فيروسات جديدة تختلف وراثياً عن "أبويها." وقد يحدث هذا التزاوج بين فيروسات ناشئة من أجناس حيوانية مختلفة.

هذه الأنواع الهجينة من الفيروسات التي لا تميزها دفاعات الجسم الحصينة تتسبب في أوبئة مريعة. فالانفلونزا الآسيوية التي اجتاحت العالم عام ١٩٥٧ حملت خمسة أجزاء وراثية من منشأ بشري وثلاثة أجزاء أخرى مصدرها الطيور. أما الوباء الذي تفشى في هونغ كونغ عام ١٩٦٨ فكان مزيجاً من ستة أجزاء بشرية وجزءين من الطيور.

اصابات قاتلة. في نهاية كل موسم انفلونزا تعمد منظمة الصحة العالمية و"مراكز مراقبة الامراض" الى درس أنواع جديدة في مصابين عليلين ومائتين. وهذه خطوة أولى ضمن مجهود عالمي يتوخى تحديد نوع اللقاح الناجع لمواجهة التشكيلة المتوقعة للموسم التالي.

وتبقى منظمة الصحة العالمية و"مراكز مراقبة الامراض" خط دفاعنا الأول في وجه الكارثة، لأن الانفلونزا — خلافاً لمعظم الأمراض — تتسم بقدرة كامنة على التفجر. ففي العام ١٩١٨، مثلاً، ظهر فجأة نوع جديد من الانفلونزا أصاب خلال أشهر نحو نصف البشرية وأدى الى وفاة ما يزيد على ٢٠ مليون شخص.

أما النبأ السار فهو أن في وسعك قلب الأضداد لمصلحتك إنْ أنت ازددت معرفة بالانفلونزا. ومن الخطوات الذكية أن تتحصَّن باللقاح، خصوصاً اذا كنت في عداد الفئة الاكثر تعرضا للاصابة بالانفلونزا والتي تشمل كل من تجاوز الخامسة والستين من عمره، وكل من يعاني مشاكل صحية مزمنة كتصلب شرايين القلب والامراض الرئوية، وكل من أخضع في السنة السابقة لعلاج متواصل من داء السكري أو اختلال الكلى أو خضاب الدم (الهيموغلوبين) أو خمود المناعة، كذلك الأولاد الذين يخضعون لعلاج بالأسبيرين لأن أي مزج بين الأسبيرين والانفلونزا يعرض الأولاد للأصابة بأعراض متزامنة مميتة تعرف بأعراض "راي."[٥]

والعجيب أن نسبة الأشخاص الذين يهتمون بالحصول على اللقاح — المتوافر بيسر وكلفة متدنية — لا تتعدى في هذه المجموعات الأكثر تعرضاً للاصابة ٤٠ في المئة سنويا. ومع أن فاعلية اللقاح تراوح بين ٧٠ و٩٠ في المئة، فان الاصابة به اذذاك تصبح في نطاق الحالات الخفيفة، لان الجسم يكون قد تسلَّح وأصبح جاهزا للدفاع.

انفصام الشخصية. تسود الناس مفاهيم خاطئة عن اللقاح ضد الانفلونزا.

(٥) Reye's syndrome

والحقيقة الثابتة هي أن من غير الممكن التعرض للاصابة بالانفلونزا من جراء اللقاح الذي يتضمن إما فيروسات كاملة غير ناشطة وإما فيروسات مجزأة. ومن جهة أخرى يفترض بعض الناس أن التحصين ضد الانفلونزا يؤمن حماية لمدى الحياة. أما الواقع فهو أن التحصين لا يخدم لسوى موسم واحد.

وتخضع لقاحات الانفلونزا كل سنة لاعادة تركيب تستهدف مواجهة طائفة من الأنواع الوراثية المستجدة. ففي مارس (آذار) ١٩٩٠ حرصت "مراكز مراقبة الامراض" على توجيه شركات المستحضرات الصيدلانية لانتاج لقاح يقي من فيروسين من النوع "أ" (انفلونزا تايوان وفيروس شانغهاي اللذين يعتقد أنهما تسببا الموسم الماضي في وفاة أناس كثيرين) وفيروس من النوع "ب" عرف باسم "ياماغاتا." وعندما تظهر فجأة طوائف أخرى من الفيروسات تنصح "مراكز مراقبة الامراض" بالتلقيح ثانية.

ولكن هل يتوجب على بعض الناس الإعراض عن اللقاح؟

الجواب هو نعم في حال الذين يعانون حساسية للبَيْض، لأن البيض هو المادة التي تُستنبت فيها فيروسات اللقاح. كما ينصح بعض الخبراء المصابين بالزكام بعدم تناول اللقاح لأنه يوهن جهاز المناعة موقتاً. واللقاح، الى ذلك، آمن عموماً للحوامل، لكن الخبراء ينصحون بعدم تناوله في أشهر الحمل الثلاثة الأولى.

وتشير أبحاث علم الاوبئة الى أن الانفلونزا تشكل خطراً محتملاً على الجنين. فالأطفال الذين حملتهم أمهاتهم أبان وباء ١٩٥٧ المريع في فنلندا والدانمرك خلال أشهر الحمل الثلاثة الثانية، وخصوصاً قرابة الشهر السادس، تضاعفت لديهم احتمالات الاصابة بالاضطراب العقلي المعروف بالفصام (أو انفصام الشخصية) كما أوردت دراسات مثيرة أجراها الباحث سارنوف أ. مدنيك من "مركز الأبحاث الاجتماعية" في جامعة كاليفورنيا الجنوبية في لوس انجلس. وفي العام ١٩٨٨ أفاد علماء بريطانيون أن الاصابات بالاضطراب العصبي المعروف بداء "باركنسون" لا تتبع منحى مستقراً أو مطَّرداً سنة بعد سنة، بل يبدو أنّ المصابين كانوا في أرحام أمهاتهم خلال حقبات من أوبئة الانفلونزا الحادة. ويفترض العلماء أن تعرُّض أمهاتهم للانفلونزا عطَّل نمو جزء حيوي من أدمغتهم. ومع أن هذه الدراسات وسواها أثارت جدلاً علمياً، فهي خلصت الى أن من المستحسن أن تأخذ النساء الحوامل إجراءات لتحاشي التقاط عدوى الانفلونزا.

من جهة أخرى، يتبادر السؤال عن حاجة الشباب الأصحاء الى اللقاح ضد الانفلونزا. وترى المراجع الطبية أن لا ضرر في ذلك بالنسبة الى من تعرض لاصابات حادة بالانفلونزا في سنوات سابقة. وفي مايو (أيار) ١٩٩٠ نصحت "مراكز مراقبة الامراض" بتلقيح الاطباء

والممرضات وكل مَنْ يعمل أو يقطن مع الأناس الأكثر عرضة للاصابة بالانفلونزا.

تدابير وقائية. اذا رفض شخص من أحبائك تلقي اللقاح، فهناك طرق بسيطة تقوي حلقة التحصين العائلي: توقف عن التدخين، لأن المدخنين معرضون أكثر من سواهم للاصابة بالانفلونزا الحادة، كما أن من يتنشق الدخان هو أكثر تعرضاً للأصابة بالأمراض التنفسية. واغسل يديك تكراراً، وتحاشَ لمس عينيك وأنفك لأن الانفلونزا تُلتقط وتتفشى بهذه الوسيلة. وحين تعطس أو تسعل استعمل منديلا ورقياً لمنع انتشار الرذاذ الحامل للفيروس في منزلك أو مكان عملك. وإذا أصبت بانفلونزا طفيفة ارتحْ في فراشك ما أمكن، وامنح نفسك أسبوعاً على الاقل للشفاء. وتحاشَ قيادة السيارة. فقد توصل باحثون بريطانيون عام ١٩٨٥ الى أن الانفلونزا تعطل ردود فعل المصاب بنسبة ٥٧ في المئة.

ولكن كيف تعرف أن الاصابة الطفيفة بالانفلونزا تتحول حالا خطرة؟

إذا استمرت الحمَّى، أو تحول السعال الجاف سعالا رطبا، أو ارتفعت درجة حرارتك بعد انخفاض، فالاحتمالات تشير الى بداية الاصابة بعدوى جرثومية. في هذه الحال تضع المضادات الحيوية حداً لهذه الاصابة الجانبية فتنقذ حياتك. واذا خالجك شك، استشر طبيبك.

يقول الدكتور فريدريك روبن من مستشفى مونتيفيوري في جامعة بتسبورغ: "لدينا ضمانات تحول دون تفشي وباء مماثل لما حصل عام ١٩١٨" بفضل توافر العقار "أمانتادين" المضاد للفيروس، ورديفه الأكثر تطوراً "ريمانتادين"، وهما يتميزان بالقدرة على صد النوع "أ" (لا النوع "ب") حتى بعد ٧٢ ساعة من الاصابة بالانفلونزا. غير أن هذه المضادات الفيروسية لا تباع الا بناء على وصفة طبية، وقد تنجم عنها أعراض جانبية خطيرة كالتيهان (فقدان الحس بالمكان والزمان) لذلك لا يُنصح بتعاطيها الا في الحالات الخطرة.

خلافاً لأمراض كثيرة، تمكن الوقاية من الانفلونزا. بيد أن كثيرين منا لا يلجأون الى الاجراءات المناسبة لحماية أنفسهم. فكن من الاذكياء المدركين.

لويل بونتي ■

جواب اختياري

رجع أخي الى البيت منهكاً بعدما قدَّم امتحانين في الجامعة ولقي صعوبة في انتقاء الأجوبة الاختيارية من بين الاسئلة الكثيرة المطروحة.

وحين سألته أمي ماذا يحب أن يشرب، الماء أم الليموناضة أم الحليب، تريث لحظة ثم أجاب: "سآخذ... فقرة الحليب."

ج.ك.

دروس في الأخلاق

الاخلاق تدريب وممارسة منذ الصغر وليست نتاج مقررات تعليمية في الجامعات

كلما قُبض على سمسار متلبساً بإساءة الأمانة، أو ابتُكر علاج طبي جديد يطرح معضلات أخلاقية غير متوقعة، تبرز حاجة الى درس في الأخلاق. وتُستحثّ كليات القانون والطب وإدارة الاعمال – وحتى المدارس الثانوية – على معالجة القضايا الأخلاقية بإكثارها من إعطاء مثل هذه الدروس في مقررات تعليمية مبتكرة. والفكرة وراء هذه الحاجة هي أن في الامكان تعليم أي كان التمييز بين الحق والباطل بالطريقة التي يتعلم بها طلاب الطب، مثلاً، التمييز بين البانكرياس والكبد.

والمقرر التعليمي الأخلاقي النموذجي يتركز على كل مسألة بمفردها. فهل يُسمح لفقير بسرقة دواء لمعالجة زوجته المريضة؟ وهل يوهب القلب الوحيد المتوافر للزرع لأم شابة لها ثلاثة أولاد أم لعالم مبدع؟ في هذا الإطار، يتوقع المرء من خرّيج هذا المقرر التعليمي الذي أتقن التمييز الأخلاقي المتبع في النظام الاجتماعي من تحديد الصفقات المشبوهة ومقاومتها ورفض أي أمر غير لائق قد يطلبه منه رئيسه في العمل.

لكن هذا الاستنتاج يعتمد، لسوء الحظ، على تقدير خاطىء للعناصر التي تجعل الناس أخياراً. فالسلوك الأخلاقي هو نتاج تدريب وممارسة لا نتيجة تفكير وتأمل. وكما أكد أرسطو قبل ألفي سنة ونيف، يمكن تنشئة إنسان صالح بتعويده الأعمال الصالحة منذ الطفولة. فالثناء على الطفل لقوله الحقيقة وردعه عن ممارسة الكذب يجعلانه مع الوقت مستقيماً "بالطبيعة."

CONDENSED FROM THE NEW YORK TIMES (NOVEMBER 25, '89), © 1989 BY THE NEW YORK TIMES CO., NEW YORK, N.Y.

إن المعرفة المجردة للخير والشر لا تساهم في تكوين الشخصية أكثر مما تساهم معرفة الفيزياء في عملية قيادة دراجة. فكما أن راكب الدراجة غير مضطر الى التفكير في جهة انحنائه وهو يقودها، كذلك الانسان المستقيم غير مضطر الى التفكير في اجابته بعد حلفان يمين.

واعتماد مقررات تعليمية لتدريس الأخلاق يحمل مضامين أكثر اقلاقاً من مجرد اعتباره اضاعة وقت. فالامثولات الصعبة المقصود منها زعزعة الرضى الذاتي لدى التلميذ تتناول الصراع بين مبادىء تقليدية مألوفة، كالحيرة بين حفظ حق الملكية واستنفاد مدخرات العمر لمعالجة زوجة مريضة. إن صرف التفكير الى هذه الصراعات يوحي أن الفضيلة التقليدية مشوشة وغير مُلزِمة منطقياً في عالم اليوم. لذلك توفر الدروس الاخلاقية مبرراً آخر لتهرب المرء من مسؤولياته البديهية.

والامثولات التي تطرحها المقررات التعليمية الاخلاقية تحرف الاهتمام عن المفاهيم الأخلاقية السائدة. فالاستقامة واحترام الآخرين والمثابرة - وليس الدليل المكتوب للمواقف الواجب اتباعها - هي المنظار الذي يسدد خطى الانسان في رحلة الحياة. وتدريس الأخلاق الذي يتناول الأحداث العامة ينحو الى التركيز على التدابير الوطنية والرسمية. مثلاً، كيف تتم الموازنة بين عامل الربح ومسألة التلوث؟ ومتى يجب على المسؤول الحكوميّ كشف الفساد؟

والأسئلة هذه، وإن تكن شائقة وصعبة، تتناول شؤوناً لا يواجهها معظم الناس. بيد أن هناك شؤوناً أقل تعقيداً لكنها في مجملها التراكمي أكثر أهمية لابن مجتمع، لأنها تتناول التحديات اليومية الصغيرة كالاختيار بين التبرع بجزء من علاوة لعمل خير والذهاب في رحلة استجمام.

يطرح عالمنا المعقد أحاجي أخلاقية من نوع خاص. وليس من شك في أن هناك مجالا واسعا للتأمل الفلسفي في هذا الشأن. ومع ذلك فليس التمييز بين الخير والشر في الحياة اليومية أمراً صعباً جداً. لكن الجزء الصعب في الموضوع هو التغلب على الكسل والجبن من أجل القيام بما يعلم المرء أنه حق فعلاً. وكما يتعلم جميع الآباء والأمهات، فان المثل الصالح والحافز الملائم يمنحان الانسان تلك القوة اللازمة.

مايكل ليفن ■

الكاتب استاذ فلسفة في كلية "سيتي" بنيويورك

قالت أرملة تزوجت أرمل: "لم أتصور أني سأتزوج ثانية. لكني شعرت بوحدة قاسية بعد نفوق هرتي."

ل.ل.



مــن يــنقــذ جنوب افريقيا؟



مصير جنوب أفريقيا في أيدي رجلين: واحد آتٍ من غياهب سجن أمضى فيه ٢٧ عاماً، وآخر من حكومة أمضى فيها ١٨ عاماً ولا مكان فيها إلا للعرق الابيض

في ساعة متقدمة من عصر ١١ فبراير (شباط) ١٩٩٠ فُتحت أبواب سجن "فكتور فرستر" في جنوب أفريقيا ليخرج منها رجلٌ في الحادية والسبعين من عمره وسط تهليل الحشود المنتظرة. وبات نلسون مانديلا حراً بعد ٢٧ سنة من الأسر وجاهزاً – كما اعتقد كثير من أبناء جنوب أفريقيا السود – لقيادتهم الى الحرية.

وفي حين راقب ملايين الناس عملية الاطلاق عبر شاشات التلفزة، أجرى الرئيس الأمريكي جورج بوش مكالمة هاتفية مع مانديلا دعاه فيها الى زيارة البيت الأبيض. كما رحبت حكومات بريطانيا والاتحاد السوفييتي والصين وبلدان أخرى بهذا الحدث.

بيد أن أحداً لم يتابع هذه المناسبة باهتمام فاق اهتمام سيِّد "تونهوز" المقر الرئاسي في كيب تاون. كان رئيس دولة جنوب أفريقيا ف.و. دوكليرك (٥٤ عاما) أقدم لتوه على أكبر رهان في حياته ولما يمض على عهده سوى خمسة أشهر، اذ شرَّع "المؤتمر الوطني الأفريقي" وأطلق مانديلا وأعلن استعداده لاجراء مفاوضات حول تسوية سياسية مع الشعب الأسود في البلاد.

إلا أن السبيل الى ذلك شائك. فالرئيس دوكليرك لن يسمح أبداً بصيرورة

PHOTOS: (TOP) © P. DURAND / SYGMA; (BOTTOM) © A. GOYRI / SYGMA

السكان البيض في جنوب أفريقيا أقلية عاجزة عن الدفاع عن نفسها. وهو أعلن وجوب "إنهاء هيمنة البيض، على ألا يُبدل ذلك بهيمنة السود."

من جهة أخرى طلب مانديلا، ولمّا يمض على إطلاقه الا ساعات، اعتماد نظام اقتراع جديد يقوم على مبدأ "صوت لكل رجل." وهو أمر سيؤدي حتماً الى انتخاب حكومة سوداء انطلاقاً من واقع أن ٧٥ في المئة من سكان البلاد هم من السود، مما سيؤدي الى نوع من السيطرة التي يخشاها البيض.

ويتملك سكان جنوب افريقيا السود ابتهاج بما تحمله الاصلاحات السياسية الجذرية من آمال. غير أنهم لا يجتمعون حول أي شأن آخر. ففي البلد أربعة تكتلات قبلية رئيسية تتنازعها عداوات شرسة ولكل منها لغتها الخاصة وتراثها المختلف. وتسيطر الفوضى على المناطق التي يقطنها السود، فيما تستعر الحرب الأهلية في مقاطعة ناتال بين ابناء قبيلة الزولو من أتباع المؤتمر الوطني الأفريقي الراديكاليين، وأتباع رئيس القبيلة المعتدل غاتشا م. بوتليزي.

من جهة أخرى تسيطر نزعة تشاؤمية على كثير من البيض، ومن بينهم بعض مؤيدي مبادرة دوكليرك. فهم لم ينسوا ما نتج من حصول بلدان أفريقية أخرى على الاستقلال في الستينات، اذ تحولت هذه البلدان ديكتاتوريات عسكرية تنهشها الحروب الأهلية ويستشري فيها الفساد والركود الاقتصادي. وقد وصف رئيس الأساقفة الاسود دسموند توتو[1] هذا الواقع في خطاب ألقاه في نيروبي عاصمة كينيا يوم ٢٥ مارس (آذار) ١٩٩٠ وجاء فيه: "لقد قاسى أبناؤنا في أفريقيا كثيراً لأن الحرية الآن هي أقل مما كانت خلال الحقبة الاستعمارية."

وجنوب أفريقيا هو البلد الصناعي الوحيد في أفريقيا شبه الصحراوية، وله دور إقتصادي أساسي في المنطقة. فالمناجم والمزارع توفر نحو ٢٠٠ ألف وظيفة للمهاجرين السود الوافدين من بلدان مجاورة تعاني الفقر والمجاعة. ومعظم معدات تعدين النحاس في زائير وموزامبيق هي من جنوب افريقيا. والى ذلك تعتمد موزامبيق المجاورة على فنيين من جنوب أفريقيا لتشغيل سككها الحديد ومينائها (ماباتو) فيما تعتمد بلدان صغيرة أخرى مثل بوتسوانا وليزوتو وسوازيلاند على جنوب أفريقيا أساساً لوجودها.

تلاشي التمييز العنصري عندما زرت جنوب أفريقيا عام ١٩٦٠ كان البيض والسود والخلاسيون [2] والهنود يولودون في مستشفيات منفصلة ويؤمون مدارس مختلفة ويقطنون في أحياء مستقلة ويوارون في مدافن متباعدة. ووفقاً للقانون كان السود يُولون أعمالا حقيرة ويلبس معظمهم خرقاً بالية

---

(١) نال جائزة نوبل للسلام عام ١٩٨٤.

(٢) الخلاسي (او الملوّن) هجين من العرقين الابيض والاسود.

ويحملـون أذونا للمـرور في "مدن البيض."

وفي السبعينات بدأ التمييز العنصري يتراجع بعدما نما اقتصاد جنوب أفريقيا بسرعة جعلت عدد البيض غير كافٍ لتولي الوظائف الحرفية والأعمال المكتبية والادارات البسيطة وغيرها. فعمد أرباب العمل – خلافاً للقانون – الى ترقية السود الى هذه الوظائف الى أن ألغيت أخيراً قوانين التمييز الوظيفي.

واليوم يتلاشى التمييز العنصري بسرعة في جنوب أفريقيا. فلقد أُلغيت أذون المرور، وبات الناس من جميع الأعراق يختلطون في أماكن العمل والجامعات والمطاعم والمقاهي. غير أن الانفصال ما زال سائداً في الأحياء السكنية والمدارس الرسمية الابتدائية والثانوية. وعلى رغم ذلك انتقل كثيرون من أبناء الطبقة الوسطى السود الى شقق سكنية في جوهانسبورغ غير عابئين بالقوانين المرعية.

أما المسألة الكبرى اليوم فهي السلطة السياسية. والأسئلة الوحيدة المطروحة هي: هل سيتخلى البيض عن السلطة جزئيا أم كليا؟ ومتى يفعلون؟ وهل سيتم ذلك بالوسائل السلمية؟ والأجوبة مرهونة بمهارة رجلين: نلسون مانديلا و ف. و. دوكليرك.

الحياة في السجن. ولد مانديلا في اقليم ترانسكاي المتاخم للمحيط الهندي والمتمتع بالحكم الذاتي. وهو ابن الرئيس التوارثي لقبيلة "خوسا." التحق بجامعة للسود، لكنه طُرد منها لقيادته اضرابا طالبياً. اذذاك انتقل الى جوهانسبورغ حيث عمل حارسا في منجم ذهب. ودرس بالمراسلة وحصل على إجازة في القانون. وخلال الحرب العالمية الثانية انضم وصديقه أوليفر تامبو الى المؤتمر الوطني الافريقي الذي تأسس لهدف رفع الظلامات عن السود بالوسائل السلمية.

وفي الاربعينات والخمسينات تولى أعضاء من الحزب الشيوعي عدداً من المراكز القيادية في المؤتمر الوطني الأفريقي. وفي حين أعلن مانديلا أنه ليس عضواً في الحزب الشيوعي، تحالف بقوة مع شيوعيي الداخل والخارج. وفي العام ١٩٥٩ انفصل عن المؤتمر الوطني الأفريقي عدد من الاعضاء وكوَّنوا "المؤتمر الأفريقاني العام" الذي ما زال منافساً أساسياً للمؤتمر الوطني الافريقي.

وبعد سنة أطلقت الشرطة النار على متظاهرين سود في شاربفيل فقتل ٦٩ شخصا. اذذاك سارعت الحكومة الى حل المؤتمر الوطني الأفريقي والمؤتمر الأفريقاني العام. فما كان من تامبو إلا أن نظم "المؤتمر الوطني الأفريقي" في المنفى فيما بقي مانديلا في البلاد ونظم "حربة الأمة" وهي الجناح العسكري للمؤتمر الوطني الأفريقي. وبعدما نجح في مراوغة الشرطة سنة كاملة قبض عليه وحكم بالسجن المؤبد بتهمة القيام بأعمال تخريبية ومحاولة اطاحة الحكومة.

أمضى مانديلا السنين العشر الأولى يكسر الصخور في مقلع كلسي في جزيرة روبن قبالة شاطىء كيب تاون. وتأثر الحراس بوقاره الهادىء وعمدوا، في خطوة لم يسبق لها مثيل، الى مناداته "السيد مانديلا." كذلك عامل مانديلا حراسه بلطف وكياسة وكان يناديهم برتبهم وأسمائهم معا.

ومع مرور السنوات بات مانديلا رمزاً لطموحات سكان البلاد السود. وفي العام ١٩٨٩ وجه رسائل الى المسؤولين الحكوميين معلناً أن الوقت حان لاجراء مفاوضات حول تسوية سلمية للنزاع مع السود. وقد لاقت هذه الفكرة استحساناً لدى رئيس الدولة آنذاك ب. و. بوتا كما تحمس لها لاحقا خلفه دوكليرك.

إرساء العدالة. ترعرع فريدريك فيلم دوكليرك في الاوساط السياسية للحزب الوطني، وهو حزب الأفريقانيين [٣] المتحدرين من المستوطنين البيض الاوائل. وكان والده يان وزير دولة ابان تولي الحزب الوطني مقدرات الحكم في البلاد خلال الستينات والسبعينات، عندما سنّت الحكومة جملة قوانين أرست قواعد التمييز العنصري توخيا لتثبيت سيطرة البيض "الى الأبد."

ونال دوكليرك الشاب اجازة في القانون عام ١٩٥٨ ومارس المحاماة في مدينة فرينيغنغ. ثم فاز بمقعد في البرلمان عام ١٩٧٢.

ويتسم دوكليرك باللطف والكياسة ويعتمد التوافق سبيلا في التعامل. وهو يتميز، خلافا لأسلافه، بدراية عميقة بشؤون العالم. كما يتمتع بانفتاح على الأفكار الجديدة. وهو أعلن في اجتماع عقده في أكتوبر (تشرين الاول) ١٩٨٩ مع رجال دين سود ومختلطي الاعراق: "ان هدف الحكومة هو ارساء قواعد النظام والقانون."

لكن أحد رجال الدين عارضه قائلا: "والهدف في أعرافنا هو إرساء قواعد العدالة." ففكر دوكليرك لحظة ثم قال: "انك لعلى حق."

وقد أذهلت اجابته الحضور، لأن مثل هذا التحدي كان أغضب أسلافه حكماً.

حدود السلطة. في تلك الاثناء نُقل مانديلا الى مزرعة سجن "فكتور فرستر" على بعد ٥٥ كيلومترا من كيب تاون، ووُضع في منزل مريح حيث أخذ يستقبل أعدادا من القادة السود والمسؤولين البيض. وكررت الحكومة عرضها اطلاقه إن هو أعلن ارتداده عن العنف الثوري. لكن مانديلا رفض العرض. وفي فبراير (شباط) ١٩٩٠ اذعن دوكليرك اخيرا وأطلق مانديلا من غير شروط.

عندما حدث ذلك ظن كثيرون أن مانديلا سيوصل جنوب أفريقيا الى عتبة الخلاص. فهو تحول في نظر العالم، خلال السنوات السبع والعشرين التي قضاها في السجن، رمزا يجسد مناهضة التمييز العنصري.

(٣) Afrikaners

لكنه خلافاً للآمال المعقودة عليه دعا بعد اطلاقه الى متابعة "الكفاح المسلح." كما أثنى على جو سيلفا أحد قياديي المؤتمر الوطني الافريقي والرئيس السابق للجناح العسكري والمسؤول عن تفجير عبوات ناسفة في أماكن عامة.

وقد أيد مانديلا في مؤتمره الصحافي الأول تأميم المناجم ما تسبب في انخفاض حاد في سوق الأسهم. وانتقد هذا الموقف رئيس تحرير صحيفة "برنس داي" البارزة في القطاع المالي الجنوب – أفريقي فكتب: "لقد انتهز مانديلا أول مناسبة له على المسرح العالمي ليظهر عجزه في ادارة اقتصاد عصري."

وخلال جولة ناجحة في أمريكا أثنى مانديلا على ثلاثة من قادة العالم هم رئيس منظمة التحرير الفلسطينية ياسر عرفات والرئيس الليبي معمر القذافي والرئيس الكوبي فيدل كاسترو. وعندما ناشد الرئيس الامريكي جورج بوش خلال حفلة اقيمت في البيت الأبيض "جميع عناصر المجتمع الجنوب – أفريقيّ التخلي عن العنف والكفاح المسلح"، رفض مانديلا ذلك صراحة وأعلن وبوش الى جانبه أن الرئيس أبدى ملاحظته عن "الكفاح المسلح لأننا لم نشرح له بعد وجهة نظرنا."

ومذ أُعلن مانديلا نائبا لرئيس المؤتمر الوطني الافريقي – وقائدا فعليا له – بدأ يتحقق من حدود سلطته. فحاول أن يضع حداً للحرب الأهلية القائمة بين السود في مقاطعة ناتال، لكن المتحاربين لم يولوه اهتماما، بل زاد العنف استعاراً. ولما دعا الى إرساء النظام والقانون في مناطق السود حيث يُروِّع أسياد الحرب السكان، لم يلقَ تجاوبا.

ويواجه دوكليرك ثورة متنامية هو أيضا. ففي حين يحتفظ حزبه الوطني بأكثرية مقاعد البرلمان، تخلى قرابة ربع مليون ناخب عن هذا الحزب ليصبوا أصواتهم في خانة "حزب المحافظين" الذي يدعو الى عودة التمييز العنصري.

كما أقدم بعض المتطرفين البيض على تفجير قنابل، بينها واحدة جرحت ٢٧ مواطنا أسود في محطة للحافلات. ونظم آخرون عروضا في الشوارع مرتدين بزات نازية.

البحث عن السلام. يأمل كثير من المراقبين أن يتخلى مانديلا عن آرائه المتطرفة ويتبرأ من العنف مع مرور الوقت. وهو خفّف فعلا من لهجته في ما خص مسألة تأميم المناجم.

أمام مانديلا طريق طويلة ليصل الى يوم يتولى الحكم من مقر "تونهوز" الرئاسي. فبعض قادة المؤتمر الوطني الافريقي الشباب يبدون تذمرهم من أن مانديلا كثير الاعتدال، في حين ينفر كثير من أبناء الطبقة الوسطى السود من الأساليب المتطرفة التي تصاغ بأسلوب منمق، وينضم آخرون الى منظمات مثل "المؤتمر الافريقاني العام" وحزب

"إنكاتا" بقيادة زعيم الزولو غاتشا بوتليزي.

والمؤتمر الوطني الافريقي ليس اللاعب الوحيد على المسرح السياسي. فهناك قادة سود لهم تأثيرهم في صوغ الدستور الجديد. ومن هؤلاء بوتليزي الذي يؤيد مبدأ النظام الاقتصادي الحر ويدين الارهاب الذي يدعمه المؤتمر الوطني الافريقي. وهو يتحدث نيابة عن فئة كبيرة من أبناء قبيلة الزولو التي يبلغ تعدادها سبعة ملايين نسمة وهي القبيلة الكبرى في البلاد.

للبيض والسود في جنوب افريقيا احلام متباعدة تتساوى في استحالة تحقيقها. فالبيض ينحون الى الاعتقاد أن في وسعهم حماية أنفسهم بسن قوانين واعتماد ألاعيب دستورية تمنحهم امتيازات خاصة، فيما يحلم السود بالسلطة الفورية والبحبوحة. ولكن من غير المحتمل أن يصل أي من الفريقين الى كل ما يتمناه. وكما في الأمس، حين وطأ أسلاف البيض مجاهل افريقيا في القرن السابع عشر، ينطلق البيض اليوم في رحلة سياسية محفوفة بالمخاطر لم يعهدوها قبلا. وهي رحلة لا سبيل الى العودة منها بعدما تعهدت الحكومة اجراء مفاوضات مع السود حول السلطة. وليس هناك من يستطيع تحديد نهاية الطريق، لا ف. و. دوكليرك ولا نلسون مانديلا.

ديفيد ريد ■



قصص رعب

سُئل ستيفن كنغ، كاتب قصص الرعب الرائجة، عن الاشياء التي ترعبه. فأجاب: "كل شيء. الطائرات. المصاعد. الظلام هو أرعب الاشياء. انا اترك النور مضاء لدى مغادرة غرفتي في الفندق خوفا من أن اعود فأتحسس مفتاح الضوء فأشعر بيد تطبق على يدي. واحد اسباب كتابتي قصص الرعب نوع من الوقاية النفسانية، وكأني أرسم حلقة سحرية حولي وحول عائلتي. لقد كانت أمي تردد دائما: اذا فكرت في اسوأ الاحتمالات فانه لن يتحقق."

ك.ت.

العروس والشقراء

قالت احدى المدعوات للعروس: "كم تبدين رائعة يا عزيزتي." واردفت هامسة: "ولكن ماذا كان من أمر تلك الشقراء السخيفة التي كان عريسك يواعدها؟"

أجابت العروس: "لقد صبغتُ شعري."

ك.ب.

آلة النصر

كان "مولتيفاك" السلاح السري في حرب النجوم. ولكن ما الذي حقق النصر فعلا؟

عمّت الاحتفالات كل مكان. وحتى في سكون حجرات "مولتيفاك" تحت الارض كان تغيُّر الاجواء ملحوظاً. فللمرة الاولى في عقد لم يكن التقنيون يتراكضون حول اجزاء الكمبيوتر الجبار، ولم تكن الانوار الخافتة تومض بتقطّع، وتوقف سيل المعلومات.

هنا زاوية هادئة من عاصمة سيطر عليها الجنون. وقد قصدها ثلاثة رجال بدافع الغريزة.

نزع لامار سويفت قبعته العسكرية وجلس متثاقلا في أحد كراسي التقنيين. انه المدير التنفيذي لاتحاد "سولار"،

وهو بدا غير مرتاح في بذلته النظامية.

قال: "سأفتقد كل هذا. يخيل الي أننا كنا في حرب مع دينيب منذ فجر الزمان، وأكاد لا أصدق أننا الآن في سلام ووئام ويمكننا أن نشخص الى النجوم من دون وجل."

كان الرجلان الآخران أصغر سنا من سويفت، ولم يبدُ أي منهما في شيبه وتعبه.

ووجد جون هندرسن صعوبة في ضبط الارتياح الذي غمره بعد نشوة الانتصار، وقال: "ما زلتُ غير مصدق! لكم تكلمنا طوال هذه السنين عن الخطر الذي يتهدد الارض ومعالمها وسكانها. وها نحن الآن أحياء بعدما دُمِّر الدينيبّيون."

قال سويفت وهو يرمق ماكس جابلونسكي الرابط الجأش الذي كان خلال الحرب المترجم الرئيسي للكمبيوتر الهائل: "الفضل لمولتيفاك، أليس كذلك يا ماكس؟"

فردّ جابلونسكي هازاً كتفيه: "هذا ما يقولونه."

"أتغار يا ماكس؟"

أجاب جابلونسكي وقد غام وجهه المغضّن بنظرة ازدراء: "ماذا يعنيني ذلك؟ فليقولوا إن مولتيفاك هو الماكينة التي ربحت الحرب اذا كان ذلك يسُرّهم."

نظر هندرسن بطرف عينه الى الرجلين وهو مدرك عِظَم ذنبه، فجأة لم يعد في وسعه تحمل ذلك الذنب المرهق الذي أراد وأده مع الحرب، فاعترف: "لم تكن لمولتيفاك يد في النصر. انه مجرد آلة، وليس أهم من المعلومات التي أُلقم إياها." وسكت وقد راعه التفوه بهذه الكلمات.

نظر اليه جابلونسكي قائلا: "أنت أعلم بذلك، فأنت من قدّم المعلومات. أم انك تريد أن ينسب الفضل اليك؟"

"لا!" أجاب هندرسن بغضب، "لا فضل لي في ذلك، ماذا تعرف أنت عن المعلومات التي استوعبها مولتيفاك ملخّصة من مئات الكمبيوترات الفرعية على الارض والقمر والمريخ وحتى على تيتان؟

"قبل ثماني سنوات، حين أصبحت المبرمج الرئيسي، كانت الحرب لا تزال مغامرة بعيدة المدى ولا خطر حقيقيا فيها. لم نكن بلغنا مرحلة استخدام مركبات مأهولة، حيث تبتلع الخوارق الطبيعية بين النجوم كوكبا بكامله. ثم بدأت المصاعب الحقيقية. انكما لا تعرفان عنها شيئا."

قال سويفت: "أخبرنا عنها."

"حسنا أصبحت المعلومات خلوا من المعنى. أنتما الاثنان لم تكونا في المعمعة. أنت يا ماكس لم تغادر مولتيفاك مطلقا. وأنت أيها السيد المدير لم تبرح القصر الا في زيارات رسمية حيث شاهدت ما أرادوك أن تشاهد."

فقاطعه سويفت: "لم أكن غافلا عن ذلك."

تابع هندرسن: "هل تعلمان الى أي حد بلغ عدم الثقة بالمعلومات التي تناولت طاقتنا الانتاجية ومواردنا وقدرتنا

البشرية وكل ما هو مهم في القتال خلال النصف الاخير من الحرب؟ كان قادة المجموعات، المدنيون والعسكريون يكرسون جهدهم لصون مقاماتهم، فحجبوا السيىء وعظّموا الجيد."

فكر جابلونسكي هنيهة وقال: "لكنك لم تذكر شيئاً عن عدم الجدارة بالثقة."

فرد هندرسن: "أنّى لي أن أخبرك؟ كان كل مجهودنا الحربي منصبّاً على مولتيفاك باعتباره أعظم سلاح في أيدينا. ولم يكن للدينيبيين سلاح يماثله. فما الذي أبقى المعنويات عالية في وجه الهلاك؟ انها الثقة بأن مولتيفاك سيستبق كل تحرك يهمّ به الدينيبيون ويحبطه. فلو أخبرتكم في ذلك الحين أن المعلومات غير موثوق بها، أما كنتم أبدلتموني وكذبتموني؟ لكني لم أكن مستعداً للسماح بذلك."

فسأله ماكس جابلونسكي: "وماذا فعلت اذاً؟"

"صحّحت الخطأ."

"وكيف؟" سأله سويفت.

"بالبديهة. بدأت أغيّر قليلا هنا وهناك لتصحيح المستحيلات الواضحة. ولما رأيت أن السماء لم تطبق على رؤوسنا تشجعت. وقرابة النهاية كدت أفقد كل اهتمام، فكنت أكتب المعلومات اللازمة عند الحاجة اليها، حتى اني أوكلت الى ملحق مولتيفاك تحضير المعلومات لي وفق برمجة خاصة ابتكرتها."

تبسّم جابلونسكي على غير انتظار والتمعت عيناه السوداوان تحت جفونه المتغضّنة. قال: "قُدمت الي ثلاثة تقارير عن استخدام الملحق من دون تفويض. وتغاضيت عن الامر في كل مرة، فلو كان مهما لتقصّيته وكشفتك يا جون وعرفت ماذا كنت تعمل. لكننا لم نُعِر مولتيفاك أهمية في تلك الايام، لذلك أفلتَّ بفعلتك."

سأله هندرسن مشككا: "لم تعيروه أهمية؟"

فأجاب: "كلا. ما الذي حملك على الاعتقاد أن مولتيفاك كان يعمل بانتظام ودقة؟ أين كان التقنيون في سنوات الحرب الأخيرة؟ كانوا يلقّمون أجهزة الكمبيوتر العاملة في ألوف الاختراعات الفضائية. كلهم ذهبوا. وتعيّن علي الاستعانة بصبية لا أثق بهم ومتقاعدين تجاوزهم العصر. ولم يهمني صدق معلومات مولتيفاك. كانت النتائج غير موثوق بها، وهذا جلّ ما عرفته."

سأله هندرسن: "وماذا فعلت؟"

قال: "كما فعلت أنت يا جون. عدّلتُ الأمور بديهياً، وهكذا ربحت الآلة الحرب."

انحنى سويفت في كرسيه الى الوراء ومدّ رجليه أمامه وهتف: "يا لهذه الاكتشافات! لقد اتضح اذاً أن المعلومات التي تلقيتُها لتوجيهي في أخذ القرارات كانت ترجمة انسان لمعلومات قدمها انسان! كنت مصيباً في عدم الاعتماد عليها كثيراً."

صاح جابلونسكي: "ألم تفعل ذلك؟" وبان أن كرامته مُسَّت على رغم ما اعترف به.

وردّ سويفت: "يؤسفني أن أخبركما انني لم أفعل. لقد بدا لي مولتيفاك كأنه يقول: اضرب هنا، لا هناك، اعمل هذا، لا ذاك. لكني لم أكن على يقين أبداً أن ما قاله مولتيفاك عناه حقا."

فاحتجّ جابلونسكي: "لكن تقريره النهائي كان دائماً واضحاً يا سيدي."

"ربما لاولئك الذين لم يتعين عليهم أخذ القرار، ولكن ليس لي. فرهبة المسؤولية في أخذ مثل هذه القرارات كانت كابوساً لا يطاق."

رأى جابلونسكي أنه وقع في فخ الاعتراف المتبادل، فقال نابذاً الألقاب: "فماذا عملت حينئذ يا لامار؟ أنت أخذت قرارات. فكيف؟"

مدّ سويفت يده الى جيبه وأخرج قطعة نقد معدنية قديمة تعود الى العصر الذي سبق نقص المعادن مما أدى الى ابتكار نظام اعتماد يضبطه الكمبيوتر. وأمسك القطعة المعدنية بين أصابعه وراح يحدق اليها.

قال: "ليس مولتيفاك الكمبيوتر الاول ولا الاكثر شهرة ولا الاقدر على رفع ثقل مسؤولية القرار عن كاهل المدير المنفّذ. ان آلة حاسبة ربحت الحرب فعلاً، آلة في منتهى البساطة، أقدم كثيراً من مولتيفاك، استخدمتُها كلما تعين علي أخذ قرار صعب."

وأفترّ ثغر سويفت عن بسمة خفيفة وهو يتذكر، وقذف القطعة المعدنية في الهواء فالتمعت ودوّمت وسقطت في راحته اليمنى. فأطبق يده عليها ونقلها الى قفا يده اليسرى هاتفاً: "صورة أم كتابة أيها السادة؟"

اسحق عظيموف ■

الكاتب روسي المولد، عاش في الولايات المتحدة منذ كان في الثالثة من عمره. وهو الآن في التسعين من عمره، وقد الف أكثر من ٤٠٠ كتاب. ومن مؤلفاته الاكثر رواجاً "دليل عظيموف الى شكسبير" وروايات واقعية وعلمية – خيالية. وفي سلسلة القصص القصيرة "روبوت" وضع عظيموف "ثلاثة قوانين" يعتمدها العلماء اليوم في تطوير الكمبيوتر.



الساعي والكلب

دخلت فناء دار مسيَّجة لتسليم البريد، فانقض علي كلب ضخم ورماني ايضا واخذ يلحس وجهي بشهية وحماسة.

واذا بصاحبة الدار تهرع الى الباب وتنهر الكلب: "ايها الغبي! إنه ساعي بريد وليس طابعا بريديا."

ب.ج.د.

أسرع طريقة لخسارة صديق هي اسداء نصيحة تكون في مصلحته.

س.ا.

حكايات طريفة

نسمع يومياً حكايات طريفة حصلت مع "صديق" أو مع "صديق صديق." فما مدى صحة هذه الاخبار؟

في ساعة متقدمة من الليل انطلق رجل في سيارته على الطريق العامة في اتجاه الجنوب. وكان مسرعاً فطاردته سيارة شرطة وأوقفته، ونزل منها شرطي توجه اليه. واذ دنا منه ليكلمه وقع حادث اصطدام على الخط الشمالي المقابل، فاجتاز الشرطي الطريق ليقدم يد العون.

في تلك الاثناء خرج الرجل من سيارته وبدأ يذرع المكان جيئة وذهاباً. أخيراً قرر العودة الى منزله. وهناك طلب من زوجته أن تقول للشرطة، اذا ما اتصلت، انه لازم المنزل طوال الليل وكان صاحياً طوال السهرة.

وفي صباح اليوم التالي قرع جرس الباب. ففتح الرجل وأفاد رجال الشرطة أنه لازم منزله طوال الليل. وأيدت زوجته الرواية. عندئذ طلب منه رجال الشرطة السماح لهم بتفتيش المرأب. فلم يمانع. فتوجهوا الى المرأب. وهناك عثروا على سيارة الشرطة ومصابيحها لا تزال مضاءة.

هذه واحدة من حكايات أمضيت

سنوات في جمعها. ونحن الذين نعنى بالتراث الشعبي ندعو قصصاً كهذه "حكايات المدن" لأن المدينة تكون غالباً مصدرها.

وتذيع حكايات المدن وتقطع أشواطاً بعيدة مثلما كانت الخرافات وحكايات الجن وقصص الحب في الحضارات البدائية. فتتناقلها الالسن وتروى على أنها تجارب حقيقية حصلت حديثاً مع صديق أو صديق لصديق.

فأين تنشأ هذه الحكايات؟

يضمحل معظم الادلة لدى استقصاء مصدر الحكاية. غير أن الحكايات تبقى، لانها تمتاز بقيمة ترفيهية، كما أنها تشبع نزعتنا الى الاطلاع على حوادث غريبة ومخيفة تتضمن خطرا محتملا كقاتل أو مجنون طليق أو سلعة غير مأمونة أو حادث غامض في الحياة اليومية يتعذر تفسيره. وثمة قصص شعبية ممتعة تلقن دروساً قيمة.

إن قصصاً كهذه تروى وتعاد في السهرات وخلال الرحلات ولقاءات الاصحاب، ليس فقط لحبكاتها المحكمة الموفقة، بل لأنها تستحوذ على فكر المراهق، خصوصاً، لدى خروجه الى العالم الواسع. ومع أن الهدف الفوري لهذه القصص هو الاخافة وإثارة الهلع، فانها تنطوي على رسالة تحذيرية: كونوا متنبهين!

وفي كثير من حكايات المدن مقومات قصص الرعب الكلاسيكية. وهذا نموذج: عادت امرأة من عملها فوجدت كلبها ممدداً على الارض لاهثاً يكاد يختنق. فاستبد بها القلق فحملته الى البيطري. فحص البيطري الكلب وقال للمرأة انه سيدخل أنابيب في حلقه لمساعدته على التنفس، ونصحها بعدم رؤية هذا المشهد وترك الكلب في عيادته والعودة الى المنزل.

وصلت المرأة الى منزلها فسمعت جرس الهاتف يرن بلا انقطاع. واذ تناولت السماعة سمعت البيطري يقول لها محذراً: "اخرجي من المنزل فوراً وإذهبي الى بيت الجيران واتصلي بالشرطة."

لقد عثر البيطري على ثلاث أصابع بشرية عالقة في حلق الكلب، وخشي ان يكون الدخيل ما زال في البيت. وحين وصلت الشرطة وجدت في الخزانة رجلا فاقداً الوعي وبلا أصابع.

اجتاحت قصة "الكلب المختنق" الولايات المتحدة صيف ١٩٨١. ورويت بصيَغ مختلفة. وفي إحدى الروايات يغادر المجرم المنزل ويعتقل لدى وصوله الى المستشفى. وفي رواية ثانية يقتفي مكتب التحقيقات الاتحادي أثر المجرم من خلال بصمات أصابعه المقطوعة.

وثمة قصص مدينية غير مخيفة البتة، وهي أشبه بنكتة أو ملهاة. وهذه قصة اخترت لها عنوان "الوصية":

أمضى رجل يومه في السوق، ولم يجد مرحاضاً في أي من المحلات التي قصدها.

أخيرا دخل مؤسسة تعنى بدفن الموتى، فوجد فيها مرحاضاً. ولدى

خروجه مر بغرفة فيها تابوت مفتوح. ولم يرَ أحداً من أهل الفقيد.

واذ شعر بالذنب لدخوله المكان على هذا النحو، خطا داخل الغرفة ووقّع سجلّ المعزين. ولم تمضِ فترة وجيزة حتى تلقى اتصالا من محامٍ أخبره أن المتوفى، وهو رجل وافر الثراء، أوصى بتوزيع ثروته على الذين يحضرون جنازته. وكان هو الشخص الوحيد الذي حضر.

وسمعت حكاية أخرى من هذا النوع راجت في صيف ١٩٨٨:

ذات يوم هلعت امرأة لرؤية كلبها يعضّ أرنباً نافقاً. وكان جيرانها يربون أرنباً في قفص خلف منزلهم. فأدركت أن الارنب النافق هو أرنب الجيران. فعمدت الى تنظيفه وتجفيف فروته. ثم تسللت الى حديقة الجيران وأعادت الارنب الى القفص.

وفي اليوم التالي رأت سيارة شرطة متوقفة أمام منزل الجيران. واذ استبد بها الفضول خرجت تستفسر الامر. فأخبرها الشرطي: "جيرانك يتهمون مجهولا بازعاجهم. لقد نفق أرنبهم قبل أيام، واذا بمجهول ينتشله من تحت التراب ويعيده الى قفصه."

والجامعات مصدر غني بالقصص الشعبية العصرية:

أمضى طالب جامعي ليلته ساهراً وهو يعد لامتحان في الرياضيات، فاستغرق في النوم صبيحة اليوم التالي. ولما دخل قاعة الامتحان متأخرا رأى ثلاث معادلات مكتوبة على اللوح. فحلّ أول معادلتين بسرعة، غير أن الثالثة بدت مستحيلة. فعكف عليها بجهد حتى تمكن من حلها قبل عشر دقائق من انتهاء الوقت المحدد. في تلك الليلة تلقى الطالب اتصالا هاتفيا من أستاذه الذي صرخ فيه: "هل تدرك ماذا فعلت اليوم؟"

ففكر الطالب: "يا الهي، لقد رسبت."

وأكمل الاستاذ حديثه: "كان يفترض بك أن تحل أول مسألتين فقط، أما الاخيرة فهي معادلة استعصت على علماء الرياضيات منذ أيام أينشتاين. لكنك أنت وجدت الحل!"

وتستند هذه الحكاية الى حادث حصل فعلا:

وصل جورج ب. دانتزيغ (الذي عرف لاحقاً بلقب "أبي البرمجة الطوليّة")* الى صف الاحصاء خلال سنته الاولى في جامعة كاليفورنيا في بيركلي. ورأى على اللوح مسألتين. واذ وصل متأخراً ظن أنهما أعطيتا فرضا، فنقلهما وسلم الحلول بعد أيام.

وفي صبيحة يوم أحد، بعد مضي ستة أسابيع، حضر الاستاذ الى منزل دانتزيغ ملوحاً بمخطوطة.

ما حصل هو أن الاستاذ كان كتب على اللوح نموذجين من المسائل التي لا حل لها. أما المخطوطة فكانت حلول دانتزيغ التي أعدت للنشر.

وهكذا، فحتى في حكايات المدن قد تكون الحقيقة أغرب من الخيال.

يان هارولد برونفند ■

(*) Linear programming

امتحنوا معلوماتكم الغذائية

لم يسبق أن كان الغربيون أكثر تعطشاً الى الاطلاع على حقائق الطعام والصحة. وفيما الابحاث الطبية اليوم تحوّل عقائد الامس مغالطات، يعمد كثيرون الى تغيير أنظمتهم الغذائية.

فالى أي مدى تتجاوبون أنتم مع آخر الاكتشافات في حقل الحكمة الغذائية؟ اختبروا معلوماتكم بالاجابة عن الاسئلة الآتية:

س. الاطعمة المصنفة "خفيفة"(١) يجب أن تحتوي على نسب قليلة من: (أ) الوحدات الحرارية. (ب) الدهون المشبعة. (ج) الكولسترول. (د) الصوديوم. (هـ) لا شيء مما سبق.

ج. لا شيء مما سبق. ففي غالبية المنتجات الغذائية يُسمح للمصنّعين باعتماد هذه العبارة بالطريقة التي يرونها مناسبة. فلفظة "خفيف" المطبوعة على ملصق صنف من زيت الزيتون قد تعني المذاق لا المحتوى الدهني أو الوحدات الحرارية. وتصنيف "خفيف" ليس له مدلول الا في ما اختص بلحوم الماشية والدجاج. ففي أنظمة وزارة الزراعة الامريكية أن هذه الاطعمة يجب أن تحتوي على وحدات حرارية وصوديوم ومواد دهنية وكولسترول أقل بنسبة ٢٥ في المئة من مثيلاتها "غير الخفيفة"

(١) Light or lite

وينبغي أن تصنف على هذا الاساس.

س النظام الغذائي الامريكي النموذجي يفتقر الى:
(أ) البروتيين. (ب) الكربوهيدرات.
(ج) الدهون. (د) لا شيء مما سبق.

ج انه لا يفتقر الى أيٍ من هذه المواد. فالامريكيون في المتوسط يستهلكون البروتيين بنسبة ٤٠ في المئة أكثر من حاجة الجسم. والكمية الموصى بها يومياً للبالغين هي ٦٣ غراماً للرجال و٥٠ غراماً للنساء (الحوامل والمرضعات يحتجن الى كمية أكبر). وتحوي قطعة "همبرغر" من اللحم الهبرزنة ١٠٠ غرام نحو ٢٥ غراما من البروتيين.
وفي تقرير نشرة "مجلس الابحاث الوطني" عام ١٩٨٩ يُحضّ الامريكيون على تناول مزيد من الاطعمة التي تحتوي على كربوهيدرات مركبة (فاكهة وخضر وحبوب) وخفض الدهون والبروتيين.

س. أيهما أغنى بالوحدات الحرارية؟
(أ) الدهن المشبع. (ب) الدهن غير المشبع. (ج) كلاهما متعادلان.

ج. انهما متعادلان. يمكن تصنيف المواد الدهنية "مشبعة" أو "غير مشبعة"(٢) تبعاً لحالتها في حرارة الغرفة العادية، فهي "مشبعة" اذا كانت جامدة و"غير مشبعة" اذا كانت سائلة. وللمواد الدهنية دور مهم في تزويد الجسم طاقة مكثفة، وهي تحتوي على تسع وحدات حرارية في الغرام الواحد. أما البروتيين والكربوهيدرات فتحتوي على أربع وحدات حرارية فقط في الغرام.

س هل صحيح أن النساء يحتجن الى كمية الحديد ذاتها التي يحتاج اليها الرجال يومياً؟

ج. خطأ. الكمية الموصى بها يومياً هي عشرة مليغرامات للرجال و١٥ مليغراماً للنساء والفتيات البالغات. وعلى الحوامل الحرص على تناول كمية كافية من الحديد، وقد رُفعت الكمية التي يجب أن يتناولنها يومياً الى ٣٠ مليغراماً. ومن مصادر الحديد لحم البقر وبعض أنواع الاسماك والمحار واللوبياء والخبز والحبوب والرقائق الحبوبية (فليكس) التي أضيفت اليها الفيتامينات والمعادن.

س. أي من هذه المواد يحتوي على معدلات مرتفعة من الالياف غير القابلة للذوبان؟
(أ) نخالة القمح. (ب) دقيق الشوفان.
(ج) كلاهما. (د) كلاهما خاليان منها.

ج. نخالة القمح. تشكل الالياف أكثر من ٤٠ في المئة من الغلاف الخارجي لحبة القمح، وهي في غالبيتها غير قابلة للذوبان. أما دقيق الشوفان فمصدر جيد للالياف القابلة للذوبان.

(٢) Saturated or unsaturated

ما هو الفرق بينهما؟ الالياف غير القابلة للذوبان تزيد حجم محتويات الامعاء فتحول دون حصول امساك وقد تبعد خطر الاصابة بسرطان القولون. أما الالياف القابلة للذوبان فتزيد حجم محتويات المعدة فيشعر متبعو أنظمة الحمية بالشبع، وهي قد تساعد في تخفيف نسبة كولسترول المصل.[٣]

ويتناول معظم الامريكيين نصف الحصة اليومية التي تراوح بين ٢٠ و٣٠ غراماً من الالياف والتي أوصى بها "المعهد الوطني للسرطان." وتناول كوب من بعض الرقائق الحبوبية يؤمِّن ١٠ غرامات. وهناك مصادر أخرى جيدة كالفاكهة والخضر وخصوصاً الخوخ والفول.

س. أي من هذه المكملات الغذائية اكثر فاعلية؟

(أ) الفيتامينات الطبيعية. (ب) الفيتامينات الاصطناعية. (ج) للنوعين فاعلية متساوية.

ج. للنوعين فاعلية متساوية. فأيا يكن مصدر الفيتامين، أكان مختبراً أم مصدراً طبيعياً، فالمادة متشابهة كيميائيا ولها الوظيفة ذاتها في الجسم.

وغالبية الناس الذين يأكلون أطعمة متنوعة لا يحتاجون الى فيتامينات مكملة. والامراض الناتجة من نقص في الفيتامينات، ككساح الاطفال والحصاف والخَفَر والبريبيري، لم تعد مستشرية في أيامنا. أما الأمراض المتعلقة بالتغذية والشائعة اليوم فهي على الارجح أمراض ناتجة من زيادة في الفيتامينات.

س. اذا صنفت سلعة على أنها "خالية من الكولسترول"، فماذا يفترض ان يكون مستوى الدهن المشبع فيها؟

(أ) منخفضاً. (ب) مرتفعاً. (ج) منخفضاً او مرتفعاً.

ج. قد يكون منخفضا وقد يكون مرتفعا. فمعرفة كمية الكولسترول في الطعام لا تفيدنا شيئا عن الدهن المشبع فيه.

وثمة ترابط بين ارتفاع مستوى الكولسترول في الدم وازدياد خطر الاصابة بأمراض القلب التاجية. غير أن معدل الكولسترول في الدم مرتبط بكمية الدهن المشبع التي يستهلكها المرء أكثر مما هو مرتبط بكمية الكولسترول المستهلكة. لذا فان خفض استهلاك الاطعمة الغنية بالدهون المشبعة هو أكثر فاعلية في هذا المجال من تجنب الاطعمة التي تحوي نسبة مرتفعة من الكولسترول.

س. أي من العلاجات الآتية ينبغي للنساء اللواتي تراوح أعمارهن بين العشرين والثلاثين اتباعها لتفادي مرض تخلخل العظام؟

(أ) زيادة استهلاك الكلسيوم. (ب) ممارسة تمارين رياضية باعتدال. (ج)

(٣) Serum cholesterol

زيادة استهلاك البروتيين. (د) وقف التدخين.

ج. الاجوبة الصحيحة هي (أ) و(ب) و(ج). ومن شأن اتباع نظام غذائي غني بالبروتيين أن يزيد الحال سوءاً اذ قد يزيد كمية الكلسيوم التي يفرزها الجسم.

وقد أفادت تقارير عن الحمية أن الاستهلاك اليومي للكلسيوم عند الفتيات المراهقات ينخفض الى ثلثي الكمية الموصى بها للاشخاص الذين تراوح أعمارهم بين ١١ و٢٥ عاماً، وهي ١٢٠٠ مليغرام يومياً. كما أن نساء كثيرات يستهلكن أقل من الكمية الموصى بها لهن وهي ٨٠٠ مليغرام.

الحليب واللبن مصدران جيدان للكلسيوم، كذلك الكرنب والسردين.

س. ما هي الوسائل الفاعلة لخفض ضغط الدم؟

(أ) خفض الصوديوم. (ب) تخفيف الوزن. (ج) تخفيف الكافيين. (د) وقف التدخين. (هـ) خفض تناول المشروبات.

ج. تخفيف الوزن وخفض الصوديوم والمشروبات. ويستهلك معظم الناس الصوديوم من دون أن يتعرضوا لتأثيرات جانبية. غير أن تناول كمية أقل من الملح يؤدي الى تحسن صحة نصف المصابين بارتفاع في ضغط الدم. أما تخفيف الكافيين ووقف التدخين فلا يخفضان ضغط الدم. غير أن التدخين وارتفاع ضغط الدم يشكلان تآلفاً خطراً.

هذا امتحان صعب قد لا تنالون عليه علامات ممتازة. لكن المهم أنكم تدركون الآن كيف تميزون بين الحقائق والاوهام في حقل الغذاء.

منشورات "كونسيومر ريبورتس" ■



حاكم شاب

ايفان بايه حاكم ولاية انديانا في الخامسة والثلاثين من العمر وهو أصغر الحكام في الولايات المتحدة. أقام حفلة استقبال في مارس (آذار) ١٩٩٠ فبان له خلالها انه ليس معروفاً جيداً في الاوساط السياسية.

فلدى استقباله الضيوف على باب الحاكمية اعتقد بعض كبار المدعوين أنه موظف صغير هناك، فناولوه معاطفهم لتعليقها. وكم كانت دهشتهم عظيمة حين رأوه يعتلي المنصة ويلقي الخطاب الرسمي.

و.ك.

اذا كانت نظرية النشوء صحيحة، فلماذا لا تزال للأمهات يدان فقط؟

إ.د.

رواياته المثيرة
تصور حياة الجاسوسية
بمخاطرها وأوهامها
ومثالياتها. وميزته أنه
عاش هذه الحياة



جون لوكاريه
جاسوس حقيقي

رجل في اهابه أربعة: زاهد متنسك، ونجم ذو ألق في المجتمع، وفنان جاد، ومؤلف كتب بالغة الرواج. ثنائي الشخصية، ظاهر التناقض، عميل مزدوج موّار بالأسرار والمفاجآت. وله اسمان: ديفيد كورنويل كنيته يوم مولده وما زال بها يعرف، وجون لو كاريه الاسم الذي اختلقه مزيناً أغلفة رواياته ومن بينها "السمكري والخياط والجندي والجاسوس" و"جماعة سمايلي" و"ضاربة الطبل الصغيرة" و"الجاسوس الامثل."[1]

ماذا يفعل امرؤ كهذا بتناقضاته؟ انه يشق بها دربه في الحياة.

(١) Tinker, Tailor, Soldier, Spy; Smiley's People; The Little Drummer Girl; A Perfect Spy

نحن على وشك إتمام الغداء في المطبخ الريفي الزاهي في بيته القائم عند رأس جرف صخري في كورنوال ببريطانيا. تغشاه فورة للنهوض والسير قبل أن يدفعه حسن الأدب الى اقتراح القيام بنزهة. يسترق نظرة عجلى من الشباك، ولسانه لا يفتر عن الحديث عن رحلته الى الاتحاد السوفييتي جامعاً المعلومات لروايته الجديدة "البيت الروسي." وتحوي هذه الرواية تخيلات عن عملية جاسوسية في عصر الغلاسنوست (الشفافية) والبيريسترويكا (إعادة البناء) وفيها تقصّ للحوادث التي قد تقع اذا وجد جاسوس بريطاني في روسيا ما وجده كورنويل هناك، فهو وقع في هوى البلاد.

يرفع يده ويمسك ناصيته البيضاء الكثة ويعتصر شعره وكأنما ثمة فكرة حبيسة ينتزعها. يقول: "في رأيي أن روح القناعة والتضحية في الاتحاد السوفييتي تمخضت عن انسان أفضل وأخوّة أقرب وحياة تفيض بالمحبة، أكثر مما لدينا نحن خارج تلك البلاد."

الأخوّة التي يستسيغها كورنويل لدى الروس هي التساهل الذي قلما يسمح به لنفسه حتى عندما يجدّ في طلب بحوثه. يقول: "أسافر وحدي، فالارتحال هكذا أسرع، ويتيح للمرء أن يندمج وآخرين من دون انتقادات يبديها من هو في صحبته."

إنه رجل سعيد في زواجه ولديه أربعة أبناء، ثلاثة منهم من زواج سابق، ومن حوله رفاق خُلّص. وعلى رغم ذلك كله أصبح التوحّد ديدنه. يعبّر عن ذلك صديقه الكاتب ميشال هير: "ديفيد في قرارته جاسوس، انه مراقب أمثل وجمّاعة للمعلومات."

كورنويل مستمع شره يثير العجب. يهوى مؤانسة خلّانه برواية القصص دونما كلل. وأكبر الألاعيب في جعبته موهبته في المحاكاة الساخرة. يقول صاحبه السر آليك غينيس الذي يمثل تلفزيونيا دور "جورج سمايلي" شخصية الجاسوس التي ابتكرها كورنويل: "كورنويل ممثل بالسليقة، ومحاكاته صنوف الناس جيدة جداً." وأذنه السمّاعة تلتقط ما يعينه على المحاكاة، وهي ذات أثر في أدبه تمنحه سعة في الاحاطة بموضوعه على غرار الروائي البريطاني الأشهر تشارلز ديكنز.

قال لي كورنويل ونحن في أول مشينا على الصخور: "الناس هاهنا يعرفون أني كاتب، لكنهم لا يعدّون ما أفعله عملاً." إنه كَلِف بالمشي، ويملك قطعة أرض ساحلية تتلاعب بها الريح، يهنأ بالسير في أرجائها. وقد وضع يده وزوجته على ثلاثة أكواخ للمزارعين ترقى الى القرن التاسع عشر، وزيناها بأرائك وثيرة ولوحات لفنانين من كورنوال. وله مسكن آخر متعرش في لندن لا يقصده إلا "لشحن بطاريات ابداعي."

في اثر كل مهمة لندنية ينسل سريعاً الى سواحل كورنوال ويكب على العمل حتى ينضب معينه. "أكتب في الفجر

الباكر، وأتمشى بعد الظهر، ثم أنقّح في العشية ما سطرته صُبحاً، وأخلد الى الفراش منشغل البال بكتابي الذي أؤلف، فأرخي لذهني العنان ليستمر في شغله."

كورنويل، باختصار، انسان ثابت العزم يسخّر قلمه ونفسه في خدمة فنه. زوجته جين، وقد مضى على زواجهما ١٨ عاماً، تطبع ما يسطر على الآلة الكاتبة، اذ انه يكتب بقلم حبر ولم يُجِد الطبع على الآلة الكاتبة قط. كما أنها تدير أعماله وتقرأ نسخته الاصلية وتصون عزلته.

جاسوس حقيقي. سطوع نجم كورنويل بغتة حمله على الانكفاء. حدث الامر عام ١٩٦٣، وهو في الحادية والثلاثين، موظف غير متمرس في وزارة الخارجية. وكان سطر حتى ذلك التاريخ روايتين هما "ندهة للموتى" (١٩٦١) و"جريمة قتل مميزة"[٢] (١٩٦٢) لم تلقيا صدى، فاتجه الى العمل في ألمانيا، وألفى نفسه هناك في فاتحة حقبة تاريخية جديدة يصفها بالآتي: "أسلاك شائكة ترتفع. جدار برلين. الناس تقتاد من بيوتها. واثبون من الشبابيك. إطلاق نار. ما ذقت النوم لثلاث ليال أو أربع. وجرفتني الدوّامة التي قد تأسر الانسان في تلك السن، فانتابني السهد وتجرعت الغصص، فذهلت عن الطعام والنوم والحلاقة. آنذاك يكون المرء متوقداً، مولعاً أشد الولع، قادراً على النهوض بأي عمل. فكان أن خطرت لي فكرة قصة عن مهرّب يسعى الى اخراج عميله من الشرق. كتبت القصة في خمسة أسابيع، وكنت على يقين من جودتها. وبعثت إلى محاسبي برسالة مرفقة بالقصة أقول له فيها: ان كانت القصة تستحق ٢٠ ألف جنيه استرليني فليرسل الي برقية بذلك فأستقيل من وظيفتي في وزارة الخارجية. واتصل بي المحاسب بعد ستة اسابيع وأبلغني أن في وسعي أن أتقاعد."

تقاعدت نهائياً، وعنونت الكتاب "الجاسوس الآتي من الصقيع"[٣] فأحدث انقلاباً في ذلك الضرب من الروايات، وعلق عليه الكاتب الشهير غراهام غرين: "إنها أفضل رواية جاسوسية قرأتها في حياتي." وقد تبوأ مكاناً على قائمة صحيفة "نيويورك تايمز" لأروج الكتب مبيعاً طوال ١٣ شهراً.

لكن زواجه لم يفسح مجالا لنمو موهبته التي تدر المال والشهرة. "رأت زوجتي الأولى أن نشاطي الكتابي يتم على حساب حياتي العائلية. ما في ذلك ريب، وأضيف أنه يتم على حساب كل الأمور الاخرى، فالكتابة تأتي في المقام الأول. وأسوأ ما في الأمر اني أضمرت سرين لم أستطع افشاءهما اطلاقاً."

السر الأول أنه كان جاسوساً حقاً. وقد اتصلت به بادىء الأمر شعبة الاستخبارات البريطانية وهو في سني المراهقة. كما عمل في جهاز الاستخبارات التابع لجيش الاحتلال البريطاني في النمسا. وحافظ على

(٢) Call for the Dead; A Murder of Quality

(٣) The Spy Who Came in from the Cold

اتصالاته مع الاستخبارات خلال دراسته اللغات المعاصرة في جامعة أوكسفورد التي تخرج فيها بامتياز عام ١٩٥٦.

وفي أوكسفورد التقى زوجته الأولى آن. وبعد زواجه عمل في تدريس اللغات في مدرسة "إيتون" الرسمية الذائعة الصيت في بريطانيا. وألف آنذاك كتاباً للأطفال رفضه الناشرون. وسرعان ما ترك ايتون ليعود الى الاستخبارات، الشعبة "م ١٥" أولا ومن ثم الشعبة "م ١٦."

اسم "حَرَكي". ذهل كورنويل لما وقع عليه من فوضى وأجواء ريب تكتنف دنيا الجاسوسية الملأى بالاسرار. وألفى نفسه بعيداً جداً عن السيارات السبور المدججة بالأسلحة والشقراوات المتبرجات بالذهب والجواهر كما يوهم الانطباع السائد بين العامة، بل هو جندي في جحفل من موظفين يتخبطون. ومع انه لم يتسلل قط الى حدود الاعداء، إلا أنه لقن "الفنون السوداء" كالقتل المكتوم وألعاب الكاراتيه. ووظف عملاء في مراتب دنيا وأدارهم. وعكف في غضون ذلك على الكتابة في القطار متوجهاً في الصباح الباكر الى عمله. واذ يحظر على أي موظف في الاستخبارات أن يكتب باسمه الحقيقي، فقد انتحل كورنويل اسم "جون لو كاريه." ويقول في ذلك: "ظننت أن اسماً بثلاث كلمات فيه "جون" يعطي زخماً. انها عملية خداع."

ويصر كورنويل على أنه ليس اختصاصياً خبيراً بشؤون التجسس الدولي المعاصر، وهذه مدعاة اعجاب أكبر بانجازه. واصطلاح "متاهة المرايا"[٤] الذي أبدعه بحدسه النامي من خلال سني عمله في الجاسوسية يصف دنيا تحكمها قوانين فيزيائية وأخلاقية لها اصطلاحات خاصة انتقلت عدواها الى مؤلفات أخرى: مثل "العميل المزروع" و"أفخاخ العسل."[٥] وما اليها وهذه الاصطلاحات دخلت التراث الادبي العالمي.

وأهم من ذلك أن كورنويل تعلم كيف يفكر كشبح، وأصبح على دراية بتحليل الأمور، ظاهرها وباطنها، مما أضفى تشابكاً على حبكة رواياته: كيف تخدع الذين يعلمون أنك تسعى الى خداعهم وهم على علم بأنك تعلم أنهم يعلمون؟ وهكذا.

ولكن ما مبلغ دقة تصوير كورنويل للتجسس المعاصر؟

يقول فيليب نايتلي آخر صحافي غربي قابل الجاسوس الشهير كيم فيلبي قبل وفاته في موسكو عام ١٩٨٨: "لقد قرأ فيلبي جميع كتب لو كاريه، واستمتع بما قرأ وصولا الى رواية "التلميذ المحترم"[٦] عام ١٩٧٧. بعدها أصبحت رواياته فجأة أكثر تشابكاً من أي عملية استخبارات شارك فيها فيلبي."

لا أب ولا أم. السر الكبير الآخر الذي

---

(٤) Wilderness of mirrors

(٥) Mole; honey traps

(٦) The Honourable Schoolboy

قارعه كورنويل طوال حياته هو أبوه رونالد كورنويل. إنه محتال كذاب خفيف الروح، ولصّ تركت أعماله الطائشة اختلاطاً وآلاماً لا تزال تعكّر حياة كورنويل الابن على رغم وفاة الاب قبل ١٤ عاماً.

بعد ولادة ديفيد عام ١٩٣١ بسنوات قلائل، نسج والده مظاهر الثراء حوله، وكانت سراباً خادعاً. وعندما بلغ ديفيد السادسة سجن ابوه لأعمال غش واحتيال اقترفها. وهجرت أمه بيت الزوجية بعد مدة قصيرة، ولم تتصل بابنها قط الا بعدما بلغ العشرين من عمره. وتولى رونالد رعاية ديفيد وأخيه الأكبر على تقطع. وعلى رغم السيارات المؤنقة والبيوت الفخمة ومغازلة النبيلات، سرعان ما تبين للولدين أن أباهما يعيش في وهم كبير. وهو أرسل ولديه المراهقين ذات يوم إلى باريس لاستعادة هراوات غولف من فندق "جورج الخامس" الفخم، فوجداها محجوزة "ضماناً لفاتورته غير المدفوعة."

لقد تدبر رونالد أمره على نحو ما، فحصل على أرتال من السيارات وعدد لا يحصى من الشركات المزيفة والمكاتب الفسيحة، وله ذكر في سجلات الشرطة في عواصم نائية مثل سنغافورة وجاكارتا. وشب ديفيد معتاداً تلفيق الاكاذيب عن أمكنة وجود والده واختلاق الاعذار مبرراً تقصير أبيه عن سداد أقساط المدارس. فأصبح سيداً في مملكة الاسرار، وعميلاً بالفطرة، وجاسوساً أمثل.

وعندما أبدل كورنويل اسمه بـ"جون لو كاريه" الشهير، برز أبوه في كل مكان مطلقاً على نفسه اسم "رون لو كاريه." ووعد شركة سينمائية في برلين بحقوق تصوير آخر كتب ابنه. وبلغ به الأمر أحياناً حد الزعم أنه هو المؤلف الشهير.

جرّب ديفيد أن يكتب عن أبيه. واذ أخفق في ذلك أترع رواياته بآباء أكثر أهلية، وأعجبهم "جورج سمايلي" السمين الدمث والجاسوس الأحذق والاقوى في بريطانيا. ومرَّ حين ظن فيه كورنويل أن ليس في وسعه أبداً أن يؤلف كتاباً آخر لا يتضمن شخصية سمايلي. لكن أداء آليك غينيس في الاقتباس التلفزيوني لروايتي "السمكري والخياط والجندي والجاسوس" و"جماعة سمايلي" قلب المعطيات. يقول كورنويل بحسرة: "لبس غينيس الدور. وظل صوته يرن في أذني، وهو ليس صوت سمايلي. كنت أخطّ نبرات غينيس وأسلوب غينيس في الكلام". ثم تخلى كورنويل عن سمايلي كلياً في روايته "ضاربة الطبل الصغيرة" مما أفسح المجال لرائعته "الجاسوس الأمثل."

وصوَّر كورنويل نشأته وتجنيده في عالم الاسرار، فابتكر "ريك بيم" وهو شخصية أبوية محببة وسافلة في آن. وفي الرواية المثيرة "الجاسوس الأمثل" وصف ينفذ الى الاعماق للروابط بين الحب والخيانة.

ماذا يحدث بعد فراغ المرء من خط رائعة كانت تجيش داخله مذ أعمل قلمه في الورق؟

يجيب كورنويل: "المعافاة من الادمان تطهير للنفس لا يضارع. لقد شعرت بأني لامست قصاراي في "الجاسوس الامثل" فبدا مهما أن أكشف احدى اوراقي كي أحافظ على طاقتي. فسطرت رواية "البيت الروسي"، وقد استمتعت بكتابتها حقاً."

ويتراءى في "البيت الروسي" النمط المعهود لدى لو كاريه: رجل عادي يُستمال الى الجاسوسية. يرسم له أسياده عملية، وخلال تأديتها تتكشف خصاله التي أغضوا عنها فتطغى على العملية وعلى الجاسوس نفسه في النهاية.

يقول كورنويل: "تجتاحني الغبطة الآن، فأشعر بأني عثرت على صوتي المتفرد كمغن، وأعرف أني أضرب على الاوتار الصحيحة التي أريد."

ويضيف كلاما مستغرَبا صدوره عن أنجح الكتاب: "في ظني أني أعرف طريقة الكتابة الآن. وأعتقد حقاً أن فترة تدربي انتهت الى غير رجعة."

ستيفن شيف ■



الدب المدلل

دخل رجل محلا لبيع الحيوانات المدللة وقال: "اريد أن اشتري حيوانا مدلّلا لا يملك مثله سواي."

فولجت صاحبة المحل غرفة خلفية وجاءته بدب قطبي قائلة: "اليك هذا."

لكنها حذرته: "تذكّر أمراً واحداً، لا تلمس انفه ابداً."

فاشتراه الرجل وذهب به الى بيته.

وذات يوم غلب عليه الفضول فربَّت أنف الدب بلطف. فاهتاج هذا وزمجر وهجم، فراح الرجل يدور في البيت مذعوراً. واستند أخيراً الى جدار وصاح مستغيثاً: "ارجوك، لا تأكلني!"

فرفع الدب كفاً جبارة وربّت أنف الرجل برفق وقال: "الآن دورك، إلقطني!"

ك.ا.

بقشيش للمدير

عرفتُ دائما أنني أدفع اكراميات (بقشيشاً) بسخاء. لكنني لم أدرك مبلغ سخائي الى أن دعاني مديري الى مكتبه مرة، وكنت قدمت يومذاك فاتورة غداء عمل. فرفع المدير نظره عن الفاتورة وقال لي: "في المرة المقبلة حين تدعو أحد زبائن الشركة الى تناول الغداء، اريد ان اخدم على مائدتكما."

د.ن.

لا تدعوا الكآبة تدمر حياتكم

"تتغذى الكآبة بالجمود، والحركة عدوها الطبيعي

د. ديفيد برنز

لطالما اعتبرت الكآبة مرضاً يصيب المرء في متوسط عمره وفي شيخوخته. لكن الاطباء يتحدثون الآن عن موجة عارمة مذهلة من حالات الكآبة بين الشباب.

لماذا تصيب الكآبة ناس هذه الايام في مرحلة أبكر وعلى نطاق أوسع؟

لا أحد يعلم السبب الاكيد. لكن الدكتور روبرت هيرشفيلد رئيس فرع دراسات المزاج والقلق واضطرابات الشخصية في "المعهد الوطني للصحة العقلية" في الولايات المتحدة، يرجع السبب الى التغيرات الاجتماعية الهائلة التي حصلت في السنوات العشرين الفائتة، كالتحول في أدوار النساء والرجال وتدفق النساء الى العمل وشيوع الانتقال الجغرافي الذي يباعد بين الناس ويحرمهم حنان عائلاتهم وتشجيع أصدقائهم.

ويحذر الخبراء من أن "الكآبة السريرية"[1] قد تكون شديدة الخطورة وتتطلب عناية طبيب أو عالم نفساني مدرب على معالجة هذا الاضطراب. فاذا بقي مزاجكم العكر مسيطراً عليكم يوماً بعد يوم وأسبوعاً بعد أسبوع أو تحوَّل كآبة واضحة فعليكم بمراجعة طبيب.

ولكن يمكنكم أيضاً أن تساعدوا

(١) Clinical depression

أنفسكم. واليكم بعض الاقتـراحـات الصادرة عن مراجع رائدة في هذا المجال:

١. **قوموا بعمل بناء.** يقول ديفيد برنز وهو طبيب نفساني في "المركز الطبي المشيخي" في فيلادلفيا: "تتغذى الكآبة بالجمود، والحـركة عـدوها الطبيعي." فكلما تكاسلتم زادت رغبتكم في الكسل. ولمحاربة الجمود ينصح برنز بتدوين برنامج عمل يومي من الصباح الى المساء. دوِّنوا كل شيء بما فيه أوقات الاستحمام ووجبات الطعام. لانكم اذا كنتم تعانون الكآبة حقاً فستبدو المهمات الصغيرة كبيرة في نظركم. جزِّئوا النشاطات المعقدة الى خطوات صغيرة منفصلة، فتبدو لكم أكثر قابلية للحل.

وإذا تبين لكم أن تحضير برنامج اليوم مشروع مستحيل، تشجعوا بنظرية الدكتور برنز التي تقر بوجوب تقدم الحركة على الحافز أحياناً. وهذا يعني أن عليكم ألا تتوقعوا الشعور بدافع الى الحركة لكي تتحركوا، لانكم اذا بقيتم فريسة الكآبة فلن تشعروا أبداً بدافع الى الحركة. وعوضاً عن ذلك عليكم أن تعدوا العدة وتخطوا الخطوة الاولى وإن كنتم في حال نفسية غير ملائمة.

٢. **مدوا يد العون.** يزداد ايمان الاطباء بجدوى مبدأ "حُب الآخرين" كوسيلة ناجعة للتوصل الى صحة أفضل. ومن شأن العمل الطوعي والخدمة الاجتماعية وغيرهما من التصـرفات الودية – كالتبضع لأحد العجزة مثلا – أن تعطي نتائج علاجية. يقول فلورنس برت الذي يشرف على متطوعين في مدينة نيويورك: "تجد أنك تملك الحنو والتفهم، فتقول لنفسك: أستطيع أن أفعل شيئاً، فأنا لست نكرة." والى ذلك فان الوحدة والابتعاد عن الناس سبب رئيس للكآبة.

٣. **أدرجوا الفرح في جدول أعمالكم.** كثير من الاشخاص المصابين بالكآبة يتخلون عن التسليات التي تمنحهم متعة مما يزيد الامور تعقيداً. لتغيير نمط حياتكم ضمِّنوا برنامجكم اليومي نشاطات مبهجة. ركزوا على التفاعل الاجتماعي وخصوصاً اللقاءات مع الاصدقاء والمشاريع التي تشعركم بكفاياتكم – كأن تبرعوا في مهارة جديدة – وأحداث ممتعة كتناول الطعام خارجا أو الذهاب الى السينما.

حاولوا الابتسام أيضاً. يقول جايمس د. ليرد الطبيب النفساني في جامعة كلارك بولاية مساتشوستس: "أظهرت الدراسات الواسعة أن تصرفنا يقولب عواطفنا." ان كنتم تشعرون بالقنوط فلا تجروا أرجلكم بل سيروا بنشاط. لا تجلسوا مترهلين بل منتصبين. لا تعبسوا بل ابتسموا. فالمحاولة وحدها قد تنقلكم الى مزاج جيد. يقول ليرد: "التعابير والاوضاع والحركات التي تنم عن الفرح تشعركم بالسعادة."

٤. **مارسوا الرياضة بانتظام.** شارون امرأة متزوجة وأم لطفلين، تمارس رياضة الجري بانتظام لتحارب الكآبة، وهي تقول: "إذا ركضت فاني أشعر بتحسن لمجرد أني أنجز أمراً ما. ومهما يكن بؤسي كبيراً قبل الجري فانه يزول بعده وأشعر بالتحسن."

يعتقد العلماء أن التمارين الحيهوائية (ايروبيك) كالمشي والجري والسباحة وركوب الدراجة، تعزز الثقة بالنفس وتزيد الاحساس بالعافية وتقوي العزيمة. وهي اذ تساعد المرء على الاسترخاء تخفف من التوتر الذي يساهم في الكآبة.

٥. **زيدوا نهاركم اشراقاً.** أنجيلا كاتبة ناجحة حرصت على سكنى الاماكن المشرقة. وذات شتاء اضطرت الى العمل في منطقة غائمة كالحة على الدوام. فطغى عليها الكسل ولم تستطع انجاز مشروع كتاب. وكانت أنجيلا تعاني اضطراباً عاطفياً موسمياً[٢] هو كآبة ناتجة من حساسية تجاه الضوء يتزامن فيها هبوط المزاج مع أشهر الشتاء المظلمة.

وقد أظهرت الابحاث أن التعرض للضوء، سواء أكان من الشمس أم من وسائل اصطناعية، يساعد في الشفاء من هذه الكآبة الموسمية التي تصيب قلة من الناس. وكشف اختصاصيون أمثال الطبيب النفساني نورمن روزنثال، أن اجهزة ضوئية ساطعة خاصة قد تكون مفيدة، لكنها يجب أن تستعمل في اشراف طبي.

ويمكنكم أن تدخلوا مزيداً من الضوء الى منزلكم بإحلال جو أكثر اشراقاً داخله. وباختياركم نشاطاً خارجياً تمارسونه خلال النهار، كالمشي أو الجري، تحصلون على ضوء طبيعي خلال فترة معينة يوميا.

ولكن قبل أن تنصرفوا الى المعالجة الذاتية لما ترتابون في أنه كآبة طفيفة، اخضعوا لفحص طبي للتأكد من أن صحتكم جيدة. ثم ضعوا هدفاً تحققونه خلال أسبوعين. اذا لم تشعروا بتحسن في نهاية هذه المدة، أو اذا شعرتم بأنكم أسوأ حالا، استشيروا طبيباً. وأبقوا نصب عيونكم كلام الدكتور برنز: "ان قراركم مساعدة أنفسكم هو مفتاح شعوركم بالتحسن."

وليم توماس باكلي ■

(٢) Seasonal affective disorder

غسالة النقود

عدم كفاية طلاب الجامعات في غسل ملابسهم امر شائع ويثير كثيراً من المزاح والنكات. ولقد حظيت بطرفة جديدة مختلفة طالعتني بها زميلة في السنة الاولى. فبعدما وضعت الثياب بعناية في غسالة الاجرة وأضافت الصابون، سألتني وفي يدها قطع نقد معدنية: "هل أرمي هذه القطع في الغسالة؟"

ل.و.

دائرة المعارف

في العربية افعال جاءت على لفظ ما لم يُسَمَّ فاعلُه. فيقال، مثلا، تُوُفِّيَ الرجلُ اي توفاه الله، وثُكِلت المراة وزُلزلت الارض وكُسِفت الشمس وعُقِرت الناقة وقُضَّ مضجَعُ فلان.

وهنا افعال من هذه. وقد وُضع امام كل منها اربعة معانٍ، واحد منها صحيح. وعلى القارىء ان يختار المعنى الذي يعتبره مناسبا، ثم يقلب الصفحة ليحصل على الاجوبة ويقيس مستواه.

١. **عُنِيَ بالامر**: قاساه – عجز عنه – أخفاه – اهتمّ به.

٢. **أُرْعِدَ**: أخذه الاضطراب – صرخ – مات – أُنذِر.

٣. **هُزِل**: احتُقِر – صار ضعيفا ناحلا – ضحك – افتقر.

٤. **شُغِفَ به**: أسرَّ اليه – غضب عليه – أُولِع به – انتقم منه.

٥. **أُرْتِجَ على الخطيب**: قُوطِع – بُحَّ صوته – صُفِّق له – استغلق عليه الكلام.

٦. **عُقِمت المرأة**: كانت لا تلد – أُسكتت – ضُرِبت – طُلِّقت.

٧. **أُسْقِط في يده**: قُتِل – أخطأ وندم – نسي – أُنعِم عليه.

٨. **طُلَّ دمُه**: نزف – أُهدِر دمه – غضب . اسقمه الحزن.

٩. **غُشي عليه**: تجاهل – عمي – فقد الحس والحركة – خُدِع.

١٠. **نُتِجت الناقة**: وَلَدت – ذُبحت – زُجرت – شُرِيَت.

١١. **سُوِّس فلان امرَ القوم**: أُدخِل بينهم – أفشى أسرارهم – صاهرهم – مُلِّك عليهم.

١٢. **شُغِل عنه**: خانه – التهى عنه – فكّر فيه – أبعده.

١٣. **وُكِس التاجر**: غُش – ربح – خسر – عوقب.

١٤. **امتُقِع**: أُهين – تشرَّب ماء – أُخِّر – تغيَّر لونه.

١٥. **زُهِي**: تألق – طُعِن – فقد عقله – تاه وتكبَّر.

١٦. **نُفِست المرأة**: ولدت – اسقطت جنينها – حبلت – مرضت.

١٧. **شُدِه**: أُرغم – خُدش وجهه – دُهش – شُدَّ برفق.

١٨. **فُلِج**: صار بدينا – اصيب بالفالج – بَرَد – سُرَّ.

١٩. **زُكِم**: حُشر – ضُرب على انفه – أُحرج – اصابه الزكام.

٢٠. **نُخِي**: امتلأ نخوة – هُزَّ – ذلَّ وهان – طأطأ رأسه.

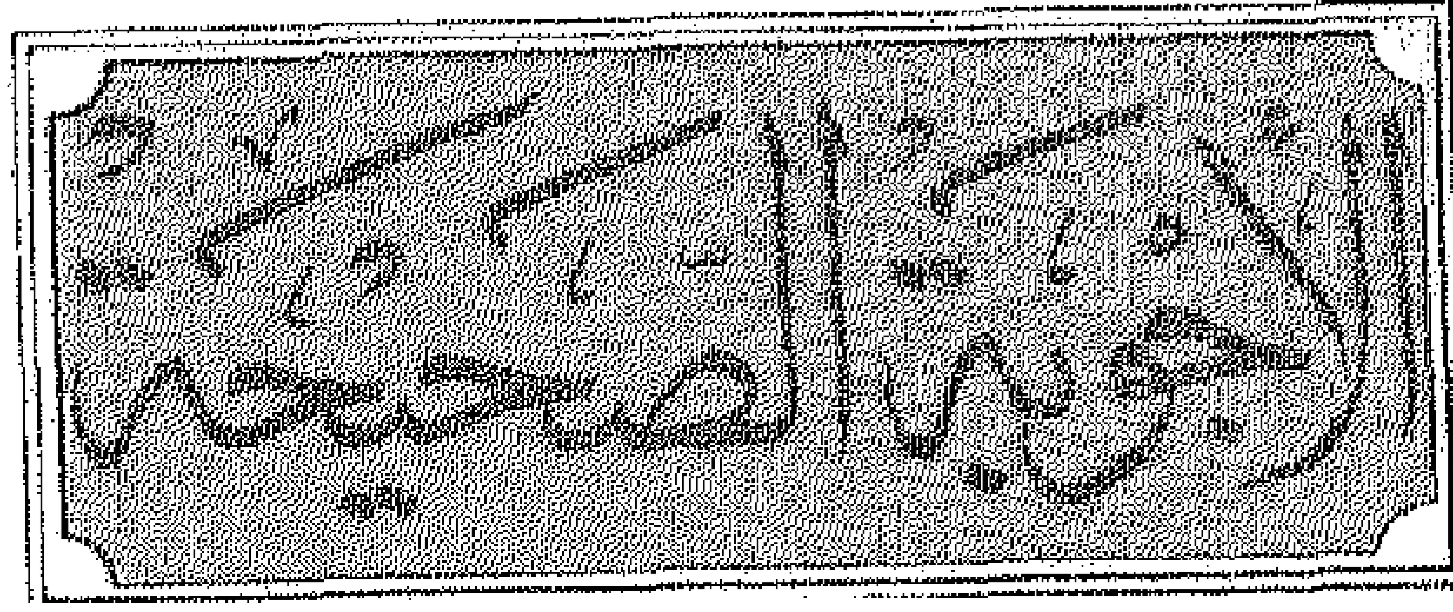
٢١. **نُكِب**: حمل مشقّة – استُغِلّ – أصابته نكبة – رجع.

٢٢. **أُهِلّ الهلال**: انتُظِر – غاب – ظهر – كُسِف.

٢٣. **شُهِر**: ارتفع – ذُكِر وعُرِف – اقام شهرا – بان غضبه.

٢٤. **بُهِت**: دُهش وسكت متحيرا – كذب – خجل – عمي.

٢٥. **بُرَّ حَجُّك**: سَهُل – تأخر – تحقق – قُبِل.



١. **عُنِيَ بالامر**: اشتغل واهتمّ به واصابته مشقة بسببه، فهو عانٍ وعَنٍ.
٢. **أُرْعِدَ**: أخذته الرعدة وهي الاضطراب يكون من الفزع وغيره. ويقال أيضا "أُرعِدَتْ فرائصُه." أرْعَدَ الرجلُ: أصابه رعد أو سمع الرعد.
٣. **هُزِل الفتى**: صار مهزولا أي ضعيفا ناحلا.
٤. **شُغِف به**: أُولِع به وسُرَّ.
٥. **أُرْتِجِ على الخطيب**: استغلق عليه الكلام. أرْتَجَ الباب: أغلقه.
٦. **عُقِمَت المرأةُ أو الرحمُ**: كانت عقيما أي لا تقبل الولد ولا تلد.
٧. **سُقِط في يده وأُسْقِط**: زلّ واخطأ. أيضا: ندم، تحيَّر.
٨. **طُلَّ دمُه**: أُهدِر أو لم يُثأر له، فهو طَليل ومطلول.
٩. **غُشِي عليه**: ألمّ به ما غشّى فهمه وأفقده الحس والحركة، فهو مغشيّ عليه. ويقال أيضا: أغمي على المريض.
١٠. **نُتِجَت البهيمة ولداً**: وضعته وولدته. والنِتَاج اسم لما تضعه البهائم، فيقال "بالناقة نتاج" أي حمل.
١١. **سُوِّس فلانٌ أمرَ القوم**: مُلِّك عليهم ومَلَك أمرهم. ساسَ الأمرَ: قام به، فهو سائس.
١٢. **شُغِل عنه بكذا**: التهى به عنه.
١٣. **وُكِسَ التاجر في تجارته وأُوْكِس فيها**: خسر فيها. الوَكْس: منزل القمر الذي يُخسَف فيه.
١٤. **امْتُقِع**: تغيَّر لونه من حزن أو فزع أو ريبة كأنه ضُرب بشيء حتى يتغير. يقال "مَقَعه بشرّ" أي رماه به.
١٥. **زُهِي**: تاه وتكبَّر، فهو مزهوّ (وليس زاهيا).
١٦. **نفِسَت المرأة غلاما**: ولدته. النفساء: المرأة اذا وَلَدت.
١٧. **شُدِه عند المصيبة**: دُهِش.
١٨. **فُلِج الرجلُ**: أصيب بالفالج، وهو داء يحدث في أحد شقّي البدن فيبطل احساسه وحركته. ويقال أيضا "لُقِي" من اللقوة، وهي ضرب من الفالج.
١٩. **زُكِم**: أصابه الزُكام، فهو مزكوم. ويقال أيضا "ضُنِك" بمعنى زُكم.
٢٠. **نُخِي الشاب**: افتخر وتعظَّم وامتلأ نَخْوة أي حماسة ومروءة، فهو منخوّ.
٢١. **نُكِب**: أصابته نَكْبة أي مصيبة.
٢٢. **أُهِلَّ الهلالُ واستُهِلّ**: ظهر. والشهرُ: ظهر هلاله. الهِلّ: استهلال القمر. الهِلال: غرّة القمر.
٢٣. **شُهِر في الناس**: ذُكِر وعُرِف فهو مشهور أي شهير.
٢٤. **بُهِت**: دهش وسكت متحيرا، فهو مبهوت. قال تعالى: "فبُهِت الذي كفر."
٢٥. **بُرَّ حَجُّك**: قُبل، فهو مبرور. يقال "بَرّ الله الصلاة" أي قبلها.

المستوى

٢١ - ٢٥: ممتاز

١٤ - ٢٠: جيد

٩ - ١٣: مقبول



الصحف، دليل الهاتف، حفاظات الاطفال الوسخة، علب الدهان وزيوت المحركات ومبيدات الأعشاب، الأثاث المحطّم، لعب الاطفال المنبوذة. كلها نفايات نخلّفها مع أخرى كثيرة. وغالبا ما تتحدث الصحف باهتمام عن مسألة امتلاء الحفر الأرضية المعدة لطمر النفايات وتركز على التقصير الظاهر في وسائل تكريرها.[1] وعلى رغم الضجة الاعلامية التي يثيرها هذا الموضوع فقد يكون الافتقار الى المعلومات الصحيحة هو السبب الحقيقي في أزمة النفايات في العالم.

منذ أوائل السبعينات يعكف الباحثون في "مشروع النفايات" بجامعة أريزونا على متابعة "رحلة" النفايات ومرامي

(١) نعني بالتكرير (recycling) معالجة النفايات الورقية او البلاستيكية او غيرها بهدف اعادة استعمالها.

النفايات منذ تكوُّنها. وبصفتي مدير المشروع تكلمتُ مطولا مع الاشخاص الذين يشغلهم موضوع النفايات يومياً، من رؤساء بلديات وأصحاب محلات خردة ومشرفين على مرامي النفايات ومهندسين مدنيين وخبراء بعلم الجراثيم. ويبدو أن مصائب النفايات خطيرة، لكنها ليست مستعصية، ويمكن التغلب عليها بطرق آمنة ومتوافرة.

ما هي كمية النفايات الحالية؟

اطَّلعتُ على أرقام تفيد أن الشخص الواحد يرمي ما بين كيلوغرامين وأربعة كيلوغرامات يومياً من النفايات. لكن دراسات "مشروع النفايات" تكشف أن الكيلوغرامين قد يكونان رقماً تقديرياً مبالغاً فيه. فالامريكيون مثلا مسرفون في رمي النفايات، لكنهم أقل اسرافا في ذلك مما يظنون.

والى ذلك، نحن ننسى كل شيء غاب عنا ولم نعد نراه، مثل نحو ٥٥ كيلوغراما من رماد الحطب أو الفحم الحجري كان يفرزها كل مسكن أمريكي سنوياً في مطلع القرن الحالي، وعشرات الالوف من الجياد النافقة التي كان يتعيّن التخلص منها كل سنة، وفضلات الطعام التي ألغاها التوضيب الحديث. ولنأخذ في الاعتبار الفارق بين النفايات الحاصلة من تحضير عصير الليمون في المنزل من حبّات كاملة وسكب العصير المعلَّب في مصانع، علماً أن قشر الليمون المعصور في المصانع يباع علفا في حين يبقى القشر في المنزل... نفايات. والحقيقة أن حصيلة نفايات الأمريكيين، كأفراد، ليست آخذة فجأة في الارتفاع، ويبدو أن سجلنا يدل على نسبة ثابتة نسبياً لكل فرد.

حُفَر النفايات. هناك نقص حاد في الحُفر الصحية في شمال شرق الولايات المتحدة. وقد امتلأ نحو ٣٠٠٠ حفرة في أنحاء البلاد وطُمرت ما بين ١٩٨٢ و١٩٨٧. وغالبا ما تحذر المقالات التي تتناول هذا الموضوع من أن ٥٠ في المئة من الحفر الحالية ستمتلىء وتُطمر خلال خمس سنوات. لكن هذا الواقع ليس جديداً، لان اكثرية الحفر صُمّمت لتستخدم مدة عشر سنين فقط. انما المشكلة الحقيقية في مناطق كثيرة هي أن الحفر القديمة لا تعوَّض ببدائل جديدة. ففي تكساس، على سبيل المثال، كانت السلطات تمنح ٢٥٠ رخصة سنويا لانشاء حُفر للنفايات الجامدة في أواسط السبعينات، لكنها لم تمنح سوى ١٢ رخصة عام ١٩٨٩.

وحركة طمر النفايات التي نشأت بعد الحرب العالمية الثانية لم تقصر أهدافها على التخلص من جبال النفايات المتراكمة، بل قصدت استصلاح ألوف الكيلومترات المربَّعة من الاراضي القاحلة. وقد عيَّن أنصارها "مواقع مثالية" لحُفر النفايات هي الاماكن ذاتها التي يعتقد معظم العلماء اليوم أنها الاسوأ: أي ضفاف الأنهر والمستنقعات. ففي تلك المواقع حيث أقيمت حفر غير

مبطنة، شكلت المحلولات الكيميائية الراشحة مع الماء مصدر قلق كبير.

ولدى علماء البيئة الآن المام كاف يؤهلهم لتصميم مواقع آمنة لحُفر النفايات. فحيث تكون طبقة المياه الجوفية قريبة من سطح الارض ينبغي حظر نبش الحفر والاستعاضة عنه بنقل النفايات الى أماكن أخرى.

وتواجه مشاريع حُفَر النفايات اليوم عوائق مالية (نقل النفايات) ونفسانية، اذ لا أحد يرغب في رؤية مرمى للنفايات خلف منزله. لكن هذه المشاكل ليست مستعصية الحل في بلاد مترامية الاطراف.

الاطعمة السريعة وحفاظات الاطفال. ثمة اعتقاد آخر في شأن حُفَر النفايات هو أن هناك تفاوتاً في أحجام المواد المتنوعة التي تملأها. فقد أتيتُ على مقالة في إحدى الصحف تلقي اللوم على الحفاظات المنبوذة. وفي صحيفة "نيويورك تايمز" مقال افتتاحي يعزو طفح حُفَر النفايات في البلاد الى عُلب الوجبات السريعة التي "أدمنها" معظم المواطنين. وقد طلبتُ من أناس كثيرين لم يسبق أن شاهدوا حفرة نفايات، أن يقدروا نسبة محتواها من علب الوجبات السريعة، فكان تقدير معظمهم ٢٠ أو ٣٠ في المئة.

لكن الحقيقة غير ذلك. فقد عمد فريق "مشروع النفايات" الى نبش سبع حفر لطمر النفايات: اثنتين خارج شيكاغو واثنتين في خليج سان فرنسيسكو واثنتين في توسون وواحدة في فينكس. فتبين أن هناك أقل من ثمانية كيلوغرامات من علب الوجبات السريعة في كل ثمانية أطنان من النفايات وتراب الردم — أي ٠،١ في المئة من وزن محتويات الحُفر، وأقل من واحد في المئة من وزن الحفاظات الوسخة، وأقل من خمسة في المئة من وزن النفايات البلاستيكية.

"المذنب" الحقيقي في كل حفرة نفايات هو الورق العادي — وليس ورق توضيب الوجبات السريعة — الذي يشكل بين ٤٠ و٥٠ في المئة من وزن المحتويات. ولكن وسط كل الاسف الذي نبديه، هل ارتفع صوت واحد يندّد بتكاثر كتب دليل الهاتف؟ فكل دليل يضم مجلدين ويوزع كل سنة ليُرمى في السنة التالية، وهو يزن نحو أربعة كيلوغرامات، وتوزع منه ملايين النسخ سنوياً. احفروا خندقاً عرضياً داخل احدى الحفر، فترون طبقات من دليل الهاتف مكدّسة كطبقات الارض.

وهناك الصحف التي تحتل مركزاً بارزاً لا يقل عن مركز دليل الهاتف، وتشكل بين ١٠ و١٨ في المئة من محتوى حفرة نفايات بلدية نموذجية. وفي احدى حفر فينكس وجدتُ صحفاً يعود تاريخها الى العام ١٩٥٢.

التحلل الحيوي.[٢] الفكرة القائلة إن الورق يتحلل بسرعة داخل حفر مبطنة

(٢) Biodegrading

ليست الا خرافة، وقد تكون في ذلك حسنة، لان تحلل الورق بسرعة يفرز كميات هائلة من الحبر والطلاء قد ترشح الى المياه الجوفية.

أما البلاستيك فيكاد لا يتحلل أبداً، وهذا عيب مشين في اعتبار أوساط كثيرة، لكنه قد يكون في الحقيقة فضيلة كبرى لأن البلاستيك الهامد لا يفرز مواد كيميائية سامّة في البيئة. وفي رأي يان بيا الباحث البارز في "جمعية أودوبون الوطنية" أن لا مشكلة في وجود مواد بلاستيكية داخل حفر النفايات. أما تلك التي تبتلعها الحيوانات البحرية أو تعلق فيها فتأتي عادة من النفايات المطروحة في المحيط.

تكرير النفايات. هناك هوة كبيرة بين الذين يكررون النفايات بقصد الربح وأولئك الذين يكررونها بقصد المنفعة العامة. فعندما أخبرت أحد "تجار" النفايات الورقية بنجاح مشروع تكرير ورق الصحف الذي اعتمدته بلدية توسون، نظر الي مرتعبا وقال: "أنت تخبرني عن مبلغ نجاح منافسينا. انهم يستغلّون أموال الضرائب لقطع مورد رزقنا. ألا تعلم أن ورق الصحف المكرر لم ينقطع يوماً؟ وأن الطلب عليه محدود؟ وكلما كرَّرته توسون خسرت تجارتي؟"

يجب تشجيع عمليات التكرير أيا يكن منفذها. ولكن مهم أيضاً معرفة أي نوع من المعالجة ينفع وأي نوع يفوق ضرره فائدته. والصحف المكررة تطرح احدى المشاكل المحتملة. فثمة عشرة في المئة من الصحف القديمة التي تكرر، يعاد استخدامها في طبع صحف جديدة، والفائدة الحقيقية لورق الصحف المكرر هي في صنع علب رقائق الذرة والبطاطا وغيرها (اذا كان اللون داخل العلبة رمادياً فهذا يعني أن ورقها أو كرتونها مصنوع من ورق مكرر) وفي صنع حشيّات السيارات (تحتوي السيارة العادية على نحو ٣٠ كيلوغراما من الكرتون المكرر من ورق الصحف) وفي الالواح الجدارية والمواد العازلة. ويبدو أن هذه الاستعمالات بلغت حد الاشباع.

ماذا يحدث حين تغرق السوق بورق الصحف؟

قبل سنتين بدأت ولاية نيوجرزي تطبيق تشريع يفرض على كل محلة سكنية فرز ثلاثة أصناف على الاقل من المواد الصالحة للتكرير. فأدى ذلك الى هبوط ثمن ورق الصحف المرمية من ٤٠ دولاراً للطن الى أقل من ٢٥ دولاراً، وبات على السكان دفع نفقة نقلها. فاذا عُمِّمت تشريعات كهذه، من دون أخذ اجراءات لزيادة الطلب على منتجات الورق المكرر، فقد تأتي النتائج عكس المقصود منها.

والواقع أننا نكرر حاليا قرابة أقصى ما يمكن السوق أن تستوعبه من الورق. والى الآن لم يكرر من المواد البلاستيكية والالومنيوم الا جزء من حاجة السوق. ويحسن الامريكيون صنعا برد علب الألومنيوم كما يفعلون حاليا. ولكن مهما قيل عن حرصهم على التكرير، يبقى

حافزهم الاكبر هو الثمن الذي يُدفع في مراكز البيع. وقد أظهرت أبحاث "مشروع النفايات" أن أرتفاع أسعار ورق الصحف القديمة، على سبيل المثال، يرافقه هبوط في عدد الصحف المطروحة في مرامي النفايات.

تقليص المصادر. زرتُ جامعة كاليفورنيا في بيركلي حديثاً، وكان الباحثون هناك يدرسون اقتراحاً بحظر استخدام رغوة البوليستيرين[٣] التي تصنع منها الإكواب والاطباق الورقية. وفي استراحة الغداء قصدت مطعم الجامعة حيث كان نحو ٨٠٠ طالب يأكلون من أطباق ورقية صُبَّ فيها طعام ساخن. وسألت بعضهم عن رأيهم في فرض حظر على البوليستيرين، فردّوا من دون استخفاف انها فكرة عظيمة.

ان تقليص مصادر النفايات كالدواء الواقي، أي انه وسيلة لاجتناب الضرر قبل وقوعه، لكن فائدة قانون كهذا هي في نواح كثيرة سراب خادع، لان معظم الصناعات تحولت الى انتاج سلع مدمَّجة وخفيفة لتسهيل التوزيع وللاقتصاد في الموارد الاساسية الغالية. ففي العام ١٩٧٠ كانت قارورة الصودا البلاستيكية تزن ٦٠ غراماً، واليوم تزن ٤٨ غراماً وتسحق بسهولة أكثر. ثم ان تدابير تقليص المصادر لا تخفض النفايات كثيراً، لان الهمبرغر والبيض وأجهزة الفيديو والتلفاز يجب وضعها في شيء ما.

ففي امكان معظم البلدان تدبُّر أمر نفاياتها بانشاء حُفر آمنة حيث لا يزال لها متسع. وفي الامكان اقامة مرمِّدات مجهزة بوسائل الوقاية الملائمة.

وثمة تدابير لم تعتمد بعد في سبيل تقليص اكبر مصدر للنفايات: الورق. فيمكن تعديل أجور النقل بحيث يكلف نقل الورق لاعادة استخدامه أقل من نقل الاخشاب لصنع ورق جديد. وفي وسع الحكومات، التي تستهلك الورق أكثر من أي مؤسسة أخرى، التشديد على استخدام الورق المكرَّر في معظم أعمالها الكتابية.

وأخيراً يتعين علينا توسيع مداركنا، لان كثيرين قد يعرفون عن الكوكب "نبتون" اكثر مما يعرفون عن شؤون النفايات في بلادهم.

ولكن حتى اذا استمر الوضع على حاله فلا أخشى أن نُدفن تحت أكوام نفاياتنا. وربما كان التحدي الاكبر الذي نواجهه هو أن نقرّ بأن معرفتنا التقليدية بشؤون النفايات خاطئة في نواح كثيرة.

وليم راتجي ■

(٣) Polystyrene foam

سأل طفل رفيقه: "اذا كان الرجل الوطواط ذكياً، فلماذا يلبس ثيابه التحتية فوق بذلته؟"

لاسم هذه المحمية وقع مدو كقرع طبول في أعماق افريقيا

تمدد الاسد العجوز على الصخرة راخيا ذقنه على كفيه. وتطايرت أطراف لبدته الثقيلة في الهواء الجاف الذي هب طوال الصباح من جبال الغول. وحين تثاءب وأرخى فكه بدا لي انه فقد احدى نابيه السفليين.

إنه أحد الاسدين الذكرين اللذين ملكا

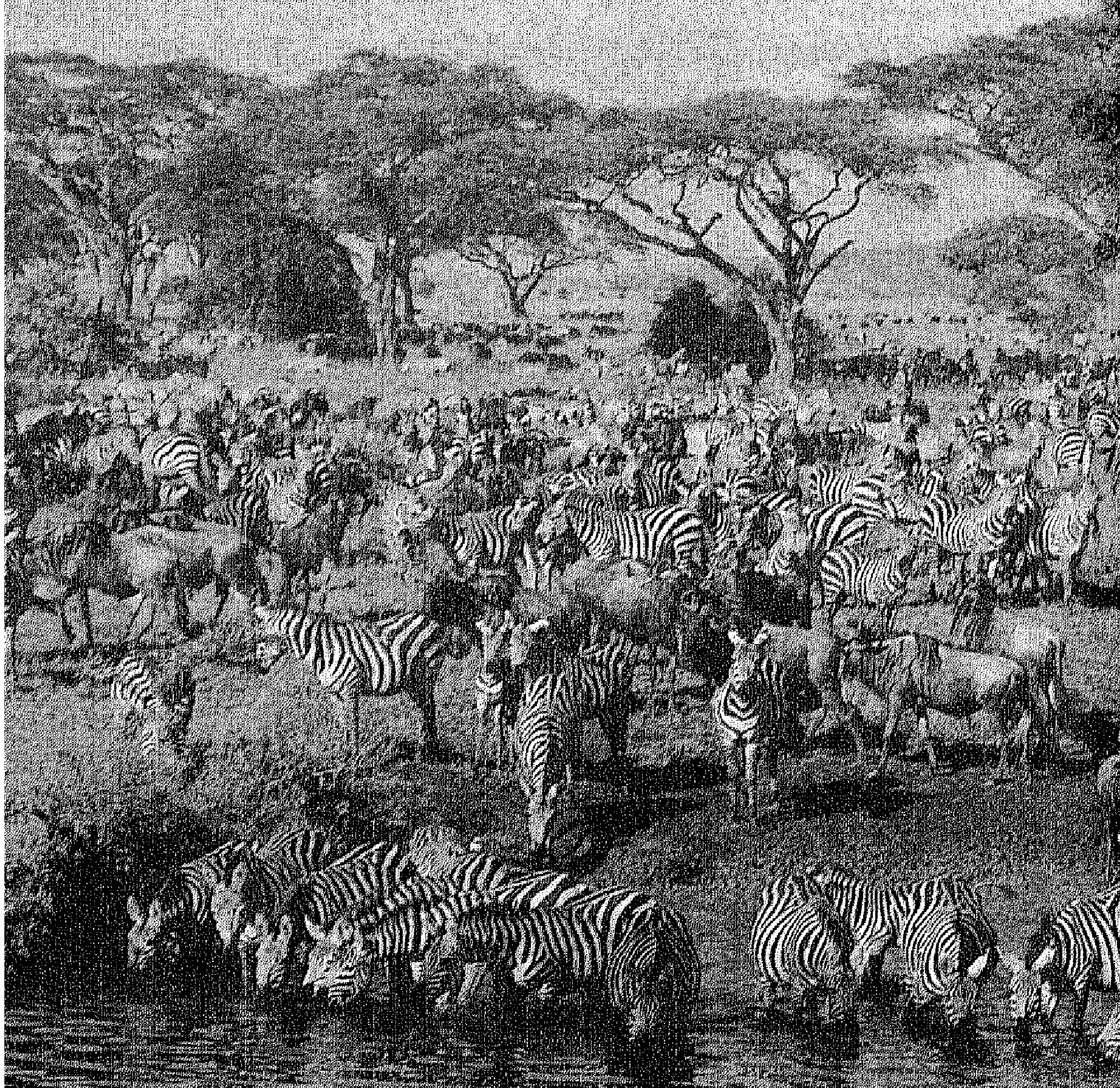
حمير وحشية وابقار نو تروي عطشها

سيرنغيتي واحة سلا

طوال السنتين الماضيتين على حيوانات منطقة الغول في شمال تنزانيا. أما شقيقه فقد تمدد فوق العشب على مقربة منه يحرس بقايا حمار وحشي كانا اصطاداه ونهشا منه كفايتهما. وها هما الآن يستريحان متخمين. الا أن أسد الصخرة ما فتىء يرفع رأسه الأشعث العظيم ويتشمم النسيم ويسرح نظره عبر سيرنغيتي المقفرة.

هناك، في مكان ما، يتربص به أعداء:

OKAPIA



في مجاهل إفريقيا

أسود هزيلة جوالة تقتحم عقر داره مع بدء هجرة بقر النوّ.[1] هذه الاسود تغزو مملكته بوقاحة وتتحدى سلطانه. ولعله شعر بأن أيامه باتت معدودة، وبأن أيام الخير ولّت حين كان يربي أشبالا ويَسْمن شحما ولحماً من صيد لبؤاته الثلاث. وحين تدق ساعة المواجهة الاخيرة فلن يكون وأخاه منافسين كفيين. ولكن حتى ذلك الحين تبقى الارض أرضه.

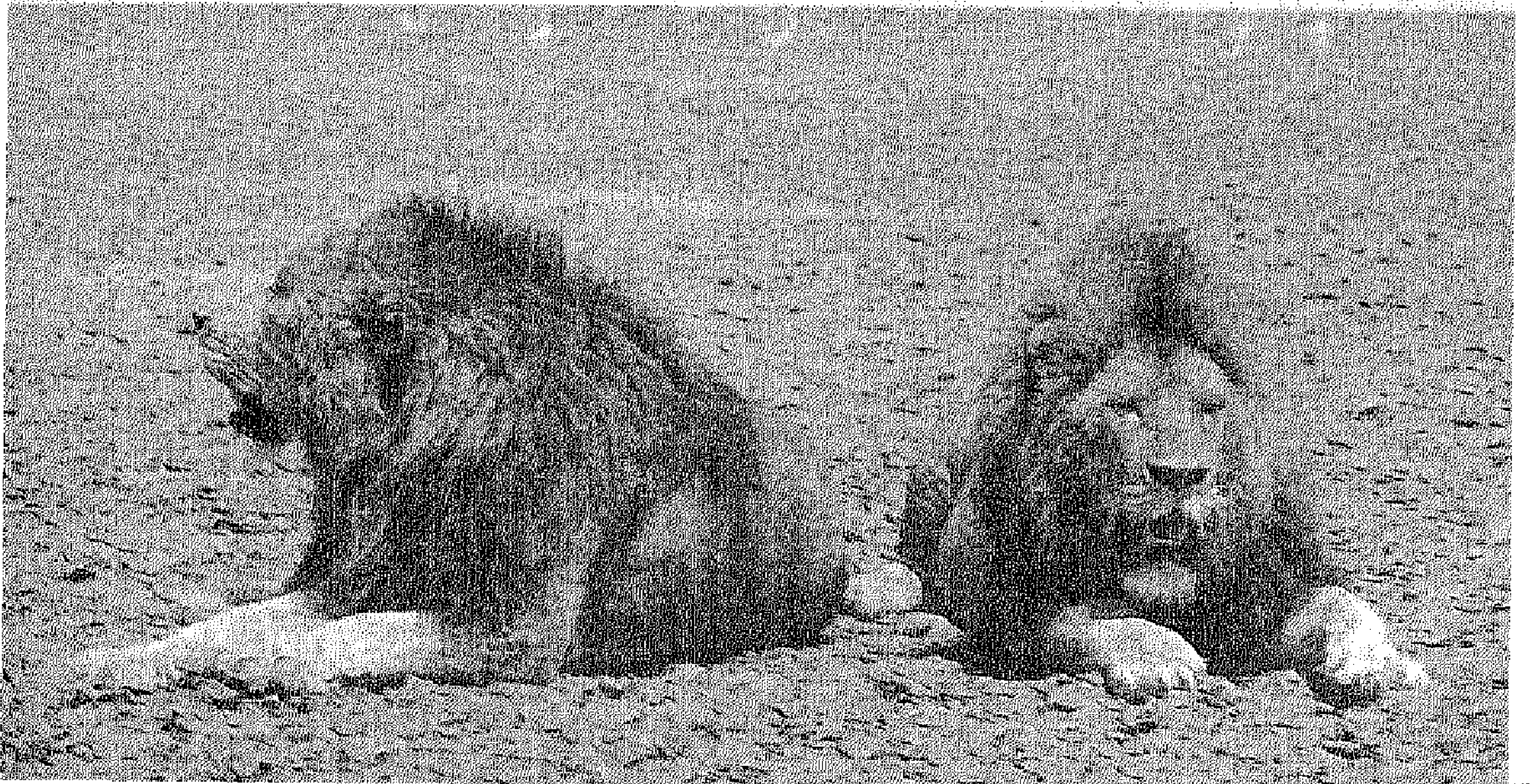
سيرنغيتي! إن لهذا الاسم وقعاً مدوياً كقرع طبول في أعماق أفريقيا. كيف لأحد أن يعبر عن عظمتها؟ نور باهر وهواء عابق بروائح الغبار والحيوان والعشب. وأي عشب! مساحات متموجة لا يحدها سياج ونادراً ما تعوقها دروب.

العشب هو الحياة في سيرنغيتي. والقطعان تتعقب السحب الرعدية العابرة وتجوب الارض بحثاً عن الكلأ الذي ينبت بُعيد هطول المطر. وثمة حيوانات تبقى أشهراً من غير شرب، ومنها غزال "غرانت." فخلال موسم الجفاف، بعد انقضاء فترة طويلة على هجرة بقية القطعان الى الشمال، تلزم الغزلان أماكنها حيث ترعى الجذامة الجافة.

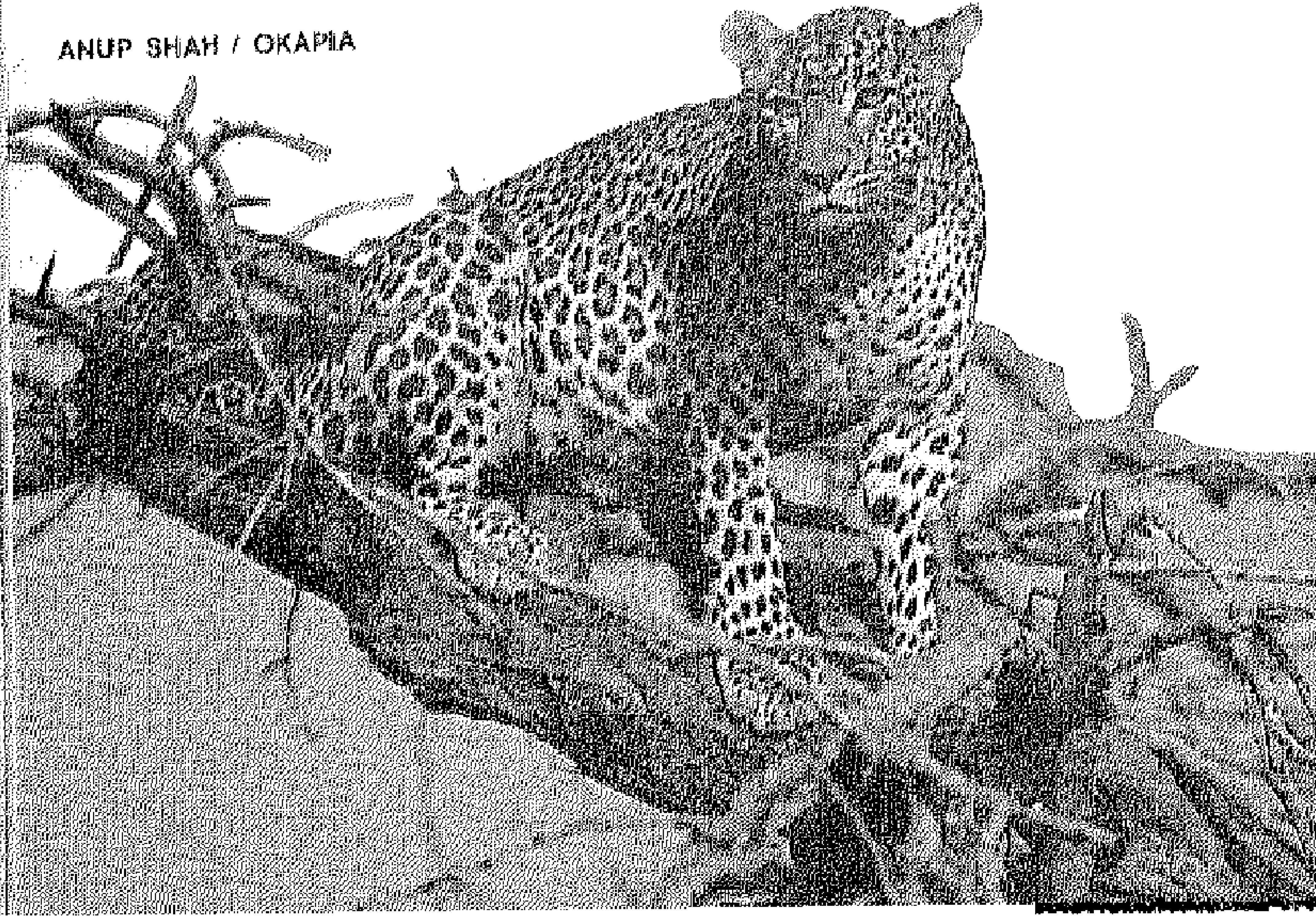
غير أن السواد الاعظم من الحيوانات يحتاج الى عشب نضر وماء، ولاسيما النَو. انه أبشع الابقار الوحشية، بقرنيه الشبيهين بقرني ثور وعرفه الشبيه بعرف حصان ومؤخرته المنحدرة كمؤخرة ضبع. لكنه على رغم مظهره الدميم ووثباته الخرقاء يبقى اكثر حيوانات المرتع توفيقاً وسيطرة على السهول بأعداده الغفيرة.

صراع البقاء. منذ أصبحت سيرنغيتي محمية وطنية قبل نحو أربعين سنة وأبقار النو في تكاثر مستمر حتى تجاوزت

(١) Wildbeest or gnu


OKAPIA

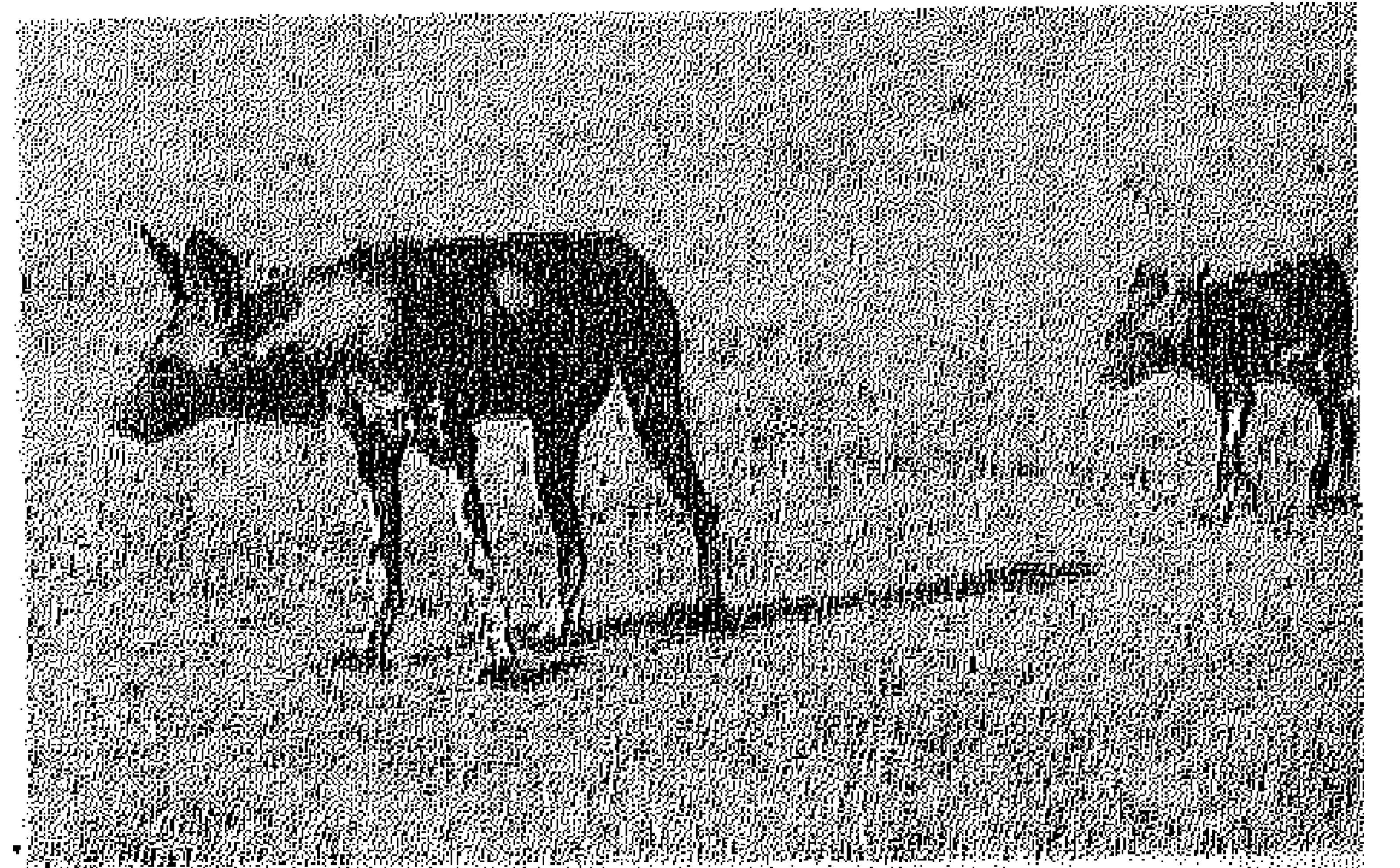
الاسود المهيبة ملوك المروج.



فهد يرتاح في انتظار فريسة.

أعـدادهـا المليـون وربـع المليون. وهي تأتلف مع نصف مليون غزال ومئتي ألف حمار وحشي وثمانية آلاف زرافة وألف وخمسمئة أسد لتعطي صورة رجعية عن أفريقيا البرية قبل أن يطأ الاوروبيون أرضها. وعندما يبدأ موسم الهجرة تسير قطعان النو قوافل تحجب الآفاق. وتستغرق رحلتها ثلاثة أيام تتحول خلالها سهول تنزانيا الفسيحة أعظم معرض للحيوانات البرية.

في السنة العادية يغادر النو في سبتمبر (أيلول) أقاليمه الشمالية في محمية ماساي مارا. فيعبر مروج الشوفان في وادي سيرونيرا ويصل في نوفمبر (تشرين الثاني) الى سهول سيرنغيتي المكشوفة. هناك تمضي القطعان فصل الامطار، وتضع في أواخر يناير (كانون الثاني) أعداداً هائلة من العجول الناحلة البنيـة اللون، حتى ان الحيـوانات المفترسة الجائعة، من أسود ونمور وفهود وضباع وكلاب برية، تعجز عن افتراسها كلها. هذا التكاثر الخصب هو الخطة القاسية التي مكنت النو من البقاء.



افريقيان مفترسان يبحثان عن ضحية.

في شهر يناير (كانون الثاني) من العـام ١٩٨٩ هبت على سيرنغيتي عواصف عاتية غير موسمية دفنت أجزاء من المحمية تحت الماء. وعندما وصلتُ بعد شهر الى "ندوتو لودج" في طرفها الجنوبي كانت السهول لا تزال خضراء لكنها تجفّ بسرعة. أما النو وقد شارف موسم الانجاب نهايته فأخذ ينزح أفواجاً الى أقصى الجنوب حيث ما زالت الامطار تنهمر، وبقيت الحمير الوحشية والزرافات في المراتع حول أَكَمات الغول.

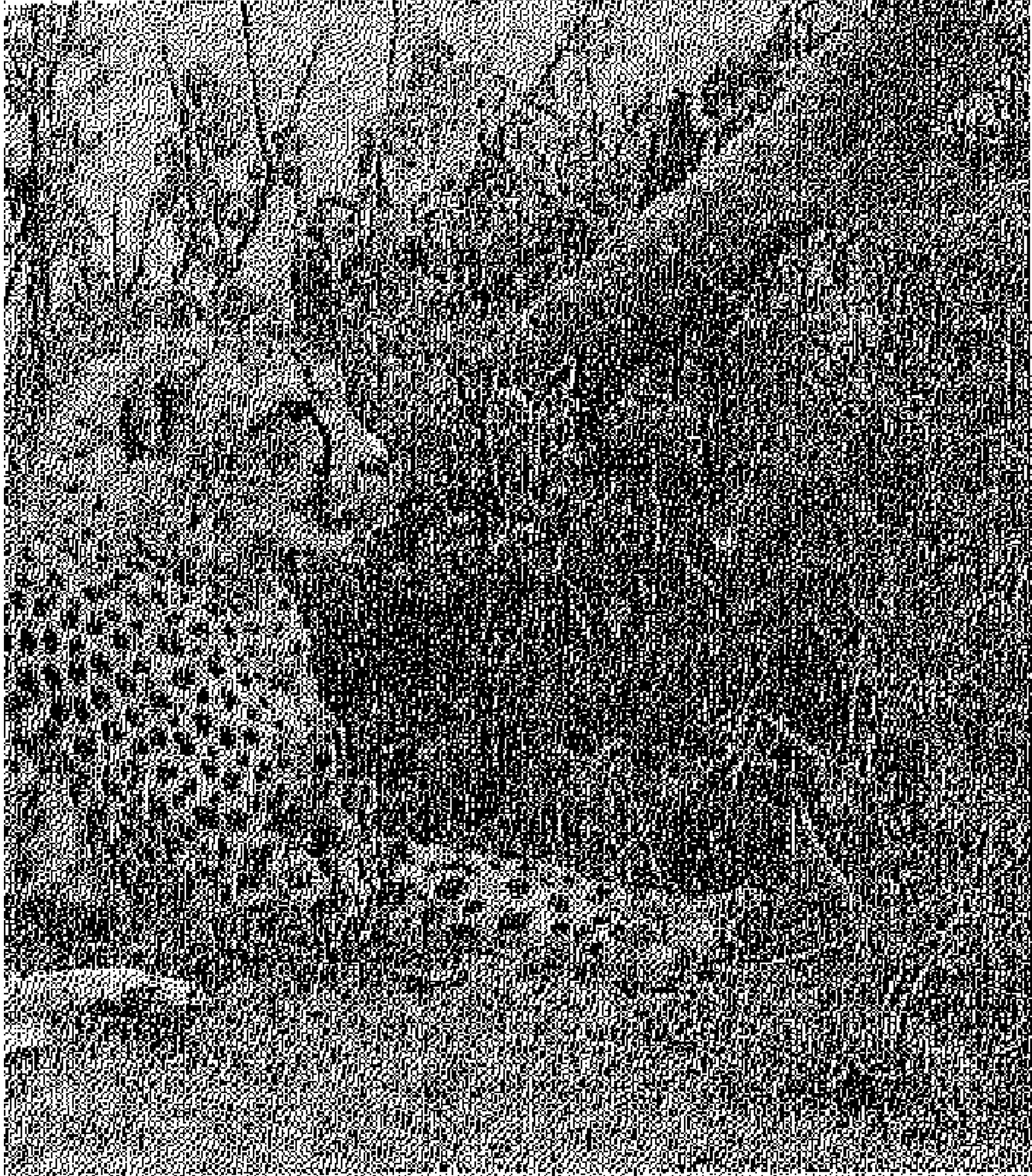
وهذه الأكمات نتوءات من الصوّان الكالح تبرز وسط العشب. وكل أكمة في سيرنغيتي عالم مغلق. تستعملها الفهود أبراج مراقبة، وتلجأ اللبؤات الى شقوقها المظلمة وكهوفها لتضع أشبالها. هناك في أكمات الغول عثـرت على الاسدين الشقيقين، وأمضيت يومين أتعقب الفهود

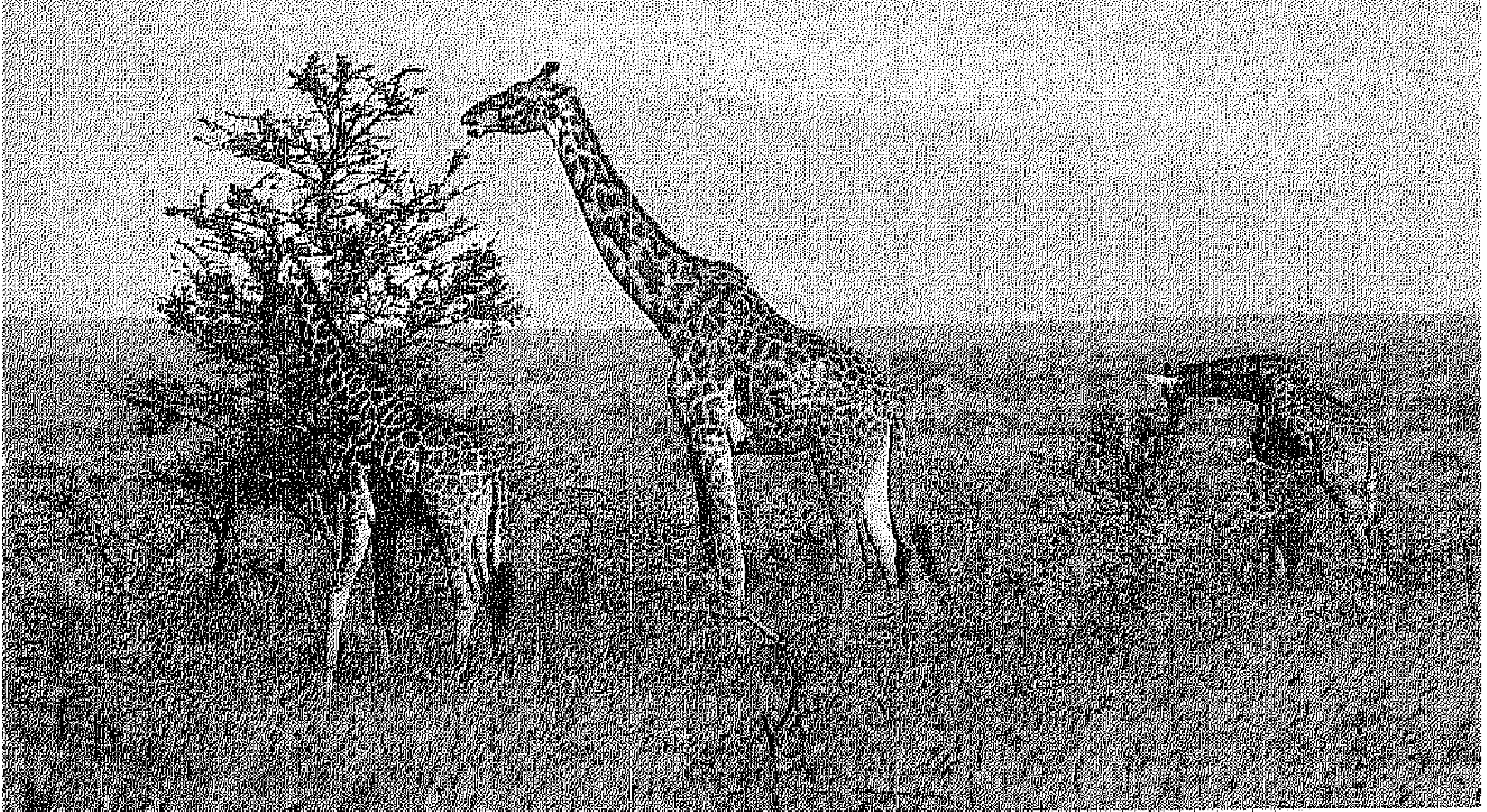
برفقة هوغو فان لافيك وهو مخرج سينمائي ومؤلف كتب حول حياة القفر.

كانت الاسود تزأر عند الفجر عندما انطلقنا في سيارة "لاند روفر"، وقد حمل فان لافيك آلة تصوير مدَّ خرطومها عبر النافذة. توجهنا نحو الافق الشمالي حيث انتصبت أكمتان معزولتان خرقتا امتداد السهل والسماء. وعندما اقتربنا ظهرتا بوضوح وجوانبهما الحجرية تومض تحت نور الشمس. بحثنا بين الصخور عن أسود ونمور فلم نجد واحداً، فأكملنا طريقنا. ولاحت في الشرق غيوم ارتفعت فوق الافق النائي، وهناك لاحت لنا في ضوء الشمس صورة جانبية لفهد ممشوق.

بدا الفهد ذهبياً ناشطاً متيقظاً يتأكله جوع غير مكبوت. وعندما اقتربنا ظهر فهد آخر أخذ يحدق الينا بعينين عقيقيتين لا تطرفان. فأخبرني فان لافيك أنهما أخ وأخته لا يزيد عمرهما على خمسة عشر







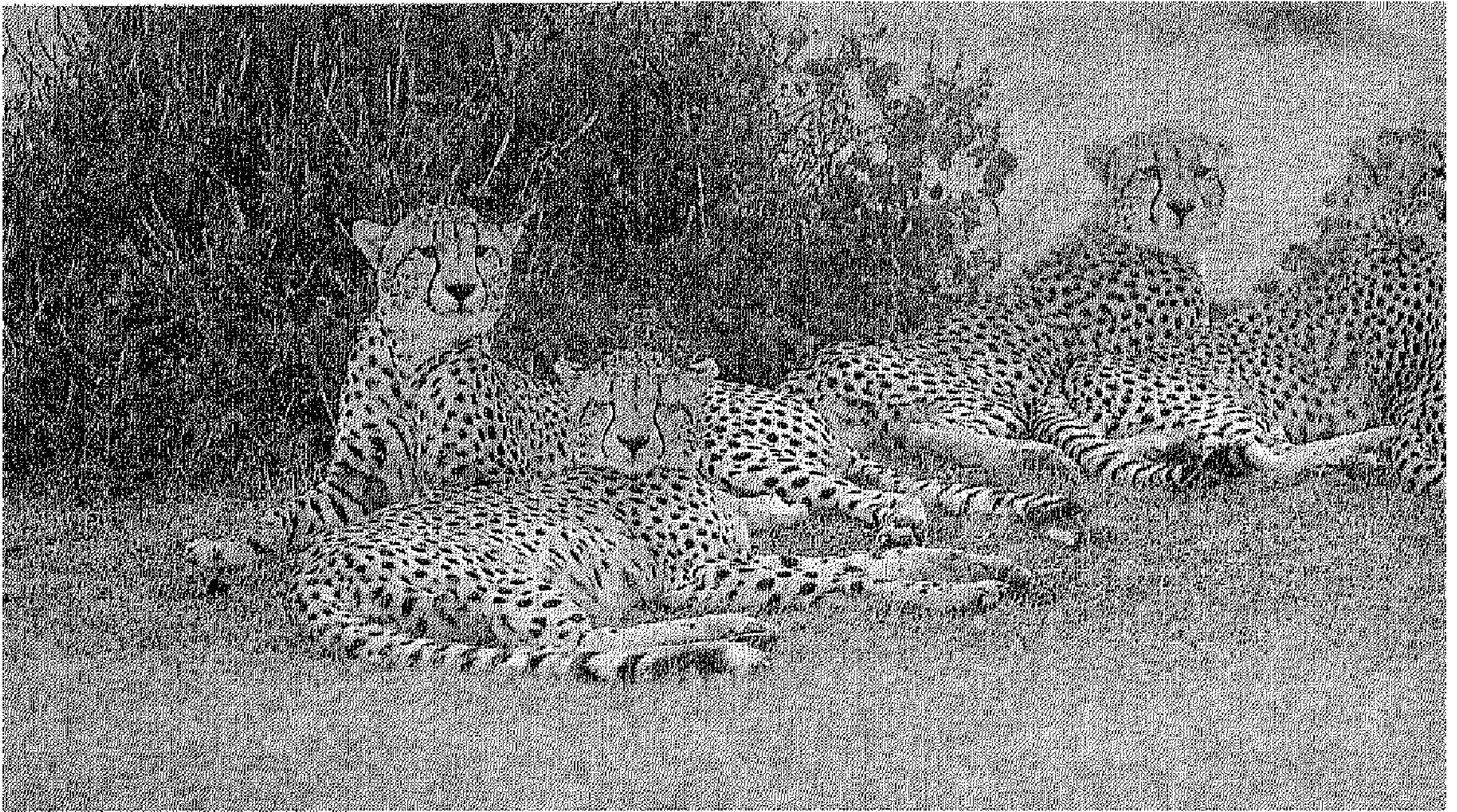
شهراً وقد انفصلا عن أمهما قبل فترة قصيرة. فقررنا تعقبهما.

الفهد الصياد[٢] سيِّب المفاصل خفيف الحركة. له وجه غامض خطَّهُ الدمع وعمود فقري منحنٍ يساعده في العدو السريع. انه الاكثر ضراوة بين حيوانات السهول في سيرنغيتي.

لطخة على العشب. توقفت القطعان أمامنا عن الرعي وسادها جو من التوتر.

عن خشف[٣] يسهل اصطياده أكثر من الغزلان البالغة السريعة العدو. واذ لم يظهر أي خشف أمامهما تمددا مفترشين الارض. وارتفعت الشمس في كبد السماء وانقضى النهار بسلام. وهمدت السهول تحت وطأة الحرارة. ومرّت ساعة ثم أخرى.

فجأة نهض الفهدان وانطلقا. لقد رصدا غزالة ومعها خشف. وضاعفا سرعتهما خلال ثوان. وعبثاً حاول



(فوق) فهود تستريح.
(أعلى اليمين) ضبع مرقط يبحث عن فريسة.
(تحت) زرافات ترعى الاوراق العالية.

وارتفعت الرؤوس عندما تقدم الفهدان في اتجاه مجموعة من غزلان "طومسون" انجذبت بدورها اليهما وكأنها أخضعت لتنويم مغناطيسي. غير أن الفهدين المتعجرفين تجاهلاها، لقد كانا يبحثان

الخشف سبقهما، فأدركته الفهدة ورمته أرضاً، ثم هجمت عليه بسرعة البرق وعضته من عنقه. وعندما انجلى الغبار كان نافقاً وسط الازهار.

على رغم طنين آلة التصوير كنت

(٢) Cheetah

(٣) الخشف ولد الظبي.

أسمع صوت نهش اللحم وسحق العظام فيما الفهدان يلتهمان فريستهما بسرعة قبل أن تتعقبهما الضباع الناهبة. وبعد خمس عشرة دقيقة لم يبقَ من الخشف سوى لطخة على العشب.

انتصب الفهد وأخته وأخذ كل منهما يلعق الآخر منظفا. ثم مشيا نحو أقرب هضبة حيث تمددا تحت شجرة تين. وقصدنا الظل نحن أيضاً وأكلنا تحت الشجرة فيما استسلم الفهدان للنوم على الصخور. واختبأت بومة فوقنا بين الاغصان تنتظر الظلمة.

غابت الشمس وما زال الفهدان نائمين. وجاءت الحمير الوحشية تمرح وتنهق في الهواء المنعش، وحلقت طيور القطا فوق الجيوب المائية البعيدة. أينما ينظر المرء لا يرَ أثراً لانسان، كل ما هناك طيور في الريح وعالم عشب وسماء.

قريباً يعود موسم الجفاف وتبدأ القطعان المهاجرة رحلتها الطويلة الى الشمال. بل ها هي غيوم من طيور اللقلاق تطير لولبياً كرقائق ثلج اذ تركب تيارات الهواء الساخن لتزداد ارتفاعاً في طريق عودتها الى أوروبا.

وأنا أيضاً آن الاوان لكي أعود.

بريان جاكمان ■



صور من روسيا

عرض لنا أستاذ الجغرافيا شرائح مصورة التقطها خلال عطلته الصيفية. وطلب منا تحديد المكان الذي التقطت فيه. وظهر في الصورة الاولى جمع من الناس أمام بناء قرميدي خال من أي علامة تعين موقعه، فرفعت يدي وأعلنت أن الصور التقطت في روسيا، مما أذهل أستاذنا فسألني كيف عرفت ذلك.

قلت: "حسناً، ذلك الرجل وتلك المرأة في الصورة هما عمي وزوجته. وهما سافرا هذا الصيف في عطلتهما الى روسيا."

ك.م.

شيبة المدير

كنا جميعاً مرهقين بعد اجتماع عمل. فقال المدير الذي رأس الاجتماع شاكياً: "هل لاحظتم هذه الشعرات البيض في رأسي؟ وهل تعرفون أنني قبل أربع سنوات، حين تسلمت هذا المنصب، كان رأسي خالياً من أي شعرة بيضاء؟"

فرد موظف قديم أصلع: "لا تحسب ذلك مشكلة. افعل كما فعلت أنا. كلما بانت لك شعرة بيضاء، اقتلعها."

ج.ر.ن.

تحيي المتاحف في أنحاء العالم الذكرى المئوية لوفاته
لكن لوحاته الزاهية المشرقة تخالف ما آلت اليه نهايته المأسوية

فان غوغ: الأيام الأخيرة

عندما وصل فنسنت فان غوغ الى باريس آتياً من جنوب فرنسا في ١٧ مايو (أيار) ١٨٩٠ استقبله أخوه تيودوروس (تيو) بحفاوة في منزله الجديد بحيّ بيغال في أسفل مونمارتر. وكان فنسنت أرسل اليه لوحات على مدى سنوات حتى ضاقت بها جدران شقته وأرضيتها. وكانت تلك المرة الاولى يُجمع هذا العدد الكبير من لوحات فنسنت في مكان واحد، فأعطت مشهداً فنّياً رائعاً.

في ذلك اليوم تأمل فنسنت ما رسمت يداه فأشرق وجهه فرحاً وثقة. وكانت عروس تيو الجديدة، جو، سمعت عنه حكايات، فوجدته "قويا عريض المنكبين متورّد الوجه مرحاً ثابت العزيمة." لكنها ما لبثت أن علمَت ما أدركه فنسنت في صميمه، أن تلك ليست سوى لحظة عابرة من البهجة. فهو كتب الى أخيه قبل سبع سنوات: "أنا لم أبدأ الرسم متأخراً فحسب، بل ربما لن أعيش سنين عديدة، ما بين ست وعشر مثلا."

وها هو في السابعة والثلاثين من عمره ويشعر بأن أيامه تنفد بسرعة.

كانت موهبته الفنية في ذروة العطاء، فهو ملأ السنتين الماضيتين بفيض كثيف من ومض عبقريته، وهذا ما لم يعهده عالم الفن الا نادراً. وكان صديقه هنري دو تولوز – لوتريك ألح عليه في الذهاب جنوبياً الى مدينة آرل القديمة حيث الشمس الساطعة والالوان الدافئة تحرر العين العاطفية للشاب الهولندي المزاجي الذي أدهش فناني باريس وأزعجهم. وبسرعة فائقة تخلص فنسنت من الالوان الكئيبة في لوحاته السابقة وبرع في نمط

جريء من الالوان الصافية المغايرة. فأنتج لوحات مليئة بالحيوية بسرعة لا تُصدق... أحياناً أكثر من لوحة يومياً، وعمل جنباً الى جنب مع بول غوغان الذي أعجب به أكثر من أي فنان آخر، فكان كل منهما يحفز الآخر على تحقيق اكتشافات مذهلة جديدة.

والى ذلك بدأ نجم فنسنت يسطع في عالم الفن. وقدّم اليه الرسامون الكبار في ذلك الوقت الصداقة والتشجيع، وبينهم ادغار ديغا ولوتريك وجورج سورا وكميل بيسارو. ووصفه الناقد الفني الكبير ألبير أورييه بأنه "الفنان الحقيقي النشيط الذي له يدان قاسيتان كيدي عملاق وأعصاب امرأة مجنونة وروح متصوف. انه أصيل جداً ومبدع جداً ووحيد جداً. انه الرسام الوحيد الذي يعي تلوُّن الاشياء بهذه القوة وبهذه الجودة الدُرِّية.

ولكن في مدينة آرل أيضاً بدت على فان غوغ علامات جنون. ونشأت على مر السنين نظريات لا تحصى حول طبيعة مرضه راوحت بين الصرع والزُهري (السفليس) الحاد والكآبة الهوسية. لكن باحثين طبيين يؤكدون اليوم أن الفنان لم يكن مجنونا قط، بل مصاب بداء "منيير" وهو اختلال في الاذن الداخلية يؤثر في السمع والتوازن ويسبب نوبات متكررة من الدوار والغثيان والصمم مع طنين في الاذن. ولكن مهما يكن سبب تقلب فان غوغ فهو كان دائماً رجل المواقف المتطرفة الذي أجهد أعصابه وعواطفه فوق طاقتها. كان يعمل في آرل طوال النهار وفي الليل أحيانا كثيرة، ويأكل على نحو غير منتظم وغير واف، ويشرب أباريق من القهوة والافسنتين[1]، ويدخن باستمرار. كتب مرة الى تيو: "أنا أقرّ بكل ذلك. ولكن لكي أحصل على الشهرة التي بلغتها الصيف الماضي تعيَّن عليّ أن أكون مُثاراً تماماً." لذلك كان يجلس طوال النهار خارجاً متحملا حرارة الصيف الشديدة "وأشعة الشمس المحرقة من دون أي وقاء، وأستمتع بذلك كزيز حصاد"

كانت مشاعره دائماً في ذروة الانفعال، وهو ترجَّح بين النشوة واليأس والثقة العامرة والشك الذاتي الخانق. (ويفيد الباحثون أن نوبات الصرع الناجمة عن داء "منيير" تتخللها غالباً فترات خالية من الاعراض.) وفي ٢٣ ديسمبر (كانون الاول) ١٨٨٨ انهار اتزانه فقطع جزءاً من أذنه اليمنى وأرسلها الى حبيبة ومعها هذه الكلمات: "حافظي عليها بعناية." ومنذ ذلك الحين أصبحت حياته سلسلة من ابلالات وانتكاسات على فترات غير متوقَّعة. وقد روى الرسام بول سينياك الذي زاره يوماً في مصحّ أنه وجده سليم العقل تماماً، ولكن قبل أن يغادر المكان اضطر الى منع فنسنت من تجرع قارورة من مادة التربنتين.[2]

---

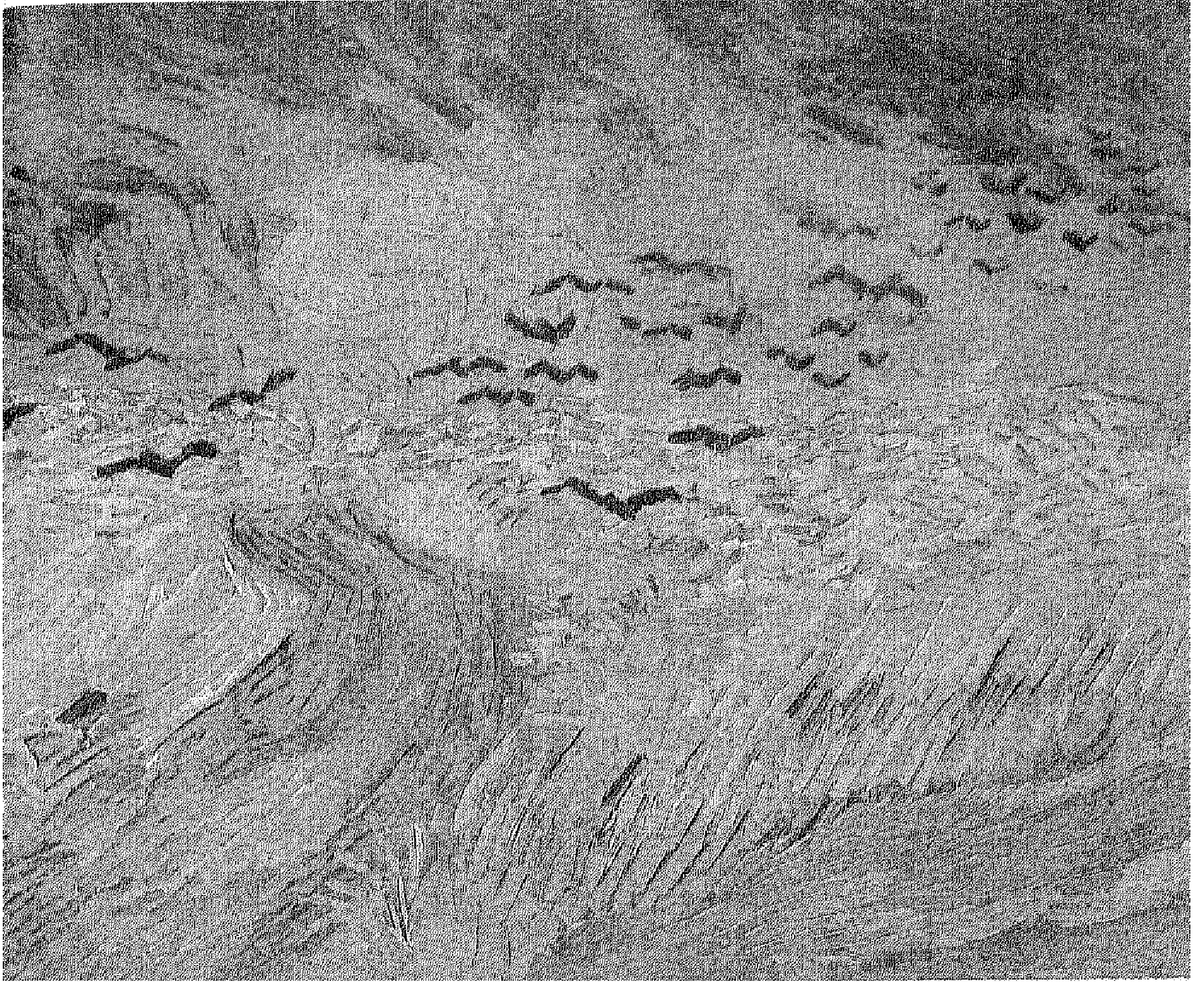
(١) الافسنتين عشبة طبية تستعمل للهضم والادرار ويصنع منها شراب مسكر.
(٢) التربنتين مادة تستعمل لتذويب الالوان وإرخاء الدهانات.



الدكتور غاشيه الكئيب وفي يده عشبة طبية.

الطبيب الصديق. في ربيع ١٨٩٠ عندما وصل فنسنت الى شقة تيو كان يأمل أنه استعاد حاله الطبيعية. فهو ظن أن حدة الجنوب أثّرت فيه وأن سماء الشمال الرمادية المألوفة ستحسن أحواله.

واقترح عليه صديقه بيسارو أن يقصد الدكتور غاشيه وهو رسام هاوٍ اعتنى بكثير من الفنانين الباريسيينً. وكان غاشيه مقيماً في "أوفير – سور – واز" على بعد حوالى ٣٠ كيلومتراً من شمال المدينة، وأسعده كثيراً أن يداوي فنسنت. لذلك انتقل والرسام الى أوفير حيث استأجر مسكناً رخيصاً فوق مقهى يخص عائلة رافو، على بعد خطوات من منزل الطبيب. وطاب له الهدوء في القرية، وكتب الى تيو: "ان جمالها رزين، وتمثل الريف الحقيقي." كانت أوفير، ولا تزال، جاثمة على تلة ومطلة على مناظر جميلة لوادي واز الاخضر من جهة ولحقول

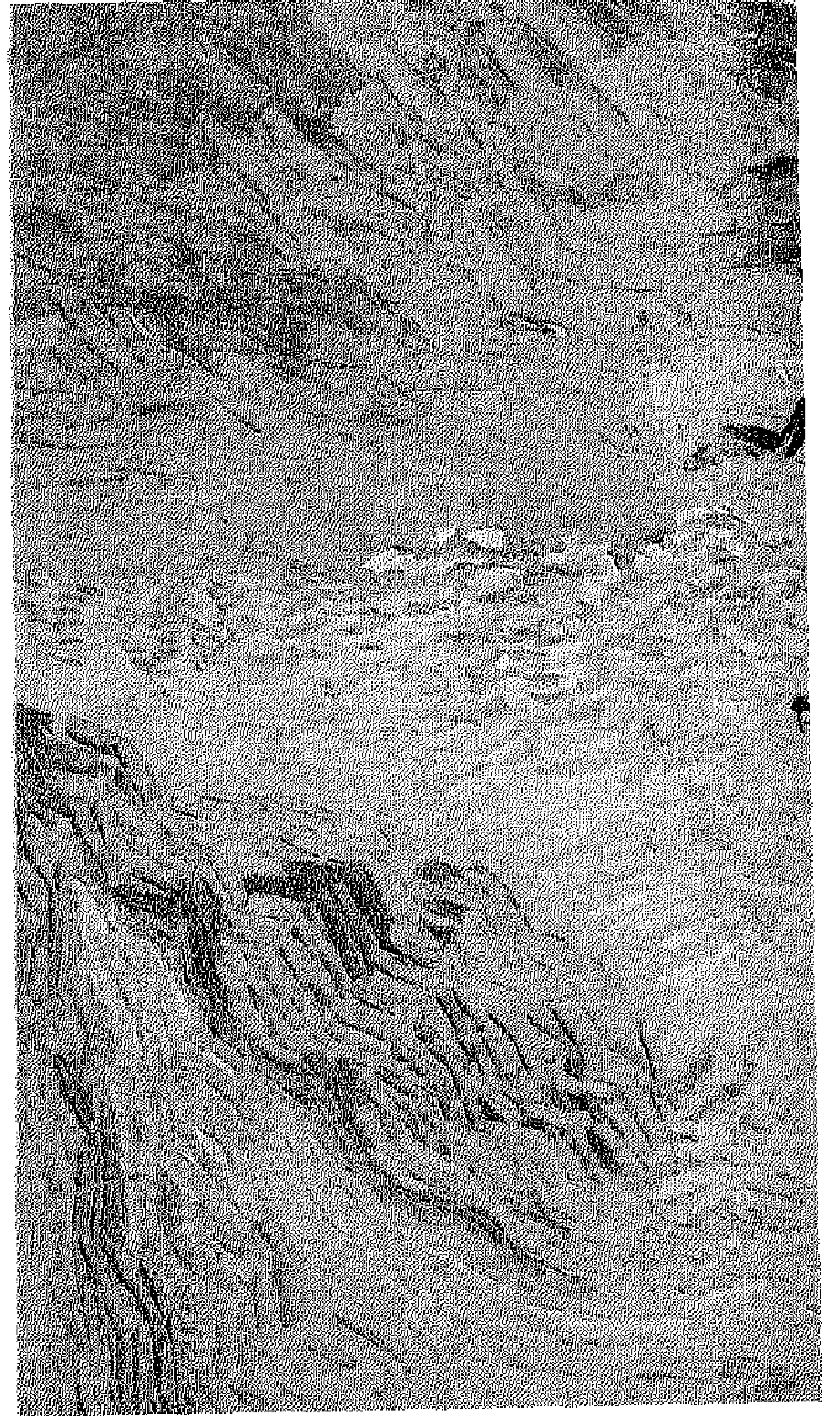


القمح الفسيحة الممتدة نحو الافق من جهة أخرى.

وحصل توافق بين الطبيب والرسام منذ البداية. وجده فنسنت "مثل أخ آخر، مع شبه كبير بيننا جسدياً وعقلياً." كان غاشيه فلمنكي[٣] الاصل، يشبه فنسنت بوجهه الناحل وشعره الاحمر ولحيته الحمراء. وكان فنسنت مقتنعاً بأن الطبيب يشاركه أيضاً في نزعته الى الانقباض والاضطراب العصبي. ورسم فنسنت لوحتين توأمتين للدكتور غاشيه معبِّرتين عن "مشاعر القلب المنسحق في هذه الايام" كما قال. ويبدو غاشيه في هاتين اللوحتين هزيل القوام، كئيباً، خائر العزم، يرفع رأسه بيده الممدودة، شاحب الوجه، ذا ملامح حادة وعينين ثاقبتين، مع مسحات زرقاء ملتفّة تمثل معطفه وخلفية لا شكل فيها. يبدو انساناً يسير على غير هدى.

كانت حماسة غاشيه للوحتين شيئاً جديداً لم يعهده فنسنت ومصدر تشجيع رائعاً، اذ كانت غالبية رسومه السابقة تخص أناساً غير مثقفين. كان منزل غاشيه مليئاً بلوحات من رسم سيزان

(٣) الفلمنكي من ابناء منطقة الفلاندر الممتدة في فرنسا وبلجيكا على بحر الشمال.



"غربان فوق حقول القمح."
لوحة شهيرة رسمها فان غوغ في أوفير.

ومونيه وبيسارو قُدِّمت اليه بدل استشارات طبية، وهكذا أصبح لدى فنسنت نموذج (موديل) يحادثه حول رسومه.

طفل حبيب. انغمس فنسنت في عمله كمن به مس. وأكمل ٣٦ لوحة خلال ٧١ يوماً أمضاها في أوفير، علاوة على رسوم لا تُحصى. رسم في مزاجات عدة تراوح بين الصفاء والهستيريا: زهرات متفتحة بدقة نادرة حتى كأنها صورة مطبوعة، ومناظر طبيعية مضطربة يبدو كل ما فيها منحرفاً قليلاً، والمبنى البلدي في أوفير تزينه الاعلام الثلاثية الالوان (الفرنسية) لمناسبة "يوم الباستيل" فيبدو بهيجاً وكأنه غير ذلك المبنى الكئيب الخالي من المعالم، والكنيسة القديمة الهادئة التي ملأها زخماً عنيفاً، ومرغريت بنت الطبيب غاشيه أمام البيانو في ثوبها الابيض المشرق، وأكواخ قديمة سقوفها من قش تذكره بأيامه الخوالي في هولندا، ونباتات الخشخاش وأشجار الكستناء والحدائق وحقول القمح الذهبية.

تحسنت حاله النفسية وارتفعت معنوياته. وكتب يوماً الى والدته: "أشعر بأنني مرتاح تماماً وفي وضع طبيعي. يقول الطبيب هنا أن علي أن أنغمس في عملي كلياً لكي أتسلى. ثم اني أعمل أحسن من قبل لاقلاعي عن الشراب، وهذا مكسب واحد على الاقل."

وبدأ فان غوغ يخطط للمستقبل ويفكر في استئجار منزل في أوفير. وفي يناير (كانون الثاني) ١٨٩٠ أنعم الله على تيو وجو بمولود سمياه فنسنت. وبعد مدة أخذاه لزيارة عمه الذي اهتم به كثيراً وأراه حيوانات المزرعة وعثر له على عش عصفور. وكتب فنسنت لاحقاً الى تيو: "بما انك كنت طيباً كفاية لتسمي الطفل باسمي، فانني أتمنى له نفسية أقل اضطراباً مني."

فعلى رغم كل شيء لم يكن فنسنت مطمئن البال في أوفير. وحتى زيارة ابن أخيه الأصغر أحبه كثيراً كانت مبعث

اضطراب بالنسبة اليه، اذ ذكّرته بأنه منذ سنين يتّقي غائلة العوز بالخمسين فرنكاً التي يضمّنها أخوه كل رسالة. وقد اعتبر الاخوان ذلك استثماراً يدفق الخير على تيو عندما تزهر أعمال أخيه. لكن فنسنت لم يبع اولى لوحاته الا حديثا، والان توجّب على تيو أن يتحمل مسؤولية امرأته وطفله. شعر فنسنت بالالم لانه عبء على أخيه الذي كان هو أيضاً غير آمن وغير مستقر. لذلك كتب اليه: "أنا لا أشعر بالحياة الا عندما أقف أمام مِنْصبي للرسم. هذه قسمتي التي أقبلها والتي لن تتغير، والآتي يبدو مظلماً أكثر. انني لا أرى مستقبلا سعيداً على الاطلاق."

لا رجاء. أصبح فنسنت هادئاً على نحو مضلل، كنمط مألوف منذ نوباته الباكرة. وكتب الى والدته في آخر يوليو (تموز): "أنا مستغرق كلياً في ذلك السهل العظيم المُغطّى بحقول القمح." وبعد أيام قليلة أنتج واحدة من أكثر اللوحات عذاباً واضطراباً بعنوان "غربان فوق حقول القمح." وحقل القمح في اللوحة كتلة متشابكة من مسحات تشنجية مائلة صفراء. السماء زرقاء محمومة، وثمة ممرات حمراء وخضراء تقود الى برية السنابل لكنها لا تصل الى مكان، وغربان سود في الفضاء ترمز الى قرار لا يرحم. كتب فنسنت الى تيو واصفاً بعض المناظر الطبيعية في لوحاته: "لم أحتج الى بذل جهد كبير للاعراب عن الحزن والوحشة القصوى."

واستأثر به الحزن المألوف. وأدرك أن ذلك لم يكن مرضاً من الجنوب، وانما كُتب عليه أن يتحمل سلسلة من الاكتئابات المتكررة التي لا نهاية لها. كان وحيداً، وقد فقد ايمانه بنفسه وبكل شيء. وكتب في رسالته الاخيرة الى تيو: "في عملي الخاص، أُعرض حياتي للخطر وأفقد نصف صوابي."

وضع فنسنت الرسالة في جيبه والتقط مسدساً كان استعاره من رافو ومشى وسط الحقول. وصوّب المسدس الى صدره وأطلق النار وسقط. واذ وجد نفسه جريحاً ولم يمت، نهض وسار مترنحاً نحو البيت. وعندما تخلّف عن العشاء صعد رافو الى الطبقة العليا فوجده في الفراش. وبادره فنسنت: "حاولت أن أقتل نفسي، لكنني أخطأت."

استُدعي الطبيب غاشيه فأتى بسرعة. لكنه لم يجرؤ على نزع الرصاصة بل ترك مريضه "يرتاح" ويدخن غليونه بأمان. وأعلم أخاه بالامر فأتى صباح اليوم التالي وبقي معه طوال النهار. في هذه الاثناء كتب تيو الى زوجته: "مسكين أخي، انه لم ينل كثيراً من الحياة، ولم تبق لديه حتى أوهام. بعض الاحيان تكون الامور قاسية جداً. هو يشعر بوحدة رهيبة. ليتنا نقدر أن نشجعه قليلا لكي يعيش!"

لكن فنسنت استسلم لليأس. وكتب تيو لاحقاً الى أخته اليزابيث: "هو نفسه أراد أن يموت. عندما حاولت اقناعه بأنه سيشفى أجاب: "الحزن لن ينتهي." كان

هادئاً جداً. ومن كلماته الاخيرة: "ليتني أعود الى البيت الآن." وهكذا كان. في لحظات قلائل وجد السلام الذي لم يقدر أن يجده على الارض."

توفي فنسنت في الاولى من فجر ٢٩ يوليو (تموز) ١٨٩٠.

وأتى صديقه الرسام اميل برنار الى أوفير ليحضر الجنازة. وهو كتب في ما بعد: "جاء أناس كثيرون، ومعظمهم من لفنانين. كما جاء أهالي الجوار الذين أحبوه لانه كان انسانياً جداً وطيباً جداً. وفي الخارج كانت حرارة الشمس لا تطاق. تسلقنا تلة أوفير ونحن نتكلم عنه، عن الزخم الذي أعطاه للفن وعن المشاريع الكبيرة التي شغلت باله دائماً وعن الجميل الذي أسداه الى كل منا. وتحت سماء زرقاء رحبة أحبها فنسنت كثيراً، وصلنا الى المقبرة المشرفة على الحقول الجاهزة للحصاد. ومن ثَمَّ ووري في الثرى."

غمر تيو حزن شديد ومرض مرضاً خطيراً. وقبل وفاته في ٢٥ يناير (كانون الثاني) ١٨٩١، وكان يُعالج في هولندا، أُخبر أن معرضاً أقيم لأعمال أخيه ارتجله اميل برنار بسرعة، وذكرت صحيفة "ألجمين هاندلسبلاد" الهولندية: "في يوم عيد الميلاد البارد هذا تجمّع رجال هولنديون في غرف صغيرة داخل شقة خالية في مونمارتر، يتأملون نحو ١٠٠ لوحة نالت اعجابهم الشديد. ولكن خالطَ حماستهم أسى، فهذه الكنوز الفنية هي تركة فنان اختفى قبل الاوان."

وجاء التقدير الرسمي سريعاً. ففي فبراير (شباط) ١٨٩١ عُرضت بعض لوحات فان غوغ في بروكسيل، ثم في باريس في شهر مارس (آذار). وفي ابريل (نيسان) من تلك السنة أقام برنار معرضاً في باريس ضمّ ١٦ لوحة للفنان ومنذ ذلك الوقت تكررت المعارض والكتب والمقالات والافلام حاملة اسم فنسنت فان غوغ الى أقاصي الارض. وعاش ابن تيو، فنسنت، ليشهد افتتاح "متحف فنسنت فان غوغ" في أمستردام عام ١٩٧١ حيث تم تكريس عمه على أنه الفنان الأشهر والأحبّ في الزمن المعاصر.

روبرت فرنيك ■

عيد الامهات

صباح عيد الامهات وقف شاب عند منضدة الدفع في مكتبة. وكان يحمل بطاقة معايدة في يده ويبحث في جيوبه، مرتبكاً، عن قطع نقدية صغيرة تكفي ثمناً للبطاقة. فقال له أمين الصندوق: "ان شراء هذه البطاقات يؤدي فعلا الى الافلاس، أليس كذلك؟"

فتمتم الشاب من دون أن يرفع نظره: "وعدم شرائها كذلك."

ك.س.

حذارِ المؤسسات التي يتطلب العمل فيها ثياباً جديدة.

هنري ديفيد ثورو

ماساة واقعية

شجرة تنقذ امرأتين من طوفان جارف

غرقت السيارة في مياه الفيضان وأمضت المرأتان ليلتهما معلقتين على أغصان شجرة. فهل ينجدهما أحد؟

كان المطر يضرب زجاج السيارة بعنف في طريق ريفية مقفرة خارج كندايل في ولاية تكساس ليل السابع عشر من مايو (أيار) ١٩٨٩. وقالت جايمي ليمونز (٢٤ عاما) لرفيقتها تشيري جاكسون (٢١ عاما): "أكاد لا أرى طريقي." وهما كانتا عائدتين من زيارة، والبرق والرعد يقصفان خارج ملاذهما الصغير.

كانت عواصف هوجاء تضرب بقعة من تكساس يبلغ عرضها ٤٠٠ كيلومتر، وبلغ معدل المطر الساقط حوالى ٣٣ سنتيمترا، وأقفل كثير من الطرق العامة والجسور نتيجة أسوأ فيضان تشهده المنطقة منذ عقود. وتسبب الفيضان في غرق شخصين.

تمسكت جايمي بالمقود موجهة سيارتها الـ"كامارو" الفضية في طريق كندايل — افرمان. ومع أنها تعرفت الى تشيري قبل ثلاثة أشهر فقط، فقد كانت سعيدة لوجود رفيقة معها في تلك الليلة

ILLUSTRATION: ALAN REINGOLD

الليلاء. وكانت جايمي منفصلة عن زوجها ومسؤولة عن تربية ابنة ذات ثلاث سنوات، وهي وجدت في تشيري مستمعة لطيفة وعطوفة. وراحت المرأتان تتحدثان بهدوء في محاولة لتجاهل شعورهما النامي بالخطر.

فجأة تدفق الماء على الطريق من ناحية فيليدج كريك. وقبل أن تتمكن جايمي من تفادي الدفق ضربت موجة عاتية السيارة فغمرتها. وحاولت جايمي السيطرة على السيارة لكن المحرك توقف

فجأة. وبينما هي تحاول باهتياج اعادة تشغيله، دفعت موجة أخرى السيارة الى قناة على جانب الطريق. فصرخت جايمي: "اننا نغرق! اخرجي!" ولكن لم تستطع أي منهما فتح الباب بفعل الضغط الهائل للمياه الثائرة.

انزلقت السيارة تحت المياه وهي تترنح يمنة ويسرة. وفكرت جايمي: النافذة! انها المهرب الوحيد! وأنزلت زجاج النافذة، فتدفقت المياه الباردة داخل السيارة. لم يكن أمامهما سوى دقائق قليلة قبل أن تغمرهما المياه. تسللت جايمي من الفتحة وتبعتها تشيري. وكان التيار مندفعاً بقوة نحوهما، الا أنهما تمسكتا بحافة سطح السيارة وتمكنتا من الصعود فوق غطاء المحرك. وهناك جثمتا مرتعبتين والمياه الداكنة آخذة في الارتفاع والسيارة تغرق شبراً شبراً.

شاهدتا حولهما منظراً مخيفاً. كانت الاشجار الساقطة وكتل الحطام تعبر قربهما مع السيول. لم تريا منازل أو أضواء أو أي علامة حياة في أي مكان.

وبعدما تعودت عينا جايمي الظلام شاهدت شجرة عالية ثابتة وسط المياه. فقالت لرفيقتها: "تعالي، تلك الشجرة فرصتنا الوحيدة للنجاة."

صراخ في العاصفة. نزلت المرأتان الى الماء يداً بيد، وظلتا متعلقتين بمقدم السيارة بضع دقائق مترددتين في ترك ملاذهما السابق. ثم لمعت في رأس جايمي صورة ابنتها بشعرها الاشقر وعينيها الزرقاوين اللامعتين، فاذا بخوفها يتحول تصميماً. ستفعل كل ما في مقدورها لتنجو.

صرخت جايمي: "هيا بنا!" ودفعتها تشيري نحو الشجرة. وراحت جايمي تضرب الماء وهي تعلم أنها ستضيع في الظلمة إذا التقطها التيار. ثم لمست لحاء الشجرة، فتمسكت بها والمياه تدفع رجليها والتيار يشدها الى أسفل.

وحان دور تشيري. ولكن ما ان أفلتت السيارة حتى حملها التيار بعيداً عن الشجرة. فصرخت: "جايمي!" وفي ثوان غمرتها المياه.

فجأة أحست قوة تجذب شعرها ويداً تطوق عنقها، واذا جايمي تسحبها نحو الشجرة. وتسلقت الرفيقتان الاغصان الى مكان آمن.

وقفت تشيري بين غصنين كبيرين حيث يتسع المكان لشخص واحد فقط. ووقفت جايمي على قدمي تشيري، وتمسكت كل منهما بغصن.

ومع انقضاء الليل ظلت المرأتان المصعوقتان متشبثتين بمجثمهما المتقلقل الذي لم يكن يعلو عن السيل الثائر أكثر من متر. فجأة شعرتا بلسعات على أيديهما ووجهيهما. كان النمل الاحمر اللاجىء الى الشجرة يزحف عليهما.

وكان البرق يمزق الظلام. فأخذت المرأتان تصليان لعل أحداً ينقذهما قبل أن ترتفع المياه. ولكن من يجدهما والطريق غارقة؟ وتطلعت جايمي الى

السماء الرصاصية مبتهلة: "نجِّنا يا رب!"

وكانتا تريان أضواء السيارات من بعيد، ثم تختفي الاضواء لدى انعطاف السيارات. وظلتا تصرخان طالبتين النجدة، الا أن صراخهما ضاع في العاصفة.

انقضت ساعات والمرأتان تنتظران بائستين والمياه المدومة آخذة في الارتفاع. وأخذتا تتحدثان عن آمالهما، وعن كيلي ابنة جايمي. فقالت جايمي: "أتمنى لو أحضنها الآن." ثم اشتدت الريح وعصفت بالشجرة التي راحت تهتز بعنف وكادت تسقط وتنضم الى الحطام المندفع بسرعة مع السيل.

جاهدت المرأتان للحفاظ على موطىء أقدامهما. وعندما أحست جايمي خدراً في قدميها حاولت أن تغير وقفتها، لكنها انزلقت وكادت تسقط لولا تمسكها بأحد الاغصان. وساعدتها تشيري في التسلق ثانية.

أخذت حرارة جسديهما في الهبوط. وشعرت جايمي بألم في ذراعيها وعضلات معدتها نتيجة تشبثها بغصن الشجرة. أما رجلاها فكانتا خدرتين. وتساءلت: "هل سيطلع علينا النهار؟"

"أخرجونا من هنا!" قرابة السادسة الا ثلثاً صباحاً كان دون هامريك متوجهاً في شاحنته الصغيرة الى عمله في شركة للتسقيف والالواح المعدنية. وهو اعتاد أن يعبر جسراً على طريق كندايل – افرمن، فيرى فيليدج كريك منخفضة حوالى ستة أمتار عن الجسر. أما الآن فالمياه تموج تحت الجسر تماماً.

أدرك دون أن الفيضان يغطي الطريق، فأنزل زجاج نافذته بحثاً عن مكان ينعطف فيه ويعود من حيث أتى. وخيل اليه أنه سمع أصواتاً تنادي، فحدق عبر الظلام، لكنه لم يرَ أحداً. هل يحاول السباحة ليتحقق من مصدر الصوت؟ رأى ان التيار فائق القوة، فلم يجد بداً من طلب المساعدة. وأسرع الى مركز الشرطة في كندايل.

راحت المرأتان تصرخان: "النجدة! النجدة!" لكنهما شاهدتا أضواء الشاحنة تتلاشى بعدما استدارت. وكانت المياه أصبحت على مسافة ٦٠ سنتيمتراً تحتهما.

وصل دون الى مركز الشرطة في السادسة صباحاً. ولم تلبث أن انطلقت سيارة للشرطة وفيها رئيس دائرة الاطفاء جيم سميث ورئيس دائرة الشرطة ديفيد غيسلن ومحافظ المدينة تيد رو الذين كانوا يضعون خطة لاخلاء المنطقة. وعندما ترجلوا من السيارة وجدوا صعوبة في المحافظة على توازنهم وسط المياه المتدفقة التي غطت ركبهم.

رأت جايمي وتشيري الرجال الثلاثة وقد انعكست عليهم اضواء السيارة. فصرختا: "أخرجونا من هنا!"

سلط الرجال أضواء مصابيحهم القوية على المكان، فشاهدوا جسمين صغيرين متمسكين بأغصان شجرة عالية.

صرخ سميث: "اصمدا. سوف نساعدكما."

في تلك اللحظة سمع غيسلن تقريراً على جهاز اللاسلكي الذي كان يحمله، مفاده أن عاصفة أخرى وشيكة ستحمل ١٣ سنتيمتراً اضافية من الامطار. واتصل سميث عبر اللاسلكي برجال الاطفاء في كندايل والمدن المجاورة.

واذ انتشر الخبر وصل اطفائيون ورجال شرطة ومتطوعون للمساعدة. ولكن كيف الوصول الى المرأتين المحتجزتين؟

كانت الخطوط الكهربائية ممدودة فوق الشجرة مما يعني استحالة استعمال الطوافة. فتقرر استعمال شاحنة إطفاء مزودة عقيفة وسلماً.

شد حبال. في السابعة صباحاً تحت أشعة الصباح الباهتة كانت مياه الفيضان تتلألأ بلون بني موحل. ابتسمت جايمي وتشيري بارتياح عندما شاهدتا شاحنة الاطفاء الكبيرة المزودة سلماً تشق طريقها نحوهما. واصطف ستة رجال على كل جانب في الطريق لهداية الشاحنة وسط الفيضان. لكن قوة التيار جعلت توجيه الشاحنة امراً مستحيلاً.

ووقفت تشيري وجايمي مشدوهتين تراقبان الشاحنة وهي تتراجع. ثم صاحت تشيري: "ما المشكلة؟"

أجابها أحد الرجال صارخاً: "هدّئا أعصابكما. كل شيء على ما يرام."

في السابعة والنصف بث جهاز اللاسلكي أن العاصفة الثانية ستضرب كندايل خلال ساعة. وفي تلك الاثناء كانت المياه ارتفعت وغمرت الرجال حتى أوراكهم، فباتوا هم أيضاً يحاولون التوازن وسط السيل الجارف. وبدا واضحاً أن تعاظم الفيضان سيؤدي الى استحالة عملية الانقاذ.

ربط المنقذون حبلين بأشجار على الطريق، وأمسك بكل حبل خمسة رجال. وارتدى الاطفائيان روكي كوري وكنت كيركباتريك سترتي نجاة، وربط كل منهما جسمه بطرفي الحبلين. ثم شقّا طريقهما بصعوبة عبر المياه محترسين من سياج الاسلاك الشائكة الذي غطته المياه. وغمرتهما المياه حتى الكتفين. وعندما وصلا الى بعد ثلاثة أمتار من الشجرة غطسا في مياه السيل الجارف. ونجحا في الوصول الى الشجرة، فربطا الحبلين حول جذعها. ثم تسلقا الاغصان الى المرأتين. وكأنما الصدمة أخرست تشيري فلم تنطق ولم تتحرك، فصرخ فيها كيركباتريك بصوت علا صفير العاصفة: "كلّميني!"

أخيراً قالت تشيري بصوت خافت: "إنني بخير." لكنها أحست كأنما رجلاها مشلولتان، فقالت لجايمي: "اذهبي أنت أولاً."

الانقاذ. ألبس كوري جايمي سترة نجاة وربطها بحزام جلدي سميك ينتهي بحلقة معدنية، وربط الحلقة بحبل شده المتطوعون. ثم ربط جايمي بالحبل الآخر وشرح لها أن المنقذين على الضفة

سيجرونهما عبر المياه. وأنزلها الى الماء حيث أمسكها كيركباتريك.

عندئذ أجهشت تشيري بالبكاء.

قالت لها جايمي: "لا تخافي. سأكون هناك في انتظارك."

أسند كيركباتريك جايمي الى صدره بينما كان المنقذون يجرونهما الى اليابسة.

حاولت جايمي جاهدة إبقاء رأسها فوق الماء. وأخيراً امتدت يدان قويتان سحبتاها الى بر الامان.

بعد دقائق عاد كيركباتريك الى الشجرة لمساعدة تشيري على اجتياز التيار. وكانت هذه مرتعبة الى حد أن كوري اضطر الى نزع أصابعها بقوة عن الغصن. وقال لها وهو ينزلها برفق الى كيركباتريك: "ستكونين بخير."

لكن كيركباتريك ألفى نفسه عاجزاً عن التحرك. فقد علق جوربه الايمن بالسلك الشائك. فصرخ في رفيقه: "أرجعها الى مكانها." وراح يرفس جامعاً كل قوته للثبات في وجه التيار الى أن تمكن من افلات قدمه.

وأنزل كوري المرأة المرتعبة الى رفيقه، فمضيا يشقان طريقهما عبر التيار وكيركباتريك يكلم تشيري مطمئناً، ليلهيها عن خوفها. وأخيراً سُحبا الى اليابسة.

بعد لحظات كانت جايمي وتشيري ممددتين جنباً الى جنب في سيارة اسعاف نقلتهما الى المستشفى، حيث عولجتا من هبوط الحرارة وجفاف الجسم والبثور المتورمة من لسعات النمل الاحمر.

وباتت المرأتان صديقتين حميمتين. فبعدما كانت تربطهما معرفة عابرة أصبحتا شريكتين لمدى الحياة في رابط فريد هو صراعهما المشترك.

وتقول تشيري: "اننا محظوظتان. فالله كان معنا."

رينا دكتور لوبلان ■



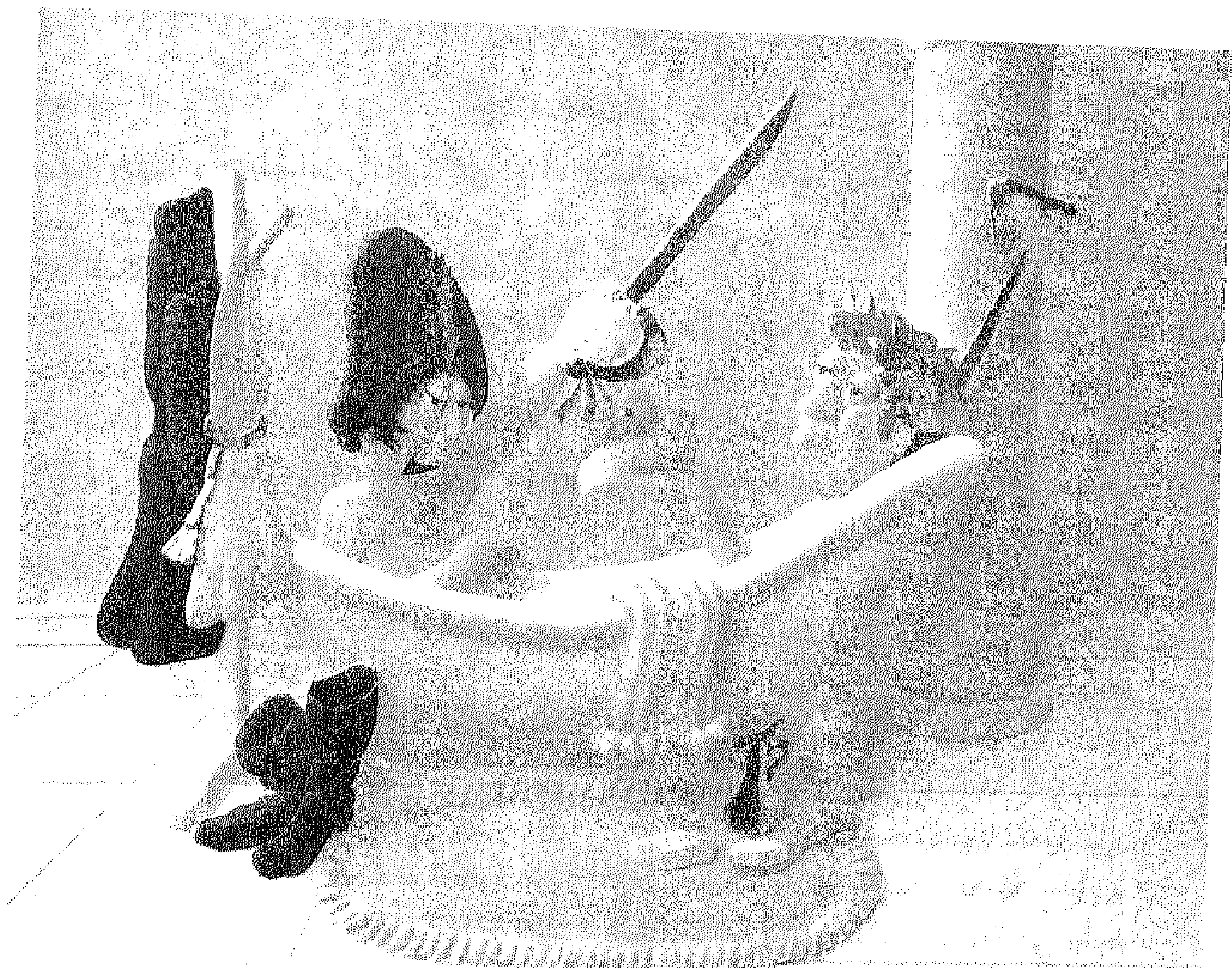
عطف الاقوياء

جلست قرب النافذة في أحد المقاهي لمشاهدة سباق للدراجات النارية.

فجأة اصطفّت دراجات هادرة في الخارج واقتحمت المقهى مجموعة من المتسابقين الأشداء. وسألني أحدهم عن الهاتف فأرشدته اليه. عندئذ ران صمت على الجميع ترقباً للكلام الخطير الذي سيتفوه به الشاب القاسي الملامح. قال: "مرحباً يا أمي، سأتأخر في العودة الى البيت، فلا تقلقي."

س.ب.

التكهنات صعبة، وخصوصاً التكهن بالمستقبل.



الحمّام ألطف مكان

ما سر النشوة التي تجتاحنا بعد كل حمّام؟

متع قليلة تضاهي الانتقاع والاسترخاء في حوض الاستحمام. وقد دأب الامبراطور الروماني غورديان الأول على "الغطس" أربع مرات أو خمساً يومياً. أما المستحم الامبراطوري الآخر نابوليون بونابرت فكان من عادته الانكفاء إلى حوض ماء ساخن جداً عند منتصف الليل، الأمر الذي استفظعه طبيبه الخاص.

نحن قد لا نستحم عدد المرات التي اغتسل فيها غورديان ولا بدرجة الحرارة التي استحم بها نابوليون، لكننا نفهم هوسهما. فنحن المولعين بالاستحمام نتريث طويلا بعد أن تنجلي القذارة عن

CONDENSED FROM NEW SCIENTIST (DECEMBER 24/31, '88), © 1988 BY NEW SCIENTIST, IPC MAGAZINES, LONDON. ILLUSTRATION: PAPER CHAMELEON

الماء، يحدونا توق الى اختبار مؤثرات غامضة على أذهاننا وأجسامنا. ولدى فراغنا من الحمّام الامثل يهدأ روعنا ونسترد نشاطنا.

والأثر المرخي الذي نشعر به يرجع إلى أن أعضاء الجسم المثقلة "تطفو" في الماء، مما يرفع العبء عن العضل مسببا انخفاضا عاما في الاجهاد العضلي. كما أن الحمّام الساخن يخفض ضغط الدم، اذ يفقد الجسم الحرارة بتوسُّع العروق المنتشرة على سطح الجلد، ويفضي ذلك إلى ضعف في مقاومة انسياب الدم والى تدنّ في الضغط.

والماء الحار جداً لا يبعث على الاسترخاء مثل الماء المعتدل. فالانغماس في حوض حرارته ٤٣ درجة مئوية كاف لزيادة حرارة الجسد درجة أو اثنتين ولزيادة سرعة النبض من ٧٥ في الدقيقة إلى ١١٥. وتستلزم عودة الجسم إلى درجة الحرارة الطبيعية نحو نصف ساعة.

ويجني هواة الاسترخاء في حوض ساخن منافع أخرى. وكان منهم أوديسيوس الذي وصف الشاعر هوميروس استحمامه في حوض حار قبل أن يقنع سيرس بفك اسر رفاقه. وتجزم الروايات بأن أرخميدس حقق اكتشافه العظيم وهو في حوض الاستحمام، وبيانه أن جسماً مغموراً في سائل ينقص وزناً بمقدار مساو لكمية السائل الذي يزيحه. لكن الروايات لا تذكر حرارة الماء في حوض أرخميدس.

ويعين الحمام الدافىء على استعادة النشاط بعد التمارين الرياضية. يقول كريغ شارب العالم بوظائف الاعضاء (الفيزيولوجيا) في شعبة علوم الرياضة البدنية بجامعة برمنغهام البريطانية، ان العضلات المنهكة تجني فائدتين من الاستحمام: الاسترخاء وتحسن جريان الدم. والثانية تساعد على تشتيت الحمض اللبني الناتج من التمارين اللاهوائية* وتضمن ابلالا سريعاً من الاعياء، وقد تساعد أيضاً في ازالة السوائل المتغلغلة عبر الاوعية الدموية الى العضل المجهد أثناء التمرينات، وبذلك تخف الاوجاع التي يقاسيها غير اللائقين بدنيا على أثر تمرين مضن.

لكن نقع الجسد في الماء مديداً يتيح للجلد أن يتشرب الماء، فينتفخ ويظهر التجاعيد المألوفة على أصابع اليدين والقدمين.

وللاستحمام بالماء البارد أنصاره أيضاً. فالوثبة المباغتة في المياه الباردة تستل شهقة أفلت زمامها ويصحبها ارتفاع في ضغط الدم. وهي توقف عمل القلب أحياناً. وقد أعد شارب اختباراً عقد فيه مقارنة بين ارتياح الرياضيين المعافين بعد عَدْو تلاه حمام (دوش) بارد وآخر من دون حمّام وثالث بعد حمّام لم يسبقه عدو. فجاء الارتياح بعد الحمام البارد وحده أدنى منه بعد الحمّام الذي يتلو عدواً. لكن ما فاجأ الجميع أن هذا الارتياح الاول كان أعلى مرتبة منه بعد

(*) Anaerobic exercise

العدو من دون استحمام. ويبدو أن الاحساس بالماء البارد مسفوحاً على الجلد كاف لاحداث شعور بالغبطة.

وقد أفادت منتجعات المياه المعدنية أجيالا لا تحصى من المرضى. ومن المنجذبين الى مائها المصابون بالرثية (الروماتيزم) وبأمراض جلدية مزمنة.

ويأخذ الاستحمام الطبي أنماطاً تثير الاستغراب، مثل لجوء بعض المصابين بالرثية الى استعمال الشمع أو الرمل الساخن أو النبات شبه المتفحِّم أو الوحل في استحمامهم. وتصادف مغاطس الشوفان والكبريت هوى عند المصابين بأمراض جلدية.

وعمد المستحمون إلى بدائل أخرى في سعيهم الى تجارب ذات نكهة خاصة. فكانت بوبايا زوجة نيرون الثانية تستحم في حليب قطيع من ٥٠٠ أتان كانت تملكها. وكانت لحمامات الدم استعمالات شتى عبر السنين، فقد دأب محاربو بعض المجتمعات في غابر الأزمان على تلطيخ أجسادهم بدماء أعدائهم، واعتبر حمام الدم علاجاً شافيا من الجذام حتى العصور الوسطى.

ولعل الحمامات المعطرة مستساغة لأذواقنا اليوم. ويلقي أنصار العلاج بالعطور بضع قطرات من الزيت في الماء أملا بتنقية المزاج وتفريج الكرب.

نحن اليوم نرمق الاستحمام بايجاب، لكن الناس لعصور خلت اعتبروا أن كثرة الاستحمام بالماء الحار توهن الجسد.

لكن بعض المحاذير حقائق لا ريبة فيها. فبعض الاشخاص يغمى عليهم في الماء الحار، اذ ان تحوُّل الدم الى الجلد قد يخل بانسيابه الى الدماغ. والسكتة القلبية احتمال وارد عند الاستحمام في ماء شديد السخونة، وخصوصاً اذا ما كانت حجرة الحمام عابقة بالبخار فتمنع تبخر العرق المبرِّد للجلد. وبلوغ حرارة جسم الانسان ما بين ٤٢ و٤٣ درجة مئوية قد يكون قاتلا.

وجرائم القتل تمتُّ بصلة الى الحمامات. ولعل المثال الأشهر ما وقع عام ١٧٩٣ حين طعنت شارلوت كورداي العالم والسياسي جان بول مارا الذي ذاع صيته ابان الثورة الفرنسية. وكان الاستحمام شغله الشاغل آنذاك، اذ كان مصاباً بتهيج جلدي استوجب الغمس في ماء بارد. وقد سُجي جثمانه – والحوض قربه – في مكان عام للوداع الاخير. وصوَّر الرسام الفرنسي جاك لوي دافيد ذلك الحدث في لوحته "مقتل مارا".

وعلى رغم مصير مارا تبقى الحمامات أماكن آمنة، أليفة، يتسنى للمرء فيها أن يتفكر من دون تفرق خاطر. واذ ننتقل الى سكنى بيت جديد تظل الملكية منقوصة حتى ننظف المرحاض ونطهره وندشنه على نحو لائق. ومن قبيل ذلك توقنا الشديد الى الاستحمام حالما ندخل حجرتنا في أحد الفنادق.

الحمّام، غسلاً كان أو تحللاً من التبعات، قوة يحسب لها حساب على الدوام.

ستيفن يونغ ■

أضواء من عالم الطب

جراثيم تسبب القرحة

■ تشير أدلة حديثة جمعها الاطباء الى أن جرثومة (باكتيريا) صغيرة تصيب بطانة المعدة قد تكون السبب الرئيسي للقرحة لدى أناس كثيرين. وفي بعض الحالات يؤدي تناول مضادات حيوية (انتيبيوتيك) الى الشفاء.

اكتُشفت الجرثومة "هليكوباكتر بيلوري"(*) في معظم المرضى المصابين بقرحة المعي الاثني عشري (الجزء الاول من المعي الصغير) ولدى ٧٠ في المئة من المصابين بقرحة المعدة. ولكن ليس كل من يحمل الجرثومة يصاب بالقرحة، لذا فالاطباء ليسوا على يقين من أن الجرثومة هي وحدها مسببة الداء.

وتُحدث القرحة حُفَراً صغيرة في المعدة أو الامعاء، وتراوح أعراضها الشائعة بين الوجع وعسر الهضم والنزف الخطير. وان تكن الادوية المتوافرة حالياً مثل "زانتاك" و"تاغاميت" فاعلة في ضبط القرحة، الا أنها لا تشفي المرض.

ويستخدم بعض الباحثين تركيبة من المضادات الحيوية لمعالجة المرضى الذين يعانون قرحات حادة متكررة. وقد أفيد عن شفاء ما بين ٨٠ و٩٠ في المئة من الحالات، لكن هذه المعالجة مثيرة للجدل اذ ليس فيها دواء واحد يشفي التهابات المعدة، كما أنها تسبب أعراضاً جانبية. ومهما يكن، فمن المنتظر تطوير فحوص أفضل لكشف الاصابات وتوافر عقاقير مختصة لمعالجتها على نطاق واسع في غضون سنتين أو ثلاث سنوات.

صحيفة "نيويورك تايمز"

(*) Helicobacter pylori

للخائفات من تخلخل العظام

■ لقد بات في الامكان إخطار النساء باكراً باحتمال اصابتهن بداء ترقُّق العظام (تخلخلها) من طريق أخذ مقاييس عظمة واحدة. فقد عمدت عالمة الاحصاء الأحيائي سيو هوي من "معهد ريجنستريف للعناية الصحية" في انديانابوليس، الى اجراء دراسة على مجموعة من ٥٢١ امرأة بيضاء دامت ١٥ سنة. فتبين لها أن قياس كتلة عظم الكعبرة - أحد عظمي الساعد - في بداية تلك الدراسة أنبأ بأي منهنّ قد تصاب لاحقاً بكسور في المعظم خارج العمود الفقري. فكلما كبرت الكتلة العظمية ازدادت الوقاية من كسور العظم.

ففحص الكتلة العظمية (وهو اجراء سهل وغير مؤذ) يمكن اجراؤه قرابة انقطاع الدورة الشهرية (ما يُسمّى "سن اليأس") حين تتسارع خسارة العظم. فاذا تبين أن المرأة معرَّضة للكسور، ففي وسع طبيبها وصف المعالجة الوقائية الملائمة.

صحيفة "لونغيفيتي"

عيون اصطناعية

■ مهما بلغ الشبه بين العين الاصطناعية وتلك الطبيعية، فإن محدودية حركة الاولى غالباً ما تكون مصدراً لارتباك صاحبها. لكنّ مادة جديدة تستعمل في زرع العين الاصطناعية يمكنها تأمين حركة شبه طبيعية.
والنسيج المزروع الذي طوّره الدكتور آرثر بري من مستشفى سكريبس التذكاري في لاهولا بولاية كاليفورنيا، مصنوع من مادة عظمية اصطناعية تدعى هيدروكسياباتايت*. وهو يشبه العظم الطبيعي الى حد بعيد. فيمكن تثبيت عضلات العين اليه مما يوفر حركة طبيعية أكثر للعين الاصطناعية ويسمح للأنسجة المجاورة بالنمو داخل النسيج المزروع. وتعلّق العين الاصطناعية بهذا النسيج بواسطة "وتد" ساند يسهل الحركة ويمنع الجفن السفلي من الارتخاء وهو ما يحدث عادة بعد مرور زمن على اجراء الزراعة التقليدية للعين الاصطناعية.
ولقد أجري أكثر من ١٥٠ زراعة ناجحة.

صحيفة "ميديكال تريبيون"

فحص التليّف الكيسي

■ ثمة فحص جديد لـ"الخطأ الوراثي" او التغيار الأحيائي[١] الذي يتسبب في معظم حالات التليّف الكيسي.[٢] ويَعِد هذا الفحص بكشف ٧٠ في المئة من الناس الذين يواجهون خطر انجاب أولاد يحملون المرض. والتليّف الكيسي هو المرض الوراثي القاتل الاكثر انتشاراً بين الأحداث الامريكيين.
وتقضي "الغربلة" بأخذ عيّنة دم من كل شخص وتحليل الحمض النووي الوراثي «DNA».[٣] وهي قد تبين للناس ما اذا كانوا يحملون التغيار الاحيائي قبل أن يقرروا الانجاب. وان واحداً من كل ٢٥ أمريكي أبيض يحمل نسخة من مورثة (جينة) المرض. فاذا تزوج حامل امرأة حاملا، فثمة احتمال بمعدل واحد من أربعة أن يولد طفلهما مصاباً بالمرض. ويمكن فحص الجنين أيضاً.
يتسبب التليف الكيسي في افراز مادة مخاطية كثيفة قد تسفر عن التهاب في الرئتين ومشاكل معدية ومعوّية. وفي وسع الاطباء تلطيف بعض الاعراض، ولكن لا شفاء من المرض، والمصابون قد يموتون قبل بلوغ الثلاثين.

وكالة "اسوشييتد برس"

---

(١) Mutation
(٢) Cystic fibrosis
(٣) Deoxyribonucleic Acid

السمّ يشفي الفالج

■ يبدو أن سم الافعى الماليزية القاتلة* قد يكون فاعلا في تخفيف العجز الناتج من السكتة الدماغية (الفالج).
ويحتوي سم هذه الافعى على خميرة (أنزيم) توقف تخثر الدم مما يتسبب في وفاة الضحية الملدوغة من جراء نزف داخلي. لكن جرعات صغيرة من السم ذاته قد تذيب الجلطات الدموية في دماغ المصاب بالسكتة. وهذه الجلطات تسبب ٧٥ في المئة من مجموع السكتات وقد تخلّف تلفاً في الدماغ.
والعقار الاختباري "آرفين" يستخرج باستحلاب السمّ من الأفاعي الماليزية، ويتعين اعطاؤه في غضون ساعات قليلة بعد حصول السكتة. وهو الآن في قيد التجارب السريرية.

صحيفة "اومني"

(*) Agkistrodon rhodostoma

صديقة الشمبانزي

عاشت ثلاثين سنة في عالم القرود وروت عنها قصصاً مثيرة نقضت مفاهيم علمية سادت قروناً

كان الهواء ثقيلا ورطبا ونحن نرتقي الممر الشديد الانحدار في محمية غومبي الوطنية المنتشرة على مساحة ٣٢ ألف كيلومتر مربع من الغابات الخصبة في تانزانيا على الضفة الشمالية الغربية من بحيرة تنغانيكا. وحثثت الخطى محاولة اللحاق بالقامة الرشيقة التي كانت تشق أمامي ستائر الغابة الكثيفة. كنت أسير متتبعاً خطى جين غودول التي كرست معظم حياتها لدراسة قرود الشمبانزي في هذا المنتجع الحيواني المترامي الأطراف.

ولدى وصولنا الى فسحة في الغابة توقفت جين فجأة وطلبت مني الجثوم. ثم قالت بصوت خفيض مشيرة الى أنثى شمبانزي جلست على بعد ثلاثة أمتار منا: "هذه سكوشا." وتابعت مشيرة الى

PHOTO: JACK DYKINGA / BRUCE COLEMAN INC.

قردين لحقا بالانثى: "وهاهما ويلكي وفرويد،" وهما ذكران ضخمان يزن الواحد منهما نحو ٤٦ كيلوغراماً ولكل منهما كتفان مكتنزتان ورقبة كرقاب المصارعين. وأضافت جين محذرة: "تفوق قوة الشمبانزي أربعة أضعاف قوة الرجل. وهو، إن شاء، قادر فعلا على ايذائك. لذا اخلدي ساكنة ولا تنبسي ببنت شفة ولا تحدقي اليها." وهنا مرَّ الذكران بنا سراعاً، ثم توقفا فجأة بمحاذاة شجرة وراحا يمضغان ثمار الجوز بصوت طاحن.

وما هي الا لحظات حتى مرَّ بنا ذكر آخر لامست ذراعه جين برفق وهو يمشي متثاقلا. ثم انطرح أرضاً على ظهره وغط في نوم عميق. فقالت جين مبتسمة: "إنه فرودو العجوز الطيب. لطالما عجبت لهذه الثقة. كل ما عليك هو إبداء الاحترام."

ذكاء الشمبانزي. لا أحد يعرف حيوانات الشمبانزي كما تعرفها هذه العالمة الطبيعية التي لا تعرف الكلل. وجين غودول هي اليوم في السادسة والخمسين من عمرها وما زالت تحتفظ بطلة شابة، اذ تعلو محياها ابتسامة فتية وشعرها معقوص بتسريحة "ذيل الفرس" السائدة بين الفتيات. وهي أمضت، ثلاثة عقود في حلّ وترحال في هذه البقعة النائية من افريقيا. وتبعد محمية غومبي مسافة ٢٠ كيلومتراً في القارب من شمال كيغوما، البلدة الأقرب اليها والتي يمكن بلوغها في رحلة شاقة بسيارة "جيب" تستغرق يومين أو ثلاثة أيام، أو في قطار أو عبر خط جوي غير نظامي من العاصمة التانزانية دار السلام الواقعة على بعد ١٠٠٠ كيلومتر شرقاً.

كانت جين تستيقظ مع الفجر وتتسلق الجبال الوعرة المطلة على البحيرة حيث تقبع ساعات، وأحياناً أياماً، تراقب سلوك قرود الشمبانزي وتسجل بيانات عن أنماط حياتها وطعامها وشجارها وتناسلها وعنايتها بأولادها ونفوقها. وهي نشرت، استناداً الى هذه الدراسات، ستة كتب وأعداداً وافرة من المقالات العلمية التي تناولت ما يزيد على مئة شمبانزي عبر ثلاثة أجيال. وتعتبر جهودها أطول مشروع أبحاث أُجري على حيوانات برية.

يقول ريتشارد رانغام أستاذ علم الانسان (الانثروبولوجيا) في جامعة هارفارد وأحد أبرز الخبراء في شؤون الشمبانزي: "لقد جمعت غودول في عملها بين عناية العالم ورهافة حس الباحث الانثروبولوجي." أما عالم الاحاثة (بليونتولوجيا) جاي غولد فوصف عملها بأنه واحد من أبرز المنجزات العلمية في العالم الغربي."

وتقارير غودول التي جُمعت بادئ الامر كملاحظات وصور فوتوغرافية وعززت لاحقاً بآلات تسجيل وكاميرات فيديو – ليست دراسات أكاديمية باردة بل مؤرَّخات لأفراد مميزين. فقد عمدت غودول منذ البداية الى تسمية قرود الشمبانزي التي درستها بأسماء اصدقائها وأفراد عائلتها (مثل أولي التي

ماثل فروها الأبيض شعر عمتها أولين) أو بأسماء صاغها مزاجها. وتقاريرها الدقيقة التي سردت مغامرات ونكل وولفي وساتن وسبروت فتنت القراء من علماء وعامة على السواء في أنحاء العالم. وتُرجم كتابها "في ظل الانسان"[١] الصادر عام ١٩٧١ الى ١٧ لغة. وفي يوليو (تموز) ١٩٩٠ صدر لها كتاب "عبر نافذة"[٢] الذي جاء متمماً لكتابها السابق. ولا تزال تحفتها الرائعة "شمبانزي غومبي"[٣] الصادرة عام ١٩٨٦ تحقق رواجاً منقطع النظير.

والى القصص المثيرة التي أوردتها، تمكنت غودول من نقض عدد من الخرافات عن سلوك الشمبانزي. وكانت شاهدت عام ١٩٦٣ ديفيد غرايبيرد (صاحب اللحية الرمادية) وهو أول شمبانزي عرفته جيداً وكان يمزق بأنيابه الحادة جيفة حيوان بري. وهي المرة الاولى يرى عالم قرد شمبانزي حراً في البرية يأكل لحماً. واستنتجت غودول لاحقاً ان الشمبانزي يقتل ويأكل طائفة من القرود وصغار بقر الوحش، ويصطاد ضمن مجموعة تشارك في افتراس لحوم الطرائد.

واكتشفت جين كذلك أن الشمبانزي يصنع أدوات ويستعملها، وهذه ظاهرة ذكاء لطالما قُصرت على الانسان. وقد راودتها هذه الفكرة للمرة الاولى عندما رأت ديفيد غرايبيرد يقتلع ساق عشبة طويلة ويدخلها في قرية نمل ابيض، ثم يخرجها من الثقب ويزدرد ما علق بها من حشرات. أما أكثر الادوات إثارة للفضول فهي "اسفنجة الورق" التي يصنعها الشمبانزي بمصنعه عدداً من الأوراق

(١) In the Shadow of Man
(٢) Through a Window
(٣) The Chimpanzees of Gombe



فيفي، رئيسة" غومبي، وصغير في حمى الغابة.

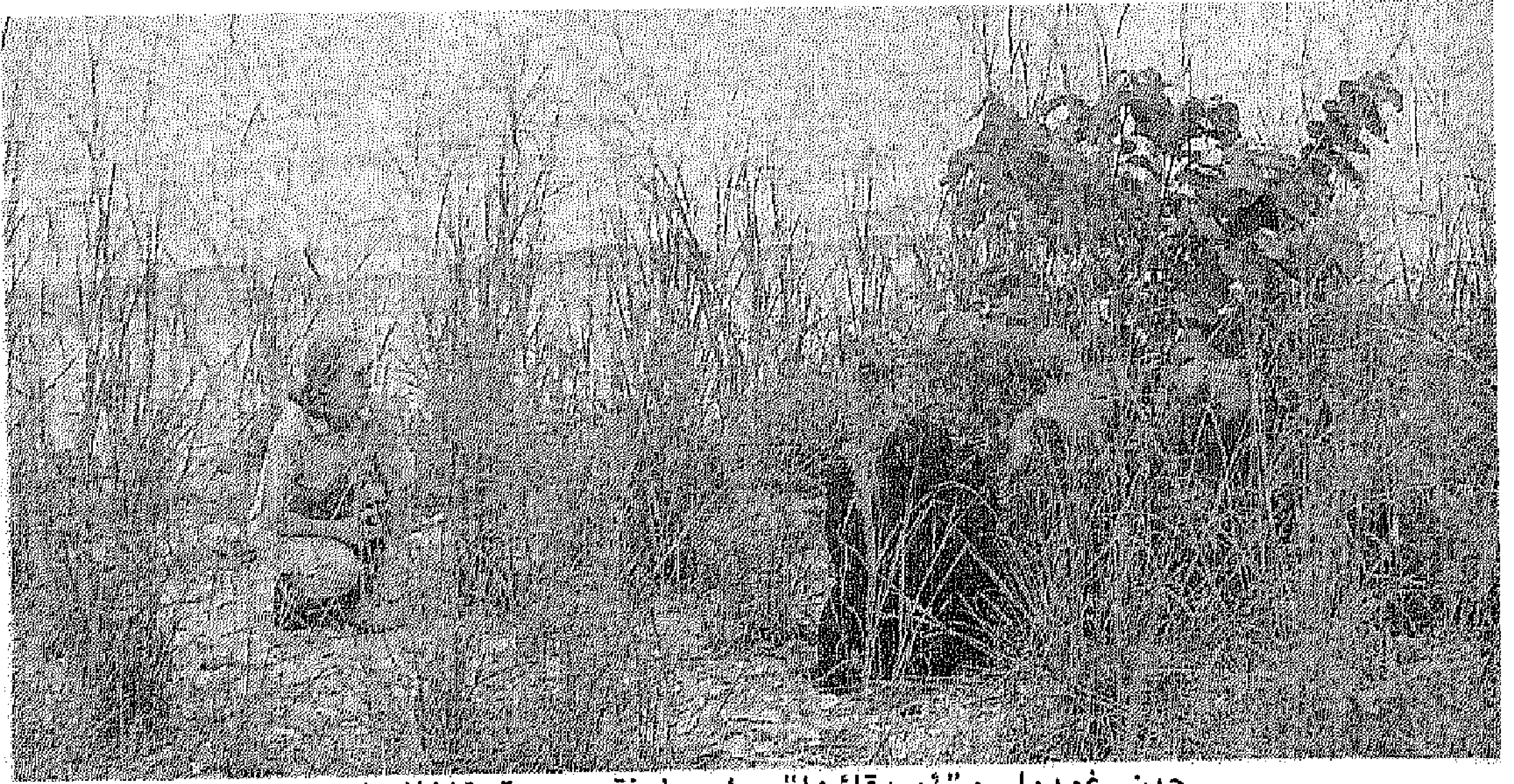
PHOTO: © GERRY ELLIS / ELLIS WILDLIFE COLLECTION



ثقة استغرق بناؤها ٣٠ سنة.

النباتية حتى تصبح كتلة لينة، ويستعملها للحصول على ماء المطر من تجاويف في الاشجار لا يستطيع الوصول اليها بفمه. وهو يدخل "الاسفنجة" في الثقب لتتشرب الماء ثم يمصّها حتى تنشف. والشمبانزي، كما تقول جين، "يستعمل تشكيلة أكبر من الاشياء لأغراض مختلفة أكثر مما يفعل أي كائن آخر، ما عدا الانسان."

ووجدت جين أنها كلما طالت مراقبتها لقرود الشمبانزي ازدادت ملاحظة لشبهها بالانسان. تقول: "يتشارك الانسان والشمبانزي في مادة وراثية تصل نسبتها الى ٩٩ في المئة تقريباً. والشمبانزي أقرب الى الانسان بيولوجياً منه الى الغوريلا." وتماثل دورة حياة الشمبانزي دورة حياة الانسان. فهو يمر بمرحلة طفولة تستغرق خمس سنوات، وبمرحلة صبا، وبمرحلة مراهقة بين التاسعة والثالثة عشرة من العمر، وبمرحلة أبوة، وبمرحلة كهولة بين السن الخامسة والثلاثين والسن الأربعين، ويبلغ متوسط عمره في البرية ٥٠ عاماً. ويعبر الشمبانزي عن مشاعر الخوف والحزن والغضب والغيرة، كما ينزع الى ارساء روابط لمدى الحياة مع أعضاء عائلته وأصدقائه. وقد راقبت جين أمهات الشمبانزي وهي تهدهد صغارها، كما رأت الاصدقاء يتعانقون ويتماسكون بالأيدي بعد فراق، والصغار يتوسلون الطعام بأيد ممدودة. وحزن الشمبانزي حقيقي كحزن الانسان. وحين تهاوت "العجوز الطيبة فرو" التي كانت أماً مثالية، ونفقت وهي تجتاز ممراً مائياً، جلس ابنها فلنت لأيام على ضفة النهر الى جانب جثتها، وانقطع عن الطعام


جين غودول و"أصدقاؤها" على ضفة بحيرة تنغانيكا.

وتمدد قانطاً في المكان لمدة شهر... حتى نفق.

سلام الأيدي. ولدت جين غودول في لندن عام ١٩٣٤. وكان والدها عضواً في "جمعية المهندسين الملكية." وحين أرسل الى فرنسا ثم الى ماليزيا ابان الحرب العالمية الثانية، انتقلت جين وشقيقتها مع أمهما فان الى منزل جدتهما في الريف. وحين كانت جين في الخامسة من عمرها اختبأت مرة لساعات في قن الدجاج لترى كيف يتم وضع البيض، واستنجدت أمها المرتاعة بالشرطة للبحث عنها. وفي سنوات لاحقة أكبت جين على قراءة كتب عن الحيوانات، وخصوصاً "مغامرات الدكتور دوليتل" للكاتب هيو لوفتنغ، وقد أحبت على الأخص أحد فصوله المتعلقة برحلة "دوليتل" الى أفريقيا لمعالجة ألوف القردة المصابة بوباء. وتتذكر جين: "كنت في الثامنة من عمري، لكني عرفت منذ تلك اللحظة أني أود العيش مع الحيوانات البرية في أفريقيا."

تركت جين المدرسة وهي في الثامنة عشرة من عمرها. وكانت تعمل في أحد الاستديوهات السينمائية في لندن حين دُعيت عام ١٩٥٦ لزيارة مزرعة في كينيا تخص عائلة احدى صديقاتها. فقبلت الدعوة على الفور.

وفي رحلة الى نيروبي (كينيا) التقت جين عالم الانسان الذائع الصيت لويس ليكي الذي كان آنذاك قيِّماً على متحف كينيا للتاريخ الطبيعي. فعرض عليها العمل سكرتيرة لديه. وفي العام ١٩٥٧ أخبرها عن طائفة من قرود الشمبانزي عند شاطىء بحيرة تنغانيكا، وسألها ان كانت على استعداد لقضاء بضعة أشهر هناك بهدف تدوين تحركاتها. فاستثارها

عرضه وعادت على الفور الى لندن حيث قضت ١٨ شهراً تدرس تقاليد الشمبانزي، فيما انصرف ليكي الى جمع الاموال اللازمة للمشروع.

وفي يونيو (حزيران) ١٩٦٠ عادت جين الى أفريقيا برفقة أمها. وفان غودول اليوم سيدة مرحة مفعمة بالحيوية في الرابعة والثمانين من عمرها، وهي تذكر ساعة وصولهما الى ما كان يسمى "محمية نهر غومبي للشمبانزي." فقد توجهتا برفقة دليلين الى منبسط قرب ضفة بحيرة تنغانيكا حيث نصبتا خيمتين. تقول فان: "لم نَرَ أي مظهر للحياة سوى بضعة سعادين كانت تلعب على الشاطىء. وكان واضحا أن الحضارة بعيدة عن ذاك المكان." وكانت جين عند بزوغ كل فجر تتسلق قمة الجبل القريب التي تعلو ٧٦٠ متراً بحثاً عن الشمبانزي، فلم تحظَ طوال أسابيع بسوى رؤية خاطفة لهذه الحيوانات عبر منظارها. وحتى بعدما بدأت تخيم ليلا في القمة كانت القرود تهرب فور رؤيتها.

وذات يوم، بعد مضي ثمانية أشهر على وصولها الى غومبي، كانت تشق طريقها وسط الأدغال، فرأت شمبانزياً أحدب قاطعاً طريقها. ثم سمعت صوت "هوو!" من ذكر كبير اعتلى غصناً قريباً. ثم سمعت جلبة الى يسارها تراءت بعدها عينان سوداوان تلتمعان أمامها. ومن الخلف تردد صوت "هوو!" فنظرت جين حولها لتجد نفسها محاصرة من كل جهة.

وهنا أطلق الشمبانزي الذي في الشجرة صوتاً كالرعد تقشعر له الابدان: "وراااه!" وأخذ يهز الغصن الذي يعتليه بعنف. فرددت القرود الاخرى صيحته المريعة. وما هي الا لحظات حتى انطلق من الأجمة شمبانزي آخر انتصب شعره غضباً، وهجم في اتجاه جين، لكنه في اللحظة الاخيرة حوَّل مساره نحو الغابة، وانطلق الآخرون في إثره.

تقول جين: "حين نهضت لم أسمع في الغابة صوتاً سوى خفقان قلبي." بيد أن ارتياعها تحول شعوراً بالابتهاج اذ أحست أن خوف الشمبانزي منها تضاءل. أما الفرحة الحقيقية فحصلت عندما اقترب من خيمتها ذات يوم ذكر وسيم له لحية رمادية ونشل بعض ثمار الموز. ولم تمض بضعة أيام حتى عاد مع صديقين، مما أتاح لجين مراقبة الشمبانزي من مسافة قريبة.

ولم يكن هذا سوى ديفيد غرايبيرد الذي كان أول شمبانزي يسمح لجين بمقاربته. وذات يوم فيما كانت تراقبه عند جدول، تناولت جوزة يانعة وقدمتها اليه على راحة يدها. فنظر القرد الى الثمرة، ثم الى جين، ثم تقدم ووضع يده على يدها وشدَّ عليها برفق لبضع ثوان. تقول جين: "لم أكن في حاجة الى تفسير علمي لكي أفهم إشارة الطمأنة تلك. وهي مكافأة فاقت أقصى ما تمنيته."

أصدقاء في خطر. كان لأبحاث جين التي نقلها ليكي الى الاوساط العلمية، وقع عظيم أتاح لها العودة الى بريطانيا

في مطلع العام ١٩٦٢ حيث أعفيت من مرحلة الدراسة الجامعية وبدأت تحضر لنيل درجة دكتوراه في علم السلوك الحيواني (ايثولوجيا) في جامعة كامبردج. وعادت الى غومبي بعد ١٨ شهراً. وفي العام ١٩٦٤ أسست "مركز غومبي ستريم للأبحاث." فوفد عشرات الطلاب من أوروبا وأمريكا للعمل معها. الا أن هذا المشروع توقف فجأة عندما أجتازت مجموعة من المسلحين القادمين من زائير بحيرة تنغانيكا ودخلت المخيم بحثاً عن جين. وعندما رفض الحارس ارشادهم الى مكانها، على رغم تهديده بالسلاح، عمد المسلحون الى أسر ثلاثة أمريكيين وباحث هولندي واحتجزوهم مدة ثلاثة أشهر في زائير قبل إطلاقهم بفدية.

أوقفت هذه الصدمة وفود الباحثين الأجانب الى غومبي، الا أنها لم تثنِ عزيمة جين التي تولت تدريب عدد من المساعدين الميدانيين التانزانيين، وبات لديها اليوم فريق من ٢٢ مساعداً متفانياً. تقول عنهم انهم يحبون حيوانات الشمبانزي "كما أحبها أنا. ويتحدثون عنها في قراهم ويأتون بعائلاتهم لمشاهدتها."

وفي العام ١٩٦٤ تزوجت جين مصور البراري هوغو فان لافيك الهولندي المولد. وفي العام ١٩٦٧ رزقا ابنا سمياه غروب، ترعرع في غومبي ويجري اليوم أبحاثاً على الحياة البرية في أفريقيا الشرقية. لكن زواج جين الاول انتهى بالطلاق. فتزوجت عام ١٩٧٥ دريك بريسون النائب في البرلمان التانزاني ومدير المتنزهات الوطنية في البلاد. لكنه ما لبث أن توفي في العام ١٩٨٥ بداء السرطان.

واليوم تقضي جين – أو "ماما بريسون" كما يدعوها المسؤولون المحليون – ردحا من كل سنة في منزلها المتاخم للبحر في دار السلام حيث ترد على الرسائل الكثيرة التي تتلقاها وتكتب التقارير والكتب متيحة لمناصريها متابعة أبحاثها. وهي تمضي نحو ثمانية أشهر من كل سنة في السفر عبر أمريكا وأوروبا، حيث تُلقي محاضرات في الجامعات والمتاحف وجمعيات علم الحيوان متوخية جمع المساعدات المالية لمتابعة أعمال التدريب في غومبي. وهي، الى ذلك، لا تألو جهداً في شن حملات للرفق بقرود الشمبانزي والتنبيه الى الاخطار التي تتهدد "أصدقاءها."

ولا شك في أن عالم الشمبانزي يتعرض لضغوط متنامية، فعدد هذه الحيوانات الذي فاق المليون في نهاية القرن التاسع عشر، تناقص على نحو مأسوي بحيث لم يبق منها سوى ١٧٥ الفاً متناثرة في ٢١ بلداً عبر افريقيا الإستوائية. فالمزارع وشركات التحطيب لا تنفك تدمر مواطنها، كما أنها تُصاد في بعض البلدان كمصدر للطعام. أما ألدّ أعدائها فهم اللصوص الذين يسرقون صغارها لبيعها الى السيركات والمرابع الليلية وحدائق الحيوان ومراكز الابحاث الطبية. تقول جين: "قد ينفق أكثر من

عشرين من صغار الشمبانزي خلال عملية الأسر والنقل، في مقابل كل ناج." وبفضل مساعي جين أدرج الشمبانزي على لائحة "الحيوانات المعرضة للانقراض" لدى "مصلحة الاسماك والحياة البرية" في الولايات المتحدة، فباتت هذه الحيوانات تحظى بمزيد من الحماية بعدما كانت أدرجت على لائحة الحيوانات التي يحميها "مؤتمر التجارة الدولية الخاص بالحيوانات المعرضة للانقراض." وتعتقد جين أن "هذه الاجراءات لن توقف الاتجار بالشمبانزي، لكنها ستبطيء هذه النشاطات حتماً."

وتكافح جين أيضاً من اجل تحسين ظروف عيش الشمبانزي في حدائق الحيوان ومختبرات الابحاث. وأسلوبها فاعل وان يكن هادئا. فهي تحدثت عن ذكاء الشمبانزي في العام ١٩٨٩ أمام طائفة من علماء الطب الاحيائي في واشنطن. وفي إثر ذلك اللقاء أعلن غيزا تيلكي الخبير الأمريكي بقرود الشمبانزي: "لقد أدرك كثيرون، للمرة الاولى، أن هذه الحيوانات مختلفة عن فئران المختبر." ولدى انتهاء جين من محاضرتها تلك وقف الحضور وصفقوا لدقيقتين والدموع تترقرق في مآقي كثيرين منهم.

واليوم توزع جين نشاطاتها بحيث لا تعود الى غومبي الا ثلاث مرات في السنة. لكنها تعتز بهذه الزيارات وتقول: "أحب أن أقضي الوقت وحيدة مع حيوانات الشمبانزي. فهي تنسيني مكدرات الحياة وتمنحني انتعاشاً روحيا." وعلى رغم أن تجوال جين الكثيف حول العالم كفيل بارهاق كثيرين، فليس هناك ما يشير الى رغبتها في الاعتزال بعدما احتفلت هذه السنة بالذكرى الثلاثين لوصولها الى غومبي. تقول: "لقد منحتني حيوانات الشمبانزي كثيراً من الفرح ونفاذ البصيرة، ومن واجبي أن ألفت أنظار الآخرين الى روعتها وأن أساعد في انقاذها لتبقى للأجيال القادمة."

ديبرا كاولي ■

موظف مثالي

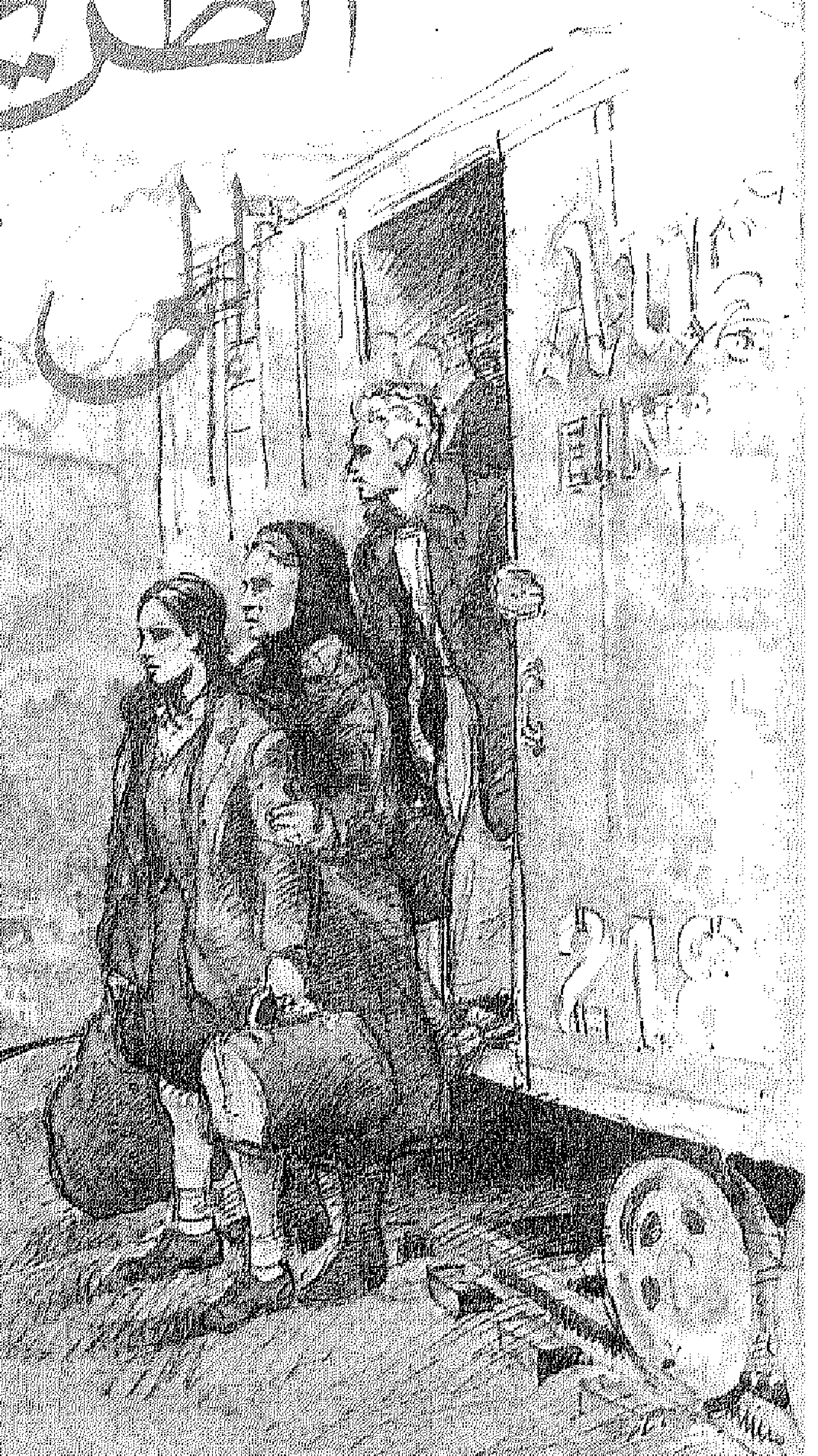
أوكل الي في مختبر الالكترونيات تصميم دارة كهربائية تضيء مصابيح معينة بترتيب مواضع أربعة مفاتيح. ولدى انتهائي من العمل - كما اعتقدت - أشرت الى معلمي الذي راح يتفحص التركيبات الى أن عثر على واحدة لا تعمل كما يجب.

فعدت وتفحّصت الأسلاك ووجدت أحدها فالتاً فوصّلته. ثم عاد المعلم وتفحص التركيبات وقال لي: "أنت الآن مؤهل للتخرج وتسلم وظيفة حكومية، فباصلاحك المشكلة الاولى أوجدت مشكلتين غيرها."

د.ف.

كتاب الشهر

الطريق إلى الحرّية





ملخص من كتاب "رحلة نينا"
بقلم نينا ماركوفنا

الطريق إلى الحريّة

"رحت أعدو في محاذاة السكة الحديد وأنا أتفحص وجوه ركاب المقطورة الاخيرة وأنادي أبي. ثم انتقلت الى المقطورة التالية مرددة اسمه ورقمه فلم يجبني أحد. فرحت أصرخ بصوت عال: أبي! الرقم ٤١٠! هل هو بينكم؟

"وسألت ركاب المقطورة الثالثة، فالرابعة، فلم أعثر على أبي. واذا بالسائق يرسل اشارة الى المهندس فيهتز القطار بعنف. وعمد الحراس النازيون الى انتزاع الاولاد الملتصقين بأهلهم في عناق أخير.

"كررت ندائي: بابا! بابا! واذ تحرك القطار شعرت كأني أركض الى الوراء. وصرت الى جانب الحافلة الخامسة فالسادسة.

"واذا بيد تحاول التلويح. ثم ظهر وجه قلق. انه وجه أبي!

"صرخت متوسلة: مهلا! أبي! مهلا! لا تذهب.

"لكن القطار لم يتوقف."

كان افتراق نينا ماركوفنا عن والدها واحداً من الوداعات الفاجعة الكثيرة. وها هي تروي في مذكراتها معاناة أهلها وشعبها خلال فترة مروّعة من التاريخ. وقصتها هي قصة الشعب الروسي بأسره الذي وقع بين فكّي كماشة في الصراع الدائر بين جبارين هائلين هما أدولف هتلر وجوزف ستالين. انها ملحمة عذاب ومعاناة وخسارة وضياع، لكنها أيضاً قصة محبة وعطف وإلهام وارادة بقاء قوية في وجه الموت.

كان الليل هادئاً. وتناهى الي هدير السيارة كأنه هزيم رعد هادر. فلا أحد يقتني سيارة في بلدتنا دولوفو الباعدة ١٠٠ كيلومتر عن موسكو. فلا شك اذاً في أنها "غراب أسود." وهذه سيارة طويلة رسمية كانت تستخدم في نقل المعتقلين الى أقبية الشرطة السرية (NKVD) . كان ذلك في منتصف ليل ٩ مارس (آذار) ١٩٣٨.

وهدرت السيارة وتوقفت خارج منزلنا.

قفز والدي من الفراش وشرع في ارتداء ملابسه التي كان هيأها على كرسي قريب. انها أدفأ ثياب لديه: سترة مبطنة، سروالان رماديان، قبعة فرو، قفازات، ولفاع صوفيّ. هي ثياب "الحالات الطارئة."

وقفت وأخي سلافا نراقب أبي وهو يرتدي ثيابه. كنا نرتجف، وبدا وجه أمي مغضناً وقد حز فيه الالم.

ثم أخذت أمي ترنِّم بنغم رتيب شجيّ كما تفعل النساء الروسيات حين يواجهن مصيبة شديدة: "يا زوجي العزيز مارك، حاول أن تنتبه لنفسك وترجع الينا حياً. يا عزيزي مارك."

ارتدى أبي ثيابه بسرعة. وبدا أنفه بارزاً دقيقاً شاحباً. وتغير لون عينيه اللتين كانتا في دكنة الكرز الناضج الى سواد قاتم قاس فيه كل معاني الكآبة الصامتة.

وسمعنا خطى الجزمات الجلدية الثقيلة وهي تغوص في الثلج. واقتربت الخطى من مدخل دارنا، وعلا صوت: "افتحوا! الشرطة!" وارتجّ الباب تحت وابل اللكمات وركل الجزمات.

هرع أبي الى أمي وضمّها اليه بقوة وأخذ يردد كأنه يحاول اقناع نفسه: "سأبقى حياً، سأبقى حياً، ولن أستسلم لليأس." واضاف محاولا أن يبتسم: "وانت يا ناتاشا، لا تستسلمي، من أجل الاولاد."

تكرر القرع العنيف. فضمّني أبي أنا وسلافا مودعاً، ثم رفع مزلاج الباب وفي احدى يديه رزمة وفي الاخرى جواز سفره.

اندفع شرطيان الى الداخل. فأزاحا جواز السفر الذي تعيّن على كل مواطن روسي تسليمه الى السلطات لدى القبض عليه، وصاحا غاضبين: "اللعنة عليك وعلى جواز سفرك. نريد مطرقة لاصلاح السيارة."

تسمّر أبي في مكانه عاجزاً عن الفهم وكأنه يسمع لغة أجنبية لا يفقهها. فسدد أحد الرجلين لكمة الى فكه مزمجرا: "مطرقة!"

عندئذ فقط أدرك أبي أن هذين الرجلين لم يأتيا للقبض عليه. فأسرع الى زاوية في البيت ورجع بمطرقة. فخرج الشرطيان الى سيارتهما من دون أن ينبسا بكلمة.

تشبثنا نحن الاربعة بعضنا ببعض عند الباب المفتوح غير مصدقين أن في إمكاننا

غلقه. وبعد طرقات صامة وشتائم كثيرة بدأ المحرك بالدوران ثم انطلق "الغراب الاسود" المرعب هادراً، وتوارى. عندئذ أجهشنا بالبكاء.

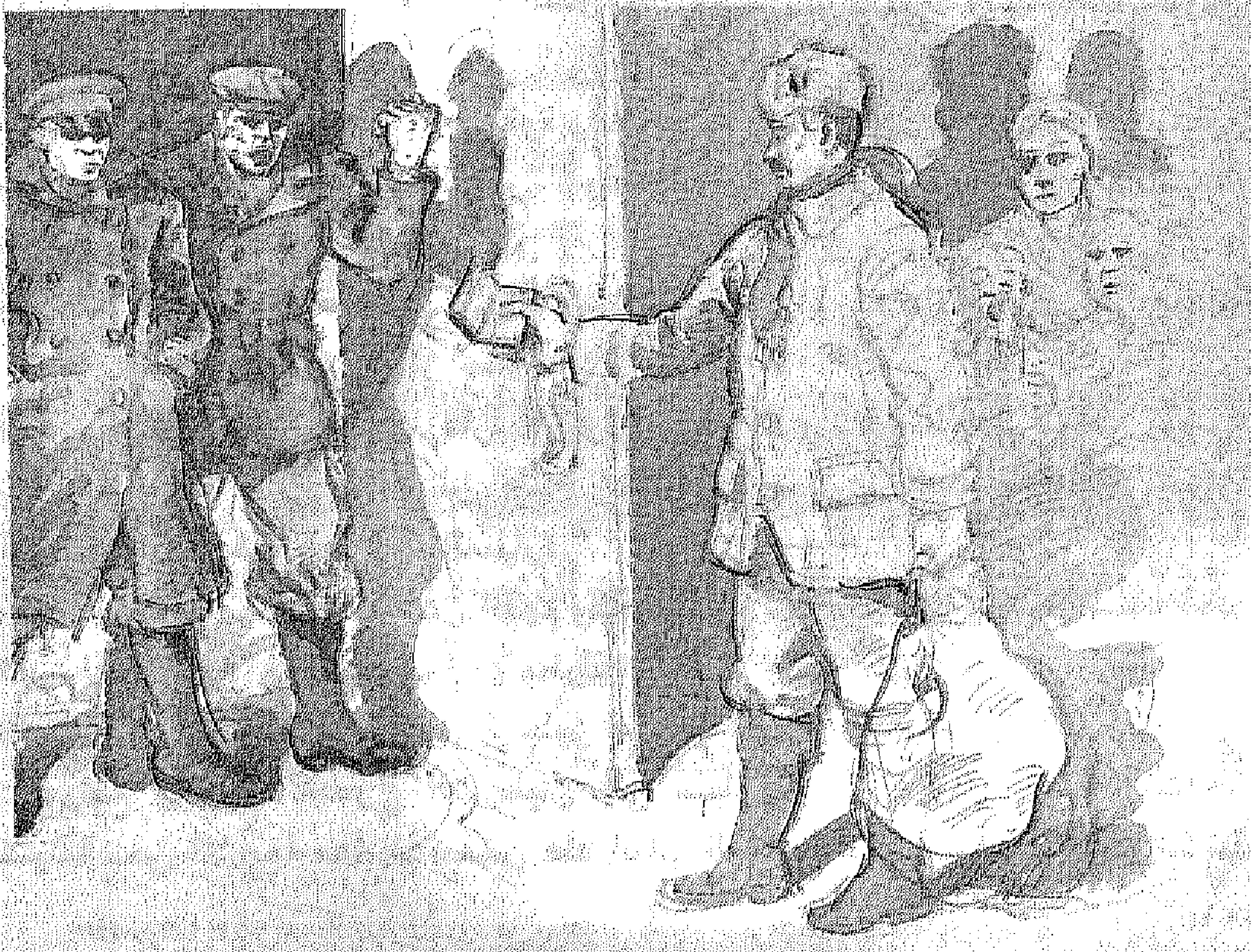
نمنا قليلا وافقنا شاحبين مرتعبين لنواجه يوماً جديداً. كانت موجة من الرعب تجتاح البلاد. وإن تجاوزتنا تلك الليلة فقد كنا نعلم أنها ستدق بابنا ثانية.

الهرب الى الجنوب

في الليلة ذاتها اعتقلت الشرطة السرية عمي فانيا الذي كان مريضاً بداء السل. ثم ورد أمر رسمي بمنعه من استقبال زائرين أو تسلم رسائل أو رزم. وليلة بعد ليلة كنا نشاهد "الغراب الاسود" تدهم منازل مواطنين آخرين في القرية. وفي ٢٧ مارس (آذار) توقفت السيارة امام البيوت المحيطة بنا يمنة ويسرة. وكان جميع الذين اعتقلوا غير منتسبين الى الحزب، مثل أبي وأمي.

ذات مساء في أوائل ابريل (نيسان) قالت أمي، ونحن جالسون الى مائدة العشاء: "اليوم فرغ كرسي آخر في مكتبي. أينما تطلعت فاني أرى الكراسي تفرغ الواحد بعد الآخر، فتتملكني رغبة ملحة في النزوح الى مكان ما. أي مكان يكون بعيداً عن قبضتهم!"

في تلك اللحظة قرر والداي أن نحاول الهرب. فرأينا أن نذهب الى فيودوسيا في



شبه جزيرة القرم على البحر الاسود حيث يساعدنا بعض الاصدقاء القدامى على السكن والاستقرار بعيدين عن موسكو. لكن الانتقال كان يتطلب جهوداً جبارة، اذ لا يحق للمواطن السوفييتي تغيير مكان اقامته من دون اذن. وقرر أبي أن يقصد الدكتور مويزي غريغوريفتش عله يعطيه شهادة طبية تبرر انتقالنا الى الجنوب.

كان أبي أملنا الوحيد. فهو مديد القامة يبلغ طوله ١٩٠ سنتيمتراً، لكن وزنه لم يتجاوز ٧٠ كيلوغراماً. ولما كان شقيقه مصاباً بداء السلّ، فليس بعيداً أن يصاب هو أيضاً بالمرض القاتل، وكان كثيرون يعتقدون أن هذا المرض متأصل في بعض العائلات وينتقل بالوراثة.

طلب والدي اجازة يوم من عمله لكي يذهب الى المستوصف المحلي ويخضع لفحص طبي. ورافقته علّني أساعده بطريقة ما.

انتظرنا ثلاث ساعات الى أن دعي والدي الى الفحص. واستقبلنا الطبيب الذي عرف عائلتنا لسنوات، وأغلق الباب وراءه بعدما تفحص الرواق. قال: "بلغني الخبر عن أخيك. يا للعار! ألا يسمحون لرجل مريض بأن يموت في بيته؟"

قال والدي بصوت متهدج وهو يكاد يختنق: "لعلهم كانوا يقصدون اعتقالي أنا، فخلطوا بين الاسمين. هذه الفكرة عذاب دائم لي. لذلك قصدتك. أخذوا فانيا أولاً، فهل يأتي دوري بعده؟ أنا في حاجة الى شهادة طبية منك ليُسمح لي بالانتقال الى الجنوب... للهرب." واذا بصوت دلو يسقط في الغرفة المجاورة.

وضع الطبيب اصبعه على شفتيه وهو يشير الى الجدار الرقيق الفاصل بين الغرفتين.

وساعد والدي على نزع قميصه، ثم راح يدق على ظهره العاري وعلى صدره مصغياً الى نبض قلبه.

قال الطبيب: "إنك ناحل جداً يا مارك. ولديك أسباب للقلق ما دام السل متأصلاً في سلالتكم." وكان يرفع صوته كمن يخاطب شخصاً آخر بعيداً عنه.

وتابع: "إنك على حق يا مارك. فالمناخ الدافىء سيكون سبيلاً الى خلاصك. سنفتقدك، لكننا نحتاج الى مواطنين أصحاء منتجين. أنا أرى أن مناخ القرم سيفيدك. وأنت مؤهل للحصول على شهادتي. إذهب الى الجنوب." وأضاف هامساً: "وابقَ هناك يا مارك."

غادرنا دولوفو الباردة الرمادية. وبعد يومين طالعتنا معالم القرم بمناخه المعتدل اللطيف. البحر الاسود زاخر بالسمك، والشواطىء منثورة بالحصى اللامع والصدف.

هتفت أمي: "فيودوسيا، نحن هنا! أسرع يا مارك. هيا يا أولاد. تعرفون ما عليكم أن تحملوه. سأجلب الساموفار. احملوا فرش الريش."

وما هي الا لحظات حتى ارتجّ القطار وتوقف. فقفزت وسلافا الى رصيف المحطة ورحنا نلتقط الامتعة الصغيرة التي راحت أمي ترميها لنا من النافذة. وكان رجال الميليشيا يطردون القادمين الجدد عن الرصيف، فصاح احدهم بأبي: "أنقل أمتعتك البالية من هنا! لا تكوّموا الاشياء في المحطة. تحرّكوا". وسدد جزمته الى السامورفار وهو غلاية شاي، لكن أمي التقطته ثم حملنا رزمنا وأمتعتنا وخرجنا من المحطة.

كانت تحفّ بالشارع الرئيسي في فيودوسيا أشجار حور تعود الى مئة سنة وتظلل مقاعد خشبية. وحين جلسنا على أحدها رفع أبي رأسه نحو السماء الزرقاء الصافية وقال مغتبطا: "أقدر أن أبقى هنا الى الأبد." كذلك فكرت أنا، وتمنيت لو أن لمسة سحرية تحول ذلك المقعد حجرة لنا نحن الاربعة.

كلام الغجرية

قدمت الينا امرأة متوسطة العمر حفنة من بزور دوّار الشمس. وفيما كنا نتذوقها اقتربت منا غجرية عجوز سمراء ترتدي طبقات من التنانير (الجونلات) الزاهية الالوان وصفوفا من عقود الخرز الزجاجي، وفي اذنيها قرطان طويلان متدليان. فوقفت أمامنا وأمسكت بيد أمي.

وبعد نظرة سريعة الى راحتها أعلنت بصوت سلطوي واثق: "سيدتي، أتعتقدين أنك ستكونين سعيدة هنا؟"

فهزت أمي رأسها ايجابا. فتابعت الغجرية: "كلا، يا سيدتي. لا سعادة. مشاكل كثيرة. ستفقدين زوجك."

عبس أبي في وجه الغجرية بعدما كان مسترخيا، وسحب يد أمي من قبضتها. لكنه لم يستطع محو المخاوف التي أثارتها كلمات الغجرية في صدر أمي. ومعروف عن الشعب الروسي، منذ القدم، أنه ينظر برهبة واحترام الى فن العرافة.

حدّقت العجوز الشمطاء الى عيني أمي بنظرة ثاقبة وتابعت: "مصائب كثيرة لكليكما." ثم تطلعت الى سلافا واليّ، وتابعت: "مصائب لكم جميعا."

عندئذ هب أبي عن المقعد وقال بصوت مهتاج غاضب: "كفي عن نعيقك وهذرك الفارغ يا عجوز الشؤم. ألا يكفيك أنك ارعبت زوجتي، والآن تخيفين ولديّ؟ أغربي عنا!"

وقالت لها أمي بصوت هادىء: "كفى، كفى."

واستدارت الى والدي وهمست: "هنا ايضا اعتقالات."

سمعت الغجرية تلك الكلمات المهموسة فأقحمت نفسها على الفور قائلة: "لا اعتقالات... ولكن مثلنا نحن معشر الغجر... تسافرون وتنتقلون من هنا الى هناك...

تركضون، تركضون. ولن تعرفوا عنه شيئا." ودلّت باصبعها الاسمر على أبي.
وضع أبي روبلا في يد العجوز وصَرَفها راكضاً وراءها على رغم احتجاج امي: "اذهبي أيتها المرأة الكاذبة. لم تخرج من فمك كلمة صالحة واحدة."
أخذت الغجرية الروبل وراحت تغني والتحدي في نبراتها: "سترون أن كلامي ليس أكاذيب."

رائحة الدم

سكنّا مع أصدقاء لنا في شارع كارل ماركس، الرقم ٧، وتسجلنا أنا وسلافا في المدرسة المحلية. هناك التقيت مايا ذات الشعر الرمادي. كانت رفيقتي في الصف، وقد أجلستنا المعلمة الى طاولة واحدة. كانت مايا تقيم مع والدتها وجدّتها بعد طلاق والديها. وما لبثنا أن أصبحنا صديقتين حميمتين.

وأصبحت أنا وسلافا ومايا "روّاداً" أي أعضاء في تنظيم الشبيبة، وهذا واجب إلزامي، وتلفّعنا بمناديل قطنية حمراء دمغتنا كمستكشفي المستقبل. كنا نمضي ساعات بعد انتهاء الدروس في اجتماعات سياسية نردد: "لتسقط الفردية! تحيا الجماعة!" وفي المدرسة عُرض علينا "رائد" حي الضمير مثلا أعلى نقتدي به. واسمه بافليك موروزوف. انه "بطل" لكل الاولاد السوفييت. وكانت قصته مألوفة لدينا:

إبان المجاعة التي اجتاحت البلاد بعد اقرار النظام الجماعي* الزراعي في أوائل الثلاثينات، رفض كثيرون من المزارعين التخلي عن أملاكهم. وكان والد بافليك أحدهم، فبدلا من تسليم كل شيء الى السلطات الحكومية راح يخبىء البطاطا لكي يطعم زوجته الحامل وابنه. عرف بافليك بأمر أبيه فذهب الى ممثلي الحزب ووشى به ودلّهم على مخبأ البطاطا.

أعدم الوالد رمياً بالرصاص. ورأى المسؤولون في الحزب أن بافليك "بطل"، فيما اعتبره سكان القرى خائناً. وفي احدى الأمسيات هاجمه القرويون الناقمون وقتلوه ضرباً بالهراوات.

صار بافليك شهيد الدولة السوفييتية. فسميت مدارس وشوارع وقرى باسمه وأقيم له نصب في موسكو.

وعلى رغم محاولاتي اليائسة عجزت عن ايجاد مبرر لوشاية بافليك بأبيه. ولكن حين كنا في دولوفو كدت أحذو حذوه.

في ذلك الوقت كان حكامنا يعلنون أنهم ضد هتلر. وذات يوم كانت معلمتنا تدرِّسنا – نحن الصغار الاربعين – عن وحشية الفوهرر الألماني.

(*) Collectivization

قالت معلمتنا: "يا أولاد، الشعب الالماني جائع، حتى انه لا يتذكر طعم السكر! ألمانيا النازية سيئة كروسيا القديمة حين كان القياصرة وأشرافهم الطفيليون وحدهم قادرين على الحصول على السكر!"

جلست في البيت ذلك المساء أمصّ بهدوء قطعة سكر. فتذكرت الدرس وهتفت لأمي: "ماما! من الآن فصاعداً سأعطيك قسماً من حصتي من السكر."

غلب التأثر على والدتي لهذه البادرة الرقيقة، فالسكر غالي الثمن. وسألتني: "ولماذا تفعلين ذلك يا نينا؟"

فرويت لها بأمانة ما قالته المعلمة في الصف.

ضحكت والدتي وهزت رأسها وهي تنظف المائدة، وقالت: "سكر؟ هذا هراء! كان هناك سكر كثير. وكنت أمنع نفسي عنه حفاظاً على رشاقتي. في الماضي كان السكر أرخص كثيراً. يا لاولئك المعلمات!"

كانت تلك أحجية صعُب عليّ حلّها وأنا في التاسعة من عمري، خصوصاً لأني كنت أثق بوالديَّ وبمعلمتي. ورحت أتقلّب في فراشي وقد قضّني هذا التباين الفاضح في أقوالهم، وفي الصباح قررت أن أصارح معلمتي بغية توضيح سوء الفهم الذي شوش ذهني. فرفعت يدي في الصف وقلت بشجاعة: "تذكرين ما قلته لنا البارحة عن السكر في روسيا القديمة؟ لكن أمي ضحكت حين أخبرتها ذاك الكلام."

سألتني المعلمة: "لماذا؟"

فضحكت مثل أمي وتابعت بجرأة: "قالت أمي ان السكر كان متوافراً بكميات كبيرة آنذاك، وانها خشيت أن تأكل منه فوق حاجتها وتصبح بدينة."

لم تبادلني المعلمة الضحك. لكنها انصرفت لبضع دقائق بعدما أمرتنا بالصمت في غيابها. كانت تلك الدقائق حاسمة تقرر فيها مصير أمي. فحين عادت معلمتنا الى الصف كان أحد رجال الشرطة السرية يدخل مكتب أمي في المعمل ويأمرها بهدوء: "نا دوپروس!" (أي "الى التحقيق.") كلمتان تكفيان لتصبب العرق البارد من كل مواطن سوفييتي. "نا دوپروس" قد تكون الخطوة الاولى في مسيرة الموت الى مخيمات العمل الشاق.

لم تعد والدتي من عملها في الخامسة عصراً، بل زارتنا احدى زميلاتها وأخبرت والدي باختفائها. ومرت الساعات ونحن ننتظر مشلولين. وعادت في ساعة متقدمة من الليل بعدما أويت أنا وسلافا الى فراشنا. وسمعناها تتكلم مع والدي بهدوء وتقول: "الأطفال الأبرياء... كلهم ثقة..."

ثم هرعت الي وأخذت وجهي بين يديها وقبلتني بوقار، فلاحظت في وجهها شيئاً غير مألوف. كان فمها متورماً تنبعث منه رائحة قوية، رائحة دم. أبعدت وجهها عني كي اراه

بوضوح. ويا للهول! في الصباح الفائت ابتسمت لي أمي وبانت أسنانها بيضاء لماعة، وها أنذا أرى في مكانها فجوة فاغرة وسوادا، همست: "ماما، أين سِنَّاكِ، ولماذا ينزف فمك؟"

حاولت أمي أن تتمالك نفسها فقالت: "لا شيء يا نانا." ثم أضافت بانفعال: "دوبروس! لا تقولي شيئا لمعلماتك يا صغيرتي. لا شيء أبدا!"

ومنذ ذلك اليوم لم تعد لنا أنا وسلافا ثقة بالمعلمات. وأصبحنا متحفظين بدافع الغريزة حفاظاً على حياتنا. لم نغضب على معلمتنا، لان واجبها الاعلى لم يكن تعليمنا القراءة والكتابة فحسب بل كذلك طبعنا جميعا بطابع بافليك موروزوف.

الذهاب الى الحرب

عقب توقيع "معاهدة الصداقة" التاريخية مع الالمان النازيين في أغسطس (آب) ١٩٣٩، بدأت الصحف وصالات السينما السوفييتية تعرض صور الفوهرر "العطوف" وهو يقبل الأولاد الالمان الفاتنين. وظهرت على الفور كتب مدرسية جديدة بدلت الصور البشعة لهتلر والنازية. وتعلمنا التحية النازية. وأعلنت معلمتنا أنها "التحية التي كان أعضاء مجلس الشيوخ يؤدونها في روما القديمة."

وأتاحت معاهدة الصداقة للجيش الاحمر دخول بولونيا الشرقية وفنلندا التي لاقى فيها مقاومة شرسة فانسحب منها مكتفيا بانتصارات هزيلة. ثم دخل ليتوانيا ولاتفيا واستونيا وأخضعها، ونشر رايته فوق بيسارابيا. وحرصت الحكومة على اتحافنا المتواصل بحسنات "اتحاد الشيوعية والنازية" وكيف سيغير العالم الى الافضل.

لكن المعاهدة عنت لنا نقصا مخيفا في المواد الغذائية حاولنا سدّه بالبحث عما نقتات به. ومرّ صيف ١٩٤٠ بهدوء، وتابعت مايا دروس البيانو بحماسة وقُبلت في المعهد الموسيقي المحلي. وبدأت أنا أتقدم في رقص الباليه، وكانت الموسيقى لكلتينا سبيلا الى نسيان الذات والهرب من الواقع.

لم يوهن شيء حماستي لتعلم الرقص، وان كنت أعلم أنني قد لا أدخل مدرسة باليه مرموقة، اذ أُبلغت أن جميع المدارس ترفض قبول فتيات يزيد طولهن على ١٦٥ سنتيمتراً، وكان طولي ١٧٠ سنتيمتراً وأنا في الثالثة عشرة بعد وما زلت أنمو.

في ٢١ يونيو (حزيران) ١٩٤١ رافقني والداي وأخي الى المحطة لركوب القطار الى بلدة مجاورة حيث تعرض مسرحية راقصة. وكنت عُيِّنت للاشتراك في "أولمبياد باليه القرم." وفيما نحن جالسون على المقعد طالعتنا الغجرية ذاتها بوجهها الاسمر البرقوقي الداكن، وكانت عيناها شاردتين تبحثان عن زبائن جدد.

دلّت عليها أمي وضحكت كأنها تتحداها هي وتكهناتها. ونادتها: "أيتها الغجرية! لم

يتحقق شيء مما ذكرته قبل ثلاث سنوات. الحمد لله!"

مرت بنا الغجرية وتمتمت من دون أن تتوقف: "بحر من الدموع، محيط من الدموع سيأتي علينا جميعا."

صباح اليوم التالي أثناء التمرين الاستعدادي للباليه دوى صوت رجل مذعور عبر مكبِّر الصوت معلنا: "هوجمت بلادنا. هاجمها الالمان."

بدأ غزو هتلر للاتحاد السوفييتي تحت شعار "عملية برباروسا" فألغي الاولمبياد وأُمرنا بالعودة الى منازلنا. وحين وصلت الى فيودوسيا كان سلافا ينتظرني في المحطة، وأخبرني: "أن أمي قلقة جداً على أبي. سيذهب الى الحرب... وقد يقتل، ولا يعود."

سألته: "وكيف يأخذون أبي الى الحرب؟ انه في الثامنة والاربعين!"

قال سلافا: "وسأبلغ أنا السادسة عشرة في السنة المقبلة، واذا طالت الحرب فسأدعى أنا أيضا الى الخدمة العسكرية."

بدأ معنى كلمة "الحرب" ينطبع ببطء في عقلي الخالي من الهموم والمشغول بالمضض الشخصي الذي سببه الغاء أولمبياد الباليه.

وفي اليوم التالي لاختراق الالمان الحدود السوفييتية غطّت جدران فيودوسيا ملصقات تعلن مصادرة جميع أجهزة الارسال اللاسلكية. وبعد ثلاثة أيام أعلنت مصادرة السيوف وبنادق الصيد والآلات الكاتبة والمناظير والدراجات الهوائية.

وتعاقبت الاحداث على غير ما اشتهى الكرملين، اذ لم تنقضِ ستة أشهر على بداية الحرب حتى كان أكثر من ثلاثة ملايين جندي من الجيش الاحمر استسلموا للالمان. وتوالى الاستسلام حشوداً بعد حشود من الجنود مما دفع الكرملين الساخط الى أخذ تدابير صارمة تمنح المفوَّضين الحزبيين ورجال الشرطة السرية سلطة مطلقة لاعدام أي جندي يقبض عليه من دون سلاحه، على أنه جندي فار. وشمل القرار أفراد عائلات الجنود "غير الوطنيين" الذين أجيزت معاقبتهم هم أيضاً.

في ١٨ أغسطس (آب) بدأت معاناة عائلتنا الحرب، اذ بُلّغ والدي أمراً بالالتحاق بالجيش. كان جواز سفره الداخلي يتضمن اشارة الى أنه مريض بالقلب، وكنا متأكدين من أنه سيعفى من الخدمة العسكرية. ولكن خاب فألنا.

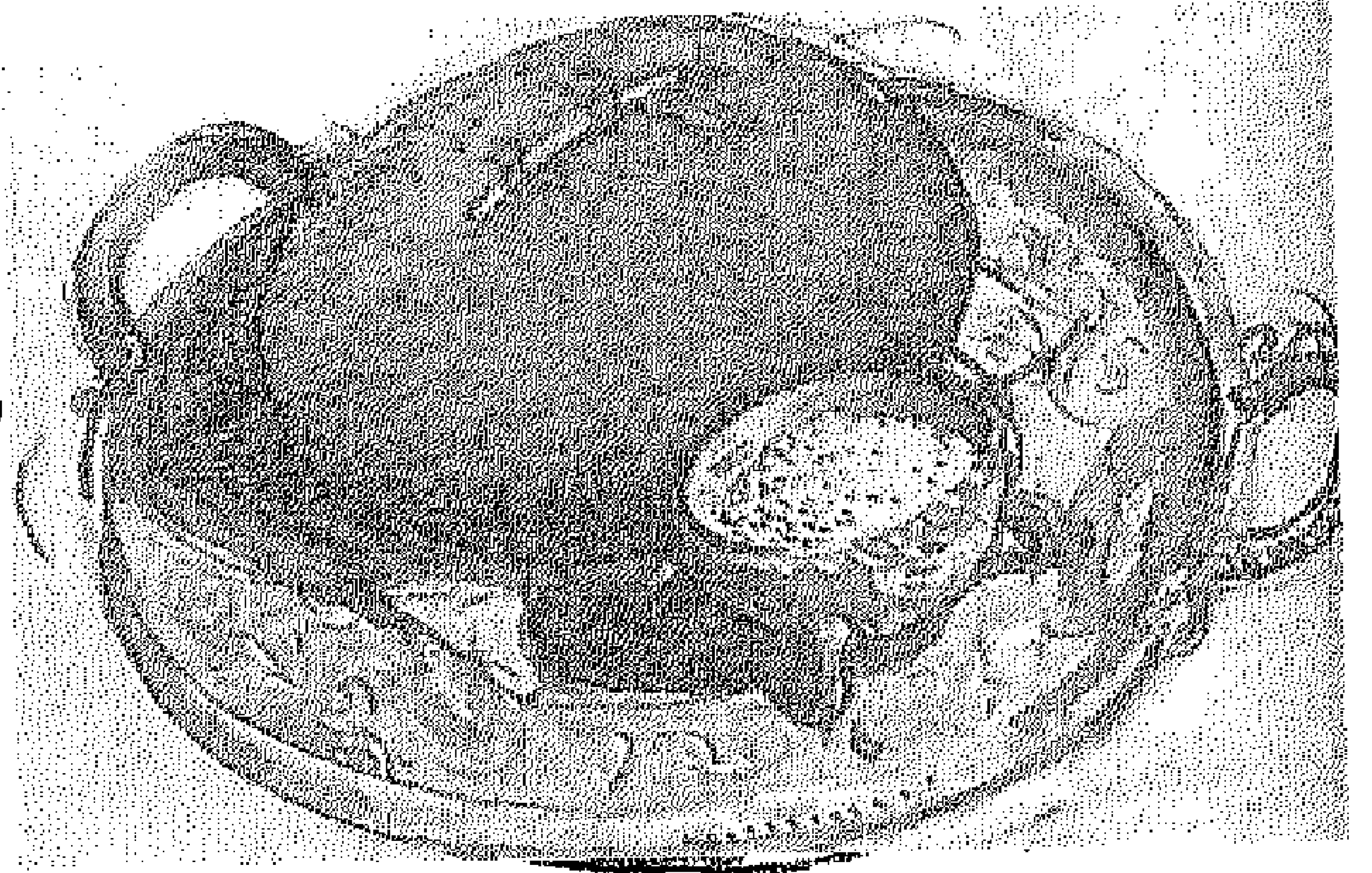
في اليوم التالي حملت أمي مكنسة صغيرة مصنوعة من أغصان طرية، ولوح صابون، وحوضي استحمام من صفيح، وقالت: "هيا يا زوجي العزين، استحم. وسأفرك ظهرك لكي تذهب اليهم نظيفاً."

ثم أخذت ملاءة وربطتها الى حبل الغسيل وأقامت شبه خيمة في فناء المنزل. واذ هممت بادخال مزيد من الماء الساخن الى الخيمة نهرني سلافا هامسا: "أيتها

الحمقاء، اتركيهما وشأنهما. الا تعلمين أنهما سيفترقان؟ ومن يدري كم يطول الفراق؟"
ساد الهدوء الخيمة بعد أصوات الغسل، وسمعنا أبي يقول لأمي ملاطفاً: "عزيزتي ناتاشا، كيف أتركك على هذه الحال مع الاولاد..." ثم غاب صوته وخنقته العبرات.
وسمعنا أمي تتلو كلمات لم أسمعها قبلاً... كلمات صلاة. وشاركها أبي في ذلك.
قلت: "سلافا، انهما يصليان!"
واستجاب سلافا وانضم اليهما في الصلاة.

الالمان قادمون

كانت بلدتنا في حال غليان واضطراب. فقد اقترب الجيش الالماني وبدأ أعضاء الحزب وعائلاتهم ينزحون عن فيودوسيا. كذلك فعل اليهود وعلى رأسهم الاعضاء في الحزب، ولكن بقي في البلدة نحو ألف يهودي.
وما لبث جنودنا أن رحلوا هم أيضاً. وكانت الشاحنات المليئة برجال الشرطة السرية والمفوضين المنسحبين تمر مسرعة على الطريق. وحين شاهدهم سكان البلدة هكذا خرجوا من بيوتهم مفعمين بحيوية غريبة. واقترح احدهم: "لننظف فناء منزلنا." وراح آخر يغسل النوافذ. وانبعثت رائحة الخبز الطازج شهية من عدة مساكن. وكانت العادة السلافية القديمة الترحيب بالغرباء بتقديم الخبز والملح اليهم.



أخرجت والدتي الدقيق والخميرة قائلة: "نينا، حضري العجين. اشعر بصداع شديد وأرى بعينيَّ ألوان قوس قزح، خصوصاً بعيني اليمنى."
كانت أمي تصاب غالباً بتلك النوبات الغامضة. لكنها لم تقلق لأن الاطباء عزوا ذلك الى انقطاع الدورة الشهرية.

وفيما كنت أعجن بنشاط نظرت الي أمي، وبعدما راقبتني قليلا قالت، وقد بان عليها الارتباك: "نينا، أنت جميلة، وطويلة جداً. تبدين كأنك في السادسة عشرة من عمرك. وهؤلاء الالمان جنود بعيدون عن نسائهم. من يدري كيف سيتصرفون؟ هيا، ارتدي سترتي البنية. ها هي. واليك تنورتي بدلا من هذه القصيرة."
عملت بما قالته أمي. وفي اليوم التالي وقفت واياها في الشارع مع الرجال والنساء المحتشدين في انتظار الالمان. وراح بعضهم يهتف: "الالمان قادمون!" فيما كان

آخرون يبكون ويضحكون في آن ويرددون: "محررونا قادمون!" وركع بعضهم على الرصيف وفي الطريق للمرة الاولى منذ سنين وبدأوا يصلّون جهاراً غير وجلين، وتساءلت ماذا أفعل، أأجثو على ركبتيّ؟

في تلك اللحظة اذ هممت بثني ركبتي قفز سلافا من فناء منزلنا حيث كان منزويا وأمسكني حائلا دون ركوعي، وهمس في أذني: "لا تكوني حمقاء!" ثم جرني الى أمام سلمنا وتابع: "أتذكرين كيف كان جارنا يتكلم عن الثورة وعن التغيير الذي سيعمّ روسيا؟ ان الثورة لم تحرر أحداً يا نينا."

"اذا، الالمان لن يكونوا محررين هم أيضاً. ولن يجلبوا لنا الا فجراً كاذبا آخر."

تفرست في وجوه جيراننا فرأيتهم فرحين يفيضون حماسة ومرحا ورجاء. فقلت لأخي: "وأنت لست سوى فتى متشائم بالفطرة."

ثم سمعت مايا وأمي تهتفان: "أسرعي يا نينا، قد اقترب الالمان، اننا نراهم!"



حمل سكان فيودوسيا الخبز والملح الى الجنود المشاة. وأحنى بعض المسنين رؤوسهم وفق التقليد السلافي قائلين: "أهلا بكم الى روسيا الأم."

عند الغسق رجعتُ ومايا الى ساحة دارنا، فتبسمت لنا جدتها وقالت: "هؤلاء الالمان جماعة طيبون، فلا داعي الى القلق بعد الآن."

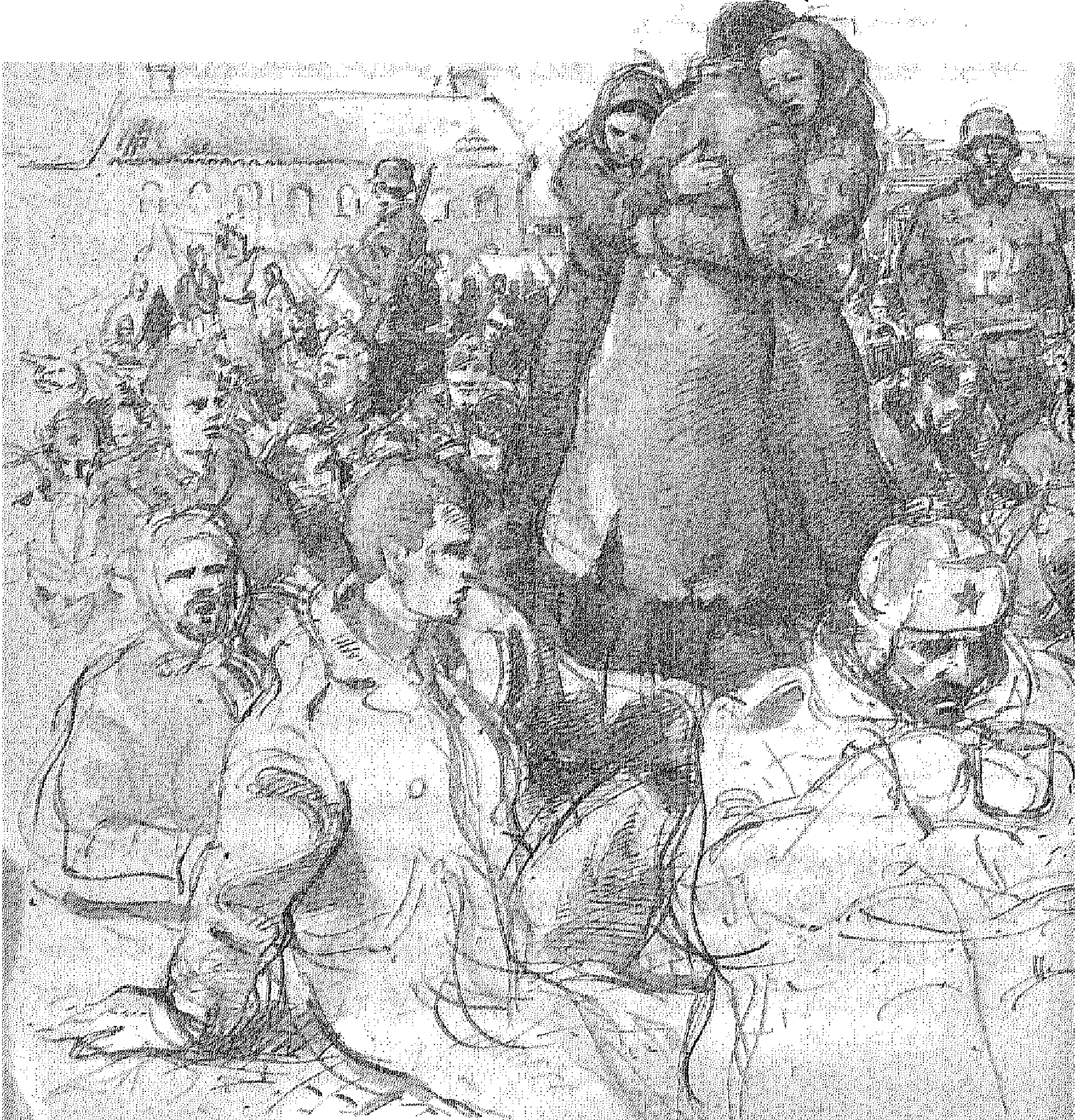
استقر الالمان في فيودوسيا، وجنّد الاشخاص الملمون بالالمانية للعمل في وظائف كتابية في مركز القيادة أو كمترجمين. ونظمت الجوامع والكنائس وأعيد فتحها للمؤمنين.

وظهرت حشود من الخياطات والنجارين وصانعي الاحذية وراحوا يطوفون مبتهجين من مسكن الى آخر. وكان العمل بهذه المهن محظوراً الا تحت مراقبة الدولة. وأعلن اليهود استعدادهم لتعليم الالمانية والموسيقى. وانتظم البعض في خدمة الالمان

كمصلحي ساعات وأحذية. كذلك فعل الخياطون مبدين استعدادهم لاصلاح بذلات الجيش الالماني.

جمع الشمل

مرت ثلاثة أسابيع على الاحتلال الالماني خالية من الاحداث. وأطل ٢٠ نوفمبر (تشرين الثاني) بارداً منعشاً. واذا بجارتنا تهتف بأعلى صوتها في فناء منزلها: "يا نساء الحي!" فامتلأ الفناء بالنساء اللواتي أقبلن على الفور لاستطلاع الاخبار. صاحت الجارة: "ان المئات من رجالنا موقوفون في الساحة... أسرى حرب!" كانت الساحة تعجّ بالرجال. فشققنا طريقنا بين الأسرى. قالت أمي: "انظروا!"



وأومأت بحنان الى سجين يهرول نحو صبيّة ويعانقها ويبكيان كلاهما فرحاً. وقال أحد الحراس الالمان للصبية: "خذيه، فتوفرين علينا اطعامه. ولكن حذارِ أن تخبئيه، لاننا قد نستدعيه ثانية."

رحنا نمشي هنا وهناك ونتفرس في كل رجل يشبه والدي ونسأل تكراراً هل أحد يعرفه. واذا برجل غاف يتحرك فجأة ويحاول النهوض. كان مصاباً في يده اليسرى وأصابعه سوداء متورمة وبارزة من تحت ضمادة رمادية فاحمة. فتحامل على نفسه ونهض وخطا في اتجاهي.

بدا في الستين من عمره وقد غطى وجهه سالفان رماديان أشعثان. وعلى صدره رقم ثبته الالمان، فهو الاسير الرقم ٤١٠.

دلت وقفته على إنهاك كلي، كأن لا قدرة لخصره على ابقاء جسمه منتصباً. فأخذ يسراه المجروحة بيمناه علّ ذلك يخفف الالم، وظل يقترب مني كأنه يريد استعطاء الخبز.

واتسعت عيناه السوداوان الكبيرتان عاكستين في أعماقهما الفرح والالم والدموع. هاتان العينان الملوّنتان بدكنة الكرز الناضج. اني أعرفهما من بين كل العيون على الارض. إنهما عينا أبي.

صرخت: "أمي! تعالي!" وجمدت أرتعد في مكاني غير مصدقة، حتى سمعت صوته العذب الحميم يتغلغل في حواسي. كان كما عهدته، لم يتغير أبداً.

قال: "نينا هذا أنا." وبسط يديه ليعانقني.

أسندت رأسي الى صدره وانهمرت دموعي وأنا أردد: "أبي! أبي!"

وهرعت أمي الينا دافعة الجمع في طريقها:

"عزيزي مارك!" وراحت تمرر يدها برفق على خده المنهك ويده اليسرى في يدها كأنها تريد مشاركته في ألمه. قالت: "أتذكر الغجرية يا مارك؟ كانت على خطأ! آه، كم كنت خائفة أن أفقدك."

ووقفنا نبكي ونتعانق وحولنا مئات الغرباء ينظرون الينا وفي عيونهم شيء من الحسد.

مثل رقاقة ثلج

بدأ الألمان يعانون عَوَزاً شديداً. وكان هتلر يخطط لاكمال عملية برباروسا قبل مطلع الشتاء، ولكن شاء القدر خلاف ذلك. ففي فصل الخريف هطلت أمطار غزيرة مصحوبة ببرد قارس أرجف العظام. فتحوّلت الارض محيطات من الوحل، وهلكت ألوف الجياد وتعطلت أرتال من الدبابات والشاحنات.

وحلّ الشتاء منذراً بأنه أبرد شتاء عرف الى الآن. وحين اقترب الالمان من موسكو انقطعت عنهم الامدادات الغذائية لسوء أحوال الطرق، مما دفع الجنود الجائعين الى التهام جيادهم. ورافقت أكل اللحم النيء اضطرابات معدية خطيرة مصحوبة بتقيؤ شديد. وفي نهاية ديسمبر (كانون الاول) بلغ عدد ضحايا حرب هتلر الخاطفة ٨٠٠ ألف قتيل.

في غضون ذلك كانت سلطة فرق "الصاعقة" (الشرطة العسكرية النازية) امتدت الى فيودوسيا، الى شارع كارل ماركس وفناء منزلنا.

صباح اليوم الاول من ديسمبر (كانون الاول) وجدنا ملصقاً على بوابتنا يعلن أن على كل السكان اليهود الحضور الى الساحة خلال ٧٢ ساعة بغية "اعادة توطينهم" وألا يحملوا معهم الا "أغلى مقتنياتهم الشخصية." كان والدي جالساً، متجهماً على عتبة بابنا، فقال: "اليهود عندنا محكوم عليهم بالهلاك. لقد سقط المنجل على حجر."

فقاطعه أحد الجيران: "كفّ عن الثرثرة يا مارك، قل لنا ماذا تعني."

قال والدي: "أعني أن هتلر صنف شعبه على أنه الشعب المختار، وليس اليهود. هو منجل الحصاد، وهم الحجار. وتتعيَّن ازالة الحجار. هل تفهم؟"

أعقبت ذلك مناقشة حامية، وسأل أحدهم: "إذا كان هتلر يسعى الى إبادة اليهود، فلماذا تتركهم الحكومة السوفييتية هنا؟"

أجاب آخر: "لقد رحَّل السوفييت كل أعضاء الحزب من اليهود، وهم لا يهتمون للباقين."

واذا جارتنا ناديا تسرع نحونا هاتفة: "هناك اشاعة مفادها أن كل اليهود في فيودوسيا سيرحَّلون الى فلسطين!"

وسرت هذه الاشاعة كالنار في الهشيم.

مرت ٧٢ ساعة. وجلست في بيت مايا أودعها وقد غمرني الحزن لفراقها. رأيتها مرتدية معطفها الفرو الأبيض وجزمتها الجلدية وقبعتها البيريه البيضاء مائلة على رأسها. فحسدتها، بل شعرت بقليل من الامتعاض.

قلت: "ها أنت مهيأة للسفر الى العالم الواسع، وستشاهدين الكثير." وحدقت الى عينيها المتوهجتين.

قالت "أوه، نعم انها مغامرة." ثم تغيرت نبرتها فجأة وغابت عنها الابتسامة وأمسكت بيدي وقالت وجلة: "ولكن ماذا لو... ماذا لو..."

قاطعتها: "ماذا" وتلاشى فيَّ كل حسد.

قالت: "ماذا لو قرر الألمان قتلنا. ماذا لو صحَّت الاشاعات؟"

ساد الغرفة سكوت. فقالت أمي مواسية مطمئنة: "مايا، فكري يا ابنتي. لماذا يريد

أحد أن يؤذيك؟" ثم ضمتها اليها وراحت تمرر يدها على شعرها المجدول.

بعد لحظات اقتحم الغرفة عسكريان من "الصاعقة" من دون أن يقرعا الباب آمرين:

"اليهود! الى الخارج! حانٍ وقت الرحيل."

تبادلنا القبل الاخيرة. ولحقتُ جيراننا الى الشارع فشاهدت مايا تجتاز المنعطف حاملة رزمتها بيد ويدها الاخرى في يد أمها.

مثل رقاقة ثلج! ذلك كان انطباعي الاخير عن مايا: مجلببة بالبياض، هشة، ذائبة، متلاشية، كرقاقة ثلج.

ازدحمت الطريق الرئيسية باليهود السائرين، وكانوا يمشون على مهل والى جانبيهم حراس من فرق "الصاعقة." وكانوا جميعهم مرتدين أحسن ما لديهم كأنهم في طريقهم الى حفلة عيد.

ورأيت معلِّم الرياضيات، والطبيب الذي لم يحمل الا حقيبته السوداء، وكلاهما سائران مع الجمع. فتبعناهما بأنظارنا الى أن غابا في بُعد الطريق.

جلست في رواقنا أتأمل منزل مايا الفارغ وقد سدّ بابه ونوافذه بألواح خشبية متصالبة. واذ بدأ الظلام ينسدل تناهت الينا أصوات رشاشات كتمها بعد المسافة.

وهتفت أمي قلقة: "الأنصار أيضا."

فقال أبي: "كلا، الرصاص غير متقطّع." وهمس في أذن أمي: "أصدقاؤنا. أرجو ألا يكونوا يموتون في هذه اللحظة."

لكنهم كانوا يموتون!

وكانت الشاحنات تنتظر في الساحة لنقلهم الى الميناء، كما ادعى النازيون. لكنهم كلهم، وعددهم ٩١٧، اقتيدوا الى منطقة خارج البلدة محاطة بصفوف من الخنادق العميقة المضادة للدبابات. فأمروا بالقاء رزمهم وخلع ملابسهم وتسليم كل ما معهم من مجوهرات. ونقل الاولاد الى حافلات الصليب الاحمر. وهناك كانت عناصر طبية من "الصاعقة" في انتظارهم. فلقي الصغار حتفهم بسرعة وهدوء ووجوههم مغطاة بأقنعة مشبعة بمادة الاتير المخدرة كي لا يقلقوا والديهم بصراخهم.

وصُفَّ الباقون في مواجهة الخنادق. ثم انهمرت الطلقات الرشاشة التي سمعتها وأنا جالسة في رواق منزلنا. فتفجرت في حياتي وفي كياني ألماً صارخا.

في ٧ ديسمبر (كانون الاول) ١٩٤١ وقع الهجوم الياباني على بيرل هاربور في جزر هاواي. كان ذلك يوماً مأسوياً للأمريكيين، أما بالنسبة الي فكان يوما كئيبا مملا. كانت تلك الاحداث التي وقعت بعيداً جداً عن فيدوسيا عاملا بالغ الأهمية في تقرير مصيري، لكنها لم تغير نهاري ذاك.

في الايام الاخيرة من الشهر أمر الالمان والدي وبقية الأسرى بالتجمع في المحطة لنقلهم خارج فيودوسيا. وكم تمنيت لو أن يده شفيت، لو أنه أصغر سنا. رحت أعدو في محاذاة القطار وأنادي: "أبي، أبي!" واذا بيد تحاول التلويح، ثم ظهر وجه أبي وقد بان عليه القلق الشديد. وناداني من باب المقطورة السابعة بصوت أجش تخنقه العبرات: "نينا! نينا! الوداع!"

صرخت متوسلة: "مهلا! أبي! مهلا! لا تذهب. أوقفوا هذا القطار!"

لكن القطار لم يتوقف.

المسلولة

في غضون ذلك كانت البوارج الحربية السوفييتية تتسلل الى شواطئنا. وبعد بضعة أيام من رحيل والدي بدأت القنابل تسقط على فيودوسيا.

شمل القتال الضاري كل بناء وكل سلّم وكل جزء من فيودوسيا. واحتمى بعض الجنود الالمان خلف بوابتنا ومعهم قنابل يدوية ورشاشات لقتال العدو الزاحف، وهم قُتلوا في مواجهة حامية. وكان سياج منزلنا مرصوفا على الجانبين بالجنود القتلى.

في الحادية عشرة صباحا كان شارع كارل ماركس نُظّف من الجنود الالمان.

ساد الهدوء فترة قصيرة قبل قدوم الموجة التالية من الجنود. وكانت أمي متخوفة، فارتدت هي ملابس قديمة رثة وقصّت شعرها الكثيف المتموج حتى جلدة الرأس وألبستني تنورة طويلة بشعة.

حضنتني أمي كأنها تبغي حمايتي من العالم، وقالت: "نينا، أتذكرين ليدا صديقتك في دولوفو وشقيقتها كاتيا؟ لقد ماتتا بداء السلّ. وكانت كاتيا شاحبة وشفتاها زرقاوين والبقع الحمراء تغطي خديها والحمى تنهشها. هؤلاء الجنود يخشون داء السل أكثر مما يخشون الرصاص."

لذا عمدت الى تحويلي فتاة مسلولة بعملية تنكّرية دقيقة. فلزمتُ الفراش الذي عُلّقت حوله ملاءة تقي أهل المنزل الجراثيم الفتاكة. وأمسكتُ بيدي منديلا مدمّى، وكُسي أعلى الملاءة القريب من وجهي ببقع حمراء قانية من دم سلافا الذي جرح رجله بموسى أبي. وأطّرت عينيّ ظلال عميقة قاتمة. وبانت على خدّي بقع حمراء في أماكن متفرقة من عصير الشمندر المبشور ممزوجاً مع الماء.

قبيل الظهر دخل الجنود ساحة بنايتنا، فتفرقوا مجموعات واندفعوا الى الشقق السكنية، فتعالى صراخ النساء وكان ينفذ الى أعماق القلب. وكان الاولاد يبكون. وفي الشقق التي يسكنها مسنّون سمع تحطم صحون ونوافذ بأعقاب بنادق. ونهبت أكياس الاغذية فيما الناس يتوسلون الى الجنود: "اتركوا لنا بعض الغذاء! سيعضنا الجوع."



فيجيبهم هؤلاء: "موتوا جوعا أيها الاشقياء! تستقبلون الجنود الفاشيست الألمان بالخبز والملح!"

واندفع ثلاثة جنود الى شقتنا. وحاول أولهم انتزاع الملاءة التي تحجب ركني فبادرته أمي بحزن: "ابنتي المسكينة! أنها تحتضر. ستموت بداء السل قريباً."

أزاح الجندي الملاءة وراح يحدق الي.

فحركت شفتي الملطختين بالدم متذكرة منظر ليدا وهي على فراش الموت. وفتحت عينيَّ بعياء وقد غاب خوفي وغضبي خلف قناع المرض المهلك. وقلت لامي بصوت كاد لا يسمع: "ماما... عطشانة."

واذا بالجندي المقتحم يبصق علي ويخرج من بيتنا مع رفيقيه.

ركعت أمي الى جانب السرير وبكت. ورفعت شكرها الى الله مصلية فيما كان سلافا يردد: "يا للأشقياء! يا للأشقياء!"

وصليت أنا أيضا وحمدت الله. وداخلي شعور غامض ممزوج بالأسى لنجاتي من المهانة التي أصابت كثيرات.

بعد ثلاثة أسابيع من الاجتياح والاهتياج والوحشية انسحب الجيش الأحمر وعاد الالمان الى احتلال فيودوسيا.

في اليوم الاول من مايو (أيار) ١٩٤٢ وجدنا ملصقاً جديداً على سياج دارنا يدعو كل سكان فيودوسيا الاقوياء الذين تراوح أعمارهم بين السادسة عشرة والخمسين الى تسجيل أسمائهم للعمل في ألمانيا، وسيكونون أحراراً في العودة الى منازلهم بعد انتهاء الحرب. وأمل الألمان أن يبلغ عدد المسجلين ألفاً في الدفعة الاولى، ولكنه تم تسجيل ثلاثة آلاف.

عمال من الشرق

بعد بضعة أيام من ظهور الملصقات كانت صديقتنا الممرضة تانيا تتناول الشاي معنا. واذا بأمي تئنّ ألماً، وقالت: "عزيزتي تانيا، هل عندك شيء لهذا الصداع؟ أرى أقواس قزح. وأشعر بأني سأفقد بصري."

وضعت تانيا فنجان الشاي على الطاولة وقالت بنبرة حازمة: "لا تهلعي يا ناتاليا. لكني أعتقد أنك تفقدين بصرك فعلاً. فهذه أعراض داء الزرق (غلوكوما). لماذا لا تسجلون أسماءكم أنتم الثلاثة للذهاب الى ألمانيا؟ فهناك تمكن مداواة عينيك. يجب أن تفعلي شيئاً والا استيقظت ذات صباح لتجدي نفسك عمياء تماماً!"

فهتفت أمي: "وماذا عن مارك؟ قد يعيدونه الى البلدة في أي يوم."

فطوقتها تانيا بذراعيها سائلة: "أتريدينه أن يقوم بأود زوجة عمياء؟ ها هو زوجي أيضاً في الحرب، وأنا أدرك شعورك. ولكن اذا رجع مارك فأنا هنا. أرسلي الي عنوانك وسأتصل بك."

شعرت أمي بخجل من هذه المرأة الأصغر منها سناً والتي حطمت الحرب حياتها هي أيضاً. فوقفت وأعلنت بعزم أننا سنسجل أسماءنا في الغد للذهاب الى ألمانيا.

رحلنا في ٢٥ مايو (أيار) على متن قطار مؤلف من ٣٣ مقطورة لنقل المواشي. وكان هناك دلو قرب الباب كمرحاض. مررنا ببولونيا ويوغوسلافيا والنمسا وتشيكوسلوفاكيا. وفي اليوم الخامس توقفنا في بقعة جبلية رائعة. ففتح الحراس أبواب المقطورات صائحين: "انزلوا، لقد وصلتم!"

كنا في بافاريا في بلدة ماركتردفيتز القريبة من الحدود مع تشيكوسلوفاكيا. رحنا نتمطى، ونزلنا ومعنا رزمنا. ووقفنا على أرض المانية للمرة الاولى.

وما عتمنا أن اكتشفنا أننا "عمال من الشرق" محرومون الحقوق وأفضل قليلاً من العبيد. كان الملصق المليء بالوعود في فيودوسيا مجرد غش وكذب.

ومع ذلك تدبّر مُستخدمنا الاول – وهو صاحب معمل للخزف الصيني (البورسلين)

بالقرب من ماركتردفيتز – إجراء جراحة داء الزرق لأمي. فأرسلنا نحن الثلاثة الى ريغا، مسقط رأس أمي في لاتفيا، لان الاطباء الالمان في بافاريا لا يسمح لهم بمعالجة عمال من الشرق. وبعد الجراحة وضعنا ثانية في قطار انطلق من ريغا الى جهة مجهولة.

في القطار جلس قبالتنا زوجان متوسطا العمر وابنتهما التي كانت في عمر سلافا واسمها زينيا. كانت والدتها رايسا ميخائيلوفنا ووالدها بوريس فيودوروفيتش كلاهما معلمين في المدرسة الثانوية في لينينغراد. وقد طردت العائلة من ريغا حين انتهت مدة الاذن الذي مُنحه أفرادها لزيارة أقربائهم.

وبعد يومين توقف القطار. ففتحتُ النافذة لاقرأ اسم البلدة. كنا في بولونيا، في مكان يدعى لودز. قال لنا بوريس فيودوروفيتش: "في هذه البلدة معامل نسيج." تطلعنا حوالينا فبانت لنا المعامل مهجورة.

انكشاف كنز

سمح لأمي، بسبب الزَرق في عينها، بالبقاء في المخيم والاهتمام بأمور المطبخ وتنظيف الثكنة. واقتيد سلافا وبوريس فيودوروفيتش للعمل في مصنع للفرو حيث تعالج جلود الارانب لتبطين البذلات الرسمية ولصنع القفازات والقبعات. وأُرسلت أنا وزينيا الى بناء قرميدي من طبقتين كان في الماضي معمل نسيج وحوِّل مستودعا للملابس المستعملة. وغلبت علينا الرهبة أنا وزينيا. كانت هناك غرف واسعة ملأى بألوف الالبسة من قمصان وفساتين وسترات من أجود الفراء وأفخر المخمل، فمن أين أتت كل هذه الملابس؟ ومن كان يرتديها؟

"يا بنات! توقفن عن التحديق. اطبقن أفواهكن." كانت تلك رئيستنا، المشرفة علينا وهي تصفق بيديها لتخرجنا من ذهولنا. قالت: "أنا السيدة إيما، ناظرتكن الرئيسية. أنتن من لاتفيا، من بلدان البلطيق."

ولأننا لاتفيات لا روسيات بدا كأننا سنعيَّن للقيام بأعمال "امتيازية."

كان عملنا اصلاح الملابس، كما أخبرتنا السيدة إيما. ورمت الى زينيا تنورة فيها ثقوب عدة وقالت: "بما أنكما لا تحسنان الخياطة، فسأدعكما تفتّقان مثل هذه التنورة. فتّقيها واطوي قطعها بترتيب. سنخيط منها ثوبا لاحد الاولاد. وأنتِ، اليك هذا الفستان، ابدأي تفتيقه." ورمت الي ثوبا رثا. أما رايسا ميخائيلوفنا فأسند اليها اصلاح الهوامش والاطراف.

وأكببنا أسبوعا بعد أسبوع على تفتيق الملابس المستعملة. وكنت أتساءل من أين تأتي هذه الملابس كلها. ثم أسرت الينا إحدى الخياطات البولونيات التي وثقت بنا بعد

رفقة طويلة أن الحمولات الجديدة آتية من قرية أوشفيتز. لم يعنِ الاسم شيئا لي، لكن العاملة البولونية وضعت اصبعها على فمها كأنها تأمرني بالسكوت.

وكنت أعمل على تفتيق سترة قذرة، فمررت اصبعي على شيء غير عادي. أهي رسالة؟ كنت على وشك مناداة السيدة إيما، واذا بورقة خضراء تنبسط في يدي وقد طبع عليها اسم "الولايات المتحدة الامريكية" بالأحرف اللاتينية وفي كل من زواياها طالعني الرقم مئة. انها ورقة مالية بقيمة ١٠٠ دولار.

تابعت عملي، لكن راحتيَّ ندَّتا عرقاً لشدة تأثري. ثم لمست أصابعي انتفاخا في لفقة السترة واذا فيها مئة دولار أخرى. يا الهي! في هذا الوقت كانت رايسا ميخائيلوفنا لاحظت الارتباك على وجهي وأدركت أن أمراً غير عادي قد حدث. فمالت زينيا نحوها وهمست كلمة واحدة: "كلاد" أي كنز. وفهمت رايسا على الفور، اذ ترددت اشاعات عن العثور على قطع نقود ذهبية وساعات ومجوهرات مخبأة في لفقات الملابس.

أيا تكن صاحبة تلك السترة، فقد كانت لها غاية في تخبئة الكنز.

وحين شاهدت رايسا ميخائيلوفنا شدة اضطرابي هتفت الى الخياطات: "هيا يا فتيات! لننشد أغنية للسيدة إيما." وفيما الجوقة تنشد لناظرتنا بحماسة عدت الى تفتيق السترة فوجدت ورقة أخرى بقيمة ١٠٠ دولار وورقتين كلا بعشرة دولارات وثلاث أوراق كلا بخمسة دولارات.

صرفت أمي بعضاً من هذه الدولارات لترشو أحد الحراس عله يأتينا بخبر عن أبي. أهو ميت أم حي؟ ولكم تحرّقنا لمعرفة مصيره.

انهيار سلافا

في ابريل (نيسان) من عامي السادس عشر نقلنا الى مخيم في كروفنكل حيث عملنا عشر ساعات في اليوم من غير أن نرتاح حتى في بعض الآحاد.

وتعاقبت الأيام رتيبة. وأمضتنا العزلة التامة في الثكنة أكثر من رائحة حساء الملفوف ومن البطانيات التي تعج بالقمل ومن دلاء المراحيض. وخسرنا كلنا من وزننا بسبب الانهاك الجسدي، ولكن لم يكن ذلك وحده ما أثر في صحتنا. كانت كروفنكل مصنع ذخيرة حيث عملنا في تجميع ما يشبه القنابل اليدوية. وذات يوم سرت اشاعة أننا نصنع قنابل «V-1» الفتاكة.

وساءت صحة سلافا يوما بعد يوم. وبلغ منه العياء والضعف حداً فكاد لا يقوى على الوصول الى سريره مساء. وذات صباح وهو ذاهب الى العمل قال لي: "يا أختي، أشعر بغثيان وارتخاء وكأن الارض تنهار تحت قدمي."

أمسكته من جانب وأمسكته زينيا من الجانب الآخر. ثم تبادلت العمل واياه، فانتقلت الى طلي الحلقات التي توضع على القنابل، وكنت أستنشق الأبخرة الكريهة.

وقبل اطلاق صفارة استراحة الظهر ترنح سلافا وسقط عن كرسيه. فأسرع الينا الناظر صائحاً: "عودا الى العمل!"

قلت: "أخي مريض! دعني أخرجه الى الهواء المنعش." وباشرت سحب سلافا الى الباب. لكن الناظر رفع هراوته المطاطية وضربني، ثم انهال على سلافا مستهدفاً رقبته وأعلى رأسه.

صرخت: "توقف!" ورفع سلافا يديه فوق رأسه محاولا اتقاء الضربات العنيفة. ولم يتوقف الناظر عن ضربه كمسعور حتى كاد يغمى عليه.

كان سلافا منطرحاً على الارض شبه مائت وهو ينزف وعيناه مغمضتان. وراعني أن أتركه في هذه الحال. فركضت باكية الى مكتب الكولونيل، رئيسنا، وقلت له: "سيدي الكولونيل! الحارس ضرب أخي!"

قال الكولونيل: "العقوبة الجسدية القاسية ممنوعة في هذا المكان. أسرعي بأخيك الى الطبيب!"

بقي سلافا في غرفة الانتظار في العيادة طوال بعد الظهر. وقال لي الطبيب: "من الضروري أن يرتاح من العمل، ولكن ليست لي سلطة إعفاء أي منكم أنتم عمال الشرق لأكثر من أسبوعين."

بعد بضعة أيام جاء حارس في طلب أمي. ولدى دخولها مكتب الكولونيل ناولها شهادة ظهرت فيها كلمة "أوردروف" واضحة تماما.

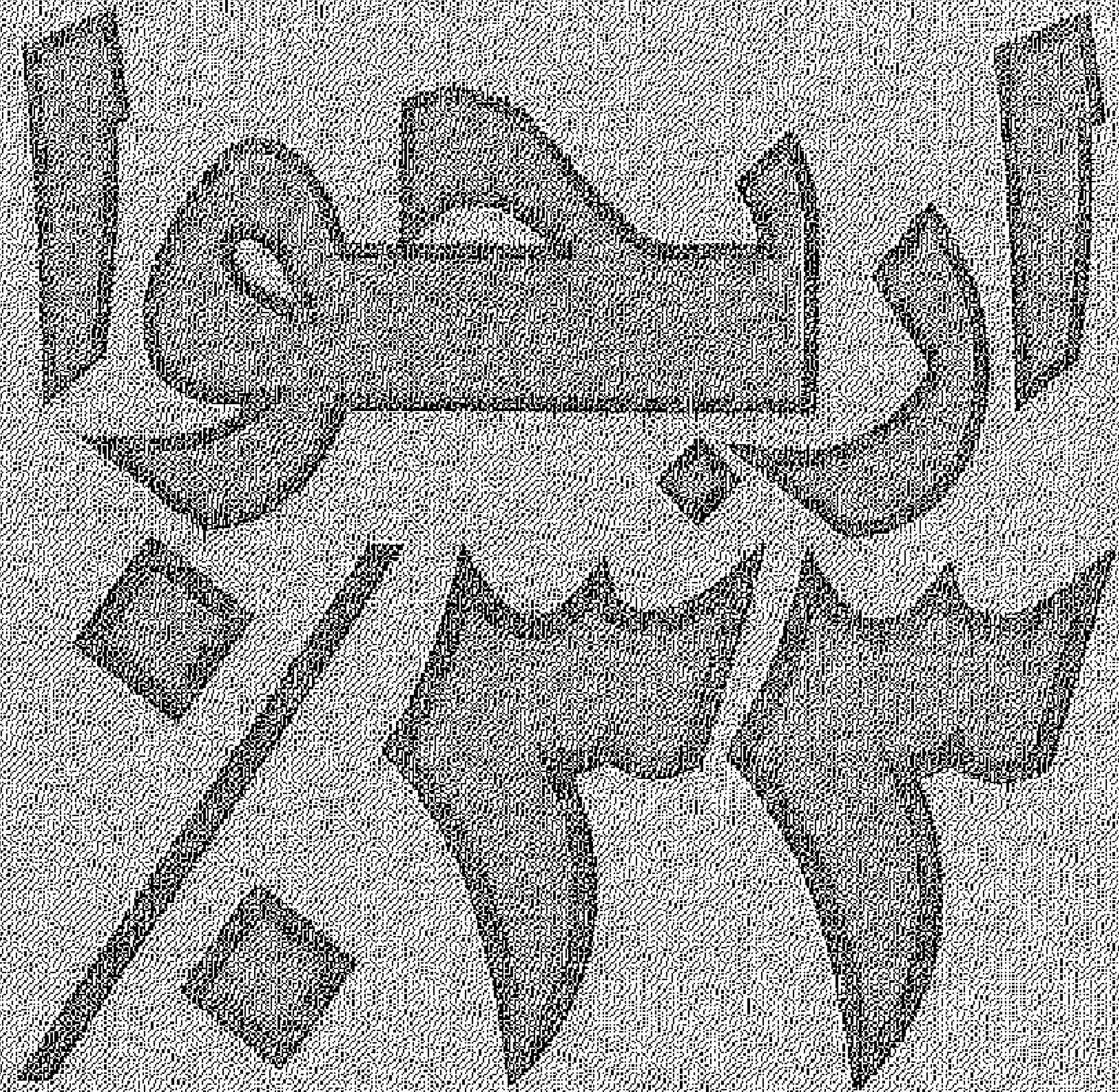
تملك الذعر أمي فقالت للكولونيل: "هل يتعين على ابني الذهاب الى أوردروف؟ الى مخيم الاعتقال؟ هذا يعني موت فتايَ المريض حتماً."

ظل الكولونيل هادئاً جامد القسمات كأنه يأبى اشراك نفسه في الصراع الداخلي العاصف بهذه الروسية المنكوبة شبه العمياء الموشكة على فقد ولدها. ثم أدار لها ظهره وقال بهدوء: "الحرب قاربت الانتهاء. وقد تلقيت أوامر بارسال ثلاثين شخصا الى بلدة تريبتيس. ستذهبين أنت أيضا."

أصغت والدتي من دون تعليق ومن دون أن تفهم ما شأن ذلك بمصير سلافا. ثم سألت الكولونيل: "وماذا لو كانت مصانع الذخيرة في تريبتيس تحتاج الى عمال؟ لن يكون ابني قادراً..."

فانحنى الكولونيل فوق المكتب وقال لها بصوت خفيض: "لا مصانع ذخيرة في تريبتيس. سأزودكم أوراقا موقتة تثبت أنكم من البلطيق. وفي امكان عائلة أخرى من ثكنتكم الذهاب الى تريبتيس أيضا. والله معكم."

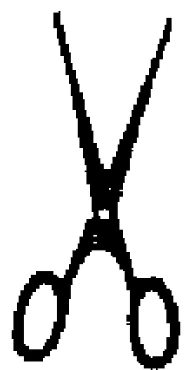
المختار



الرجاء ارسال القسيمة والشيك بالبريد المسجل (المضمون)
الى احد العنوانين الآتيين:

AL MUKHTAR
C/O Mrs. Annick Meadows
P.O.BOX 4271, NICOSIA 163, CYPRUS.

البنك المتحد للاعمال ش.م.ل.
ص.ب. ٧١٦٥ - ١١٣
بيروت - لبنان
ALLIED BUSINESS BANK S.A.L.
P.O.BOX 113-7165
BEIRUT-LEBANON
(TELEX 43321 ALBANK)



الرجاء وضع العبارة الآتية على غلاف الرسالة: "اشتراك في مجلة المختار".

١

يسر "المختار" ان تعرض
على المشتركين الجدد فيها
بين ١٩٩٠/١٢/١ و٣١/١٢/١٩٩٠
اربعة اعداد اضافية مجانا
مع كل ١٢ عدداً.
فالمشترك لمدة سنة
(١٢ شهراً) يتلقى
١٦ عدداً خلال ١٦ شهراً
اي انه يربح ٣٣٪
فكونوا من الرابحين.

اذا اردتم أن تصلكم "المختار"
الى عنوانكم،
بادروا الى ملء
هذه القسيمة وارسلوها
مرفقة بشيك مسحوب
على مصرف في نيويورك
باسم "المختار من ريدرز دايجست"
بقيمة ٣٠ دولاراً أمريكيا.
وارسلوا القسيمة والشيك
بالبريد المضمون (المسجل)
الى احد العنوانين المذكورين
خلف هذه القسيمة

الاسم ____________________

____

العنوان ____________________

____

التاريخ ____________________

التوقيع ____________________

في مطلع فبراير (شباط) ١٩٤٥ تعيَّن تقرير مصيرنا في المؤتمر الخطير الذي سيعقده قادة الحلفاء الثلاثة في يالطا. مصيرنا نحن؟ يقرره ثلاثة غرباء؟ ومن يضمن لنا الحرية إن عدنا الى حكم ستالين؟

بعد انتهاء مؤتمر يالطا بدأ الحلفاء قصف ألمانيا بعنف لم يسبق له مثيل.

بروشكاي! بروشكاي!

قرابة الثانية فجراً في ١٤ فبراير (شباط) انطلقت صفارات الانذار تدعو الناس الى الملاجىء. وفي الشمال الشرقي توهج الأفق بلون وردي. أهو شروق الشمس؟ لكن الشمس لا تطلع في الثانية صباحاً.

قال بوريس فيودوروفيتش الذي جاء معنا من تريبتيس: "سمع أحدهم أن درسدن قصفت بالقنابل، ولكن من الصعب التصديق ان ذلك الوهج ناجم عن قصفها لأنها تبعد عنا ١٥٠ كيلومتراً."

وقال سلافا مفكراً بصوت مسموع: "اذا كانت تلك حرائق في درسدن فلا بد من أنها تكتوي بجحيم أرضي." وكان ذلك فعلاً ما حدث، اذ أفيد أن مئة الف قتيل ذهبوا ضحية القصف المدمر.

ثم وردت أخبار أن الامريكيين غير بعيدين عن تريبتيس. وأقبل الربيع واكتست المروج حلّة سندسية خضراء. ووافانا شهر أبريل (نيسان) حاملاً الأماني والوعود البراقة. ومرّ أسبوعان، واذا بصوت بوريس العميق يدوي كجرس قوي. "الامريكيون هنا! انظروا جميعكم!"

شخصت الى الطريق العامة وقد اتسعت عيناي دهشة. كانت الطريق تموج بالرجال والعتاد من دبابات وسيارات "جيب" ودراجات نارية. كان ذلك صباح الاحد في ١٥ ابريل (نيسان) ١٩٤٥، وكان لنا يوم خلاص وحرّية. هرعنا جميعاً الى الطريق نهتف الكلمات الانكليزية التي نعرفها: "أمريكيون! أصدقاؤنا! شكراً لكم. أنتم محررونا!"

عدت بذاكرتي الى ذلك اليوم من نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٤١ في فيودوسيا حين قال لي سلافا ان النازيين ليسوا محررين حقيقيين وأن فجرهم الموعود ليس الا فجراً كاذباً. ولكم كان محقاً يومذاك. وها هو الآن متكىء على ساعد أمي، شاحباً عليلاً وهو بعد في الثامنة عشرة من عمره. واستدار نحوي كأنه قرأ أفكاري وقال: "يا اختي، ان فجر هذا اليوم هو فجر حقيقي. انه فجر تحرير حقيقي."

أغدق الامريكيون على مخيمنا بطانيات وملاءات ومناشف وأدوية وفيتامينات. وحلَّ بيننا أطباء وممرضات. وكانت اليخنة الدسمة تقدم الينا يومياً، ولم يعد ينقصنا الحليب والبيض والدهن.

تبسّم لنا المستقبل. ولم يعتزم أحد في المخيم العودة. لم نكن شعباً كسولا، بل كنا متشوقين الى العيش بجهدنا الذاتي ولا نطلب سوى السماح لنا بالبقاء على أرض حرة واثبات جدارتنا.

ذات يوم في مطلع يونيو (حزيران) قدم الى مخيمنا ضابط أمريكي كبير فدعانا جميعاً الى المقهى معلناً أن لديه أخباراً مهمة. وكان يرافقه مترجم أمريكي هو رقيب في أواسط العشرينات من عمره يدعى جوليوس.

أعلن الضابط: "يا إخوان! سيأتي الى المخيم غداً ضباط سوفييت لتدوين أسمائكم وأماكن ولادتكم واقامتكم قبل مجيئكم الى ألمانيا. سيقابلون كل واحد منكم ويشرعون في اعادتكم الى أوطانكم."

فصاح الجميع غاضبين: "لن نعود!" وكنا نرتعد خوفاً.

بدا الامريكي مستاء وقال: "ماذا في الامر؟ هل أنتم مجرمون أم خائفون لتعاقبوا كمجرمي حرب؟"

وكان بوريس بشخصيته القوية وصوته الغاضب يطغى على كل من في البناء. فصاح: "لسنا نحن المجرمين."

ثم سمعتُ صوتاً حميماً مألوفاً عرفته صوت أمي. تقدّمت وتوسلت الى الضابط الامريكي: "سيدي الضابط، أتوسل اليك، لا ترغمونا على العودة."

قال الضابط: "بحق السماء! كفّي عن هذه العاطفية المثيرة."

خيّم غمّ عميق على الجميع. فما العمل؟ والى أين نذهب؟ لكي نغادر المخيم كان يتعين علينا الحصول على اذن وجواز مرور من الامريكيين الذين لم يأذنوا لأحد لأن المطلوب منهم تسليمنا الى السوفييت.

جاءنا جوليوس ذات مساء تحدوه رغبة صادقة في تفهّم واقعنا. وسألني: "نينا، لماذا يبدي شعبك هذا الخوف الكبير من العودة؟"

كيف أشرح لرجل أمريكي مدى الشر والقساوة في واقعنا؟ أأخبره عن الجوع والوحشية والخوف المتواصل من السلطة الغاشمة والعزلة القسرية المطلقة عن بقية العالم؟

في تلك الليلة قلت لسلافا: "سنرحل بعد غد نحن الثلاثة. ولن نحمل معنا شيئا. لا حقائب ولا رزماً. سنحشو جيوبنا سجائر أمريكية للمقايضة عند الحاجة." قلت له ذلك همساً وبصوت أجش قوي، كرئيس يصدر أمراً.

قال: "ولكن يا نينا، ما المسافة التي تعتقدين أننا سنقطعها قبل أن أنهار كليا؟"

أجبت: "لهذا السبب لن نحمل شيئا. ستسندك أمك من جانب وأنا أعضدك من الجانب الآخر، واذا عجزتَ عن المشي فسأحملك. لست سوى قزم بالنسبة الي."

صباح اليوم التالي قدم جوليوس لرؤيتي. قال: "هناك كثير من الناجين في تريبتيس سيعودون الى موطنهم في منطقة الراين. ويُعمل الآن على اصلاح حافلة ركاب قديمة لنقلهم الى هناك. وثمة مقاعد متوافرة، ففي إمكانكم السفر معهم الى فرنكفورت أو ماينز."

وزودني جوليوس جوازات مرور حررها بنفسه من دون تفويض رسمي. ثم قبّلني بلطف وأسرع الى سيارته الجيب.

غلي عليّ التأثر، فانسكبت دموعي بصمت وأنا أردد له كلمات الوداع الروسية: "بروشكاي، بروشكاي جوليوس."

بيت الضيق

أعيد الملايين من مواطنينا الى الاتحاد السوفييتي، وها نحن مسافرون في حافلة راجين الخلاص من ذلك المصير البغيض، ولا يفصلنا عن تريبتيس الا ٣٠٠ كيلومتر.

توقف السائق في محطة للسكة الحديد وسألنا: "أتريدون النزول هنا؟" وأشار الى جسر متهدّم يقطع نهر الراين: "أنظروا، هناك ماينز عبر النهر."

كانت معاهدة يالطا تضغط تفكيرنا ككابوس، فأملنا أن يكون النهر سداً عائقاً في حال قرر الجيش الاحمر دخول هذا الجزء من المانيا.

أضاف السائق: "لكني أحذركم. لقد سمعت أن ماينز ستسلَّم الى الفرنسيين. وعلى هذا الجانب من النهر سيبقى كل شيء في أيدي الامريكيين."

سألناه بقلق: "الفرنسيون؟ هل كانوا في يالطا؟"

أجاب السائق وقد حيَّره سؤالنا: "لا أعتقد أنهم كانوا هناك." كانت تلك نعمة، فاذا لم يشترك الفرنسيون في مؤتمر يالطا فمعنى ذلك أنهم لم يعقدوا اتفاقاً مع ستالين لاعادتنا عنوة الى الاتحاد السوفييتي.

فقلنا للسائق: "خذنا الى محطة السكة الحديد في ماينز!"

لكن الفرنسيين وقعوا اتفاقاً منفرداً يقضي بتسليمنا. وبدأت السلطات تفتش عن الرعايا السوفييت. وفي ٨ يونيو (حزيران) ١٩٤٦ توقفت سيارة جيب أمام بنايتنا وفيها رجلان سوفييتيان يرافقهما ضابط فرنسي.

ارتعشت يدا امي وامتقع وجهها. قالت: "لن يطلبوا سلافا. وسأقول لهم اني من لاتفيا. ولكن أنت!"

قرع الباب، فوثبت واختبأت في خزانة الملابس وأقفلتها باحكام. سمعت كلمات الضابط الفرنسي في سكون الغرفة كأنها لسع سياط. قال لأمي بألمانية ركيكة: "سيدتي، انت وولدان ستعودون الى الاتحاد السوفييتي. هذا أمر!"

"لماذا؟" سألته أمي بصوت قوي هادىء، "أنا لست سوفييتية. أنظر!" وأبرزت للضابط شهادة ولادتها دالّة باصبعها على الكلمة "ريغا." وتابعت: "أترى يا سيدي؟ ريغا. أنا مولودة في ريغا وليس في الاتحاد السوفييتي."

أجال الضابط بصره ناحية الخزانة ذات البابين والمرآتين. فعرفت أمي أننا كلنا في خطر. ثم شَخَصَ الضابط نحوها وعلى شفتيه سؤال صامت، فرأى في عينيها توسلاً واستعطافاً ينفذان الى عمق ضميره في رجاء يائس: "كن إنسانياً. لا تسلّمنا."

مشى الضابط نحو الخزانة، فسددت أذنيّ كي لا أسمع وقع خطواته المقتربة. واذا بباب الخزانة يقفل باحكام. يا الهي! أسند الضابط مرفقه الى المرآة ورفع أمر الترحيل وكتب بتأن: "لا ذهاب الى الاتحاد السوفييتي، هم لاتفيون."

وهكذا قدرت لنا النجاة.

وعملت أمينة صندوق في "نادي الصليب الاحمر." وكانت ليلة رأس السنة تقترب، فملأت حقيبتي بالكعك المحلى والبسكويت والشطائر التي تركها الامريكيون. وعرض علي جندي اسمه هنري أن يوصلني الى منزلي في سيارته الجيب.

حين دخل هنري الى عليّتنا أخذته الشفقة وقال: "يا لصعوبة عيشكم في هذا الفقر المدقع!"

ولكن هل كنا حقاً عائشين في حال فقر؟ لو كنا في الاتحاد السوفييتي لكانت غرفتنا الصغيرة نموذجاً للوفرة والخصب.

لقد خرجت روسيا منتصرة من الحرب، لكن المجاعة كانت تجتاح البلاد جمعاء. وشدد ستالين القيود التي كان أرخاها ابان الحرب، وراح يدفع الناس الى المزارع الجماعية الحكومية. وكانت لستالين قوة لا حد لها.

وها هو هنري، صديقي الامريكي، يرثي لحالي ولعائلتي في تلك الغرفة الصغيرة الدافئة التي تشعرنا فيها كأننا في النعيم. فعلى مائدتنا شاي ساخن وقطع سكر وطبق عارم بالكعك المحلى. رفعت كأسي الى أمي وسلافا وشربت نخب "بقائنا أحياء!"

رفع هنري كأسه أيضاً قائلاً: "وأنا أشرب نخبكم. لقد عاينتم الكثير من ويلات الحرب ووحشية النازيين."

أضفت: "ويالطا أيضاً."

تساءل هنري: "يالطا؟" فهو لم يفهم ماذا تعني لنا تلك الكلمة.

لكن كثيرين من مواطنيَّ الذين لم ينجوا من الترحيل القسري يعرفون جيداً المغزى العميق لهذا النخب! وبين هؤلاء زينيا ورايسا وبوريس. أما نحن الذين أسعدنا الحظ في البقاء أحياء فكانت كأسنا مترعة تفيض سعادة وحبوراً ولدينا بنعمة الله كل ما نحتاج اليه.

ثم دخل "نادي الصليب الأحمر" شاب أمريكي دخل حياتي أيضاً. وهو فهم – خلافاً لهنري – أبعاد مؤتمر يالطا. وفهمني. وتزوجنا. وعبرنا الاطلسي الى الولايات المتحدة.

وأرجو أن تكون قصتي يوماً جسر عبور للتفاهم بين شعبين عظيمين: الروسي شعب أسلافي والامريكي الذي تتحدر منه سلالتي.

وعسى أحفادي يفهمون رحلة المعاناة الطويلة القاسية التي قطعتها، وحياة الرعب والجوع واليأس التي عشتها، قبل أن يقودني القدر الى شواطىء الحرية والنور.

نينا ماركوفنا ■

ترجمة الياس عقل

● عاشت والدة نينا ماركوفنا في الولايات المتحدة حتى وفاتها عن ٩٠ عاماً. وبقي سلافا في المانيا الغربية للمعالجة في مؤسسات متخصصة، وما زال يعاني آثار المعاملة الوحشية التي تعرّض لها خلال الحرب. ولم تعرف العائلة شيئاً عن مصير الاب. تقول نينا: "لا يمر يوم من دون أن افكر في ذاك الرجل الوديع الطيب، وفي العذاب الرهيب الذي كابده مثل ملايين آخرين في ظل حكم الطاغية ستالين والطاغية هتلر وساظل اذكر ابي وابكيه الى الابد."

مغامرات في ألاسكا

سوزان بوتشر بطلة سباقات المزالج التي تجرها الكلاب. وهي تصف السباق ما بين انكوراج ونومي في ألاسكا لمسافة ١٨٥٠ كيلومتراً بأنه "أقسى اختبار" للعيش في القفر لكن أول ما يتعلّمه المرء في قفار ألاسكا الجميلة والقاسية هو فن البقاء.

وتروي سوزان: "كنت ذات يوم أقتفي خط أشراك يقود الى كوخ. واذا بالجليد الرقيق ينهار تحتنا، فسقطتُ والمزلجة والكلاب في الماء. لكن الكلاب القوية تمكنت من الخروج وجرتني انا والمزلجة الى بقعة صلبة. وبقي علينا ان نجتاز أكثر من ٤٠ كيلومتراً للوصول الى الكوخ حيث الدفء. ونجحنا في ذلك بعدما كادت رحلتنا ان تتحوَّل كارثة. ان الاسكا لا تغفر الأخطاء دائماً. قد لا يكون المرء أكثر من نقطة في رحاب قفارها، ولكن عليه في هذه الحال أن يكون نقطة مفكِّرة."

ف.أ.ف.

إطراء طفل

يتلقى الرسام ومؤلف كتب الاطفال موريس سنداك رسائل كثيرة من معجبين صغار. وهو يقول: "تضمنت احدى الرسائل رسماً فاتناً من والدة طفل. فرسمتُ شكلا غريباً على بطاقة بريدية وأرسلتها الى الطفل. فجاءني الرد من أمه: لقد رأى جيم رسمك فأحبه وأكله."

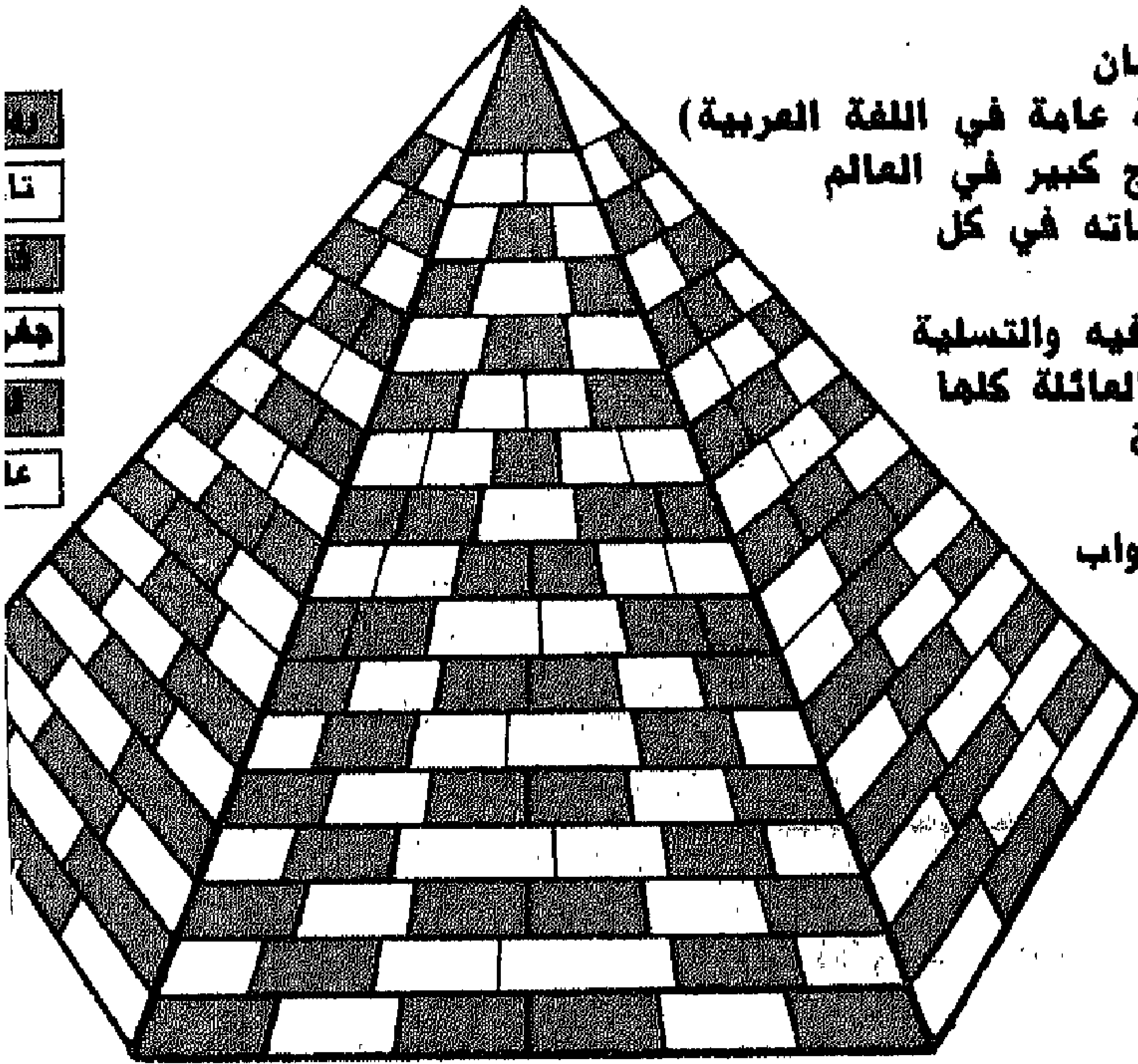
ويضيف سنداك: "كان ذلك أحد أرفع الاطراءات التي نلتها طوال حياتي."

لعبة التحدي في الثقافة والمعلومات

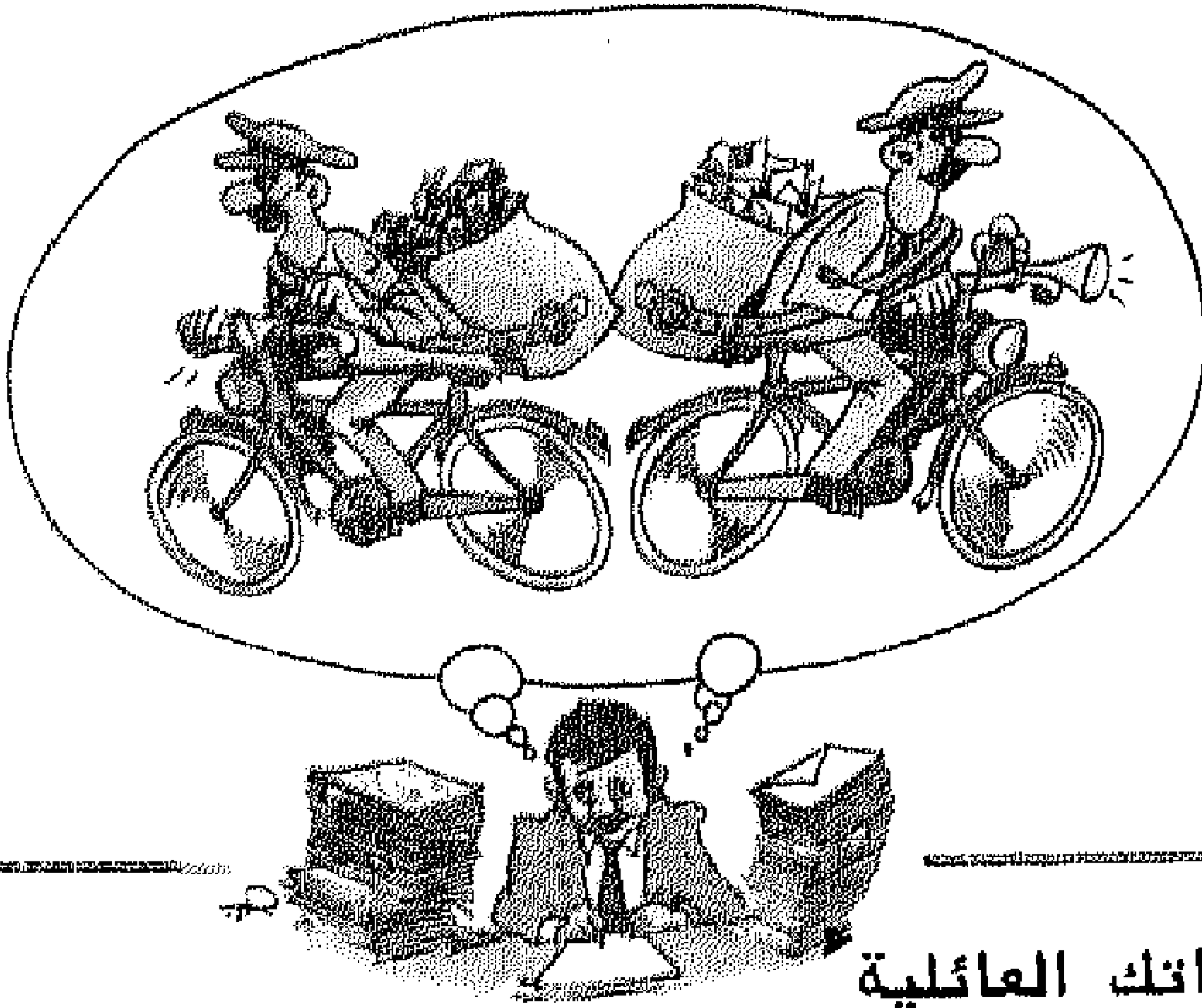
هرم المعرفة

لعبة عربية تثقيفية مذ

- هرم المعرفة: صممت وانتجت في لبنان
- هرم المعرفة: اول لعبة معرفة (ثقافة عامة في اللغة العربية)
- هرم المعرفة: لعبة من التي لها رواج كبير في العالم
- هرم المعرفة: لمن اراد توسيع معلوماته في كل الميادين والحقول
- هرم المعرفة: طريقة جديدة في الترفيه والتسلية
- هرم المعرفة: لعبة تسلية للشباب والعائلة كلها
- هرم المعرفة: من سن الخامسة عشرة وما فوق
- هرم المعرفة: ٣٦٠٠ سؤال و٣٦٠٠ جواب
- هرم المعرفة: ستة مواضيع مختلفة



اكتب واربح



هل لديك نكتة؟ هل صادفت في حياتك العائلية أو المهنية حادثاً طريفاً؟ هل سمعت حكاية ذات مغزى وترغب في أن تشرك الآخرين في متعتها؟ خذ قلماً وورقة واكتب ما لديك وأرسله الى "المختار" فتدفع لك المجلة في المقابل، بعد النشر، حسب المعدلات الآتية:

صور من الحياة: القصة يجب أن تكون حقيقية تتحدث عن تجربة شخصية ناجحة ذات متعة خاصة. تدفع عن القصة الواحدة ٣٥ دولاراً.

تأملات معاصرة: مقاطع أصلية أو من كتب ومقالات منشورة تنطوي على مغاز حكمية. يدفع دولار عن كل سطرين.

حديقة أفكار: أقوال مأثورة للأعلام العرب. تدفع ٥ دولارات عن كل سطرين، على ألا يتجاوز القول المأثور السطرين.

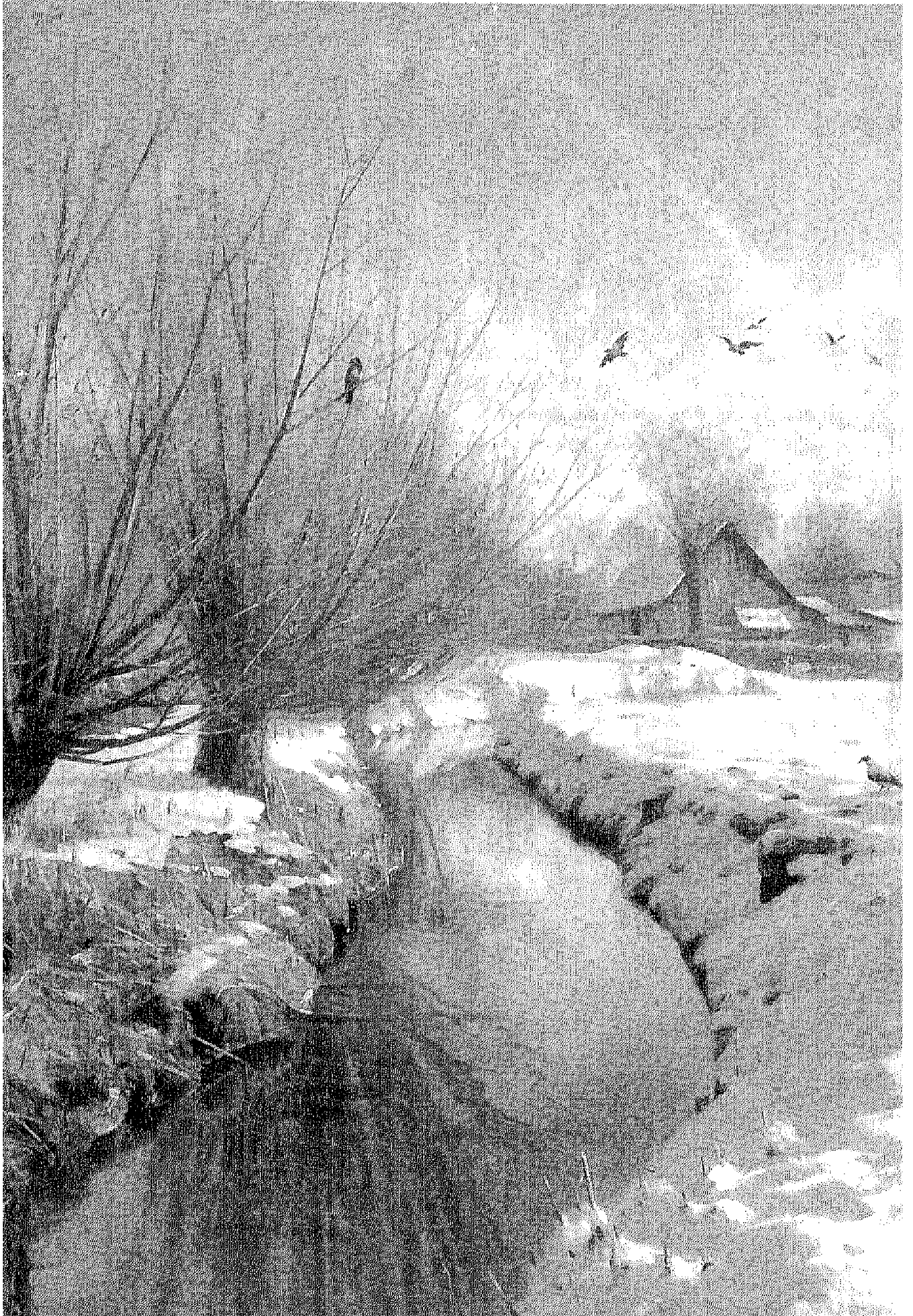
الضحك خير دواء: تفضل النكتة الاصلية، أما اذا كانت منشورة فيجب أن تختار من المطبوعات المحلية ذات الانتشار المحدود. تدفع ٣٥ دولاراً عن الاصلية و١٠ عن المنشورة.

السدات: هناك نكات ونوادر قصيرة من مصادر مطبوعة مثل الكتب والمجلات ذات الانتشار المحدود. وهذه كذلك يرحب بها "المختار" ويدفع دولارين عن السطر ذي العمودين.

شروط جديدة

- ★ كتابة الرسائل بخط واضح، والا طبعها على الآلة الكاتبة.
- ★ كتابة مادة كل باب على ورقة منفردة.
- ★ ارفاق كل مادة بنسخة مصورة كاملة لصفحة الكتاب أو المجلة أو الجريدة التي تظهر فيها، شرط أساسي لقبول أي مادة، اذ من دونها يتعذر علينا التحقق من صحة المصدر.
- ★ ذكر المصدر العربي ضروري وتعني بذلك: اسم الكتاب، اسم المؤلف، تاريخ النشر وعنوان الناشر كاملا. (اذا اختيرت المواد من مجلة أو جريدة، فينبغي ارسال عنوان الجريدة أو المجلة كاملاً، خصوصاً اذا كانت المطبوعة محلية محدودة الانتشار).
- ★ تحاشي المواد المترجمة أو المستقاة من مصادر أجنبية.
- ★ لا ينظر في الرسائل التي تضم كدسات من المواد، فالمقصود أن يحسن القارىء الاختيار.
- ★ لا تعاد النصوص الى أصحابها، سواء نشرت أو لم تنشر.

توجه الرسائل الى العنوان الآتي: مجلة "المختار من ريدرز دايجست"، بيروت، شارع المقدسي، بناية الشرتوني، ص.ب ٨٧٠٧ لبنان.



"الشتاء" - زيتية للرسام الدانمركي بيدر مونستد.


Bibliotheca Alexandrina
0531385
